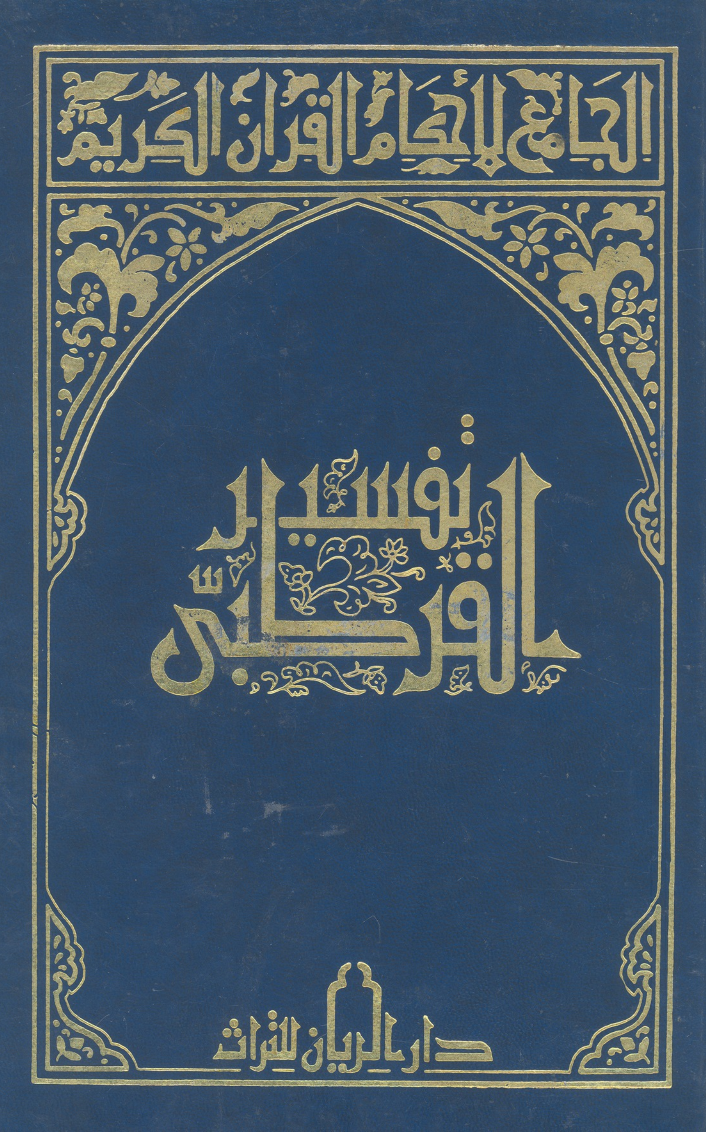

الجامع لأحكام القرآن الكريم
تفسير القرطبي
دار الريان للتراث

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة


تفسير القرطبي

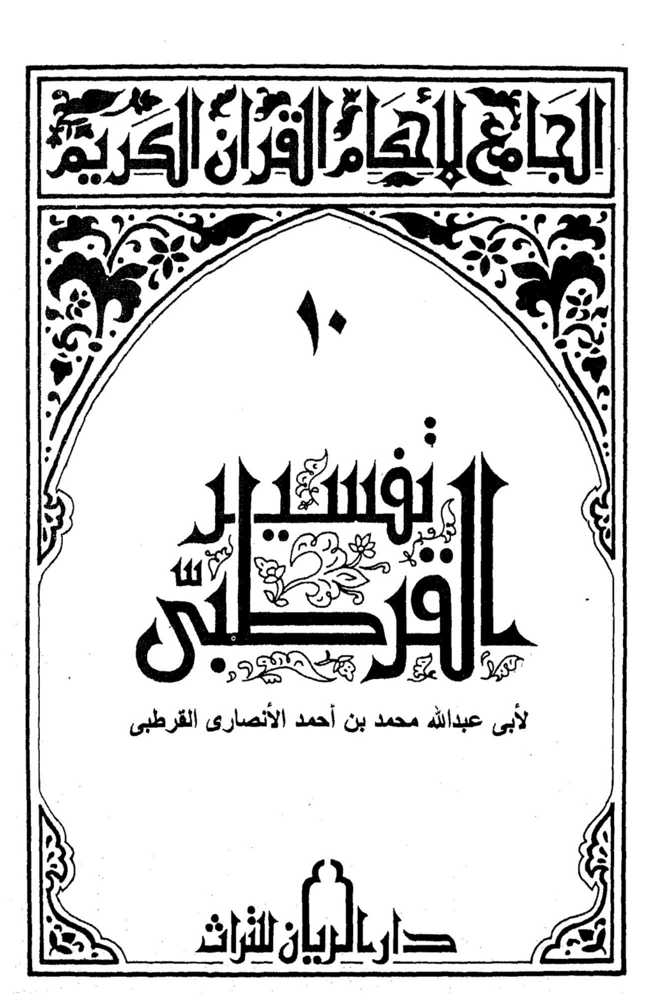
طبعة خاصة

بتصريح من دار الشعب

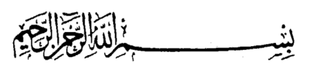
يطلب من : دار الريان للتراث

● دار الريان للتراث ١٧٧ شارع الهرم . ت : ٥٣٦٥٩٩

● مصر الجديدة : ٢٠ شارع الاندلس . ت : ٢٥٩١٨٩٢/ ٢٥٩١٨٩١



الجامع لأحكام القرآن الكريم
١٠
تفسير القرطبي
لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى
دار الريان للتراث


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾

تقدّم الكلام فيه . وقرأ أبو العالية ونصر بن عاصم «الملكُ القدوسُ العزيزُ الحكيمُ» كلها رفعًا؛ أي هو الملك .

قوله تعالى : هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال ابن عباس : الأميّون العرب كلهم؛ من كتب منهم ومن لم يكتب؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب . وقيل : الأميّون

(١) زيادة عن صحيح مسلم .

الذين لا يكتبون . وكذلك كانت قريش . وروى منصور عن إبراهيم قال : الأمّيّ الذي يقرأ ولا يكتب . وقد مضى في « البقرة »(١) . ﴿ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ؛ وما من حيّ من العرب إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه . قال ابن إسحاق : إلا حيّ تغلب ؛ فإن الله تعالى طهّر نبيّه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيّتهم ، فلم يجعل لهم عليه ولادة . وكان أمّيًّا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم . قال الماوَرْديّ : فإن قيل ماوجه الامتنان بأن بعث نبيًّا أمّيًّا ؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه : أحدها — لموافقته ما تقدّمت [به] بشارة الأنبياء . الثاني — لمشاكلة حاله لأحوالهم ؛ فيكون أقرب إلى موافقتهم . الثالث — لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه مادعى إليه من الكتب التي قرأها والحِكَم التي تلاها .

قلت : وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوّته .

قوله تعالى : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ يعني القرآن . ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان ؛ قاله ابن عباس . وقيل : يطهّرهم من دنس الكفر والذنوب ؛ قاله ابن جُرَيج ومقاتل . وقال السُّدّيّ : يأخذ زكاة أموالهم . ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن . ﴿ وَالْحِكْمَةَ ﴾ السُّنّة ؛ قاله الحسن . وقال ابن عباس : « الكتاب » الخط بالقلم ؛ لأن الخط فشا في العرب بالشرع لمّا أمروا بتقييده بالخط . وقال مالك بن أنس : « الحِكمة » الفقه في الدِّين . وقد مضى القول في هذا في « البقرة »(٢) . ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبله وقبل أن يرسل إليهم . ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ أي في ذهاب عن الحق .

قوله تعالى : وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ هو عطفٌ على « الأمّيين » أي بعث في الأمّيين وبعث في آخرين منهم . ويجوز أن يكون منصوبًا بالعطف على الهاء والميم في « يعلمهم ويزكيهم » ؛

---

(١) راجع جـ ٢ ص ٥ طبعة ثانية . (٢) راجع جـ ٢ ص ١٣١ طبعة ثانية

أى يعلمهم ويعلم آخرين من المؤمنين؛ لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مسندا إلى أوله، فكأنه هو الذى تولى كل ما وجد منه . ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ أى لم يكونوا فى زمانهم وسيجيئون بعدهم . قال ابن عمر وسعيد بن جبير : هم العجم . وفى صحيح البخاريّ ومسلم عن أبى هريرة قال : كنا جلوسا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة « الجمعة » فلما قرأ « وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ » قال رجل : مَن هؤلاء يارسول الله ؟ فلم يراجعه النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى سأله مَرّة أو مرتين أو ثلاثا . قال : وفينا سَلْمان الفارسيّ . قال : فوضع النبيّ صلى الله عليه وسلم يده على سَلْمان ثم قال : " لو كان الإيمان عند الثُّرَيّا لناله رجال من هؤلاء ". فى رواية "لو كان الدِّين عند الثُّرَيّا لذهب به رجل من فارس — أو قال — من أبناء فارس حتى يتناوله " لفظ مسلم . وقال عكرمة : هم التابعون . مجاهد : هم الناس كلهم؛ يعنى من بعد العرب الذين بُعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم . وقاله ابن زيد ومقاتل ابن حَيّان . قالا : هم من دخل فى الإسلام بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة . وروى سهل بن سعد السّاعدى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " إن فى أصلاب أمتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب — ثم تلا — «وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ»". والقول الأوّل أثبت . وقد رُوى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " رأيتنى أسقى غنما سودا ثم أتبعتها غنما عُفْرا أوِّلْها يا أبا بكر" فقال : يا رسول الله ، أما السود فالعرب ، وأما العُفْر فالعجم تتبعك بعد العرب . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "كذا أوّلها المَلَك" يعنى جبريل عليه السلام . رواه ابن أبى لَيْلَى عن رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه .

قوله تعالى : ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾

قال ابن عباس : حيث ألحق العجم بقريش . وقيل : يعنى الإسلام، فضل الله يؤتيه من يشاء؛ قاله الكلبى . وقيل : يعنى الوحى والنبوة؛ قاله مقاتل . وقول رابع — إنه المال

ينفق فى الطاعة؛ وهو معنى قول أبى صالح . وقد روى مسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدُّثُور بالدرجات العلا والنعيم المقيم . فقال : " وما ذاك " ؟ قالوا : يُصَلُّون كما نصلّى ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويُعتقون ولا نُعتق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفلا أعلمكم شيئا تُدركون به مَن سبقكم وتَسبقون به مَن بعدكم ولا يكون أحد أفضلَ منكم إلا مَن صنع مثل ما صنعتم " قالوا : بلى يارسول الله؛ قال " تسبّحون وتكبّرون وتحمدون دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثا وثلاثين مرة " . قال أبو صالح : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سَمِع إخوانُنا أهلُ الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " . وقول خامس — أنه انقياد الناس إلى تصديق النبيّ صلى الله عليه وسلم ودخولهم فى دينه ونصرته . والله أعلم .

قوله تعالى : مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾

ضرب مَثَلا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم . ﴿ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ﴾ أى كُلِّفوا العمل بها؛ عن ابن عباس . وقال الجُرجانى : هو من الحَمَالة بمعنى الكفالة؛ أى ضمنوا أحكام التوراة . ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ هى جمع سِفْر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ . قال مَيمون بن مِهْران : الحمار لا يدرى أسِفْر على ظهره أم زَبِيل؛ فهكذا اليهود . وفى هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء . وقال الشاعر (١) :

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة؛ يهجو قوما من رواة الشعر .

زوامل للأسفار لا علم عندهم * بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعَمْرُك ما يدرى البعيرُ إذا غدا * بأوساقه (١) أوراح ما فى الغرائر (٢)

وقال يحيى بن يمان : يكتب أحدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر، فإذا سئل أحدهم عن مسألة جلس كأنه مكاتب . وقال الشاعر :

إن الرواة على جهل بما حَمَلوا * مِثْلُ الجمال عليها يُحمل الوَدَعُ
لا الوَدْع ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمال بحمل الوَدْع تنتفعُ

وقال منذر بن سعيد البَلّوطى رحمه الله فأحسن :

اِنْعَق بما شئت تجد أنصارَا * وزُمّ أسفاراً تجد حِماراً
يَحملُ ما وضعت من أسفارِ * يحمله كمثل الحمار
يحمل أسفارًا له وما دَرَى * إن كان[ما]فيها صواباً وخطا (٣)
إن سُئلوا قالوا كذا رَوَيْنا * ما إن كَذَبْنا ولا اعتدينا
كبيرهم يصغر عند الحَفْلِ * لأنه قَلّد (٤) أهل الجهل

﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ أى لم يعملوا بها . شبههم ــ والتوراة فى أيديهم وهم لا يعملون بها ــ بالحمار يحمل كتبا وليس له إلا ثِقل الحمل من غير فائدة . و « يحمل » فى موضع نصب على الحال ؛ أى حاملا . ويجوز أن يكون فى موضع جرّ على الوصف ؛ لأن الحمار كاللئيم . قال :

* ولقد أمُرّ على اللئيم يسبّنى (٥) *

﴿ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ ﴾ المثل الذى ضربناه لهم ؛ فحذف المضاف . ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أى من سبق فى علمه أنه يكون كافرا .

---

(١) الوسق (بفتح الواو وسكون السين) : حمل البعير . (٢) الغرائر : جمع الغرارة (بالكسر) الجوالق .
(٣) كذا فى الأصول ، مع هذه الزيادة التى يستقيم بها الوزن . ويحتمل أن يكون صوابه :
* أكان ما فيها جمانا أو برى *
والجمان (بالضم) : اللؤلؤ . والبرى : التراب . (٤) فى بعض الأصول : « قدر » .
(٥) وتمامه : * فمضيت ثمّت قلت لا يعنينى *

قوله تعالى : قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾

لما ادّعت اليهود الفضيلة وقالوا «نحن أبناء الله وأحباؤه» قال الله تعالى : ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ فللأولياء عند الله الكرامة . ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لتصيروا إلى ما يصير إليه أولياء الله ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى أسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فلو تمنّوه لماتوا ؛ فكان فى ذلك بطلان قولهم وما ادّعوه من الولاية . وفى حديث أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية : " والذى نفس محمد بيده لو تمنّوا الموت ما بقى على ظهرها يهوديّ إلا مات " . وفى هذا إخبار عن الغيب، ومعجزة للنبيّ صلى الله عليه وسلم . وقد مضى معنى هـذه الآية فى « البقرة » فى قوله تعالى : « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[1] .

قوله تعالى : قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قال الزجاج : لا يقال إن زيدا فمنطلق . وهاهنا قال : «فإنه ملاقيكم» لما فى معنى «الذى» من الشرط والجزاء ؛ أى إن فررتم منه فإنه ملاقيكم ، ويكون مبالغة فى الدلالة على أنه لا ينفع الفرار منه . قال زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينَلْنَهُ * ولو رام أسباب السماء بسُلّمِ

قلت : ويجوز أن يتم الكلام عند قوله : « الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ » ثم يبتدئ « فإنه مُلاقيكم » . وقال طَرَفة :

---

(١) راجع جـ ٢ ص ٣٢ طبعة ثانية .

وكفى بالمَوْت فاعلم واعظًا * لمن المَوْتُ عليه قد قُدِرْ
فاذكر الموتَ وحاذر ذكره * إنّ في الموت لذى اللُّبّ عِبَرْ
كلُّ شيء سوف يَلْقَى حَتْفَه * في مقامٍ أو على ظَهْرِ سَفَرْ
والمنايا حَوْلَه تَرْصُدُه * ليس يُنجيه من الموت الحَذَرْ

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

فيه ثلاث عشرة مسألة :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ قرأ عبد الله بن الزبير والأعمش وغيرهما « الجُمْعَة » بإسكان الميم على التخفيف . وهما لغتان . وجمعهما جُمَع وجُمُعات . قال الفرّاء : يقال الجُمْعة (بسكون الميم) والجُمُعة (بضم الميم) والجُمَعة (بفتح الميم) فيكون صفة اليوم ؛ أى تجمع الناس . كما يقال : ضُحَكة للذى يضحك . وقال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم فاقرءوها جُمُعة ؛ يعنى بضم الميم . وقال الفرّاء وأبو عبيد : والتخفيف أقيس وأحسن ؛ نحو غُرْفة وغُرَف ، وطُرْفة وطُرَف ، وحُجْرة وحُجَر . وفتحُ الميم لغة بنى عقيل . وقيل : إنها لغة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وعن سَلْمان أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " إنما سُمّيت جمعة لأن الله جمع فيها خلق آدم " . وقيل : لأن الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها المخلوقات . وقيل لتجتمع الجماعات فيها . وقيل : لاجتماع الناس فيها للصلاة . و « مِن » بمعنى « فى » ؛ أى فى يوم ؛ كقوله تعالى : « أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ »(1) أى فى الأرض .

الثانية — قال أبو سلمة : أول من قال « أما بعد » كعب بن لُؤَيّ ، وكان أوّل من سمّى الجمعة جمعة . وكان يقال ليوم الجمعة : العَرُوبة . وقيل أول من سماها جمعة الأنصار .

(1) آية ٤٠ سورة فاطر .

قال ابن سيرين : جَمّع أهل المدينة من قبل أن يقْدَم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة، وقبل أن تنزل الجمعة، وهم الذين سَمّوْها الجمعة؛ وذلك أنهم قالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه، فى كل سبعة أيام يوم وهو السبت . وللنصارى يوم مثـل ذلك وهو الأحد فتعالوْا فلنجتمع حتى نجعل يومًا لنا نذ كرالله ونصلّى فيه ونستذ كر — أوكما قالوا — فقالوا : يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى ، فاْجعلوه يوم العَرُوبة . فاْجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارة (أبو أمامة رضى الله عنه) فصلّى بهم يومئذ ركعتين وذكّرهم ، فسمّوْه يوم الجمعة حين اجتمعوا . فذبح لهم أسعد شاة فتعشّوْا وتغدّوْا منها لقلتهم . فهذه أوّل جمعة فى الاسلام .

قلت : وروى أنهم كانوا اثنى عشر رجلا على ما يأتى . وجاء فى هذه الرواية أن الذى جَمّع بهم وصلّى أسـعد بن زُرَارة ، وكذا فى حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب على ما يأتى . وقال البَيْهَقِىّ ، وروَيْنا عن موسى بن عقبة عن آبن شهاب الزُّهْرِىّ أن مُصْعَب ابن عمير كان أول من جَمّع الجمعة بالمدينـة للسلمين قبل أن يَقْدَمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال البيهقى : يحتمل أن يكون مصعب جَمّع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضافه كعب إليه . والله أعلم .

وأما أوّل جمعـة جَمّعها النبيّ صلى الله عليه وسلم بأصحابه ؛ فقال أهل السير والتواريخ : قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا حتى نزل بقُبَاء ، على بنى عمرو بن عَوْف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليـلةٍ خلت من شهر ربيع الأوّل حين اشـتدّ الضُّحَى . ومن تلك السنة يُعَـدّ التاريخ . فأقام بقُبَاء إلى يوم الخميس وأسّس مسجدهم . ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة؛ فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عَوْف فى بطن وادٍ لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدًا ؛ فجمّع بهم وخَطَب . وهى أوّل خُطْبة خطبها بالمدينة، وقال فيها : " الحمـدُ لله . أحْمَده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفُره ، وأعادى من يكفُر به . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أنّ محمـدا عبده ورسـوله ، أرسله بالهُـدَى ودِين الحق ، والنور والموعظة والحكمة على فَتْرة من الرُّسل ، وقلّةٍ من العلم ، وضلالةٍ من الناس، وانقطاع

من الزمان ، ودُنُوّ من الساعة ، وقُرْب من الأجل . من يُطِع الله ورسولَه فقد رَشَد . ومن يَعْصِ الله ورسولَه فقد غَوَى وفرّط وضلّ ضلالا بعيدا . أُوصيكم بتَقْوَى الله ، فإنه خير ما أوصَى به المسلمُ المسلمَ أن يَحُضّه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله . واحذَروا ماحذّركم الله من نفسه ؛ فإنّ تقوى الله لمن عَمِل به على وَجَلٍ ومخافةٍ من ربه عَوْنُ صدقٍ على ماتبغُون من [أمر](١) الآخرة . ومن يُصْلِح الذى بينه وبين ربه من أمره فى السرِّ والعَلَانية ، لاينوِى به إلا وَجْهَ الله يَكُنْ له ذكرًا فى عاجل أمره ، وذُخْرًا فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ماقدّم . وما كان مما سوى ذلك يَوَدّ لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدا . « ويُحَذّركم اللهُ نَفْسَهُ واللهُ رءوفٌ بالعِبادِ »(٢) . هو الذى صدّق قولَه ، وأنجز وعده ، لاخُلْف لذلك ؛ فإنه يقول تعالى : « مَايُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىّ وَمَاأنا بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ »(٣) . فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السرِّ والعلانية ؛ فإنه « مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِه وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا »(٤) . ومن يتّقِ الله فقد فاز فوزًا عظيما . وإنّ تقوى الله تُوَقّى مَقْته وتُوَقّى عقوبتَه وتُوَقّى سَخَطه . وإن تقوى الله تُبيِّض الوجوهَ ، وتُرْضِى الربَّ ، وترفع الدرجة . فخُذُوا بحظّكم ولاتفرِّطوا فى جَنْب الله ؛ فقد علّمكم كتابَه ، ونَهَج لكم سبيلَه ؛ ليعلم الذين صدّقوا ويعلم الكاذبين . فأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا فى الله حقّ جهاده ؛ هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين . ليَهْلِك من هَلَك عن بيّنة ، ويحيا من حَىّ عن بيّنة . ولا حول ولا قوة إلا بالله . فأكثروا ذكر الله تعالى ، واعملوا لما بعد الموت ؛ فإنه من يُصلح ما بينه وبين الله يَكْفِه الله ما بينه وبين الناس . ذلك بأنّ الله يقضى على الناس ولا يَقْضُون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه . الله أكبر ، ولا حَوْل ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم " .

وأوّل جمعة جُمّعت بعدها جمعةٌ بقرية يقال لها « جُوَاثى » من قُرَى البَحْرَين . وقيل : إن أوّل من سماها الجمعة كعب بن لؤىّ بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب ؛ كما تقدّم . والله أعلم .

---

(١) زيادة عن تاريخ الطبرى والبداية والنهاية . (٢) آية ٣٠ سورة آل عمران .
(٣) آية ٢٩ سورة ق . (٤) آية ٥ سورة الطلاق .

الثالثة — خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفًا لهم وتكريمًا فقال : « يأيها الذين آمنوا » ثم خصّه بالنداء، وإن كان قد دخل في عموم قوله تعالى : « وإذا ناديتم إلى الصلاة »(١) ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه . وقال بعض العلماء : كون الصلاة الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ . قال ابن العربي : وعندى أنه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله : « مِنْ يومِ الجُمُعَةِ » وذلك يفيده ؛ لأن النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة . فأما غيرها فهو عام في سائر الأيام . ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنًى ولا فائدة .

الرابعة — قد تقدم حكم الأذان في سورة « المائدة » مستوفًى(٢) . وقد كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر الصلوات ؛ يؤذّن واحد إذا جلس النبيّ صلى الله عليه وسلم على المنبر . وكذلك كان يفعل أبو بكر وعمر وعليّ بالكوفة . ثم زاد عثمان على المنبر أذانا ثالثا(٣) على داره التي تسمى «الزَّوْراء»(٤) حين كثر الناس بالمدينة. فإذا سمعوا أقبلوا ؛ حتى إذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذن النبيّ صلى الله عليه وسلم، ثم يخطب عثمان . خرجه ابن ماجه في سُنَنِه من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال : ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مؤذن واحد؛ إذا خرج أذّن وإذا نزل أقام . وأبو بكر وعمر كذلك. فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على دارٍ في السوق يقال لها «الزوراء» ؛ فإذا خرج أذن وإذا نزل أقام. خرجه البخاري من طرق بمعناه. وفي بعضها: أن الأذان الثاني يوم الجمعة أمر به عثمان بن عفّان حين كثر أهل المسجد ، وكان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الإمام . وقال الماوَرْديّ: فأما الأذان الأول فمحدث ، فعله عثمان بن عفّان ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها . وقد كان عمر رضي الله عنه أمر أن

(١) آية ٥٨ سورة المائدة . (٢) راجع ج ٦ ص ٢٢٤ (٣) أي أول الوقت عند الزوال . وسماه ثالثا باعتبار كونه مزيدا على الأذان بين يدي الإمام والإقامة للصلاة . فهو أول باعتبار الوجود ؛ ثالث باعتبار مشروعية عثمان له باجتهاده وموافقة سائر الصحابة له بالسكوت وعدم الانكار .

(٤) الزوراء : موضع بالسوق بالمدينة ؛ قيل إنه مرتفع كالمنارة . وقيل : حجر كبير عند باب المسجد .

يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم، فإذا اجتمعوا أذن في المسجد، فجعله عثمان رضي الله عنه أذانين في المسجد . قاله ابن العربي . وفي الحديث الصحيح أن الأذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا، فلما كان زمن عثمان زاد الأذان الثالث على الزوراء، وسماه في الحديث ثالثا لأنه أضافه إلى الإقامة ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام . "بين كل أذانين صلاة لمن شاء" يعني الأذان والإقامة. ويتوهم الناس أنه أذان أصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وَهمًا، ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وَهمًا على وَهم . ورأيتهم يؤذنون بمدينة السلام بعد أذان المنار بين يدي الإمام تحت المنبر في جماعة ؛ كما كانوا يفعلون عندنا في الدُّوَل الماضية . وكل ذلك مُحْدَث .

الخامسة ــ قوله تعالى : ﴿فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ اختلف في معنى السَّعْي ها هنا على ثلاثة أقوال : أولها ــ القصد . قال الحسن : والله ما هو بسَعْي على الأقدام ولكنه سَعْيُ بالقلوب والنِّية . الثاني ــ أنه العمل، كقوله تعالى : « وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ »(1) ، وقوله : « إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ »(2) ، وقوله : « وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ »(3) . وهذا قول الجمهور . وقال زهير :

* سَعَى بعدهم قومٌ لِكَيْ يدركوهم(4) *

وقال أيضا :

سَعَى ساعِيا غَيْظ بن مُرَّة بعد ما * تَبَزَّل ما بين العَشِيرة بالدَّمِ(5)

أي فاعملوا على المضي الى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهير والتوجّه اليه :
الثالث ــ أن المراد به السَّعْي على الأقدام. وذلك فضلٌ وليس بشرط . ففي البخاري : أن

---

(١) آية ١٩ سورة الإسراء . (٢) آية ٤ سورة الليل . (٣) آية ٣٩ سورة النجم .

(٤) وعجزه : * فلم يفعلوا ولم يلاموا ولم يألوا *

(٥) في شرح ديوان زهير : « الساعيان » . الحارث بن عوف، وهرم بن سنان؛ سعيا في الديات . وقيل : خارجة بن سنان والحارث بن عوف ؛ «سعيا» أي عملا عملا حسنا . و «غيظ بن مرة» : حي من غطفان بن سعد . و «تبزل بالدم» : أي تشقق . يقول : كان بينهم صلح فتشقق بالدم . يقول : سعيا بعد ما تشقق فأصلحا .

أبا عَبْس بن جَبْر — واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة — مشى إلى الجمعة راجلا وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار " . ويحتمل ظاهره رابعا — وهو الجرى والاشتداد . قال ابن العربي : وهو الذي أنكره الصحابة الأعلمون والفقهاء الأقدمون . وقرأها عمر « فَٱمضُوا إلى ذِكرِ ٱللهِ » فرارًا عن طريق الجَرْى والاشتداد الذي يدلّ عليه الظاهر . وقرأ ابن مسعود كذلك وقال : لو قرأت « فَٱسْعَوْا » لسعيتُ حتى يسقط ردائي . وقرأ ٱبن شهاب : « فَٱمضُوا إلى ذكر الله سالكًا تلك السبيل » . وهو كله تفسير منهم ؛ لا قراءة قرآن منزل . وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير . قال أبو بكر الأنباري : وقد احتجّ من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود ، وأن خَرَشَةَ بن الحُرّ قال : رآني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها «فاسْعَوْا إلى ذِكرِ اللهِ » فقال لي عمر : من أقرأك هذا ؟ قلت أُبَيّ . فقال : إن أُبيًّا أقرؤنا للمنسوخ . ثم قرأ عمر «فآمضوا إلى ذِكرِ الله » . حدّثنا إدريس قال حدّثنا خَلَف قال حدّثنا هُشيم عن المُغيرة عن إبراهيم عن خَرَشة ؛ فذكره . وحدّثنا محمد بن يحيى أخبرنا محمد وهو ابن سَعدان قال حدثنا سفيان بن عُيَيْنة عن الزُّهْرى عن سالم عن أبيه قال : ماسمعت عمر يقرأ قطُّ إلا «فآمضُوا إلى ذكر الله » . وأخبرنا إدريس قال حدّثنا خلف قال حدّثنا هشيم عن المُغيرة عن إبراهيم أن عبد الله بن مسعود قرأ «فامضُوا إلى ذكر الله» وقال : لو كانت «فاسعَوْا» لسعيت حتى يسقط ردائي . قال أبو بكر : فآحتج عليه بأن الأمة أجمعت على « فآسعَوْا » برواية ذلك عن الله ربّ العالمين ورسوله صلى الله عليه وسلم . فأما عبد الله بن مسعود فما صحّ عنه « فآمضوا » لأن السَّنَد غير متصل ؛ إذ إبراهيم النَّخَعيّ لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئا ، وإنما ورد « فآمضوا » عن عمر رضي الله عنه . فإذا انفرد أحدٌ بما يخالف الآية والجماعة كان ذلك نسيانًا منه . والعرب مُجمعة على أن السَّعْي يأتي بمعنى المُضيّ ؛ غيرَ أنه لا يخلو من الجِدّ والانكماش . قال زهير :

سَعَى ساعيا غَيْظ بن مُرّة بعدما * تَبَزَّل مابين العَشيرةِ بالدَّمِ

أراد بالسّعْى المضىَّ بجدٍّ وانكماش ، ولم يُقصد للعَدْو والإسراع فى الخَطْو . وقال الفرّاء وأبو عبيدة : معنى السعى فى الآية المضىّ . واحتج الفرّاء بقولهم : هو يسعى فى البلاد يطلب فضل الله ؛ معناه هو يمضى بجد واجتهاد . واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

أَسْعَى على جُلِّ بنِي مالِكٍ * كلُّ امرئٍ فى شأنه ساعِى

فهل يحتمل السعى فى هذا البيت إلا مذهب المضى بالانكماش ؛ ومحال أن يخفى هذا المعنى على ابن مسعود على فصاحته و إتقان عربيّته .

قلت : ومما يدلّ على أنه ليس المراد ها هنا العَدو قوله عليه الصلاة والسلام : " إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعَون ولكن ائتوها وعليكم السكينة " . قال الحسن : أما والله ما هو بالسّعى على الأقدام ، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ؛ ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة : السعى أن تسعى بقلبك وعملك . وهذا حسن ؛ فإنه جمع الأقوال الثلاثة . وقد جاء فى الاغتسال للجمعة والتطيّب والتزيّن باللباس أحاديث مذكورة فى كتب الحديث .

السادسة ــ قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خطاب للمكلفين بإجماع . ويخرج منه المَرْضَى والزَّمْنَى والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل ، والعميان والشيخ الذى لا يمشى إلا بقائد عند أبى حنيفة . روى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريض أو مسافر أو امرأة أو صبي أو مملوك فمن استغنى بلَهْوٍ أو تجارةٍ استغنى الله عنه والله غنيٌّ حميد " خرجه الدّارَقُطْنِيّ . وقال علماؤنا رحمهم الله : ولا يتخلف أحد عن الجمعة ممن عليه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه معه الإتيان إليها ؛ مثل المرض الحابس ، أو خوف الزيادة فى المرض ، أو خوف جَوْر السلطان عليه فى مال أو بدن دون القضاء عليه بحق . والمطر الوابل مع الوَحْل عذر إن لم ينقطع ، ولم يره مالكٌ عذرًا له ؛ حكاه المهدَوِىّ . ولو تخلّف عنها متخلّف على وَلِىّ حَمِيم له قد حضرته الوفاة ، ولم يكن عنده من يقوم بأمره رَجا أن يكون فى سَعَة . وقد فعل ذلك ابن عُمَر .

ومن تخلف عنها لغير عذر فصلّى قبل الإمام أعاد ، ولا يجزيه أن يصلّى قبله . وهو فى تخلفه عنها مع إمكانه لذلك عاصٍ لله بفعله .

السابعــــة ــ قوله تعالى : ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ يختصّ بوجوب الجمعة [على](1) القريب الذى يسمع النداء؛ فأما البعيد الدار الذى لا يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب . واختُلف فيمن يأتى الجمعة من الدّانى والقاصى؛ فقال ابن عمر وأبو هريرة وأنَس : تجب الجمعة على من فى المِصْر على ستة أميال . وقال ربيعة : أربعة أميال . وقال مالك واللّيْث : ثلاثة أميال . وقال الشافعى: اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذّن صَيِّتاً(2)، والأصوات هادئة ، والريح ساكنة ، وموقف المؤذن عند سُو ر البلد . وفى الصحيح عن عائشة : أن الناس كانوا ينتابون(3) الجمعة من منازلهم ومن العَوالى فيأتون فى الغُبار(4) ويصيبهم الغُبار فتخرج منهم الريح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو اغتسلتم ليومكم هذا"! قال علماؤنا : والصَّوْت إذا كان منيعاً والناس فى هدوء وسكون فأقصى سماع الصوت ثلاثة أميال . والعَوالى من المدينة أقربها على ثلاثة أميال . وقال أحمد بن حنبل و إسحاق : تجب الجمعة على من سمع النداء . وروى الدّارَقُطْنِيّ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنما الجمعة على من سمع النداء" . وقال أبو حنيفة وأصحابه : تجب على مَن فى المِصْر، سَمِع النداء أو لم يسمعه؛ ولا تجب على مَن هو خارج المصر وإن سمع النّـداء . حتى سئل : وهل تجب الجمعة على أهل زبارة ــ بينها و بين الكوفة مجرى نهر ــ ؟ فقال لا . ورُوى عن ربيعة أيضا : أنها تجب على مَن إذا سمع النـداء وخرج من بيته ماشيا أدرك الصـلاة . وقد رُوى عن الزُّهْرى أنها تجب عليه إذا سمع الأذان .

الثامنــــة ــ قوله تعالى : ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ دليل على أن الجمعة لا تجب إلا بالنداء ، والنداء لا يكون إلا بدخول الوقت ؛ بدليل قوله

---

(1) التكلة عن ابن العربى. (2) رجل صيت : شديد الصوت عاليه . (3) أى يحضرونها نوبا . وفى رواية « يتناوبون » . (4) فى بعض النسخ : « فى العباء » بفتح العين المهملة والمد ؛ جمع عباءة .

عليه الصلاة والسلام : « إذا حضرت الصلاة فأذّنا ثم أقيما وليؤمّكما أكبركما » . قاله لمالك ابن الحُوَيْرِث وصاحبه . وفى البخاري عن أنس بن مالك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس . وقد روى عن أبى الصّدّيق وأحمد بن حنبل أنها تُصلّى قبل الزوال . وتمسّك أحمد فى ذلك بحديث سَلَمة بن الأكوع : كنا نصلّى مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان ظِلّ . وبحديث ابن عمر : ما كنا نَقيل ولا نتغدّى إلا بعد الجمعة . ومثلُه عن سَهْل . خرجه مسلم . وحديث سلمة محمول على التبكير . رواه هشام بن عبد الملك عن يَعْلَى بن الحارث عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه . وروى وَكيع عن يَعْلَى عن إياس عن أبيه قال : كنا نُجَمِّع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفَيْء . وهذا مذهب الجمهور من الخَلَف والسَّلَف ، وقياسا على صلاة الظهر . وحديثُ ابن عمر وسَهْل ، دليلٌ على أنهم كانوا يبكّرون إلى الجمعة تبكيراً كثيرا عند الغداة أو قبلها ، فلا يتناولون ذلك إلا بعد انقضاء الصلاة . وقد رأى مالك أن التبكير بالجمعة إنما يكون قرب الزوال بيسير . وتأوّل قولَ النبيّ صلى الله عليه وسلم : « من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرّب بَدَنَة ... » الحديثَ بكماله . إنه كله فى ساعة واحدة . وحَمَله سائر العلماء على ساعات النهار الزمانية الاثنتى عشرة ساعة المستوية أو المختلفة بحسب زيادة النهار ونقصانه . ابن العربي : وهو أصحّ ؛ لحديث ابن عمر رضى الله عنهما ، ما كانوا يَقيلون ولا يتغدّون إلا بعد الجمعة لكثرة البكور إليها .

التاسعة ــ فرض الله تعالى الجمعة على كل مسلم ؛ ردًّا على من يقول : إنها فرض على الكفاية ؛ ونقل عن بعض الشافعية . ونقل عن مالك من لم يُحَقِّق : أنها سنة . وجمهور الأمة والأئمة أنها فرض على الأعيان ؛ لقول الله تعالى : « إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ » . وثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَيَنْتَهِيَنَّ أقوام عن وَدْعِهم الجُمُعات أو لَيَخْتِمَنّ الله على قلوبهم ثم ليكونُنّ من الغافلين » . وهذا حجة واضحة فى وجوب الجمعة وفرضيتها . وفى سُنن ابن ماجه عن أبى الجَعْد الضَّمْرِيّ ــ وكانت له صحبة ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها

؛ طبع الله على قلبه" . إسناده صحيح . وحديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طَبَعَ الله على قلبه" . ابن العَرَبِيّ : وثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الرَّواح إلى الجمعة واجبٌ على كل مسلم" .

العاشــرة ـــ أوجب الله السَّعْيَ إلى الجمعة مطلقًا من غير شرط . وثبت شَرْطُ الوضوء بالقرآن والسنة في جميع الصلوات؛ لقوله عز وجل : «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» الآية (١) . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "لا يقبل الله صلاة بغير طهور" . وأغْرَبَت طائفة فقالت : إن غسل الجمعة فرض . ابن العَرَبِيّ : وهذا باطل ؛ لما روى النَّسائي وأبو داود في سُننهما أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "من توضأ يوم الجمعة فبها ونِعْمَتْ . ومن اغتسل فالغسل أفضل" . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من توضأ [يوم الجمعة] (٢) فأحسن الوضوء ثم راح إلى الجمعة فاستمع وأنصت غفر الله له ما بين الجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام . ومن مَسَّ الحَصَى (٣) فقد لَغَا (٤)" وهذا نصّ . وفي المُوَطَّأ : أن رجلا دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب... ـــ الحديث (٥) إلى أن قال : ـــ ... مازدتُ على أن توضأت ، فقال عمر : والوضوء أيضا ؟ وقد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل . فأمر (٦) عمر بالغسل ولم يأمره بالرجوع ، فدلّ على أنه محمول على الاستحباب . فلم يمكن وقد تلبّس بالفرض ـــ وهو الحضور والإنصات للخطبة ـــ أن يرجع عنه إلى السُّنّة ، وذلك بمحضر فحول الصحابة وكبار المهاجرين حوالى عمر ، وفي مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) آية ٦ سورة المائدة . (٢) ما بين المربعين لم يرد في صحيح مسلم .

(٣) أي سواه للسجود غير مرة في الصلاة (٤) اللغو : الكلام المطرح الساقط .

(٥) الحديث كما ورد في الموطأ وشرحه : « دخل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يوم الجمعة وعمر يخطب . فقال عمر : أية ساعة هذه ؟ (إشارة الى أن هذه الساعة ليست من ساعات الرواح الى الجمعة لأنه وقت طويت فيه الصحف) -- فقال : يا أمير المؤمنين ، انقلبت من السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت ـــ (اعتذار منه على أنه لم يشتغل بغير الفرض مبادرة الى سماع الخطبة والذكر) ـــ فقال عمر : الوضوء أيضا ! وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل . (معناه أنك مع ما فاتك من التهجير فاتتك فضيلة الغسل الذي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر به) .

(٦) في الأصول : « فأقر » بالقاف . والتصويب عن ابن العربي .

الحادية عشرة ـ لا تسقط الجمعة لكونها فى يوم عيد، خلافاً لأحمد بن حنبل فإنه قال : إذا اجتمع عيدٌ وجمعة سقط فرض الجمعة ؛ لتقدّم العيد عليها واشتغال الناس به عنها . وتعلّق فى ذلك بما رُوى أن عثمان أذِن فى يوم عِيد لأهل العوالى أن يتخلّفوا عن الجمعة . وقول الواحد من الصحابة ليس بحجة إذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه . والأمر بالسّعى متوجّه يوم العيد كتوجّهه فى سائر الأيام . وفى صحيح مسلم عن النُّعمان بن بَشير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بـ «سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأعلى» و «هل أتاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيةِ» قال : و إذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضا فى الصلاتين . أخرجه أبوداود والتِّرمِذىّ والنَّسائى وآبن ماجه

الثانية عشرة ـ قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أى الصلاة . وقيل الخطبة والمواعظ ؛ قاله سعيد بن جُبير . ابن العرَبىّ : والصحيح أنه واجب فى الجميع ؛ وأوّله الخطبة . وبه قال علماؤنا ؛ إلا عبد الملك بن الماجِشُون فإنه رآها سُنّة . والدليل على وجوبها أنها تُحرّم البيع ولولا وجوبها ما حرّمته ؛ لأن المستحب لا يُحرِّم المباح . وإذا قلنا : إن المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة . والعبد يكون ذاكرًا لله بفعله كما يكون مُسَبِّحا لله بفعله . الزَّمَخْشرىّ : فإن قلت : كيف يفسّر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك ! قلت : ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خُلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله . فأمّا ما عدا ذلك من ذكر الظَّلَمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم ، وهم أحقاء بعكس ذلك ؛ فهو من ذكر الشيطان ، وهو من ذكر الله على مراحل .

الثالثة عشرة ـ قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ منع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة ، وحرّمه فى وقتها على من كان مخاطباً بفرضها . والبيع لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر أحدهما ؛ كقوله تعالى : « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ »[1] . وخصّ البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق . ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا يُنهى عن البيع والشراء .

(١) آية ٨١ سورة النحل .

وفى وقت التحريم قولان : إنه من بعد الزوال إلى الفراغ منها ؛ قاله الضحاك والحسن وعطاء . الثانى — من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة ؛ قاله الشافعى . ومذهب مالك أن يترك البيع إذا نُودِىَ للصلاة ، ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع فى ذلك الوقت . ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره ؛ إذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع . قالوا : وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ . ابن العربى : والصحيح فسخ الجميع ؛ لأن البيع إنما مُنِع منه للاشتغال به . فكلّ أمر يَشْغَل عن الجمعة من العقود كلّها فهو حرام شرعًا مفسوخ رَدْعًا . المَهْدَوِىّ : ورأى بعض العلماء البيعَ فى الوقت المذكور جائزا ، وتأوّل النّهى عنه نَدْبًا ، واستدلّ بقوله تعالى : « ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُم » .

قلت : — وهذا مذهب الشافعى ؛ فإن البيع ينعقد عنده ولا يفسخ . وقال الزَّمَخْشَرِىّ فى تفسيره : إن عامة العلماء على أن ذلك لا يؤدّى فساد البيع . قالوا : لأن البيع لم يَحْرُم لعينه ، ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب ؛ فهو كالصلاة فى الأرض المغصوبة والثوب المغصوب ، والوضوء بماء مغصوب . وعن بعض الناس أنه فاسد .

قلت : الصحيح فساده وفسخه ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : "كلّ عملٍ ليس عليه أمْرُنا فهو رَدّ" . أى مردود . والله أعلم .

قوله تعالى : فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِى الأَرْضِ﴾ هذا أمرُ إباحة ؛ كقوله تعالى : « وَإِذَا حَلَلْتُم فَاصْطَادُوا »[1] . يقول : إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا فى الأرض للتجارة والتصرف فى حوائجكم . ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ أى من رزقه . وكان عِراك بن مالك إذا صلّى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللّهمّ إنى أجبت دعوتك ، وصلّيت

---

(١) آية ٢ سورة المائدة .

فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين . وقال جعفر ابن محمد فى قوله تعالى : « وَٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ » إنه العمل فى يوم السبت . وعن الحسن ابن سعيد بن المُسَيّب : طلب العلم . وقيل : صلاة التطوّع . وعن ابن عباس : لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا ؛ إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة الأخ فى الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ أى بالطاعة واللسان ، وبالشكر على ما به أنعم عليكم من التوفيق لأداء الفرائض . ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ كى تفلحوا . قال سعيد بن جُبير : الذكر طاعة الله تعالى ؛ فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يُطعه فليس بذاكر وإن كان كثير التسبيح . وقد مضى هذا مرفوعاً فى « البقرة »[1] .

قوله تعالى : وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

فيه سبع عشرة مسألة :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما يوم الجمعة ، فجاءت عِيرٌ من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا — فى رواية أنا فيهم — فأنزلت هذه الآية التى فى الجمعة « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا » . فى رواية : فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . وقد ذكر الكلبىّ وغيره : أن الذى قَدِم بها دِحْيَة بن خليفة الكلبى من الشام عند مجاعة وغلاءِ سعر ، وكان معه جميع ما يحتاج الناس من بُرٍّ ودقيق وغيره ، فنزل عند أحجار الزيت[2] ، وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه ؛ فخرج الناس إلا اثنى عشر رجلا . وقيل : أحد عشر رجلا . قال الكلبى : وكانوا فى خطبة الجمعة فانفضوا إليها ، وبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال ؛ حكاه الثعلبى عن ابن عباس . وذكر

(١) راجع جـ ٢ ص ١٧١ طبعة ثانية . (٢) أحجار الزيت : مكان فى سوق المدينة

الدَّارَقُطْنِيّ من حديث جابر بن عبد الله قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا يوم الجمعة إذ أقبلت عِيرٌ تحمل الطعام حتى نزلت بالبَقِيع ؛ فالتفتوا إليها وانفضوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه إلا أربعون رجلا أنا فيهم . قال : وأنزل الله عز وجل على النبيّ صلى الله عليه وسلم « وإذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْـوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا » . قال الدَّارَقُطْنِيّ : لم يقل في هذا الإسناد « إلا أربعين رجلا » غيرُ عليّ بن عاصم عن حُصين ، وخالفه أصحاب حُصين فقالوا : لم يبق مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا . وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : "والذى نفسى بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا" . ذكره الزَّمَخْشَرِيّ . وروى في حديث مرسل أسماء الاثنى عشر رجلا ، رواه أسد بن عمرو والد أسد بن موسى بن أسد . وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه إلا أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ، وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص ، وعبد الرحمن ابن عَوف وأبو عُبيدة بن الجَرّاح ، وسعيد بن زيد وبلال ، وعبد الله بن مسعود في إحدى الروايتين . وفي الرواية الأخرى عَمّار بن ياسر .

قلت : لم يذكر جابرًا ، وقد ذكر مسلم أنه كان فيهم ؛ والدَّارَقُطْنِيّ أيضا . فيكونون ثلاثة عشر . وإن كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم أربعة عشر . وقد ذكر أبو داود في مراسيله السببَ الذى ترخّصوا لأنفسهم في ترك سماع الخطبة ، وقد كانوا خليقاً بفضلهم ألا يفعلوا ؛ فقال : حدّثنا محمود بن خالد قال حدّثنا الوليد قال أخبرنى أبو معاذ بكر بن معروف أنه سمع مقاتل بن حَيّان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّى الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى كان يوم جمعة والنبيّ صلّى الله عليه وسلم يخطب ، وقد صلّى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دِحْيَة بن خليفة الكَلْبي قدم بتجارة ، وكان دِحية إذا قدم تلقّاه أهله بالدِّفاف ؛ فخرج الناس فلم يظنّوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء ؛ فأنزل الله عز وجل : « وإذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا » . فقدّم النبيّ صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة وأخّر الصلاة . وكان لا يخرج أحد لرُعاف أو أحداث بعد النهى حتى يستأذن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، يشير اليه

بأصبعه التى تلى الإبهام، فيأذن له النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده . فكان من المنافقين من تَقُل عليه الخطبة والجلوس فى المسجد ، وكان إذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق إلى جنبه مستترًا به حتى يخرج ؛ فأنزل الله تعالى : « قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا »(١) الآية . قال السُّهَيْلِيّ : وهذا الخبر وإن لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا . وقال قتادة : وبلغنا أنهم فعلوه ثلاث مرّات، كل مرّة عِير تَقْدَم من الشام، وكل ذلك يوافق يوم الجمعة . وقيل : إن خروجهم لقدوم دِحْيَة الكلبي بتجارته ونظرهم إلى العير تَمُرّ ، لَهْوٌ لا فائدة فيه ؛ إلا أنه كان مما لا إثم فيه لو وقع على غير ذلك الوجه ، ولكنه لما اتصل به الإعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته ، غَلُظ وكَبُر ونزل فيه من القرآن وتهجينه بآسم اللّهو ما نزل . وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كلّ ما يلْهو به الرجل باطلٌ إلا رَمْيه بقوسه". الحديث . وقد مضى فى سورة « الأنفال »(٢) فالله الحمد . وقال جابر بن عبد الله : كانت الجوارى إذا نُكِحن يمررن بالمزامير والطبل فآنفضوا اليها ؛ فنزلت . وإنما ردّ الكناية إلى التجارة لأنها أهمّ . وقرأ طلحة بن مُصَرّف « وإذا رأوا التجارة واللّهو انفضّوا إليها » . وقيل : المعنى وإذا رأوا تجارة انفضّوا اليها، أو لهوًا انفضّوا اليه؛ فحذف لدلالته . كما قال :

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راضٍ والرأىُ مُخْتَلِفُ

وقيل : الأجود فى العربية أن يجعل الراجع فى الذكر للآخر من الاسمين .

الثانيــة ــ واختلف العلماء فى العدد الذى تنعقد به الجمعة على أقوال ؛ فقال الحسن : تنعقد الجمعة باثنين . وقال الليث وأبو يوسف : تنعقد بثلاثة . وقال سفيان الثّوْرِىّ وأبو حنيفة : بأربعة . وقال ربيعة : باثنى عشر رجلا . وذكر النجاد أبو بكر أحمد بن سليمان(٤) قال : حدّثنا أبو خالد يزيد بن الهيثم بن طَهْمان الدّقاق ، حدّثنا صبح بن دينار قال حدّثنا

(١) آية ٦٣ سورة النور . (٢) راجع جـ ٨ ص ٣٥ (٣) فى بعض النسخ : « يزمرن » .
(٤) فى بعض المصادر : « سلمان » .

المعافى بن عمران حدثنا مَعقِل بن عبيد الله عن الزهرى بسنده إلى مُصعب بن عُمير أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بعثه إلى المدينة ، وأنه نزل فى دار سعد بن مُعاذ ، بجمّع بهم وهم اثنا عشر رجلا ذبح لهم يومئذ شاة . وقال الشافعى : بأربعين رجلا . وقال أبو إسحاق الشِّيرازى فى (كتاب التنبيه على مذهب الإمام الشافعى) : كلّ قرية فيها أربعون رجلا بالغين عقلاء أحرارا مقيمين، لا يَظْعنون عنها صيفًا ولا شتاء إلا ظَعْن حاجة ، وأن يكونوا حاضرِين من أول الخطبة إلى أن تقام الجمعة وجبت عليهم الجمعة . ومال أحمد و إسحاق إلى هذا القول ولم يشترطا هذه الشروط . وقال مالك : إذا كانت قرية فيها سُوق ومسجد فعليهم الجمعة من غير اعتبار عدد . وكتب عمر بن عبد العزيز : أى قرية اجتمع فيها ثلاثون بيتا فعليهم الجمعة . وقال أبو حنيفة : لا تجب الجمعة على أهل السّواد والقرى ، لا يجوز لهم إقامتها فيها . واشترط فى وجوب الجمعة وانعقادها المصر الجامع والسلطان القاهر والسوق القائمة والنهر الجارى . واحتج بحديث علىّ : لا جمعة ولا تشريق إلا فى مصر جامع [ورفقة تعينهم][1] . وهذا يردّه حديث ابن عباس، قال : إنّ أول جمعة جُمّعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرية من قُرى البحرين يقال لها جُوَاثى . وحجة الإمام الشافعىّ فى الأربعين حديثُ جابر المذكور الذى خرجه الدّارَقُطْنىّ . وفى سنن ابن ماجه والدارقطنى أيضا ودلائل النبوة للبَيْهقىّ عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبى حين ذهب بصره ، فإذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان ، صلى على أبى أُمَامة واستغفر له — قال — فمكث كذلك حينًا لا يسمع الأذان بالجمعة إلا فعل ذلك ، فقلت له : يا أبة ، استغفارك لأبى أمامة كلّما سمعت أذان الجمعة ، ما هو ؟ قال : أىْ بُنَىّ ، هو أول من جَمّع بالمدينة فى هَزْم[2] من حَرّة بنى بَيَاضة يقال له نَقِيع الخَضِمات؛ قال قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال أربعون رجلا . وقال جابر بن عبد الله :

(١) ما بين المربعين كذا ورد فى نسخ الأصل . (٢) الهزم : ما اطمأن من الأرض . وحرة بنى بياضة : قرية على ميل من المدينة . و « بياضة » : بطن من الأنصار .

مضت السُّـنة أن فى كل ثلاثة إمامًا ، وفى كل أربعين فمـا فوق ذلك جمعة وأضْحَى وفِطْرًا ، وذلك أنهم جماعة . خرّجه الدّارقُطْنى . وروى أبو بكر أحمد بن سليمان النّجاد : قرئ على عبد الملك ابن محمد الرّقاشى وأنا أسمع حدّثنى رجاء بن سـلمة قال حدّثنا أبى قال حدّثنا روْح بن غُطَيف الثقفى قال حدّثنى الزُّهرى عن أبى سلمة قال : قلت لأبى هريرة على كم تجب الجمعة من رجل؟ قال : لمـا بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم خمسين رجلا جَمّع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قُرئ على عبد الملك بن محمد وأنا أسمع قال حدّثنا رجاء بن سلمة قال حدّثنا عباد بن عباد المُهَلَّبى عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : "تجب الجمعة على خمسين رجلا ولا تجب على من دون ذلك" . قال ابن المنذر : وكتب عمر بن عبد العزيز : أيّما قرية اجتمع فيها خمسون رجلا فليصلّوا الجمعة . وروى الزهرى عن أم عبد الله الدُّوسيّة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة" . يعنى بالقُرَى : المدائن . لا يصح هذا عن الزهرى . فى رواية "الجمعة واجبة على أهـل كل قرية وإن لم يكونوا إلا ثلاثة رابعهم إمامهم" . [الزهرى][1] لا يصح سماعه من الدّوسية . والحَكَم[2] [هذا][1] متروك .

الثالثـــة ــ وتصحّ الجمعة بغير إذن الإمام وحضوره . وقال أبو حنيفة : من شرطها الإمام أو خليفته . ودليلنا أن الوليد بن عُقْبة وَالِى الكوفة أبطأ يومًا فصلّى ابن مسعود بالناس من غير إذنه . ورُوى أن عليًّا صلّى الجمعة يوم حُصِر عثمان ولم يُنقل أنه استأذنه . وروى أن سعيد بن العاصى والى المدينة لمـا خرج من المدينة صلّى أبو موسى بالناس الجمعة من غير استئذان . وقال مالك : إن لله فرائض فى أرضه لا يضيّعها ، وَلِيَها والٍ أو لم يَلِها .

الرابعـــة ــ قال علماؤنا : من شرط أدائها المسجد المسقّف . قال ابن العـربى : ولا أعلم وجهه .

---

(١) الزيادة عن الدارقطنى . (٢) هو الحكم بن عبد الله ؛ أحد رجال سند هذا الحديث .

قلت : وجهه قوله تعالى : « وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ »[1] ، وقوله : « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ »[2] . وحقيقة البيت أن يكون ذا حيطان وسقف . هذا العُرْف ، والله أعلم .

الخامســة — قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴾ شرطٌ فى قيام الخطيب على المنبر إذا خطب . قال عَلقمة : سئل عبد الله أكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا ؟ فقال : أمَا تقرأ « وتركوك قائمـا » . وفى صحيح مسلم عن كعب بن عُجْرَة أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أمّ الحَكَم يخطب قاعدًا فقال : انظروا إلى هذا الخبيث، يخطب قاعدًا ! وقال الله تعالى : « وإذَا رَأَوْا تِجارَةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إليها وَتَرَكُوكَ قائمًا » . وخرّج عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم كان يخطب قائمـا ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب ؛ فمن نبّأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب ؛ فقد والله صلّيتُ معه أكثر من ألفى صلاة . وعلى هـذا جمهور الفقهاء وأئمة العلماء . وقال أبو حنيفة : ليس القيام بشرط فيها . ويروى أن أوّل من خطب قاعدًا مُعَاوِية . وخطب عثمان قائمًا حتى رَقّ فخطب قاعدا . وقيل : إن معاوية إنما خطب قاعدا لِسِنِّه . وقـد كان النبيّ صلى الله عليه وسـلم يخطب قائمـا ثم يقعد ثم يقوم ولا يتكلم فى قعدته .. رواه جابر بن سَمُرة . ورواه ابن عمر فى كتاب البخاريّ .

السادســة — والخطبة شرط فى انعقاد الجمعـة لا تصح إلا بهـا ؛ وهو قول جمهور العلماء . وقال الحسن : هى مستحبة . وكذا قال ابن المـاجِشُون : إنها سُنّة وليست بفرض . وقال سعيد بن جُبير : هى بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر ؛ فإذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك الركعتين من صلاة الظهر . والدليل على وجوبها قوله تعالى : « وتركوك قائما » . وهذا ذمّ ؛ والواجب هو الذى يُذَمّ تاركه شرعا ، ثم إن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يصلها إلا بخطبة .

السابعــة — ويخطب متوكِّئًا على قَوْس أو عَصًا . وفى سـنن ابن ماجه قال حدّثنا هشام بن عمار حدّثنا عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد قال حدّثنى أبى عن أبيه عن جدّه

---

(١) آية ٢٦ سورة الحج . (٢) آية ٣٦ سورة النور .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب فى الحرب خطب على قوس وإذا خطب فى الجمعة خطب على عصا .

الثامنة ـ ويسلّم إذا صعد المنبر على الناس عند الشافعىّ وغيره . ولم يره مالك ، وقد روى ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا صعد المنبر سلّم .

التاسعة ـ فإن خطب على غير طهارة الخطبة كلّها أو بعضها أساء عند مالك ؛ ولا إعادة عليه إذا صلّى طاهرا . وللشافعىّ قولان فى إيجاب الطهارة ؛ فشرطها فى الجديد ولم يشترطها فى القديم . وهو قول أبى حنيفة .

العاشرة ـ وأقلّ ما يجزى فى الخطبة أن يحمد الله ويصلّى على نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ويوصى بتقوى الله ويقرأ آية من القرآن . ويجب فى الثانية أربع كالأولى ؛ إلا أن الواجب بدلًا من قراءة الآية فى الأولى الدعاء ؛ قاله أكثر الفقهاء . وقال أبو حنيفة : لو اقتصر على التحميد أو التسبيح أو التكبير أجزأه . وعن عثمان رضى الله عنه أنه صعد المنبر فقال : الحمد لله ؛ وأرْتِجَ عليه فقال : إن أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وإنكم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال ، وستأتيكم الخطب ؛ ثم نزل فصلّى . وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد . وقال أبو يوسف ومحمد : الواجب ما تناوله اسم خطبة . وهو قول الشافعى . قال أبو عمر بن عبد البر : وهو أصح ما قيل فى ذلك .

الحادية عشرة ـ فى صحيح مسلم عن يَعْلَى بن أُمَيّة أنه سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر « وَنَادَوْا يا مَالِكُ »(١) . وفيه عن عَمْرة بنت عبد الرحمن عن أختٍ لعَمْرَة قالت : ما أخذت « قٓ والقرآنِ المجيدِ » إلا من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقرأ بها على المنبر فى كل جمعة . وقد مضى فى أوّل(٢) « ق » . وفى مراسيل أبى داود عن الزهرىّ قال : كان صدر خطبة النبىّ صلّى الله عليه وسلم " الحمد لله . نحمَده ونستعينه ونستغفره ،

(١) آية ٧٧ سورة الزخرف . (٢) راجع أوّل جـ ١٧ .

ونعوذ به من شرور أنفسنا . من يهد الله فلا مُضلّ له ، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له .
ونشهد أن لا إلَهَ إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا بين يَدَي الساعة . مَنْ يُطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فقد غَوَى . نسأل الله ربّنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ، ويتّبع رضوانه ويجتنب سَخطه ، فإنما نحن به وله " . وعنه قال : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا خطب : " كلُّ ما هو آتٍ قريبٌ ، [و](1) لا بُعْدَ لما هو آت . لا يعجّل الله لعجلة أحدٍ(2) ، ولا يَخِفّ لأمر الناس . ما شاء الله لا ما شاء الناس . يريد الله أمرًا ويريد الناسُ أمرًا ، ما شاء الله كان ولو كَرِه الناس . ولا مُبْعِدَ لما قرّب الله، ولا مقرِّب لما بعّد الله . لا يكون شيء إلا بإذن الله جل وعز" . وقال جابر : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب فيقول بعد أن يَحْمَد الله ويصلّي على أنبيائه : " أيها الناس إنّ لكم معالم فانتهُوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم . إن العبد المؤمن بين مخافتين بين أجلٍ قد مَضَى لا يدرى ما الله قاضٍ فيه ، وبين أجل قد بَقِيَ لا يدرى ما الله صانع فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشَّبيبة قبل الكِبَر ، ومن الحياة قبل الممات . والذى نفسى بيده ما بعدَ الموت من مُسْتَعْتَبٍ ، وما بعد الدنيا من دارٍ إلا الجنّة أو النار . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم " . وقد تقدّم ما خطب به عليه الصلاة والسلام أول جمعة عند قدومه المدينة .

الثانية عشرة — السكوت للخطبة واجب على من سمعها وجوبَ سُنّة . والسُّنّة أن يسكت لها مَن يسمع ومَن لم يسمع، وهما إن شاء الله فى الأجر سواء . ومن تكلّم حينئذ لغا ؛ ولا تفسد صلاته بذلك . وفى الصحيح عن أبى هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قلتَ لصاحبك أنْصِتْ يوم الجمعة والإمامُ يخطب فقد لَغَوْت " . الزمخشرى : وإذا قال المُنْصِت لصاحبه صَهْ ، فقد لَغَا ، أفلا يكون الخطيب الغالى فى ذلك لاغيا؟ نعوذ بالله من غُرْبة الإسلام ونكد الأيام .

(1) زيادة عن مراسيل أبى داود . (2) فى الأصول : «لعجلة آت» والتصويب عن مراسيل أبى داود .

الثالثة عشرة ــ ويستقبل الناسُ الإمام إذا صَعِد المنبر؛ لما رواه أبو داود مُرْسَلًا عن أبان بن عبد الله قال : كنت مع عَدِىّ بن ثابت يوم الجمعة؛ فلما خرج الإمام ــ أو قال صعد المنبر ــ استقبله وقال : هكذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون برسول الله صلى الله عليه وسلم . خرّجه ابن ماجه عن عدىّ بن ثابت عن أبيه؛ فزاد فى الإسناد : عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام على المنبر استقبله أصحابه بوجوههم . قال ابن ماجه : أرجو أن يكون متّصلا .

قلت : وخرّج أبو نعيم الحافظ قال حدّثنا محمد بن معمر قال حدّثنا عبد الله بن محمد ابن ناجية قال حدّثنا عبّاد بن يعقوب قال حدّثنا محمد بن الفضل الخُرَاسانىّ عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كان النبىّ صلى الله عليه وسلم اذا آستوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا . تفرّد به محمد بن الفضل بن عطية عن منصور .

الرابعة عشرة : ولا يركع مَن دخل المسجد والإمامُ يخطب؛ عند مالك رحمه الله . وهو قول ابن شهاب رحمه الله وغيره . وفى المُوَطّأ عنه : نخروج الإمام يقطع الصلاة، وكلامه يقطع الكلام. وهذا مرسل . وفى صحيح مسلم من حديث جابر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم " إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوّز فيهما [1] ". وهذا نصٌّ فى الركوع. وبه يقول الشافعىّ وغيره .

الخامسة عشرة : ... ... [2] ابن عَوْن عن ابن سيرين قال: كانوا يكرهون النّوم والإمام يخطب ويقولون فيه قولا شديدا . قال ابن عَوْن : ثم لَقِيَنى بعد ذلك فقال : تدرى ما يقولون ؟ قال : يقولون مَثَلُهم كَمَثَل سَرِيّة أخفقوا ؛ ثم قال : هل تدرى ما أخفقوا ؟ لم تَغْنَم شيئا . وعن سَمُرة بن جُنْدب أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: " إذا نَعَس أحدكم فليتحوّل إلى مقعد صاحبه وليتحوّل صاحبه إلى مقعده " .

---

(١) أى وليخفف أداءهما . (٢) بياض فى بعض نسخ الأصل .

السادسة عشرة — نذكر فيها من فضل الجمعة وفرضيّتها ما لم نذكره . روى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : "فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلّي يسأل الله عز وجل شيئا إلا أعطاه إياه" وأشار بيده يُقلّلها (١) . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة" . وروى من حديث أنس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أبطأ علينا ذات يوم ؛ فلما خرج قلنا : احتبستَ ! قال : "ذلك أن جبريل أتاني بكهيئة المرآة البيضاء فيها نُكْتة سَوْداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة فيها خير لك ولأمتك وقد أرادها اليهود والنصارى فأخطئوها وهداكم الله لها قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه أو ادّخر له مثله يوم القيامة أو صرف عنه من السوء مثله وإنه خير الأيام عند الله وإن أهل الجنة يسمّونه يوم المزيد" . وذكر ابن المبارك ويحيى ابن سلام قالا : حدّثنا المسعودى عن المِنهال بن عمرو عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : تسارعوا إلى الجمعة فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كَثِيب (٢) من كافور أبيض ، فيكونون منه في القُرْب — قال ابن المبارك — على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا . وقال يحيى بن سلام : كمسارعتهم إلى الجمعة في الدنيا . وزاد : فيُحْدِث لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا رأوه قبل ذلك . قال يحيى : وسمعت غير المسعودى يزيد فيه : وهو قوله تعالى « وَلَدَيْنَا مَزِيد » (٣) .

قلت : قوله « في كَثِيب » يريد أهل الجنة . أى وهم على كَثِيب ؛ كما روى الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أهل الجنة ينظرون إلى ربّهم في كل جمعة على كَثِيب من كافور لا يُرَى طرفاه وفيه نهرٌ جارٍ حافتاه المسك عليه جِوارٍ يقرأن القرآن بأحسن

---

(١) أى يشير إلى قلة تلك الساعة وعدم امتدادها . (٢) الكثيب : الرمل المستطيل .

(٣) آية ٣٥ سورة ق .

أصوات سمعها الأوّلون والآخرون فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل بيد ما شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله يهديهم إلى منازلهم ما اهتدَوْا إليها لما يحدث الله لهم فى كل جمعة " ذكره يحيى بن سلام . وعن أنس قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " ليلة أُسْرِىَ بى رأيت تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم[(١)] هذه سبعين مَرّة مملوءة من الملائكة يسبّحون الله ويقدّسونه ويقولون فى تسبيحهم اللّهمّ ٱغفر لمن شهد الجمعة اللّهمّ ٱغفر لمن اغتسل يوم الجمعة" ذكره الثّعْلَبىّ . وخرّج القاضى الشريف أبو الحسن علىّ بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمى العِيسَوى من ولد عيسى بن علىّ بن عبد الله بن عباس رضى الله عنه بإسناد صحيح عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة أهلها يحفّون بها كالعروس تُهْدَى إلى كريمها تضىء لهم يمشون فى ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضا، وريحهم يسطع كالمسك، يخوضون فى جبال الكافور، ينظر إليهم الثّقلان ما يطرقون تعجّبًا يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذّنون المحتسِبُون " . وفى سُنن ابن ماجه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الجمعة إلى الجمعة كفّارة ما بينهما ما لم تُغْشَ الكبائر" خرّجه مسلم بمعناه . وعن أَوْس بن أَوْس الثَّقَفِىّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكّر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فٱستمع ولم يَلْغ كان له بكل خطوة عمل سَنَة أجر صيامها وقيامها". وعن جابر بن عبد الله قال : خَطَبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا . وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا . وصِلُوا الذى بينكم وبين ربّكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصّدقة فى السر والعلانية تُرزقوا وتُنصروا وتؤجروا . واعلموا أن الله قد فرض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة فمن تركها فى حياتى أو بعد مماتى وله إمام عادل أو جائر استخفافاً بها أو جحودًا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له

---

(١) فى بعض النسخ : « مثل دنياكم » .

فى أمره . ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له . ألا ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه . ألا لا تؤمن امرأة رجلا ولا يؤم أعرابى مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه " . وقال ميمون بن أبى شبيبة : أردت الجمعة مع الحجاج فتهيأت للذهاب ، ثم قلت : أين أذهب أصلى خلف هـذا الفاجر؟ فقلت مرة : أذهب ، ومرة لا أذهب ، ثم أجمع رأيى على الذهاب ، فنادانى مناد من جانب البيت « يأيها الذين آمنوا إذا نودِىَ للصلاةِ مِن يومِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكرِ اللهِ وذَرُوا البَيْعَ » .

السابعة عشرة — قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ التِّجارَةِ ﴾ فيه وجهان : أحدهما — ما عند الله من ثواب صلاتكم خيرٌ من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم . الثانى — ما عند الله من رزقكم الذى قسمه لكم خير مما أصبتموه من لهوكم وتجارتكم . وقرأ أبو رجاء العُطاردىّ : « قل ما عند اللهِ خير مِن اللَّهْوِ ومِن التجارةِ للذين آمنوا » . ﴿ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ أى خير من رزق وأعطى ؛ فمنه فاطلبوا ، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيرى الدنيا والآخرة .

ســـورة المنافقون

مدنيّةٌ فى قول الجميع ، وهى إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)

قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ روى البُخارىّ عن زيد بن أرقم قال : كنت مع عمّى فسمعت عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول يقول : « لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا » . وقال : « لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ

مِنْهَا الْأَذَلَّ » فذكرت ذلك لعمّي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا ؛ فصدّقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذّبني . فأصابني همّ لم يصبني مثله ، فجلست في بيتي فأنزل الله عز وجل : « إذا جاءك المنافقون ــ إلى قوله ــ هم الذين يقولون لا تُنْفِقُوا على مَن عِند رسولِ الله ــ إلى قوله ــ لَيُخْرِجَنّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ » فأرسل إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "إن الله قد صدقك" خرّجه الترمذيّ وقال: هذا حديث حسن صحيح .

وفي الترمذيّ عن زيد بن أرقم قال : غَزَوْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبدر الماء ، وكان الأعراب يسبقونا [إليه] فيسبق الأعرابيّ أصحابه فيملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النِّطَع (١) عليه حتى تجيء أصحابه . قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابيًّا فأرْخَى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يَدَعَه ، فانتزع حجرا فغاض (٢) الماء ؛ فرفع الأعرابيّ خشبة فضرب بها رأس الأنصاريّ فشجّه ، فأتى عبدَ الله بن أُبَيّ رأس المنافقين فأخبره ــ وكان من أصحابه ــ ، فغضب عبد الله بن أُبَيّ ثم قال : لاتُنْفِقُوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا من حوله ــ يعني الأعراب ــ وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام ؛ فقال عبد الله : إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده . ثم قال لأصحابه : لئن رجعتم إلى المدينة لَيُخْرِجنّ الأعزُّ منها الأذلّ . قال زيد : وأنا رِدْف عمي (٣) فسمعت عبد الله بن أُبَيّ فأخبرت عمي ، فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد . قال : فصدّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذّبني . قال : فجاء عمي إليّ فقال : ما أردتُ إلى أن مَقَتَك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وكذّبك والمنافقون (٤) . قال : فوقع عليّ من جرأتهم ما لم يقع (٥) على أحد . قال : فبينا أنا أسير مع رسول

---

(١) بساط من جلد . (٢) في الترمذي : « فانتزع قباض الماء » .

(٣) في الترمذي : « وأنا ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٤) في الترمذي : « والمسلمون » . (٥) في الترمذي : « فوقع علي من الهم ما لم ... ... » .

الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ قد خفقْتُ برأسي من الهَمّ إذ أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرَكَ أذني وضحك في وجهي ، فما كان يَسُرّني أن لي بها الخُلْد في الدنيا . ثم إن أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : ما قال شيئا إلا أنه عَرَكَ أذني وضحك في وجهي ، فقال أبشر ! ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر . فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وسئل حُذيفة بن اليَمَان عن المنافق فقال : الذي يصف الإسلام ولا يعمل به . وهو اليوم شرّ منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه . وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "آية المنافق ثلاث إذا حَدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ٱئْتُمن خان". وعن عبد الله بن عمرو أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "أربع من كُنّ فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ٱئْتُمن خان وإذا حدّث كذب وإذا عاهد غَدَر وإذا خاصم فَجَر". أخبر عليه السلام أن من جمع هذه الخصال كان منافقا ، وخبره صدق . وروى عن الحسن أنه ذكر له هذا الحديث فقال : إن بني يعقوب حدّثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا وأُتُمنوا فخانوا . إنما هذا القول من النبيّ صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنذار للمسلمين ، والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال ، شَفَقًا أن تُفْضِيَ بهم الى النفاق . وليس المعنى أن من بدرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد أنه منافق . وقد مضى في سورة « براءة » القول في هذا مستوفًى(1) والحمد لله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المؤمن إذا حدّث صدق وإذا وعد أنجز وإذا ٱئْتُمن وَفَى". والمعنى : المؤمن الكامل إذا حدّث صدق . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ قيل : معنى «نشهد» نحلف . فعبّر عن الحلف بالشهادة ، لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مُغَيّب(2) ، ومنه قول قيس بن ذَرِيح :

وأشهد عند الله أني أحبّها * فهذا لها عندي فما عندها ليا

---

(1) راجع جـ ٨ ص ٢١٢ (2) في بعض نسخ الأصل : « لأمر معين » .

ويحتمل أن يكون ذلك محمولا على ظاهره أنهم يشهدون أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، اعترافًا بالإيمان ونفيًا للنفاق عن أنفسهم؛ وهو الأشبه . ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ كما قالوه بألسنتهم . ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أى فيما أظهروا من شهادتهم وحلفهم بألسنتهم . وقال الفراء : « والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » بضمائرهم؛ فالتكذيب راجع إلى الضمائر . وهذا يدل على أن الإيمان تصديق القلب، وعلى أن الكلام الحقيق كلام القلب . ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب . وقد مضى هذا المعنى فى أول « البقرة » مستوفًى[1] . وقيل : أكذبهم الله فى أيمانهم وهو قوله تعالى : « وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ[2] » .

قوله تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٢)﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أى سُترة . وليس يرجع إلى قوله « نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ » وإنما يرجع إلى سبب الآية التى نزلت عليه، حسب ما ذكره البخارى والترمذى عن ابن أُبَىّ أنه حلف ماقال وقد قال . وقال الضحاك : يعنى حلفهم بالله إنهم لمنكم ، وقيل : يعنى بأيمانهم ما أخبر الرب عنهم فى سورة « براءة » إذ قال : « يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا[3] »

الثانيــة — من قال : أُقسِم بالله أو أَشْهد بالله أو أَعْزِم بالله أو أحلف بالله، أو أقسمت بالله أو أشهدت بالله أو أعزمت بالله أو أحلفت بالله؛ فقال فى ذلك كله « بالله » فلا خلاف أنها يمين . وكذلك عند مالك وأصحابه إن قال : أُقسِم أو أَشْهد أو اعْزِم أو أحلف، ولم يقل « بالله » ، إذا أراد « بالله » . وإن لم يرد « بالله » فليس بيمين . وحكاه الكِيَا عن الشافعىّ . قال الشافعىّ : إذا قال أشهد بالله ونوى اليمين كان يمينا . وقال أبو حنيفة وأصحابه : لو قال

---

(١) راجع جـ ١ ص ١٩٢ طبعة ثانية أو ثالثة وما بعدها . (٢) آية ٥٦ سورة التوبة .
(٣) آية ٧٤ سورة التوبة .

أشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ، ولو قال أشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الآية؛ لأن الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال « ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً » . وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وإن نوى اليمين؛ لأن قوله تعالى : « ٱتخذوا أيمانهم جُنّة » ليس يرجع إلى قوله : « قالوا نشهد » وإنما يرجع إلى ما في « براءة » من قوله تعالى : « يحلفون بِاللهِ ماقالوا » .

الثالثة — قوله تعالى : ﴿ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي أعرضوا؛ وهو من الصدود . أو صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل والسّبي وأخذ الأموال ؛ فهو من الصّد، أو منعوا الناس عن الجهاد بأن يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم . وقيل : فصدّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام ؛ بأن يقولوا هانحن كافرون بهم ، ولو كان محمد حقًّا لعرف هذا منا ، ولجعلنا نكالا . فبيّن الله أن حالهم لا يخفى عليه ، ولكن حكمه أن من أظهر الإيمان أجرى عليه في الظاهر حكم الإيمان . ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي بئست أعمالهم الخبيثة — من نفاقهم وأيمانهم الكاذبة وصدّهم عن سبيل الله — أعمالا .

قوله تعالى : ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر . أي أقرّوا باللسان ثم كفروا بالقلب . وقيل : نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا . ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي خُتم عليها بالكفر . ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الإيمان ولا الخير . وقرأ زيد بن عليّ « فطَبَع الله على قلوبهم » .

قوله تعالى : وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ أي هيئاتهم ومناظرهم . ﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ يعني عبد الله بن أُبَيّ . قال ابن عباس : كان عبد الله بن أُبَيّ وسيما

جسيًا صحيحا صَبِيحًا ذَلِق اللسان ؛ فإذا قال سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم مقالته . وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة . وقال الكلبي : المراد ابن أُبَيّ وجَدّ بن قيس ومُعَتِّب ابن قُشير ، كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة . وفي صحيح مسلم : وقوله « كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ » قال : كانوا رجالا أجمل شيء كأنهم خشب مسندةٌ ؛ شبّههم بخُشُب مسندة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون ، أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام . وقيل : شبههم بالخُشُب التي قد تآكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها . وقرأ قُنْبُل وأبو عمرو والكسائي « خُشْبٌ » بإسكان الشين . وهي قراءة البَرَاء بن عازب واختيار أبي عبيد ؛ لأن واحدتها خَشَبة . كما تقول : بَدَنة وبُدْن ، وليس في اللغة فَعَلة يجمع على فُعُل ؛ ويلزم من ثقلها أن تقول : البُدُن ، فتقرأ « والبُدُن » . وذكر اليزيدي أنه جماع الخشباء ؛ كقوله عز وجل « وَحَدَائِقَ غُلْبًا » واحدتها حديقة غلباء . وقرأ الباقون بالتثقيل وهي رواية البزّي عن ابن كثير وعيّاش عن أبي عمرو ، وأكثر الروايات عن عاصم . واختاره أبو حاتم ؛ كأنه جمع خِشاب وخُشُب ؛ نحو ثَمَرة وثِمار وثُمُر . وإن شئت جمعت خشبة على خشب كما قالوا : بدنة وبدن وبدن . وقد رُوي عن ابن المسيّب فتح الخاء والشين في « خُشُب » . قال سيبويه : خَشَبة وخُشْب ، مثل بَدَنة وبدن . قال : ومثله بغير هاء أَسَد وأُسْد ووَثَن ووُثْن . وتقرأ خُشُب وهو جمع الجمع ؛ خشبة وخِشاب وخُشُب ؛ مثل ثمرة وثمار وثُمُر . والإسناد الإمالة ؛ تقول : أسندت الشيء أي أملته . و « مُسَنَّدة » للتكثير ؛ أي استندوا إلى الأيمان بحقن دمائهم .

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ ﴾ أي كل أهل صيحة عليهم هم العدو . فـ « هم العَدُوّ » في موضع المفعول الثاني ؛ على أن الكلام لا ضمير فيه . يصفهم بالجُبْن والخَوَر . قال مقاتل والسدي : أي إذا نادى منادٍ في العسكر أن انفلتت دابة أو أُنْشِدت ضالّة ظنوا أنهم المرادون ؛ لما في قلوبهم من الرعب . كما قال الشاعر وهو الأخطل :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلًا تكرّ عليهمُ ورجالا

وقيل : « يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ » كلام ضميره فيه لا يفتقر إلى ما بعد؛ وتقديره : يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فُطن بهم وعُلم بنفاقهم ؛ لأن للرِّيبة خوفاً . ثم استأنف الله خطاب نبيّه صلى الله عليه وسلم فقال : «هم العدُوّ» وهذا معنى قول الضحاك. وقيل : يحسبون كل صيحة يسمعونها فى المسجد أنها عليهم ، وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد أمر فيها بقتلهم ؛ فهم أبداً وَجِلون من أن يُنزل الله فيهم أمراً يبيح به دماءهم ، ويهتك به أستارهم . وفى هذا المعنى قول الشاعر :

فلو أنها عصفورةٌ لحسبْتَها * مُسَوَّمَةً تدعُو عُبيْدًا وأزْنَما

بطن من بنى يَرْبُوع . ثم وصفهم الله بقوله : « هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ » حكاه عبد الرحمن ابن أبى حاتم . وفى قوله تعالى « فاحذرهم » وجهان : أحدهما — فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم . الثانى — فاحذر مُمَايلتهم لأعدائك وتخذيلهم لأصحابك . ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي لعنهم الله ؛ قاله ابن عباس وأبو مالك . وهى كلمة ذَمّ وتوبيخ . وقد تقول العرب : قاتله الله ما أشعره ! فيضعونه موضع التعجب . وقيل : معنى « قاتلهم الله » أى أحلهم محلّ من قاتله عدوٌّ قاهر ؛ لأن الله تعالى قاهر لكل معاند. حكاه ابن عيسى . ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أى يكذبون ؛ قاله ابن عباس . قتادة : معناه يعدلون عن الحق . الحسن : معناه يصرفون عن الرشد . وقيل : معناه كيف تضلّ عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل ؛ وهو من الإفك وهو الصرف . و « أنى » بمعنى كيف؛ وقد تقدم (1) .

قوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ لمّا نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا : افتضحتم بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله من النفاق، واطلبوا أن يستغفر لكم . لَوَّوْا رءوسهم ؛ أى حرّكوها استهزاء وإباءً ؛ قاله ابن عباس . وعنه أنه كان

---

(1) راجع جـ ٣ ص ٩٢ وجـ ٤ ص ٧٩

لعبد الله بن أُبَىّ موقف فى كل سبب يحض على طاعة الله وطاعة رسوله؛ فقيل له : وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان، فأته يستغفر لك؛ فأبى وقال : لا أذهب إليه . وسبب نزول هذه الآيات أن النبىّ صلى الله عليه وسلم غزا بنى المُصْطَلِق على ماء يقال له «المُرَيْسِيع» من ناحية «قُدَيد» إلى الساحل، فآزدحم أجير لعمر يقال له «جَهْجَاه» مع حَليف لعبد الله بن أُبَىّ يقال له «سِنان» على ماء «بالمُشَلَّل»، فصرخ جهجاه بالمهاجرين، وصرخ سِنان بالأنصار؛ فلَطَم جهجاه سناناً فقال عبد الله بن أبى : أوَ قد فعلوها ! والله ما مَثَلُنا ومَثَلُهم إلا كما قال الأول : سَمِّن كَلْبَك يأكُلْك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنّ الأعزّ — يعنى أُبَيًّا — الأذلَ؛ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم . ثم قال لقومه : كُفُّوا طعامكم عن هذا الرجل، ولا تُنفقوا على مَن عنده حتى ينفضُّوا ويتركوه . فقال زيد بن أرْقَم — وهو من رهط عبد الله — أنت والله الذليل المُنْتَقَص فى قومك؛ ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عِزّ من الرحمن ومودّة من المسلمين ، والله لا أحبك بعد كلامك هـذا أبدا . فقال عبد الله : اسكت إنما كنت ألعب . فأخبر زيد النبىّ صلى الله عليه وسلم بقوله؛ فأقسم بالله ما فعل ولا قال؛ فعذره النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال زيد : فوجدت فى نفسى ولامنى الناس؛ فنزلت سورة المنافقين فى تصديق زيد وتكذيب عبد الله . فقيل لعبد الله : قـد نزلت فيك آيات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك؛ فألْوَى برأسه، فنزلت الآيات . خرّجه البخارى ومسلم والترمذى بمعناه . وقـد تقدم أول السورة . وقيـل : «يستغفر لكم» يستتبكم من النفاق؛ لأن التوبة آستغفار . ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ أى يعرضون عن الرسول متكبرين عن الإيمان . وقـرأ نافع «لَوَوْا» بالتخفيف . وشدد الباقون ؛ واختاره أبو عبيد وقال : هو فعل الجماعة . النحاس : وغلط فى هذا؛ لأنه نزل فى عبد الله بن أُبَىّ لمـا قيل له : تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حَرّك رأسه استهزاء . فإن قيل : كيف أخبر عنه بفعل الجماعة ؟ قيل له : العرب تفعل هذا إذا كَنت عن الإنسان . أنشد سِيبَوَيْه لحسّان :

ظننتم بأن يَخفى الذى قـد صنعتمُ * وفينا رسـولٌ عنـده الوَحْى واضِـعُهْ

وإنمـا خاطب حَسّان آبنَ الأُبَيْرِق فى شىء سَرَقه بمكة . وقصته مشهورة .

وقد يجوز أن يخبر عنه وعمن فعل فعله . وقيل : قال ٱبن أُبَيّ لما لَوَى رأسه : أمرتموني أن أومن فقد آمنت ، وأن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت ؛ فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ! .

قوله تعالى : سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يعني كل ذلك سواء ، لا ينفع استغفارك شيئا ؛ لأن الله لا يغفر لهم . نظيره « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »(١) ، « سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ »(٢) . وقد تقدم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي من سبق في علم الله أنه يموت فاسقا .

قوله تعالى : هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾

ذكرنا سبب النزول فيما تقدم . وٱبن أُبَيّ قال : لا تُنفقوا على مَن عند محمد حتى ينفضُّوا ؛ حتى يتفرقوا عنه . فأعلمهم الله سبحانه أن خزائن السموات والأرض له ، ينفق كيف يشاء . قال رجل لحاتم الأصم : من أين تأكل؟ فقال : « وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » . وقال الجُنَيْد : خزائن السموات الغيوبُ ، وخزائن الأرض القلوب ؛ فهو علّام الغيوب ومُقلّب القلوب . وكان الشِّبْلِيّ يقول : « وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » فأين تذهبون . ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أنه إذا أراد أمرًا يسّره .

---

(١) راجع جـ ١ ص ١٨٤ . (٢) راجع جـ ١٣ ص ١٢٥ .

قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

القائل ابن أُبَىّ كما تقدم . وقيل : إنه لما قال « لَيُخْرِجَنّ الأعزُّ منها الأذلَّ » ورجع إلى المدينة لم يلبث إلا أياما يسيرة حتى مات ؛ فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسه قميصه ؛ فنزلت هذه الآية « لن يغفر الله لهم » . وقد مضى بيان هذا كله في سورة « براءة » مستوفًى[1] . وروى أن عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول قال لأبيه : والذى لا إله إلا هو لا تدخل المدينة حتى تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعزّ وأنا الأذل ؛ فقاله . تَوَهَّمُوا أن العِزّة بكثرة الأموال والأتباع ؛ فبيّن الله أن العِزّة والمَنَعة والقُوّة لله .

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

حَذّر المؤمنين أخلاق المنافقين ؛ أى لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون إذ قالوا ــ للشُّح بأموالهم ــ : لا تُنفقوا على مَن عند رسول الله . ﴿ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ﴾ أى عن الحج والزكاة . وقيل : عن قراءة القرآن . وقيل : عن إدامة الذكر . وقيل : عن الصلوات الخمس ؛ قاله الضحاك . وقال الحسن : جميع الفرائض ؛ كأنه قال عن طاعة الله . وقيل : هو خطاب للمنافقين ؛ أى آمنتم بالقول فآمنوا بالقلب . ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أى من يشتغل بالمال والولد عن طاعة ربه ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾

---

(١) راجع جـ ٨ ص ٢١٨ .

فيه أربع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ يدل على وجوب تعجيل أداء الزكاة، ولا يجوز تأخيرها أصلا. وكذلك سائر العبادات إذا تعيّن وقتها .

الثانية — قوله تعالى : ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ سأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحا . وروى الترمذي عن الضحاك بن مُزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حجّ بيت ربّه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يابن عباس، اتق الله، إنما سأل الرجعةَ الكفارُ . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآنا «يأيها الذين آمنوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ — إلى قوله — وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة .

« قلت » : ذكره الحليميّ أبو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب (منهاج الدّين) مرفوعا فقال : وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان عنده مال يبلّغه الحج ... " الحديث ؛ فذكره . وقد تقدم في « آل عمران » لفظه .(١)

الثالثة — قال ابن العَرَبي : « أخذ ابن عباس بعموم الآية في إنفاق الواجب خاصّةً دون النفل ؛ فأما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عمومًا وتقديرًا بالمائتين . وأما القول في الحج ففيه إشكال ؛ لأنا إن قلنا : إن الحج على التراخي ففي المعصية في الموت قبل الحج خلاف بين العلماء ؛ فلا تُخرّج الآية عليه . وإن قلنا : إن الحج على الفور فالآية في العموم صحيح ؛ لأن من وجب عليه الحج فلم يؤدّه لقي من الله ما يودّ أنه رجع ليأتي بما ترك من العبادات . وأما تقدير الأمر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء . وليس لكلام ابن عباس

(١) راجع جـ ٤ ص ١٥٣ .

فيه مدخل ؛ لأجل أن الرجمة والوعيد لا يدخل فى المسائل المجتهد فيها ولا المختلف عليها ، وإنما يدخل فى المتفق عليه . والصحيح تناوله للواجب من الإنفاق كيف تصرف بالإجماع أو بنص القرآن ؛ لأجل أن ماعدا ذلك لا يتطرق إليه تحقيق الوعيد » .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا ﴾ أى هلّا؛ فيكون استفهاماً. وقيل : « لا » صلة؛ فيكون الكلام بمعنى التمنى. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ نصب على جواب التمنى بالفاء . ﴿ وَأَكُونَ ﴾ عطف على « فأصدق » وهى قراءة أبى عمرو وابن مُحَيْصِن ومجاهد. وقرأ الباقون « وأكن » بالجزم عطفًا على موضع الفاء؛ لأن قوله : « فأصدق » لو لم تكن الفاء لكان مجزوما ؛ أى أصدق . ومثله « مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ وَيَذَرْهُمْ[1] » فيمن جزم . قال ابن عباس : هذه الآية أشد على أهل التوحيد؛ لأنه لا يتمنى الرجوع فى الدنيا أو التأخير فيها أحد له عند الله خير فى الآخرة.

قلت : إلا الشهيد فإنه يتمنى الرجوع حتى يقتل ، لما يرى من الكرامة . ﴿ وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ من خير وشر . وقراءة العامة بالتاء على الخطاب . وقرأ أبو بكر عن عاصم والسُّلَمِىّ بالياء؛ على الخبر عمن مات وقال هذه المقالة .

ســورة التّغَابُن

مَدَنِيَّةٌ فى قول الأكثرين . وقال الضحاك : مَكِّيَّة . وقال الكلبى : هى مكية ومدنية . وهى ثمانى عشرة آية . وعن ابن عباس أن ســورة التغابن نزلت بمكة ؛ إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة فى عَوْف بن مالك الأشْجَعِىّ ، شكا إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم جفاء أهـله وولده ، فأنزل الله عز وجل « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » إلى آخر السورة . وعن عبد الله بن عمر قال قال النبى صلى الله عليـه وسلم : " ما من مولود يولد إلا وفى تشابيك رأسه مكتوب خمس آيات من فاتحة سورة التغابن "

(١) آية ١٨٦ سورة الأعراف .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

تقدّم فى غير موضع .

قوله تعالى : هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾

قال ابن عباس : إن الله خلق بنى آدم مؤمنًا وكافرا ، ويعيدهم فى يوم القيامة مؤمنًا وكافرا . وروى أبو سعيد الخدرىّ قال : خَطَبنا النبىّ صلى الله عليه وسلم عَشِيّة فذكر شيئا مما يكون فقال : "يولد الناس على طبقات شتى . يولد الرجل مؤمنًا ويعيش مؤمنًا ويموت مؤمنًا . ويولد الرجل كافرًا ويعيش كافرًا ويموت كافرًا . ويولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويموت كافرًا . ويولد الرجل كافرًا ويعيش كافرًا ويموت مؤمناً" . وقال ابن مسعود قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "خلق الله فرعون فى بطن أُمّه كافرًا وخلق يحيىٰ بن زكريا فى بطن أمّه مؤمناً" . وفى الصحيح من حديث ابن مسعود : "وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" . خرجه البخارى والترمذى وليس فيه ذكر الباع . وفى صحيح مُسْلم عن سَهْل ابن سعد السّاعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يَبْدُو للناس وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة" . قال علماؤنا : والمعنى تعلّق العلم الأزلى بكل معلوم ؛ فيجرى ما علم وأراد وحكم . فقد يريد إيمان شخص على عموم الأحوال ، وقد يريده إلى وقت معلوم . وكذلك

الكفر . وقيل فى الكلام محذوف : فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومنكم فاسق ؛ فحذف لما فى الكلام من الدلالة عليه ؛ قاله الحسن . وقال غيره : لا حذف فيه ؛ لأن المقصود ذكر الطرفين . وقال جماعة من أهل العلم : إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا . قالوا : وتمام الكلام «هو الذى خلقكم» . ثم وصفهم فقال : «فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» كقوله تعالى : «وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ»(١) الآية . قالوا : فالله خلقهم ، والمشى فعلهم . واختاره الحسين بن الفضل ، قال : لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم فى قوله «فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمن» . واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : "كل مولود يولد على الفِطْرة فأبواه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمَجِّسانه" الحديث . وقد مضى فى «الرُّوم» مستوفًى(٢) . قال الضحاك : فمنكم كافر فى السِّر مؤمن فى العلانية كالمنافق ، ومنكم مؤمن فى السِّر كافر فى العلانية كعَمّار وذويه . وقال عَطاء بن أبى رَبَاح : فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب ؛ يعنى فى شأن الأنواء . وقال الزجاج — وهو أحسن الأقوال ، والذى عليه الأئمة والجمهور من الأمة — : إن الله خلق الكافر ، وكُفْرُه فِعْلٌ له وكسب ؛ مع أن الله خالق الكفر . وخلق المؤمن ، وإيمانُه فعلٌ له وكسب ؛ مع أن الله خالق الإيمان . والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه ؛ لأن الله تعالى قدّر ذلك عليه وعلمه منه . ولا يجوز أن يوجد من كل واحد منهما غير الذى قدّر عليه وعلمه منه ؛ لأن وجود خلاف المقدور عَجْزٌ ، ووجود خلاف المعلوم جَهْلٌ ، ولا يليقان بالله تعالى . وفى هذا سلامة من الجبر والقدر ؛ كما قال الشاعر :

يا ناظرًا فى الدِّين ما الأمْرُ * لا قَدَرٌ صحّ ولا جَبْرُ

وقال سِيلان : قَدِم أعرابىٌّ البصرة فقيل له : ما تقول فى القدر ؟ فقال : أمرٌ تنالت فيه الظنون ، واختلف فيه المختلفون ؛ فالواجب أن نَرُدّ ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .

---

(١) آية ٤٥ سورة النور .

(٢) راجع جـ ١٤ ص ٢٤

قوله تعالى : خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ تقدّم(1) في غير موضع ؛ أي خلقها حقًّا يقينًا لا رَيْبَ فيه . وقيل : الباء بمعنى اللام ؛ أي خلقها للحق ؛ وهو أن يَجْزِىَ الذين أساءوا بما عَمِلوا ويجزى الذين أحسنوا بالحُسْنَى . ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ يعنى آدم عليه السلام ، خلقه بيده كرامة له ؛ قاله مقاتل . الثانى — جميع الخلائق . وقد مضى معنى التصوير ، وأنه التخطيط والتشكيل(2) . فإن قيل : كيف أحسن صورهم ؟ قيل له : جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه صورةً ؛ بدليل أن الإنسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف مايرى من سائر الصُّوَر . ومن حسن صورته أنه خلق منتصبًا غير منكب ؛ كما قال عز وجل : «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»(3) على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى . ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أى المرجع ؛ فيجازى كُلًّا بعمله .

قوله تعالى : يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾

تقدّم فى غير موضع . فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شىء .

قوله تعالى : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

الخطاب لقريش ؛ أى ألم يأتكم خبر كفار الأمم الماضية . ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أى عوقبوا . ﴿ وَلَهُمْ ﴾ فى الآخرة ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أى مُوجع . وقد تقدّم(4) .

---

(1) جـ ٦ ص ٣٨٤ وجـ ٧ ص ١٩ . (2) راجع ص ٤٨ من هذا الجزء .
(3) آية ٤ سورة التين . (4) راجع جـ ١ ص ١٩٨

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أى هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل تأتيهم ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى بالدلائل الواضحة . ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ أنكروا أن يكون الرسول من البشر . وآرتفع «أبشرٌ» على الآبتداء ، وقيل : بإضمار فعل، والجمع على معنى بشر؛ ولهذا قال : « يهدوننا » ولم يقل يهدينا . وقد يأتى الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس؛ وواحده إنسان لا واحد له من لفظه . وقد يأتى الجمع بمعنى الواحد؛ نحو قوله تعالى : « ما هذا بشرا» . ﴿ فَكَفَرُوا ﴾ أى بهذا القول ، إذ قالوه استصغارًا ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء إلى عباده . وقيل : كفروا بالرسل وتولّوا عن البرهان وأعرضوا عن الإيمان والموعظة . ﴿ واسْتَغْنَى اللهُ ﴾ أى بسلطانه عن طاعة عباده ؛ قاله مقاتل . وقيل : استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان، عن زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية .

قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ أى ظنّوا . والزّعْم هو القول بالظن. وقال شريح : لكل شىء كُنْية وكُنْيَةُ الكذب زعموا . قيل : نزلت فى العاص بن وائل السّهمِى مع خبّاب ؛ حسب ما تقدّم بيانه فى آخر سورة « مريم »[(1)]، ثم عمّت كل كافر . ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ أى لتخرجن من قبوركم أحياء . ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ ﴾ لتخبرن. ﴿ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ أى بأعمالكم . ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ إذ الإعادة أسهل من الابتداء.

قوله تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

---

(١) راجع جـ ١١ ص ١٤٥

قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أمرهم بالإيمان بعد أن عرفهم قيام الساعة . ﴿ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ وهو القرآن ، وهو نور يُهتدى به من ظُلمة الضلال . ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

قوله تعالى : يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ﴾ العامل فى « يوم » « لَتُنَبَّؤُنَّ » أو « خَبِير » لما فيه من معنى الوعيد ؛ كأنه قال : والله يعاقبكم يوم يجمعكم . أو بإضمار اذكر. والغَبْنُ : النقص . يقال : غَبَنَه غبْناً إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته . وقراءة العامة «يجمعكم» بالياء ؛ لقوله تعالى : « والله بما تعملون خبير » فأخبر . ولذكر اسم الله أولا . وقرأ نصر وابن أبي إسحاق والجَحْدَرِيّ ويعقوب وسلام « نجمعكم » بالنون ؛ اعتبارا بقوله : « والنور الذي أنزلنا » . ويوم الجمع : يوم يجمع الله الأولين والآخرين والإنس والجن وأهل السماء وأهل الأرض . وقيل : هو يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله . وقيل : لأنه يجمع فيه بين الظالم والمظلوم . وقيل : لأنه يجمع فيه بين كل نبيّ وأمته . وقيل : لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصى . ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ أى يوم القيامة . قال :

وما أرتجى بالعيش فى دار فرقة * ألا إنما الراحات يوم التغابن

وسمى يوم القيامة يوم التغابُن ؛ لأنه غَبَن فيه أهلُ الجنة أهلَ النار . أى أن أهل الجنة أخذوا الجنة ، وأخذ أهل النار النار على طريق المبادلة ؛ فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخير بالشر ، والجيد بالرديء ، والنعيم بالعذاب . يقال : غَبَنت فلانا إذا بايعته أو شاريته فكان النقص عليه والغَلَبة لك . وكذا أهل الجنة وأهل النار ؛ على ما يأتى بيانه . ويقال : غبنت

الثوبَ وخَبنته إذا طال عن مقدارك خطت منه شيئا؛ فهو نقصان أيضا . والمَغَابِن : ما انثنى من الخلْق نحو الإبطين والفخذين . قال المفسرون : فالمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة . ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمـان ، وغبن كل مؤمن بتقصيره فى الإحسان وتضييعه الأيام . قال الزجاج : ويَغْبِنُ من ارتفعت منزلته فى الجنة من كان دون منزلته .

الثانيـــة ــ فإن قيل : فأى معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغَبْن فيها . قيل له : هو تمثيل الغبن فى الشراء والبيع؛ كما قال تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى [١] » . ولما ذكر أن الكفار اشتَرَوُا الضلالة بالهُدَى وما رَبحوا فى تجارتهم بل خسروا ، ذكر أيضا أنهم غُبِنوا؛ وذلك أن أهل الجنة اشتَرَوُا الآخرة بترك الدنيا ، واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة . وهذا نوع مبادلة اتساعاً ومجازاً . وقــد فرّق الله سبحانه وتعالى الخلق فريقين : فريقًا للجنة وفريقًا للنار . ومنازلُ الكل موضـوعة فى الجنة والنار . فقد يسبق الخذلان على العبد ــ كما بيناه فى هذه السورة وغيرها ــ فيكون من أهل النار ، فيحصل الموفّق على منزل المخذول ومنزل الموفق فى النار للمخذول؛ فكأنه وقع التبادل فحصل التغابن . والأمثال موضوعة للبيان فى حكم اللغة والقرآن . وذلك كله مجموع من نشر الآثار وقد جاءت مفرقة فى هــذا الكتاب . وقد يخبر عن هذا التبادل بالوراثة كما بيناه فى « قد أفلح المؤمنون [٢] » والله أعلم . وقد يقع التغابن فى غير ذلك اليوم على ما يأتى بيانه بعــدُ ؛ ولكنه أراد التغابن الذى لا جبران لنهايته . وقال الحسن وقتادة : بلغنا أن التغابن فى ثلاثة أصـناف : رجل علم علما فعلمه وضـيعه هو ولم يعمل به فشَقِىَ به ، وعَمِل به من تعلّمه منــه فنجا به . ورجل اكتسب مالًا من وجوه يُسأل عنها وشحّ عليه ، وفرّط فى طاعة ربه بسببه ، ولم يعمل فيــه خيرا ، وتركه لوارث لا حساب عليه فيه ؛ فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربّه . ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربّه فسعد ، وعمل السـيّد بمعصية ربّه فشقى . وروى عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه قال : " إن الله تعـالى يقيم الرجل والمرأة يوم القيامــة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قُولَا فما أنتما بقائلين فيقول الرجل ياربِّ أوجبتَ نفقتها علىّ فتعسّفتُها من حلال وحرام وهؤلاء الخصـوم

(١) آية ١٦ سورة البقرة . (٢) راجع جـ ١٢ ص ١٠٨

يطلبون ذلك ولم يبق لى ما أوفى به فتقول المرأة يارب وما عسى أن أقول اكتسبه حراما وأكلته حلالا وعصاك فى مرضاتى ولم أرض له بذلك فبُعْدًا له وسُحْقًا فيقول الله تعالى قد صدقتِ فيؤمر به إلى النار ويؤمر بها إلى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة وتقول له غَبَنّاكَ غَبَنّاكَ سعدنا بما شقيت أنت به " فذلك يوم التغابن .

الثالثة — قال ابن العَرَبِىّ : « استدل علماؤنا بقوله تعالى « ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ » على أنه لا يجوز الغَبْن فى المعاملة الدُّنْيَوِيَّة ؛ لأن الله تعالى خصّص التغابن بيوم القيامة فقال : « ذلك يَوْمُ التغابنِ » وهذا الآختصاص يُفيد أنه لا غَبْن فى الدنيا ؛ فكل من آطلع على غَبْن فى مَبيع فإنه مردود إذا زاد على الثلث . واختاره البغداديّون واحتجوا عليه بوجوه : منها قوله صلى الله عليه وسلم لحَبّان بن مُنْقِذ : " إذا بايعت فقُلْ لا خِلَابَةَ (٢) ولك الخيارُ ثلاثاً " . وهذا فيه نظر طويل بيّناه فى مسائل الخلاف . نُكْتَتُه أن الغَبْن فى الدنيا ممنوع بإجماع فى حكم الدين ؛ إذ هو من باب الخداع المحرّم شرعاً فى كل مِلّة ؛ لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لأحد ، فمضى فى البيوع (٣) ؛ إذ لو حكمنا بردّه ما نفذ بيع أبدا ؛ لأنه لا يخلو منه ، حتى إذا كان كثيرا أمكن الاحتراز منه فوجب الردّ به . والفرق بين القليل والكثير أصل فى الشريعة معلوم ، فقدّر علماؤنا الثلث لهذا الحدّ ؛ إذ رأوه فى الوصية وغيرها . ويكون معنى الآية على هذا : ذلك يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل . أو ذلك يوم التغابن الذى لا يستدرك أبدا ؛ لأن تغابن الدنيا يستدرك بوجهين : إما بردٍّ فى بعض الأحوال ، وإما بربح فى بيع آخر وسِلْعَة أخرى . فأما مَنْ خَسِر الجنة فلا درك له أبدا . وقد قال بعض علماء الصوفية : إن الله كتب الغبن على الخلق أجمعين ، فلا يلقى أحد ربّه إلا مغبوناً ؛ لأنه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب . وفى الأثر قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " لا يلقى الله أحد إلا نادماً إن كان مسيئاً إن لم يحسن ، وإن كان محسناً إن لم يزدد " .

---

(١) فى بعض نسخ الأصل وابن العربى : « عليها » .   (٢) الخلابة : الخديعة .

(٣) فى ابن العربى : « فى الشرع » .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ قرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ، والباقون بالياء .

قوله تعالى : وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ يعنى القرآن ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ لما ذكر ما للمؤمنين ذكر ما للكافرين، كما تقدم فى غير موضع .

قوله تعالى : مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى بإرادته وقضائه . وقال الفراء: يريد إلا بأمر الله . وقيل : إلا بعلم الله . وقيل : سبب نزولها أن الكفار قالوا : لو كان ما عليه المسلمون حقًّا لصانهم الله عن المصائب فى الدنيا ؛ فبيّن الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة فى نفس أو مال أو قول أو فعل ، يقتضى همًّا أو يوجب عقاباً عاجلا أو آجلا فبعلم الله وقضائه .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ أى يصدّق ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله . ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ للصبر والرضا . وقيل : يُثَبِّته على الإيمان . وقال أبو عثمان الجيزى : من صح إيمانه يهد الله قلبه لاتّباع السُّنة . وقيل : « ومن يؤمن بالله يَهْدِ قلبَه » عند المصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون؛ قاله ابن جبير . وقال ابن عباس: هو أن يجعل الله فى قلبه اليقين؛ ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه . وقال الكلبى : هو إذا ابْتُلِيَ صَبَرَ ، وإذا أنعم عليه شكر ، وإذا ظُلم غفر. وقيل: يَهْدِ قلبه إلى نيل الثواب فى الجنة. وقراءة العامة « يَهْدِ » بفتح الياء وكسر الدال ؛ لذكر اسم الله أوّلاً . وقرأ السُّلَمِيّ وقتادة « يُهْدَ قَلْبُهُ » بضم الياء وفتح الدال على الفعل المجهول ورفع الباء؛ لأنه اسم فعل لم يسم فاعله .

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف والأعرج « نَهْدِ » بنونٍ على التعظيم « قلبه » بالنصب . وقرأ عِكْرِمة « يَهْدأُ قلبُه » بهمزة ساكنة ورفع الباء ، أى يسكن ويطمئن . وقرأ مثله مالك بن دينار ، إلا أنه لَيّن الهمزة . ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه تسليم مَن آنقاد وَسلّم لأمره ، ولا كراهة من كرهه .

قوله تعالى : وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

أى هَوِّنوا على أنفسكم المصائب، وآشتغلوا بطاعة الله ، وآعملوا بكتابه، وأطيعوا الرسول فى العمل بسُنّته ؛ فإن تولّيتم عن الطاعة فليس على الرسول إلا التبليغ . ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى لا معبود سواه ، ولا خالق غيره ؛ فعليه توكّلوا .

قوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ قال ابن عباس : نزلت هذه الآية بالمدينة فى عَوْف بن مالك الأشجعى ؛ شكا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم جَفاء أهله وولده ؛ فنزلت . ذكره النحاس . وحكاه الطَّبَرى عن عطاء بن يَسار قال : نزلت سورة « التغابن » كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات : « يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عَدُوًّا لكم » نزلت فى عَوْف بن مالك الأشجعى كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو بَكَوْا إليه ورَقّقوه فقالوا : إلى مَن تدعنا ؟ فيَرِقّ فيُقيم ؛ فنزلت « يأيها الذين آمنوا

إنّ مِن أزواجكم وأولادِكم عَدُوًّا لكم » الآية كلها بالمدينة في عَوْف بن مالك الأشجعي . وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة . وروى الترمذي عن ابن عباس ـــ وسأله رجل عن هذه الآية « يأيها الذين آمنوا إنّ مِن أزواجكم وأولادِكم عَدُوًّا لكم فاحذروهم » ـــ قال : هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما أتَوُا النبيّ صلى الله عليه وسلم رأَوُا الناس قد فَقُهوا في الدِّين هَمُّوا أن يعاقبوهم ؛ فأنزل الله تعالى « يأيها الذين آمنوا إنّ مِن أزواجكم وأولادِكم عَدُوًّا لكم فاحذروهم » الآية . هذا حديث حسن صحيح .

الثانيـــة ـــ قال القاضي أبو بكر بن العربي : هـذا يبين وجه العداوة ؛ فإن العـدوّ لم يكن عَدُوا لذاته وإنما كان عدوًّا بفعله . فإذا فعل الزوج والولد فِعْل العـدُوّ كان عَدُوًّا ، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة . وفي صحيح البخاريّ من حديث أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " إن الشيطان قَعَد لابن آدم في طريق الإيمان فقال له أتؤمن وتَذَر دينَك ودينَ آبائك فخالَفه فآمن ثم قعـد له على طريق الهجرة فقال له أتهاجر وتترك مالك وأهـلك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له أتجاهد فتقتل نفسك فتُنكَح نساؤك ويُقسم مالُك فخالفه فجاهد فقتِل فحقّ على الله أن يدخله الجنة ". وقعود الشيطان يكون بوجهين : أحدهما ـــ يكون بالوسوسة . والثاني ـــ بأن يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب ؛ قال الله تعالى : « وقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خلفهم » (١) . وفي حكمة عيسى عليه السلام : من اتخذ أهلًا ومالًا وولدًا كان للدنيا عبدًا . وفي صحيح الحديث بيان أدنى من ذلك في حال العبـد ؛ قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " تَعِس عبد الدينار تَعِس عَبْدُ الدِّرْهم تَعِس عبد الخَمِيصَة (٢) تَعِس عبد القَطيفة تَعِس وانتكس

---

(١) آية ٢٥ سورة فصلت .

(٢) قوله : « تعس » هلك . و « الخميصة » : كساء أسود مربع له أعلام وخطوط . و « القطيفة » : دثار له أهداب . « وانتكس » عاوده المرض كما بدأ به . أو انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة . و « شيك » : أصابته شوكة . و « فلا انتقش » أي فلا خرجت شوكته بالمنقاش .

و إذا شِيك فلا انتقش " . ولا دناءة أعظم من عبادة الدينار والدرهم، ولا همّة أخسّ من همّة ترتفع بثوب جديد .

الثالثـــة ــ كما أن الرجل يكون له ولده وزَوْجُه عدُوًّا كذلك المرأة يكون لهـا زوجها وولدها عدوًّا بهذا المعنى بعينه . وعموم قوله «مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» يدخل فيه الذكر والأنثى لدخولها فى كل آية . والله أعلم

الرابعـــة ــ قوله تعالى : ﴿ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ معناه على أنفسكم . والحذر على النفس يكون بوجهين : إما لضرر فى البدن ، و إما لضرر فى الدِّين . وضرر البدن يتعلق بالدنيا ، وضرر الدين يتعلق بالآخرة . فحذّر الله سبحانه العبد من ذلك وأنذره به .

الخامســـة ــ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ روى الطبرى عن عِكرمة فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنّ مِن أزواجكم وأولادكم عَدُوًّا لكم فاحذروهم » قال : كان الرجل يريد أن يأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقول له أهله : أين تذهب وتدعنا ؟ قال : فإذا أسلم وفَقُه قال : لأرجعن إلى الذين كانوا ينهوْن عن هـذا الأمر ، فلأفعلن ولأفعلن ؛ قال : فأنزل الله عز وجل « وإنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وقال مجاهد فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عَدُوًّا لكم فاحْذَرُوهم » قال : ما عادَوْهم فى الدنيـا ولكن حملتهم مودّتهم على أن أخذوا لهم الحرام فأعطوه إياهم . والآية عامة فى كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهـل والولد . وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم .

قوله تعـالى : إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ أى بلاء واختبار يحملكم على كسب المحرّم ومنع حق الله تعالى؛ فلا تطيعوهم فى معصية الله . وفى الحديث : "يُؤْتَى برجل يوم القيامة

فيقال أكَلَ عِيَالُه حسناته" . وعن بعض السلف : العيال سُوس الطاعات . وقال القُتَبِيّ : « فتنة » أى إغرام ؛ يقال : فُتن الرجل بالمرأة أى شُغف بها . وقيل « فتنة » مِحْنة . ومنه قول الشاعر :

لقد فُتن الناس فى دينهم * وخَلّى آبن عَفّان شرًّا طويلا

وقال ابن مسعود : لا يقولن أحدكم اللّهمّ اعْصِمْنى من الفتنة؛ فإنه ليس أحد منكم يرجع الى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ؛ ولكن ليقل : اللّهُمّ إنى أعوذ بك من مُضلّات الفتن . وقال الحسن فى قوله تعالى « إنّ مِن أزواجِكم » : أدخل « من » للتبعيض؛ لأن كلهم ليسوا بأعداء . ولم يذكر «مِن» فى قوله تعالى : « إنّما أموالُكم وأولادُكم فِتنة » لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما . روى الترمذى وغيره عن عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه قال : رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم يخطب ؛ فجاء الحسن والحسين — عليهما السلام — وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان و يعثران ؛ فنزل صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : " صدق الله عز وجل إنما أموالكم وأولادكم فتنة . نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما" ثم أخذ فى خطبته . ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ يعنى الجنة؛ فهى الغاية ، ولا أجر أعظم منها فى قول المفسرين . وفى الصحيحين — واللفظ للبخارى — عن أبى سعيد الخُدْرِيّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يقول لأهل الجنة يأهل الجنة فيقولون لبّيْكَ رَبَّنَا وسَعْدَيْك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تُعط أحدا من خلقك فيقول ألَا أعطيكم أفضلَ من ذلك قالوا يارَبّ وأىّ شىء أفضل من ذلك فيقول أحِلّ عليكم رِضْوَانِى فلا أسخط عليكم بعده أبدا " . وقد تقدم . ولاشك فى أن الرِّضا غاية الآمال . وأنشد الصوفية فى تحقيق ذلك :

امتحن الله به خلقهُ * فالنار والجنة فى قبضته
فهجره أعظم من ناره * ووَصْلُهُ أطْيَبُ من جَنّته

قوله تعالى : فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾
فيه خمس مسائل :

الأولى — ذهب جماعة من أهل التأويل إلى أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى : «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ»(1) منهم قتادة والربيع بن أنس والسُّدّى وابن زيد . ذكر الطبرى : وحدّثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ » قال : جاء أمر شديد ؛ قالوا : ومَن يعرف قدر هذا أو يبلغه ؟ فلما عرف الله أنه قد اشتدّ ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الآية الأخرى فقال : « فَٱتَّقُوا الله مَا ٱسْتَطَعْتُمْ » . وقيل : هى محكمة لا نسخ فيها . وقال ابن عباس قوله تعالى « اتقوا الله حَقّ تقاتِهِ » : إنها لم تنسخ ، ولكن حق تقاته أن يجاهد لله حَقّ جهاده ، ولا يأخذهم فى الله لَوْمَةُ لائم(2) ، و يقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم . وقد تقدم .

الثانيــة — فإن قيل : فإذا كانت هذه الآية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله فى سورة التغابن : « فٱتقوا الله ما ٱستطعتم » وكيف يجوز اجتماع الأمر بٱتقاء الله حق تُقاته ، والأمر بٱتقائه مااستطعنا . والأمر بٱتقائه حقّ تُقاته إيجاب القرآن بغير خصوص ولا وصل بشرط ؛ والأمر بٱتقائه ما استطعنا أمرٌ باتقائه موصولا بشرط . قيل له : قوله « فاتقوا الله ما استطعتم » بمعزل مما دلّ عليه قوله تعالى « اتقوا الله حَقّ تُقاتِهِ » وإنما عنى بقوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيما جُعل فتنة لكم من أموالكم

---

(1) آية ١٠٢ سورة آل عمران . (2) راجع جـ ٤ ص ١٥٧

وأولادكم أن تغلبكم فتنتهم ، وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، فتتركوا الهجرة ما استطعتم ؛ بمعنى وأنتم للهجرة مستطيعين . وذلك أن الله جل ثناؤه قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ — إلى قوله — فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ»(1) . فأخبر أنه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا بالإقامة فى دار الشرك ؛ فكذلك معنى قوله : «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» فى الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام أن تتركوها بفتنة أموالكم وأولادكم. ومما يدل على صحة هذا أن قوله : «فَاتَّقُوا اللَّهَ ما استطعتم» عقيب قوله : «يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم» .

ولا خلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام بتثبيط أولادهم إياهم عن ذلك ؛ حسب ما تقدم . وهذا كله اختيار الطبرى . وقيل : «فاتقوا الله ما استطعتم» فيما تطوع به من نافلة أو صدقة ؛ فإنه لما نزل قوله تعالى : «اتقوا الله حق تقاته» اشتد على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فأنزل الله تعالى تخفيفا عنهم «فاتقوا الله ما استطعتم» فنسخت الأولى ؛ قاله ابن جبير . قال الماوردى : ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المكره على المعصية غير مؤاخذ بها ؛ لأنه لا يستطيع اتقاءها .

الثالثة — : قوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ أى اسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه . وقال مقاتل : «اسمعوا» أى اصغوا إلى ما ينزل عليكم من كتاب الله ؛ وهو الأصل فى السماع . «وأطيعوا» لرسوله فيما أمركم أو نهاكم . وقال قتادة : عليهما بويع النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة . وقيل : «واسمعوا» أى اقبلوا ما تسمعون؛ وعبر عنه بالسماع لأنه فائدته .

---

(1) آية ٩٧ — ٩٩ سورة النساء .

قلت: وقد تغلغل فى هذه الآية الحجاج حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان فقال: « فآتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا » هى لعبد الملك بن مروان أمين الله وخليفته ، ليس فيها مَثْنَوِيّة ، والله لو أمرت رجلا أن يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحلّ لى دمه. وكذب فى تأويلها ! بل هى للنبيّ صلى الله عليه وسلم أوّلًا ثم لأولى الأمر من بعده . دليلُه « أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولى الأمر منكم »(١) .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا ﴾ قيل : هو الزكاة ؛ قاله ابن عباس . وقيل : هو النفقة فى النفل . وقال الضحاك : هو النفقة فى الجهاد . وقال الحسن : هو نفقة الرجل لنفسه . قال ابن العربى : وإنما أوقع قائلَ هذا قولُه : « لِأَنْفُسِكُمْ » وخَفِيَ عليه أن نفقة النفل والفرض فى الصدقة هى نفقة الرجل على نفسه ؛ قال الله تعالى : « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا »(٢) . وكل ما يفعله الرجل من خير فإنما هو لنفسه . والصحيح أنها عامة . وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل : عندى دينار ؟ قال: "أنفقه على نفسك" قال : عندى آخر؟ قال : " أنفقه على عيالك " قال : عندى آخر؟ قال : " أنفقه على ولدك " قال : عندى آخر ؟ قال : " تصدّق به " فبدأ بالنفس والأهل والولد وجعل الصدقة بعد ذلك . وهو الأصل فى الشرع .

الخامسة — قوله تعالى : ﴿ خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ «خيرا» نصب بفعل مضمر عند سيبويه ؛ دَلّ عليه «وأنفقوا» . كأنه قال : إيتُوا فى الإنفاق خيرا لأنفسكم ، أو قدموا خيرا لأنفسكم من أموالكم . وهو عند الكسائى والفَرّاء نعت لمصدر محذوف ؛ أى أنفقوا إنفاقًا خيرا لأنفسكم . وهو عند أبى عبيدة خبر كان مضمرة ؛ أى يكن خيرا لكم . ومن جعل الخير المال فهو منصوب بـ«أنفقوا» .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٣) تقدم الكلام فيه . وكذا ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ ﴾(٤) تقدم الكلام فيه أيضًا فى « البقرة » وسورة

(١) آية ٥٩ سورة النساء . (٢) آية ٧ سورة الإسراء . (٣) راجع ص ٢٩ من هذا الجزء .
(٤) راجع جـ ٣ ص ٢٣٧ وجـ ١٧ ص ٢٤٢

« الحديد » . ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ تقدم معنى الشكر فى « البقرة »[1] . والحليم : الذى لا يعجل .

قوله تعالى : عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أى ما غاب وحضر . وهو ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ أى الغالب القاهر . فهو من صفات الأفعال ؛ ومنه قوله عز وجل : « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ »[2] . أى من الله القاهر المحكم خالق الأشياء . وقال الخطّابى : وقد يكون بمعنى نفاسة القدر ؛ يقال منه : عَزَّ يَعِزّ (بكسر العين) فيتناول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شىء وأنه لا مثل له . والله أعلم . ﴿ الحكيم ﴾ فى تدبير خلقه . وقال ابن الأنبارى : « الحكيم » هو المحكم لخلق الأشياء ؛ صُرف عن مُفْعِل إلى فعيل ؛ ومنه قوله عز وجل : « الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ »[3] معناه المُحْكَم ؛ فصُرف عن مُفْعَل إلى فَعِيل . والله أعلم .

ســورة الطــلاق

مدنيّةٌ فى قول الجميع . وهى إحدى عشرة آية ، أو اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

---

(١) راجع جـ ١ ص ٣٩٧ طبعة ثانية أو ثالثة . (٢) أول سورة الزمر . وراجع جـ ١٥ ص ٢٣٢
(٣) أول سورة يونس . راجع جـ ٨ ص ٣٠٥

فيه أربع عشرة مسألة :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم؛ خوطب بلفظ الجماعة تعظيما وتفخيما . وفى سُنَن ابن ماجه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طَلّق حَفْصَة رضى الله عنها ثم راجعها . وروى قَتادة عن أنس قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضى الله عنها فأتت أهلها؛ فأنزل الله تعالى عليه « يَأَيُّهَا النَّبِيّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ » . وقيل له : راجعها فإنها قَوّامة صَوّامة، وهى من أزواجك فى الجنة . ذكره الماوَرْدى والقُشَيْرى والثّعلبي . زاد القشيرى : ونزل فى خروجها إلى أهلها قوله تعالى : « لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ » . وقال الكَلْبيّ : سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة؛ لمّا أسَرّ إليها حديثًا فأظهرته لعائشة فطلّقها تطليقةً؛ فنزلت الآية . وقال السُّدّى : نزلت فى عبد الله بن عمر، طلّق امرأته حائضًا تطليقةً واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض ثم تطهر ، فإذا أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها . فتلك العدّة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء . وقد قيل : إن رجالا فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر؛ منهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعُتْبة بن غَزْوان؛ فنزلت الآية فيهم . قال ابن العربى : وهذا كله وإن لم يكن صحيحًا فالقول الأوّل أمثل . والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ . وقد قيل : إنه خطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم والمراد أمّته . وغاير بين اللفظين من حاضر وغائب وذلك لغة فصيحة؛ كما قال : « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ »[1] . تقديره : يأيها النبيّ قل لهم إذا طلقتم النساء فطلقوهنّ لعدّتهنّ . وهذا هو قولهم : إن الخطاب له وحده والمعنى له وللمؤمنين ، وإذا أراد الله بالخطاب المؤمنين لاطفه بقوله : « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ » . فإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال : « يَأَيُّهَا الرَّسُولُ » .

---

(١) آية ٢٢ سورة يونس

قلت : ويدل على صحة هذا القول نزول العِدّة فى أسماء بنت يزيد بن السَّكَن الأنصارية . ففى كتاب أبى داود عنها أنها طلقت على عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولم يكن للطلقة عِدّة، فأنزل الله تعالى حين طُلّقت أسماء بالعدّة للطلاق، فكانت أوّل من أنزل فيها العدّة للطلاق . وقيل : المراد به نداء النبيّ صلى الله عليه وسلم تعظيما، ثم ابتدأ فقال : « إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ »؛ كقوله تعالى: « يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلَامُ » (١) الآية . فذكر المؤمنين على معنى تقديمهم وتكريمهم؛ ثم افتتح فقال «إنما الخمرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلَامُ» الآيــة .

الثانيــة ــ روى الثعلبيّ من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق" . وعن عليّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "تزوّجوا ولا تطلّقوا فإن الطلاق يهتزّ منه العرش" . وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تطلّقوا النساء إلا من ريبــة فإن الله عز وجل لا يحب الذوّاقين ولا الذوّاقات" . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما حَلَف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق" . أسند جميعه الثعلبيّ رحمه الله فى كتابه . وروى الدارقطنيّ قال: حدّثنا أبو العباس محمد بن موسى بن على الدُّولابى ويعقوب بن إبراهيم قالا حدّثنا الحسن بن عرفة قال حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش عن حُميد بن مالك اللَّخْمِيّ عن مَكْحول عن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا معاذ ما خلق الله شيئا على وجه الأرض أحبّ إليه من العِتاق ولا خلق الله شيئا [على وجه الأرض] (٢) أبغض من الطلاق . فإذا قال الرجل لمملوكه أنت حرّ إن شاء الله فهو حرّ ولا استثناء له . وإذا قال الرجل لامرأته أنت طالق [إن شاء الله] (٢) فله استثناؤه ولا طلاق عليه" . حدّثنا محمد بن موسى بن على قال حدّثنا حميد بن الربيع قال حدّثنا يزيد بن هارون حدّثنا إسماعيل بن عَيّاش بإسناده نحوه . قال حميد : قال لى يزيد بن هارون : وأيّ حديث لو كان حميد بن مالك معروفا ؟ قلت :

---

(١) آية ٩٠ سورة المائدة . (٢) زيادة عن سنن الدارقطنى .

هو جدّى . قال يزيد : سَرَرْتَنِي سَرَرْتَنِي ! الآن صار حديثا . حدّثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن سُنَين حدّثنا عمر بن إبراهيم بن خالد حدّثنا حميد بن مالك اللخمي حدّثنا مَكْحُول عن مالك بن يَخَامِر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما أحلّ الله شيئا أبغض اليه من الطلاق فمن طلّق واستثنى فله ثنياه " .

قال ابن المنذر : اختلفوا فى الاستثناء فى الطلاق والعِتق؛ فقالت طائفة : ذلك جائز. وروينا هذا القول عن طاوس . وبه قال حماد الكوفى والشافعى وأبو ثَوْر وأصحاب الرأى . ولا يجوز الاستثناء فى الطلاق فى قول مالك والأوزاعى . وهذا قول قتادة فى الطلاق خاصة . قال ابن المنذر : وبالقول الأوّل أقول .

الثالثة — روى الدّارَقُطْنى من حديث عبد الرّزاق أخبرنى عَمّى وهب بن نافع قال : سمعت عكرمة يحدّث عن ابن عباس يقول : الطلاق على أربعة وجوه : وجهان حلالان ووجهان حرامان؛ فأما الحلال فأن يطلقها طاهرا عن غير جماع وأن يطلّقها حاملا مُستبينًا حَمْلُها . وأما الحرام فأن يطلقها وهى حائض ، أو يطلقها حين يجامعها ، لا تدرى اشتمل الرحم على وَلَد أم لا .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فى كتاب أبى داود عن أسماء بنت يزيد ابن السَّكَن الأنصارية أنها طُلقت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للطلقة عدّة ، فأنزل الله سبحانه حين طلقت أسماء بالعدّة للطلاق ؛ فكانت أوّل من أنزل فيها العدّة للطلاق . وقد تقدّم .

الخامسة — قوله تعالى : ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ يقتضى أنهن اللاتى دخلن بهن من الأزواج؛ لأن غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمّ طَلَّقْتُمُوهُنّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهن فمالَكُمْ عليهنّ مِنْ عِدّةٍ تَعْتَدُّونَهَا » (١) .

السادسة — من طَلّق فى طُهر لم يجامع فيه نفذ طلاقه وأصاب السُّنّة . وإن طلقها حائضا نفذ طلاقه وأخطأ السُّنة . وقال سعيد بن المسيّب فى آخرين (٢) لا يقع الطلاق فى الحيض

(١) آية ٤٩ سورة الأحزاب . (٢) فى بعض الأصول : « فى أخرى » وكلاهما غير واضحة .

لأنه خلاف السنة . و إليه ذهبت الشّيعة . و فى الصحيحين ــ واللفظ للدارَقُطْنى ــ عن عبد الله بن عمر قال : طلقت امرأتى وهى حائض؛ فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتغيّظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "ليراجعها ثم ليمسكها حتى تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التى طلّقها فيها فإن بدَا له أن يطلّقها فليطلقها طاهرًا من حيضتها قبل أن يَمَسّها فذلك الطلاق للعدّة كما أمر الله ". وكان عبد الله بن عمر طلّقها تطليقة، فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى رواية عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "هى واحدة" . وهذا نصٌّ . وهو يردّ على الشّيعة قولهم

السابعــة ــ عن عبد الله بن مسعود قال: طلاق السُّنّة أن يطلقها فى كل طهر تطليقة؛ فإذا كان آخر ذلك فتلك العِدّة التى أمر الله تعالى بها . رواه الدّارَقُطْنى عن الأعْمَش عن أبى إسحاق عن أبى الأحْوص عن عبد الله . قال علماؤنا : طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة : وهو أن يطلقها واحدة ، وهى ممن تحيض، طاهرا، لم يَمَسّها فى ذلك الطهر، ولا تقدّمه طلاق فى حيض، ولا تبعه طلاق فى طُهْر يتلوه، وخلا عن العوض. وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر المتقدّم .وقال الشافعى: طلاق السنة أن يطلقها فى كل طُهْر خاصة، ولو طلقها ثلاثا فى طُهْر لم يكن بِدْعة . وقال أبو حنيفة : طلاق السنة أن يطلقها فى كلّ طهر طلقة. وقال الشّعْبىّ: يجوز أن يطلقها فى طهر جامعها فيه. فعلماؤنا قالوا: يطلقها واحدة فى طُهْر لم يَمَسّ فيه ، ولا تبعه طلاق فى عدّة ، ولا يكون الطُّهر تاليا لحيض وقع فيه الطلاق ؛ لقول النبىّ صلى الله عليه وسلم: "مُرْه فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك و إن شاء طلق. فتلك العدّة التى أمر الله أن يطلّق لها النساء" .وتعلّق الإمام الشافعى بظاهر قوله تعالى : « فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ » وهذا عام فى كل طلاق كان واحدة أو اثنتين أو أكثر . و إنما راعى الله سبحانه الزمان فى هذه الآية ولم يعتبر العدد . وكذلك حديث ابن عمر لأن النبى صلى الله عليه وسلم علّمه الوقت لا العدد . قال ابن العربىّ : « وهــذه غفلة عن الحديث

الصحيح؛ فإنه قال : "مُرْهُ فليراجعها" وهذا يدفع الثلاث . وفى الحديث أنه قال : أرأيت لو طلقها ثلاثا ؟ قال حَرُمت عليك وبانت منك بمعصية . وقال أبو حنيفة : ظاهر الآية يدل على أن الطلاق الثلاث والواحدة سواء . وهو مذهب الشافعى لولا قوله بعد ذلك : « لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا » . وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الآية . وكذلك قال أكثر العلماء ؛ وهو بديع لهم . وأما مالك فلم يَخْف عليه إطلاق الآية كما قالوا، ولكن الحديث فسرها كما قلنا . وأما قول الشعبىّ : إنه يجوز طلاق فى طُهر جامعها فيه ، فيرده حديث ابن عمر بنصه ومعناه . أمّا نَصّه فقد قدمناه ، وأمّا معناه فلأنه إذا منع من طلاق الحائض لعدم الاعتداد به ، فالطهر المجامع فيه أولى بالمنع ؛ لأنه يسقط الاعتداد به مخافة شَغل الرَّحم وبالحيض التالى له .

قلت : وقد احتج الشافعىّ فى طلاق الثلاث بكلمة واحدة بما رواه الدّارَقُطْنِى عن سلمة ابن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن عبد الرحمن بن عَوف طلق امرأته تُماضِر بنت الأصبغ الكلبية وهى أم أبى سلمة ثلاث تطليقات فى كلمة واحدة ؛ فلم يبلغنا أن أحدا من أصحابه عاب ذلك . قال : وحدّثنا سلمة بن أبى سلمة عن أبيه أن حفص بن المُغيرة طلق امرأته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات فى كلمة؛ فأبانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغنا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه . واحتج أيضا بحديث عُوَيْمر العَجْلانِىّ لما لاعن قال : يا رسول الله، هى طالق ثلاثا . فلم ينكر عليه النبىّ صلى الله عليه وسلم . وقد انفصل علماؤنا عن هذا أحسن انفصال . بيانه فى غير هذا الموضع . وقد ذكرناه فى كتاب (المقتبس من شرح مُوَطّأ مالك بن أنس) . وعن سعيد بن المسيّب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة فى الطلاق فأوقعه فى حيض أو ثلاث لم يقع؛ وشبّهوه بمن وكّل بطلاق السنة فخالف .

الثامنة — قال الجُرْجَانِىّ : اللام فى قوله تعالى « لِعِدَّتِهِنَّ » بمعنى فى ؛ كقوله تعالى : « هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ »(١) .

(١) آية ٢ سورة الحشر .

أى فى أوّل الحشر. فقوله : « لِعِدّتِهِنّ » أى فى عدتهن، أى فى الزمان الذى يصلح لعدّتهن . وحصل الإجماع على أن الطلاق فى الحيض ممنوع وفى الطُّهر مأذون فيه . ففيه دليل على أن القُرْء هو الطُّهر . وقد مضى القول فيه فى « البقرة »(١) . فإن قيل : معنى « فطلقوهنّ لِعِدّتِهِنّ » أى فى قُبُل(٢) عدتهن ، أو لِقُبُل عدّتهن . وهى قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، كما قال ابن عمر فى صحيح مسلم وغيره . فقُبُل العِدّة آخر الطُّهر حتى يكون القُرْء الحيض(٣) ، قيل له : هذا هو الدليل الواضح لمالك ومن قال بقوله ، على أن الأقراء هى الأطهار . ولو كان كما قال الحنفى ومن تبعه لوجب أن يقال : إن من طلق فى أوّل الطُّهر لا يكون مطلّقا لقُبُل الحيض، لأن الحيض لم يُقبل بعد . وأيضا إقبال الحيض يكون بدخول الحيض، وبانقضاء الطهر لا يتحقق إقبال الحيض . ولو كان إقبال الشيء إدبار ضدّه لكان الصائم مفطرا قبل مغيب الشمس ؛ إذ الليل يكون مقبلا فى إدبار النهار قبل انقضاء النهار . ثم إذا طلق فى آخر الطهر فبقية الطُّهر قُرْء ، ولأن بعض القُرْء يسمى قُرْءًا لقوله تعالى : « الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ » يعنى شوّالا وذا القعدة وبعض ذى الحجة ؛ لقوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » وهو يَنفِر فى بعض اليوم الثانى . وقد مضى هذا كله فى « البقرة »(٤) مستوفى .

التاسعة ــ قوله تعالى : ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ يعنى فى المدخول بها ؛ لأن غير المدخول بها لا عدّة عليها ، وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدّة ، ويكون بعدها كأحد الخُطّاب . ولا تحلّ له فى الثلاث إلا بعد زوج .

العاشرة ــ قوله تعالى : ﴿ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ﴾ معناه احفظوها ؛ أى احفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق ، حتى إذا انفصل المشروط منه وهو الثلاثة قروء فى قوله تعالى : « وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ »(٥) حلّت للأزواج . وهذا يدل على أن العدّة هى الأطهار وليست بالحيض . ويؤكده ويفسّره قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم « لقُبُل عِدّتهن » وقُبُل الشيء بعضُه لغةً وحقيقةً ، بخلاف استقباله فإنه يكون غيره .

(١) راجع جـ ٣ ص ١١٣ (٢) أى فى إقباله وأوّله حين يمكنها الدخول فى العدة والشروع فيها فتكون لها محسوبة ، وذلك فى حالة الطهر. (٣) فى بعض نسخ الأصل : « الطهر » . (٤) راجع جـ ٣ ص ١ (٥) آية ٢٢٨ سورة البقرة .

الحادية عشرة — مَن المخاطَب بأمر الاحصاء ؟ وفيه ثلاثة أقوال : أحدها — أنهم الأزواج . الثانى — أنهم الزوجات . الثالث — أنهم المسلمون . ابن العربى : «والصحيح أن المخاطَب بهذا اللفظ الأزواج ؛ لأن الضمائر كلها من « طَلَّقتم » و « أحْصُوا » و « لا تُخْرِجُوهُنّ » على نظام واحد يرجع إلى الأزواج ، ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق بالزوج ؛ لأن الزوج يُحْصِى ليراجع ، ويُنفق أو يقطع ، وليُسكن أو يُخْرج ، وليُلْحِق نَسَبَه أو يقطع . وهذه كلّها أمور مشتركة بينه و بين المرأة ، وتنفرد المرأة دونه بغير ذلك . وكذلك الحاكم يفتقر إلى الإحصاء للعدّة للفتوى عليها ، وفصل الخصومة عند المنازعة فيها . وهذه فوائد الإحصاء المأمور به » .

الثانية عشرة — قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ أى لا تعصوه . ﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾ أى ليس للزوج أن يخرجها من مسكن النكاح ما دامت فى العدّة ، ولا يجوز لها الخروج أيضا لحق الزوج إلا لضرورة ظاهرة ، فإن خرجت أثمت ولا تنقطع العدّة . والرجعية والمَبْتُوتة فى هذا سواء . وهذا لصيانة ماء الرجل . وهذا معنى إضافة البيوت إليهن ؛ كقوله تعالى : « وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ »[(1)] ، وقوله تعالى : « وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ » فهو إضافة إسكان وليس إضافة تمليك . وقوله : « لَا تُخْرِجُوهُنَّ » يقتضى أن يكون حقّا على الأزواج . ويقتضى قوله : « وَلَا يَخْرُجْنَ » أنه حق على الزوجات . وفى صحيح الحديث عن جابر بن عبد الله قال : طُلِّقت خالتى فأرادت أن تَجُدّ[(2)] نخلها فزجرها رجل أن تخرج ، فأتت النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : " بلى فجُدِّى نخلك فإنّك عسى أن تَصَدَّقى أو تفعلى معروفا " . خرّجه مسلم . ففى هذا الحديث دليل لمالك والشافعىّ وابن حَنبل واللَّيث على قولهم : إن المعتدّة تخرج بالنهار فى حوائجها ، وإنما تلزم منزلها بالليل . وسواء عند مالك كانت رجعيّة أو بائنة . وقال الشافعىّ فى الرجعية : لا تخرج ليلا ولا نهارا ، وإنما تخرج نهارا المَبْتُوتة . وقال أبو حنيفة : ذلك فى المُتَوَفَّى عنها زوجها ، وأما المطلّقة

---

(١) آية ٣٤ سورة الأحزاب . (٢) الجداد (بفتح الجيم وكسرها) : صرام النخل ، وهو قطع ثمرها .

فلا تخرج لا ليلا ولا نهارا . والحديث يردّ عليه . وفى الصحيحين أن أبا حفص[1] بن عمرو خرج مع عليّ بن أبى طالب إلى اليمن ، فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها ، وأمر لها الحارثَ بن هشام وعيّاش بن أبى ربيعة بنفقة ؛ فقالا لها : والله مالكِ من نفقة إلا أن تكونى حاملا . فأتت النبيّ صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولها . فقال : " لا نفقة لكِ " ، فاستأذنته فى الانتقال فأذن لها ؛ فقالت : أين يارسول الله ؟ فقال : " إلى ابن أمّ مكتوم " ، وكان أعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها . فلما مضت عدّتها أنكحها النبيّ صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد . فأرسل إليها مَرْوانُ قَبيصةَ بن ذُؤَيب يسألها عن الحديث، فحدّثته . فقال مَرْوان : لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة ، سنأخذ بالعِصْمة التى وجدنا الناس عليها . فقالت فاطمة حين بلغها قولُ مَرْوان : فبينى وبينكم القرآن ، قال الله عز وجل : « لا تُخْرِجُوهُنّ مِنْ بُيُوتِهِن » الآية ، قالت : هذا لمن كانت له رجعة ؛ فأى أمرٍ يَحْدُث بعد الثلاث؟ فكيف تقولون : لا نفقة لها إذا لم تكن حاملا ، فعلام تحبسونها ؟ لفظ مسلم . فبين أن الآية فى تحريم الإخراج والخروج إنما هو فى الرجعية . وكذلك استدلت فاطمة بأن الآية التى تليها إنما تضمّنت النّهى عن خروج المطلقة الرجعية ؛ لأنها بصدد أن يحدث لمطلقها رأى فى ارتجاعها ما دامت فى عدّتها ؛ فكأنها تحت تصرف الزوج فى كل وقت . وأما البائن فليس له شىء من ذلك ؛ فيجوز لها أن تخرج إذا دعتها إلى ذلك حاجة ، أو خافت عورة منزلها ؛ كما أباح لها النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك . وفى مسلم — قالت فاطمة : يارسول الله، زَوْجى طلّقنى ثلاثا وأخاف أن يُقتحم عليّ. قال : فأمرها فتحولت . وفى البخاريّ عن عائشة أنها كانت فى مكان وَحْش نخيف على ناحيتها ؛ فلذلك أرخص النبيّ صلى الله عليه وسلم لها . وهذا كله يردّ على الكوفى قوله . وفى حديث فاطمة: أن زوجها أرسل إليها بتطليقة كانت بقيت من طلاقها؛ فهو حجة لمالك وحجة على الشافعى . وهو أصح من حديث سلمة بن أبى سلمة عن أبيه أن حفص بن المغيرة طلق امرأته ثلاث تطليقات فى كلمة ؛ على ما تقدّم .

(١) ويقال فيه : « أبو عمرو بن حفص » . راجع كتاب الاصابة جـ ٧ ص ٤٤ ، ١٣٦ (طبع الشرفية) .

الثالثة عشرة — قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشَّعْبي ومُجاهد : هو الزِّنى ؛ فتخرج ويُقام عليها الحدّ . وعن ابن عباس أيضا والشافعي أنه البَذاء على أحمائها ؛ فيَحِلّ لهم إخراجها . وروى عن سعيد بن المسيّب أنه قال في فاطمة : تلك امرأة استطالت على أحمائها بلسانها فأمرها عليه السلام أن تنتقل . وفي كتاب أبي داود قال سعيد : تلك امرأة فتنت الناس[1] ، إنها كانت لَسِنة فوُضِعَتْ على يدى ابن أم مكتوم الأعمى . قال عكرمة : في مصحف أُبَيّ « إلا أن يَفْحُشْنَ عليكم » . ويقوى هذا أن محمد بن إبراهيم بن الحارث روى أن عائشة قالت لفاطمة بنت قيس : اتّقي الله فإنك تعلمين لِمَ أُخرِجْتِ؟ وعن ابن عباس أيضا : الفاحشة كل معصية كالزنى والسرقة والبَذاء على الأهل . وهو اختيار الطبري . وعن ابن عمر أيضا والسُّدِّي : الفاحشة خروجها من بيتها في العدّة . وتقدير الآية : إلا أن يأتين بفاحشة مبيِّنة بخروجهن من بيوتهن بغير حق ؛ أي لو خرجت كانت عاصية . وقال قتادة : الفاحشة النُّشُوز، وذلك أن يطلقها على النشوز فتتحوّل عن بيته . قال ابن العربي : أما من قال إنه الخروج للزنى؛ فلا وجه له ؛ لأن ذلك الخروج هو خروج القتل والإعدام، وليس ذلك بمستثنًى في حلال ولا حرام. وأما من قال: إنه البَذاء؛ فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس . وأما من قال : إنه كل معصية؛ فوهم لأن الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الإخراج ولا الخروج . وأما من قال : إنه الخروج بغير حق؛ فهو صحيح . وتقدير الكلام: لا تُخرِجوهن من بيوتهن ولا يَخرجن شرعًا إلا أن يخرجن تعدّيًا .

الرابعة عشرة — قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ أي هذه الأحكام التي بيّنها أحكامُ الله على العباد ، وقد منع التجاوز عنها ، فمن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها مَوْرد الهلاك . ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ الأمر الذي يحدثه الله أن يقلّب قلبه من بغضها إلى محبتها ، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ، ومن عَزيمة الطلاق إلى الندم عليه؛ فيراجعها . وقال جميع المفسرين : أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة . ومعنى القول : التحريض على

(١) قوله « فتنت الناس » يريد أنها فتنت الناس بذكرها حديثها أن النبيّ عليه السلام أمرها أن تنتقل من بيت مطلقها على وجه يوقع الناس في الغلط . وقوله « لسنة » بكسر السين : أي كانت تأخذ الناس وتجرحهم بلسانها . وقوله « فوضعت » أي أخرجت من بيت زوجها وجعلت كالوديعة عند ابن أم مكتوم .

طلاق الواحدة والنهى عن الثلاث ؛ فإنه إذا طلق ثلاثا أضرّ بنفسه عند النـدم على الفراق والرغبة فى الارتجاع، فلا يجد عند الرجعة سبيلا . وقال مُقاتل : « بعد ذلك » أى بعد طلقة أو طلقتين « أمرا » أى المراجعة من غير خلاف .

قوله تعالى : فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

قوله تعـالى : ﴿ فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنّ ﴾ أى قاربن انقضاء العدّة ؛ كقوله تعالى : « وإذا طلّقتمُ النّساءَ فبلغنَ أجلهنّ فأمسكوهنّ»[(١)] أى قربن من انقضاء الأجل . ﴿فَأَمسِكوهُنّ بِمَعْروف﴾ يعنى المراجعة بالمعروف؛ أى بالرغبة من غير قصد المضارّة فى الرجعة تطويلا لعدّتها . كما تقدم فى «البقرة»[(٢)] . ﴿ أو فارِقوهُنّ بِمَعْروف ﴾ أى اتركوهنّ حتى تنقضى عدّتهنّ فيملكن أنفسهنّ . وفى قوله تعالى : «فإذا بلغنَ أجلهنّ» ما يوجب أن يكون القول قول المرأة فى انقضاء العدّة إذا ادّعت ذلك؛ على ما بيّناه فى سورة «البقرة» عند قوله تعالى : «ولا يحلّ لهنّ أن يكتمنَ ما خَلَقَ اللهُ فى أرحامِهنّ»[(٣)] الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ فيه ست مسائل :

الأولى ـ قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ﴾ أمر بالإشهاد[(٤)] على الطلاق . وقيل : على الرجعة . والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا إلى الطلاق . فإن راجع من غير إشهاد ففى صحة الرجعة قولان للفقهاء . وقيل : المعنى وأشهدوا عند الرجعة والفُرْقة جميعا . وهذا الإشهاد مندوب اليه عند

---

(١) آية ٢٣١ سورة البقرة . (٢) راجع جـ ٣ ص ١٥٥ فما بعدها .

(٣) راجع جـ ٣ ص ١١٢ فما بعدها . (٤) فى بعض نسخ الأصل : «أمر بإيلاء الاشهاد ... » .

أبى حنيفة ؛ كقوله تعالى : « وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ »(١) . وعند الشافعى واجب فى الرجعة ، مندوب إليه فى الفُرْقة . وفائدة الإشهاد ألا يقع بينهما التجاحد ، وألاّ يُتّهم فى إمساكها ، ولئلا يموت أحدهما فيدّعى الباقى ثبوت الزوجية لِيَرِث .

الثانيــة — الإشهاد عند أكثر العلماء على الرَّجْعة نَدْب . وإذا جامع أو قَبّل أو باشر يريد بذلك الرجعــة ، وتكلّم بالرجعة يريد به الرجعة فهو مراجع عنــد مالك ، وإن لم يرد بذلك الرجعة فليس بمراجع . وقال أبو حنيفة وأصحابه : إذا قبّل أو باشر أو لامس بشهوة فهو رجعة . وقالوا : والنظر إلى الفَرْج رجعة . وقال الشافعى وأبو ثَوْر : إذا تكلّم بالرجعة فهو رجعة . وقد قيل : وَطْؤُه مراجعة على كل حال، نواها أو لم ينوها . وروى ذلك عن طائفــة من أصحاب مالك . وإليــه ذهب اللّيث . وكان مالك يقول : إذا وَطِئ ولم ينــو الرجعة فهو وَطْءٌ فاسد ؛ ولا يعود لوطئها حتى يستبرئها من مائه الفاسد ، وله الرجعة فى بقية العدّة الأولى ، وليس له رجعة فى هذا الاستبراء .

الثالثــة — أوجب الإشهاد فى الرجعة أحمد بن حَنْبل فى أحد قوليه، والشافعى كذلك لظاهر الأمر . وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعى فى القول الآخر : إن الرجعة لا تفتقر إلى القبول، فلم تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقــوق ؛ وخصوصا حلّ الظِّهار بالكفارة . قال ابن العربى : وركّب أصحاب الشافعى على وجوب الإشهاد فى الرجعة أنه لا يصــح أن يقــول : كنت راجعت أمس وأنا أشهــد اليوم على الإقرار بالرجعة ، ومن شرط الرجعــة الإشهاد فلا تصح دونه . وهذا فاسد مبنىّ على أن الإشهاد فى الرجعة تَعَبُّدٌ . ونحن لا نسلّم فيها ولا فى النكاح بأن نقول : إنه موضع للتوثّق ؛ وذلك موجود فى الإقرار كما هو موجود فى الإنشاء .

الرابعــة — من ادّعى بعد انقضاء العدة أنه راجع آمرأته فى العدّة ، فإن صدّقته جاز وإن أنكرتْ حلفت ، فإن أقام بينة أنه ارتجعها فى العدّة ولم تعلم بذلك لم يضره جهلها بذلك ،

(١) آية ٢٨٢ سورة البقرة .

وكانت زوجته . وإن كانت قد تزوجت ولم يدخل بها ثم أقام الأوّل البينة على رجعتها فعن مالك فى ذلك روايتان : إحداهما ـــ أن الأوّل أحق بهـا . والأخرى ـــ أن الثانى أحق بها . فإن كان الثانى قد دخل بها فلا سبيل للأوّل إليها .

الخامســـة ـــ قوله تعالى : ﴿ ذَوَىْ عَدْلٍ مِنكُمْ ﴾ قال الحسن : من المسلمين . وعن قتادة : من أحراركم . وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث ؛ لأنّ « ذَوَىْ » مذكّر . ولذلك قال علماؤنا : لا مدخل للنساء فيما عدا الأموال . وقد مضى ذلك فى سورة « البقرة »[1] .

السادســـة ـــ قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ أى تَقَرُّباً إلى الله فى إقامة الشهادة على وجهها ، إذا مسّت الحاجة إليها من غير تبديل ولا تغيير . وقد مضى فى سورة « البقرة » معناه عند قوله تعالى : « وأَقْوَمُ لِلشهادةِ »[2] .

قوله تعـالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ ﴾ أى يرضى به . ﴿ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فأما غير المؤمن فلا ينتفع بهذه المواعظ .

قوله تعـالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ عن النبىّ صلى الله عليــه وسـلم أنه سئل عمن طلّق ثلاثا أو ألفًا هل له من مخرج؟ فتلاها . وقال ابن عباس والشّعْبىّ والضحاك : هـذا فى الطلاق خاصة ؛ أى من طلق كما أمره الله يكن له مخرج فى الرجعة فى العِدّة ، وأن يكون كأحد الخُطّاب بعـد العِدّة . وعن ابن عباس أيضا « يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » ينجيه من كل كَرْب فى الدنيا والآخرة . وقيل : المخرج هو أن يُقنعه الله بما رزقه ؛ قاله علىّ بن صالح . وقال الكلبى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ » بالصبر عند المصيبة . « يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » من النار إلى الجنة . وقال الحسن : مخرجا مما نهى الله عنه . وقال أبو العاليــة : مخرجًا من كل شدّة . الربيـع ابن خُثَيْم : « يجعـل له مخرجا » من كل شىء ضـاق على الناس . الحسين بن الفضــل : « ومن يتق الله » فى أداء الفرائض ، « يجعل له مخرجا » من العقوبة . ﴿ وَيَرْزُقْهُ ﴾ الثواب

---

(١) راجع جـ ٣ ص ٣٩٤ (٢) راجع جـ ٣ ص ٤٠١

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أى يبارك له فيما آتاه. وقال سهل بن عبد الله: «ومن يتق الله» فى اتّباع السُّنة «يجعل له مخرجا» من عقوبة أهل البِدَع، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب. وقيل: «ومن يتق الله» فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجا بالكفاية. وقال عمر بن عثمان الصّدفى: «ومن يتق الله» فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضِّيق إلى السَّعة، ومن النار إلى الجنة. «ويرزقه من حيث لا يحتسب» من حيث لا يرجو. وقال ابن عُيينة: هو البركة فى الرزق. وقال أبو سعيد الخُدْرِىّ: ومن يبرأ من حَوْله وقُوّته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجا مما كلّفه بالمعونة له. وتأوّل ابن مسعود ومسروق الآية على العموم. وقال أبو ذَرّ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "إنى لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم — ثم تلا — «وَمَن يَتَّقِ اللهَ يجعلْ له مَخْرَجًا. ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»". فما زال يكررها ويعيدها. وقال ابن عباس: قرأ النبىّ صلى الله عليه وسلم «ومن يتقِ الله يجعل له مخرجا. ويرزقه مِن حيث لا يحتسِب» قال: "مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة". وقال أكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبى: أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشْجَعِىّ. روى الكَلْبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: جاء عوف بن مالك الأشجعى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن ابنى أَسَرَه العدوّ وجَزِعت الأم. وعن جابر بن عبد الله: نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنًا له يُسَمَّى سالما، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة وقال: إن العدوّ أسر ابنى وجَزِعت الأم، فما تأمرنى؟ فقال عليه السلام: "اتقِ الله واصبر وآمُرك وإيّاها أن تستكثِرا من قول لا حَوْلَ ولا قُوّة إلا بالله". فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى وإيّاكِ أن نستكثر من قول لا حَوْلَ ولا قُوّة إلا بالله. فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به. فجعلا يقولان، فغفَل العدُوّ عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه، وهى أربعة آلاف شاة. فنزلت الآية، وجعل النبىّ صلى الله عليه وسلم تلك الأغنام له. فى رواية: أنه جاء وقد أصاب إبلًا من العدوّ وكان فقيرا. قال

الكلبي : أصاب خمسين بعيرا . وفى رواية : فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ، ومر فى طريقه بسَرْح لهم فاستاقه . وقال مقاتل : أصاب غنماً ومتاعاً فسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم : أيحلّ لى أن آكل مما أتى به ابنى ؟ قال : " نعم " . ونزلت « وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يجعلْ له مخرجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » . فروى الحسن عن عِمْران بن الحُصَيْن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من انقطع إلى الله كفاه الله كلّ مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسبُ ومن انقطع إلى الدنيا وَكَله الله إليها " . وقال الزجاج : أى إذا اتّقى وآثر الحلال والتصبر على أهله ، فتح الله عليه إن كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب . وعن ابن عباس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب " .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أى من فوّض إليه أمره كفاه ما أهمّه . وقيل : أى من اتقى الله وجانب المعاصى وتوكّل عليه ، فله فيما يعطيه فى الآخرة من ثوابه كفاية . ولم يرد الدنيا ؛ لأن المتوكل قد يصاب فى الدنيا وقد يُقتَل . ﴿ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ قال مسروق : أى قاض[(1)] أمْرَه فيمن توكّل عليه وفيمن لم يتوكل عليه ؛ إلا أن مَن توكّل عليه فيكفّر عنه سيئاته ويُعْظِم له أجرا . وقراءة العامة « بالِغٌ » مُنَوَّناً . « أَمْرَه » نصبًا . وقرأ عاصم « بالِغُ أَمرِهِ » بالإضافة وحذف التنوين استخفافا . وقرأ المفضّل « بالغاً أمْرَه » على أن قوله : « قد جعل الله » خبر « إنّ » و « بالغاً » حال . وقرأ داود بن أبى هند « بالِغٌ أمْرُه » بالتنوين ورفع الراء . قال الفرّاء : أى أمره بالغ . وقيل : « أمره » مرتفع بـ« بالغ » والمفعول محذوف ؛ والتقدير : بالغ أمره ما أراد . ﴿ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴾ أى لكل شىء من الشدّة والرخاء أجلاً ينتهى إليه . وقيل تقديرا . وقال السُّدّى : هو قدر الحيض فى الأجل والعِدّة . وقال عبد الله بن رافع : لما نزل قوله تعالى : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » قال أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم : فنحن إذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه ؛ فنزلت « إن الله بالِغُ أمْرِهِ »

(1) فى الأصول : « يعنى قاض » .

فيكم وعليكم . وقال الربيع بن خُثَيم : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكّل عليه كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجّاه، ومن دعاه أجاب له . وتصديق ذلك فى كتاب الله « وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ »[1] . « وَمَنْ يَتَوكَّلْ على الله فَهُوَ حَسْبُهُ »[2] . «إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ»[3] . «وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ الى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»[4] . «وإِذَا سأَلَكَ عِبادِى عَنِّى فإنِّى قريبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ»[5] .

قوله تعالى : وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ واللّائى يَئِسْنَ مِنَ المحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ فيه سبع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ وَاللّائى يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ ﴾ لما بيّن أمر الطلاق والرّجعة فى التى تحيض، وكانوا قد عرفوا عِدّة ذوات الأقراء، عرّفهم فى هذه السورة عدّة التى لا ترى الدم . وقال أبو عثمان عمر بن سالم : لما نزلت عدّة النساء فى سورة « البقرة » فى المطلقة والمُتوفَّى عنها زوجها قال أُبَىّ بن كعب : يا رسول الله ، إن ناسا يقولون قد بقى من النساء من لم يُذكر فيهن شىء : الصغار والكبار وذوات الحمل ؛ فنزلت «واللائى يَئِسْنَ» الآية . وقال مقاتل : لما ذكر قوله تعالى : « والمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ»[6] قال خَلّاد بن النعمان : يارسول الله ، فما عِدّة التى لم تحِض، وعِدّة التى انقطع حَيْضُها، وعدّة

(١) آية ١١ سورة التغابن . (٢) آية ٣ سورة الطلاق . (٣) آية ١٧ سورة التغابن .
(٤) آية ١٠١ سورة آل عمران . (٥) آية ١٨٦ سورة البقرة . (٦) آية ٢٢٨ سورة البقرة .

الحُبلى؟ فنزلت «وَاللَّائِى يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ» يعنى قَعَدْنَ عِن المحيض . وقيـل : إن معاذ بن جبل سأل عن عدّة الكبيرة التى يئست؛ فنزلت الآية . والله أعلم . وقال مجاهد: الآية واردة فى المستحاضة لا تدرى دَمَ حَيْض هو أو دم عِلة .

الثانيـــة ـــ قوله تعالى : ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ أى شككتم وقيل، تيقّنتم . وهو من الأضداد؛ يكون شكّاً ويقيناً كالظن . واختيار الطبرى أن يكون المعنى : إن شككتم فـلم تدروا ما الحكم فيهنّ . وقال الزجاج : إن ارتبتم فى حيضها وقد ٱنقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها . القشيرىّ : وفى هذا نظر؛ لأنا إذا شككنا هل بلغت سِنّ اليأس لم نقـل عدتها ثلاثة أشهر . والمعتبر فى سن اليأس فى قولٍ أقصى عادة ٱمرأة فى العالم، وفى قولٍ غالب نساء عشيرة المرأة . وقال مجاهد : قوله « إِنِ ٱرْتَبْتُمْ » للخاطبين؛ يعنى إن لم تعلموا كم عدّة اليائسة والتى لم تحض فالعِدّة هذه . وقيـل : المعنى إن ٱرتبتم أن الدم الذى يظهر منها من أجل كِبَر أو من الحيض المعهـود أو من الاستحاضة فالعـدة ثلاثة أشهر . وقال عكرمة وقتادة : من الرِّيبة المرأة المستحاضة التى لا يستقيم لها الحيض؛ تحيض فى أوّل الشهر مراراً وفى الأشهر مرة . وقيل : إنه متصل بأول السورة . والمعنى : لا تخرجوهن من بيوتهن إن ٱرتبتم فى ٱنقضاء العـدّة . وهو أصح ما قيل فيه .

الثالثـــة ـــ المرتابة فى عدّتها لاتنكح حتى تستبرئ نفسها من رِيبتها، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الريبة . وقد قيل فى المرتابة التى ترفعها حيضتها وهى لا تدرى ما ترفعها : إنهـا تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها؛ منها تسعة أشهر استبراء، وثلاثة عدّة . فإن طلقها فحاضت حيضة أو حيضتين ثم ارتفع عنها بغير يأس منها انتظرت تسعة أشهر،ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم حلّت للأزواج . وهذا قاله الشافعى بالعراق . فعلى قياس هذا القول تقيم الحُرّة المُتَوَفَّى عنها زوجها المستبرأة بعد التسعة أشهر أربعةَ أشهر وعشراً، والأَمَةُ شهرين وخمسَ ليال بعد التسعة الأشهر . وروى عن الشافعى أيضا أن أقراءها على ما كانت حتى تبلغ سن اليائسات . وهو قول النَّخَعِىّ والثَّورى وغيرهما، وحكاه أبو عبيد عن أهل العراق . فإن كانت المرأة شابّة وهى :

المسألة الرابعـــة ــ اسْتُؤْنِيَ بها هل هي حامل أم لا؛ فان استبان حملها فإن أجلها وَضْعُه. وإن لم يَسْتَبِن فقال مالك : عِدّة التي ارتفع حيضها وهي شابّة سَنَةٌ . وبه قال أحمد وإسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره . وأهل العراق يَرَوْن أن عدتها ثلاثُ حِيَض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها، وإن مكثت عشرين سنة، إلا أن تبلغ من الكبر مبلغًا تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثةَ أشهر . قال الثعلبي : وهذا الأصح من مذهب الشافعيّ وعليه جمهور العلماء . وروى ذلك عن ابن مسعود وأصحابه . قال الكِيَا : وهو الحق ؛ لأن الله تعالى جعل عدة الآيسة ثلاثة أشهر؛ والمرتابة ليست آيسة .

الخامســـة ــ وأمّا من تأخّر حَيْضها لمرض؛ فقال مالك وابن القاسم وعبدالله بن أصْبَغ : تعتدّ تسعة أشهر ثم ثلاثة . وقال أشهب : هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض أو بالسَّنة . وقد طلّق حَبّان بن مُنْقِذ آمرأته وهي تُرْضع؛ فمكثت سنة لاتحيض لأجل الرضاع، ثم مرِض حَبّان فخاف أن ترثه فخاصمها إلى عثمان وعنده عليّ وزيد، فقالا : نرى أن ترثه؛ لأنها ليست من القواعد ولا من الصغار؛ فمات حَبّان فورِثته واعتدّت عِدّة الوفاة .

السادســـة ــ ولو تأخّر الحيض لغير مرض ولا رضاع فإنها تنتظر سَنة لا حَيْض فيها ، تسعة أشهر ثم ثلاثة؛ على ما ذكرناه . فتحِلّ ما لم تَرْتَب بحَمْل؛ فإن آرتابت بحمل أقامت أربعة أعوام، أو خمسة، أو سبعة؛ على اختلاف الروايات عن علمائنا . ومشهورها خمسة أعوام ؛ فإن تجاوزتها حلّت . وقال أشهب : لا تحلّ أبدا حتى تنقطع عنها الرِّيبة . قال ابن العربي : وهو الصحيح؛ لأنه إذا جاز أن يبقى الولد في بطنها خمســة أعوام جاز أن يبقى عشرة وأكثر من ذلك . وقد رُوى عن مالك مثله .

السابعـــة ــ وأما التي جُهِل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة أقوال : قال ابن المسيب : تعتــدّ سَنة . وهو قول الليث . قال الليث : عِدّة المطلّقة وعدّة المتوفَّى عنها زوجها إذا كانت مستحاضة سَنةٌ . وهو مشهور قول علمائنا ؛ سـواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها ،

ومَيَّزت ذلك أولم تميّزه ، عدّتها فى ذلك كله عند مالك فى تحصيل مذهبه سَنة ؛ منها تسعة أشهر آستبراء وثلاثة عدّة . وقال الشافعى فى أحد أقواله : عدّتها ثلاثة أشهر . وهو قول جماعة من التابعين والمتأخرين من القرويّين . ابن العربىّ : وهو الصحيح عندى . وقال أبوعمر : المستحاضة إذا كان دمها ينفصل فعلمت إقبال حيضتها أو إدبارها اعتدّت ثلاثة قُرُوء . وهذا أصحّ فى النظر ، وأثبت فى القياس والأثر .

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ﴾ ــ يعنى الصغيرة ــ فعدّتهنّ ثلاثة أشهر ؛ فأضمر الخبر . وإنما كانت عدّتها بالأشهر لعدم الأقراء فيها عادة ، والأحكام إنما أجراها الله تعالى على العادات ؛ فهى تعتدّ بالأشهر . فإذا رأت الدم فى زمن احتماله عند النساء انتقلت إلى الدم لوجود الأصل ، وإذا وجد الأصل لم يبق للبدل حكم ؛ كما أن المُسِنّة إذا اعتدّت بالدم ثم ارتفع عادت إلى الأشهر . وهذا إجماع .

قوله تعالى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ فيه مسألتان :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ ﴾ وَضْعُ الحمل ، وإن كان ظاهرا فى المطلّقة لأنه عليها عُطف وإليها رجع عقب الكلام ؛ فإنه فى المتوفّى عنها زوجها كذلك ؛ لعموم الآية وحديث سُبَيْعة . وقد مضى فى « البقرة » القول فيه مستوفًى(١) .

الثانيــة ــ إذا وضعت المرأة ما وضعت من عَلَقة أو مُضْغَة حَلّت . وقال الشافعىّ وأبو حنيفة : لا تحلّ إلا بما يكون ولدًا . وقد مضى القول فيه فى سورة « البقرة » وسورة « الرعد » والحمد لله .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ قال الضحاك : أى من يتّقه فى طلاق السُّنّة يجعل له من أمره يُسْرًا فى الرّجْعة . مُقاتل : ومن يتّق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يُسْراً فى توفيقه للطاعة . ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ أى الذى ذُكر من الأحكام

(١) راجع جـ ٣ ص ١٧٤

أمر الله أنزله إليكم وبيّنه لكم . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ أى يعمل بطاعته . ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ﴾ من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة . ﴿ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ أى فى الآخرة .

قوله تعالى : أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَـٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ قال أشهب عن مالك : يخرج عنها إذا طلّقها ويتركها فى المنزل؛ لقوله تعالى : « أَسْكِنُوهُنَّ » . فلو كان معها ما قال أسكنوهن. وقال ابن نافع : قال مالك فى قول الله تعالى «أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» يعنى المطلّقات اللّاتى بِنّ من أزواجهن فلا رَجْعَة لهم عليهن وليست حاملا؛ فلها السُّكْنَى ولا نفقة لها ولا كسوة؛ لأنها بائن منه، لايتوارثان ولا رجعة له عليها. وإن كانت حاملا فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنقضى عِدّتها . فأما من لم تَبِنْ منهن فإنهن نساؤهم يتوارثون، ولا يخرجن إلا أن يأذن لهن أزواجهن ما كُنّ فى عِدتهن، ولم يؤمروا بالسكنى لهن لأن ذلك لازم لأزواجهن مع نفقتهن وكسوتهن ؛ حوامل كن أو غير حوامل . وإنما أمر الله بالسكنى للّائى بِنّ من أزواجهنّ مع نفقتهن؛ قال الله تعالى: « وإنْ كُنّ أولاتِ حَمْلٍ فأنفِقُوا عليهِنّ حَتّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ » فجعل عز وجل للحوامل اللّائى قد بِنّ من أزواجهنّ السكنى والنفقة . قال ابن العربى : وبَسْطُ ذلك وتحقيقُه أن الله سبحانه لما ذكر السُّكْنَى أطلقها لكل مطلّقة ، فلما ذكر النفقة قيّدها بالحمل ؛ فدلّ على أن المطلقة البائن لا نفقة لها . وهى مسألة عظيمة قد مَهّدنا سُبُلَها قرآنًا وسُنّةً ومعنًى فى مسائل الخلاف . وهذا مأخذها من القرآن .

قلت : اختلف العلماء فى المطلّقة ثلاثا على ثلاثة أقوال؛ فمذهب مالك والشافعى أن لها السكنى ولا نفقة لها . ومذهب أبى حنيفة وأصحابه أن لها السكنى والنفقة . ومذهب أحمد وإسحاق وأبى ثور أن لا نفقة لها ولا سكنى ؛ على حديث فاطمة بنت قيس ، قالت : دخلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى أخو زَوْجى فقلت : إن زوجى طلّقنى وإن هذا يزعم أن ليس لى سكنى ولا نفقة ؟ قال : " بل لكِ السُّكْنَى ولكِ النفقة ". قال : إن زوجها طلقها ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما السكنى والنفقة على من له عليها الرجعة". فلما قدمتُ الكوفة طلبنى الأسود بن يزيد ليسألنى عن ذلك، وإن أصحاب عبد الله يقولون : إن لها السكنى والنفقة . خرّجه الدارقطنى . ولفظ مسلم عنها : أنه طلقها زوجها فى عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكان أنفق عليها نفقةً دُونٍ ؛ فلما رأت ذلك قالت : والله لأُعْلِمَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان لى نفقة أخذت الذى يُصلحنى وإن لم تكن لى نفقة لم آخذ شيئا . قالت : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " لا نفقة لكِ ولا سُكْنَى " . وذكر الدَّارَقُطْنِي عن الأَسْوَد قال : قال عمر لما بلغه قول فاطمة بنت قيس : لا نجيز فى المسلمين قول امرأة . وكان يجعل للطلّقة ثلاثا السكنى والنفقة . وعن الشعبي قال: لَقِيَنِي الأَسْود بن يزيد فقال : ياشَعْبِيّ، اتّق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس ؛ فإن عمر كان يجعل لها السكنى والنفقة . قلت : لا أرجع عن شيء حدّثتنى [به](1) فاطمة بنت قيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : ما أحسن هذا . وقد قال قتادة وابن أبى لَيْلَى : لا سكنى إلا للرجعية ؛ لقوله تعالى: «لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» ، وقوله تعالى: «أَسْكِنُوهُنّ» راجع إلى ما قبله ، وهى المطلقة الرجعية . والله أعلم . ولأن السكنى تابعةٌ للنفقة وجاريةٌ مجراها ؛ فلما لم تجب للمَبْتُوتَة نفقة لم يجب لها سكنى . وحجة أبى حنيفة أن للمبتوتة النفقة قولُه تعالى : «وَلَا تُضَارُّوهُنّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنّ» وترك النفقة من أكبر الأضرار . وفى إنكار عمر على فاطمة

---

(1) زيادة عن سنن الدارقطنى .

قولها مابيّن هذا ، ولأنها معتدّة تستحق السكنى عن طلاق فكانت لها النفقة كالرجعية ، ولأنها محبوسة عليه لحقه فاستحقت النفقة كالزوجة . ودليل مالك قوله تعالى : «وإنْ كُنّ أُولَاتِ حَمْلٍ». الآية . على ما تقدم بيانه . وقد قيل : إن الله تعالى ذكر المطلّقة الرجعيـة وأحكامها أول الآية إلى قوله : « ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ » ثم ذكر بعد ذلك حُكمًا يعم المطلّقات كلّهنّ من تعديد الأشهر وغير ذلك . وهو عام في كل مطلقة ؛ فرجع ما بعد ذلك من الأحكام إلى كل مطلقة .

الثانيـة — قوله تعالى : ﴿ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ أى من سَعتكم ؛ يقال وَجَدْتُ في المال أجِد وُجْدًا [ووَجْدًا ووِجْدًا] وجِدَةً . والوِجْد[1] : الغنى والمقدرة . وقراءة العامة بضم الواو . وقرأ الأعرج والزهريّ بفتحها ، ويعقوب بكسرها . وكلها لغات فيها .

الثالثـة — قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ قال مجاهد : في المسكن . مُقاتل : في النفقة ؛ وهو قول أبى حنيفة . وعن أبى الضحى : هو أن يطلّقها فإذا بقى يومان من عدّتها راجعها ثم طلقها .

الرابعـة — قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلاثا أو أقل منهن حتى تضع حملها . فأما الحامل المُتَوَفَّى عنها زوجها فقال علىّ وآبن عمر وآبن مسعود وشُرَيح والنَّخَعِيّ والشَّعْبِيّ وحَمّاد وآبن أبى لَيْلَى وسُفيان والضّحاك : يُنفق عليها من جميع المال حتى تضع . وقال آبن عباس وآبن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعيّ وأبو حنيفة وأصحابهم[2] : لا ينفق عليها إلا من نصيبها . وقد مضى في « البقرة » بيانه[3] .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ﴾ فيه أربع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ﴾ — يعنى المطلّقات — أولادَكم منهنّ فعلى الآباء أن يعطوهنّ أجرة إرضاعهنّ . وللرجل أن يستأجر آمرأته للرضاع كما يستأجر أجنبيّة .

---

(١) الواو مثلثة . (٢) في نسخة من الأصل : « وأصحابه » . (٣) راجع ج ٣ ص ١٨٥ .

ولا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهنّ ما لم يَبِنّ . ويجوز عند الشافعى . وتقدّم القول فى الرضاع فى « البقرة » و « النساء » مستوفى(1) ولله الحمد .

الثانيــة ــ قوله تعالى : ﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات ؛ أى وليَقبَل بعضكم من بعض ما أمره به من المعروف الجميل . والجميل منها إرضاع الولد من غير أجرة . والجميل منه توفير الأجرة عليها للإرضاع . وقيل : ائتمروا فى رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد إضرار . وقيل : هو الكسوة والدِّثار . وقيل : معناه لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده .

الثالثــة ــ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ ﴾ أى فى أجرة الرضاع فأبَى الزوج أن يعطى الأمّ رضاعها وأبت الأمّ أن ترضعه فليس له إكراهها ؛ وليستأجر مرضعة غير أمّه . وقيل : معناه وإن تضايقتم وتشاكستم فليسترضع لولده غيرها ؛ وهو خبر فى معنى الأمر . وقال الضحاك : إن أبت الأمّ أن تُرضع استأجر لولده أخرى ، فإن لم يقبل أجبرت أمّه على الرضاع بالأجر . وقد اختلف العلماء فيمن يجب عليه رضاع الولد على ثلاثة أقوال : قال علماؤنا : رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية ؛ إلا لشرفها وموضعها فعلى الأب رضاعه يومئذ فى ماله . الثاني ــ قال أبو حنيفة : لا يجب على الأمّ بحال . الثالث ــ يجب عليها فى كل حال .

الرابعــة ــ فإن طلّقها فلا يلزمها رضاعه إلا أن يكون غير قابل ثَدْى غيرها فيلزمها حينئذ الإرضاع . فإن اختلفا فى الأجر فإن دعت إلى أجر مثلها وامتنع الأب إلا تبرُّعًا فالأمّ أولى بأجر المثل إذا لم يجد الأب متبرعا . وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأمّ لتطلب شططًا فالأب أولَى به . فإن أعسر الأب بأجرتها أخذت جبرا برضاع ولدها .

---

(1) راجع جـ ٣ ص ١٦٠ وجـ ٥ ص ١٠٨

قوله تعالى : لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)

فيه أربع مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ لِيُنفِق ﴾ أى لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وُسعه حتى يوسّع عليهما إذا كان مُوَسّعًا عليه . ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك . فتقدّر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفَق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة ؛ فينظر المفتى إلى قدر حاجة المنفَق عليه ثم ينظر إلى حالة المنفِق، فإن احتملت الحالة أمضاها عليه ، فإن اقتصرت حالته على حاجة المنفق عليه ردّها إلى قدر احتماله . وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه وأصحابه : النفقة مقدّرة محدّدة ، ولا اجتهاد لحاكم ولا لمُفْتٍ فيها . وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يُسْره وعُسْره ، ولا يعتبر بحالها وكفايتها . قالوا : فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس . فإن كان الزوج مُوسِرًا لزمه مُدّان ، وإن كان متوسّطًا فمُدّ ونصف ، وإن كان معسرا فمُدّ . واستدلّوا بقوله تعالى: « لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ » الآية . فجعل الاعتبار بالزوج فى اليُسْر والعُسْر دونها ؛ ولأن الاعتبار بكفايتها لا سبيل إلى علمه للحاكم ولا لغيره ؛ فيؤدّى إلى الخصومة ؛ لأن الزوج يدّعى أنها تلتمس فوق كفايتها ، وهى تزعم أن الذى تطلب تطلبه قدر كفايتها . فجعلناها مقدّرة قطعا للخصومة . والأصل فى هذا عندهم قوله تعالى : « لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ » ــ كما ذكرنا ــ ، وقوله : « عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ » . والجواب أن هذه الآية لا تعطى أكثر من فرق بين نفقة الغنى والفقير ، وأنها تختلف بعُسْر الزوج ويُسْره . وهذا مُسَلَّم . فأمّا إنه لا اعتبار بحال الزوجة على وجهه فليس فيه ، وقد قال الله تعالى : « وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ »[1] وذلك يقتضى تعلّق المعروف فى حقهما ؛ لأنه لم يخص فى ذلك واحدا منهما . وليس من

(١) آية ٢٣٣ سورة البقرة .

المعروف أن يكون كفاية الغنيّة مثل نفقة الفقيرة ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهند : "خُذي ما يكفيك وولدك بالمعروف" . فأحالها على الكفاية حين علم السّعة من حال أبي سفيان الواجب عليه بطلبها، ولم يقل لها لا اعتبار بكفايتك وأن الواجب لك شيء مقدر، بل ردّها إلى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يعلقه بمقدار معلوم.ثم ما ذكروه من التحديد يحتاج إلى توقيف، والآية لا تقتضيه .

الثانيــة ــ رُوي أن عمر رضي الله عنــه فرض للنفوس مائة درهم ، وفرض له عثمان خمسين درهما . ابن العربيّ : « واحتمل أن يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين أو بحسب حال القدر في التسعير لثمن القوت والملبس، وقد روى محمد بن هلال المُزَنيّ قال: حدثني أبي وجدّتي أنها كانت تَرِد على عثمان ففقدها فقال لأهله : مالي لا أرى فلانة ؟ فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين، ولدت الليلة؛ فبعث إليها بخمسين درهما وشُقَيْقَة[1] سنبلانية. ثم قال : هذا عطاء ابنك وهذه كسوته، فإذا مَرّت له سنة رفعناه إلى مائة . وقد أُتِيَ عليّ رضي الله عنه بمنبوذ[2] ففرض له مائة . قال ابن العربيّ : «هذا الفرض قبل الفِطام مما اختلف فيه العلماء، فمنهم من رآه مستحبًّا لأنه داخل في حكم الآية، ومنهم من رآه واجبًا لما تجدّد من حاجته وعَرَض من مُؤنته، وبه أقول . ولكن يختلف قدره بحاله عند الولادة وبحاله عند الفطام . وقد روى سفيان بن وهب أن عمر أخذ المُدّ بيد والقِسْط بيد فقال : إني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مُدّيْ حِنْطة وقِسْطَيْ خَلّ وقِسْطَيْ زيت . زاد غيره : وقال إنا قد أجْرَيْنا[3] لكم أعطياتكم وأرزاقكم في كل شهر، فمن انتقصها فعل الله به كذا وكذا؛ فدعا عليه . قال أبو الدَّرْدَاء : كم سُنّة راشدة مَهْدِيّة قد سَنّها عمر رضي الله عنه في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ! والمُدّ والقِسْط كيلان شاميّان في الطعام والإدام، وقد دُرِسَا بعرف آخر.

(١) الشقيقة : تصغير شقة ؛ وهي جنس من الثياب . وقيل هي نصف ثوب . والسنبلاني (من الثياب) : السابغ الطويل الذي قد أسبل . وسنبل ثوبه : إذا أسبله وجره من خلفه أو أمامه .

(٢) المنبوذ : اللقيط ؛ وسمي اللقيط منبوذا لأن أمه رمته على الطريق . (٣) في ابن العربي : «أجزنا» .

فأما المُدّ فدُرس إلى الكَيْلَجة . وأما القِسط فدُرس إلى الكيل ، ولكن التقدير فيه عندنا رُبعان في الطعام وثُمنان في الإدام . وأما الكسوة فبقدر العادة قميصٌ وسراويل وجُبّة في الشتاء وكساء وإزار وحصير . وهذا الأصل ، ويتزيد بحسب الأحوال والعادة » .

الثالثة — هذه الآية أصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الأم ؛ خلافا لمحمد بن المَوّاز يقول : إنها على الأبوين على قدر الميراث . ابن العربي : ولعل محمدا أراد أنها على الأم عند عدم الأب . وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم : " تقول لك المرأة أنفق عليّ وإلا فطلقني ويقول لك العبد أنفق عليّ واستعملني ويقول لك ولدك أنفق عليّ إلى مَن تَكِلُني " فقد تعاضد القرآن والسُّنّة وتواردا في شِرْعة واحدة .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ أي لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني . ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ أي بعد الضيق غِنًى ، وبعد الشدة سَعَة .

قوله تعالى : وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ ﴾ لما ذكر الأحكام ذكر وحذر مخالفة الأمر ، وذكر عُتُوّ قوم وحلولَ العذاب بهم . وقد مضى القول فى « كأين » فى « آل عمران »[1] والحمد لله . ﴿ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا ﴾ أى عَصَت ؛ يعنى القرية والمراد أهلها . ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴾ أى جازيناها بالعذاب فى الدنيا . ﴿ وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾ فى الآخرة . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ؛ فعذّبناها عذاباً نُكْراً فى الدنيا بالجوع والقحْط والسيف والخَسْف والمَسْخ وسائر المصائب ، وحاسبناها فى الآخرة حساباً شديدا . والنُّكْر : المنكر . وقُرِئَ مُخَفَّفًا ومُثَقَّلًا ؛ وقد مضى فى سورة « الكهف »[2] . ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ أى عاقبة كفرها . ﴿ وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ أى هلاكاً فى الدنيا بما ذكرنا ، والآخرة بجهنم . وجيء بلفظ الماضى كقوله تعالى : « وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ »[3] ونحو ذلك ؛ لأن المنتظر من وعد الله ووعيده ملقًّى فى الحقيقة ؛ وما هو كائن فكأن قد . ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ بيّن ذلك الخُسْر وأنه عذاب جهنم فى الآخرة . ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أى العقول . ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بدل من « أولى الألباب » أو نعت لهم ؛ أى يا أولى الألباب الذين آمنتم بالله اتقوا الله الذى أنزل عليكم القرآن ؛ أى خافوه واعملوا بطاعته وانتهُوا عن معاصيه . وقد تقدم . ﴿ رَسُولًا ﴾ قال الزجاج : إنزال الذكر دليل على إضمار أرسل ؛ أى أنزل إليكم قرآنا وأرسل رسولا . وقيل : إن المعنى قد أنزل الله اليكم صاحب ذكر رسولا ؛ فـ « رسولا » نعت للذكر على تقدير حذف المضاف . وقيل : إن رسولا معمول للذكر لأنه مصدر ؛ والتقدير : قد أنزل الله إليكم أن ذكر رسولا . ويكون ذكره الرسول قوله : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » . ويجوز أن يكون « رسولا » بدلا من ذكر ؛ على أن يكون « رسولا » بمعنى رسالة ، أو على أن يكون على بابه ويكون محمولا على المعنى ؛ كأنه قال : قد أظهر الله لكم ذكرا رسولا ؛ فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو . ويجوز أن ينتصب « رسولا » على الإغراء كأنه قال : اتبعوا رسولا . وقيل : الذكر هنا الشرف ؛ نحو قوله تعالى : « لَقَدْ

---

(١) راجع جـ ٤ ص ٢٢٨ (٢) يلاحظ أن الذى مضى هو فى سورة « القمر » لا فى سورة الكهف . راجع جـ ١٧ ص ١٢٩ (٣) آية ٤٤ سورة الأعراف .

أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ[(١)] » ، وقوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ[(٢)] » ؛ ثم بيّن هذا الشرف فقال : « رسولا » . والأكثر على أن المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقال الكلبيّ : هو جبريل؛ فيكونان جميعا منزلين . ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ نعت لرسول . و « آيات الله » القرآن . ﴿ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ قراءة العامة بفتح الياء . أى بيّنها الله . وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بكسرها ؛ أى يبيّن لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام . والأولى قراءة ابن عباس واختيار أبى عبيد وأبى حاتم ؛ لقوله تعالى : « قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ » . ﴿ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ أى من سبق له ذلك فى علم الله . ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ ﴾ أى من الكفر . ﴿ إِلَى النُّورِ ﴾ الهُدَى والإيمان . قال ابن عباس : نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب . وأضاف الإخراج إلى الرسول لأن الإيمان يحصل منه بطاعته .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ . قرأ نافع وابن عامر بالنون ، والباقون بالياء . ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ أى وسّع الله له فى الجنات .

قوله تعالى : ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ دلّ على كمال قدرته وأنه يقدر على البعث والمحاسبة . ولا خلاف فى السموات أنها سبع بعضها فوق بعض ؛ دلّ على ذلك حديثُ الإسراء[(٣)] وغيره . ثم قال : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ يعنى سبعاً . واختلف فيهنّ على قولين : أحدهما — وهو قول الجمهور — أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض ،

---

(١) آية ١٠ سورة الأنبياء . (٢) آية ٤٤ سورة الزخرف . (٣) راجع جـ ١٠ ص ٢٠٥ .

بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء ، وفى كل أرض سكان من خلق الله .
وقال الضحاك : « وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ » أى سبعًا من الأرضين ، ولكنها مطبقة بعضها
على بعض من غير فتوق بخلاف السموات . والأول أصح ؛ لأن الأخبار دالة عليه فى الترمذى
والنسائى وغيرهما . وقد مضى ذلك مبيّنًا فى « البقرة »[1] . وقد خرج أبو نعيم قال : حدّثنا محمد
ابن على بن حُبيش قال : حدّثنا إسماعيل بن إسحاق السراج ، (ح)[2] وحدّثنا أبو محمد بن حبان[3]
قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن ناجية قال : حدّثنا سُويد بن سعيد قال حدّثنا حفص
ابن ميسرة عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه أن كعبا حلف له بالذى
فلق البحر لموسى أن صُهَيْبًا حدّثه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يَرَ قرية يريد دخولها إلا قال
حين يراها : " اللَّهُمَّ رَبَّ السموات السبع وما أَظْلَلْنَ ورَبَّ الأَرَضين السبع وما أَقْلَلْنَ وربّ
الشياطين وما أَضْلَلْنَ وربّ الرياح وما أَذْرَيْنَ إنا نسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها ونعوذ بك
من شرها وشر أهلها وشر ما فيها " . قال أبو نعيم : هذا حديث ثابت من حديث موسى بن
عقبة تفرد به عن عطاء . روى عنه ابن أبى الزناد وغيرُه . وفى صحيح مسلم عن سعيد بن
زيد قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : " من أخذ شِبْرًا من الأرض ظُلْمًا فإنه
يُطَوَّقه يوم القيامة من سبع أَرَضين " . ومثله حديث عائشة ، وأبين منهما حديث أبى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يأخذ أحدٌ شِبْرًا من الأرض بغير حقّه إلا طَوّقه
الله إلى سبع أرضين يوم القيامة " . قال الماوَرْدى : وعلى أنها سبع[4] أرضين بعضها فوق
بعض تختص دعوةُ أهل الإسلام بأهل الأرض العليا ، ولا تلزم من فى غيرها من الأرضين
وإن كان فيها من يعقل من خلق مميِّز . وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها
قولان : أحدهما ــ أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدّون الضياء
منها . وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة . والقول الثانى ــ أنهم لا يشاهدون السماء ،

---

(١) راجع ج ١ ص ٢٥٨ . (٢) جرت عادة المحدثين أنه إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر ، كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى إسناد « ح » وهى حاء مهملة مفردة . (راجع مقدمة النووى على صحيح مسلم) .
(٣) فى بعض نسخ الأصل : « وحدّثنا محمد ... » . (٤) فى الأصول : « فيمن » .

وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يستمدونه . وهذا قول من جعل الأرض كالكُرَة .
وفي الآية قول ثالث حكاه الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين منبسطة ؛ ليس بعضها فوق بعض ، تفرّق بينها البحار وتُظلّ جميعَهم السماءُ . فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل الأرض وصول إلى أرض أخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض ، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم ؛ لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عمّ حكمه ، واحتمل ألا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ، ولكان صلى الله عليه وسلم بها مأمورا . والله أعلم ما استأثر بعلمه ، وصواب ما اشتبه على خلقه . ثم قال : ﴿ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ قال مجاهد : يتنزل الأمر من السموات السبع إلى الأرضين السبع . وقال الحسن : بين كل سماءين أرضٌ وأمر . والأمر هنا الوَحْيُ ؛ في قول مُقاتل وغيره . وعليه فيكون قوله « بينهنّ » إشارة إلى بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها . وقيل : الأمر القضاء والقدر . وهو قول الأكثرين . فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى : « بينهنّ » إشارة إلى ما بين الأرض السُّفْلَى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها . وقيل : « يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ » بحياة بعض وموت بعض وغِنَى قوم وفَقْر قوم . وقيل : هو ما يُدَبِّر فيهنّ من عجيب تدبيره ؛ فينزل المطر ويُخرج النبات ويأتي بالليل والنهار ، والصيف والشتاء ، ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها ؛ فينقلهم من حال إلى حال . قال ابن كَيْسان : وهذا على مجال اللغة واتساعها ؛ كما يقال للموت : أَمْرُ الله ؛ وللريح والسحاب ونحوها . ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يعني أن مَن قدر على هذا المُلْك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر ، ومن العفو والانتقام أمكن ؛ وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومُكْنته[1] . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته . ونصب « عِلْمًا » على المصدر المؤكّد ؛ لأن «أحاط» بمعنى علم . وقيل : بمعنى وأن الله أحاط إحاطةً عِلْمًا .

(١) قوله : « ومكنته » يريد « وإمكانه » ولم ترد في كتب اللغة .

سورة التحريم

مَدَنِيَّةٌ في قول الجميع . وهي اثنتا عشرة آية . وتسمى سورة « النبي »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ فيه خمس مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ثبت فى صحيح مُسْلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عَسَلاً ؛ قالت : فتواطأتُ أنا وحَفْصةُ أنّ أيّتنا مادخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلتقل : إنى أجد منك ريح مَغَافِير(١) ! أَكَلْتَ مَغَافِير ! ؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك . فقال : "بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له". فنزل «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ــ الى قوله ــ إِنْ تَتُوبَا » (لعائشة وحفصة) ؛ « وإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا » لقوله : " بل شربتُ عسلاً " . وعنها أيضا قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحَلْواء والعسل ، فكان إذا صلّى العصر دار على نسائه فيَدْنُو منهنّ ؛ فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ؛ فسألتُ عن ذلك فقيل لى : أهدت لها امرأةٌ من قومها عُكّةً من عسل ، فسقتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منه شَرْبةً . فقلت : أَمَا والله لَنَحْتالَنّ له ، فذكرتُ ذلك لسَوْدَة وقلت : إذا دخل عليك فإنه سيَدْنو منك فقولى له : يارسول الله ، أَكَلْتَ مَغَافِير ؟ فإنه سيقول لكِ لا . فقولى [له] : ما هذه الريح ؟ ــ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتدّ عليه أن يوجد منه الريح ــ فإنه

(١) سيذكر المؤلف رحمه الله معنى هذه الكلمة والكلمات الآتية فى هذا الحديث .

سيقول لك سَقَتْنِي حَفْصَةُ شربةَ عسلٍ . فقولي له : جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُطَ . وسأقول ذلك له ، وقوليه أنتِ ياصفية . فلما دخل على سَوْدَة — قالت — : تقول سَوْدَةُ والله الذى لا إله إلا هو لقد كِدْتُ أن أبادئه بالذى قلتِ لى ، وإنه لعلى الباب ، فَرَقًا[1] منكِ . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يارسول الله ، أكلتَ مَغَافير ؟ قال : "لا" قالت : فما هذه الريح ؟ قال : "سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبةَ عسلٍ" قالت : جَرَسَتْ نَحْلُه العُرْفُطَ . فلما دخل علىّ قلت له مثل ذلك ، ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك . فلما دخل على حَفْصَة قالت : يارسول الله ، ألا أسقيك منه . قال : "لاحاجة لى به" قالت : تقول سَوْدَة سبحان الله ! [والله] لقد حَرَمناه[2] . قالت : قلت لها اسكتى . ففى هذه الرواية أن التى شرب عندها العسل حفصة . وفى الأولى زينب . وروى ابن أبى مُلَيكة عن ابن عباس أنه شربه عند سودة . وقد قيل : إنما هى أم سلمة ؛ رواه أسباط عن السُّدّىّ . وقاله عطاء بن أبى مسلم . ابن العربى : وهذا كله جهل أو تصور بغير علم . فقال باقى نسائه حَسَدًا وغَيْرَةً لمن شرب ذلك عندها : إنا لنجد منك ريح المغافير . والمغافير : بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة ، فيها حلاوة ، واحدها مَغْفُور . وجَرَست : أكلت . والعُرْفُط : نبت له ريح كريح الخمر . وكان عليه السلام يُعجبه أن يوجد منه الريح الطيبة أو يجدها ، ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملَك . فهذا قول . وقول آخر — أنه أراد بذلك المرأة التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها لأجل أزواجه ؛ قاله ابن عباس وعِكْرمة . والمرأة أم شريك . وقول ثالث — إن التى حرم مارية القبطية ، وكان قد أهداها له المُقَوْقِس ملك الإسكندرية . قال ابن إسحاق : هى من كُورة أَنْصِنا[3] من بلد يقال له حَفْن فواقعها فى بيت حفصة . وروى الدارقطنىّ عن ابن عباس عن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ولده مارية فى بيت حفصة ، فوجدته حفصة معها — وكانت حفصة غابت الى بيت أبيها — فقالت له : تُدخلها بيتى !

---

(١) قولها : « أن أبادئه » ، أى أبدؤه وأناديه وهو لدى الباب لم يدن منى بعد بالكلام الذى علمتنيه ، و « فرقا » أى خوفا من لومك . (٢) أى منعناه شربة عسل . (٣) أنصنا (بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة والنون ، مقصور) : مدينة من نواحى الصعيد على شرق النيل .

ماصنعتَ بي هذا من بين نسائك إلا من هَوَاني عليك . فقال لها : "لا تَذْكُرِي هذا لعائشة فهي عليّ حرام إن قَرُبْتُها" قالت حفصة : وكيف تحرّم عليك وهي جاريتك ؟ فحلف لها ألا يَقْرَبها . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "لا تذكريه لأحد" . فذكرته لعائشة، فآلى لا يدخل على نسائه شهرا ، فاعتزلهنّ تسعا وعشرين ليلة ؛ فأنزل الله عزّ وجل « لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ » الآية .

الثانيـــة ـــ أصحّ هـذه الأقوال أولها . وأضعفها أوسطها . قال ابن العربيّ : « أما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته ، وأما ضعفه في معناه فلأن ردّ النبيّ صلى الله عليه وسلم للموهوبة ليس تحريما لها ؛ لأن من ردّ ما وُهب له لم يَحْرُم عليه ، إنما حقيقة التحريم بعد التحليل . وأما من روى أنه حرّم مارية القبطية فهو أمثل في السند وأقرب الى المعنى ؛ لكنه لم يدوّن في الصحيح . وروى مرسلا . وقد روى ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم فقال : "أنتِ عليّ حرام والله لا آتينّك". فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» . وروى مثله ابن القاسم عنه . وروى أشهب عن مالك قال : راجعتْ عمرَ امرأةٌ من الأنصار في شيء فاقشعرّ من ذلك وقال : ما كان النساء هكذا ! قالت : بلى ،وقد كان أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم يراجعنه . فأخذ ثوبه فخرج إلى حَفْصة فقال لها : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، ولو أعلم أنك تكره ما فعلت . فلما بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجر نساءه قال : رَغِمَ أنفُ حفصة . وإنما الصحيح أنه كان في العسل وأنه شربه عند زينب ، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه ، فجرى ما جرى فحلف ألا يشربه وأسرّ ذلك . ونزلت الآية في الجميع .

الثالثـــة ـــ قوله تعالى : ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ إن كان النبيّ صلى الله عليه وسلم حرم ولم يحلف فليس ذلك بيمين عندنا . ولا يحرّم قولُ الرجل : «هذا عليّ حرام» شيئا حاشا الزوجة . وقال أبو حنيفة : إذا أطلق حُمِل على المأكول والمشروب دون الملبوس ، وكانت يمينًا توجب

الكفارة . وقال زُفَر : هو يمين فى الكل حتى فى الحركة والسكون . وعوّل المخالف على أن النبيّ صلى الله عليه وسلم حرّم العسل فلزمته الكفارة . وقد قال الله تعالى : « قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ » فسمّاه يمينًا . ودليلنا قول الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا »[1] ، وقوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ »[2] . فذمّ الله المحرِّم للحلال ولم يوجب عليه كفارة . قال الزجاج : ليس لأحد أن يحرّم ما أحل الله . ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يحرّم إلا ما حرّم الله عليه . فمن قال لزوجته أو أَمَته : أنتِ علىّ حرام ؛ ولم ينْوِ طلاقًا ولا ظهارًا فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين . ولو خاطب بهذا اللفظ جمعا من الزوجات والإماء فعليه كفارة واحدة . ولو حرّم على نفسه طعاما أو شيئا آخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعىّ ومالك . وتجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثورىّ وأبى حنيفة .

الرابعة — واختلف العلماء فى الرجل يقول لزوجته : « أنت علىّ حرام » على ثمانية عشر قولا :

أحدها — لا شىء عليه . وبه قال الشعبىّ ومسروق وربيعة وأبو سلمة وأَصْبَغ . وهو عندهم كتحريم الماء والطعام ؛ قال الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ »[3] والزوجة من الطيبات ومما أحلّ الله . وقال تعالى : « وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ »[4] . وما لم يحرّمه الله فليس لأحد أن يحرّمه ، ولا أن يصير بتحريمه حراماً . ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أحلّه الله هو علىّ حرام . وإنما امتنع من مارية ليمين تقدّمت منه وهو قوله : "والله لا أقربها بعد اليوم" فقيل له : لم تحرّم ما أحلّ الله لك ؛ أى لِمَ تمتنع منه بسبب اليمين . يعنى أقدم عليه وكفّر .

---

(١) آية ٨٧ سورة المائدة . (٢) آية ٥٩ سورة يونس .
(٣) آية ٨٧ سورة المائدة . (٤) آية ١١٦ سورة النحل .

وثانيها ــ أنها يمين يكفرها ؛ قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعائشة ــ رضي الله عنهم ــ والأوزاعيّ ؛ وهو مقتضى الاية . قال سعيد بن جُبير عن ابن عباس : إذا حرّم الرجل عليه امرأته فإنما هي يمين يكفّرها . وقال ابن عباس : لقد كان لكم في رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنة ؛ يعني أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان حرّم جاريته فقال الله تعالى : «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ ــ إلى قوله تعالى ــ قَدْ فَرَضَ اللّٰهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» فكفّر عن يمينه وصيّر الحرام يمينًا . خرّجه الدَّارَقُطْنِيّ .

وثالثها ــ أنها تجب فيها كفارة وليست بيمين ؛ قاله ابن مسعود وابن عباس أيضا في إحدى روايتيه ، والشافعي في أحد قوليه ، وفي هذا القول نظر . والآية تردّه على ما يأتي .

ورابعها ــ هي ظهار ؛ ففيها كفارة الظِّهار ؛ قاله عثمان وأحمد بن حنبل وإسحاق .

وخامسها ــ أنه إن نوى الظِّهار وهو ينوي أنها محرّمة كتحريم ظَهْر أمّه كان ظهارا . وإن نوى تحريم عَيْنها عليه بغير طلاق تحريمًا مطلقا وجبت كفّارة يمين . وإن لم ينو شيئا فعليه كفارة يمين ؛ قاله الشافعي .

وسادسها ــ أنها طلقة رجعية ؛ قاله عمر بن الخطاب والزُّهْريّ وعبدالعزيز بن أبي سلمة وابن الماجِشُون .

وسابعها ــ أنها طلقة بائنة ؛ قاله حماد بن أبي سليمان وزيد بن ثابت . ورواه ابن خُوَيْزِمَنْدَاد عن مالك .

وثامنها ــ أنها ثلاث تطليقات ؛ قاله علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت أيضا وأبو هريرة .

وتاسعها ــ هي في المدخول بها ثلاث ، وينوي في غير المدخول بها ؛ قاله الحسن وعلي ابن زيد والحكم . وهو مشهور مذهب مالك .

وعاشرها ــ هي ثلاث ؛ ولا ينوي بحال ولا في محل وإن لم يَدْخل[1] ؛ قاله عبد الملك في المبسوط ، وبه قال ابن أبي لَيْلَى .

(١) كلمة «وإن لم يدخل» ليست في ابن العربي . وعبارة البحر لأبي حيان (جـ ٨ ص ٢٨٩) : «هي ثلاث في الوجهين ولا ينوي في شيء» . ونسبه أيضا لعبد الملك الماجشون وابن أبي ليلى .

وحادى عشرها — هى فى التى لم يدخل بها واحدة، وفى التى دخل بها ثلاث؛ قاله أبو مصعب ومحمد بن عبد الحكم[1].

وثانى عشرها — أنه إن نوى الطلاق أو الظِّهار كان ما نَوَى. فإن نَوَى الطلاق فواحدة بائنة إلا أن ينوى ثلاثا. فإن نوى ثنتين فواحدة. فإن لم ينو شيئا كانت يمينا وكان الرجل مُولِيًا من امرأته؛ قاله أبو حنيفة وأصحابه. وبمثله قال زُفَر؛ إلا أنه قال: إذا نوى اثنتين ألزمناه.

وثالث عشرها — أنه لا تنفعه نِيّة الظِّهار وإنما يكون طلاقًا؛ قاله ابن القاسم.

ورابع عشرها — قال يحيى بن عمر: يكون طلاقا؛ فإن ارتجعها لم يجز له وَطْؤُها حتى يكفّر كفّارةَ الظِّهار.

وخامس عشرها — إن نوى الطلاق فما أراد من أعداده. وإن نوى واحدة فهى رجعية. وهو قول الشافعى رضى الله عنه. وروى مثله عن أبى بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين.

وسادس عشرها — إن نوى ثلاثا فثلاثًا، وإن واحدة فواحدةٌ. وإن نوى يمينًا فهى يمين. وإن لم ينو شيئا فلا شىء عليه. وهو قول سفيان. وبمثله قال الاوزاعىّ وأبو ثَوْر؛ إلا أنهما قالا: إن لم ينو شيئا فهى واحدة.

وسابع عشرها — له نِيّتُه ولا يكون أقل من واحدة؛ قاله ابن شهاب. وإن لم ينو شيئا لم يكن شىء؛ قاله ابن العربى. ورأيت لسعيد بن جُبير وهو:

الثامن عشر — أن عليه عِتْق رَقَبة وإن لم يجعلها ظِهارًا. ولست أعلم لها وجهاً ولا يبعد[2] فى المقالات عندى.

قلت: قد ذكره الدّارَقُطْنِى فى سننه عن ابن عباس فقال: حدّثنا الحسين بن إسماعيل قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا رَوْح قال: حدثنا سُفْيان الثَّوْرِى عن سالم الأفطس

---

(١) فى بعض الأصول: «محمد بن الحكم». (٢) فى ابن العربى: «ولا يتعدد».

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال: إنى جعلت امرأتى علىّ حراماً. فقال: كذبت! ليست عليك بحرام؛ ثم تلا «يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» عليك أغلظ الكفارات: عِتْقُ رَقَبة. وقد قال جماعة من أهل التفسير: إنه لما نزلت هذه الآية كفّر عن يمينه بعتق رقبة، وعاد إلى مارية صلى الله عليه وسلم؛ قاله زيد بن أسلم وغيره.

الخامسة ــ قال علماؤنا: سبب الاختلاف فى هذا الباب أنه ليس فى كتاب الله ولا فى سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصٌّ ولا ظاهرٌ صحيحٌ يُعتمد عليه فى هذه المسألة، فتجاذبها العلماء لذلك. فمن تمسّك بالبراءة الأصلية فقال: لا حكم، فلا يلزم بها شىء. وأما من قال إنها يمين؛ فقال: سمّاها الله يمينًا. وأما من قال: تجب فيها كفارة وليست بيمين؛ فبناه على أحد أمرين: أحدهما ــ أنه ظن أن الله تعالى أوجب الكفارة فيها وإن[1] لم تكن يمينا. والثانى ــ أن معنى اليمين عنده التحريم؛ فوقعت الكفارة على المعنى. وأما من قال: إنها طلقة رجعية؛ فإنه حمل اللفظ على أقلّ وجوهه، والرجعية محرِّمة الوطء كذلك؛ فيحمل اللفظ عليه. وهذا يلزم مالكا؛ لقوله: إن الرجعية محرِّمة الوطء. وكذلك وجه من قال: إنها ثلاث؛ حمله على أكبر معناه وهو الطلاق الثلاث. وأما من قال: إنه ظهار؛ فلأنه أقلّ درجات التحريم؛ فإنه تحريم لا يرفع النكاح. وأما من قال: إنه طلقة بائنة؛ فعوّل على أن الطلاق الرجعىّ لا يحرّم المطلقة، وأن الطلاق البائن يحرّمها. وأما قول يحيى بن عمر فإنه احتاط بأن جعله طلاقا، فلما ارتجعها احتاط بأن يلزمه الكفّارة. ابن العربى: «وهذا لا يصح؛ لأنه جمع بين المتضادين؛ فإنه لا يجتمع ظِهار وطلاق فى معنى لفظ واحد، فلا وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه فى الدليل. وأما من قال: إنه يُنَوَّى فى التى لم يدخل بها؛ فلأن الواحد تُبينُها وتحرّمها شرعًا إجماعا. وكذلك قال من لم يحكم باعتبار نيّته: إن الواحدة تكفى قبل الدخول فى التحريم بالإجماع؛ فيكفى أخذًا بالأقل المتفق عليه. وأما من قال: إنه ثلاث فيهما؛ فلأنه أخذ بالحكم الأعظم؛ فإنه لو صرح بالثلاث لنفذت فى التى لم يدخل بها

(١) فى ابن العربى: «ولم تكن».

نفوذها فى التى دخل بها . ومن الواجب أن يكون المعنى مثله وهو التحريم » . والله أعلم .
وهذا كله فى الزوجة . وأما فى الأَمَة فلا يلزم فيها شى من ذلك ؛ إلا أن ينوى به العتق عند مالك . وذهب عامة العلماء إلى أن عليه كفارة يمين . ابن العربى : « والصحيح أنها طلقة واحدة؛ لأنه لو ذكر الطلاق لكان أقله وهو الواحدة إلا أن يعدده . كذلك إذا ذكر التحريم يكون أقلّه إلا أن يقيّده بالأكثر؛ مثل أن يقول : أنت علىّ حرام إلا بعد زوج ؛ فهذا نص على المراد .

قلت : أكثر المفسرين على أن الآية نزلت فى حفصة لما خلا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى بيتها بجاريته ؛ ذكره الثعلبىّ . وعلى هذا فكأنه قال : لا يَحْرُم عليك ما حرّمته على نفسك ولكن عليك كفارة يمين ؛ وإن كان فى تحريم العسل والجارية أيضا . فكأنه قال : لم يَحْرُم عليك ما حرّمته ، ولكن ضَمَمْتَ إلى التحريم يمينًا فكفّر عن اليمين . وهذا صحيح ؛ فإن النبىّ صلى الله عليه وسلم حَرّم ثم حلف ؛ كما ذكره الدّارَقُطْنِىّ . وذكر البخارِىّ معناه فى قصة العَسَل عن عُبيد ابن عُمير عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عند زينب بنت جَحْش عسلًا ويمكث عندها ، فتواطأتُ أنا وحفصة على أيّتنا دخل عليها فلتقُلْ : أكلتَ مَغَافير ؟ إنى لأجد منك ريح مَغَافير ! قال : " لا ولكن شربتُ عسلا ولن أعود له وقد حلفت لا تخبرى [بذلك] أحدا " . يبتغى مرضات أزواجه . فيعنى بقوله : " ولن أعود له " على جهة التحريم . وبقوله : " حلفت " أى بالله؛ بدليل أن الله تعالى أنزل عليه عند ذلك معاتبته على ذلك ، وحوالته على كفارة اليمين بقوله تعالى : « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ » يعنى العسل المحرّم بقوله : " لن أعود له " . ﴿ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ أى تفعل ذلك طلبًا لرضاهن . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ غفور لما أوجب المعاتبة ، رحيم برفع المؤاخذة . وقد قيل : إن ذلك كان ذنبا من الصغائر ، والصحيح أنه معاتبة على ترك الأولى ، وأنّه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ تحليل اليمين كفّارتها ، أى إذا أحببتم استباحة المحلوف عليه؛ وهو قوله تعالى فى سورة « المائدة » : « فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ » [1] . ويتحصّل من هذا أن من حرّم شيئا من المأكول والمشروب لم يَحْرُم عليه عندنا ؛ لأن الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيّناه . وأبو حنيفة يراه يمينًا فى كل شىء ، ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرّمه ، فإذا حرّم طعاما فقد حلف على أكله ، أو أَمَةً فعلى وطئها ، أو زوجةً فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية ، وإن نوى الظِّهار فظِهارٌ ، وإن نوى الطلاق فطلاق بائن . وكذلك إن نوى ثنتين أو ثلاثا . وإن قال : نوَيت الكذب دِين فيما بينه وبين الله تعالى . ولا يدين فى القضاء بإبطال الإيلاء . وإن قال : كل حلال عليه حرام ؛ فعلى الطعام والشراب إذا لم ينو ؛ وإلا فعلى ما نَوَى . ولا يراه الشافعى يمينا ولكن سببا فى الكفارة [فى النساء [2]] وحدهن . وإن نوى الطلاق فهو رجعى عنده؛ على ما تقدّم بيانه . فإن حلف ألا يأكله حنث ويَبَرّ بالكفارة .

الثانيــة ــ فإن حرّم أَمَته أو زوجته فكفّارة يمين ؛ كما فى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : إذا حرّم الرجل عليه امرأته؛ فهى يمين يكفّرها . وقال : لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَة .

الثالثــة ــ قيــل : إن النبىّ صلى الله عليه وسلم كفّر عن يمينه . وعن الحسن : لم يكفّر؛ لأن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ؛ وكفارة اليمين فى هذه السورة إنما أمر بها الأمّة . والأوّل أصح، وأن المراد بذلك النبىّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) آية ٨٩ (٢) زيادة عن الكشاف يقتضيها السياق .

ثم إن الأمة تقتدى به فى ذلك . وقد قدمنا عن زيد بن أسلم أنه عليه السلام كفّر بعتق رقبة . وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية . والله أعلم . وقيل : أى قد فرض الله لكم تحليل مِلك اليمين ؛ فبيّن فى قوله تعالى : « مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ »(١) أى فيما شرعه له فى النساء المحلّلات . أى حلّل لكم مِلك الأيمان، فلِمَ تحرّم مارية على نفسك مع تحليل الله إيّاها لك . وقيل : تَحِلّة اليمين الاستثناء ؛ أى فرض الله لكم الاستثناء المخرج عن اليمين . ثم عند قوم يجوز الاستثناء من الأيمان متى شاء وإن تخلّل مدّة . وعند المُعْظَم لا يجوز إلا متصلا ؛ فكأنه قال : استثن بعد هذا فيما تحلف عليه . وتَحِلّة اليمين تحليلُها بالكفارة ؛ والأصل تحللة ، فأدغمت . وتفعلة من مصادر فعّل ؛ كالتسمية والتوصية . فالتَّحِلّة تحليل اليمين . فكأن اليمين عَقْد والكفارة حلّ . وقيل : التَّحِلّة الكفّارة ؛ أى إنها تُحِلّ للحالف ما حَرّم على نفسه ؛ أى إذا كَفّر صار كمن لم يحلف . ﴿ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ وَلِيّكم وناصركم بإزالة الحظر فيما تحرّمونه على أنفسكم ، وبالترخيص لكم فى تحليل أيمانكم بالكفارة ، وبالثواب على ما تخرجونه فى الكفارة .

قوله تعالى : وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ أى واذكر إذ أسرّ النبيّ إلى حفصة « حديثًا » يعنى تحريم مارية على نفسه واستكتامه إياها ذلك . وقال الكلبي : أسرّ إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتيّ على أمتى من بعدى ؛ وقاله ابن عباس . قال : أسرّ أمر الخلافة بعده إلى حفصة فذكرته حفصة . روى الدّارَقُطْنيّ فى سُننه عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِي إِلَى بَعْضِ

(١) آية ٣٨ سورة الأحزاب .

أزواجه حديثا » قال : ٱطّلعت حفصة على النبيّ صلى الله عليه وسلم مع أم إبراهيم فقال : "لا تخبري عائشة" وقال لها "إن أباك وأباها سيملكان أو سيليان بعدي فلا تخبري عائشة". قال : فانطلقت حفصة فأخبرت عائشة فأظهره الله عليه، فعرّف بعضه وأعرض عن بعض. قال أعرض عن قوله : "إن أباك وأباها يكونان بعدي". كره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينشر ذلك في الناس . ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ﴾ أي أخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما، وكانتا متظاهرتين على نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أي أطلعه الله على أنها قد نبّأت به . وقرأ طلحة بن مُصَرِّف «فلما أنبأت» وهما لغتان : أنبأ ونبّأ . ومعنى « عَرّف بعضه وأعرض عن بعض » عرّف حفصة بعض ما أوحى إليه من أنها أخبرت عائشة بما نهاها عن أن تخبرها، وأعرض عن بعض تكرّماً؛ قاله السُّدّي . وقال الحسن : ما ٱستقصى كريمٌ قطّ؛ قال الله تعالى «عَرّف بعضه وأعرض عن بعض» . وقال مُقاتل : يعني أخبرها ببعض ما قالت لعائشة، وهو حديث أم ولده . ولم يخبرها ببعض وهو قول حفصة لعائشة : إن أبا بكر وعمر سيملكان بعده . وقراءة العامة « عَرّف » مشدّدا، ومعناه ما ذكرناه . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ يدل عليه قوله تعالى : « وأَعْرَضَ عن بعض» أي لم يعرّفها إياه . ولو كانت مخففة لقال في ضدّه وأنكر بعضا . وقرأ عليّ وطلحة بن مُصَرّف وأبو عبد الرحمن السُّلَميّ والحسن وقتادة والكلبي والكسائي والأعمش عن أبي بكر «عَرَف» مخفّفة . قال عطاء : كان أبو عبد الرحمن السُّلَميّ إذا قرأ عليه الرجل «عَرّف» مشدّدة حَصَبه بالحجارة . قال الفرّاء : وتأويل قوله عز وجل : « عَرَف بعضه » بالتخفيف؛ أي غضب فيه وجازى عليه . وهو كقولك لمن أساء اليك : لأعرفنّ لك ما فعلت؛ أي لأجازينّك عليه . وجازاها النبيّ صلى الله عليه وسلم بأن طلقها طلقة واحدة . فقال عمر : لو كان في آل الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك . فأمره جبريل بمراجعتها وشفع فيها . واعتزل النبيّ صلى الله عليه وسلم نساءه شهرا، وقعد في مَشْرُبة مارية أمّ إبراهيم حتى نزلت آية التحريم على ما تقدم . وقيل : همّ بطلاقها حتى قال له جبريل : "لا تطلّقها فإنها صوّامة

قوّامة وإنها من نسائك فى الجنة" فلم يطلّقها . ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ ﴾ أى أخبر حفصة بما أظهره الله عليه . ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَـٰذَا ﴾ يا رسول الله عنى . فظنّت أن عائشة أخبرته ، فقال عليه السلام : ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ أى الذى لا يخفى عليه شىء . و « هـذا » سدّ مسدّ مفعولى « أنبأ » . و « نبّأ » الأول تعدّى إلى مفعول ، و « نبّأ » الثانى تعـدّى إلى مفعول واحد ؛ لأن نبّأ وأنبأ إذا لم يدخلا على المبتـدأ والخبر جاز أن يكتفى فيهـما بمفعول واحد وبمفعولين ، فإذا دخلا على الابتداء والخبر تعدّى كل واحد منهما إلى ثلاثة مفعولين . ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون الثالث ؛ لأن الثالث هو خبر المبتـدأ فى الأصل فلا يقتصر دونه ، كما لا يقتصر على المبتدأ دون الخبر .

قوله تعـالى : إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْـهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَـٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

قوله تعـالى : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴾ يعنى حفصة وعائشة. حثّهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أى زاغت ومالت عن الحق . وهو أنهما أحبّتا ما كرِه النبيّ صلى الله عليه وسـلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل ، وكان عليه السـلام يحب العسل والنساء . قال ابن زيد : مالت قلوبهما بأن سرّهما أن يحتبس عن أمّ ولده ، فسرّهما ما كَرِهه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : فقد مالت قلوبكما إلى التوبة . وقال : «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» ولم يقل : فقد صغى قلباكما ؛ ومن شأن العـرب إذا ذكروا الشيئين من اثنين جمعوهما ؛ لأنه لا يُشْـكِل . وقد مضى هذا المعنى فى «المـائدة» فى قوله تعالى : « فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا [1] » . وقيل : كلما ثبتت الإضافة فيه مع التثنية فلفظ الجمع أليق به ؛ لأنه أمكن وأخف . وليس قوله : « فقد صغت

(١) راجع جـ ٦ ص ١٧٣

قلوبكما » جزاء للشرط، لأن هذا الصَّغْو كان سابقا، فجواب الشرط محذوف للعلم به . أى إن تتوبا كان خيرا لكما، إذ قد صغت قلوبكما .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ أى تتظاهرا وتتعاونا على النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمعصية والإيذاء . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : مكثتُ سنةً وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبةً له، حتى خرج حاجًّا فخرجت معه، فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدَل إلى الأراك لحاجة له، فوقفت حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين، مَن اللّتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه؟ فقال : تلك حفصة وعائشة . قال فقلت له : والله إنْ كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبةً لك . قال : فلا تفعل، ما ظننت أن عندى من علم فسَلْنى عنه، فإن كنتُ أعلمه أخبرتك ... وذكر الحديث . ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾ أى وليّه وناصره، فلا يضرّه ذلك التظاهر منهما . ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال عكرمة وسعيد بن جبير : أبو بكر وعمر، لأنهما أبوا عائشة وحفصة، وقد كانا عونا له عليهما . وقيل : صالح المؤمنين علىّ رضى الله عنه . وقيل : خيار المؤمنين . وصالح : اسم جنس كقوله تعالى : «والعصر . إن الإنسان لَفِى خُسْرٍ »، قاله الطَّبَرِىّ . وقيل : «صالح المؤمنين» هم الأنبياء، قاله العَلاء بن زيادة وقتادة وسفيان . وقال ابن زيد : هم الملائكة . السُّدّى : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : « صالح المؤمنين » ليس لفظ الواحد وإنما هو صالحو المؤمنين، فأضاف الصالحين إلى المؤمنين، وكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه . كما جاءت أشياء فى المصحف متنوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : حدّثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما اعتزل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس يَنْكُتُون[1] بالحصى ويقولون : طلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ــ وذلك قبل أن يُؤْمَرْن بالحجاب ــ فقال عمر :

(١) أى يضربون به الأرض، كفعل المهموم المفكر .

فقلت لأعلمن ذلك اليوم، قال فدخلتُ على عائشة فقلت : يابنة أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقالت : مالي ومالك يابن الخطاب ! عليك بعيبتك(١) ! قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها : يا حفصة ، أقد بلغ من شأنك أن تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبكت أشد البكاء، فقلت لها : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هو فى خزانته فى المشرُبة . فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدًا على أُسْكُفة(٢) المَشْرُبة مُدَلٍّ رجليه على نقير من خشب، وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر . فناديت : يارباح ، استأذن لى عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلىَّ فلم يقل شيئا . ثم قلت : يا رباح، استأذن لى عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلىَّ فلم يقل شيئا . ثم رفعت صوتى فقلت : يا رباح ، استأذن لى عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنى أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أنى جئتُ من أجل حفصة ، والله لئن أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عُنُقها لأضربن عنقها ، ورفعتُ صوتى فأومأ إلىَّ أن ارْقَهْ ؛ فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير ، فجلست فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ؛ وإذا الحصير قد أثر فى جنبه ، فنظرت ببصرى فى خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ، ومثلها قَرَظًا فى ناحية الغُرْفة ؛ وإذا أَفِيقٌ(٣) معلَّق — قال — فابتدرتْ عيناى . قال : "ما يبكيك يابن الخطاب" ؟ قلت : يا نبىَّ الله ، ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك ، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى ، وذاك قيصر وكسرى فى الثمار والأنهار وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى عليك بوعظ بنتك حفصة . والعيبة : وعاء يجعل الانسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه ؛ فشبهت ابنته بها .

(٢) الأسكفة : العتبة . (٣) الأفيق : هو الجلد الذى لم يتم دباغه .

وصَفْوَتُه ، وهـذه خِزانتك ! فقال : " يابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهـم الدنيا " قلت : بلى . قال : ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى فى وجهه الغضب ، فقلت : يارسـول الله ، ما يشقّ عليك من شأن النساء ؛ فإن كنتَ طلّقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل ، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك . وقلّما تكلّمتُ ــ وأحمَدُ الله ــ بكلامٍ إلا رَجَوْتُ أن يكون الله عز وجل يُصدّق قولى [الذى أقول](١) ونزلت هذه الآية آيةُ التخيير : « عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْـدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ » . « وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِـحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْـدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ » . وكانت عائشة بنت أبى بكر وحَفْصةُ تَظاهران على سائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسـلم . فقلت : يا رسـول الله، أطلّقتهن ؟ قال : " لا " . قلت : يا رسول الله ، إنى دخلت المسجد والمسلمون يَنْكُتون بالحصى يقولون : طلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأنزل فأخبرَهم أنك لم تطلقهن؟ قال : "نعم إن شئتَ". فلم أزل أحدّثه حتى تحسَّر الغضبُ عن وجهه ، وحتى كَشَر(٢) فضحك ، وكان من أحسن الناس ثَغْرًا . ثم نزل نبىّ الله صلى الله عليه وسـلم ونزلتُ ؛ فنزلتُ أتشبّث بالجذْع ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما يمشى على الأرض ما يَمَسّه بيده . فقلت : يا رسول الله ، إنما كنتَ فى الغرفة تسعًا وعشرين . قال : " إن الشهر يكون تسعا وعشرين " فقمتُ على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى : لم يطلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه . ونزلت هذه الآية : « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » . فكنت أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ ؛ وأنزل الله آية التخيير .

قوله تعـالى : ﴿ وَجِبْرِيلُ ﴾ فيه لغات تقدّمت فى سورة « البقرة »(٣) . ويجوز أن يكون معطوفا على « مولاه » والمعنى : الله وَلِيُّه وجبريلُ وليُّه ؛ فلا يوقف على « مولاه » ويوقف على «جبريل» ويكون « وصالِـحُ المؤمنين » مبتدأ « والملائكةُ » معطوفًا عليه . و «ظَهِيرٌ» خبرا ؛

(١) زيادة عن صحيح مسلم . (٢) أى أبدى أسنانه تبسما . (٣) راجع جـ ٢ ص ٣٧ .

وهو بمعنى الجمع . وصالح المؤمنين أبو بكر؛ قاله المسيّب بن شريك . وقال سعيد بن جبير : عمر . وقال عكرمة : أبو بكر وعمر . وروى شقيق عن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : « فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ » قال : إن صالح المؤمنين أبو بكر وعمر . وقيل : هو عليّ . عن أسماء بنت عُمَيْس قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " « وصالِحُ المؤمنين » عليّ بن أبي طالب " . وقيل غير هذا مما تقدم القول فيه . ويجوز أن يكون « وجبريل » مبتدأ وما بعده معطوفا عليه . والخبر « ظهير » وهو بمعنى الجمع أيضا . فيوقف على هذا على « مولاه » . ويجوز أن يكون « جبريل وصالح المؤمنين » معطوفا على « مولاه » فيوقف على « المؤمنين » ويكون « والملائكة بعد ذلك ظهير » ابتداء وخبرا . ومعنى «ظهير» أعوان . وهو بمعنى ظهراء؛ كقوله تعالى : « وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا »(1) . وقال أبو عليّ : قد جاء فعيل للكثرة كقوله تعالى : « ولا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ »(2) . وقيل : كان التظاهر منهما في التحكّم على النبيّ صلى الله عليه وسلم في النفقة ، ولهذا آلى منهنّ شهرا واعتزلهنّ . وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأُذِن لأبي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فأُذن له ، فوجد النبيَّ صلى الله عليه وسلم جالسا حَوْله نساؤه واجمًا ساكتا — قال — فقال لأقولنّ شيئا أُضحك النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، لو رأيتَ بنتَ خارجة سألتني النفقة فقمتُ إليها فوجأتُ عُنُقَها ؛ فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : " هُنّ حَوْلِي كما ترى يسألنني النفقة " . فقام أبو بكر إلى عائشة يَجَأُ عنقها؛ وقام عمر إلى حفصة يَجَأُ عنقها؛ كلاهما يقول : تسألْنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ! فقلن : والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدًا ليس عنده . ثم اعتزلهن شهرا أو تسعًا وعشرين . ثم نزلت عليه هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ — حتى بلغ — لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا » الحديث . وقد ذكرناه في سورة(3) « الأحزاب » .

(1) آية ٦٩ سورة النساء . (2) آية ١٠ سورة المعارج . (3) راجع جـ ١٤ ص ١٦٢

قوله تعالى : عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ ﴾ قد تقدم فى الصحيح أن هذه الآية نزلت على لسان عمر رضى الله عنه (١) . ثم قيل : كل « عَسَى » فى القرآن واجبٌ؛ إلا هذا . وقيل : هو واجب ولكن الله عز وجل علّقه بشرط وهو التطليق ولم يطلّقهن . ﴿ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ﴾ لأنكن لو كنتن خيرًا منهن ما طلّقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال معناه السُّدّى . وقيل : هذا وَعْدٌ من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، لو طلّقهن فى الدنيا أن يزوّجه فى الدنيا نساء خيرا منهن . وقرئ « أن يبدله » بالتشديد والتخفيف . والتبديل والإبدال بمعنًى ؛ كالتنزيل والإنزال . والله كان عالما بأنه كان لا يطلقهن ، ولكن أخبر عن قدرته ؛ على أنه إن طلقهن أبدله خيرا منهن تخويفًا لهن . وهو كقوله تعالى : « وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ (٢) » . وهو إخبار عن القدرة وتخويفٌ لهم ؛ لا أن فى الوجود مَن هو خير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله تعالى : ﴿ مُسْلِمَاتٍ ﴾ يعنى مُخْلِصات ؛ قاله سعيد بن جُبير . وقيل : معناه مسلمات لأمر الله تعالى وأمر رسوله . ﴿ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ مصدّقات بما أُمِرن به ونُهِين عنه . ﴿ قَانِتَاتٍ ﴾ مطيعات . والقنوت : الطاعة . وقد تقدم (٣) . ﴿ تَائِبَاتٍ ﴾ أى من ذنوبهن ؛ قاله السُّدّى . وقيل : راجعات إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحابّ أنفسهن . ﴿ عَابِدَاتٍ ﴾ أى كثيرات العبادة لله تعالى . وقال ابن عباس : كلّ عبادة فى القرآن فهو التوحيد . ﴿ سَائِحَاتٍ ﴾ صائمات ؛ قاله ابن عباس والحسن وابن جُبير . وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ويَمَان : مهاجرات . قال زيد : وليس فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم

(١) راجع ص ١٩١ من هذا الجزء . (٢) آخر سورة محمد .
(٣) راجع جـ ٢ ص ٨٦ وجـ ٣ ص ٢١٣ .

سياحة إلا الهجرة . والسِّيَاحَة الجَوَلان في الأرض . وقال الفرّاء والقُتَبِيّ وغيرهما : سُمِّيَ الصائم سائحًا لأن السائح لا زاد معه ، وإنما يأكل من حيث يجد الطعام . وقيل : ذاهبات في طاعة الله عز وجل ؛ من ساح الماء إذا ذهب . وقد مضى في سورة « براءة »[1] والحمد لله . ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ أي منهن ثَيِّبٌ ومنهن بِكْرٌ . وقيل : إنما سُمِّيَت الثَّيِّب ثَيِّبًا لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها ، أو إلى غيره إن فارقها . وقيل : لأنها ثابت إلى بيت أبويها . وهذا أصح ؛ لأنه ليس كل ثَيِّب تعود إلى زوج . وأما البِكْر فهي العذراء ؛ سُمِّيَت بِكْرًا لأنها على أوّل حالتها التي خُلقت بها . وقال الكلبي : أراد بالثيب مثلَ آسية امرأة فرعون ، وبالبكر مثل مريم بنة عمران .

قلت : وهذا إنما يمشي على قول من قال : إن التبديل وعدٌ من الله لنبيّه لو طلّقهنّ في الدنيا زوّجه في الآخرة خيرا منهن . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٦)

فيه مسألة واحدة — وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهلَه النار . قال الضحاك : معناه قُوا أنفسكم ، وأهلوكم فليَقُوا أنفسهم نارا . وروى عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : قُوا أنفسكم وأْمُرُوا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يَقِيَهم الله بكم . وقال عليّ رضي الله عنه وقتادة ومجاهد : قُوا أنفسكم بأفعالكم وقُوا أهليكم بوصيّتكم . ابن العربي : وهو الصحيح ، والفقه الذي يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل ؛ كقوله :

* عَلَفْتُهَا تِبْنًا وماءً باردًا[2] *

---

(١) راجع جـ ٨ ص ٢٦٩ .

(٢) رجز مشهور لم يعرف قائله . وتمامه :

* حتى شتت همّالة عيناها *

راجع كتاب الإنصاف وشرح الشواهد . وجـ ٦ ص ٩٥ من هذا الكتاب .

وكقــوله :

. ورأيتُ زَوْجَكِ فى الوَغَى * متقــلِّدًا ســيفًا ورُمحًا

فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، و يصلح أهله إصلاح الراعى للرعية . ففى صحيح الحديث أن النبىّ صلى الله عليــه وسلم قال : "كلّكم راعٍ وكلكم مسئول عن رَعيّته فالإمام الذى على الناس راعٍ وهو مسئول عنهم والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم" . وعن هذا عبّر الحسن فى هذه الآية [بقوله :] يأمرهم و ينهاهم . وقال بعض العلماء: لمــا قال « قُوا أنفسكم » دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه . كما دخل فى قوله تعــالى : « وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ »(١) فلم يُفْرَدُوا بالذّكر إفراد سائر القرابات . فيعلّمه الحلال والحرام، ويجنّبه المعاصى والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام . وقال عليه السلام : "حَقُّ الولد على الوالد أن يحسن اسمــه و يعلّمه الكتابة و يزوّجه إذا بلغ" . وقال عليه الســلام : "ما نَحَل والدٌ ولدًا أفضل من أدب حسن" . وقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبىّ صلى الله عليه وسلم "مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبعٍ واضربوهم عليها لعشر وفرّقوا بينهم فى المضاجع". خرّجه جماعة من أهل الحديث . وهــذا لفظ أبى داود . وخرج أيضا عن سَمُرة بن جُنْدُب قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : "مُرُوا الصّبِىَّ بالصلاة إذا بلغ ســبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها" . وكذلك يخبر أهله بوقت الصلاة ووجوب الصيام ووجوب الفطر إذا وجب؛ مستندا فى ذلك إلى رؤية الهلال . وقد روى مسلم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أَوْتَر يقول : "قومى فأَوْتِرِى ياعائشة". وروى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "رحم الله امرأً قام من الليل فصلّى فأيقظ أهله فان لم تقم رَشّ وجهها بالمــاء. رحم الله امرأة قامت من الليل تُصَلِّى وأيقظت زوجها فإذا لم يقم رَشّت على وجهه من المــاء". ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "أيقظوا صواحب الحُجَر" . ويدخل هذا فى عموم قوله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى »(٢) . وذكر القُشيرى أن عمر رضى الله عنه قال لمــا نزلت هذه الآية : يا رسول

---

(١) آية ٦١ سورة النور، راجع جـ ١٢ ص ٣١٤ (٢) آية ٢ سورة المــائدة . راجع جـ ٦ ص ٤٦

الله، نَقِي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا ؟ . فقال: "تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله".
وقال مقاتل : ذلك حق عليه فى نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه . قال الكِيا : فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يُستغنى عنه من الأدب. وهو قوله تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»[1] . ونحو قوله تعالى للنبيّ صلى الله عليه وسلم : «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»[2]. وفى الحديث: "مُرُوهم بالصلاة وهم أبناء سبع". ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ تقدم فى سورة «البقرة» القول فيه[3] . ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعنى الملائكة الزبانية غِلاظ القلوب لا يرحمون إذا ٱستُرحِموا ، خُلقوا من الغضب، وحُبِّب إليهم عذاب الخلق كما حُبِّب لبنى آدم أكل الطعام والشراب. ﴿شِدَادٌ﴾ أى شداد الأبدان. وقيل: غِلاظُ الأقوال شداد الأفعال . وقيل : غِلاظٌ فى أخذهم أهل النار شدادٌ عليهم . يقال : فلان شديدٌ على فلان؛ أى قَوِيّ عليه يعذّبه بأنواع العذاب . وقيل : أراد بالغلاظ ضخامة أجسامهم ، وبالشدّة القوة . قال ٱبن عباس : ما بين مَنْكِبَي الواحد منهم مسيرةُ سنة ، وقوّة الواحد منهم أن يضرب بالمِقْمَع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان فى قعر جهنم. وذكر ابن وهب قال: وحدّثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خَزَنة جهنم : "ما بين مَنْكِبَي أحدهم كما بين المشرق والمغرب" .

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أى لا يخالفونه فى أمره من زيادة أو نقصان . ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أى فى وقته، فلا يؤخرونه ولا يقدّمونه . وقيل أى لذّتهم فى امتثال أمر الله ؛ كما أن سرور أهل الجنة فى الكون فى الجنة ؛ ذكره بعض المعتزلة . وعندهم أنه يستحيل التكليف غدا . ولا يخفى معتقد أهل الحق فى أن الله يكلف العبد اليوم وغدا، ولا ينكر التكليف فى حق الملائكة . ولله أن يفعل ما يشاء .

---

(١) آية ١٣٢ سورة طه ، راجع جـ ١١ ص ٢٦٣ (٢) آية ٢١٤ سورة الشعراء ، راجع جـ ١٣ ص ١٤٣
(٣) راجع جـ ١ ص ٢٣٥

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ﴾ فإن عذركم لا ينفع . وهذا النهى لتحقيق اليأس . ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فى الدنيا . ونظيره « فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » (1) . وقد تقدم .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ فيه مسألتان :

الأولى ـ قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ أمر بالتوبة ، وهى فرض على الأعيان فى كل الأحوال وكل الأزمان . وقد تقدم بيانها والقول فيها فى «النساء» (2) وغيرها . ﴿ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب فى التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا ؛ فقيل : هى التى لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع . وروى عن عمر وابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم . ورفعه معاذ إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : النصوح الصادقة الناصحة . وقيل الخالصة ؛ يقال : نصح أى أخلص له القول . وقال الحسن : النصوح أن يبغض الذنب الذى أحبه ويستغفر منه إذا ذكره . وقيل : هى التى لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها . وقيل : هى التى لا يحتاج

(1) آية ٥٧ سورة الروم . راجع جـ ١٤ ص ٤٩ . (2) راجع جـ ٥ ص ٩٠ .

معها إلى توبة . وقال الكلبي : التوبة النصوح الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإقلاع عن الذنب ، والاطمئنان على أنه لا يعود . وقال سعيد بن جُبير : هي التوبة المقبولة ، ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط : خوف ألا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وإدمان الطاعات . وقال سعيد بن المسيّب : توبة تنصحون بها أنفسكم . وقال القرظي : يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العَوْد بالجَنَان ، ومهاجرة سيّء الخلّان . وقال سفيان الثّوْري : علامة التوبة النصوح أربعة : القِلّة والعِلّة والذِّلّة والغُرْبة . وقال الفُضَيل بن عياض : هو أن يكون الذنب بين عينيه ، فلا يزال كأنه ينظر إليه . ونحوه عن ابن السّماك : أن تَنْصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعدّ لمنتظرك . وقال أبو بكر الورّاق : هو أن تضيق عليك الأرض بما رَحُبت ، وتضيق عليك نفسك ؛ كالثلاثة الذين خُلِّفوا (١) . وقال أبو بكر الواسطي : هي توبة لا لفقد عِوَض ؛ لأن من أذنب في الدنيا لرَفَاهِيَة نفسه ثم تاب طلباً لرفاهيتها في الآخرة ؛ فتوبته على حفظ نفسه لا لله . وقال أبو بكر الدقاق المصري : التوبة النصوح هي ردّ المظالم ، واستحلال الخصوم ، وإدمان الطاعات . وقال رُوَيْم : هو أن تكون لله وجهاً بلا قَفَا ، كما كنت له عند المعصية قفًا بلا وجه . وقال ذو النُّون : علامة التوبة النصوح ثلاث : قِلّة الكلام ، وقِلّة الطعام ، وقِلّة المنام . وقال شقيق : هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ، ولا ينفك من الندامة ؛ لينجُوَ من آفاتها بالسلامة . وقال سَرِيّ السَّقَطِيّ : لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين ؛ لأن من صحت توبته أحبّ أن يكون الناس مثله . وقال الجُنَيْد : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبداً ؛ لأن من صحت توبته صار مُحبًّا لله ، ومن أحبّ الله نَسِيَ ما دون الله . وقال ذو الأُذُنَين (٢) : هو أن يكون

(١) الثلاثة الذين خلفوا هم : كعب بن مالك ، مرارة بن ربيعة العامري ، هلال بن أمية الواقفي . راجع جـ ٨ ص ٢٨٢ من هذا الكتاب . وجـ ٢ ص ٩٠٧ من سيرة ابن هشام طبع أوربا .

(٢) ذو الأذنين : لقب أنس بن مالك رضي الله عنه ؛ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . قيل : معناه الحض على حسن الاستماع والوعي . وقيل : إن هذا القول من جملة مزحه صلوات الله وسلامه عليه .

لصاحبها دمعٌ مسفوح ، وقلبٌ عن المعاصي جَمُوح . وقال فتح المَوْصِليّ : علامتها ثلاث : مخالفة الهوى ، وكثرة البكاء ، ومكابدة الجوع والظمأ . وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ : هي التوبة لأهل السنة والجماعة ؛ لأن المبتدع لا توبة له ؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : "حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب" . وعن حُذَيْفة : بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه . وأصل التوبة النصوح من الخلوص ؛ يقال : هـذا عَسَلٌ ناصح إذا خَلَص من الشّمْع . وقيل : هي مأخوذة من النِّصاحة وهي الخياطة . وفي أخذها منها وجهان : أحدهما ــ لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه . والثاني ــ لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم ؛ كما يجمع الخياط الثوب ويُلصِق بعضه ببعض . وقراءة العامة « نَصُوحًا » بفتح النون ، على نعت التوبة ؛ مثل امرأة صبور ، أي توبة بالغة في النصح . وقرأ الحسن وخارجة وأبو بكر عن عاصم بالضم ؛ وتأويله على هذه القراءة : توبةُ نصحٍ لأنفسكم . وقيل : يجوز أن يكون «نُصُوحًا» ، جمع نُصح ، وأن يكون مصدرا ؛ يقال : نصح نصاحة ونُصوحا . وقد يتفق فعالة وفعول في المصادر ؛ نحو الذَّهاب والذُّهوب . وقال المبرّد : أراد توبة ذات نُصح ؛ يقال : نصحت نصحًا ونَصاحة ونُصوحا .

الثانيــة ــ في الأشياء التي يُتاب منها وكيف التّوبة منها . قال العلماء : الذنب الذي تكون منه التوبة لا يخلو ؛ إما أن يكون حقًّا لله أو للآدميّين . فإن كان حقا لله كترك صلاة فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى النّدم قضاءُ ما فات منها . وهكذا إن كان ترك صوم أو تفريطا في الزكاة . وإن كان ذلك قتلَ نفس بغير حق فأن يُمكِّن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوبًا به . وإن كان قذفًا يوجب الحدّ فيبذل ظهره للجلد إن كان مطلوبا به ؛ فإن عَفيَ عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص . وكذلك إن عُفِيَ عنه في القتل بمال فعليه أن يؤدِّيه إن كان واجدًا له ؛ قال الله تعالى : « فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ »(1) . وإن كان ذلك حَدًّا من حدود الله ــ كائنًا ما كان ــ فانه

(1) آية ١٧٨ سورة البقرة .

إذا تاب إلى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه . وقد نصّ الله تعالى على سقوط الحدّ عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم . وفى ذلك دليل على أنها لا تسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم ؛ حسب ما تقدّم بيانه (١) . وكذلك الشُّرّاب والسُّراق والزُّناة إذا أصلحوا وتابوا وعُرِف ذلك منهم ، ثم رُفعوا إلى الإمام فلا ينبغى له أن يحدّهم . وإن رُفعوا إليه فقالوا : تُبنا ؛ لم يتركوا ، وهم فى هذه الحالة كالمحاربين إذا غُلبوا . هذا مذهب الشافعىّ . فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصحّ التوبة منه إلا بردّه الى صاحبه والخروج عنه — عَيْنًا كان أو غيره — إن كان قادرا عليه؛ فإن لم يكن قادرا فالعزم أن يؤدّيَه إذا قَدَر فى أعجل وقت وأسرعه . وإن كان أضرّ بواحد من المسلمين وذلك الواحد لايشعر به أو لايدرى من أين أتى ، فإنه يزيل ذلك الضرر عنه ، ثم يسأله أن يعفوَ عنه ويستغفر له ؛ فإذا عفا عنه فقد سقط الذنب عنه . وإن أرسل من يسأل ذلك له ، فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه — عَرَفه بعينه أو لم يعرفه — فذلك صحيح . وإن أساء رجل إلى رجل بأن فَزّعه بغير حق ، أو غمّه أو لطمه ، أو صفعه بغير حق ، أو ضربه بسوط فآلمه ؛ ثم جاءه مستعفيًا نادمًا على ما كان منه ، عازمًا على ألا يعود ، فلم يزل يتذلّل له حتى طابت نفسه فعفا عنه ؛ سقط عنه ذلك الذنب . وهكذا إن كان شانَه بشتم لا حدّ فيه .

قوله تعالى : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ « عسى » من الله واجبة . وهو معنى قوله عليه السلام : ” التائب من الذنب كمن لا ذنب له “ . و «أن» فى موضع ... (٢)

قوله تعالى : ﴿ وَيُدْخِلَكُمْ ﴾ معطوف على « يكفّر » . وقرأ ابن أبى عَبْلة « ويُدْخِلْكُمْ » مجزومًا ، عطفًا على محل عسى أن يكفّر . كأنه قيل : تُوبُوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار . ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ العامل فى «يوم» : «يدخلكم» أو فعل مضمر . ومعنى « يُخْزِى » هنا يعذّب ؛ أى لا يعذّبه ولا يعذّب الذين آمنوا معه .

---

(١) راجع جـ ٦ ص ١٧٤ (٢) بياض فى جميع نسخ الأصل .

﴿ نُورُهُم يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ تقدم فى سورة «الحديد»(١) . ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين؛ حسب ما تقدّم بيانه فى سورة « الحديد »(٢) .

قوله تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ فيه مسألة واحدة ــ وهو التشديد فى دين الله . فأمره أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله . والمنافقين بالغلظة و إقامة الحجة ، وأن يعرّفهم أحوالهم فى الآخرة ، وأنهم لا نور لهم يجُوزون به الصراط مع المؤمنين . وقال الحسن : أى جاهدهم بإقامة الحدود عليهم؛ فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود . وكانت الحدود تقام عليهم . ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ يرجع إلى الصِّنفين . ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أى المرجع .

قوله تعالى : ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

ضرب الله تعالى هذا المَثَل تنبيهاً على أنه لا يُغْنِي أحدٌ فى الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرّق بينهما الدين . وكان اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ؛ قاله مقاتل . وقال الضحاك عن عائشة رضى الله عنها : إن جبريل نزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره أن اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط والهة . ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ قال عكرمة

(١) راجع جـ ١٧ ص ٢٤٣ (٢) راجع جـ ١٧ ص ٢٤٥

والضحاك : بالكفر . وقال سليمان بن رقية[1] عن ابن عباس : كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون . وكانت امرأة لوط تخبر بأضيافه . وعنه : ما بغت امرأة نبيّ قط . وهذا إجماع من المفسرين فيما ذكر القشيريّ . إنما كانت خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين . وقيل : كانتا منافقتين . وقيل : خيانتهما النميمة إذا أوحى [الله] إليهما شيئا أفشتاه إلى المشركين ؛ قاله الضحاك . وقيل : كانت امرأة لوط إذا نزل به ضيف دخّنت لتُعْلِم قومها أنه قد نزل به ضيف ؛ لما كانوا عليه من إتيان الرجال . ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أى لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما — لمّا عصتا — شيئا من عذاب الله؛ تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة لا بالوسيلة . ويقال : إن كفار مكة استهزءوا وقالوا : إن محمدا صلى الله عليه وسلم يشفع لنا ؛ فبيّن الله تعالى أن شفاعته لا تنفع كفّار مكة وإن كانوا أقرباء ، كما لا تنفع شفاعةُ نوح لامرأته وشفاعةُ لوط لامرأته ، مع قربهما لهما لكفرهما . وقيل لهما : « ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ » في الآخرة ؛ كما يقال لكفار مكة وغيرهم . ثم قيل : يجوز أن تكون « امرأة نوح » بدلاً من قوله : « مَثَلًا » على تقدير حذف المضاف ؛ أى ضرب الله مثلاً مثلَ امرأة نوح . ويجوز أن يكونا مفعولين .

قوله تعالى : وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ واسمها آسية بنت مزاحم . قال يحيى بن سلام : قوله « ضرب الله مثلا للذين كفروا » مَثَلٌ ضربه الله يحذّر به عائشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضرب لهما مَثلاً بامرأة فرعون ومريم بنة عمران ؛ ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين .

(١) في بعض نسخ الأصل : « قتة » . وفي تفسير الطبري : « قيس » .

وقيل : هــذا حَثٌّ للمؤمنين على الصبر فى الشدة ؛ أى لاتكونوا فى الصبر عند الشدة أضعفَ من امرأة فرعون حين صَبَرت على أذى فرعون . وكانت آسـية آمنت بموسى . وقيل : هى عمة موسى آمنت به . قال أبو العالية : اطّلع فرعون على إيمـان امرأته فخرج على الملأ فقال لهـم : ما تعلمون من آسية بنة مزاحم ؟ فأثْنَوا عليهـا . فقال لهـم : إنها تعبد ربًّا غيرى . فقالوا له : اقتلها. فأوْتَد لها أوتادا وشَدّ يديها ورجليها فقالت : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾ ووافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة. فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها! إنا نعـذبها وهى تضحك؛ فقبض روحها . وقال سَـلْمان الفارسى فيما روى عنه عثمان النَّهْدِىّ : كانت تعذَّب بالشمس، فإذا أذاها حَرُّ الشمس أظلّتها الملائكة بأجنحتها . وقيل : سَمّر يديها ورجليها فى الشمس ووضع على ظهرها رَحًى؛ فأطلعها الله حتى رأت مكانها فى الجنـة . وقيـل : لمـا قالت « رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًـا فِى ٱلْجَنَّةِ » أُرِيت بيتهـا فى الجنـة يُبْنَى . وقيل : إنه من دُرّة ؛ عن الحسن . ولمـا قالت : ﴿ وَنَجِّنِى ﴾ نجاها الله أكرم نجاة ، فرفعها إلى الجنة ، فهى تأكل وتشرب وتتنعّم . ومعنى ﴿ مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾ تعنى بالعمل الكفر . وقيل : من عمله من عذابه وظلمه وشماتته . وقال ابن عباس : الجماع . ﴿ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ قال الكلبي : أهل مصر . مقاتل : القبط . قال الحسن وابن كَيْسان : نجاها الله أكرم نجاة، ورفعها إلى الجنة؛ فهى فيها تأكل وتشرب .

قوله تعـالى : وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ﴾ أى واذكر مريم . وقيل : هو معطوف على امرأة فرعون . المعنى : وضرب الله مثَلًا لمريم بنة عمران وصبرَها على أذى اليهود . ﴿ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ أى عن الفواحش . وقال المفسرون : إنه أراد بالفرج هنـا الجيب؛ لأنه قال : « فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا » وجبريل عليه السلام إنما نفخ فى جَيْبها ولم ينفخ فى فرجها . وهى

فى قراءة أُبَىّ « فنفخنا فى جَيْبها من رُوحنا » . وكل خرق فى الثوب يسمى جَيْباً ؛ ومنه قوله تعالى : « وَمَالَهَا مِنْ فُرُوجٍ »[(١)] . ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح فى جَيبها . ومعنى ﴿ فَنَفَخْنَا ﴾ أرسلنا جبريل فنفخ فى جيبها ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ أى رُوحًا من أرواحنا وهى روح عيسى . وقد مضى فى آخر سورة « النساء » بيانه مستوفًى[(٢)] والحمد لله . ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ قراءة العامة « وصدّقت » بالتشديد . وقرأ حُميد والأموى « وصدَقت » بالتخفيف . ﴿ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ قول جبريل لها « إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ » الآية[(٣)] . وقال مقاتل : يعنى بالكلمات عيسى وأنه نبىّ وعيسى كلمة الله . وقد تقدم[(٤)] . وقرأ الحسن وأبو العالية « بِكَلِمَةِ رَبِّهَا وَكِتَابِهِ » . وقرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم « وَكُتُبِهِ » جمعاً . وعن أبى رجاء « وَكُتْبِهِ » مخفف التاء . والباقون « بكتابه » على التوحيد . والكتاب يراد به الجنس ؛ فيكون فى معنى كل كتاب أنزل الله تعالى . ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ أى من المطيعين . وقيل : من المصلّين بين المغرب والعشاء . وإنما لم يقل من القانتات ؛ لأنه أراد وكانت من القوم القانتين . ويجوز أن يرجع هذا إلى أهل بيتها ؛ فإنهم كانوا مطيعين لله . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها : "أتكرهين ما قد نزل بك ولقد جعل الله فى الكره خيرا فإذا قدمت على ضَرّاتك[(٥)] فأقرئيهن منى السلام مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكليمة[(٦)] — أو قال حكيمة[(٧)] — بنت عمران أخت موسى بن عمران" . فقالت : بالرفاء والبنين يارسول الله . وروى قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنة عمران وخديجة بنت خُوَيْلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون بنت مزاحم" . وقد مضى فى "آل عمران" الكلام فى هذا مستوفى والحمد لله .

(١) آية ٦ سورة ق . (٢) راجع جـ ٦ ص ٢٢

(٣) آية ١٩ سورة مريم . راجع جـ ١١ ص ٩١ (٤) راجع جـ ٤ ص ٨٣

(٥) أخرج الطبرانى عن سعد بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله زوجنى فى الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى » . (٦) فى بعض نسخ الأصل : « كلمة » .

(٧) فى بعض نسخ الأصل : « حليمة » .

ســورة المُـلْك

مكيّة فى قول الجميع . وتُسَمَّى الواقية والمُنْجِيَة . وهى ثلاثون آية

روى الترمذى عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قـبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة « المُـلْك » حتى ختمها ، فأتى النبىَّ صلى الله عليه وسـلم فقال : يا رسول الله ، ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فاذا قبر إنسان يقرأ سورة « الملك » حتى ختمها ؟ فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :" هى المـانعة هى المُنْجِية تنجيه من عذاب القبر". قال : حديث حسن غريب . وعنه قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : " وَدِدْت أن « تبارك الذى بيده الملك » فى قلب كل مؤمن " ذكره الثعلبى . وعن أبى هريرة قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " إن سورة من كتاب الله ما هى إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى أخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة وهى سـورة « تبارك » " . خرّجه الترمذى بمعناه ، وقال فيه : حديث حسن . وقال ابن مسعود : إذا وُضع الميّت فى قبره فيؤتَى من قِبَل رجليه ، فيقال : ليس لكم عليه سـبيل ، فإنه كان يقوم بسـورة « الملك » على قدميه . ثم يؤتَى من قِبَـل رأسـه ، فيقول لسانه : ليس لكم عليه سبيل ، إنه كان يقرأ بى سورة « الملك » ثم قال : هى المـانعة من عذاب الله ، وهى فى التوراة : سورة « الملك » من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب . وروى أن من قرأها كل ليلة لم يضرّه الفتّان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعـالى : تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

﴿ تَبَارَكَ ﴾ تَفاعل من البركة . وقد تقدّم[1] . وقال الحسن : تقدّس . وقيل دام . فهو الدائم الذى لا أوّل لوجوده ولا آخر لدوامه . ﴿ الَّذِى بِيَـدِهِ الْمُلْكُ ﴾ أى ملك السموات

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٢٣.

والأرض فى الدنيا والآخرة . وقال ابن عباس : بيده الملك يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء ، ويحيي ويميت ، ويُغني ويُفقِر ، ويُعطي ويمنع . وقال محمد بن إسحاق : له ملك النبوّة التى أعزّ بها من اتبعه وذلّ بها من خالفه . ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من إنعام وانتقام .

قوله تعالى : ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾

فيه مسألتان :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ ﴾ قيل : المعنى خلقكم للموت والحياة ؛ يعنى للموت فى الدنيا والحياة فى الآخرة . وقدم الموت على الحياة ؛ لأن الموت إلى القهر أقرب ؛ كما قدّم البنات على البنين فقال : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا »[1] . وقيل قدّمه لأنه أقدم ؛ لأن الأشياء فى الابتداء كانت فى حكم الموت كالنُّطْفة والتراب ونحوه . وقال قتادة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الله تعالى أذلّ بنى آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء " . وعن أبى الدَّرْدَاء أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت و إنه مع ذلك لَوَثّاب " .

المسألة الثانيــة : ﴿ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ ﴾ قــدّم الموتَ على الحياة ؛ لأن أقوى الناس داعياً إلى العمل مَن نصَب موته بين عينيه ؛ فقدّم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم[2] . قال العلماء : الموت ليس بعدم مَحْض ولا فناء صِرْف ؛ وإنما هو انقطاعُ تعلّق الروح بالبدن ومفارقته ، وحيلولةٌ بينهما ، وتبــدّلُ حال وانتقالٌ من دار إلى دار . والحياة عكس ذلك . وحُكي عن ابن عباس والكَلْبي ومُقاتل أن الموت والحياة جسمان ؛ فجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء ــ وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ــ خطوتها مدّ البصر ، فوق الحمار ودون البغل ؛

(١) آية ٤٩ سورة الشورى . (٢) هذه عبارة الكشاف أيضا . وعبارة الخطيب الشربينى فى تفسيره : «وقيل إنما قدم الموت على الحياة لأن من نصب الموت بين عينيه كان أقوى الدواعى إلى العمل » .

لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حيي، ولا تطأ على شيء إلا حيي . وهي التي أخذ السامري من أثرها فالقاه على العجل فحيي[1] . حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس . والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي .

قلت : وفي التنزيل « قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ »[2] ، « وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ »[3] ثم « تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا »[4] ، ثم قال : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا »[5] . فالوسائط ملائكة مكرمون صلوات الله عليهم . وهو سبحانه المميت على الحقيقة ، وإنما يمثل الموت بالكبش في الآخرة ويذبح على الصراط ؛ حسب ما ورد به الخبر الصحيح . وما ذكر عن ابن عباس يحتاج إلى خبر صحيح يقطع العذر . والله أعلم . وعن مقاتل أيضا : خلق الموت ؛ يعني النطفة والعلقة والمضغة ، وخلق الحياة ؛ يعني خلق إنسانا ونفخ فيه الروح فصار إنسانا .

قلت : وهذا قول حسن ؛ يدل عليه قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ وتقدم الكلام فيه في سورة «الكهف» . وقال السدي في قوله تعالى : «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» أي أكثركم للموت ذكرا وأحسن استعدادا ، ومنه أشد خوفا وحذرا . وقال ابن عمر : تلا النبي صلى الله عليه وسلم « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ — حتى بلغ — أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» فقال : "أورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله" . وقيل : معنى «لِيَبْلُوَكُمْ» ليعاملكم معاملة المختبر ؛ أي ليبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره ، وبالحياة ليبين شكره . وقيل : خلق الله الموت للبعث والجزاء ، وخلق الحياة للابتلاء . فاللام في «ليبلوكم» تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت ؛ ذكره الزجاج . وقال الفراء والزجاج أيضا : لم تقع البلوى على « أي » لأن فيما بين البلوى و « أي » إضمار فعل ؛ كما تقول : بلوتكم لأنظر أيكم أطوع . ومثله قوله تعالى : « سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ »[6] أي سلهم ثم انظر أيهم . ف « أيكم » رفع بالابتداء و «أحسن» خبره . والمعنى : ليبلوكم فيعلم أو فينظر [أيكم] أحسن عملا . ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ في انتقامه ممن عصاه . ﴿ الْغَفُورُ ﴾ لمن تاب .

---

(١) راجع ج ١١ ص ٢٣٩ (٢) آية ١١ سورة السجدة . (٣) آية ٥٠ سورة الأنفال .
(٤) آية ٦١ سورة الأنعام . (٥) آية ٤٢ سورة الزمر . (٦) آية ٤٠ سورة القلم .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ أى بعضها فوق بعض . والملتزق منها أطرافها ؛ كذا روى عن ابن عباس . و « طِبَاقًا » نعت لـ « سَبْع » فهو وصف بالمصدر . وقيل : مصدر بمعنى المطابقة ؛ أى خلق سبع سموات وطبّقها تطبيقًا أو مطابقة . أو على طُوبقت طِباقًا . وقال سيبويه : نصب « طباقًا » لأنه مفعول ثان .

قلت : فيكون «خَلَق» بمعنى جعل وصيّر . وطِباق جمع طَبَق ؛ مثل جَمَل وجمال . وقيل : جمع طبقة . وقال أبان بن تغلب : سمعت بعض الأعراب يذم رجلا فقال : شرّه طباق ، وخيره غير باق . ويجوز في غير القرآن سبع سموات طباقٍ ؛ بالخفض على النعت لسموات . ونظيره « وسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ »[(١)] . ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ قراءة حمزة والكسائي « مِن تَفَوُّتٍ » — بغير ألف — مشدّدة . وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه . الباقون « من تفاوت» بألف . وهما لغتان ؛ مثل التعاهد والتعهّد ، والتحمّل والتحامل ، والتظهّر والتظاهر ، وتصاغر وتصغّر ، وتضاعف وتضعّف ، وتباعد وتبعّد ؛ كلّه بمعنًى . واختار أبو عبيد « من تفوّت » واحتج بحديث عبد الرحمن بن أبي بكر : « أمثلي يتفوّتُ عليه في بَنَاتِه »[(٢)] ! النحاس : وهذا أمر مردود على أبي عبيد ؛ لأن يتفوّت يُفتات بهم . « وتفاوت » في الآية أشبه . كما يقال تباين يقال : تفاوت الأمر إذا تباين وتباعد ؛ أى فات بعضها بعضا . ألا ترى أن قبله قوله تعالى : « الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا » . والمعنى : ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين — بل هى مستقيمة مستوية دالة على خالقها — وإن اختلفت صُوَره وصِفاته . وقيل : المراد بذلك السموات خاصة ؛ أى ما ترى في خلق السموات من عَيْب . وأصله من الفَوْت ، وهو أن يفوت شىء شيئا فيقع الخلل لقلة استوائها ؛

---

(١) آية ٤٦ سورة يوسف . (٢) أى يفعل في شأنهن شيء بغير أمره . قال هذا عند ما علم أن أخته السيدة عائشة زوجت ابنته وهو غائب من المنذر بن الزبير . والرواية في الحديث : «أمثلي يفتات» بدل « يتفوت» .

يدلّ عليه قول ابن عباس رضى الله عنه : من تفرق . وقال أبو عبيدة : يقال تفوّت الشئ أى فات . ثم أمر بأن ينظروا فى خلقه ليعتبروا به فيتفكروا فى قدرته فقال : ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ أى اردد طرفك إلى السماء . ويقال : قلّب البصر فى السماء . ويقال : اجْهَدْ بالنظر إلى السماء . والمعنى متقارب . وإنما قال : « فَٱرْجِع » بالفاء وليس قبله فعل مذكور؛ لأنه قال : « ما ترى » . والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور ؛ قاله قتادة . والفطور : الشقوق ؛ عن مجاهد والضحاك . وقال قتادة : من خلل . السُّدِّى : من خروق . ابن عباس : من وَهْن . وأصله من التفطر والانفطار وهو الانشقاق . قال الشاعر :

بَنَى لكُمُ بِلَا عَمَدٍ سماءً * وزَيَّنها فما فيها فطورُ

وقال آخر :

شَقَقْتِ القلب ثم ذَرَرْتِ فيه * هَواكِ فَلِيم فالتأم الفُطُورُ
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ * ولا سكر ولم يبلغ سرور

قوله تعالى : ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ « كَرَّتَيْنِ » فى موضع المصدر؛ لأن معناه رجعتين ؛ أى مَرّةً بعد أخرى . وإنما أمر بالنظر مرتين لأن الإنسان إذا نظر فى الشىء مَرّةً لا يرى عَيْبَه ما لم ينظر إليه مَرّةً أخرى . فأخبر تعالى أنه وإن نظر فى السماء مرتين لا يرى فيها عَيْبًا بل يتحيّر بالنظر إليها ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا ﴾ أى خاشعًا صاغرًا متباعدًا عن أن يرى شيئا من ذلك . يقال : خسأت الكلبَ أى أبعدته وطردته . وخسأ الكلبُ بنفسه؛ يتعدّى ولا يتعدّى . وانخسأ الكلبُ أيضا . وخسأ بصرُه خَسْئًا وخُسوءًا أى سَدِر(١)؛ ومنه قوله تعالى : « يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا » . وقال ابن عباس :

(١) لم يكد يبصر .

الخاسئ الذي لم ير ما يهوى . ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ أي قد بلغ الغاية في الإعياء . فهو بمعنى فاعل؛ من الحسور الذي هو الإعياء . ويجوز أن يكون مفعولا من حسره بُعْدُ الشيء؛ وهو معنى قول ابن عباس . ومنه قول الشاعر :

مَن مَدّ طرفًا إلى ما فوق غايتـه * ارتدّ خَسْآنَ منه الطّرْفُ قد حَسِرا

يقال : قد حَسَر بَصَرُه يَحْسِر حُسورًا؛ أي كَلّ وانقطع نظره من طول مَدًى وما أشبه ذلك؛ فهو حسير ومَحْسور أيضا . قال :

نظرت اليها بالمُحَصَّب من مِنًى * فعاد إليَّ الطَّرْفُ وهو حسير

وقال آخر يصف ناقة :

* فشَطْرَهَا نَظَرُ العينين محسور * (1)

نصب « شطرها » على الظرف؛ أي نحوها . وقال آخر :

والخيل شُعْثٌ ما تزال جيادُها * حَسْرَى تغادر بالطريق سخالَها

وقيل : إنه النادم . ومنه قول الشاعر :

ما أنا اليوم على شيء خَلَا * يا ابنة القَيْن تَوَلَّى بِحَسِرْ

والمراد بـ«كَرّتين» هاهنا التكثير . والدليل على ذلك « يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ » . ذلك دليل على كثرة النظر .

قوله تعالى : وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ جمع مصباح وهو السراج . وتُسمّى الكواكب مصابيح لإضاءتها . ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً ﴾ أي جعلنا شُهُبَهَا؛ فحذف المضاف .

(1) هذا عجز بيت لقيس بن خويلد الهذلي . وصدره : * إن العسير بها داء مخامرها * والعسير : الناقة التي لم ترض (لم تذلل) .

دليله « إلّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فأتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ »[1] . وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم بها . وقيل : إن الضمير راجع إلى المصابيح على أن الرجم من أنفس الكواكب، ولا يسقط الكوكب نفسه إنما ينفصل منه شيء يرجم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته . قاله أبو عليّ جوابا لمن قال : كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى . قال المهدويّ : وهذا على أن يكون الاستراق من موضع الكواكب . والتقدير الأوّل على أن يكون الاستراق من الهوى الذي هو دون موضع الكواكب . القشيريّ : وأمثل من قول أبي عليّ أن تقول : هي زينة قبل أن يرجم بها الشياطين . والرجوم جمع رجم ؛ وهو مصدر سُمّيَ به ما يرجم به . قال قتادة : خلق الله تعالى النجوم لثلاث : زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والأوقات . فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلّف مالا علم له به، وتعدّى وظلم . وقال محمد بن كعب : والله مالأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلا ويتخذون النجوم علة . ﴿ وأعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ أي أعتدنا للشياطين أشدّ الحريق؛ يقال : سعرت النار فهي مسعورة وسعير؛ مثل مقتولة وقتيل . ﴿ ولِلّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم عَذَابُ جَهَنَّمَ وبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ .

قوله تعالى : إِذَآ أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إذا أُلْقُوا فِيهَا ﴾ يعني الكفار . ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ أي صوتا . قال ابن عباس : الشهيق لجهنم عند إلقاء الكفار فيها ؛ تَشْهَق إليهم شهقة البغلة للشعير، ثم تزفر زفرةً لا يبقى أحد إلاخاف . وقيل : الشَّهيق من الكفار عند إلقائهم في النار؛ قاله عطاء . والشهيق في الصدر، والزَّفير في الحَلْق . وقد مضى في سورة « هود »[2] . ﴿ وَهِيَ تَفُورُ ﴾ أي تغلي ؛ ومنه قول حسّان :

تركتم قِدْرَكم لاشيء فيها * وقِدْرُ القوم حاميةٌ تفورُ

(١) آية ١٠ سورة الصافات . (٢) راجع جـ ٩ ص ٩٨

قال مجاهد : تفور بهم كما يفور الحَبّ القليل فى المـاء الكثير . وقال ابن عباس : تغلى بهم على المِرْجَل ؛ وهذا من شدّة لَهَب النار من شدّة الغضب؛ كما تقول فلان يفور غيظًا .

قوله تعـالى : تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ يعنى تتقطع وينفصل بعضها من بعض؛ قاله سعيد ابن جُبير . وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد : تتفرّق . « مِنَ الْغَيْظِ » من شدّة الغيظ على أعداء الله تعالى . وقيل : « من الغيظ » من الغَلَيان . وأصل « تميّز » تتميز . ﴿كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أى جماعة من الكفار . ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ على جهة التوبيخ والتقريع . ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ أى رسول فى الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا . ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ أنذرنا وخوّفنا . ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَىْءٍ﴾ أى على ألسنتكم . ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ يا معشر الرسل . ﴿إِلَّا فِى ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ اعترفوا بتكذيب الرسل، ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم فى النار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ من النذر — يعنى الرسل — ما جاءوا به ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عنهم . قال ابن عباس : لو كنا نسمع الهدى أو نعقله ، أولو كنا نسمع سماع من يعى ويفكّر، أو نعقل عقل من يميّز وينظر ودلّ هذا على أن الكافر لم يُعْطَ من العقل شيئا . وقد مضى فى « الطُّور »[(1)] بيانه والحمد لله . ﴿مَا كُنَّا فِى أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يعنى ما كنا من أهل النار . وعن أبى سعيد الخُدرىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لقد ندِم الفاجر يوم القيامة قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا

---

(1) راجع جـ ١٧ ص ٧٣

فى أصحاب السعير فقال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم" أى بتكذيبهم الرسل . والذنب هاهنا بمعنى الجمع ؛ لأن فيه معنى الفعل . يقال : خرج عطاء الناس أى أعطيتهم . ﴿ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ أى فَبُعْدًا لهم من رحمة الله . وقال سعيد بن جبير وأبو صالح : هو وادٍ فى جهنم يقال له السُّحْق . وقرأ الكسائى وأبو جعفر «فسُحُقا» بضم الحاء ، ورُوِيَت عن علىّ . الباقون بإسكانها ، وهما لغتان مثل السُّحُت والرُّعُب . الزجاج : وهو منصوب على المصدر ؛ أى أسحقهم الله سُحْقًا ، أى باعدهم بُعْدًا . قال امرؤ القيس :

يجول بأطراف البلاد مُغَرِّبًا * وتَسْحَقُه رِيحُ الصَّبَا كُلَّ مَسْحَقِ

وقال أبو علىّ : القياس إسحاقا ؛ فجاء المصدر على الحذف ؛ كما قيل :

* وإن أهلك فذلك كان قدرى *

أى تقديرى . وقيل إن قوله تعالى « إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ » من قول خزنة جهنم لأهلها .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ ﴾ نظيره « مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ » وقد مضى الكلام فيه (١) . أى يخافون الله ويخافون عذابه الذى هو بالغيب ؛ وهو عذاب يوم القيامة . ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وهو الجنة .

قوله تعالى : وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ اللفظ لفظ الأمر والمراد به الخبر ؛ يعنى إن أخفيتم كلامكم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو جهرتم به فـ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

---

(١) راجع جـ ١٧ ص ٢٠

يعنى بما فى القلوب من الخير والشر . ابن عباس : نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبىّ صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام؛ فقال بعضهم لبعض : أسِرّوا قولكم كى لا يسمع رَبّ محمد ؛ فنزلت : « وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ » . يعنى : أسِرّوا قولكم فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل فى سائر الأقوال . أوِ ٱجْهَرُوا بِهِ ؛ أعلنوه . ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ذات الصدور ما فيها ؛ كما يسمّى ولد المرأة وهو جنين « ذا بطنها » . ثم قال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ يعنى ألا يعلم السرّ من خلق السرّ . يقول أنا خلقت السر فى القلب أفلا أكون عالما بما فى قلوب العباد . وقال أهل المعانى : إن شئت جعلت « مَن » آسما للخالق جلّ وعزّ ؛ ويكون المعنى : ألا يعلم الخالقُ خلقَه . وإن شئت جعلته آسمًا للمخلوق ، والمعنى : ألا يعلم الله من خلق . ولا بدّ أن يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه . قال ابن المسيّب : بينما رجل واقف بالليل فى شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع فى نفس الرجل أترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق ؟ فنودى من جانب الغَيْضة بصوت عظيم : ألَا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ! . وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراينى : من أسماء صفات الذات ما هو للعلم ؛ منها « العليم » ومعناه تعميم جميع المعلومات . ومنها « الخبير » ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون . ومنها « الحكيم » ويختص بأن يعلم دقائق الأوصاف . ومنها « الشهيد » ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر ، ومعناه ألا يغيب عنه شىء . ومنها « الحافظ » ويختص بأنه لا ينسى . ومنها « المُحْصِى » ويختص بأنه لا تشغله الكثرة عن العلم ؛ مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الأوراق ؛ فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات فى كل ورقة . وكيف لا يعلم وهو الذى يخلق ، وقد قال « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » .

قوله تعالى : هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ أى سهلة تستقرون عليها . والذَّلول المنقاد الذى يَذِلّ لك ؛ والمصدر الذُّلّ وهو اللين والانقياد . أى لم يجعل الأرض بحيث يمتنع

المشى فيها بالحزونة والغلظة . وقيل : أى ثبّتها بالجبال لئلا تزول بأهلها ؛ ولو كانت تتكفأ متمائلة لما كانت منقادة لنا . وقيل أشار الى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والأنهار وحفر الآبار . ﴿فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾ هو أمر إباحة ، وفيه إظهار الامتنان . وقيل : هو خبر بلفظ الأمر ؛ أى لكى تمشوا فى أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها . وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب : « فى مناكبها » فى جبالها . وروى أن بشير بن كعب كانت له سُرّية فقال لها : إن أخبرتنى ما مناكب الأرض فأنت حرة ؟ فقالت : مناكبها جبالها . فصارت حرة ، فأراد أن يتزوجها فسأل أبا الدرداء فقال : دَعْ ما يريبك الى ما لا يريبك . مجاهد : فى أطرافها . وعنه أيضا فى طرقها وفجاجها . وقاله السُّدّى والحسن . وقال الكلبى : فى جوانبها . ومَنْكِبَا الرجل : جانباه . وأصل المَنْكِب الجانب ؛ ومنه مَنْكِب الرجل . والريح النكباء . وتَنَكّب فلان عن فلان . يقول : آمشوا حيث أردتم فقد جعلتها لكم ذَلُولا لا تمتنع . وحكى قتادة عن أبى الجلد : أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ؛ فللسودان آثنا عشر ألفا ، وللروم ثمانية آلاف ، وللفُرْس ثلاثة آلاف ، وللعرب ألف . ﴿وَكُلُوا مِن رِزْقِهِ﴾ أى مما أحلّه لكم ؛ قاله الحسن . وقيل : مما أتيته لكم . ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ المرجع . وقيل : معناه أن الذى خلق السماء لا تفاوت فيها ، والأرضَ ذلولًا قادرٌ على أن ينشركم .

قوله تعالى : ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

قال ابن عباس : أأمنتم عذاب من فى السماء إن عصيتموه . وقيل : تقديره أأمنتم من فى السماء قدرتُه وسلطانُه وعرشُه ومملكتُه . وخصّ السماء وإن عمّ مُلْكُه تنبيهًا على أن الإله الذى تنفذ قدرته فى السماء لا من يعظّمونه فى الأرض . وقيل : هو إشارة الى الملائكة . وقيل : الى جبريل وهو الملك المُوَكّل بالعذاب .

قلت : ويحتمل أن يكون المعنى أأمنتم خالق من فى السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون . ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ أى تذهب وتجىء . والمَوْر : الاضطراب بالذهاب والمجىء . قال الشاعر :

رَمَيْنَ فأقصدْنَ القلوبَ ولن ترى * دماً مائراً إلّا جَرَى فى الحيَازِم

جمع حَيْزوم وهو وسط الصدر . وإذا خُسف بإنسان دارت به الأرض فهو المَوْر . وقال المحققون : أمنتم مَن فَوْق السماء ؛ كقوله « فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ » (١) أى فوقها لا بالمماسّة والتحيّز لكن بالقهر والتدبير . وقيل : معناه أمنتم من على السماء ؛ كقوله تعالى : « وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ » (٢) أى عليها . ومعناه أنه مدبّرها ومالكها ؛ كما يقال : فلان على العراق والحجاز ؛ أى واليها وأميرها . والأخبار فى هذا الباب كثيرة صحيحة منتشرة ، مشيرة الى العلو ، لا يدفعها إلا مُلْحِدٌ أو جاهل معاند . والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السّفل والتّحت . ووصفه بالعلوّ والعظمة لا بالأماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام . وإنما ترفع الأيدى بالدعاء الى السماء لأن السماء مهبط الوحى ، ومنزل القطر ، ومحل القدس ، ومعدن المطهرين من الملائكة ، وإليها ترفع أعمال العباد ، وفوقها عرشه وجنته ؛ كما جعل الله الكعبة قبلة للدعاء والصلاة ، ولأنه خلق الأمكنة وهو غير محتاج إليها ، وكان فى أزله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان . وهو الآن على ما عليه كان . وقرأ قُنْبُل عن ابن كثير « النشور وامنتم » بقلب الهمزة الأولى واوا وتخفيف الثانية . وقرأ الكوفيون والبصريون وأهل الشام سوى أبى عمرو وهشام بالتخفيف فى الهمزتين، وخفّف الباقون . وقد تقدم جميعه .

قوله تعالى : أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾

(١) آية ٢ سورة التوبة . (٢) آية ٧١ سورة طه .

قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل . وقيل : ريح فيها حجارة وحصباء . وقيل : سحاب فيه حجارة . ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ أى إنذارى . وقيل : النذير بمعنى المنذر ؛ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فستعلمون صدقه وعاقبة تكذيبكم .

قوله تعالى : وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعنى كفار الأمم ؛ كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدْين وأصحاب الرَّسّ وقوم فرعون . ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أى إنكارى ، وقد تقدم . وأثبت وَرْش الياء فى « نذيرى ، ونكيرى » فى الوصل . وأثبتها يعقوب[1] فى الحالين . وحذف الباقون اتباعا للمصحف .

قوله تعالى : أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾ أى كما ذلّل الأرض للآدمى ذلّل الهواء للطيور . و « صَافَّات » أى باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها ؛ لأنهن إذا بسطنها صَفَفْنَ قوائمها صفًّا . ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ أى يضربن بها جُنُوبَهُنّ . قال أبو جعفر النحاس : يقال للطائر إذا بسط جناحيه : صافٌّ ، وإذا ضمّهما فأصابا جَنْبَه : قابض ؛ لأنه يقبضهما . قال أبو خِرَاش :

يبادر جُنْحَ الليل فهو مُوائل[2] * يَحُثّ الجناح بالتَّبَسُّط والقَبْض

---

(١) راجع جـ ١٢ ص ٧٣

(٢) كذا فى نسخ الأصل . ووأل الطائر : لجأ وخلص . وإلى المكان : بادر . والذى فى ديوان أشعار الهذليين وكتب اللغة : « فهو مهابذ » والمهابذة : الإسراع .

وقيل : ويقبضن أجنحتهن بعد بسطها إذا وقفن من الطيران . وهو معطوف على «صافات» عطف المضارع على اسم الفاعل؛ كما عُطف اسم الفاعل على المضارع في قول الشاعر :

بات يُعَشّيها بعَضْب باتر * يَقْصِدُ في أسْوُقِها وجائرِ (١)

﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ أي ما يمسك الطير في الجو وهي تطير إلا الله عز وجل . ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ .

قوله تعالى : أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾ قال ابن عباس : حِزْبٌ ومَنَعةٌ لكم . ﴿ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ فيدفع عنكم ما أراد بكم إن عصيتموه . ولفظ الجُنْد يُوحّد ؛ ولهذا قال : « هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ » وهو استفهام إنكار ؛ أي لا جُنْدَ لكم يدفع عنكم عذاب الله ﴿ مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ أي من سوى الرحمن . ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ من الشياطين ؛ تغرّهم بأن لا عذاب ولا حساب .

قوله تعالى : أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ﴾ أي يعطيكم منافع الدنيا . وقيل المطر من آلهتكم . ﴿ إِنْ أَمْسَكَ ﴾ يعني الله تعالى رزقه . ﴿ بَل لَّجُّوا ﴾ أي تمادَوْا وأصرّوا . ﴿ فِي عُتُوٍّ ﴾ طغيان ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ عن الحق .

---

(١) لم يعلم قائله ؛ وهو من الرجز المسدس . و «يعشيها» أي يطعمها العشاء . ويروى : « يغشيها » بالغين المعجمة من الغشاء كالغطاء ؛ أي يشملها و يعمها . وضمير المؤنث للإبل ؛ وهو في وصف كريم بادر بعقر إبله لضيوفه . والعضب : السيف . و «يقصد» : من القصد وهو ضد الجور . و «أسوقها» : جمع ساق ؛ وهو ما بين الركبة إلى القدم . و « جائر» من جار إذا ظلم ؛ أي يجور . (راجع خزانة الأدب في الشاهد السادس والخمسين بعد الثلثمائة) .

قوله تعالى : أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾ ضرب الله مثلا للؤمن والكافر . « مُكِبًّا » أى منكسا رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله ؛ فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه . كمن يمشى سويًّا معتدلا ناظرًا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله . قال ابن عباس : هذا فى الدنيا ؛ ويجوز أن يريد به الأعمى الذى لا يهتدى إلى الطريق فيعتسف ؛ فلا يزال ينكبّ على وجهه . وأنه ليس كالرجل السّوىّ الصحيح البصير الماشى فى الطريق المهتدى له . وقال قتادة : هو الكافر أكبّ على معاصى الله فى الدنيا فحشره الله يوم القيامة على وجهه . وقال ابن عباس والكلبى : عَنى بالذى يمشى مُكِبًّا على وجهه أبا جهل ، وبالذى يمشى سويًّا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . وقيل أبو بكر . وقيل حمزة . وقيل عمّار بن ياسر ؛ قاله عكرمة . وقيل : هو عام فى الكافر والمؤمن ؛ أى أن الكافر لا يدرى أعلى حق هو أم على باطل . أى أهذا الكافر أهدى أو المسلم الذى يمشى سويًّا معتدلا يُبصر للطريق وهو ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو الإسلام . ويقال : أكبّ الرجل على وجهه ؛ فيما لا يتعدّى بالألف . فإذا تعدّى قيل : كَبّه الله لوجهه ؛ بغير ألف .

قوله تعالى : قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ ﴾ أمَرَ نبيَّه أن يعرّفهم قُبح شركهم مع اعترافهم بأن الله خلقهم . ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ يعنى القلوب ﴿ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾ أى لا تشكرون هذه النِّعم ، ولا توحّدون الله تعالى . تقول : قلّما أفعل كذا ؛ أى لا أفعله .

قوله تعالى : قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي خلقكم في الأرض ؛ قاله ابن عباس . وقيل : نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها ؛ قاله ابن شجرة . ﴿ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ حتى يجازي كُلًّا بعمله . ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَـٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أي متى يوم القيامة ! ومتى هذا العذاب الذي تعدوننا به ! وهذا استهزاء منهم . وقد تقدّم.(١)

قوله تعالى : قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي قل لهم يا محمد علمُ وقت قيام الساعة عند الله؛ فلا يعلمه غيره . نظيره : « قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي » الآية.(٢) ﴿ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ أي مُخوِّف ومُعلِمٌ لكم .

قوله تعالى : فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً ﴾ مصدر بمعنى مُزْدَلَفا ، أي قريبا ؛ قاله مجاهد . الحسن عِياناً . وأكثر المفسرين على أن المعنى : فلما رأوه يعني العذاب ، وهو عذاب الآخرة . وقال مجاهد : يعني عذاب بَدْر . وقيل : أي رأوا ما وُعِدوا من الحشر قريبا منهم . ودلّ عليه « تحشرون » . وقال ابن عباس : لما رأوا عملهم السّيّء قريبا . ﴿ سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي فُعل بها السوء . وقال الزجاج : تُبُيِّن فيها السوء ؛ أي ساءهم ذلك العذاب وظهر على وجوههم سِمَةٌ تدلّ على كفرهم ؛ كقوله تعالى : « يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ »(٣) . وقرأ نافع وابن مُحَيْصن وابن عامر والكسائي « سيئت » بإشمام الضم . وكسر الباقون بغير إشمام طلباً للخفة . ومن ضمّ لاحظ الأصل . ﴿ وَقِيلَ هَـٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾ قال الفرّاء : « تَدَّعُونَ » تفتعلون من الدعاء ؛ وهو قول أكثر العلماء . أي تتمنّون وتسألون .

---

(١) راجع جـ ٨ ص ٣٤٩ (٢) آية ١٨٧ سورة الأعراف . راجع جـ ٧ ص ٣٣٥

(٣) آية ١٠٦ سورة آل عمران .

وقال ابن عباس : تَكْذِبون ؛ وتأويله : هــذا الذى كنتم من أجله تدعون الأباطيل والأحاديث ؛ قاله الزجاج . وقراءة العامة « تدّعون » بالتّشديد ، وتأويله ما ذكرناه . وقرأ قتادة وابن أبى إسحاق والضحاك ويعقوب « تَدْعُون » مخففة . قال قتادة : هو قولهم « رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا »(١) . وقال الضحاك : هو قولهم «اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هو الحقَّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ »(٢) الآية . وقال أبو العباس : « تدعون » تستعجلون ؛ يقال دعوت بكذا إذا طلبتـه ؛ وادّعيت افتعلت منـه . النحاس : « تَدّعون وتَدْعُون » بمعنًى واحد ؛ كما يقال : قَدَر واقتدر ، وعَدَى واعْتَدَى ؛ إلا أن فى «افتعل» معنى شىء بعد شىء ، و«فَعَل» يقع على القليل والكثير .

قوله تعالى : قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ ﴾ أى قل لهم يا محمد ــ يريد مشركى مكة ، وكانوا يتمنّون موت محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ»(٣) ــ : أرأيتم إن مِتْنَا أو رُحِمْنا فأُخِّرت آجالُنا فمن يجيركم من عذاب الله ؛ فلا حاجة بكم إلى التربّص بنا ولا إلى استعجال قيام الساعة . وأسكن الياء فى « أهلكنى » ابنُ مُحَيْصِن والمُسَيَّبى وشيبة والأعمش وحمزة . وفتحها الباقون . وكلهم فتح اليـاء فى « ومَنْ معىَ » إلا أهل الكوفة فإنهم سكّنوها . وفتحها حَفْص كالجماعة .

قوله تعالى : قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وعليْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ ﴾ قرأ الكِسَائى بالياء على الخبر ؛ ورواه عن علىّ . الباقون بالتاء على الخطاب ، وهو تهديد لهم . ويقال : لم أخّر مفعول

(١) آية ١٦ سورة ص . (٢) آية ٣٢ سورة الأنفال . (٣) آية ٣٠ سورة الطور .

«آمنا» وقدّم مفعول «توكّلنا» فيقال: لوقوع «آمنّا» تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم . كأنه قيل آمنّا ولم نكفر كما كفرتم . ثم قال ﴿وعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ خصوصًا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم؛ قاله الزمخشري .

قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ أى غائرا ذاهبا فى الأرض لا تناله الدِّلاء . وكان ماؤهم من بئرين : بئر زمزم وبئر ميمون . ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أى جارٍ؛ قاله قتادة والضحاك . فلابدّ لهم من أن يقولوا لا يأتينا به إلا الله؛ فقل لهم لِمَ تُشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم . يقال : غار الماء يَغُور غَوْرا؛ أى نَضَب . والغَوْر : الغائر؛ وُصِف بالمصدر للمبالغة؛ كما تقول : رجل عَدْلٌ ورضاً . وقد مضى فى سورة «الكهف» (١) ومضى القول فى المعنى فى سورة «المؤمنون» (٢) والحمد لله . وعن ابن عباس : «بِمَاءٍ مَعِينٍ» أى ظاهر تراه العيون؛ فهو مفعول . وقيل : هو من مَعَن الماءُ أى كثر؛ فهو على هذا فعيل . وعن ابن عباس أيضا : أن المعنى فمن يأتيكم بماء عَذْب . والله أعلم .

تفسير سورة «نٓ والقلم»

مَكّيّة فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : من أوّلها إلى قوله تعالى : «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» (٣) مكّيّ . ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى : «أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (٤) مدنيّ . ومن بعد ذلك الى قوله «يَكْتُبُونَ» (٥) مكّى . ومن بعد ذلك الى قوله تعالى : «مِنَ الصَّالِحِينَ» (٦) مدنيّ، وما بقى مكّيّ؛ قاله الماوَرْديّ .

وهى ثنتان وخمسون آية

---

(١) راجع جـ ١٠ ص ٤٠٩ (٢) راجع جـ ١٢ ص ١١٢ (٣) آية ١٦
(٤) آية ٣٣ (٥) آية ٤٧ (٦) آية ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ أدغم النون الثانية فى هجائها فى الواو أبو بكر والمفضّل وهُبَيرة ووَرْش وابن مُحَيْصِن وابن عامر والكسائى و يعقوب . والباقون بالإظهار . وقرأ عيسى ابن عمر بفتحها ؛ كأنه أضمر فعلا . وقرأ ابن عباس ونصر وابن أبى إسحاق بكسرها على إضمار حرف القسم . وقرأ هارون ومحمد بن السَّمَيْقَع بضمها على البناء . واختلف فى تأويله ؛ فروى معاوية بن قُرّة عن أبيه يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "نٓ لَوْح من نور" . وروى ثابت البُنَانى أن « ن » الدواة . وقاله الحسن وقتادة . وروى الوليد بن مسلم قال حدّثنا مالك بن أنس عن سُمَىّ مولى أبى بكر عن أبى صالح السّمان عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أول ما خلق الله القلم ثم خلق النُّون وهى الدواة وذلك قوله تعالى « ن والقلم » ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ـ قال ـ ثم ختم فَمَ القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة . ثم خلق العقل فقال الجبّار ما خلقتُ خلقًا أعجبَ الىّ منك وعزّتى وجلالى لأكمّلنّك فيمن أحببت ولأنقصنّك فيمن أبغضت" قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكمل الناس عقلًا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته" . وعن مجاهد قال : « ن » الحُوت الذى تحت الأرض السابعة . قال : « والقلم » الذى كُتب به الذكر . وكذا قال مقاتل ومُرّة الهَمْدَانىّ وعطاء الخراسانى والسُّدّى والكلبى : إن النون هو الحوت الذى عليه الأرضون . وروى أبو ظَبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخار الماء فخلق منه السماء ، ثم خلق النون فبسط الأرض

على ظهره، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، و إن الجبال لتفخر على الأرض . ثم قرأ ابن عباس « ن والقلم » الآية . وقال الكلبي ومقاتل : اسمه البَهَمُوت[1] . قال الراجز :

مـالى أراكـم كلّكم سـكوتا * والله ربّى خـلق البَهَمُـوتـا

وقال أبواليقظان والواقدى : ليـوثا . وقال كعب : لوثوثا . وقال : بلهموثا[2] . قال كعب : إن إبليس تغلغـل إلى الحوت الذى على ظهره الأرضون فوسوس فى قلبه ، وقال : أتدرى ما على ظهرك يا لوثوثا[2] من الدواب والشجر والأرضين وغيرها، لو لفظتهم ألقيتهم عن ظهرك أجمع ؛ فهمّ ليوثا[2] أن يفعل ذلك ، فبعث الله إليه دابة فدخلت مَنْخِره ووصلت إلى دماغه؛ فضجّ الحوت إلى الله عزّ وجلّ منها فأذن الله لها فخرجت . قال كعب : فو الله إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن همّ بشئ من ذلك عادت كما كانت . وقال الضحاك عن ابن عباس : إن « ن » آخر حرف من حروف الرحمن . قال : الر ، و حم ، و ن ؛ الرحمن تعالى متقطعة . وقال ابن زيد : هو قسم أقسم الله تعالى به . وقال ابن كيسان : هو فاتحة السورة . وقيـل : اسم السـورة . وقال عطاء وأبو العـالية : هو افتتاح اسمه نصـير ونور وناصر . وقال محمد بن كعب : أقسم الله تعالى بنصره للمؤمنين؛ وهو حق . بيانه قوله تعالى : « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ[3] » . وقال جعفر الصادق : هو نهر من أنهـار الجنة يقال له نون . وقيـل : هو المعروف من حروف المُعْجَم ، لأنه لو كان غير ذلك لكان مُعْرَبًا ؛ وهو اختيار القُشَيْرِىّ أبو نصر عبد الرحيم فى تفسيره . قال : لأن « ن » حرف لم يُعْرَب ؛ فلو كان كلمة تامة أعرب كما أعرب القلم ؛ فهو إذنْ حرف هجاء كما فى سائر مفاتيح السور . وعلى هـذا قيل : هو اسم للسورة؛ أى هذه سورة ن . ثم قال « والقلم » أقسم بالقلم لمـا فيه من البيان

---

(١) ضبطه الألوسى فى تفسيره فقال : « اليهموث بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء » .

(٢) اضطربت الأصول والمراجع التى بين أيدينا فى هذه الأسماء . وقد خرج المؤلف رحمه الله عما اشترطه فى أول كتابه حيث قال : « ... وأضرب عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ... » الخ .

(٣) آية ٤٧ سورة الروم .

كالنسان ؛ وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من فى السماء ومَن فى الأرض؛ ومنه قول أبى الفتح البُستِيّ .

إذا أقسم الأبطال يومًا بسيفهم * وعدُّوه مما يكسبُ المجدَ والكرَمْ

كَفَى قلم الكُتّابِ عزًّا ورفعةً * مَدَى الدهر أن الله أقسم بالقلمْ

وللشعراء فى تفضيل القلم على السيف أبيات كثيرة ، ما ذكرناه أعلاها . وقال ابن عباس : هذا قسم بالقلم الذى خلقه الله؛ فأمره بجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : وهو قلم من نورٍ طوله كما بين السماء والأرض . ويقال : خلق الله القلم ثم نظر إليه فانشق نصفين ؛ فقال : اجرِ؛ فقال : يارب بِمَ أجرى ؟ قال بما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ فجرى على اللَّوح المحفوظ . وقال الوليد بن عُبادة بن الصّامت : أوصانى أبى عند موته فقال: يابُنَيّ ، اتق الله ، واعلم أنك لن تتق ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدر خيره وشرّه ، سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أوّل ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال يارب وما أكتب فقال اكتب القدر فجرى القلم فى تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد" وقال ابن عباس : أوّل ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن ؛ فكتب فيما كتب « تَبّتْ يَدَا أبى لهب » . وقال قتادة : القلم نعمة من الله تعالى على عباده . قال غيره : فخلق الله القلم الأوّل فكتب ما يكون فى الذكر ووضعه عنده فوق عرشه ، ثم خلق القلم الثانى ليكتب به فى الأرض ؛ على ما يأتى بيانه فى سورة « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ »

قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أى وما يكتبون . يريد الملائكة يكتبون أعمال بنى آدم ؛ قاله ابن عباس : وقيل : وما يكتبون [أى] الناس ويتفاهمون به . وقال ابن عباس : ومعنى « وَمَا يَسْطُرُونَ » وما يعلمون . و « ما » موصولة أو مصدرية ؛ أى ومسطوراتهم أو وسطرهم . ويراد به كل من يسطر أو الحفظة ، على الخلاف . ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ هذا جواب القسم وهو نفى ؛ وكان المشركون يقولون للنبيّ صلى الله عليه وسلم إنه مجنون ، به شيطان .

وهو قولهم « يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ »[(١)] فأنزل الله تعالى ردّا عليهم وتكذيبا لقولهم « ما أنت بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » أى برحمة ربك . والنعمة هاهنا الرحمة . ويحتمل ثانيا — أن النعمة هاهنا قَسَم ؛ وتقديره : ما أنت ونعمة ربك بمجنون ؛ لأن الواو والباء من حروف القسم . وقيل هو كما تقول : ما أنت بمجنون ، والحمد لله . وقيل : معناه ما أنت بمجنون ، والنعمة لربك ؛ كقولهم : سبحانك اللهم و بحمدك ؛ أى والحمد لله . ومنه قول لَبِيد :

وأُفرِدْتُ فى الدنيا بفقد عشيرتى * وفارقنى جارٌ بأَرْبَدَ نافعُ

أى وهو أربد[(٢)] . وقال النابغة :

لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاء وأُمُّهم * طَفَحتْ عليك بناتق مِذْكارِ

أى هو ناتق . والباء فى « بنعمة ربّك » متعلقة « بمجنون » منفيًّا ؛ كما يتعلق بغافل مثبتا . كما فى قولك : أنت بنعمة ربك غافل . ومحله النصب على الحال ؛ كأنه قال : ما أنت بمجنون مُنْعَمًا عليك بذلك . ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أى ثوابًا على ما تحملت من أثقال النبوّة . ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أى غير مقطوع ولا منقوص ؛ يقال : مننت الحبل إذا قطعته . وحبل منين إذا كان غير متين . قال الشاعر[(٣)] :

* غُبْسًا كواسبَ لا يُمَنّ طعامُها *

أى لا يقطع . وقال مجاهد : « غير ممنون » غير محسوب . الحسن : « غير ممنون » غير مكدّر بالمَنّ . الضحاك : أجرا بغير عمل . وقيل : غير مقدر وهو التفضل ؛ لأن الجزاء مقدّر والتفضل غير مقدر ؛ ذكره الماوَرْدِىّ ، وهو معنى قول مجاهد .

---

(١) آية ٦ سورة الحجر . (٢) الربدة (بضم فسكون) : الغبرة . ورواية الديوان فى هذا البيت :

وقد كنت فى أكناف جار مضنة * ففارقنى ... ... الخ .

و « جار مضنة » : جار يضن به .

(٣) هذا عجز بيت للبيد . واختلف فى صدره . راجع مادة (منن) فى اللسان . والغبسة : لون الرماد . والكواسب : الجوارح . يصف كلابا ضارية .

قوله تعالى : وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

فيه مسألتان :

الأولى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : على خُلُق على دينٍ عظيم من الأديان ؛ ليس دين أحبّ إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه . وفى صحيح مسلم عن عائشة : أن خُلُقه كان القرآن . وقال علىّ رضى الله عنه وعَطِيّة : هو أدب القرآن . وقيل : هو رِفْقُه بأمته وإكرامُه إيّاهم . وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهى عنه مما نهى الله عنه . وقيل : أى إنك على طبع كريم . الماوردىّ : وهو الظاهر . وحقيقة الخُلُق فى اللغة : ما هو يأخذ به الإنسانُ نفسَه من الأدب يُسَمَّى خُلُقًا ؛ لأنه يصير كالخِلْقة فيه . وأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم (بالكسر) : السَّجِيَّة والطبيعة ، لا واحد له من لفظه . وخِيم : اسم جبل . فيكون الخُلُق الطبعَ المتكلَّف . والخِيم الطبع الغريزى . وقد أوضح الأعشى ذلك فى شعره فقال :

وإذا ذُو الفضـول ضَنّ على المَـوْ * لَى وعادت لِخيمها الأخـلاقُ

أى رجعت الأخلاق إلى طبائعها .

قلت : ما ذكرته عن عائشة فى صحيح مسلم أصحّ الأقوال . وسئلت أيضا عن خُلُقه عليه السلام ؛ فقرأت « قد أفلح المؤمنون »(١) إلى عشر آيات ، وقالت : ما كان أحد أحسنَ خُلُقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال لَبَّيْك ، ولذلك قال الله تعالى « وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم » . ولم يُذكر خُلُقٌ محمود إلا وكان للنبىّ صلى الله عليه وسلم منه الحظّ الأوفر . وقال الجُنَيْد : سُمِّىَ خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى . وقيل سُمِّىَ خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ؛ يدلّ عليه قوله عليه السلام : "إن الله بعثنى لأتمم مكارم الأخلاق" . وقيل : لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى « خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ »(٢) . وقد روى عنه عليه السلام

---

(١) أوّل سورة المؤمنون . (٢) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

أنه قال : "أدبني ربي تأديبًا حسنًا" إذ قال : « خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فلما قبلت ذلك منه قال « إنك لعلى خُلُق عظيم » "

الثانيــة — روى الترمذي عن أبي ذرّ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحُها وخالق الناس بخُلُق حسن". قال: حديث حسن صحيح. وعن أبي الدَّرْدَاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ماشيءٌ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حَسَن وإن الله تعالى لَيُبْغِض الفاحش البذيء". قال: حديث حسن صحيح. وعنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حُسن الخُلُق وإن صاحب حُسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصلاة والصوم". قال : حديث غريب من هذا الوجه. وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدْخِل الناسَ الجنة ؟ فقال: "تقوى الله وحُسْن الخلق". وسئل عن أكثر ما يُدْخِل الناسَ النارَ ؟ فقال : "الفَم والفَرْج" قال : هذا حديث صحيح غريب . وعن عبد الله بن المبارك أنه وصف حُسْن الخُلُق فقال : هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكَفّ الأذى . وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا — قال — وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدّقون[1] والمُتَفَيْهِقُون" . قالوا : يارسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون ؟ قال : "المتكبرون" . قال : وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب [من هذا الوجه[2]] .

قوله تعالى : فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

---

(١) المتشدق : الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

(٢) زيادة عن صحيح الترمذي .

قوله تعالى : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ قال ابن عباس : معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة . وقيل : فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبيّن الحق والباطل . ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ الباء زائدة ؛ أى فستبصر ويبصرون أيكم المفتون . أى الذى فُتِن بالجنون ؛ كقوله تعالى : « تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ »(١) و « يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ »(٢) . وهذا قول قَتادة وأبى عُبيد والأخفش . وقال الراجز :

نحن بنو جَعْـدَة أصحاب الفَلَج(٣) * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وقيل : البـاء ليست بزائدة ؛ والمعنى : « بأيكم المفتون » أى الفتنة . وهو مصدر على وزن المفعول ، ويكون معناه الفُتُون ؛ كما قالوا : ما لفـلان مجلود ولا معقول ؛ أى عقـل ولا جلادة . وقاله الحسن والضحاك وابن عباس . وقال الراعى :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه * لحمًا ولا لفـؤاده معقـولا

أى عقلا . وقيل فى الكلام تقدير حذف مضاف ؛ والمعنى : بأيكم فتنة المفتون . وقال الفـرّاء : الباء بمعنى فى ؛ أى فَسَتُبْصِر ويُبصرون فى أى الفريقين المجنون ؛ أبا لفـرقة التى أنت فيها من المؤمنين أم بالفِرقة الأخرى . والمفتون : المجنون الذى فتنه الشيطان . وقيل : المفتون المعذَّب . من قول العـرب : فتنتُ الذهب بالنار إذا حمّيته . ومنـه قوله تعالى : « يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ »(٤) أى يعذّبون .

ومعظم السورة نزلت فى الوليد بن المغيرة وأبى جهل . وقيل : المفتون هو الشيطان ؛ لأنه مفتون فى دينه . وكانوا يقولون : إن به شيطانا، وعَنَوْا بالمجنون هـذا ؛ فقال الله تعالى فسيعلمون غدا بأيهم المجنون ؛ أى الشيطان الذى يحصل من مَسّه الجنون واختلاط العقل .

---

(١) آيه ٢٠ سورة المؤمنون . (٢) آية ٦ سورة الإنسان .

(٣) الفلج (بفتح الفاء واللام) : مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة . ويجوز فيه : * نحن بنى ... * بالنصب على الاختصاص . (راجع الشاهد التاسع والثمانين بعد السبعمائة فى خزانة الأدب) .

(٤) آية ١٣ سورة الذاريات .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ﴾ أى إن الله هو العالم بمن حاد عن دينه . ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أى الذين هم على الهدى فيجازى كُلًّا غداً بعمله .

قوله تعالى : فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾

نهاه عن ممايلة[1] المشركين ، وكانوا يدعونه إلى أن يكف عنهم ليكفّوا عنه ، فبيّن الله تعالى أن ممايلتهم كفر . وقال تعالى : « وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا »[2] . وقيل : أى فلا تطع المكذبين فيما دعوك إليه من دينهم الخبيث . نزلت فى مشركى قريش حين دعوه إلى دين آبائه .

قوله تعالى : وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾

قال ابن عباس وعطية والضحاك والسُّدّى : ودّوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم . وعن ابن عباس أيضا : ودّوا لو ترخّص لهم فيرخّصون لك . وقال الفرّاء والكلبى : لو تلين فيلينون لك . والادّهان : التليين لمن لا ينبغى له التليين ؛ قاله الفرّاء . وقال مجاهد : المعنى ودّوا لو ركنت إليهم وتركت الحق فيمالئونك . وقال الربيع بن أنس : ودّوا لو تكذب فيكذبون . وقال قتادة : ودّوا لو تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك . الحسن : ودّوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك فى دينهم . وعنه أيضا : ودّوا لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم . زيد بن أسلم : لو تنافق وترائى فينافقون ويراءون . وقيل : ودّوا لو تضعف فيضعفون ؛ قاله أبو جعفر . وقيل ودّوا لو تداهن فى دينك فيداهنون فى أديانهم ؛ قاله القُتَبى . وعنه : طلبوا منه أن يعبد آلهتهم مدّة ويعبدوا إلهه مدّة . فهذه اثنا عشر قولا . ابن العربى : ذكر المفسرون فيها نحو عشرة أقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى . أمثلها قولهم : ودّوا لو تكذب فيكذبون ، ودّوا لو تكفر فيكفرون .

---

(١) مايله ممايلة : مالأه .   (٢) آية ٧٤ سورة الإسراء .

قلت : كلها إن شاء الله تعالى صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى ؛ فإن الادّهان اللينُ والمصانعة . وقيل : مجاملة العدُوّ وممايلته . وقيل : المقاربة فى الكلام والتّليين فى القول . قال الشاعر :

لبعض الغَشْم أحزم فى أمور * تنوبك من مداهنة العدة

وقال المفضل : النفاق وترك المناصحة . فهى على هذا الوجه مذمومة ، وعلى الوجه الأوّل غير مذمومة ، وكل شىء منها لم يكن . قال المبرد : يقال أدهن فى دينه وداهن فى أمره ؛ أى خان فيه وأظهر خلاف ما يُضمر . وقال قوم : داهنت بمعنى واريت ، وأدهنت بمعنى غششت ؛ قاله الجوهرىّ . وقال : « فيدهنون » فساقه على العطف ، ولو جاء به جواب النهى لقال فيدهنوا . وإنما أراد : إن تمنّوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك ؛ عطفًا لا جزاء عليه ولا مكافأة ، وإنما هو تمثيل وتنظير .

قوله تعالى : وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

يعنى الأخنس بن شريق ؛ فى قول الشعبىّ والسُّدّىّ وآبن إسحاق . وقيل : الأسود آبن عبد يغوث ، أو عبد الرحمن بن الأسود ؛ قاله مجاهد . وقيل : الوليد بن المغيرة ، عرض على النبىّ صلى الله عليه وسلم مالًا وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه ؛ قاله مقاتل . وقال آبن عباس : هو أبو جهل بن هشام . والحَلّاف : الكثير الحَلِف . والمَهِين : الضعيف القلب ؛ عن مجاهد . آبن عباس : الكذاب . والكذاب مهين . وقيل : المكثار فى الشر ؛ قاله الحسن وقتادة . وقال الكلبىّ : المَهِين الفاجر العاجز . وقيل : معناه الحقير عند الله . وقال آبن شجرة : إنه الذليل . الرُّمّانى : المهين الوضيع لإكثاره من القبيح . وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة . وهى هنا القلة فى الرأى والتمييز . أو هو فعيل بمعنى مُفْعَل ؛ والمعنى مُهان . ﴿ هَمّازٍ ﴾ قال ابن زيد : الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم . واللماز باللسان . وقال

الحسن : هو الذى يهمز ناحية فى المجلس؛ كقوله تعالى : « هُمَزة » . وقيل : الهمّاز الذى يذكر الناس فى وجوههم . واللّماز الذى يذكرهم فى مَغيبهم ؛ قاله أبو العالية وعطاء بن أبى رَبَاح والحسن أيضا . وقال مقاتل ضدّ هذا الكلام : إن الهُمَزة الذى يغتاب بالغيبة . واللُّمَزة الذى يغتاب فى الوجه . وقال مرّة : هما سواء . وهو القتّات الطعّان للرء إذا غاب . ونحوه عن ابن عباس وقتادة . قال الشاعر :

تُــدْلِى بــودّ إذا لاقيتنى كذباً * وإنْ أغِب فأنت الهامز اللُّمَزَه

﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ أى يمشى بالنميمة بين الناس ليُفسد بينهم . يقال: نَمّ يَنِمّ نَمّاً ونَمِيماً ونَميمة ؛ أى يمشى ويسعى بالفساد . وفى صحيح مسلم عن حُذيفة أنه بلغه أن رجلا ينمّ الحديث ؛ فقال حذيفة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا يدخل الجنة نمام" . وقال الشاعر :

ومولًى كبيت النمل لا خير عنده * لمــولاه إلا سَــعْيُهُ بنمــيم

قال الفرّاء : همـا لغتان . وقيل : النَّمِيم جمـع نميمة . ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ أى للمـال أن ينفق فى وجوهه . وقال ابن عباس : يمنع عن الإسلام ولده وعشيرته . وقال الحسن : يقول لهم من دخل منكم فى دين محمد لا أنفعه بشىء أبدا . ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ أى على الناس فى الظلم، متجاوز للحدّ، صاحب باطل . ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أى ذى إثم، ومعناه أثُوم[(١)] ؛ فهو فعيـل بمعنى فَعُول . ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ العُتُلّ الجافى الشديد فى كفره . وقال الكلبى والفرّاء : هو الشديد الخصومة بالباطل . وقيل : إنه الذى يَعْتِـل الناس فيجرّهم إلى حبس أو عذاب . مأخوذ من العَتْل وهو الجرّ؛ ومنه قوله تعالى : « خُذُوه فَاعْتِلوه »[(٢)] . وفى الصّحاح : وعتلت الرجل أعْتِله وأعْتُله إذا جذبته جذباً عنيفاً . ورجل مِعْتَل (بالكسر) . وقال[(٣)] يصف فرسا :

* نَفْرعه فرعًا ولسنا نَعْتِله *

قال ابن السِّكيت : عَتَله وعَتَنه، باللام والنون جميعا . والعُتُلّ الغليظ الجافى . والعُتُلّ أيضا :

---

(١) فى الأصول : « مأثوم » . (٢) آية ٤٧ سورة الدخان .

(٣) هو أبو النجم الراجز . وفرع فرسه فرعا : كبحه وكفه .

الرمح الغليظ . ورجل عَتِلٌّ (بالكسر) بيّن العَتَل؛ أي سريع إلى الشر . ويقال : لا أنعتل معك؛ أي لا أبرح مكانى . وقال عُبيد بن عُمير : العُتُلّ الأكول الشروب القوىّ الشديد يوضع فى الميزان فلا يزن شعيرة؛ يدفع المَلَك من أولئك فى جهنم بالدّفعة الواحدة سبعين ألفا . وقال علىّ بن أبى طالب والحسن : العُتُلّ الفاحش السيئ الخلق . وقال معْمَر: هو الفاحش اللئيم . قال الشاعر :

بعُتُلّ من الرجال زَنيم * غير ذى نجدة وغير كريم

وفى صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أخبركم بأهل الجنة — قالوا بلى قال — كلُّ ضعيف مُتَضَعَّف[(1)] لو أقسم على الله لأبَرّه . ألا أخبركم بأهل النار — قالوا بلى قال — كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكبِر". فى رواية عنه "كلُّ جَوّاظ زَنيم متكبّر". الجَوّاظ : قيل هو الجَمُوع المنوع . وقيل الكثير اللحم المختال [فى مشيته] . وذكر الماوردى عن شَهْر بن حَوْشَب عن عبد الرحمن بن غَنْم . ورواه ابن مسعود أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِىّ ولا العُتُلّ الزَّنيم". فقال رجل: ما الجَوّاظ وما الجَعْظَرِىّ وما العتل الزنيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الجَوّاظ الذى جَمع ومَنع . والجَعْظَرِىّ الغليظ . والعُتُلّ الزَّنيم الشديد الخَلْق الرَّحيب الجَوْف المُصَحَّح الأكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس " . وذكره الثعلبى عن شَدّاد بن أَوْس : " لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِىّ ولا عُتُلّ زنيم " سمعتهن من النبىّ صلى الله عليه وسلم قلت : وما الجواظ؟ قال : الجَمّاع المَنّاع . قلت : وما الجَعْظَرِىّ ؟ قال : الفَظّ الغليظ . قلت : وما العُتُلّ الزنيم ؟ قال : الرَّحيب الجَوْف الوَثير الخَلْق الأكول الشروب الغشوم الظلوم .

قلت : فهذا التفسير من النبىّ صلى الله عليه وسلم فى العُتُل قد أَرْبَى على أقوال المفسرين . ووقع فى كتاب أبى داود فى تفسير الجَوّاظ أنه الفظ الغليظ . ذكره من حديث حارثة بن وهب

(1) روى بكسر العين وفتحها . والمشهور الفتح . ومعناه : يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله فى الدنيا . ورواية الكسر معناها : متواضع متذلل خامل واضع من نفسه . قال القاضى : وقد يكون الضعف هنا رقة القلوب ولينها وإخباتها للإيمان .

الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة الجوّاظ ولا الجعْظَرِي" قال : والجوّاظ الفَظّ الغليظ . ففيه تفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه أوّلا . وقد قيل : إنه الجافي القلب . وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى : « عُتُلٍّ بعد ذلك زَنِيم » قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " تبكي السماء من رجل أصحّ الله جِسْمَه ورحّب جَوْفَه وأعطاه من الدنيا بعضًا فكان للنـاس ظلوما فذلك العُتُلّ الزنيم . وتبكي السماء من الشيخ الزاني ما تكاد الأرضَ تُقِلّه " . والزَّنِيم المُلْصَق بالقوم الدَّعِيّ؛ عن ابن عباس وغيره . قال الشاعر :

زَنِـيمٌ تـداعاه الرجال زيـادةً * كما زِيدَ في عَرْضِ الأديم الأكارعُ

وعن ابن عباس أيضا أنه رجل من قريش كانت له زَنَمة كزنمة الشاة . وروى عنه ابن جبير أنه الذي يُعـرف بالشر كما تُعرف الشاة بزنمتها . وقال عِكْرِمة : هـو اللئيم الذي يُعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها . وقيل : إنه الذي يعرف بالأُبْنَة . وهو مروي عن ابن عباس أيضا . وعنه أنه الظلوم . فهذه ستة أقوال . وقال مجاهد : زَنِيم كانت له ستة أصابع في يده، في كل إبهام له إصبع زائدة . وعنه أيضا وسعيد بن المسيّب وعكرمة : هو ولد الزنى الملحق في النسب بالقوم . وكان الوَلِيـد(1) دَعِيًّا في قريش ليس من سِنْخهم(2)؛ ادّعاه أبوه بعد ثمـاني عشرة سنة من مولده . قال الشاعر :

زَنِـيمٌ ليس يُعرف من أبوه * بَغِيّ الأُمّ ذو حسب لئـيم

وقال حسّان :

وأنت زَنِـيم نِيـط في آل هاشـم * كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفَرْدُ

قلت : وهذا هو القول الأول بعينه . وعن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه الذي لا أصل له؛ والمعنى واحد . ورُوِيَ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " لا يدخل الجنـة وَلَدُ زِنًى ولا ولده ولا ولد ولده " . وقال عبـد الله بن عمر إن النبيّ صلى الله عليه وسـلم قال : " إن أولاد الزنى يحشرون يوم القيامة في صورة القِردة والخنازير" . وقالت مَيْمُونة : سمعت النبيّ

(1) هو الوليد بن المغيرة المخزومي . (2) السنخ (بالكسر والخاء المعجمة) : الأصل .

صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تزال أمتي بخير ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزِّنَى فإذا فشا فيهم ولد الزنى أوشك أن يعمهم الله بعقاب" . وقال عكرمة : إذا كثر ولد الزنى قحط المَطَرُ .

قلت : أما الحديث الأول والثاني فما أظن لهما سندا يصح ، وأما حديث ميمونة وما قاله عكرمة ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جَحْش زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم يومًا فزعا مُحْمَرًّا وَجْهُه يقول : " لا إله إلا الله . وَيْلٌ للعرب من شرّ قد اقترب . فُتح اليومَ من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه " وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها ، قالت فقلت : يا رسول الله ، أنَهْلِك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثُر الخَبَث" خرّجه البخاريّ . وكثرة الخبث ظهور الزنى وأولاد الزنى ؛ كذا فسّره العلماء . وقول عكرمة « قحط المطر » تبيينٌ لما يكون به الهلاك . وهذا يحتاج إلى توقيف ، وهو أعلم من أين قاله . ومعظم المفسرين على أن هذا نزل في الوليد بن المغيرة ، وكان يُطعم أهلَ مِنًى حَيْسًا[(١)] ثلاثة أيام ، وينادي ألا لا يوقدنّ أحد تحت بُرْمَة ، ألا لا يدخّنن أحد بكُراع ، ألا ومن أراد الحَيْس فليأت الوليد بن المغيرة . وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفا وأكثر ، ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل « منّاع للخير » . وفيه نزل : « وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ»[(٢)] . وقال محمد بن إسحاق : نزلت في الأخْنَس بن شَرِيق ، لأنه حليف مُلْحق في بني زُهْرة ، فلذلك سُمِّيَ زَنِيمًا . وقال ابن عباس : في هذه الآية نُعت ، فلم يعرف حتى قُتل فعُرِف ، وكان له زَنَمة في عنقه معلّقة يُعرف بها . وقال مُرّة الهَمْدانيّ : إنما ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة .

قوله تعالى : أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

---

(١) الحيس : الطعام المتخذ من التمر والاقط (الجبن المتخذ من اللبن الحامض) والسمن .

(٢) آية ٦ سورة فصلت .

قوله تعالى : ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو حَيْوة والمغيرة والأعرج « آن كان » بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام . وقرأ المُفَضّل وأبو بكر وحمزة « أأن كان » بهمزتين مُحَقّقتين . وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر ؛ فمن قرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ، ويحسن له أن يقف على « زَنِيم » ، ويبتدئ « أَنْ كَانَ » على معنى ألِأن كان ذا مال وبنين تطيعه . ويجوز أن يكون التقدير : ألِأن كان ذا مال وبنين يقول إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ! ! ويجوز أن يكون التقدير : ألأن كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر . ودلّ عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام . ومن قرأ « أَنْ كَانَ » بغير استفهام فهو مفعول من أجله والعامل فيه فعل مضمر ، والتقدير : يكفر لأن كان ذا مال وبنين . ودلّ على هذا الفعل « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . ولا يعمل فى « أَنْ » : « تُتْلَى » ولا « قَالَ » لأن ما بعد « إِذَا » لا يعمل فيما قبلها ؛ لأن « إِذَا » تضاف إلى الجمل التى بعدها ، ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف . و « قَالَ » جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء ؛ إذ حكم العامل أن يكون قبل المعمول فيه ، وحكم الجواب أن يكون بعد الشرط فيصير مقدمًا مؤخرا فى حال . ويجوز أن يكون المعنى لا تطعه لأن كان ذا يسار وعدد . قال ابن الأنبارى : ومن قرأ بلا استفهام لم يحسن أن يقف على « زَنِيم » لأن المعنى لأن كان وبأن كان ، فـ « أن » متعلقة بما قبلها . قال غيره : يجوز أن يتعلق بقوله : « مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ » والتقدير يمشى بنميم لأن كان ذا مال وبنين . وأجاز أبو على أن يتعلق بـ « عُتُلٍّ » . وأساطير الأولين : أباطيلهم وتُرّهاتهم وخراريفهم.(١) وقد تقدم.(٢)

قوله تعالى : سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

فيه مسألتان :

الأولى — قوله تعالى : ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ قال ابن عباس : معنى « سَنَسِمُهُ » سنخطمه بالسيف . قال : وقد خُطم الذى نزلت فيه يوم بدر بالسيف ؛ فلم يزل مخطوما إلى أن مات .

(١) فى بعض الأصول : « وخراريقهم » بالقاف . ولعلها ، « وخرافاتهم » . (٢) راجع جـ ٦ ص ٤٠٥ .

وقال قتادة : سنسمه يوم القيامة على أنفه سِمَةً يُعرف بها؛ يقال : وَسَمْته وَسْما وسِمَة إذا أثّرت فيه بِسِمَةٍ وكَيّ. وقد قال تعالى : «يوم تَبْيَضُّ وُجوهٌ وتَسْوَدُّ وجوهٌ»[(١)] فهذه علامة ظاهرة . وقال تعالى : « وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا »[(٢)] وهذه علامة أخرى ظاهرة . فأفادت هذه الآية علامةً ثالثة وهى الوسْم على الأنف بالنار؛ وهذا كقوله تعالى : « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ »[(٣)] قاله الكلبيّ وغيره . وقال أبو العالية ومجاهد : « سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ » أى على أنفه، ونسوّد وجهه فى الآخرة فيُعْرَف بسواد وجهه . والخرطوم : الأنف من الإنسان . ومن السباع : موضع الشَّفَة . وخراطيم القوم : ساداتهم . قال الفرّاء : وإن كان الخُرْطُوم قد خُصّ بالسِّمة فإنه فى معنى الوجه؛ لأن بعض الشيء يُعبَّر به عن الكل . وقال الطبرى : نبيّن أمره تبيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السِّمة على الخراطيم . وقيل : المعنى سَنُلْحِق به عارًا وسُبَّةً حتى يكون كمن وُسِم على أنفه . قال القُتَبيّ : تقول العرب للرجل يُسَبّ سُبّةَ سوء قبيحة باقية : قد وُسِم مِيسَم سوء؛ أى أُلْصِق به عارٌ لا يفارقه؛ كما أن السِّمة لا يُمْحَى أثرها . قال جرير :

لمّا وضعتُ على الفَرَزْدَق مِيسَمِى * وعلى البَعِيث[(٤)] جَدَعْتُ أنفَ الأخطَلِ

أراد به الهجاء . قال : وهذا كله نزل فى الوليد بن المغيرة . ولا نعلم أن الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحدٍ ما بلغه منه؛ فألحقه به عارًا لا يفارقه فى الدنيا والآخرة؛ كالوَسْم على الخرطوم . وقيل : هو ما ابتلاه الله به فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله من سوء وذُلّ وصَغار؛ قاله ابن بحر . واستشهد بقول الأعشى :

فدعها وما يغنيك وٱعْمِد لغيرها * بشعرك وٱعْلُب[(٥)] أنف من أنت واسم

---

(١) آية ١٠٦ سورة آل عمران . (٢) آية ١٠٢ سورة طه . (٣) آية ٤١ سورة الرحمن .

(٤) البعيث : هو خداش بن بشر (ويقال بشير) من بنى مجاشع؛ كان يهاجى جريرا .

(٥) علبه يعلبه علبا وعلوبا : أثر فيه ووسمه أو خدشه .

وقال النّضر بن شُمَيل : المعنى سنحُدّه على شرب الخمر . والخرطوم : الخمر، وجمعه خراطيم . قال الشاعر :

تَظَلّ يومك فى لَهْوٍ وفى طَرَب * وأنت بالليل شرّاب الخراطيم

قال الراجز[1] :

* صَهْباء خُرْطومًا عُقارًا قَرْقَفَا[2] *

وقال آخر :

أبا حاضر من يَزْنِ يُعرف زناؤه * ومن يشرب الخُرْطوم يُصبح مسكرا

الثانيــة — قال ابن العربى : «كان الوسم فى الوجه لذى المعصية قديما عند الناس، حتى أنه روى — كما تقدم — أن اليهود لمّا أهملوا رَجْم الزانى اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه[3]؛ وهذا وضع باطل . ومن الوسم الصحيح فى الوجه : ما رأى العلماء من تسويد وجه شاهد الزور، علامةً على قُبْح المعصية وتشديدًا لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته[4]؛ فقد كان عزيزا بقول الحق وقد صار مَهينا بالمعصية . وأعظم الإهانة [إهانةُ الوجه]. وكذلك كانت الاستهانة به فى طاعة الله سببًا لخيرة الأبد[5] والتحريم له على النار؛ فإن الله تعالى قد حرم على النار أن تأكل من ٱبن آدم أثرَ السجود؛ حسب ماثبت فى الصحيح.

قوله تعالى : إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾

---

(١) هو العجاج . (٢) كل هذا من أسماء الخمر . وقبله : * فغمها حولين ثم استودفا * وغممت الشيء : غطيته . واستودف اللبن : صبه فى الاناء . (٣) تحميم الوجه : تسخيمه بالفحم .

(٤) عبارة ٱبن العربى فى أحكامه : « ... لغيره لمن يرجى تجنبه بمن يرى من عقوبة ... » .

(٥) فى ابن العربى : « سببا لحياة الأبد » .

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ يريد أهل مكة . والابتلاء الاختبار . والمعنى أعطيناهم أموالًا ليشكروا لا ليَبْطَرُوا؛ فلما بَطِرُوا وعادَوْا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجُوع والقَحْط كما بلونا أهل الجنة المعروف خبرها عندهم . وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء — ويقال بفرسخين — وكانت لرجل يؤدّى حق الله تعالى منها؛ فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرها وبَخِلُوا بحقّ الله فيها؛ فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حلّ بها . قال الكلبي : كان بينهم وبين صنعاء فرسخان؛ ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم . وقيل : هى جنة بضَوْران، وضوران على فرسخ من صنعاء، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير — وكانوا بخلاء — فكانوا يَجُدّون التمر ليلا من أجل المساكين ، وكانوا أرادوا حصاد زرعها وقالوا : لا يدخلها اليوم عليكم مسكين ، فغَدَوْا عليها فإذا هى قد ٱقْتُلِعَتْ من أصلها فأصبحت كالصَّرِيم؛ أى كالليل . ويقال أيضا للنهار صَرِيم . فإن كان أراد الليل فلاسوداد موضعها . وكأنهم وجدوا موضعها حَمْأة . وإن كان أراد بالصّريم النهار فلذهاب الشجر والزرع ونقاء الأرض منه . وكان الطّائف الذى طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها . فيقال : إنه طاف بها حَوْل البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم؛ ولذلك سُمِّيت الطائف . وليس فى أرض الحجاز بلدة فيها الشجر والأعناب والماء غيرها . وقال البكرى فى المُعْجَم : سُمِّيت الطائف لأن رجلا من الصَّدِف[1] يقال له الدَّمُون، بنى حائطا وقال: قد بَنَيْتُ لكم طائفًا حول بلدكم؛ فسُمِّيت الطائف . والله أعلم .

الثانيــة — قال بعض العلماء: على من حصد زَرْعًا أو جَدّ ثمرة أن يواسى منها من حضره؛ وذلك معنى قوله : « وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ »[2] وأنه غير الزكاة على ما تقدّم فى « الأنعام » بيانه[3] . وقال بعضهم : وعليه ترك ما أخطأه الحصّادون . وكان بعض العباد يتحرّون أقواتهم

(١) الصدف (بالفتح ثم الكسر) : مخلاف من اليمن منسوب الى القبيلة .

(٢) فى بعض نسخ الأصل : « عين » . (٣) راجع جـ ٧ ص ٩٩

من هذا . وروى أنه نُهى عن الحصاد بالليل . فقيل : إنه لما ينقطع عن المساكين فى ذلك من الرفق . وتأوّل من قال هذا الآيةَ التى فى سورة « ن والقلم » . وقيل : إنما نهى عن ذلك خشية الحيّات وهَوَام الأرض .

قلت : الأول أصح ؛ والثانى حسن . وإنما قلنا الأول أصح لأن العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى . روى أسباط عن السُّدِّى قال : كان قوم باليمن وكان أبوهم رجلا صالحا، وكان إذا بلغ ثمارُه أتاه المساكين فلم يمنعهم من دخولها وأن يأكلوا منها ويتزودوا ؛ فلما مات قال بَنُوه بعضهم لبعض : عَلاَمَ نعطى أموالنا هؤلاء المساكين ! تعالَوْا فلْنَدْلج فنصرمنّها قبل أن يعلم المساكين ؛ ولم يستثنوا ؛ فانطلقوا وبعضهم يقول لبعض خَفْتاً[1] : لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ يعنى حلفوا فيما بينهم ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ يعنى لنجذّنها وقت الصبح قبل أن تخرج المساكين ؛ ولا يستثنون ؛ يعنى لم يقولوا إن شاء الله . وقال ابن عباس : كانت تلك الجنة دون صنعاء بفرسخين، غرسها رجل من أهل الصلاح وكان له ثلاثة بنين، وكان للمساكين كل ما تعدّاه المِنْجَل فلم يجـذّه من الكَرْم ، فإذا طُرِح على البساط فكل شىء سقط عن البساط فهو أيضا للمساكين، فإذا حصدوا زرعهم فكل شىء تعدّاه المِنْجَل فهو للمساكين، فإذا دَرَسُوا كان لهم كل شىء انتثر؛ فكان أبوهم يتصدّق منها على المساكين، وكان يعيش فى ذلك فى حياة أبيهم اليتامى والأراملُ والمساكين، فلما مات أبوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم . فقالوا : قَلّ المالُ وكثر العيال ؛ فتحالفوا بينهم ليغدُون غدوة قبل خروج الناس ثم ليصرمنها ولا تعرف المساكين . وهو قوله : «إذ أقسموا» أى حلفوا «ليَصْرِمنها» ليقطعن ثمر نخيلهم إذا أصبحوا بسُدْفة[2] من الليل لئلا ينتبه المساكين لهم . والصرم القطع . يقال : صَرَم العِذْق عن النخلة . وأصرم النخلُ أى حان وقت صِرامه . مثل أَرْكَبَ المهرُ وأحصدَ الزرعُ ، أى حان ركوبه وحَصاده . ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أى ولم يقولوا إن شاء الله . « فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ » ينادى بعضهم بعضا .

---

(١) الخفت (بوزن السبت) : إسرار المنطق . (٢) السدفة : الظلمة ، والضوء . وطائفة من الليل . وقيل : اختلاط الضوء والظلمة جميعا .

« أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ » عازمين على الصّرام والجداد . قال قتادة : حاصدين زرعكم . وقال الكلبي : ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل . وقال مجاهد : كان حرثهم عِنَبًا ولم يقولوا إن شاء الله . وقال أبو صالح : كان استثناؤهم قولهم سبحان الله رّبنا . وقيل : معنى « ولا يستثنون » أى لا يستثنون حق المساكين ؛ قاله عكرمة . فجاءوها ليلا فرأوا الجنة مسودّة قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . قيل : الطائف جبريل عليه السلام ؛ على ما تقدّم ذكره . وقال ابن عباس : أَمْرٌ من ربك . وقال قتادة : عذاب من ربّك . ابن جُرَيْج : عُنُق من نار خرج من وادى جهنم . والطائف لا يكون إلا بالليل ؛ قاله الفرّاء .

الثالثة ـــ قلت : في هذه الآية دليل على أن العزم مما يؤاخذ به الإنسان ؛ لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم . ونظير هذه الآية قوله تعالى : « وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ »(١) . وفى الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار " قيل : يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال : " إنه كان حريصا على قتل صاحبه " . وقد مضى مبيَّنًا فى سورة « آل عمران » عند قوله تعالى : « وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا »(٢) .

قوله تعالى : فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أى كالليل المظلم ؛ عن ابن عباس والفرّاء وغيرهما . قال الشاعر :

تطاول لَيْلُكَ الجَوْنُ البَهِيمُ * فما ينجاب عن صبح بهيم(٣)

(١) آية ٢٥ سورة الحج . (٢) راجع جـ ٤ ص ٢١٥ (٣) فى اللسان مادة صرم :
* فما ينجاب عن ليل صريم *

أى احترقت فصارت كالليل الأسود . وعن ابن عباس أيضا : كالرّماد الأسود . قال : الصريم الرماد الأسود بلغة خُزَيمة . الثّوريّ : كالزرع المحصود . فالصريم بمعنى المصروم أى المقطوع ما فيه . وقال الحسن : صُرِم عنها الخير أى قطع؛ فالصريم مفعول أيضا . وقال المُؤَرِّج : أى كالرملة انصرمت من معظم الرمل . يقال : صريمة وصرائم؛ فالرملة لا تنبت شيئا يُنتفع به . وقال الأخفش : أى كالصبح انصرم من الليل . وقال المبرد : أى كالنهار؛ فلا شيء فيها . قال شَمِر : الصَّريم الليل والصَّريم النهار؛ أى ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا . وقيل : سُمِّيَ الليل صريما لأنه يقطع بظلمته عن التصرف؛ ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل . قال القُشَيْرِيّ : وفي هذا نظر؛ لأن النهار يسمَّى صَرِيما ولا يقطع عن تصرّف .

قوله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ فَٱنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ أى يتسارّون؛ أى يُخفون كلامهم ويسرونه لئلا يَعلم بهم أحد؛ قاله عطاء وقتادة . وهو من خَفَت يَخفِت إذا سكن ولم يبيّن . كما قال دُرَيد بن الصِّمَّة :

وإنّي لم أهلك سُلالًا ولم أمت ٭ خُفاتًا وكُلًّا ظَنّه بِيَ عُوَّدِي

وقيل يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم . وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصرام . ﴿ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾ أى على قَصْد وقدرة في أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم . قال معناه ابن عباس وغيره . والحَرْد القصدُ . حَرَد يَحْرِد (بالكسر) حَرْدًا قصد . تقول : حَرَدْتُ حَرْدَك؛ أى قصدت قصدك . ومنه قول الراجز :

أقبل سَيْلٌ جاء من عند الله ٭ يَحْرِدُ حَرْدَ الجنة المُغِلّة

أنشده النحاس :

قد جاء سيل جاء من أمر الله ٭ يحرد حرد الجنة المغلّه

قال المبرد : المُغِلّة ذات الغَلّة . وقال غيره : المغلّة التي يجري الماء في غللها[(١)] أي في أصولها . ومنه تغلّلت بالغالية . ومنه تغلّيت ، أبدل من اللام ياء . ومن قال تَغَلّفْت فمعناه عنده جعلتها غِلافا . وقال قتادة ومجاهد : «على حرد» أي على جِدّ . الحسن : على حاجة وفاقة . وقال أبو عبيدة والقُتَبِيّ : على حَرْد على منع ؛ من قولهم حَارَدَتِ الإبلُ حِرادًا أي قلّت ألبانها . والحَرُود من النُّوق القليلة الدَّر . وحاردَتِ السَّنَةُ قَلَّ مطرُها وخيرها . وقال السُّدّي وسفيان : «على حَرْد» على غضب . والحرد الغضب . قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي : وهو مخفف ؛ وأنشد شعرا :

إذا جياد الخيل جاءت تَرْدِي * مملوءةً من غَضَبٍ وحَرْدِ

وقال ابن السِّكِّيت : وقد يحرّك ؛ تقول منه : حَرِد (بالكسر) حَرَدًا ، فهو حارد وحَرْدان . ومنه قيل : أَسَدٌ حارِدٌ ، ولُيُوثٌ حوارد . وقيل : «على حَرْد» على انفراد . يقال : حَرَد يَحْرِد حُرُودًا ؛ أي تنحّى عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم . وقال أبو زيد : رجل حَرِيد من قوم حُرَداء . وقد حَرَد يَحْرِد حرودًا ؛ إذا ترك قومه وتحوّل عنهم . وكوكب حَرِيد ؛ أي معتزل عن الكواكب . قال الأصمعي : رجل حريد ؛ أي فريد وحيد . قال : والمُنْحَرِد المنفرد في لغة هُذَيل . وأنشد لأبي ذُؤَيب :

* كأنه كوكب في الجَوّ مُنْحَرِدُ *

ورواه أبو عمرو بالجيم ، وفسره : منفرد . قال : وهو سهيل . وقال الأزهري : حَرْد اسم قريتهم . السدي : اسم جنتهم . وفيه لغتان : حَرْدٌ وحَرَدٌ . وقرأ العامة بالإسكان ، وقرأ أبو العالية وابن السَّمَيْقَع بالفتح ؛ وهما لغتان . ومعنى «قادِرِين» قد قدروا أمرهم وبَنَوْا عليه ؛ قاله الفراء . وقال قتادة : قادرين على جنتهم عند أنفسهم . وقال الشعبي : «قادرين» يعني على المساكين . وقيل : معناه من الوجود ؛ أي منعوا وهم واجدون .

---

(١) الذي في كتب اللغة : الغلل : الماء الذي يجري في أصول الشجر ، أو الماء الظاهر الجاري .

قوله تعالى : فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى لما رأوها محترقة لا شىء فيها قد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد ، أنكروها وشكّوا فيها. وقال بعضهم لبعض ﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى ضللنا الطريق إلى جنّتنا ؛ قاله قتادة . وقيل : أى إنا لضالون عن الصواب فى غدوّنا على نية منع المساكين؛ فلذلك عوقبنا . ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أى حُرِمنا جنتنا بما صنعنا . روى أسباط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والمعاصى إن العبد ليُذْنِبُ الذنبَ فيُحرَم به رزقًا كان هُيِّئ له — ثم تلا — « فطاف عليها طائف من ربك » " الآيتين .

قوله تعالى : قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أى أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم . ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أى هلّا تستثنون . وكان استثناؤهم تسبيحا ؛ قاله مجاهد وغيره . وهذا يدل على أن هذا الأوسط كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه . قال أبو صالح : كان استثناؤهم سبحان الله . فقال لهم : هلّا تسبحون الله ؛ أى تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم . قال النحاس : أصل التسبيح التنزيهُ لله عز وجل ؛ فجعل مجاهد التسبيح فى موضع إنشاء الله ؛ لأن المعنى تنزيه الله عز وجل أن يكون شىء إلا بمشيئته . وقيل : هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خُبْث نيّتكم ؛ فإن أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك وذكّرهم انتقامه من المجرمين . ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا ﴾ اعترفوا بالمعصية ونزّهوا الله عن أن يكون ظالما فيما فعل . وقال ابن عباس فى قولهم : « سبحان ربنا » أى نستغفر الله من ذنبنا . ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ لأنفسنا

فى منعنا المساكين . ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾ أى يلوم هـذا هذا فى القَسَم ومنع المساكين، ويقول : بل أنت أشرت علينا بهـذا . ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ أى عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء . وقال ابن كَيْسَان : طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل . ﴿ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا ﴾ تعاقدوا وقالوا : إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعنّ كما صنعت آباؤنا ؛ فدَعَوُا الله وتضرعوا فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها ، وأمر جبريلَ أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزُغَر[1] من أرض الشام ، ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها . وقال ابن مسعود: إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان ، فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا . وقال اليمانىّ أبو خالد : دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم . وقال الحسن : قول أهل الجنـة « إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ » لا أدرى إيمانا كان ذلك منهـم ، أو على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة ؛ فيوقف فى كونهم مؤمنين . وسئل قتادة عن أصحاب الجنة : أهم من أهل الجنة أم من أهل النـار ؟ فقال : لقـد كلفتنى تعبا . والمعظم يقولون : إنهم تابوا وأخلصوا ؛ حكاه القشيرى . وقراءة العامة « يُبْدِلنا » بالتخفيف . وقرأ أهـل المدينة وأبو عمرو بالتشديد، وهما لغتان. وقيل : التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم. والإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه . وقد مضى فى سورة « النساء » القول فى هذا[2] .

قوله تعـالى : كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

قوله تعـالى : ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أى عذاب الدنيا وهلاك الأموال ؛ عن ابن زيد . وقيل : إن هـذا وَعْظٌ لأهل مكة بالرجوع إلى الله لمـا ابتلاهم بالجدب لدعاء النبىّ صلى الله عليـه وسلم ، أى كفِعْلنا بهم نفعل بمن تعـدّى حدودنا فى الدنيا . ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ

(١) زغر : بضم الزاى وفتح الغين المعجمة وآخرها راء . (٢) راجع جـ ٥ ص ٢٥٤

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال ابن عباس : هذا مَثَلٌ لأهل مكة حين خرجوا إلى بَدْرٍ وحلفوا ليقتلن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وليرجعنّ الى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر، وتضرب القَيْنات على رءوسهم ؛ فأخلف الله ظنّهم وأُسِرُوا وقُتِلوا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصِّرام فخابوا . ثم قيل : إن الحق الذى منعه أهل الجنة المساكين يحتمل أنه كان واجبا عليهم ، ويحتمل أنه كان تطوعا ؛ والأول أظهر ، والله أعلم . وقيل : السورة مكّية ؛ فبَعُدَ حملُ الآية على ما أصاب أهل مكة من القَحْط ، وعلى قتال بَدْر .

قوله تعالى : إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ تقدم القول فيه ؛ أى إن للمتقين فى الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغّصه كما يشوب جنات الدنيا . وكان صناديد قريش يرون وفور حظّهم من الدنيا وقلّة حظوظ المسلمين منها ؛ فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا : إن صَحّ أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هى فى الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا ، وأقصى أمرهم أن يساوونا . فقال : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ أى كالكفار . وقال ابن عباس وغيره: قالت كفار مكة إنا نعطى فى الآخرة خيرا مما تُعْطَوْن ؛ فنزلت « أفنجعل المسلمين كالمجرمين » ثم وبّخهم فقال : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ هذا الحكم الأعوج ؛ كأن أمر الجزاء مفوّض إليكم ، حتى تحكموا فيه بما شئتم أن لكم من الخير ما للمسلمين . ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ أى ألكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصى . ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ تختارون وتشتهون. والمعنى : أَنّ لكم (بالفتح) ولكنه كسر لدخول اللام ؛ تقول علمت أنك عاقل (بالفتح) وعلمت

إنك لعاقل (بالكسر) . فالعامل فى «إن لكم فيه لما تخيّرون» «تدرسون» فى المعنى . ومنعت اللامُ من فتح «إن» . وقيل : تمّ الكلام عند قوله : «تدرسون» ثم ابتدأ فقال : «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ» أى إن لكم فى هذا الكتاب إذًا ما تخيّرون؛ أى ليس لكم ذلك . والكناية فى «فيه» الأولى والثانية راجعة الى الكتاب . ثم زاد فى التوبيخ فقال : ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ أى عهود ومواثيق . ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ مؤكدة . والبالغة المؤكّدة بالله تعالى . أى أم لكم عهود على الله تعالى استوثقتم بها فى أن يدخلكم الجنة . ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ كُسرت «إن» لدخول اللام فى الخبر . وهى من صلة «أيمان»، والموضع النصب ولكن كسرت لأجل اللام؛ تقول : حلفت إن لك لكذا . وقيل : تم الكلام عند قوله : «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ثم قال : «إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ» إذًا؛ أى ليس الأمر كذلك . وقرأ ابن هُرْمُز «أين لكم فيه لما تخيرون» «أين لكم لما تحكمون»؛ بالاستفهام فيهما جميعا . وقرأ الحسن البصرى «بالغةً» بالنصب على الحال؛ إما من الضمير فى «لكم» لأنه خبر عن «أيمان» ففيه ضمير منه . وإما من الضمير فى «علينا» إن قدّرت «علينا» وصفًا للأيمان لا متعلقا بنفس الأيمان؛ لأن فيه ضميرا منه، كما يكون إذا كان خبرا عنه . ويجوز أن يكون حالا من «أيمان» وإن كانت نكرة كما أجازوا نصب «حقًّا» على الحال من «متاع» فى قوله تعالى : «مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حقًّا على المتقين»(1) . وقرأ العامة «بالغةٌ» بالرفع نعت لـ«أيمان» .

قوله تعالى : سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أى سل يا محمد هؤلاء المتقوّلين علىّ : أيّهم كفيل بما تقدم ذكره . [وهو أن لهم من الخير](2) ما للمسلمين . والزّعيم : الكفيل والضّمين؛ قاله ابن عباس وقتادة . وقال ابن كيسان : الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى . وقال الحسن :

(1) آية ٢٤١ سورة البقرة . (2) زيادة يقتضيها السياق .

الزعيم الرسول . ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أى ألهم والميم صلة . « شركاء » أى شهداء . ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ ﴾ يشهدون على ما زعموا . ﴿ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ فى دعواهم . وقيل : أى فليأتوا بشركائهم إن أمكنهم ؛ فهو أمر معناه التعجيز .

قوله تعالى : يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ يجوز أن يكون العامل فى « يوم » « فليأتوا » أى فليأتوا بشركائهم يوم يكشف عن ساق ليشفع الشركاء لهم . ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل ، أى آذكر يوم يكشف عن ساق ؛ فيوقف على «صادقين» ولا يوقف عليه على التقدير الأول . وقرئ « يوم نكشف » بالنون . «وقرأ» ابن عباس « يوم تكشف عن ساق » بناء مسمّى الفاعل ؛ أى تكشف الشدة أو القيامة عن ساقها ؛ كقولهم : شمّرت الحرب عن ساقها . قال الشاعر :

فتى الحرب إن عضّت به الحربُ عَضّها * وإن شمّرت عن ساقها الحربُ شمّرا[1]

وقال الراجز :

قد كشفت عن ساقها فشُدُّوا * وجَدّت الحربُ بكم فجِدّوا

وقال آخر :

عجبت من نفسى ومن إشفاقها * ومن طِرَاد الطير عن أرزاقها
فى سَنة قد كشفت عن ساقها * حمراء تَبْرِى اللحمَ عن عُرَاقها[2]

وقال آخر :

كشفَت لهم عن ساقها * وبدا من الشر الصُّرَاحْ

(١) البيت لحاتم الطائى . ويروى : أخو الحرب . وأخا الحرب .

(٢) العراق : العظم بغير لحم . فإن كان عليه لحم فهو عرق .

وعن ابن عباس أيضا والحسن وأبى العاليـة « تُكْشَف » بتاء غير مسمَّى الفاعل . وهذه القراءة راجعـة إلى معنى « يُكْشَف» وكأنه قال : يوم تَكشف القيامة عن شدة . وقرئ « يوم تُكْشِف» بالتـاء المضمومة وكسر الشين؛ من أكشف إذا دخل فى الكشف . ومنه : أكشف الرجل فهو مُكْشِف؛ إذا انقلبت شَفَتُه العليا . وذكر ابن المبـارك قال : أخبرنا أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ » قال عن كرب وشدّة . أخبرنا ابن جُريج عن مجاهد قال : شدّة الأمر وجِدّه . وقال مجاهد : قال ابن عباس هى أشد ساعة فى يوم القيامة . وقال أبو عبيدة : إذا اشتد الحرب والأمر قيل : كَشَفَ الأمرُ عن ساقه . والأصل فيـه أن من وقع فى شيء يحتاج فيه إلى الجدّ شمّر عن ساقه؛ فاستعير الساق والكشف عنها فى موضع الشدة . وقيل : ساقُ الشيء أصلُه الذى به قِوامه؛ كساق الشجرة وساق الإنسان . أى يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصلها . وقيـل : يكشف عن ساق جهنم . وقيل : عن ساق العرش . وقيل : يريد وقت اقتراب الأجل وضعف البـدن؛ أى يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه، ويدعوه المؤذن إلى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج . فأما ما رُوِى أن الله يكشف عن ساقه فإنه عز وجل يتعالى عن الأعضاء والتبعيض وأن يكشف ويتغطى . ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره . وقيل : يكشف عن نوره عز وجل . وروى أبو موسى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى « عن ساقٍ » قال : "يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا" .

وقال أبو اللّيث السّمَرْقَنْدِيّ فى تفسيره : حدّثنا الخليل بن أحمد قال حدّثنا ابن منيع قال حدّثنا هُدْبة قال حدّثنا حماد بن سلمة عن عدى بن زيد عن عمارة القرشي عن أبى بُردة عن أبى موسى قال حدّثنى أبى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا كان يوم القيامة مُثِّل لكل قوم ما كانوا يعبدون فى الدنيا فيذهب كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون إن لنا رَبًّا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره ــ قال ــ وتعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعـرفونه ولم تروه قالوا إنه لا شبيه له

فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا وتبقى أقوام ظهورهم مثل صَيَاصِي(١) البقر فينظرون إلى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى : « يوم يُكشف عن ساقٍ ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فلا يستطيعون » فيقول الله تعالى عبادى ارفعوا رءوسكم فقد جعلت بَدَلَ كُلِّ رجلٍ منكم رجلًا من اليهود والنصارى فى النار" .

قال أبو بردة : فحدثت بهذا الحديث عمرَ بن عبد العزيز فقال : آلله الذى لا إله إلا هو لقد حدّثك أبوك بهذا الحديث ؟ فحلف له ثلاثةَ أيمان ؛ فقال عمر : ما سمعت فى أهل التوحيد حديثًا هو أحبّ إلىّ من هذا . وقال قيس بن السَّكَن : حَدّث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال : إذا كان يوم القيامة قام الناس لرب العالمين أربعين عاما شاخصةً أبصارهم إلى السماء، حفاةً عُراةً يلجمهم العرق، فلا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم أربعين عاما، ثم ينادى منادٍ : أيها الناس، أليس عَدْلًا من ربكم الذى خلقكم وصوّركم وأماتكم وأحياكم ثم عبدتم غيره أن يُوَلِّيَ كلَّ قوم ما تولّوْا ؟ قالوا : نعم . قال : فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم فى النار، فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم : ألا تذهبون قد ذهب الناس ؟ فيقولون حتى يأتينا ربنا ؛ فيقال لهم : أو تعرفونه ؟ فيقولون : إن اعترف لنا عَرَفناه(٢) . قال : فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلّى لهم فيخرّ من كان يعبده مخلصا ساجدا ، ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن فى ظهورهم السفافيد(٣) ، فيذهب بهم إلى النار، ويدخل هؤلاء الجنة . فذلك قوله تعالى : ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ .

﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ﴾ أى ذليلةً متواضعة ؛ ونصبها على الحال . ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم ووجوهُهم أشدّ بياضا من الثلج . وتسودّ وجوه المنافقين والكافرين حتى ترجع أشد سوادا من القار .

قلت : معنى حديثِ أبى موسى وابن مسعود ثابتٌ فى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وغيره .

---

(١) صياصى البقر : قرونها . (٢) أى إذا وصف نفسه بصفة نحققه بها .

(٣) السفافيد : جمع السفود وزن التنور ، الحديدة التى يشوى بها اللحم .

قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ أى فى الدنيا . ﴿ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ مُعافَوْن أصحاء . قال إبراهيم التَّيْمىّ : أى يدعون بالأذان والإقامة فيأبَوْنه . وقال سعيد ابن جُبير : كانوا يسمعون حىّ على الفلاح فلا يجيبون . وقال كعب الأحبار : والله مانزلت هذه الآية إلا فى الذين يتخلّفون عن الجماعات . وقيل : أى بالتكليف المُوَجَّه عليهم فى الشرع ؛ والمعنى متقارب . وقد مضى فى سورة « البقرة » الكلام فى وجوب صلاة الجماعة (١) . وكان الربيع بن خُثَيْم قد فُلِج وكان يُهَادَى (٢) بين الرجلين الى المسجد ؛ فقيل : يا أبا يزيد، لو صلّيتَ فى بيتك لكانت لك رخصة . فقال : من سمع حىّ على الفلاح فليُجب ولو حَبْوًا . وقيل لسعيد بن المسيّب : إن طارقًا يريد قتلك فتغيّب . فقال : أبحيث لا يَقْدِر الله علىّ ؟ فقيل له : اجلس فى بيتك . فقال : أسمع حىّ على الفلاح، فلا أجيب !

قوله تعالى : فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى : ﴿ فَذَرْنِي ﴾ أى دَعْنى . ﴿ وَمَنْ يُكَذِّبُ ﴾ « مَن » مفعول معه أو معطوف على ضمير المتكلم . ﴿ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعنى القرآن؛ قاله السُّدّىّ . وقيل : يوم القيامة . وهذا تسلية للنبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ أى فأنا أجازيهم وأنتقم منهم . ثم قال : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ معناه سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ؛ فعُذّبوا يوم بَدْر . وقال سفيان الثَّوْرىّ : نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر . وقال الحسن : كم مستدرَج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالسّتر عليه . وقال أبو رَوْق : أى كلّما أحدثوا خطيئة جدّدنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار . وقال ابن عباس : سنمكر بهم . وقيل : هو أن نأخذهم قليلا ولا نباغتهم . وفى حديث "أن رجلا من بنى إسرائيل قال يارَبّ كم أعصيك

---

(١) راجع جـ ١ ص ٣٤٨ وما بعدها طبعة ثانية أو ثالثة .

(٢) أى يمشى بينهما معتمدا عليهما لضعفه وتمايله؛ من « تهادت المرأة فى مشيتها » : اذا تمايلت .

وأنت لا تعاقبني — قال — فأوحى الله الى نبيّ زمانهم أن قل له كم من عقوبة لى عليك وأنت لا تشعر . إن جمود عينيك وقساوة قلبك استدراجٌ منى وعقوبةٌ لو عقلت " .
والاستدراج : ترك المعاجلة . وأصله النقل من حال إلى حال كالتدرّج . ومنه قيل درجة ؛ وهى منزلة بعد منزلة . واستدرج فلان فلانا ؛ أى استخرج ماعنده قليلا . ويقال : درّجه الى كذا واستدرجه بمعنًى ؛ أدناه منه على التدريج فتدرّج هو . ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أى أمهلهم وأطيل لهم المدّة . والملاوة : المُدة[1] من الدهر . وأملى الله له أى أطال له . والمَلَوان : الليل والنهار . وقيل : « أُمْلِي لهم » أى لا أعاجلهم بالموت ؛ والمعنى واحد . وقد مضى فى «الأعراف» بيان هذا[2] . ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أى إن عذابى لقوىّ شديد فلا يفوتنى أحد .

قوله تعالى : أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾

عاد الكلام الى ماتقدم من قوله تعالى : «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ» . أى أم تلتمس منهم ثوابا على ماتدعوهم إليه من الإيمان بالله؟ فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من بذل المال؛ أى ليس عليهم كُلفة ، بل يستولون بمتابعتك على خزائن الأرض و يصلون الى جنات النعيم .

قوله تعالى : أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أى علم ما غاب عنهم . ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ وقيل : أينزل عليهم الوَحْىُ بهذا الذى يقولون . وعن ابن عباس : الغيب هنا اللوح المحفوظ ؛ فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به ، و يكتبون أنهم أفضل منكم ، وأنهم لا يعاقبون . وقيل : « يكتبون » يحكمون لأنفسهم بما يريدون .

قوله تعالى : فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾

---

(١) مثلث الميم . (٢) راجع جـ ٧ ص ٣٢٩

قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أى لقضاء ربك . والحكم هنا القضاء . وقيل : فاصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة . وقال ابن بحر : فاصبر لنصر ربك . قال قتادة : أى لا تعجل ولا تغاضب فلا بد من نصرك . وقيل : إنه منسوخ بآية السيف . ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ يعنى يونس عليه السلام . أى لا تكن مثله فى الغضب والضجر والعجلة . قال قتادة : إن الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم، ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت ؛ وقد مضى خبره فى سورة «يونس[(1)]، والأنبياء[(2)]، والصافات[(3)]» والفرق بين إضافة ذى وصاحب فى سورة « يونس » فلا معنى للإعادة . ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ أى حين دعا فى بطن الحوت فقال : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » . ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ أى مملوء غما . وقيل : كربا . الأول قول ابن عباس ومجاهد . والثانى قول عطاء وأبى مالك . قال الماوردى : والفرق بينهما أن الغم فى القلب ، والكرب فى الأنفاس . وقيل : مكظوم محبوس . والكظم الحبس ؛ ومنه قولهم : فلان كظم غيظه أى حبس غضبه ؛ قاله ابن بحر. وقيل : إنه المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس؛ قاله المبرد. وقد مضى هذا وغيره فى « يوسف[(4)] » .

قوله تعالى : لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ قراءة العامة «تداركه». وقرأ ابن هرمز والحسن « تدّاركه » بتشديد الدال ؛ وهو مضارع أدغمت التاء منه فى الدال . وهو على تقدير حكاية الحال ؛ كأنه قال : لولا أن كان يقال فيه تتداركه نعمة . ابن عباس وابن مسعود « تداركته » وهو خلاف المرسوم . و « تداركه » فعل ماض مذكر حمل على معنى

---

(١) راجع جـ ٨ ص ٣٨٣ (٢) راجع جـ ١١ ص ٣٢٩ (٣) راجع جـ ١٥ ص ١٢١
(٤) راجع جـ ٩ ص ٢٤٩

النعمة؛ لأن تأنيث النعمة غير حقيقى . و « تداركته » على لفظها . واختلف فى معنى النعمة هنا ؛ فقيل النُّبوّة؛ قاله الضحاك . وقيل عبادته التى سلفت؛ قاله ابن جبير . وقيل : نداؤه « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »؛ قاله ابن زيد . وقيل : نعمة الله عليه إخراجه من بطن الحوت ؛ قاله ابن بحر . وقيل : أى رحمة من ربه ؛ فرحمه وتاب عليه . ﴿ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ أى لَنُبِذ مذموماً ولكنه نُبِذ سقيما غير مذموم . ومعنى « مذموم » فى قول ابن عباس : مُلِيم . وقال بكر بن عبد الله : مذنب . وقيل : مذموم مبعد من كل خير . والعَرَاء : الأرض الواسعة الفضاء التى ليس فيها جبل ولا شجر يستر . وقيل : لولا فضل الله عليه لبقى فى بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثم نبذ بعراء القيامة مذموما . يدل عليه قوله تعالى : « فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »(1) . ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ ﴾ أى اصطفاه واختاره . ﴿ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ قال ابن عباس : ردّ الله إليه الوحى ، وشفعه فى نفسه وفى قومه ، وقبل توبته ، وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون .

قوله تعالى : وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ « إنْ » هى المخففة من الثقيلة . ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ أى يعتانونك . ﴿ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ أخبر بشدّة عداوتهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا : ما رأينا مثله ولا مثل حُجَجه . وقيل : كانت العين فى بنى أسد ، حتى إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول : يا جارية ، خذى المِكْتَل(2) والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة ؛ فما تبرح حتى تقع للموت

(1) آية ١٤٣ سورة الصافات .

(٢) زبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره .

فتنحر . وقال الكلبي : كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئا يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول : لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه ! فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة . فسأل الكفارُ هذا الرجلَ أن يصيب لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بالعَيْن فأجابهم ؛ فلما مرّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أنشد :

قد كان قومك يحسبونك سيّدًا * وإخال أنك سيّدٌ مَعْيونُ

فعصم الله نبيّه صلى الله عليه وسلم ونزلت « وإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ » . وذكر نحوه الماوردي. وأن العرب كانت إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدًا ــ يعني في نفسه وماله ــ تجوّع ثلاثة أيام ، ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول : تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر منه ولا أحسن ؛ فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية . قال القُشَيْري : وفي هذا نظر ؛ لأن الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان والإعجاب لامع الكراهية والبغض ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي ينسبونك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن .

قلت : أقوال المفسرين واللغويّين تدل على ما ذكرنا ، وأن مرادهم بالنظر إليه قتلُه . ولا يمنع كراهة الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك . وقرأ ابن عباس وابن مسعود والأعمش وأبو وائل ومجاهد « ليزهقونك » أي ليهلكونك . وهذه قراءة على التفسير، من زهقت نفسُه وأزهقها . وقرأ أهل المدينة « لَيَزْلِقُونك » بفتح الياء. وضمها الباقون ؛ وهما لغتان بمعنًى ؛ يقال: زَلَقه يَزْلِقه وأزلقه يُزلقه إزلاقًا إذا نحّاه وأبعده. وزَلَق رأسَه يَزْلِقه زلقًا إذا حلقه . وكذلك أزلقه وزَلّقه تزليقًا . ورجل زَلِق وزُمَلِق ــ مثال هُدَبِد ــ وزُمّالق وزُمّلِق ــ بتشديد الميم ــ وهو الذي يُنْزِل قبل أن يجامع ؛ حكاه الجوهري وغيره . فمعنى الكلمة إذًا التنحية والإزالة؛ وذلك لا يكون في حق النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا بهلاكه وموته . قال الهَرَوِيّ : أراد لَيَعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه عداوةً لك . وقال ابن عباس : ينفذونك بأبصارهم ؛ يقال : زَلَق السهمُ وزَهَق إذا نفذ .

وهو قول مجاهد . أى يَنْفذونك من شدة نظرهم . وقال الكلبى : يَصْرَعونك . وعنه أيضا والسُّدّى وسعيد بن جبير: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة . وقال العَوْفِىّ : يرمُونك . وقال المُؤَرِّج : يُزيلونك . وقال النضر بن شُميل والأخفش : يفتنونك . وقال عبد العزيز ابن يحيى: ينظرون إليك نظرًا شزْرًا بتحديق شديد . وقال ابن زيد : لَيَمَسُّونك . وقال جعفر الصادق : ليأكلونك . وقال الحسن وابن كَيْسان : ليقتلونك . وهذا كما يقال : صرعنى بطرفه، وقتلنى بعينه . قال الشاعر :

ترميك مَزْلَقَةُ العيون بطرفها * وتَكِلُّ عنك نصالُ نَبْلِ الرامى

وقال آخر :

يتقارضون إذا التقَوْا فى مجلس * نَظَرًا يُزِلُّ(١) مواطئ الأقـدام

وقيـل : المعنى أنهم ينظرون إليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك . وهـذا كله راجع إلى ما ذكرنا، وأن المعنى الجامع : يصيبونك بالعين . والله أعلم .

قوله تعـالى : وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

أى وما القرآن إلا ذكر للعالمين . وقيل : أى وما محمد إلا ذكر للعالمين يتذكّرون به . وقيل : معناه شَرَفٌ؛ أى القرآن . كما قال تعـالى : « وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ(٢) » والنبى صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين أيضا . شرفوا باتباعه والإيمان به صلى الله عليه وسلم .

ســـورة الحـاقّة

مكيّةٌ فى قول الجميع . وهى إحدى وخمسون آية

روى أبو الزاهرية عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم :" من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحـاقة أجير من فتنة الدّجال . ومن قرأهـا كانت له نورا يوم القيامة من فوق رأسه إلى قدمه " .

(١) فى بعض الأصول واللسان «يزيل» وكلاهما صحيح . (٢) آية ٤٤ سورة الزخرف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ ﴾ يريد القيامة ؛ سُمِّيت بذلك لأن الأمور تُحَقّ فيها ؛ قاله الطبرى ، كأنه جعلها من باب « ليل نائم » . وقيل : سُمِّيت حاقّة لأنها تكون من غير شك . وقيل : سُمِّيت بذلك لأنها أحقّت لأقوام الجنةَ ، وأحقّت لأقوام النارَ . وقيل : سُمِّيت بذلك لأن فيها يصير كل إنسان حقيقا بجزاء عمله . وقال الأزهرىّ : يقال حاققته فَحَقَقْتُه أَحُقُّه ؛ أى غالبته فغلبته . فالقيامة حاقة لأنها تَحُقّ كلَّ مُحَاقٍّ فى دين الله بالباطل ؛ أى كل مخاصم . وفى الصحاح : وحاقّه أى خاصمه وادّعى كل واحد منهما الحق ؛ فإذا غلبه قيل حَقّه . ويقال للرجل إذا خاصم فى صِغار الأشياء : إنه لنَزِق الحِقاق . ويقال : ماله فيه حق ولا حِقاق ؛ أى خصومة . والتحاقّ التخاصم . والاحتقاق : الاختصام . والحاقة والحَقّة والحق ثلاث لغات بمعنًى . وقال الكسائى والمؤرِّج : الحاقة يوم الحق . وتقول العرب : لما عَرَف الحقّة منّى هرب . والحاقة الأولى رفع بالابتداء ، والخبر المبتدأ الثانى وخبره وهو « ما الحاقة » لأن معناها ما هى . واللفظ استفهام ، ومعناه التعظيم والتفخيم لشأنها ؛ كما تقول : زيد ما زيد ! على التعظيم لشأنه . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ استفهام أيضا ؛ أى أىّ شىء أعلمك ما ذلك اليوم . والنبىّ صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن بالصفة . فقيل تفخيما لشأنها : وما أدراك ما هى ؛ كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها . وقال يحيى بن سلام : بلغنى أن كل شىء فى القرآن « وما أدراك » فقد أدراه إياه وعلمه . وكل شىء قال « وما يدريك » فهو مما لم يعلمه . وقال سفيان بن عيينة : كل شىء قال فيه « وما أدراك » فإنه أخبر به ، وكل شىء قال فيه « وما يدريك » فإنه لم يخبر به .

قوله تعالى : كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾

ذكر من كذب بالقيامة . والقارعة القيامة ؛ سُمِّيت بذلك لأنها تقرع الناس بأهوالها . يقال : أصابتهم قوارع الدهر ؛ أى أهواله وشدائده . ونعوذ بالله من قوارع فلان ولواذعه

وقوارص لسانه ؛ جمع قارصة وهى الكلمة المؤذية . وقوارع القرآن : الآيات التى يقرؤها الإنسان إذا فزع من الجن أو الإنس ، نحو آية الكرسى ؛ كأنها تقرع الشيطان . وقيل : القارعة مأخوذة من القُرْعة فى رفع قوم وحطّ آخرين ؛ قاله المبرد . وقيل : عنى بالقارعة العذاب الذى نزل بهم فى الدنيا ؛ وكان نبيّهم يخوفهم بذلك فيكذبونه . وثمود قوم صالح ؛ وكانت منازلهم بالحِجْر فيما بين الشام والحجاز . قال محمد بن إسحاق : وهو وادى القُرَى ؛ وكانوا عُرْبًا . وأما عاد فقوم هود ؛ وكانت منازلهم بالأحقاف . والأحقاف : الرمل بين عُمَان إلى حضرموت واليمن كله ؛ وكانوا عُرْبًا ذوى خَلْق وبَسْطة ؛ ذكره محمد بن إسحاق . وقد تقدم[1] .

قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥﴾

فيه إضمار ؛ أى بالفعلة الطاغية . وقال قتادة : أى بالصيحة الطاغية ؛ أى المجاوزة للحدّ ؛ أى لحدّ الصيحات من الهول . كما قال « إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ »[2] . والطغيان : مجاوزة الحدّ؛ ومنه « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ » أى جاوز الحدّ . وقال الكلبيّ : بالطاغية بالصاعقة . وقال مجاهد : بالذنوب . وقال الحسن : بالطغيان ؛ فهى مصدر كالكاذبة والعاقبة والعافية . أى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم . وقيل . إن الطاغية عاقرُ الناقة؛ قاله ابن زيد . أى أهلكوا بما أقدم عليه طاغيتهم من عَقْر الناقة، وكان واحدا، وإنما هلك الجميع لأنهم رضوا بفعله ومالئوه . وقيل له طاغية كما يقال : فلان راوية الشعر، وداهية وعلّامة ونسّابة .

قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٣٦ . (٢) آية ٣١ سورة القمر .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أي باردة تحرق ببردها كإحراق النار؛ مأخوذ من الصِّر وهو البرد، قاله الضحاك . وقيل : إنها الشديدة الصوت . وقال مجاهد : الشديدة السَّموم . ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي عتت على خُزّانها فلم تطعهم، ولم يطيقوها من شدّة هبوبها؛ غضبت لغضب الله . وقيل : عتت على عاد فقهرتهم . روى سفيان الثوريّ عن موسى ابن المسيّب عن شَهْر بن حَوْشَب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما أرسل الله من نَسْمة(١) من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى على الخُزّان فلم يكن لهم عليه سبيل — ثم قرأ — «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ» والريح لما كان يوم عاد عتت على الخُزّان فلم يكن لهم عليها سبيل — ثم قرأ — «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ»". ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي أرسلها وسلّطها عليهم . والتسخير : استعمال الشيء بالاقتدار . ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أي متتابعة لا تَفْتُر ولا تنقطع ؛ عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما . قال الفرّاء : الحُسُومُ التِّباع ؛ من حَسْم الدّاء إذا كُوِيَ صاحبُه ؛ لأنه يُكْوَى بالمِكواة ثم يُتابَع ذلك عليه . قال عبد العزيز بن زرارة الكلابيّ :

ففرّق بين بينهم(٢) زمانٌ * تتابع فيه أعوامٌ حسومُ

وقال المبرّد : هو من قولك حَسَمْتُ الشيء إذا قطعته وفصلته عن غيره . وقيل : الحَسْم الاستئصال . ويقال للسيف حُسام ؛ لأنه يَحْسِم العدو عما يريده من بلوغ عداوته . قال الشاعر :

حُسامٌ إذا قمتُ مُعْتَضِدًا به(٣) * كَفَى العَوْدَ منه البَدْءُ ليس بِمِعْضَدِ

والمعنى أنها حسمتهم ؛ أي قطعتهم وأذهبتهم . فهي القاطعة بعذاب الاستئصال . قال ابن زيد : حسمتهم فلم تُبق منهم أحدا . وعنه أنها حَسَمت الليالي والأيام حتى استوعبتها ؛

(١) وردت هذه الكلمة فى نسخ الأصل : « نسفة » بالفاء . والذى فى الزمخشرى : « سفية » .

(٢) البين من الأضداد ، يطلق على الوصل وعلى الفرقة . (٣) المعضد والمعضاد (بكسر الميم) من السيوف الممتهن فى قطع الشجر .

لأنها بدأت طلوعَ الشمس من أول يومٍ وانقطعت غروبَ الشمس من آخر يوم . وقال اللّيث : الحسوم الشؤم . ويقال : هذه ليالى الحسوم ؛ أى تَحْسِم الخير عن أهلها ؛ وقاله فى الصّحاح . وقال عكرمة والربيع بن أنس: مشائيم ؛ دليله قوله تعالى : «فِى أَيَّامٍ نَحِساتٍ»(١) . عَطِيَّةُ العَوْفِيّ: «حُسُومًا» أى حَسَمت الخير عن أهلها . واختلف فى أولها ؛ فقيل غداة يوم الأحد ؛ قاله السدّى . وقيل : غداة يوم الجمعة ؛ قاله الربيع بن أنس . وقيل : غداة يوم الأربعاء ، قاله يحيى بن سلام ووهب بن مُنَبِّه . قال وهب : وهذه الأيام هى التى تسميها العرب أيام العجوز، ذات برد وريح شديدة، وكان أولها يوم الأربعاء وآخرها يوم الأربعاء؛ ونُسبت إلى العجوز لأن عجوزا من عادٍ دخلت سَرَبًا فتبعتها الريح فقتلتها فى اليوم الثامن . وقيل : سُمِّيت أيام العجوز لأنها وقعت فى عجز الشتاء . وهى فى آذار من أشهر السُّرْيانيين . ولها أسامٍ مشهورةٌ، وفيها يقول الشاعر وهو ابن أحمر(٢) :

كُسِعَ(٣) الشتاءُ بسبعة غُبْرٍ * أيامِ شَهْلَتِنا(٤) من الشَّهْرِ
فإذا انقضت أيامها ومضت(٥) * صِنٌّ وصِنَّبْرٌ مع الوَبْرِ
وبآمرٍ وأخيه مُؤْتَمِرٍ * ومُعَلِّلٍ وبمُطْفِئِ الجَمْرِ
ذهب الشتاءُ مُوَلِّيًا عَجِلًا(٦) * وأتتك واقدة من النَّجْرِ(٧)

و « حسوما » نصب على الحال . وقيل على المصدر . قال الزجاج : أى تَحْسِمهم حسوما ؛ أى تُفْنيهم ، وهو مصدر مؤكّد . ويجوز أن يكون مفعولا له ؛ أى سخّرها عليهم هذه المدّة للاستئصال ؛ أى لقطعهم واستئصالهم . ويجوز أن يكون جمع حاسم . وقرأ السُّدّى «حَسُومًا» بالفتح، حالا من الريح؛ أى سخّرها عليهم مستأصلة .

---

(١) آية ١٦ سورة فصلت . (٢) فى اللسان مادة كسع أنه أبو شبل الأعرابى .
(٣) الكسع : شدة المر . وكسعه بكذا وكذا اذا جعله تابعا له ومذهبا به . (٤) الشهلة : العجوز .
(٥) فى اللسان : فاذا انقضت أيام شهلتنا . (٦) فى اللسان : «هربا» . (٧) النجر : الحر .

قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا ﴾ أي في تلك الليالي والأيام . ﴿ صَرْعَى ﴾ جمع صَرِيع ؛ يعني موتى . وقيل : « فِيها » أي في الريح . ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ ﴾ أي أصول . ﴿ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ أي بالية ؛ قاله أبو الطفيل . وقيل : خالية الأجواف لا شيء فيها . والنخل يذكّر و يؤنّث . وقد قال تعالى في موضع آخر « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ »(١) فيحتمل أنهم شُبّهوا بالنخل التي صرعت من أصلها ، وهو إخبار عن عِظَم أجسامهم . ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع ؛ أي إن الريح قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخل خاوية . أي الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف . وقال ابن شجرة : كانت الريح تدخل في أفواههم فتُخرج ما في أجوافهم من الحَشْو من أدبارهم ، فصاروا كالنخل الخاوية . وقال يحيى بن سلام : إنما قال خاوية لأن أبدانهم خَوَت من أرواحهم مثل النخل الخاوية . ويحتمل أن يكون المعنى كأنهم أعجاز نخل خاوية عن أصولها من البقاع ؛ كما قال تعالى : « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً »(٢) أي خَرِبة لا سكّان فيها . ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا ؛ لأنها إذا بَلِيت خلت أجوافها . فشبهوا بعد أن هلكوا بالنخل الخاوية .

قوله تعالى : فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

أي من فِرْقة باقية أو نفس باقية . وقيل : من بقيّة . وقيل من بقاء . فاعلة بمعنى المصدر ؛ نحو العاقبة والعافية . ويجوز أن يكون اسماً ؛ أي هل تجد لهم أحدا باقيا . وقال ابن جُرَيج : كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عذاب الله من الريح ، فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا ، فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر ؛ فذلك قوله عز وجل : « فهل تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » ، وقوله عز وجل : « فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ »(٣) .

قوله تعالى : وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي « وَمَن قِبَلَه » بكسر القاف وفتح الباء ؛ أي ومن معه وتبعه من جنوده . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتبارا

(١) آية ٢٠ سورة القمر . (٢) آية ٥٢ سورة النمل . (٣) آية ٢٥ سورة الأحقاف .

بقراءة عبد الله وأُبَيّ « ومَن معه » . وقرأ أبو موسى الأشعريّ « ومَن تلقاءه » . الباقون « قَبْلَه » بفتح القاف وسكون الباء ؛ أي ومن تقدمه من القرون الخالية والأمم الماضية . ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾ أي أهل قُرَى لوط . وقراءة العامة بالألف . وقرأ الحسن والجَحْدَرِيّ « والمؤتفكة » على التوحيد . قال قتادة : إنما سُمِّيت قُرَى قوم لوط « مؤتفكات » لأنها ائتفكت بهم ؛ أي انقلبت . وذكر الطبري عن محمد بن كعب القُرَظِيّ قال : خمس قَرْيات صبعة وصعرة وعمرة ودوما وسدوم ؛ وهي القرية العظمى (١) . ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ أي بالفعلة الخاطئة وهي المعصية والكفر . وقال مجاهد : بالخطايا التي كانوا يفعلونها . وقال الجُرْجَانِيّ : أي بالخطأ العظيم ؛ فالخاطئة مصدر .

قوله تعالى : فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ قال الكلبي : هو موسى . وقيل : هو لوط لأنه أقرب . وقيل : عني موسى ولوطا عليهما السلام ؛ كما قال تعالى : « فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) » . وقيل : « رسول » بمعنى رسالة . وقد يعبِّر عن الرسالة بالرسول ؛ قال الشاعر (٣) :

لقد كذب الواشون ما بُحْتُ عندهم * بِسِرٍّ ولا أرسلتهم برسول

﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ أي عالية زائدة على الأخذات وعلى عذاب الأمم . ومنه الرِّبَا إذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى . يقال : ربا الشيء يربو أي زاد وتضاعف . وقال مجاهد : شديدة . كأنه أراد زائدة في الشدة .

قوله تعالى : إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

---

(١) راجع تاريخ الطبري ص ٣٤٣ من القسم الأول طبع أوربا .
(٢) آية ١٦ سورة الشعراء . (٣) هو كثير عزة .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ ﴾ أى ارتفع وعلا . وقال علىّ رضى الله عنه : طغى على خزانه من الملائكة غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه . قال قتادة : زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا . وقال ابن عباس : طغى الماء زمن نوح على خُزّانه فكثُرَ عليهم فلم يَدْرُوا كم خرج . وليس من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده إلا بكيل معلوم غير ذلك اليوم . وقد مضى هذا مرفوعا أوّل السورة . والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر ما حلّ بهم من العذاب : زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم فى معصية الرسول . ثم مَنّ عليهم بأن جعلهم ذُرِّية من نجا من الغرق بقوله : «حملناكم» أى حملنا آباءكم وأنتم فى أصلابهم . ﴿ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ أى فى السفن الجارية . والمحمول فى الجارية نوح وأولاده، وكل من على وجه الأرض من نسل أولئك . ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ يعنى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام . جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الأمة حتى أدركها أوائلهم؛ فى قول قتادة . قال ابن جُريج : كانت ألواحها على الجُودِىّ . والمعنى أبقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حلّ بقوم نوح ، وإنجاء الله آباءكم ؛ وكم من سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شيء . وقيل : لنجعل تلك الفَعْلة من إغراق قوم نوح وإنجاء من آمن معه موعظة لكم ؛ ولهذا قال الله تعالى ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ أى تحفظها وتسمعها أُذُنٌ حافظةٌ لما جاء من عند الله . والسفينة لا توصف بهذا . قال الزجاج : ويقال وَعَيْتُ كذا أى حفظته فى نفسى ، أَعِيه وَعْيًا . ووَعَيْتُ العلم، ووَعَيْت ما قلت ؛ كلّه بمعنًى . وأوعيت المتاع فى الوِعاء . قال الزجاج : يقال لكل ما حَفظتـه فى غير نفسك : « أوعيته » بالألف ، ولما حفظته فى نفسك «وعيته» بغير ألف . وقرأ طلحة وحُميد والأعرج «وتعيها» بإسكان العين؛ تشبيها بقوله «أَرْنَا»[(١)] . واختلف فيها عن عاصم وابن كثير . الباقون بكسر العين ؛ ونظير قوله تعالى : « وتعيها أُذُنٌ واعية » ، « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »[(٢)] . وقال قتادة : الأذن الواعية أذن عقلت عن الله تعالى ، وانتفعت بما سمعت من

---

(١) فى قوله تعالى : « وأرنا مناسكنا » آية ١٢٨ سورة البقرة . راجع جـ ٢ ص ١٢٧ طبعة ثانية .
(٢) آية ٣٧ سورة ق .

كتاب الله عز وجل . وروى مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الآية : "سألت ربي أن يجعلها أذن علي" . قال مكحول : فكان علي رضى الله عنه يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فنسيته إلا وحفظته ، ذكره الماوردي . وعن الحسن نحوه ذكره الثعلبي قال : لما نزلت «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» قال النبي صلى الله عليه وسلم : "سألت ربي أن يجعلها أذنك يا علي" قال علي : فوالله ما نسيت شيئا بعد ، وما كان لي أن أنسى . وقال أبو برزة الأسلمي قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : " يا علي إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق على الله أن تعي " .

قوله تعالى : فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾

قال ابن عباس : هي النفخة الأولى لقيام الساعة ، فلم يبق أحد إلا مات . وجاز تذكير «نُفِخ» لأن تأنيث النفخة غير حقيقي . وقيل : إن هذه النفخة هي الأخيرة . وقال «نفخة واحدة» أي لا تُثَنَّى . قال الأخفش : ووقع الفعل على النفخة إذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل : نفخة . ويجوز « نفخةً » نصباً على المصدر . وبها قرأ أبو السمال . أو يقال اقتصر على الإخبار عن الفعل كما تقول : ضرب ضربا . وقال الزجاج : « في الصُّور» يقوم مقام ما لم يسم فاعله .

قوله تعالى : وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ قراءة العامة بتخفيف الميم ؛ أي رفعت من أماكنها . ﴿ فَدُكَّتَا ﴾ أي فُتَّتَا وكسرتا . ﴿ دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ لا يجوز في « دَكَّةً » إلا النصب لارتفاع الضمير في « دُكَّتَا » . وقال الفراء : لم يقل فَدُكِكْن لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة ، والأرض كالجملة الواحدة . ومثله « أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا »(١) ولم يقل كن . وهذا الدك كالزلزلة ؛ كما قال تعالى : « إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا » . وقيل : «دُكَّتَا»

---

(١) آية ٣٠ سورة الأنبياء

أى بُسطتا بسطة واحدة؛ ومنه اندك سنام البعير إذا انفرش فى ظهره . وقد مضى فى سورة « الأعراف »(١) القول فيه . وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر « وحُمِّلت الأرضُ والجبالُ » بالتشديد على إسناد الفعل إلى المفعول الثانى . كأنه فى الأصل وحَمَلتْ قُدْرَتُنا أو مَلَكًا من ملائكتنا الأرضَ والجبالَ؛ ثم أسند الفعل إلى المفعول الثانى فبُنِيَ له . ولوجيء بالمفعول الأول لأسند الفعل إليه؛ فكأنه قال : وحُمِّلت قُدْرتُنا الأرضَ . وقد يجوز بناؤه للثانى على وجه القلب فيقال : حُمِّلت الأرضُ المَلَكَ؛ كقولك : أُلْبِس زيدٌ الجُبّةَ، وأُلبِست الجُبّةُ زيدًا .

قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أى قامت القيامة . ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أى انصدعتْ وتفطّرت . وقيل : تنشق لنزول مافيها من الملائكة؛ دليله قوله تعالى : «وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا »(٢) وقد تقدم . ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أى ضعيفة، يقال : وَهَى البناء يَهِى وَهْيًا فهو واهٍ إذا ضَعُف جدًّا . ويقال : كلامٌ واهٍ؛ أى ضعيف . فقيل إنها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف فى الوَهْى؛ ويكون ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا . وقيل : لهول يوم القيامة . وقيل : « واهية » أى متخرقة ؛ قاله ابن شجرة . مأخوذ من قولهم : وَهَى السقاء إذا تخرّق . ومن أمثالهم :

خَلِّ سبيلَ من وَهَى سِقاؤه * ومن هُرِيق بالفَلاة ماؤه

أى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه . ﴿وَالْمَلَكُ﴾ يعنى الملائكة؛ اسم للجنس . ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ اى على أطرافها حين تنشق؛ لأن السماء مكانهم؛ عن ابن عباس . الماوردىّ : ولعله قول مجاهد وقتادة . وحكاه الثعلبىّ عن الضحاك . قال : على أطرافها مما لم ينشق منها .

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٧٨ (٢) آية ٢٥ سورة الفرقان . راجع جـ ١٣ ص ٢٣

يريد أن السماء مكان الملائكة فاذا انشقت صاروا فى أطرافها . وقال سعيد بن جبير : المعنى والمَلَكُ على حافات الدنيا؛ أى ينزلون إلى الأرض و يحرسون أطرافها . وقيل : إذا صارت السماء قِطَعًا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشققة فى أنفسها . وقيل : إن الناس إذا رأوا جهنم هالتهم ؛ فَيَنِدُّوا كما تَنِدّ الإبل، فلا يأتون قُطْرًا من أقطار الأرض إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا . وقيل : « على أرجائها » ينتظرون ما يؤمرون به فى أهل النار من السَّوق إليها، وفى أهل الجنة من التحية والكرامة . وهذا كله راجع إلى معنى قول ابن جبير . ويدلّ عليه « وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا » وقوله تعالى : « يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»(1) على ما بيناه هناك . والأرجاء النواحى والأقطار بلغة هُذيل، واحدها رَجًا مقصور، وتثنيته رَجَوان؛ مثل عَصًا وعَصَوان. قال الشاعر :

فلا يُرْمَى بِيَ الرَّجَوَان أنّى * أقلُّ القومِ مَن يُغْنِى مكانِى

و يقال ذلك لحرف البئر والقبر .

قوله تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ قال ابن عباس : ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عَدَدَهم إلا الله . وقال ابن زيد : هم ثمانية أملاك . وعن الحسن : الله أعلم كم هم ، ثمانية أم ثمانية آلاف . وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم " إن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فكانوا ثمانية " . ذكره الثعلبي . وخَرّجه الماوردى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يحمله اليوم أربعة وهم يوم القيامة ثمانية" . وقال العباس بن عبد الملك : هم ثمانية أملاك على صورة الأوعال(2) . ورواه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث " إن لكل مَلَك منهم أربعة أوجه وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نَسر وكلّ وجه منها يسأل الله الرزق لذلك الجنس " . ولما أنشد بين يدى النبيّ صلى الله عليه وسلم قولُ أُميّة بن أبى الصَّلْت :

(1) آية ٣٣ سورة الرحمن . راجع جـ ١٧ ص ١٦٩ . (2) الوعل : التيس الجبلى .

رَجُلٌ وَثَــوْرٌ تحت رجل يمينــه * والنَّسْرُ للأخرى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ
والشمس تطلع كلَّ آخرليــلةٍ [(1)] * حمـــراء يُصبح [(2)] لونُهـا يتوَرَّدُ
ليست [(3)] بطالعــة لهم فى رِسْلِها * إلّا مُعَــذَّبَةً وإلّا تُجْــلَدُ

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " صَدَق " . وفى الخبر " أن فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء وفوق ظهورهن العرش " . ذكره القشيريّ وخرّجه الترمذيّ من حديث العباس بن عبد المطلب . وقد مضى فى سـورة « البقرة » بكماله [(4)] . وذكر نحـوَه الثعلبيّ ولَفْظَه . وفى حديث مرفوع " إن حملة العرش ثمانية أملاك على صورة الأوعال مابين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع " . وفى تفسير الكلبيّ : ثمـانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة . وعنه : ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء من الملائكة . ثم ذكر عدّة الملائكة بمـا يطول ذكره . حكى الأول عنه الثعلبيّ والثـانى القشيريّ . وقال المـاورديّ عن ابن عباس : ثمـانية أجزاء من تسعة وهم الكُرُوبِيُّـون [(5)] . والمعنى ينزل بالعرش . ثم إضافة العرش الى الله تعالى كإضافة البيت، وليس البيت للسكنى، فكذلك العرش . ومعنى « فوقهم » أى فوق رءوسهم . قال السُّدِّى : العرش تحمله الملائكة الحملة فوقهم ولا يحمـل حملة العرش إلا الله . وقيل : « فوقهم » أى إن حملة العرش فوق الملائكة الذين فى السماء على أرجائها . وقيل : « فوقهم » أى فوق أهل القيامة .

قوله تعـالى : يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

قوله تعـالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ أى على الله ؛ دليـله « وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا » وليس ذلك عرضًا يعـلم به مالم يكن عالمـا به ، بل معناه الحساب وتقرير الأعمال عليهم للمجازاة . وروى الحسن عن أبى هريرة قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : " يعرض

(1) فى الأصـول هنا : « تصبح » . (2) فى الأغانى ج ٤ ص ١٣٠ طبعة دار الكتب المصرية : * حمراء مطلع لونها متورد * (3) فى الأغانى : * تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها *
(4) راجع ج١ ص ٢٥٩ (5) الكروبيون : سادة الملائكة ، وهم المقربون ؛ مأخوذ من الكَرْب وهو القرب .

الناس يومَ القيامة ثلاث عَرْضات فأما عَرْضتان فجدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ". خرجه الترمذيّ قال: ولا يصح من قِبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة. ﴿لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أى هو عالم بكل شىء من أعمالكم. فـ « خافيةٌ » على هـذا بمعنى خَفِيّة، كانوا يخفونها من أعمالهم؛ قاله ابن شجرة. وقيـل : لا يخفى عليـه إنسان؛ أى لا يبقى إنسان لا يحاسَب. وقال عبـد الله بن عمرو ابن العاص : لا يخفى المؤمن من الكافر ولا البَرّ من الفاجر. وقيـل : لا تستتر منكم عَوْرَةٌ؛ كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " يُحشر الناس حفاةً عُراةً ". وقرأ الكوفيون إلا عاصما «لا يَخْفَى» بالياء؛ لأن تأنيث الخافية غير حقيق؛ نحو قوله تعالى: «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ»[1]. واختاره أبو عبيد؛ لأنه قد حال بين الفعل و بين الاسم المؤنث الجارّ والمجرور. الباقون بالتاء. واختاره أبو حاتم لتأنيث الخافية.

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا
كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ
أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ
يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ
ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ
عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

(١) آية ٦٧ سورة هود.

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة . وقال ابن عباس : أوّل مَن يعطى كتابه بيمينه من هـذه الأمة عمر بن الخطاب ، وله شعاع كشعاع الشمس . قيل له : فأين أبو بكر؟ فقال هيهات هيهات ! ! زفّتـه الملائكة الى الجنة . ذكره الثعلبيّ . وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه فى كتاب «التذكرة» . والحمد لله . ﴿ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ أى يقول ذلك ثقةً بالإسلام وسرورًا بنجاته؛ لأنّ اليمين عند العرب من دلائل الفرح، والشِّمال من دلائل الغمّ . قال الشاعر (١) :

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جعلتِنِي * فأفرح أم صيّرتِني فى شمالكِ

ومعنى « هاؤم » تعالوا؛ قاله ابن زيد . وقال مقاتل : هَلُمَّ . وقيل : أى خذوا؛ ومنه الخبر فى الربا " إلا هَاءَ وَهَاءَ " أى يقول كل واحد لصاحبه : خذ . قال ابن السكّيت والكسائىّ : العرب تقول هاءَ يارجلُ اقرأ ، وللاثنين هاؤما يارجلان، وهاؤم يارجال، وللرأة هاءِ (بكسر الهمـزة) وهاؤما وهاؤمنّ . والأصـل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف ؛ قاله القتبى (٢) . وقيل : إن « هاؤم » كلمةٌ وضعت لإجابة الداعى عند النشاط والفرح . روى أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم ناداه أعرابىّ بصوت عالٍ فأجابه النبىّ صلى اللهُ عليه وسـلم « هاؤم » يطوّل صوتَه . « وكِتَابِيَهْ » منصوب بـ « هاؤم » عند الكوفيين . وعند البصريين بـ « اقرءوا » لأنه أقرب العاملين . والأصل « كتابى » فأدخلت الهاء لتبيّن فتحة الياء، وكان الهاء للوقف ، وكذلك فى أخواته : «حسابيه ، وماليه ، وسلطانيه» . وفى القارعة «ماهيه» . وقراءة العامة بالهاء فيهن فى الوقف والوصل معًا ؛ لأنهنّ وقعن فى المصحف بالهاء فلا تترك . واختار أبو عبيد أن يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة فى إلحاق الهاء فى السَّكْت و يوافق الخط . وقرأ ابن مُحَيْصن ومجاهد وحُميد و يعقوب بحذف الهاء فى الوصل و إثباتها فى الوقف فيهن جُمَعَ . ووافقهم حمزة فى « ماليه وسلطانيه » ، و « ماهيـه » فى القارعة . وجمـلة هذه الحروف سبعة . واختار أبو حاتم قراءة يعقوب ومن معه اتباعًا للغـة . ومن قرأهن فى الوصل بالهاء

---

(١) هو ابن الدمينة (٢) وفيها لغات أخرى فارجع اليها فى كتب اللغة .

فهو على نية الوقف . ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ أى أيقنت وعلمت؛ عن ابن عباس وغيره . وقيل : أى إنى ظننت أن يؤاخذنى الله بسيئاتى عذبنى[1] فقد تفضل علىّ بعفوه ولم يؤاخذنى بها . قال الضحاك : كل ظن فى القرآن من المؤمن فهو يقين . ومن الكافر فهو شك . وقال مجاهد : ظَنُّ الآخرة يقين، وظنُّ الدنيا شك . وقال الحسن فى هذه الآية : إن المؤمن أحسنَ الظن بربه فأحسن العمل ، وإن المنافق أساء الظن بربّه فأساء العمل . ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أى فى الآخرة ولم أنكر البعث ؛ يعنى أنه ما نجا إلا بخوفه من يوم الحساب ، لأنه تيقّن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة . ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أى فى عَيش يرضاه لا مكروه فيه . وقال أبو عبيدة والفراء : « راضِيةٍ » أى مرضية ؛ كقولك : ماء دافق؛ أى مدفوق . وقيل : ذات رِضًا ؛ أى يرضى بها صاحبها . مثل لابِن وتامِر ؛ أى صاحب اللبن والتمر . وفى الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم " أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا و يصحّون فلا يَمْرَضُون أبدا و يَنْعَمون فلا يَرَوْن بؤسًا أبدا و يَشِبّون فلا يَهْرَمُون أبدا " . ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أى عظيمة فى النفوس. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أى قريبة التناول، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع؛ على ما يأتى بيانه فى سورة « الإنسان» . والقُطُوف جمع قِطف (بكسر القاف) وهو ما يقطف من الثمار . والقَطف (بالفتح) المصدر . والقِطَاف (بالفتح والكسر) وقت القطف . ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أى يقال لهم ذلك . ﴿هَنِيئًا﴾ لا تكدير فيه ولا تنغيص . ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ قدّمتم من الأعمال الصالحة . ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أى فى الدنيا . وقال : «كلوا» بعد قوله : « فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » لقوله : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ » و « مَن » يتضمن معنى الجمع . وذكر الضحاك أن هذه الآية نزلت فى أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومىّ ؛ وقاله مقاتل . والآية التى تليها فى أخيه الأسود بن عبد الأسد ؛ فى قول ابن عباس والضحاك أيضا ؛ قاله الثعلبىّ . ويكون هذا الرجلُ وأخوه سبب نزول هذه الآيات . ويعمّ المعنى جميع أهل الشقاوة وأهل السعادة ؛ يدلّ عليه قوله تعالى : « كُلُوا وَاشْرَبُوا » . وقد قيل :

---

(١) كذا فى نسخ الأصل . ولعلها «فيعذبنى» وقد أورد الخطيب فى تفسيره هذا القول ولم يذكر فيه هذه الكلمة .

إن المراد بذلك كلٌّ من كان متبوعا في الخير والشر . فإذا كان الرجل رأسا في الخير ، يدعو إليه ويأمر به ويكثر تبعه عليه ، دُعِيَ بآسمه وآسم أبيه فيتقدم ، حتى إذا دنا أُخرِج له كتاب أبيض بخط أبيض ، في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات ؛ فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيُشفِق ويصفرّ وجهُه ويتغيّر لونُه ؛ فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه سيئاتك وقد غفرت لك » فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحا ؛ حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه حسناتك قد ضُوعفت لك » فيبيض وجهه ويُؤتَى بتاج فيوضع على رأسه ، ويُكسَى حُلّتين ، ويُحلّى كل مفصل منه ويطول ستين ذراعا وهي قامة آدم عليه السلام ؛ ويقال له : انطلق إلى أصحابك فأخبرهم وبشّرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا . فإذا أدبر قال : هَاؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ . إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ . قال الله تعالى : « فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ » أي مرضية قد رضيها « فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ » في السماء . « قُطُوفُهَا » ثمارها وعناقيدها . « دَانِيَةٌ » أدنيت منهم . فيقول لأصحابه : هل تعرفوني ؟ فيقولون : قد غمرتك كرامة ، من أنت ؟ فيقول : أنا فلان بن فلان أبشّر كلّ رجل منكم بمثل هذا . « كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ » أي قدمتم في أيام الدنيا . وإذا كان الرجل رأسا في الشر ، يدعو إليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه ، نودي بآسمه وآسم أبيه فيتقدم إلى حسابه ، فيخرج له كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرأها ويظن أنه سينجو ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه حسناتك وقد رُدّت عليك » فيسودّ وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزنا ، ولا يزداد وجهه إلا سوادا ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه « هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك » أي يضاعف عليه العذاب . ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل ــ قال ــ فيعظم للنار وتزرق عيناه ويسودّ وجهه ، ويكسى سرابيل القطران ويقال له : انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا ؛ فينطلق وهو يقول : « يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ . يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ » يتمنى الموت ،

« هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ » تفسير ابن عباس : هلكت عنى حجتى . وهو قول مجاهد وعكرمة والسدّى والضحاك . وقال ابن زيد : يعنى سلطانيه فى الدنيا الذى هو المُلْك . وكان هذا الرجل مطاعا فى أصحابه ؛ قال الله تعالى ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ قيل : يبتدره مائة ألف ملك ثم تجمع يده إلى عنقه وهو قوله عز وجل « فَغُلُّوه » أى شدّوه بالأغلال ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أى اجعلوه يَصْلَى الجحيم . ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ الله أعلم بأىّ ذراع ؛ قاله الحسن . وقال ابن عباس : سبعون ذراعا بذراع المَلَك . وقال نَوْف : كل ذراع سبعون باعًا ، وكل باع أبعد ما بينك وبين مكة . وكان فى رحبة الكوفة . وقال مقاتل : لو أن حَلْقة منها وُضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرّصاص . وقال كعب : إن حَلْقة من السلسلة التى قال الله تعالى ذرعها سبعون ذراعا ــ أن حلقة منها ــ مثل جميع حديد الدنيا . ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال سفيان : بَلَغنا أنها تدخل فى دُبُره حتى تخرج من فيه . وقاله مقاتل . والمعنى ثم اسلكوا فيه سلسلة . وقيل : تدخل عنقه فيها ثم يُجَرّ بها . وجاء فى الخبر : أنها تدخل من دبره وتخرج من مَنْخِرَيْه . وفى خبر آخر : تدخل من فيه وتخرج من دبره ؛ فينادى أصحابه هل تعرفونى ؟ فيقولون لا ، ولكن قد نرى ما بك من الخزى فمن أنت ؟ فينادى أصحابه أنا فلان بن فلان . لكلّ إنسان منكم مثلُ هذا .

قلت : وهذا التفسير أصح ما قيل فى هذه الآية ؛ يدلّ عليه قوله تعالى : « يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ »(1) . وفى الباب حديث أبى هريرة بمعناه خرّجه الترمذىّ . وقد ذكرناه فى سورة « سبحان » فتأمله هناك . ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أى على الإطعام ؛ كما يوضع العطاء موضع الإعطاء . قال الشاعر :

أَكُفْرًا بعد رَدّ الموت عنّى * وبعد عطائك المائةَ الرِّتَاعَا(2)

---

(1) آية ٧١ سورة الإسراء . راجع جـ ١٠ ص ٢٩٦ (2) البيت من قصيدة للقطامى مدح بها زفر ابن الحارث الكلابى . قال ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : « كان القطامى أسره زفر فى الحرب التى كانت بين قيس وتغلب فأرادت قيس قتله فحال زفر بينهم ومنّ عليه وأعطاه مائة من الإبل وأطلقه ؛ فقال : أكفرا الخ » . والرتاع (بكسر الراء) : التى ترتع . (راجع خزانة الأدب فى الشاهد التاسع والتسعين بعد الخمسمائة) .

أراد بعد إعطائك . فبيّن أنه عُذّب على ترك الإطعام وعلى الأمر بالبخل ، كما عُذّب بسبب الكفر . والحَضّ : التحريض والحَثّ . وأصل « طعام » أن يكون منصوبا بالمصدر المقدّر . والطعام عبارة عن العين ، وأضيف للسكين للملابسة التى بينهما . ومن أعمل الطعام كما يعمل الإطعام فموضع المسكين نصب . والتقدير على إطعام المُطْعِم المسكينَ ؛ فحذف الفاعل وأضيف المصدر إلى المفعول .

قوله تعالى : فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ ﴾ خبر ليس قوله : « له » ولا يكون الخبر قوله : « ها هنا » لأن المعنى يصير ليس ها هنا طعام إلا من غِسْلين ، ولا يصح ذلك ؛ لأن ثَمّ طعاما غيره . و « ها هنا » متعلق بما فى « له » من معنى الفعل . والحميم ها هنا القريب . أى ليس له قريب يرق له و يدفع عنه . وهو مأخوذ من الحَمِيم وهو الماء الحار ؛ كأنه الصديق الذى يرقّ و يحترق قلبه له . والغِسْلين فِعْلين من الغَسْل ؛ فكأنه ينغسل من أبدانهم ، وهو صَديدُ أهل النار السائلُ من جروحهم وفروجهم ؛ عن ابن عباس . وقال الضحاك والربيع بن أنس : هو شجر يأكله أهلُ النار . والغِسْل (بالكسر) ما يغسل به الرأس من خِطْمِىّ وغيره . الأخفش : ومنه الغِسلين وهو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم . وزيد فيه الياء [والنون] كما زيد فى عِفِرّين . وقال قتادة : هو شر الطعام وأبشعه . ابن زيد : لا يُعلم ما هو ولا الزّقوم . وقال فى موضع آخر : « ليس لهم طعام إلا مِن ضريع »(1) يجوز أن يكون الضّريع من الغسلين . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ؛ والمعنى فليس له اليوم ها هنا حميم إلا من غسلين ؛ ويكون الماء الحار . ﴿ وَلَا طَعَامٌ ﴾ أى وليس لهم طعام ينتفعون به . ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ أى المذنبون . وقال ابن عباس : يعنى المشركين . وقرئ

(1) آية ٦ سورة الغاشية .

« الخاطيون » بإبدال الهمزة ياء، و « الخاطون » بطرحها . وعن ابن عباس : ما الخاطون؟ كلنا نخطو . وروى عنه أبو الأسود الدؤلي : ما الخاطون؟ إنما هو الخاطئون. ما الصابون ؟ إنما هو الصابئون . ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل و يتعدون حدود الله عز وجل .

قوله تعالى : فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠)

قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ المعنى أقسم بالأشياء كلها ماترون منها وما لا ترون . و « لا » صلة . وقيل : هو رد لكلام سبق؛ أي ليس الأمر كما يقوله المشركون . وقال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال إن محمدا ساحر . وقال أبو جهل : شاعر . وقال عقبة : كاهن؛ فقال الله عز وجل : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ أي أقسم . وقيل : « لا » هاهنا نفي للقسم؛ أي لا يحتاج في هذا الى قسم لوضوح الحق في ذلك؛ وعلى هذا فجوابه كجواب القسم . ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعني القرآن . ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يريد جبريل؛ قاله الحسن والكلبي ومقاتل . دليله « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ »(١) . وقال الكلبي أيضا والقتبي : الرسول هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقوله : « وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ » وليس القرآن من قول الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إنما هو من قول الله عز وجل . ونسب القول الى الرسول لأنه تاليه ومبلغه والعامل به؛ كقولنا : هذا قول مالك .

قوله تعالى : وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)

---

(١) آية ١٩ سورة التكوير .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ لأنه مباين لصنوف الشعر كلها . ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ لأنه ورد بسبّ الشياطين وشتمهم فلا ينزلون شيئا على من يسبهم . و « ما » زائدة في قوله : « قليلاً ما تؤمنون » ، « قليلاً ما تَذَكَّرُون » ؛ والمعنى : قليلا تؤمنون وقليلاً تَذَكَّرون . وذلك القليل من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا مَن خلقهم قالوا : الله . ولا يجوز أن تكون « ما » مع الفعل مصدرا وتنصب « قليلا » بما بعد « ما » ؛ لما فيه من تقديم الصلة على الموصول ؛ لأن ما عمل فيه المصدر من صلة المصدر . وقرأ ابن مُحَيْصِن وابن كثير وابن عامر ويعقوب « ما يؤمنون » ، و « يذكرون » بالياء . الباقون بالتاء لأن الخطاب قبله وبعده . أما قبله فقوله : « تبصرون » وأما بعده « فما منكم » الآية .

قوله تعالى : تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلٌ ﴾ أي هو تنزيل . ﴿ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهو عطف على قوله : « إنه لقول رسولٍ كريم » ؛ أي إنه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين .

قوله تعالى : وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ « تقوّل » أي تكلّف وأتى بقول من قِبَل نفسه . وقرئ « ولو تُقُوِّلَ » على البناء للمفعول . ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ أي بالقوّة والقدرة ؛ أي لأخذناه بالقوّة . و « من » صلة زائدة . وعبر عن القوّة والقدرة باليمين لأن قوّة كل شيء في ميامنه ؛ قاله القُتَبيّ . وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد . ومنه قول الشّماخ :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجْدٍ * تلقّاها عَرابة باليمين

أي بالقوّة . عَرَابة اسم رجل من الأنصار من الأوس . وقال آخر :

ولمّا رأيت الشمس أشرق نورها * تناولت منها حاجتي بيميني

وقال السّدّى والحَكَم : « باليمين » بالحق . قال :

* تلقاها عَرابةُ باليمين *

أى بالاستحقاق . وقال الحسن : لقطعنا يده اليمين . وقيل : المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف ؛ قاله نَفْطَوَيْه . وقال أبو جعفر الطبرى : إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس فى الأخذ بيد من يُعاقَب . كما يقول السلطان لمن يريد هَوَانَه : خذوا يديه . أى لأمرنا بالأخذ بيده و بالغنا فى عقابه . ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ يعنى نِياط القلب ؛ أى لأهلكناه . وهو عِرْقٌ يتعلق به القلب إذا انقطع مات صاحبه ؛ قاله ابن عباس وأكثر الناس . قال :

إذا بلّغتِني وحملْتِ رحْلِي * عَرابةَ فاشْرَقِي[1] بدمِ الوَتِين

وقال مجاهد : هو حبل القلب الذى فى الظهر وهو النخاع ؛ فإذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه . والموتون الذى قطع وتينه . وقال محمد بن كعب : إنه القلب ومَرَاقّه وما يليه . وقال الكلبيّ : إنه عرق بين العلباء والحلقوم . والعلباء عصب العنق . وهما علباوان بينهما ينبت العرق . وقال عكرمة : إن الوتين إذا قُطع لا إن جاع عَرَف، ولا إن شبِع عَرَف .

قوله تعالى : فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ « ما » نفى و « أحد » فى معنى الجمع ؛ فلذلك نعته بالجمع ؛ أى فما منكم قوم يحجزون عنه ؛ كقوله تعالى : « لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ »[2] هذا جمع ؛ لأن « بين » لا تقع إلا على اثنين فما زاد . قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " لم تحِلّ الغنائمُ لأحد سُودِ الرءوس قبلكم " . لفظه واحد ومعناه الجمع . و « من » زائدة .

(١) شرق (من باب طرب) : غص . (٢) آية ٢٨٥ سورة البقرة .

والعجز : المنع . و « حاجزين » يجوز أن يكون صفة لأحد على المعنى كما ذكرنا؛ فيكون فى موضع جر . والخبر « منكم » . ويجوز أن يكون منصوبا على أنه خبر و « منكم » مُلْغًى، ويكون متعلقا بـ « حاجزين » . ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر فى هذا ؛ كما لم يمتنع الفصل به فى « إن فيك زيدا راغب » .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ يعنى القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أى للخائفين الذين يخشون الله . ونظيره « فِيهِ هُدًى للمتقين » على ما بيناه أول سورة البقرة (١) . وقيل : المراد محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أى هو تذكرة ورحمة ونجاة .

قوله تعالى : وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ قال الربيع : بالقرآن . ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ ﴾ يعنى التكذيب . والحسرة الندامة . وقيل : أى وإن القرآن لحسرةٌ على الكافرين يوم القيامة إذا رأوا ثواب من آمن به . وقيل : هى حسرتهم فى الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم أن يأتوا بسورة مثله . ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ يعنى أن القرآن العظيم تنزيل من الله عز وجل؛ فهو لحق اليقين . وقيل : أى حَقًّا يقيناً ليكونَنّ ذلك حسرةً عليهم يوم القيامة . فعلى هذا « وإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ » أى لَتَحَسّر ؛ فهو مصدر بمعنى التحسر ، فيجوز تذكيره . وقال ابن عباس : إنما هو كقولك : لعين اليقين ومحض اليقين . ولو كان اليقين نعتًا لم يجز أن يضاف إليه ؛ كما لا تقول : هذا رجل الظريف . وقيل : أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين . ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أى فصَلّ لربك؛ قاله ابن عباس . وقيل : أى نزه الله عن السوء والنقائص .

---

(١) راجع جـ ١ ص ١٦١ طبعة ثانية

سورة المعارج

وهى مكية باتفاق . وهى أربع وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ قرأ نافع وابن عامر « سال سايل » بغير همزة . الباقون بالهمز . فمن همز فهو من السؤال . والباء يجوز أن تكون زائدة ، ويجوز أن تكون بمعنى عن . والسؤال بمعنى الدعاء ؛ أى دعا داع بعذاب ؛ عن ابن عباس وغيره . يقال : دعا على فلان بالويل ، ودعا عليه بالعذاب . ويقال : دعوت زيدا ؛ أى ٱلتمست إحضاره . أى ٱلتمس ملتمِسٌ عذابا للكافرين ؛ وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة . وعلى هذا فالباء زائدة ؛ كقوله تعالى : « تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ »[1] ، وقوله . « وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ »[2] فهى تأكيد . أى سأل سائل عذابا واقعا . ﴿ لِلْكَافِرِينَ ﴾ أى على الكافرين . وهو النضر ابن الحارث حيث قال : « اللَّهُمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ٱئتنا بعذاب أليم »[3] فنزل سؤاله ، وقُتل يوم بدر صبراً[4] هو وعقبة بن أبى مُعَيط ؛ لم يقتل صبراً غيرُهما ؛ قاله ابن عباس ومجاهد . وقيل : إن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفِهْرِيّ . وذلك أنه لما بلغه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم فى علىّ رضى الله عنه : "مَنْ كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه" ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال : يا محمد ، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله

---

(١) آية ٢٠ سورة المؤمنون . (٢) آية ٢٥ سورة مريم .
(٣) آية ٣٢ سورة الأنفال . (٤) الصبر : نصب الإنسان للقتل .

إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأن نصلّىَ خمسًا فقبلناه منك، ونزكّى أموالنا فقبلناه منك، وأن نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك، وأن نحجّ فقبلناه منك ؛ ثم لم ترض بهذا حتى فضّلْتَ ابن عمك علينا ! أفهذا شىء منك أم من الله ؟ ! فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " والله الذى لا إله إلا هو ما هو إلا من الله " فولّى الحارث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقًّا فأمطر علينا حجارة من السماء أو آئتنا بعذاب أليم . فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله ؛ فنزلت «سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذابٍ وَاقِعٍ» الآية . وقيل : إن السائل هنا أبو جهل وهو القائل لذلك ؛ قاله الربيع . وقيل إنه قول جماعة من كفار قريش . وقيل : هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين . وقيل : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أى دعا عليه السلام بالعقاب وطلب أن يوقعه الله بالكفار ؛ وهو واقع بهم لا محالة . وامتدّ الكلام إلى قوله تعالى : « فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا » أى لا تستعجل فإنه قريب . وإذا كانت الباء بمعنى عن ــ وهو قول قتادة ــ فكأن سائلا سأل عن العذاب بمن يقع أو متى يقع . قال الله تعالى : « فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا »(١) أى سل عنه . وقال عَلْقَمَة :

فإن تسألونى بالنسـاء فإننى * بصير بأدواء النسـاء طَبِيب

أى عن النساء . ويقال : خرجنا نسأل عن فلان وبفلان . فالمعنى سألوا بمن يقع العذاب ولمن يكون فقال الله : « للكافرين » . قال أبو على وغيره : وإذا كان من السؤال فأصله أن يتعدّى إلى مفعولين ويجوز الاقتصار على أحدهما . وإذا اقتصر على أحدهما جاز أن يتعدّى إليه بحرف جرّ ؛ فيكون التقدير سأل سائل النبىّ صلى الله عليه وسلم أو المسلمين بعذاب أو عن عذاب . ومن قرأ بغير همز فله وجهان : أحدهما أنه لغة فى السؤال وهى لغة قريش ؛ تقول العرب : سال يسال ؛ مثل نال ينال وخاف يخاف . والثانى أن يكون من السيلان . ويؤيده قراءة ابن عباس « سال سَيْل » . قال عبد الرحمن بن زيد : سال وادٍ من أودية جهنم يقال له

---

(١) آية ٥٩ سورة الفرقان .

سائل . وهو قول زيد بن ثابت . قال الثعلبي : والأول أحسن . كقول الأعشى[(١)] في تخفيف الهمـــزة :

سالتاني الطلاق إذ رأتاني * قـلّ مالي قـد جئتماني بنكر

وفي الصحاح قال الأخفش : يقال خرجنا نسأل عن فلان و بفلان . وقد تخفف همزته فيقال : سال يسال . وقال :

ومُرْهِقٍ سـال إمتاعاً بأُصْـدتِه * لم يَسْتَعِن وحَوامِي المَوْتِ تغشاه[(٢)]

المرهق : الذي أدرك ليقتل . والأصدة بالضم : قميص صغير يلبس تحت الثوب . المهدوي : من قرأ « سال » جاز أن يكون خفّف الهمزة بإبدالها ألفا ، وهو البـدل على غير قياس . وجاز أن تكون الألف منقلبة عن واو على لغة من قال : سِلت أسال ؛ كخفت أخاف . النحاس : حكى سيبويه سِلت أسال ؛ مثل خفت أخاف ؛ بمعنى سألت . وأنشد :

سالَتْ هُـذَيلٌ رسولَ الله فاحشَـةً * ضَلّتْ هذيلٌ بما سالتْ ولم تُصِبِ[(٣)]

ويقال : هما يتساولان . المهدوي : وجاز أن تكون مبدلة من ياء ، من سال يسيل . ويكون سايل واديا في جهنم ؛ فهمزة سايل على القول الأول أصلية ، وعلى الثـاني بدل من واو ، وعلى الثالث بدل من ياء . القشيري : وسائل مهموز ؛ لأنه إن كان من سأل بالهمز فهو مهموز ، وإن كان من غير الهمز كان مهموزا أيضا ؛ نحو قائل وخائف ؛ لأن العين اعتلّ في الفعـل واعتل في اسم الفاعل أيضا . ولم يكن الاعتـلال بالحذف لخوف الالتباس ، فكان بالقلب إلى الهمزة . ولك تخفيف الهمزة حتى تكون بين بين . ﴿ واقِـعٍ ﴾ أي يقع بالكفار ، بيّن

---

(١) لم نجد البيت في شعر الأعشين . وفي كتاب سيبويه (جـ ١ ص ٢٩١ ، جـ ٢ ص ١٧٠) أنه لزيد بن عمرو بن نفيل القرشي . وعلق عليه الأعلم الشنتمري أنه يروى لنبيه بن الحجاج .

(٢) لم يستعن أي لم يحلق عانته . وحوامي الموت وحوائمه : أسبابه .

قال ابن بري : أنشده أبو علي الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلا شريفا ، أُرْتُثَّ في بعض المعارك فسألهم أن يمتعوه بقميصه ؛ أي لا يسلب .

(٣) البيت لحسان بن ثابت .

أنه من الله ذى المعارج. وقال الحسن: أنزل الله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع» فقال لمن هو فقال للكافرين؛ فاللام فى الكافرين متعلقة بـ«واقع». وقال الفراء: التقدير بعذاب للكافرين واقع؛ فالواقع من نعت العذاب، واللام دخلت للعذاب لا للواقع، أى هذا العذاب للكافرين فى الآخرة لا يدفعه عنهم أحد. وقيل إن اللام بمعنى على، والمعنى: واقع على الكافرين. وروى أنها فى قراءة أُبَيّ كذلك. وقيل: بمعنى عن؛ أى ليس له دافع عن الكافرين من الله. أى ذلك العذاب من الله ذى المعارج؛ أى ذى العلو والدرجات الفواضل والنِّعم؛ قاله ابن عباس وقتادة. فالمعارج مراتب إنعامه على الخلق. وقيل ذى العظمة والعلاء. وقال مجاهد: هى معارج السماء. وقيل: هى معارج الملائكة؛ لأن الملائكة تعرج الى السماء فوصف نفسه بذلك. وقيل: المعارج الغرف؛ أى إنه ذو الغُرَف، أى جعل لأوليائه فى الجنة غُرَفًا. وقرأ عبد الله ذى المعاريج بالياء. يقال: معرج ومعراج ومعارج ومعاريج؛ مثل مفتاح ومفاتيح، والمعارج الدرجات؛ ومنه «وَمَعَارِجَ عليها يَظْهَرُونَ»[1]. ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ أى تصعد فى المعارج التى جعلها الله لهم. وقرأ ابن مسعود وأصحابه والسُّلَمى والكسائى «يَعْرُجُ» بالياء على إرادة الجمع؛ ولقوله: ذكّروا الملائكة ولا تؤنّثوهم. وقرأ الباقون بالتاء على إرادة الجماعة. «والرُّوحُ» جبريل عليه السلام؛ قاله ابن عباس. دليله قوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ»[2]. وقيل: هو مَلَكٌ آخر عظيمُ الخِلْقة. وقال أبو صالح: إنه خَلْقٌ من خَلْق الله كهيئة الناس وليس بالناس. قال قَبِيصة بن ذُؤَيب: إنه روح الميت حين يُقبض. ﴿إِلَيْهِ﴾ أى إلى المكان الذى هو محلهم وهو فى السماء؛ لأنها محل برّه وكرامته. وقيل: هو كقول إبراهيم «إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى»[3]. أى إلى الموضع الذى أمرنى به. وقيل: «إليه» أى الى عرشه. ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال وهب والكلبى ومحمد ابن إسحاق: أى عروج الملائكة إلى المكان الذى هو محلهم فى وقت كان مقداره على غيرهم

---

(١) آية ٣٣ سورة الزخرف. (٢) آية ١٩٣ سورة الشعراء.
(٣) آية ٩٩ سورة الصافات.

لو صَعِد خمسين ألف سنة . وقال وهب أيضا : ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرة خمسين ألف سنة . وهو قول مجاهد . وجمع بين هذه الآية وبين قوله «في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُه أَلْفَ سَنَةٍ» في سورة السجدة[1]، فقال : «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسون ألف سنة. وقوله تعالى في (الٓمٓ تنزيل) : «في يَوْمٍ كان مقدارُه أَلْفَ سَنَةٍ» يعني بذلك نزول الأمر من سماء الدنيا إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقدار ألف سنة؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام . وعن مجاهد أيضا والحَكَم وعِكْرمة : هو مدّة عمر الدنيا من أوّل ما خلقت إلى آخر ما بقي خمسون ألف سنة . لا يدرى أحدٌ كم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل . وقيل : المراد يوم القيامة ؛ أي مقدار الحُكْم فيه لو تولاه مخلوق خمسون ألف سنة ؛ قاله عكرمة أيضا والكلبي ومحمد بن كعب . يقول سبحانه وتعالى وأنا أفرغ منه في ساعة . وقال الحسن : هو يوم القيامة ، ولكن يوم القيامة لا نفاد له . فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو في خمسين ألف سنة من سِني الدنيا ، ثم حينئذ يستقر أهل الدارين في الدارين . وقال يَمَان : هو يوم القيامة ، فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة . وقال ابن عباس : هو يوم القيامة ، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ، ثم يدخلون النار للاستقرار .

قلت : وهذا القول أحسن ما قيل في الآية إن شاء الله ؛ بدليل ما رواه قاسم بن أَصْبَغ من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " . فقلت : ما أطول هذا ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا " . واستدل النحاس على صحة هذا القول بما رواه سُهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من رجل لم يؤدّ زكاة ماله إلا جعل شجاعاً[2] من نار تكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين الناس "

---

(١) آية ٥ (٢) الشجاع (بالضم والكسر) : الحية الذكر .

قال : فهذا يدل على أنه يوم القيامة . وقال ابراهيم التيمى : ما قدر ذلك اليوم على المؤمن إلا قدر ما بين الظهر والعصر . وروى هذا المعنى مرفوعا من حديث معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمّى نفسه سريع الحساب وأسرع الحاسبين" . ذكره الماوردى . وقيل : بل يكون الفراغ لنصف يوم ؛ كقوله تعالى : « أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا »(١) . وهذا على قدر فهم الخلائق ، وإلا فلا يشغله شأن عن شأن . وكما يرزقهم فى ساعة كذا يحاسبهم فى لحظة ؛ قال الله تعالى : « مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ »(٢) . وعن ابن عباس أيضا أنه سئل عن هذه الآية وعن قوله تعالى : « فى يوم كان مقداره ألف سنة » فقال : أيام سمّاها الله عز وجل هو أعلم بها كيف تكون ، وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم . وقيل : معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيل ، وهو تعريف طول مدّة القيامة فى الموقف ، وما يلقى الناس فيه من الشّدائد . والعرب تصف أيام الشدّة بالطول ، وأيام الفرح بالقِصر ؛ قال الشاعر :

ويومٍ كظِلّ الرُّمح قصّر طوله * دمُ الزّقِ عنّا واصطفاق المزاهر(٣)

وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ؛ والمعنى : سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له من الله دافع ، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه . وهذا القول هو معنى ما اخترناه ، والموفق الإله .

قوله تعالى : فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)

---

(١) آية ٢٤ سورة الفرقان .

(٢) آية ٢٨ سورة لقمان . (٣) قال ابن برى : نسب الجوهرى هذا البيت ليزيد بن الطثرية ، وصوابه لشبرمة بن الطفيل . (انظر لسان العرب مادة صفق) . والزق : وعاء من جلد . ويريد بدم الزق الخمر . والمزاهر : العيدان . واصطفقت المزاهر : جاوب بعضها بعضا .

قوله تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أى على أذى قومك . والصَّبْرُ الجميلُ هو الذى لا جَزَع فيه ولا شَكْوَى لغير الله . وقيل : هو أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يُدْرَى من هو . والمعنى متقارب . وقال ابن زيد : هى منسوخة بآية السيف . ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ يريد أهل مكة يرون العذاب بالنار بعيدا ؛ أى غير كائن . ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ لأن ما هو آتٍ فهو قريب . وقال الأعمش : يرون البعث بعيدا لأنهم لا يؤمنون به ؛ كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة . كما تقول لمن تناظره : هذا بعيد لا يكون ! وقيل : أى يرون هذا اليوم بعيدا « ونراه » أى نعلمه ؛ لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود . وهو كقولك : الشافعيّ يرى فى هذه المسألة كذا وكذا . .

قوله تعالى : يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ العاملُ فى « يوم » « واقع » ؛ تقديره يقع بهم العذاب يوم . وقيل « نراه » أو « يبصرونهم » أو يكون بدلا من قريب . والمُهْلُ دُرْدِيُّ الزيت وعَكَرُه ؛ فى قول ابن عباس وغيره . وقال ابن مسعود : ما أذيب من الرَّصاص والنُّحاس والفضة . وقال مجاهد : « كالمهل » كقيح من دم وصديد . وقد مضى فى سورة «الدخان» و «الكهف» القول فيه (١) . ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أى كالصُّوف المصبوغ . ولا يقال للصوف عِهْن إلا أن يكون مصبوغا . وقال الحسن : « وتكون الجبالُ كالعِهْنِ » وهو الصوف الأحمر ، وهو أضعف الصوف . ومنه قول زُهير :

كأن فُتَاتَ العِهنِ فى كل منزل * نزلن به حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ (٢)

---

(١) راجع جـ ١٠ ص ٣٩٤ وجـ ١٦ ص ١٤٩

(٢) الفنا (مقصور والواحدة فناة) : عنب الثعلب . وقيل : هو شجر ذو حب أحمر ما لم يكسر يتخذ منه قرار يطه يوزن بها ؛ كل حبة قيراط . وقيل : يتخذ منه القلائد . وقوله : « لم يحطم » أراد أن حب الفنا صحيح ؛ لأنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة .

الفُتاتُ القِطَع . والعِهْنُ الصوفُ الأحمر، واحده عِهْنة . وقيل : العِهْنُ الصوف ذو الألوان . فشبَّه الجبال به فى تَلَوُّنها ألوانًا . والمعنى : أنها تلين بعد الشدة، وتتفرق بعد الاجتماع . وقيل : أول ما تتغير الجبال تصير رَمْلًا مَهيلا(1) ، ثم عِهْنًا منفوشا، ثم هَبَاءً مُنْبَثًّا .
﴿ ولا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيما ﴾ أى عن شأنه لشغل كل إنسان بنفسه؛ قاله قتادة . كما قال تعالى : « لِكُلِّ آمْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ(2) » . وقيل : لا يسأل حميم عن حميم ؛ فحذف الجار ووصل الفعل . وقراءة العامة «يَسأل» بفتح الياء . وقرأ شيبة والبَزِّى عن عاصم «ولا يُسأل» بالضم على ما لم يسم فاعله ؛ أى لا يُسأل حميم عن حميمه ولا ذو قرابة عن قرابته ، بل كل إنسان يسأل عن عمله . نظيره « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ(3) » .

قوله تعالى : يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أى يرونهم . وليس فى القيامة مخلوق إلا وهو نُصْبُ عين صاحبه من الجن والإنس . فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته وعشيرته ولا يسأله ولا يكلمه ؛ لاشتغالهم بأنفسهم . وقال ابن عباس : يتعارفون ساعةً ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعة . وفى بعض الأخبار : أن أهل القيامة يَفِرّون من المعارف مخافةَ المظالم. وقال ابن عباس أيضا : «يُبَصَّرونهم» يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض. فالضمير فى «يُبَصَّرونهم» على هذا للكفار، والهاء والميم للأقرباء . وقال مجاهد : المعنى يبصّر الله المؤمنين الكفارَ فى يوم القيامة ؛ فالضمير فى « يبصرونهم » للمؤمنين ، والهاء والميم للكفار . ابن زيد : المعنى يبصرالله

---

(1) المهيل : الذى يحرك أسفله فينهال عليه من أعلاه .
(2) آية ٣٧ سورة عبس . (3) آية ٣٨ سورة المدثر .

الكفار فى النار الذين أضلوهم فى الدنيا ؛ فالضمير فى « يبصّرونهم » للتابعين ، والهاء والميم للتبوعين . وقيل . إنه يبصر المظلومُ ظالمه والمقتولُ قاتله . وقيل : « يبصّرونهم » يرجع إلى الملائكة ؛ أى يعرفون أحوال الناس فيسوقون كلّ فريق إلى مايليق بهم . وتمّ الكلام عند قوله : « يُبصَّرونَهُم » . ثم قال : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ ﴾ أى يتمنى الكافر . ﴿ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ ﴾ يعنى من عذاب جهنم بأعزّ من كان عليه فى الدنيا من أقاربه فلا يقدر . ثم ذكرهم فقال : ﴿ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ ﴾ زوجته . ﴿ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ ﴾ أى عشيرته . ﴿ الَّتِى تُؤْوِيهِ ﴾ تنصره ؛ قاله مجاهد وابن زيد . وقال مالك : أمّه التى تُربّيه . حكاه الماوردىّ ورواه عنه أشهب . وقال أبو عبيدة : الفَصيلة دون القَبيلة . وقال ثعلب : هم آباؤه الأدْنَوْن . وقال المبرّد : الفَصيلة القطعة من أعضاء الجسد ، وهى دون القبيلة . وسُمّيت عترة الرجل فصيلته تشبيهاً بالبعض منه . وقد مضى فى سورة « الحجرات » القولُ فى القَبيلة وغيرها[(١)] . وهنا مسألة ، وهى : إذا حبس على فصيلته أو أوصى لها فمن ٱدّعى العموم حمله على العَشيرة ، ومن ادّعى الخصوص حمله على الآباء ؛ الأدنى فالأدنى . والأول أكثر فى النطق . والله أعلم . ومعنى « تؤويه » تضمّه وتؤمنه من خوف إن كان به . ﴿ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ أى ويودّ لو فُدِىَ بهم لافتدى ﴿ ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴾ أى يخلّصه ذلك الفداء . فلا بدّ من هذا الإضمار ؛ كقوله : « وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ »[(٢)] أى وإن أكله لفسق . وقيل : « يَوَدُّ الْمُجْرِمُ » يقتضى جوابا بالفاء ؛ كقوله : « وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ »[(٣)] . والجواب فى هذه الآية « ثُمَّ يُنْجِيهِ » لأنها من حروف العطف . أى يودّ المجرم لو يفتدى فينجيه الافتداء .

قوله تعالى : كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾

(١) راجع جـ ١٦ ص ٣٤٥ (٢) آية ١٢١ سورة الأنعام .
(٣) آية ٩ سورة القلم .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ تقدّم القول فى « كَلَّا » وأنها تكون بمعنى حَقًّا ، وبمعنى لا.[1] وهى هنا تحتمل الأمرين ؛ فإذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام «يُنْجِيهِ» . وإذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها ؛ أى ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء . ثم قال : ﴿ إِنَّهَا لَظَى ﴾ أى هى جهنم ؛ أى تتلظّى نيرانها ؛ كقوله تعالى : «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى»[2] . واشتقاق لظى من التلظى . والتِظاءُ النارِ التهابها ، وتلظّيها تلهبها . وقيل : كان أصلها «لظظ» أى دامت لدوام عذابها ؛ فقلبت إحدى الظائين ألفا فبقيت لظى . وقيل : هى الدركة الثانية من طبقات جهنم . وهى اسم مؤنث معرفة فلا ينصرف . ﴿ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم فى رواية أبى بكر عنه والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائى « نَزَّاعةٌ » بالرفع . وروى أبو عمرو عن عاصم «نزاعةً» بالنصب . فمن رفع فله خمسة أوجه : أحدها أن تجعل « لظى » خبر «إنّ» وترفع «نزاعة» بإضمار هى ؛ فمن هذا الوجه يحسن الوقف على «لظى» . والوجه الثانى أن تكون «لظى» و «نزاعة» خبران لإنّ . كما تقول إنه خلق مخاصم . والوجه الثالث أن تكون «نزاعة» بدلا من «لظى» و «لظى» خبر «إن» . والوجه الرابع أن تكون « لظى » بدلا من آسم « إنّ » و « نزاعة » خبر « إن » . والوجه الخامس أن يكون الضمير فى « إنها » للقصة ، و « لظى » مبتدأ و « نزاعة » خبر الابتداء والجملة خبر « إن » . والمعنى : أن القصة والخبر لظى نزاعة للشوى . ومن نصب « نزاعة » حسن له أن يقف على « لظى » وينصب « نزاعة » على القطع من « لظى » إذ كانت نكرة متصلة بمعرفة . ويجوز نصبها على الحال المؤكدة ؛ كما قال : « وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا »[3] . ويجوز أن تنصب على معنى أنهـا تتلظى نزاعة ؛ أى فى حال نزعها للشوَى . والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظى . ويجوز أن تكون حالا ؛ على أنه حال للكذبين بخبرها . ويجوز نصبها

---

(١) راجع جـ ١١ ص ١٤٧

(٢) آية ١٤ سورة الليل .

(٣) آية ٩١ سورة البقرة .

على القطع ؛ كما تقول : مررت بزيد العاقلَ الفاضلَ . فهذه خمسة أوجه للنصب أيضـا .
والشَوَى جمع شَواة وهي جلدة الرأس . قال الأعشى :

قالت قُتَيْـلَةُ مـالَهُ * قـد جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُهْ

وقال آخر :

لأصبحت هدّتك الحوادث هَدّةً * لها فشـواة الرأس بادٍ قتيـرُها

القتير : الشيب . وفي الصّحاح « والشوى : جمع شواة وهي جلدة الرأس » . والشوى : اليدان والرجلان والرأس من الآدميّين ، وكل ما ليس مقتـلا . يقال : رماه فأشـواه إذا لم يصب المقتل . قال الهذلي :

فإن من القول التي لا شَوَى لهـا * إذا زَلّ عن ظهرِ اللّسان انفلاتها

يقول : إن من القول كلمة لا تشوِى ولكن تقتل . قال الأعشى :

قالت قُتَيـلة مـاله * قـد جُلِّلت شَيْباً شواته

قال أبو عبيدة : أنشدها أبو الخطاب الأخفش أبا عمرو بن العلاء فقال له : «صحّفت، إنما هو سراته؛ [أي نواحيه] فسكت أبو الخطاب ثم قال لنا : بل هو صحّف، إنما هو شواته» . وشَوَى الفرسِ : قوائمه؛ لأنه يقال : عَبْلُ الشَّوَى[(1)]، ولا يكون هـذا للرأس ؛ لأنهم وصفوا الخيل بإسالة الخدين وعِتْقِ الوجه وهو رقّتـه . والشَّوَى رُذال المـال . والشَّوَى هو الشيء الهيّن اليسير . وقال ثابت البُنَانِيّ والحسن : « نَزَّاعةً لِلشَّوَى » أي لمكارم وجهه . أبو العالية : لمحاسن وجهه . قتادة : لمكارم خلقتـه وأطرافه . وقال الضحاك : تَفْرِي اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منـه شيئا . وقال الكسائي : هي المفاصل . وقال بعض الأئمـة : هي القوائم والجلود . قال امرؤ القيس :

---

(1) أي غليظ القوائم .

سَلِيمِ الشَّظَى عَبْلِ الشَّوَى شَنِجُ النَّسَا * لَه حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ على الفَالِ (١)

وقال أبو صالح : أطراف اليدين والرجلين . قال الشاعر :

إذا نظرتْ عرفت الفخر منها * وعينيها ولم تعرف شواها

يعنى أطرافها . وقال الحسن أيضا : الشَّوَى الهام . ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أى تدعو لظَى من أدبر فى الدنيا عن طاعة الله وتولّى عن الإيمان . ودعاؤها أن تقول : إلىّ يامشرك ، إلىّ يا كافر. وقال ابن عباس : تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح : إلىّ يا كافر ، إلىّ يامنافق ؛ ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب . وقال ثعلب : «تدعو» أى تهلك . تقول العرب : دعاك الله ؛ أى أهلكك الله . وقال الخليل : إنه ليس كالدعاء « تعالوا » ، ولكن دَعْوتها إياهم تمكنها من تعذيبهم . وقيل : الداعى خزنة جهنم ؛ أضيف دعاؤهم إليها . وقيل : هو ضرب مثل ؛ أى إن مصير من أدبر وتولى إليها ؛ فكأنها الداعية لهم . ومثله قول الشاعر :

ولقد هبطنا الوادِيَيْنِ فواديًا * يدعو الأنيس به العضيض الأبكمُ (٢)

العضيض (٢) الأبكم : الذباب . وهو لا يدعو وإنما طنينه نبّه عليه فدعا إليه .

قلت : القول الأوّل هو الحقيقة ؛ حسب ماتقدّم بيانه بآى القرآن والأخبار الصحيحة . القشيرى : ودعاء لَظَى بخلق الحياة فيها حين تدعو ، وخوارق العادة غداً كثيرة . ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أى جمع المال فجعله فى وعائه ومنع منه حق الله تعالى ؛ فكان جَموعا مَنوعا . قال الحكم : كان عبد الله بن عُكَيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول : « وَجَمَعَ فَأَوْعَى » .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يعنى الكافر ؛ عن الضحاك . والهلَع فى اللغة : أشدّ الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه . وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما . وقد هلِع (بالكسر)

(١) الشظى : عظم لازق بالذراع . وقيل : انشقاق العصب . و« عبل الشوى » غليظ اليدين والرجلين . و« الشنج » محركة : تقبض الجلد والأصابع . و« النسا » مقصور : عرق فى الفخذ ؛ وفرس شنج النسا : متقبضه ، وهو مدح له . و« الحجبات » : رءوس عظام الوركين . و« الفال » : لغة فى الفائل وهو اللحم الذى على الورك .

(٢) وردت هذه الكلمة فى نسخ الأصل محرفة هكذا : « العضيض » بالعين المهملة والضاد المعجمة ، و « القصيص » بالقاف والصاد المهملة . و « العصيص » بالعين والصاد المهملتين . ولم نهتد اليها .

يَهْلَع فهو هَلِعٌ وهَلُوع؛ على التكثير. والمعنى أنه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. عِكرمة: هو الضَّجور. الضحاك: هو الذي لا يشبع. والمنوع: هو الذي إذا أصاب المال منع منه حق الله تعالى. وقال ٱبن كَيْسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسرّه ويرضيه، ويهرب مما يكرهه ويسخط، ثم تعبّده الله بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره. وقال أبو عبيدة: الهَلُوع هو الذي إذا مسّه الخير لم يشكر، وإذا مسّه الضر لم يصبر؛ قاله ثعلب. وقال ثعلب أيضا: قد فسر الله الهَلُوع، وهو الذي إذا ناله الشر أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله الخير بَخِل به ومنعه الناس. وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "شَرُّ ما أعطِي العبدُ شحٌّ هالع وجُبْن خالع". والعرب تقول: ناقة هِلواعة وهِلواع؛ إذا كانت سريعة السير خفيفة. قال:[1]

صكّاء ذِعْلِبَة إذا استدبرتَها * حَرَج إذا استقبلتَها هِلواع

الذِّعلب والذِّعْلِبة الناقة السريعة. و«جَزوعا» و«مَنوعا» نعتان لهلوع؛ على أن ينوى بهما التقديم قبل «إذا». وقيل: هو خبر كان مضمرة.

قوله تعالى: إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

(١) في اللسان مادة هلع: «وأنشد الباهلي للمسيب بن علس يصف ناقة شبهها بالنعامة» وذكر البيت. قال الباهلي: قوله «صكاء» شبهها بالنعامة، ثم وصف النعامة بالصكك وليس الصكك من وصف الناقة».

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ دلّ على أن ما قبله في الكفار ؛ فالإنسان اسم جنس بدليل الاستثناء الذي يعقبه؛ كقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا». قال النخعيّ: المراد بالمصلين الذين يؤدّون الصلاة المكتوبة. ابن مسعود: الذين يصلونها لوقتها؛ فأما تركها فكفر. وقيل: هم الصحابة. وقيل: هم المؤمنون عامة؛ فإنهم يغلبون فَرْطَ الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم. ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ أي على مواقيتها. وقال عقبة ابن عامر: هم الذين إذا صلّوْا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا. والدائم الساكن؛ ومنه: نهى عن البول في الماء الدائم؛ أي الساكن. وقال ابن جريج والحسن: هم الذين يكثرون فعل التطوع منها. ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾ يريد الزكاة المفروضة؛ قاله قتادة وابن سيرين. وقال مجاهد: سوى الزكاة. وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: صلة رَحِم وحَمْل كَلٍّ. والأول أصح؛ لأنه وصف الحق بأنه معلوم، وسوى الزكاة ليس بمعلوم، إنما هو على قدر الحاجة، وذلك يقلّ ويكثر. ﴿ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ تقدم في « والذاريات »[1]. ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة. وقد مضى في سورة « الفاتحة »[2] القول فيه. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ أي خائفون. ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ قال ابن عباس: لمن أشرك أو كذب أنبياءه. وقيل: لا يأمنه أحد، بل الواجب على كل أحد أن يخافه ويشفق منه. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ تقدم القول فيه في سورة « قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ »[3]. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ تقدّم أيضا. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ على من كانت [عليه][4] من قريب أو بعيد؛ يقومون بها عند

---

(١) راجع ج ١٧ ص ٣٨

(٢) راجع ج ١ ص ١٤٢

(٣) راجع ج ١٢ ص ١٠٢

(٤) زيادة عن الخطيب الشربيني .

الحاكم ولا يكتمونها ولا يغيّرونها . وقد مضى القول فى الشهادة وأحكامها فى سورة « البقرة » (١) .
وقال ابن عباس : « بشهاداتهم » أن الله واحد لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله .
وقرئ « لأمانتهم » على التوحيد . وهى قراءة ابن كثير وابن مُحيصن . فالأمانة اسم جنس ؛ فيدخل فيها أمانات الدّين ؛ فإن الشرائع أمانات ائتمن الله عليها عباده . ويدخل فيها أمانات الناس من الودائع . وقد مضى هذا كله مستوفًى فى سورة «النساء» (٢) . وقرأ عباس الدُّورِىّ عن أبى عمرو ويعقوب «بِشَهَادَاتِهِمْ» جمعًا . الباقون « بِشَهَادَتِهِمْ » على التوحيد ؛ لأنها تؤدّى عن الجمع . والمصدر قد يفرد وإن أضيف إلى جمع ؛ كقوله تعالى : « إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » (٣) .
وقال الفرّاء : ويدلّ على أنها « بشهادتهم » توحيدًا قوله تعالى : « وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ » .
﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ قال قتادة : على وضوئها وركوعها وسجودها . وقال ابن جُرَيج : التطوّع . وقد مضى فى سورة «المؤمنون» (٤) . فالدوام خلاف المحافظة . فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يُخِلّون بها ولا يشتغلون عنها بشىء من الشواغل . ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ، ويكملوها بسننها وآدابها ، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم . فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها . ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾ أى أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات .

قوله تعالى : فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ قال الأخفش : مسرعين . قال :

بمكّة أهلُها ولقد أراهم * إليه مهطعين إلى السماع

(١) راجع ج ٣ ص ٤١٥ (٢) راجع ج ٥ ص ٢٥٥ (٣) آية ١٩ سورة لقمان .
(٤) راجع ج ١٢ ص ١٠٧

والمعنى : ما بالهم يُسرعون إليك ويجلسون حواليك ولا يعملون بما تأمرهم . وقيل : أى ما بالهم مسرعين فى التكذيب لك . وقيل : أى ما بال الذين كفروا يُسرعون إلى السماع منك ليعيبوك ويستهزئوا بك . وقال عطيّة : مهطعين : معرضين . الكلبيّ : ناظرين إليك تعجّباً . وقال قتادة : عامدين . والمعنى متقارب . أى ما بالهم مسرعين عليك ، مادّين أعناقهم ، مدمنى النظر إليك . وذلك من نظر العدو . وهو منصوب على الحال . نزلتْ فى جمع من المنافقين المستهزئين ؛ كانوا يحضرونه — عليه السلام — ولا يؤمنون به . و « قِبَلك » أى نحوك . ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ أى عن يمين النبيّ صلّى الله عليه وسلم وشماله حِلَقًا حلقًا وجماعات . والعِزين : جماعات فى تفرقة ؛ قاله أبو عبيدة . ومنه حديث النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه خرج على أصحابه فرآهم حِلَقًا فقال : "مَالِى أَرَاكُم عِزِينَ أَلَا تَصُفُّونَ كما تَصُفّ الملائكةُ عند ربّها — قالوا : وكيف تَصُفّ الملائكةُ عند ربّها ؟ قال — : يُتِمُّونَ الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصّون فى الصف" خرّجه مسلم وغيره . وقال الشاعر :

تَرَانَا عِنْدَهُ واللَّيْلُ دَاجٍ * على أبوابه حِلَقًا عِزِينَا

أى متفرقين . وقال الراعى :

أخليفةَ الرحمنِ إنّ عشيرتى * أمسى سَرَاتُهم إليك عِزِينا

أى متفرقين . وقال آخر :

كأن الجماجم من وقعها * خناطيل(1) يهوين شَتَّى عِزِينا

أى متفرقين . وقال آخر :

فلمّا أن أَتَيْنَ على أُضَاخٍ(2) * ضَرَحْنَ حَصَاهُ أَشْتَاتًا عِزِينا

وقال الكُمَيْت :

ونحنُ وَجَنْدَلٌ باغٍ تَرَكْنَا * كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينا

(1) الخناطيل : لا واحد لها من جنسها ؛ وهى جماعات من الوحش والطير فى تفرقة .

(2) أضاخ (بالضم) : جبل يذكر ويؤنث . وقيل : هو موضع بالبادية يصرف ولا يصرف . ومعنى « ضرحن » : نحين ودفعن .

وقال عنترة :

وقِرْنٍ قد تركتُ لذى وَلِىٍّ * عليه الطير كالعُصَب العِزِين

وواحد عِزِين عِزة ؛ جُمع بالواو والنون ليكون ذلك عِوَضا مما حذف منها . وأصلها عِزْهة ؛ فاعتلّت كما اعتلّت سَـنَة فيمن جعل أصلها سَنْهة . وقيل : أصلها عِزْوة ؛ من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره . فكل واحد من الجماعات مضافة إلى الأخرى . والمحذوف منها الواو . وفى الصحاح : «والعِزَة الفِرْقة من الناس، والهاء عوض من الياء، والجمع عِزًى — على فِعَل — وعِزون وعُزون أيضا بالضم ، ولم يقولوا عِزات كما قالوا ثُبـات» . قال الأصمعىّ : يقال فى الدار عِزون ؛ أى أصناف من الناس . و «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ» متعلق بـ «مُهْطِعِين» ويجوز أن يتعلق بـ «عِزِين» على حد قولك : أخذته عن زيد . ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ قال المفسرون : كان المشركون يجتمعون حول النبىّ صلّى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فيكذّبونه ويَكذِبون عليه ، ويستهزئون بأصحابه ويقولون : لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ، ولئن أعطوا منها شيئا لنعطين أكثر منه ؛ فنزلت «أَيَطْمَعُ» الآية . وقيل : كان المستهزئون خمسـة أرهط . وقـرأ الحسن وطلحة بن مُصَرِّف والأعرج «أَنْ يَدْخُلَ» بفتح اليـاء وضم الخـاء مسمّى الفاعل . ورواه المفضّل عن عاصم . الباقون «أَنْ يُدْخَلَ» على الفعـل المجهول . ﴿ كَلَّا ﴾ لا يدخلونهـا . ثم ابتـدأ فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُـمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أى إنهم يعلمون أنهـم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مُضغة ؛ كما خلق سائر جنسهم . فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة، وإنما تُستوجَب بالإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعـالى . وقيل : كانوا يستهزئون بفقـراء المسلمين ويتكبّرون عليهـم . فقال : «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» من القذر ؛ فلا يليق بهم هذا التكبّر . وقال قتادة فى هذه الآية : إنما خُلقتَ يابن آدم من قذر فاتّق الله . وروى أن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رأى المهلب ابن أبى صُفرة يتبختر فى مُطْرَف[1] خَزٍّ وجُبّة خزّ فقال له : يا عبد الله، ما هذه المِشْيَة التى يبغضها

---

(١) المطرف (بكسر الميم وضمها) واحد المطارف ؛ وهى أردية من خز مربعة لها أعلام .

الله؟ ! فقال له : أتعرفني؟ قال نعم، أوّلك نطفة مَذِرة، وآخرك جيفة قَذِرة، وأنت [فيما بين ذلك(١)] تحمل العَذِرة . فمضى المهلّب وترك مشيته . نظم الكلام محمود الورّاق فقال :

عَجِبتُ من مُعْجَبٍ بصورته * وكان في الأصل نطفةً مَذِرهْ
وهو غدًا بعد حُسْن صورته * يصيرُ في اللحد جيفةً قَذِرهْ
وهو على تيهه ونَخْوته * ما بين ثوبيه يحمل العَذِرهْ

وقال آخر :

هل في ابن آدم غيرَ الرأس مَكْرُمةٌ * وهو بخمسٍ من الأوساخ مضروب
أنفٌ يسيل وأُذْنٌ ريحها سَهِكٌ * والعين مُرْمَصَة والثغر ملهوب
يابن التراب ومأكول التراب غدًا * قصِّرْ فإنك مأكول ومشروب

وقيل : معناه من أجل ما يعلمون ؛ وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب . كقول الشاعر وهو الأعشى :

أأزْمَعْتَ من آل لَيْلَى ابتِكَارَا * وَشَطَّتْ على ذِى هَوًى أن تُزارَا

أي من أجل لَيْلَى .

قوله تعالى : فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ أي أقسم . و « لا » صلة . ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ هي مشارق الشمس ومغاربها . وقد مضى الكلام فيها . وقرأ أبو حَيْوَة وابنُ مُحَيْصِن وحُمَيد « برب المشرِق والمغْرِب » على التوحيد . ﴿ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ يقول : نقدر على إهلاكهم والذهاب بهم ، والمجيء بخير منهم في الفضل والطوع والمال . ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ أي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده .

---

(١) زيادة عن الخطيب الشربيني .

قوله تعالى : فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾

أى اتركهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم ؛ على جهة الوعيد . واشتغل أنت بما أُمرت به ولا يعظمنّ عليك شركهم؛ فإن لهم يوما يَلقون فيه ما وُعدوا . وقرأ ابن مُحَيْصن ومجاهد وحُميد « حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ » . وهذه الآية منسوخة بآية السيف .

قوله تعالى : يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾

« يَوْمَ » بدل من « يَوْمَهُم » الذى قبله ، وقراءة العامة « يَخْرُجون » بفتح الياء وضم الراء على أنه مسمّى الفاعل . وقرأ السُّلَمِىّ والمغيرة والأعشى عن عاصم « يُخْرَجون » بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول . والأجداث : القبور ؛ واحدها جدث . وقد مضى فى سورة «يس» . (سِرَاعًا)[1] حين يسمعون الصيحة الآخرة إلى إجابة الداعى ؛ وهو نصب على الحال . (كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُون) قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد . وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد . وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهما بضم النون وإسكان الصاد . والنَّصْبُ والنُّصْب لغتان مثل الضَّعْف والضُّعْف . الجوهرىّ : والنَّصْب ما نُصب فعُبِد من دون الله ، وكذلك النُّصْب بالضم ؛ وقد يحرّك . قال الأعشى :

وذَا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسُكَنَّه * لعافيـةٍ واللهَ ربَّـك فاعْبُـدَا

أراد «فاعْبُدَنْ» فوقف بالألف ؛ كما تقول : رأيت زيدا . والجمع الأنصاب . وقوله : «وذا النُّصُبَ» بمعنى إيّاك وذا النُّصُبَ . والنُّصْب الشرّ والبلاء ؛ ومنه قوله تعالى : «أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ»[2] . وقال الأخفش والفرّاء : النُّصُب جمع النَّصْب مثل رَهْن ورُهُن ، والأنصاب جمع نُصُب ؛ فهو جمع الجمع . وقيل : النُّصُب والأنصاب واحد . وقيل :

---

(١) راجع ج ١٥ ص ٤٠ (٢) آية ٤١ سورة ص .

النُّصُب جمع نصاب، وهو حجر أو صنم يذبح عليه؛ ومنه قوله تعالى: «وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ»[1].
وقد قيل: نَصْب ونُصْب ونُصُب بمعنى واحد؛ كما قيل عَمْر وعُمْر وعُمُر. ذكره النحاس.
قال ابن عباس: «إلى نَصْب» إلى غاية، وهي التي تنصب إليها بصرك. وقال الكلبي: إلى شيء منصوب؛ عَلَم أو راية. وقال الحسن: كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى أولهم على آخرهم. ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون. والإيفاض الإسراع. قال الشاعر:

فوارس ذُبْيانَ تحت الحديد * د كالجنّ يُوفضن من عَبْقَرِ

عَبْقَرٌ: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن. قال لَبيد:

* كهول وشبان بجِنّة عبقر[2] *

وقال اللّيث: وَفَضت الإبل تَفِض وفضا؛ وأوفضها صاحبها. فالإيفاض متعدّ، والذى فى الآية لازم. يقال: وفض وأوفض واستوفض بمعنى أسرع.

قوله تعالى: خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ أى ذليلة خاضعة، لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أى يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سواد الوجوه. والرَّهَق: الغشيان؛ ومنه غلام مراهق إذا غشى الاحتلام. رَهِقه (بالكسر) يرهَقه رَهَقا أى غَشِيَه؛ ومنه قوله تعالى: «وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ»[3]. ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أى يوعدونه فى الدنيا أن لهم فيه العذاب. وأخرج الخبر بلفظ الماضى لأن ما وعد الله به يكون ولا محالة.

---

(١) آية ٣ سورة المائدة. (٢) هذا عجز بيت، وصدره:

* ومن فاد من إخوانهم وبنيهم *

(٣) آية ٢٦ سورة يونس

سورة نوح

مكية، وهى ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

قد مضى القول فى « الأعراف »[1] أن نُوحًا عليه السلام أوّل رسول أرسل . ورواه قتادة عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وسلم قال : "أوّل رسول أرسل نوح وأرسل الى جميع أهل الأرض" . فلذلك لما كفروا أغرق الله أهل الأرض جميعا . وهو نوح بن لامك ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام . قال وهب : كلهم مؤمنون . أرسل إلى قومه وهو ابن خمسين سنة . وقال ابن عباس : ابن أربعين سنة . وقال عبد الله بن شدّاد : بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة . وقد مضى فى سورة « العنكبوت »[2] القول فيه . والحمد لله . ﴿ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ أى بأن أنذر قومك؛ فموضع « أن » نصب بإسقاط الخافض . وقيل : موضعها جرٌّ لقوّة خدمتها مع أن . ويجوز «أن» بمعنى المفسّرة فلا يكون لها موضع من الإعراب؛ لأن فى الإرسال معنى الأمر، فلا حاجة الى إضمار الباء . وقراءة عبد الله « أَنْذِرْ قَوْمَكَ » بغير « أن » بمعنى قلنا له أنذر قومك . وقد تقدم معنى الإنذار فى أوّل « البقرة »[3] . ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال ابن عباس : يعنى عذاب النار فى الآخرة . وقال الكلبي : هو ما نزل عليهم من الطوفان . وقيل : أى أنذرهم العذاب الأليم على الجملة إن لم يؤمنوا . فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٣٢ (٢) راجع جـ ١٣ ص ٣٣٢

(٣) راجع جـ ١ ص ١٨٤ طبعة ثانية أو ثالثة .

منهم مجيبا ، وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول : " رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " .
وقد مضى هذا مستوفًى في سورة « العنكبوت » (١) والحمد لله .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ ﴾ أى مخوف . ﴿ مُبِينٌ ﴾ أى مظهر لكم بلسانكم الذى تعرفونه . ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ و «أن» المفسّرة على ماتقدم فى «أن أنذر» . « اعبدوا » ؛ أى وحّدوا . واتقوا : خافوا . ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ أى فيما آمركم به ؛ فإنى رسول الله إليكم . ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ جزم « يغفر » بجواب الأمر . و « مِن » صلة زائدة . ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم ؛ قاله السدّى . وقيل : لا يصح كونها زائدة ؛ لأن « من » لا تزاد فى الواجب ، وإنما هى هنا للتبعيض ؛ وهو بعض الذنوب ؛ وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين . وقيل : هى لبيان الجنس . وفيه بُعْد ؛ إذ لم يتقدم جنس يليق به . وقال زيد ابن أسلم : المعنى يخرجكم من ذنوبكم . ابن شجرة : المعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها . ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ قال ابن عباس : أى ينسئ فى أعماركم . ومعناه أن الله تعالى كان قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك فى أعمارهم ؛ وإن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب . وقال مقاتل : يؤخركم إلى منتهى آجالكم فى عافية ، فلا يعاقبكم بالقحط وغيره . فالمعنى على هذا : يؤخركم من العقوبات والشدائد إلى آجالكم . وقال الزجاج : أى يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موتة المستأصلين بالعذاب . وعلى هذا قيل : «أجل مسمى» عندكم تعرفونه ؛ لا يميتكم غَرَقًا ولا حَرَقًا ولا قتلًا ؛ ذكره الفراء . وعلى القول الأول «أجل مُسمّى» عند الله . ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ أى إذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب . وأضاف الأجل

(١) راجع جـ ١٣ ص ٣٣٢

إليه سبحانه لأنه الذى أثبته . وقد يضاف إلى القوم؛ كقوله تعالى : «فإذا جاء أجلهم» لأنه مضروب لهم . و « لو » بمعنى « إنّ » أى إن كنتم تعلمون . وقال الحسن : معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر .

قوله تعالى : قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ أى سرًّا وجهرًا . وقيل : أى واصلت الدعاء . ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ أى تباعدا من الإيمان . وقراءة العامة بفتح الياء من « دعائى » وأسكنها الكوفيون و يعقوب والدّورى عن أبى عمرو .

قوله تعالى : وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ أى إلى سبب المغفرة ، وهى الإيمان بك والطاعة لك ، ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ لئلا يسمعوا دعائى . ﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أى غطوا بها وجوههم لئلا يروه . وقال ابن عباس : جعلوا ثيابهم على رءوسهم لئلا يسمعوا كلامه . فاستغشاء الثياب إذًا ، زيادة فى سدّ الآذان حتى لا يسمعوا ، أو لتنكيرهم أنفسهم حتى يسكت ، أو ليعرّفوه إعراضهم عنه . وقيل : هو كناية عن العداوة . يقال : لبس لى فلان ثياب العداوة . ﴿ وَأَصَرُّوا ﴾ أى على الكفر فلم يتوبوا . ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن قبول الحق؛ لأنهم قالوا : « أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ »(١) . ﴿ اسْتِكْبَارًا ﴾ تفخيم .

قوله تعالى : ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

---

(١) آية ١١١ سورة الشعراء .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ أى مُظهرًا لهم الدعوة . وهو منصوب بـ «دعوتهم» نصب المصدر؛ لأن الدعاء أحد نوعيه الجهار، فنصب به نصب القرفصاء بقعد ؛ لكونها أحد أنواع القعود ، أو لأنه أراد بـ « دَعَوْتُهُمْ » جاهرتهم . ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعاء؛ أى دعا دعاء جهارًا؛ أى مجاهرا به . ويكون مصدرا فى موضع الحال؛ أى دعوتهم مجاهرا لهم بالدعوة . ﴿ ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ أى لم أبق مجهودا . وقال مجاهد : معنى أعلنت : صحت . وأسررت لهم إسرارا بالدعاء عن بعضهم من بعض . وقيل : « أسررت لهم » أتيتهم فى منازلهم . وكل هذا من نوح عليه السلام مبالغة فى الدعاء لهم ، وتلطّف فى الاستدعاء . وفتح الياء من « إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ » الحرميّون وأبو عمرو . وأسكن الباقون .

قوله تعالى : فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى :﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ أى سَلُوه المغفرة من ذنوبكم السالفة بإخلاص الإيمان . ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ وهذا منه ترغيب فى التوبة . وقد روى حُذَيفة بن اليمان عن النبى صلّى الله عليه وسلم أنه قال : " الاستغفار ممحاة للذنوب " . وقال الفُضيل : يقول العبد أستغفر الله؛ وتفسيرها أَقِلْنى .

الثانيــة ــ قوله تعـالى :﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ أى يرسل ماء السماء ؛ ففيه إضمار . وقيل : السماء المطر ؛ أى يرسل المطر . قال الشاعر [1] :

إذا سقط السماءُ بأرض قوم * رَعيناه وإن كانوا غِضابا

(١) هو معوّد الحكماء ، معاوية بن مالك .

و « مِدْرَارًا » ذا غَيث كثير . وجزم « يُرْسِل » جوابا للأمر . وقال مقاتل : لما كذبوا نوحا زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة؛ فهلكت مواشيهم وزروعهم، فصاروا إلى نوح عليه السلام واستغاثوا به . فقال: « ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » أي لم يزل كذلك لمن أناب إليه . ثم قال ترغيباً في الإيمان : « يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » . قال قتادة: علم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أنهم أهل حرص على الدنيا فقال : "هَلُمُّوا إلى طاعة الله فإن في طاعة الله درك الدنيا والآخرة" .

الثالثة — في هذه الآية والتي في «هود»[(1)] دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار. قال الشعبيّ: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع ، فأمطروا فقالوا : ما رأيناك استسقيتَ ؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح[(2)] السماء التي يستنزل بها المطر؛ ثم قرأ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا » . وقال الأوزاعيّ : خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : اللّهمّ إنا سمعناك تقول : « مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ»[(3)] وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ؟ ! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا ! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقُوا . وقال ابن صبيح : شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له : استغفرِ الله . وشكا آخر إليه الفقر فقال له : استغفر الله . وقال له آخر : ادع الله أن يرزقني ولداً؛ فقال له : استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه؛ فقال له : استغفر الله . فقلنا له في ذلك ؟ فقال : ما قلت من عندي شيئا ؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا .

---

(1) آية ٥٢ راجع جـ ٩ ص ٥١

(2) قال ابن الأثير: « المجاديح » واحدها مجدح والياء زائدة للاشباع . والقياس أن يكون واحدها مجداح . والمجدح : نجم من النجوم ؛ وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر . فجعل الاستغفار مشبها بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفونه ، لا قولا بالأنواء . وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأنها المطر .

(3) آية ٩١ سورة التوبة .

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا » . وقد مضى فى سورة « آل عمران »(١) كيفية الاستغفار ، وأن ذلك يكون عن إخلاص و إقلاع من الذنوب . وهو الأصل فى الإجابة .

قوله تعالى : مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

قيل الرجاء هنا بمعنى الخوف ؛ أى مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة . أى أىّ عذر لكم فى ترك الخوف من الله . وقال سعيد بن جُبَير وأبو العالية وعطاء ابن أبى رباح : ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا . وقال سعيد بن جُبير عن ابن عباس . ما لكم لا تخشَوْن لله عقاباً وترجون منه ثوابا . وقال الوالبى والعَوْفى عنه : ما لكم لا تعلمون لله عظمة . وقال ابن عباس أيضا ومجاهد : ما لكم لا ترَوْن لله عظمة . وعن مجاهد والضحاك : ما لكم لا تبالون لله عظمة . قال قُطْرُب : هذه لغة حجازية . وهُذيل وخزاعة ومُضَر يقولون : لم أرج : لم أبال . والوقار : العظمة . والتوقير : التعظيم . وقال قتادة : ما لكم لا ترجون لله عاقبة ؛ كأن المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان . وقال ابن كيسان : ما لكم لا ترجون فى عبادة الله وطاعته أن يثيبكم على توقيركم خيرا . وقال ابن زيد : ما لكم لا تؤدّون لله طاعة . وقال الحسن : ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة . وقيل : ما لكم لا توحّدون الله ؛ لأن من عظّمه فقد وحّده . وقيل : إن الوقار الثباتُ لله عزّ وجلّ ؛ ومنه قوله تعالى : « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ »(٢) أى آثبتن . ومعناه مالكم لا تثبتون وحدانيّة الله تعالى وأنه إلهكم لا إله لكم سواه ؛ قاله آبن بحر . ثم دلهم على ذلك فقال : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ أى جعل لكم فى أنفسكم آية تدل على توحيده . قال ابن عباس : « أطوارا » يعنى نطفة ثم عَلَقة ثم مُضْغة ؛ أى طَوْرًا بعد طور إلى تمام الخلق ، كما ذكر فى سورة « المؤمنون » . والطَّوْر فى اللغة : المرة ؛ أى من فعل هذا وقدر عليه فهو أحق أن تعظّموه . وقيل : « أطوارا » صبيانا ، ثم شبابا ، ثم شيوخا وضعفاء ، ثم أقوياء .

---

(١) راجع جـ ٤ ص ٣٩ (٢) آية ٣٣ سورة الأحزاب .

وقيل : أطوارا أى نواعا ؛ صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا . وقيل : إن « أطوارا » ٱختلافهم فى الأخلاق والأفعال .

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ذكر لهم دليلا آخر؛ أى ألم تعلموا أن الذى قدر على هذا ! فهو الذى يجب أن يُعبَد . ومعنى « طِباقا » بعضها فوق بعض ، كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب؛ قاله ابن عباس والسدّى . وقال الحسن : خلق الله سبع سموات طباقا على سبع أرضين ، بين كل أرض وأرض وسماء وسماء خلق وأمر . وقوله : « أَلَمْ تَرَوْا » على جهة الإخبار لا المعاينة؛ كما تقول : ألم ترني كيف صنعت بفلان كذا . و « طِباقا » نصب على أنه مصدر ؛ أى مطابقة طباقا . أوحال بمعنى ذات طباق ؛ فحذف ذات وأقام طِباقا مقامه . ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ أى فى سماء الدنيا ؛ كما يقال : أتانى بنو تميم وأتيت بنى تميم والمراد بعضهم؛ قاله الأخفش . وقال ابن كيسان : إذا كان فى إحداهن فهو فيهنّ . وقال قُطْرُب : « فيهنّ » بمعنى معهنّ ؛ وقاله الكلبيّ . أى خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والأرض . وقال جِلّة أهل اللغة فى قول امرئ القيس :

وهل ينعمن من كان آخر[1] عهده * ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال

«فى» بمعنى مع . النحاس : وسألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية فقال : جواب النحويين أنه إذا جعله فى إحداهن فقد جعله فيهن ؛ كما تقول : أعطنى الثياب المُعْلَمة وإن كنت إنما أعلمت أحدها . وجواب آخر : أنه يروى أن وجه القمر إلى السماء ، وإذا كان إلى داخلها فهو متصل بالسموات . ومعنى «نُورًا» أى لأهل الأرض ؛ قاله السدّى .

---

(١) الذى فى ديوان امرئ القيس ص ٥٠ ط هندية « أحدث » .

وقال عطاء : نورا لأهل السماء والأرض . وقال ابن عباس وابن عمر : وجهه يضيء لأهل الأرض وظهره يضيء لأهل السماء . ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يعني مصباحا لأهل الأرض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم . وفي إضاءتها لأهل السماء القولان الأولان ؛ حكاه الماوردي . وحكى القشيري عن ابن عباس أن الشمس وجهها في السموات وقفاها في الأرض . وقيل : على العكس . وقيل لعبد الله بن عمر : ما بال الشمس تَقْلِينا أحيانا وتَبْرُد علينا أحيانا؟ فقال : إنها في الصيف في السماء الرابعة ، وفي الشتاء في السماء السابعة عند عرش الرحمن ؛ ولو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾

يعني آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلها ؛ قاله ابن جُرَيج . وقد مضى في سورة « الأنعام والبقرة »[1] بيان ذلك . وقال خالد بن مَعْدان : خلق الإنسان من طين ؛ فإنما تلين القلوب في الشتاء . و« نباتا » مصدر على غير المصدر ؛ لأن مصدره أنبت إنباتا ، فجعل الاسم الذي هو النبات في موضع المصدر . وقد مضى بيانه في سورة « آل عمران »[2] وغيرها . وقيل : هو مصدر محمول على المعنى ؛ لأن معنى « أنبتكم » جعلكم تنبتون نباتا ؛ قاله الخليل والزجاج . وقيل أي أنبت لكم من الأرض النبات . فـ « نباتا » على هذا نصب على المصدر الصريح . والأول أظهر . وقال ابن جريج[3] : أنبتهم في الأرض بالكِبَر بعد الصغر وبالطُّول بعد القِصَر . ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي عند موتكم بالدفن . ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ بالنشور للبعث يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) راجع جـ ٦ ص ٣٨٨ وجـ ١ ص ٢٧٩ وما بعدها طبعة ثانية أو ثالثة . (٢) راجع جـ ٤ ص ٦٩

(٣) في بعض الأصول : « قاله ابن بحر »

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ أى مبسوطة . ﴿ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ السبل : الطرق . والفجاج جمع فَجّ ، وهو الطريق الواسعة ؛ قاله الفرّاء . وقيل : الفَجّ المسلك بين الجبلين . وقد مضى فى سورة « الأنبياء والحج »(١) .

قوله تعالى : قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

شكاهم إلى الله تعالى ، وأنهم عصَوْه ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان . وقال أهل التفسير: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما داعيًا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم . قال ابن عباس : رجا نوح عليه السلام الأبناء بعد الآباء ؛ فيأتى بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ؛ ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم ، وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشَوْا . قال الحسن : كان قوم نوح يزرعون فى الشهر مرتين ؛ حكاه الماوردىّ . ﴿ وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ يعنى كبراءهم وأغنياءهم الذين لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالا فى الدنيا وهلاكا فى الآخرة . وقرأ أهل المدينة والشام وعاصم « وَوَلَدُه » بفتح الواو واللام . الباقون « وُلْده » بضم الواو وسكون اللام وهى لغة فى الولد . ويجوز أن يكون جمعًا للولد ؛ كالفلك فإنه واحد وجمع . وقد تقدّم(٢) .

قوله تعالى : وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾

أى كبيرا عظيما . يقال : كَبِير وكُبَار وكُبَّار ؛ مثل عجيب وعُجَاب وعُجَّاب بمعنًى ؛ ومثله طويل وطُوَال وطُوَّال . يقال : رجل حسن وحُسَّان ، وجميل وجُمَّال ، وقُرَّاء للقارئ ، ووُضَّاء للوضيء . وأنشد ابن السكيت :

بَيْضاء تَصْطادُ القلوبَ وتستبي * بالحسن قَلْبَ المُسْلِمِ القُرَّاء(٣)

---

(١) راجع جـ ١١ ص ٢٨٥ وجـ ١٢ ص ٤٠ (٢) راجع جـ ٣ ص ١٩٤ طبعة ثانية

(٣) فى اللسان (مادة قرأ) : « الغوىّ » بالغين المعجمة .

وقال آخر :

والمَـرْءُ يُلْحِقــه بِفِتْيانِ النَّــدَى * خُــلُقُ الكريم وليس بالوُضَّـاءِ

وقال المبرد : « كُبَّارًا » (بالتشديد) للمبالغة . وقرأ ٱبن مُحَيصن وحُميد ومجاهد « كُبَارًا » بالتخفيف . واختلف فى مكرهم ما هو ؟ فقيل : تحريشهم سفلتهم على قتــل نوح . وقيل : هو تعزيرهم الناس بمــا أوتوا من الدنيــا والولد ؛ حتى قالت الضَّعَفة : لولا أنهم على الحق لمــا أوتوا هــذه النعم . وقال الكلبيّ : هو ما جعلوه لله من الصــاحبة والولد . وقيــل : مكرهم كفرهم . وقال مقــاتل : هو قول كبرائهم لأتباعهم : « لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَـكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا » .

قوله تعــالى : وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَـكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُـوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَـلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾

قال ٱبن عباس وغيره : هى أصنام وصُوَر، كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب . وهذا قول الجمهور . وقيل : إنها للعرب لم يعبدها غيرهم . وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ؛ فلذلك خَصُّوها بالذكر بعد قوله تعالى : « لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ » . ويكون معنى الكلام : كما قال قوم نوح لأتباعهم لا تَذَرُنَّ آلهتكم قالت العــرب لأولادهم وقومهم لا تذَرُنّ وَدًّا ولا سُواعا ولا يَغُوثَ ويَعُوق ونَسرًا ؛ ثم عاد بالذكر بعد ذلك إلى قوم نوح عليه السلام . وعلى القول الأوّل، الكلام كلّه منسوق فى قوم نوح . وقال عروة بن الزبير وغيره : اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه : وَدٌّ ، وسُواعٌ ، ويغوثُ ، ويعوقُ ، ونسرٌ . وكان وَدّ أكبرَهم وأبرّهم به . قال محمد بن كعب : كان لآدم عليه السلام خمسُ بنين : وَدّ وسُــواع ويغوث ويعوق ونسر ؛ وكانوا عُبّادًا فمات واحد منهم فحزنوا عليه ؛ فقال الشيطان : أنا أصوّر لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه . قالوا : افعل . فصوّره فى المسجد من صُفْر ورصاص، ثم مات آخر ،

فصوّره حتى ماتوا كلهم فصوّرهم. وتنقّصت الأشياء كما تُنتقص اليوم إلى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين . فقال لهم الشيطان : ما لكم لا تعبدون شيئا ؟ قالوا : وما نعبد ؟ قال : آلهتكمْ وآلهة آبائكم ، ألا ترون في مُصلّاكم . فعبدوها من دون الله ؛ حتى بعث الله نوحا فقالوا: «لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعا» الآية . وقال محمد بن كعب أيضا ومحمد بن قيس: بل كانوا قوما صالحين من آدم ونوح ، وكان لهم تَبَع يقتدون بهم ، فلما ماتوا زيّن لهم إبليس أن يصوّروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم ، وليتسلّوا بالنظر إليها ؛ فصوّروهم . فلما ماتوا هم وجاء آخرون قالوا : لَيْتَ شِعْرَنَا ! هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها ! ؟ فجاءهم الشيطان فقال : كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر . فعبدوها فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت .

قلت : وبهذا المعنى فسّر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة ؛ أن أمّ حبيبة وأمّ سَلَمة ذكرتا كنيسة رأَيْنَها(1) بالحبشة تسمّى مارية ، فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنَوا على قبره مسجدًا وصوّروا فيه تلك الصّوَر أولئك شِرار الخلق عند الله يوم القيامة" . وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال : هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح ؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم تذكروهم بها ؛ ففعلوا ، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت من دون الله . وذكر أيضا عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام ، كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالهند ، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره ؛ فقال لهم الشيطان : إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم ، وإنما هو جسد ، وأنا أصوّر لكم مثله تطوفون به ؛ فصوّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها . فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء ؛ فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب . قال الماوَرْدِيّ : فأما وَدّ

(1) قوله : «رأينها» بنون الجمع على أن أقل الجمع اثنان . أو على أنه كان معهما غيرهما من النسوة . (القسطلاني) .

فهو أوّل صنم معبود ، سُمّي وَدًّا لودّهم له ؛ وكان بعد قوم نوح لكَلْب بدُومة الجَنْدَل ، فى قول ابن عباس وعطاء ومقاتل . وفيه يقول شاعرهم :

حَيّاك وَدٌّ فإنّا لا يَحِلّ لنا * لَهْوُ النساء وإن الدين قد عَزَمَا

وأما سُواعٌ فكان لهُذَيل بساحل البحر ؛ فى قولهم .

وأما يَغُوثُ فكان لغُطَيف من مُراد بالجَوْف من سَبأ ؛ فى قول قتادة . وقال المهدَوِيّ . لمُراد ثم لغَطَفَان . الثعلبيّ : وأخذت أعلى وأنعم ـــ وهما من طيئ ـــ وأهل جُرَش من مَذْحج يَغُوث فذهبوا به إلى مُرَاد فعبدوه زمانا . ثم إن بنى ناجية أرادوا نزعه من [أعلى][1] وأنعم ، ففروا به إلى الحصين أخى بنى الحارث بن كعب من خُزاعة . وقال أبو عثمان النَّهْدِيّ : رأيت يغوث وكان من رَصاص ، وكانوا يحملونه على جمل أَحْرَد[2] ، ويسيرون معه ولا يهيجونه حتى يكون هو الذى يَبْرُك ، فإذا بَرَك نزلوا وقالوا : قد رضى لكم المنزل ؛ فيضربون عليه بناءً ينزلون حوله .

وأما يَعُوق فكان لهَمْدان ببَلْخَع[3] ؛ فى قول عكرمة وقتادة وعطاء . ذكره الماوردىّ . وقال الثعلبى : وأما يَعُوق فكان لكَهْلان من سَبَأ ، ثم توارثه بنوه ؛ الأكبر [فالأكبر][4] حتى صار إلى هَمْدان . وفيه يقول مالك بن نمط الهمدانى :

يَرِيشُ الله فى الدنيا ويَبْرِى * ولا يَبْرِى يعوقُ ولا يَرِيشُ

وأما نسرٌ فكان لذى الكلاع من حِمْير ؛ فى قول قتادة ، ونحوه عن مقاتل . وقال الواقدىّ : كان وَدٌّ على صورة رجل ، وسُواعٌ على صورة امرأة ، ويغوثُ على صورة أسد ، ويعوقُ على صورة فرس ، ونسرٌ على صورة نَسْر من الطير ؛ فالله أعلم . وقرأ نافع « وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا » بضم الواو . وفتحها الباقون . قال الليث : وَدٌّ (بفتح الواو) صنم كان لقوم نوح .

(١) زيادة عن تفسير الثعلبى . (٢) الحرد (بالتحريك) : داء فى القوائم إذا مشى البعير نفض قوائمه فضرب بهن الأرض كثيرا .

(٣) موضع باليمن . (٤) زيادة عن الثعلبى .

وُدٌّ (بالضم) صنم لقريش ؛ وبه سُمّي عمرو بن وُدّ . وفي الصحاح : والوَدّ (بالفتح) الوَتِدُ في لغة أهل نجد ؛ كأنهم سكّنوا التاء وأدغموها في الدال . والوَدّ في قول امرئ القيس :

تُظهِرُ الوَدَّ إذا ما أَشْجَذَتْ * وتُوارِيه إذا ما تَعْتَكِرْ (١)

قال ابن دُرَيد : هو اسم جبل : ووَدٌّ صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب وكان بدُومة الجَنْدَل؛ ومنه سمّوه عبد ودٍ وقال : « لا تَذَرُنّ آلِهَتَكُمْ » ثم قال « ولا تَذَرُنّ وَدًّا ولا سُوَاعًا » الآية . خصصها بالذكر؛ لقوله تعالى : « وإذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ (٢) » . ﴿ وقَدْ أضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ هذا من قول نوح ؛ أي أضلّ كبراؤهم كثيرا من أتباعهم؛ فهو عطف على قوله « ومَكَرُوا مَكْرًا كُبّارا» . وقيل : إن الأصنام « أضَلُّوا كَثِيرًا » أي ضلّ بسببها كثير؛ نظيره قول إبراهيم : «رَبِّ إِنَّهُنَّ أضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ (٣)» فأجرى عليهم وصف ما يعقل؛ لاعتقاد الكفار فيهم ذلك . ﴿ ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلَّا ضَلالًا ﴾ أي عذابا؛ قاله ابن بحر . واستشهد بقوله تعالى : « إنّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وسُعُرٍ (٤) » . وقيل إلا خسرانا . وقيل إلا فتنة بالمال والولد . وهو محتمل .

قوله تعالى : مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ مِمَّا خطاياهُمْ (٥) أُغْرِقُوا ﴾ « ما » صلة مؤكدة ؛ والمعنى من خطاياهم . وقال الفرّاء : المعنى من أجل خطاياهم ؛ فأدّت « ما » هذا المعنى . قال : و« ما » تدل على المجازاة . وقراءة أبي عمرو « خطاياهم » على جمع التكسير؛ الواحدة خطيّة . وكان

---

(١) الضمير في « تظهر » للديمة (المطر) في البيت قبل هذا . والود (بالفتح) الوتد . و« أشجذت » أقلعت وسكنت . و« تعتكر » تشتد ؛ يقال : اعتكر المطر إذا اشتد . ويروى : « تشتكر » أي تحتفل . يريد : أن هذه السحابة توارى أوتاد البيوت إذا اشتدّت وتبديها إذا كفت وأقلعت .

(٢) آية ٧ سورة الأحزاب . (٣) آية ٣٦ سورة إبراهيم . (٤) آية ٤٧ سورة القمر .

(٥) هكذا في نسخ الأصل؛ وهي قراءة .

الأصل في الجمع خطائئ على فعائل ؛ فلما آجتمعت الهمزتان قُلبت الثانيـة ياء ، لأن قبلها كسرة ثم آستثقلت والجمـع ثقيل ، وهو معتل مع ذلك ؛ فقلبت اليـاء ألفا ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين . الباقون « خطيئاتِهِم » على جمع السلامة . قال أبو عمرو : قوم كفروا ألف سـنة فلم يكن لهم إلا خطيّـات ؛ يريد أن الخطايا أكثر من الخطيّات . وقال قوم: خطايا وخطيّات واحد، جمعان مستعملان في الكثرة والقلة؛ واستدلّوا بقوله تعالى: « مَا نَفِدتْ كَلِمَاتُ اللهِ » (١) وقال الشاعر (٢) :

لنـا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعْنَ بالضحَى * وأسيافُنـا يَقْطُرْنَ مِن نَجْدةٍ دَمَا

وقرئ « خطيئاتِهم » و « خطيّاتِهم » (٣) بقلب الهمزة ياء وإدغامها . وعن الجحـدريّ وعمرو ابن عبيد والأعمش وأبي حَيْوة وأشهب العقيلي « خطيئتِهِم » على التوحيد، والمراد الشرك. ﴿ فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴾ أي بعد إغراقهم . قال القشيريّ : وهذا يدلّ على عذاب القبر . ومنكروه يقولون : صاروا مستحقين دخول النار ، أو عرض عليهم أماكنهم من النار ؛ كما قال تعالى « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا » (٤) . وقيل: أشاروا إلى ما في الخبر من قوله : "البحر نار في نار" . وروى أبو روق عن الضحاك في قوله تعالى : « أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا » قال : يعني عُذّبوا بالنار في الدنيا مع الغـرق في الدنيا في حالة واحدة ؛ كانوا يغرقون في جانب ويحترقون في المـاء من جانب . ذكره الثعلبيّ [قال] : أنشدنا أبو القاسم الحبيبي قال أنشدنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رُمَيح قال أنشدني أبو بكر بن الأنباريّ :

الخـلق مجتمع طَوْرًا ومفترق * والحـادثاتُ فُنُونٌ ذاتُ أطوارِ

لا تعجبنّ لأضدادٍ إن آجتمعتْ * فاللهُ يجمع بين المـاءِ والنـارِ

﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا ﴾ أي من يدفع عنهم العذاب .

---

(١) آية ٢٧ سورة لقمان . (٢) هو حسان بن ثابت . (٣) في بعض النسخ : « خطاياهم » .
(٤) آية ٤٦ سورة غافر .

قوله تعالى : وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى — دعا عليهم حين يئس من آتباعهم إيّاه . وقال قتادة : دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه « أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ »[1] فأجاب الله دعوته وأغرق أمته ؛ وهذا كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم : " اللّهُمّ منزل الكتاب [سريع الحساب][2] وهازم الأحزاب آهزمهم وزلزلهم " . وقيل : سبب دعائه أن رجلاً من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمرّ بنوح فقال : " احذر هــذا فإنه يضلك " . فقال : يا أبت أنزلني ؛ فأنزله فرماه فشجّه ؛ فحينئذ غضب ودعا عليهم . وقال محمــد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وآبن زيد : إنمــا قال هذا حينما أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم . وأعقم أرحام النساء وأصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين ســنة . وقيل : بأربعين . قال قتادة : ولم يكن فيهم صبيّ وقت العذاب . وقال الحسن وأبو العالية : لو أهلك الله أطفالهم معهم كان عذابا من الله لهم وعدلاً فيهم ؛ ولكن الله أهلك أطفالهم وذرّيتهم بغير عذاب ، ثم أهلكهم بالعذاب ؛ بدليل قوله تعالى : « وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ »[3] .

الثانيــــة — قال آبن العربيّ : « دعا نوح على الكافرين أجمعين ، ودعا النبيّ صلى الله عليه وسلم على من تحزّب على المؤمنين وألّب عليهم . وكان هذا أصلا فى الدعاء على الكافرين فى الجملة ، فأما كافر معين لم تعــلم خاتمته فلا يدعى عليه ؛ لأن مآله عندنا مجهول ، وربما كان عند الله معــلوم الخاتمة بالسعادة . وإنمــا خص النبيّ صلى الله عليه وســلم بالدعاء عُتبة وشَيْبةَ وأصحابهما ؛ لعلمه بمآلهم وما كُشف له من الغطاء عن حالهم . والله أعلم » .

قلت : قد مضت هذه المسألة مجوّدة فى سورة « البقرة »[4] والحمد لله .

---

(١) آية ٣٦ سورة هود . (٢) الزيادة عن ابن العربى . (٣) آية ٣٧ سورة الفرقان

(٤) راجع جـ ٢ ص ١٨٨ طبعة ثانية .

الثالثة ـــ قال ابن العربي : « إن قيل لم جعل نوح دعوته على قومه سببا لتوقفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الآخرة ؟ قلنا قال الناس في ذلك وجهان : أحدهما ـــ أن تلك الدعوة نشأت عن غضب وقسوة ؛ والشفاعة تكون عن رضًا ورقة ، فخاف أن يعاتب بها ويقال : دعوتَ على الكفار بالأمس وتشفع لهم اليوم . الثاني ـــ أنه دعا غضبًا بغير نص ولا إذن صريح في ذلك ؛ فخاف الدَّرْك[1] فيه يوم القيامة ؛ كما قال موسى عليه السلام : " إني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها " . قال : وبهذا أقول » .

قلت : وإن كان لم يؤمر بالدعاء نصًّا فقد قيل له : « أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ » . فأعلم عواقبهم فدعا عليهم بالهلاك ؛ كما دعا نبيّنا صلى الله عليه وسلم على شَيْبة وعتبة ونظرائهم فقال : " اللّهمّ عليك بهم " لما أعلم عواقبهم ؛ وعلى هذا يكون فيه معنى الأمر بالدعاء . والله أعلم .

الرابعة ـــ قوله تعالى : ﴿ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ أي من يسكن الديار ؛ قاله السدي . وأصله ديْوار على فَيْعال من دار يدور ؛ فقلبت الواو ياء وأدغمت إحداهما في الأخرى . مثل القيّام ؛ أصله قيْوام . ولو كان فعّالا لكان دوّارا . وقال القُتَبي : أصله من الدار ؛ أي نازل بالدار . يقال : ما بالدار ديّار ؛ أي أحد . وقيل : الديّار صاحبُ الدار .

قوله تعالى : رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين . وهما : لمك[2] بن مُتَوشَلِخ وشَمْخَى بنت أنوش ؛ ذكره القشيري والثعلبي . وحكى الماوردي في اسم أمه منجل .

(١) الدرك (يسكن ويحرك) : التبعة . (٢) في حاشية الجمل : «لمك» بفتحتين أو بفتح فسكون . و «متوشلخ» بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام . و «شمخى» بوزن سكرى .

وقال سعيد بن جُبَير : أراد بوالديه أباه وجدّه . وقرأ سعيد بن جُبَير « ولوَالِدِي » بكسر الدال على الواحد . قال الكلبيّ : كان بينه و بين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنون . وقال آبن عباس : لم يكفر لنوح والد فيا بينه و بين آدم عليهما السلام . ﴿ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾ أى مسجدى ومصلّاى مصلّيا مصدّقا بالله . وكان إنما يدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم فجعل المسجد سببا للدعاء بالمغفرة . وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "الملائكة تصلّى على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلّى فيه ما لم يُحْدِث فيه تقول اللّهمّ آغفر له اللّهمّ آرحمه" الحديث . وقد تقدم[1] . وهذا قول آبن عباس : « بيتى » مسجدى؛ حكاه الثعلبى وقاله الضحاك . وعن آبن عباس أيضا : أى ولمن دخل دينى؛ فالبيت بمعنى الدِّين؛ حكاه القشيرى وقاله جُوَيْبِر . وعن آبن عباس أيضا : يعنى صديق الداخل إلى منزلى؛ حكاه الماوردىّ . وقيل : أراد دارى . وقيل سفينتى . ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ عامّة إلى يوم القيامة ؛ قاله الضحاك . وقال الكلبي : من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : من قومه؛ والأوّل أظهر . ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ ﴾ أى الكافرين . ﴿ إِلَّا تَبَارًا ﴾ إلا هلاكا؛ فهى عامّة فى كل كافر ومشرك . وقيل : أراد مشركى قومه . والتبار : الهلاك . وقيل : الخسران ؛ حكاهما السّدى . ومنه قوله تعالى : « إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ »[2] . وقيل : التبار الدمار ؛ والمعنى واحد . والله أعلم بذلك . وهو الموفّق للصواب .

---

(١) راجع جـ ١ ص ٣٥١ طبعة ثانية أو ثالثة . (٢) آية ١٣٩ سورة الأعراف .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن

مكية فى قول الجميع . وهى ثمان وعشرون آية

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) ﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ﴾ أى قل يا محمد لأمتك أوحى الله إلىّ على لسان جبريل ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ إلىّ ﴿ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ وما كان عليه السلام عالما به قبل أن أوحىَ إليه . هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتى . وقرأ ابن أبى عَبْلة «أُحِى» على الأصل؛ يقال : أوحى إليه ووحى فقلبت الواو همزة؛ ومنه قوله تعالى : « وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ » وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة . وقد أطلقه المازنى فى المكسورة أيضا كإشاح وإسادة و « إِعَاءِ أَخِيهِ » ونحوه .

الثانيــة ــ واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرهم؛ لقوله تعالى : «اسْتَمَعَ» وقوله تعالى : «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ» وفى صحيح مسلم والترمذى[1] عن ابن عباس قال : ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) اللفظ لمسلم وأما الترمذى ففى لفظه زيادة .

على الجنّ وما رآهم، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سُوق عُكَاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حِيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُّهب ، قالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تِهامة وهو بنخل عامدين إلى سُوق عُكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا : هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء . فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » . رواه الترمذى عن ابن عباس قال : قول الجنّ لقومهم « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا» قال : لما رأوه يصلى وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده قال : فعجبوا من طواعية أصحابه له قالوا لقومهم « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا » قال : هذا حديث حسن صحيح ؛ ففى هذا الحديث دليل على أنه عليه السلام لم يرَ الجنّ ولكنهم حضروه وسمعوا قراءته . وفيه دليل على أن الجنّ كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشّهب . وكان المرميون بالشّهب من الجنّ أيضا . وقيل لهم شياطين كما قال : «شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ» فإن الشيطان كل متمرّد وخارج عن طاعة الله . وفى الترمذى عن ابن عباس قال : كان الجنّ يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوحى فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا ، فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زاد فيكون باطلا ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض! فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين — أُراه قال بمكة — فأتوه فأخبروه فقال : هذا الذى حدث فى الأرض . قال : هذا حديث حسن صحيح . فدل

هـذا الحديث على أن الجنّ رموا كما رميت الشياطين . وفي رواية السديّ : أنهم لما رموا أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم فقال : آيتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال : صاحبكم بمكة . فبعث نفرا من الجنّ قيل : كانوا سبعة . وقيـل : تسعة منهم زوبعة . وروى عاصم عن زِرّ قال : قدم رهط زوبعة وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الثُّماليّ : بلغني أنهـم من بني الشَّيْصَبَان ، وهم أكثر الجنّ عددا ، وأقواهم شوكة ، وهم عامة جنود إبليس . وروى أيضا عاصم عن زرّ أنهم كانوا سبعة نفر ، ثلاثة من أهل حَرّان وأربعة من أهل نَصيبين . وحكى جويبر عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل نَصيبين ، قرية باليمن غير التي بالعراق . وقيل : إن الجنّ الذين أتوا مكة جنّ نَصيبين ، والذين أتوه بنخلة جنّ نِينَوى . وقد مضى بيان هذا في سورة «الأحقاف»[(1)] . قال عِكرمة : والسورة التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم «ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ» وقد مضى في سورة «الأحقاف» التعريف بٱسم النفر من الجنّ فلا معنى لإعادة ذلك . وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الجنّ ليلة الجنّ وهو أثبت ؛ روى عامر الشَّعبي قال : سألت عَلْقمة هل كان ٱبن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ ؟ فقال عَلْقمة : أنا سألت ٱبن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ ؟ قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب ، فقلنا ٱستُطير أو ٱغتيل ، قال : فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فلما أصبح إذا هو يجيء من قبل حِرَاء ، فقلنا : يا رسول الله ! فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم ، فقال : "أتاني داعي الجنّ فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن" فٱنطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد وكانوا من جنّ الجزيرة ، فقال : "لكم كلُّ عَظْم ذُكر ٱسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بَعْرة عَلَفٌ لدوابكم" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم الجنّ" قال ٱبن العربي : وٱبن مسعود أعرف من ٱبن عباس ؛ لأنه شاهده وٱبن عباس سمعه

---

(1) راجع جـ ١٦ ص ٢١١ فما بعدها .

وليس الخبر كالمعاينة . وقد قيل : إن الجنّ أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعتين إحداهما بمكة وهى التى ذكرها ابن مسعود ، والثانية بنخلة وهى التى ذكرها ابن عباس . قال البيهقى : الذى حكاه عبد الله بن عباس إنما هو فى أول ما سمعت الجنّ قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله ، وفى ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ، ثم أتاه داعى الجنّ مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود . قال البيهقى : والأحاديث الصحاح تدل على أن ابن مسعود لم يكن مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ ، وإنما سار معه حين انطلق به وبغيره يريه آثار الجنّ وآثار نيرانهم . قال : وقد روى من غير وجه أنه كان معه ليلتئذ ، وقد مضى هذا المعنى فى سورة «الأحقاف» والحمد لله . روى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "أمرت أن أتلو القرآن على الجنّ فمن يذهب معى" فسكتوا ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، ثم قال عبد الله بن مسعود : أنا أذهب معك يا رسول الله ، فانطلق حتى جاء الحَجُون عند شِعْب أبى دُبّ[1] فخطّ على خطًّا فقال : "لا تجاوزه" ثم مضى إلى الحَجُون فانحدر عليه أمثال الحَجَل يحدرون الحجارة بأقدامهم ، يمشون يقرعون فى دُفوفهم كما تَقْرع النِّسوة فى دُفوفها حتى غَشُوه فلا أراه ، فقمت فأومى إلىّ بيده أن أجلس ، فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم ، فلما انفتل إلىّ قال : "أردت أن تأتينى" قلت : نَعَم يا رسول الله . قال : "ما كان ذلك لك هؤلاء الجنّ أتوا يستمعون القرآن ثم وَلَّوا إلى قومهم منذرين فسألونى الزاد فزوّدتهم العظم والبعر فلا يَستطِيبَنّ أحدكم بعظم ولا بعر" قال عِكرمة : وكانوا اثنى عشر ألفا من جزيرة الموصل . وفى رواية : انطلق بى عليه السلام حتى إذا جئنا المسجد الذى عند حائط عوف خطّ لى خطًّا ، فأتاه نفر منهم فقال أصحابنا كأنهم رجال الزُّطّ[2] وكأن وجوههم المَكَاكِى[3] ، فقالوا : ما أنت؟ قال : "أنا نبىّ الله" قالوا : فمن

(١) شعب أبى دب يقال فيه مدفن آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) الزط : جنس من السودان والهنود .

(٣) المكاكى : جمع مكوك وهو طاس يشرب فيه أعلاه ضيق ووسطه واسع ، ومكيال معروف لأهل العراق بهذه الصفة أيضا . ولعله من باب قول العرب : ضرب مكوك رأسه على التشبيه .

يشهد لك على ذلك ؟ قال : " هذه الشجرة " فقال : " يا شجرة " فجاءت تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه ، فقال : " على ماذا تشهدين " قالت : أشهد أنك رسول الله . فرجعت كما جاءت تجر بعروقها الحجارة ، لها قعاقع حتى عادت كما كانت . ثم روى أنه عليه السلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال : " هل من وضوء " قال : لا ، إلا أن معى إداوة فيها نبيذ . فقال : " هل هو إلا تمر وماء " فتوضأ منه .

الثالثة — قد مضى الكلام فى الماء فى سورة « الحجر »[(١)] وما يستنجى به فى سورة « براءة »[(٢)] فلا معنى للإعادة .

الرابعة — واختلف أهل العلم ، فى أصل الجن ، فروى إسمعيل عن الحسن البصرى : أن الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون ، وهم شركاء فى الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وروى الضحاك عن ابن عباس : أن الجن هم ولد الجان وليسوا بشياطين وهم يؤمنون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس . واختلفوا فى دخول مؤمنى الجن الجنة على حسب الاختلاف فى أصلهم ، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال : يدخلون الجنة بإيمانهم . ومن قال : إنهم من ذرية إبليس فلهم فيه قولان : أحدهما — وهو قول الحسن يدخلونها . الثانى — وهو رواية مجاهد لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار ، حكاه الماوردى . وقد مضى فى سورة « الرحمن »[(٣)] عند قوله تعالى : « لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ » بيان أنهم يدخلونها .

الخامسة — قال البيهقى فى روايته : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال : " لكم كل عظم " دليل على أنهم يأكلون ويطعمون . وقد أنكر جماعة من كفرة الأطباء والفلاسفة الجن ، وقالوا : إنهم بسائط ولا يصح طعامهم ، اجتراء على الله وافتراء والقرآن والسنة ترد عليهم ،

---

(١) راجع جـ ١٠ ص ١٥ فما بعدها . (٢) راجع جـ ٨ ص ٢٥٩ فما بعدها .
(٣) راجع جـ ١٧ ص ١٨١

وليس فى المخلوقات بسـيط مركب مزدوج إنما الواحد الواحد سبحانه ، وغيره مركب ليس بواحد كيفما تصرف حاله . وليس يمتنع أن يراهم النبي صلى الله عليه وسلم فى صورهم كما يرى الملائكة . وأكثر ما يتصوّرون لنا فى صور الحيات ؛ ففى الموطأ أن رجلا حديث عهد بعرس آستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار أن يرجع إلى أهله . الحديث ، وفيه : فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى إليها بالرمح فآنتظمها . وذكر الحديث . وفى الصحيح أنه عليه السلام قال : " إن لهـذه البيوت عوامر فإذا رأيتم منها شيئا فحرّجوا عليها ثلاثا فإن ذهب وإلا فآقتلوه فإنه كافر " وقال : " آذهبوا فادفنوا صاحبكم[(1)] " وقد مضى هذا المعنى فى سورة «البقرة[(2)]» وبيان التحريج عليهنّ . وقد ذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص بالمدينة ؛ لقوله فى الصحيح : " إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا " وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها . قلنا : هـذا يدل على أن غيرها من البيوت مثلها ؛ لأنه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها ، وإنما علل بالإسلام ، وذلك عام فى غيرها ، ألا ترى قوله فى الحديث مخبرا عن الجنّ الذى لقى : وكانوا من جنّ الجزيرة ؛ وهـذا بيّن يَعضُده قوله : " ونهى عن عوامر البيوت " وهذا عام . وقد مضى فى سورة «البقرة» القول فى هذا فلا معنى للإعادة .

قوله تعـالى : ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ أى فى فصاحة كلامه . وقيـل : عجبا فى بلاغة مواعظه . وقيل: عجبا فى عظم بركته . وقيل : قرآنا عزيزا لا يوجد مثله . وقيل : يعنون عظيما . ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ أى إلى مراشد الأمور . وقيل: إلى معرفة الله تعالى. و « يهدى » فى موضع الصفة أى هاديا . ﴿ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ أى فآهتدينا به وصدّقنا أنه من عند الله ﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ أى لا نرجـع إلى إبليس ولا نطيعه ؛ لأنه الذى كان بعثهـم ليأتوه بالخبر ثم رمى الجنّ بالشّهب . وقيل : لا نتخذ مع الله إلها آخر؛ لأنه المتفرّد بالربوبية . وفى هـذا تعجيب المؤمنين بذهاب مشركى قريش عما أدركته الجنّ بتدبرها القرآن . وقوله

---

(١) هذا ينبغى أن يكون قبل الحديث السابق له كما فى آبن العربى .

(٢) راجع جـ ١ ص ٣١٥ فما بعدها طبعة ثانية

تعالى : « ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ » أي ٱستمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعلموا أن ما يقرؤه كلام الله . ولم يذكر المستمَع إليـه لدلالة الحال عليه . والنفر الرهط ؛ قال الخليل : ما بين ثلاثة إلى عشرة . وقرأ عيسى الثقفي « يَهْدِي إِلَى الرَّشَدِ » بفتح الراء والشين .

قوله تعـالى : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ كان علقمة ويحيى والأعمش وحمـزة والكسائي وٱبن عامر وخلف وحفص والسلمي ينصبون « أن » في جميع السورة في ٱثني عشر موضعا وهو « أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ » « وَأَنَّا ظَنَنَّا » « وأَنَّه كَانَ رِجَالٌ » « وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا » « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ » « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ » « وَأَنَّا لا نَدْرِي » « وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ » « وأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ » « وأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى » « وأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ » عطفا على قوله : «أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ» و «أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ» لا يجوز فيه إلا الفتح ؛ لأنها في موضع ٱسم فاعل «أُوحِيَ» فما بعده معطوف عليه . وقيل : هو محمول على الهاء في «آمَنَّا بِهِ» أي و بـ « أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حرف الجـار مع « أنّ » . وقيل : المعنى أي وصدّقنا أنه جدّ ربنا . وقرأ الباقون كلها بالكسر وهو الصواب ، وٱختاره أبو عبيدة وأبو حاتم عطفا على قوله : « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَـا » لأنه كله من كلام الجنّ . وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثة مواضع ؛ وهي قوله تعـالى : « وَأَنَّهُ تَعَـالَى جَدُّ رَبِّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ » « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ » قالا : لأنه من الوحي وكسرا ما بقي ؛ لأنه من كلام الجنّ . وأما قوله تعالى : « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ » فكلهم فتحوا إلا نافعـا وشيبة و زِرُّ بن حبيش وأبو بكر والمفضّل عن عاصم فإنهم كسروا لا غير . ولا خلاف في فتح همزة « أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » « وأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا » « وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » و « أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا » وكذلك لا خلاف في كسر ما بعد القول ؛ نحو قوله تعـالى : « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا » و « قَالَ(١) إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي » و « قُلْ إِنْ أَدْرِي » و «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ» وكذلك لا خلاف في كسر ما كان بعد فاء الجزاء ؛ نحو قوله تعالى : « فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ » و « فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ » لأنه موضع ٱبتداء .

---

(١) كذا في الأصل على قراءة نافع . وقراءة حفص « قل » .

قوله تعالى : « جَدُّ رَبِّنَا » الجدّ فى اللغة العظمة والجلال ؛ ومنه قول أنس : كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدّ فى عيوننا . أى عَظُم وجلّ ؛ فمعنى « جَدُّ رَبِّنَا » أى عظمته وجلاله ؛ قاله عكرمة ومجاهد وقتادة . وعن مجاهد أيضا : ذِكره . وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضا : غناه . ومنه قيل للحظ جَدٌّ ورجل مجدود أى محظوظ ؛ وفى الحديث : "ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ" قال أبو عبيدة والخليل : أى ذا الغنى ، منك الغنى إنما تنفعه الطاعة . وقال ابن عباس : قدرته . الضحاك : فعله . وقال القرظىّ والضحاك أيضا : آلاؤه ونعمه على خلقه . وقال أبو عبيدة والأخفش : ملكه وسلطانه . وقال السدىّ : أمره . وقال سعيد بن جبير : « وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » أى تعالى ربنا . وقيل : إنهم عنوا بذلك الجَدّ الذى هو أب الأب ويكون هذا من قول الجنّ . وقال محمد بن على بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع : ليس لله تعالى جَدّ ، وإنما قالته الجنّ للجهالة فلم يؤاخذوا به . وقال القشيرى : ويجوز إطلاق لفظ الجَدّ فى حق الله تعالى ؛ إذ لو لم يجز لما ذكر فى القرآن ، غير أنه لفظ موهم فتجنبه أولى . وقراءة عكرمة « جِدّ » بكسر الجيم على ضد الهزل . وكذلك قرأ أبو حَيْوة ومحمد بن السَّمَيْقع . ويروى عن ابن السَّميقع أيضا وأبى الأشهب « جَدَا رَبِّنَا » وهو الجدوى والمنفعة . وقرأ عكرمة أيضا « جَدًّا » بالتنوين « رَبُّنَا » بالرفع على أنه مرفوع بـ « تعالى » و « جَدًّا » منصوب على التمييز . وعن عكرمة أيضا « جَدٌّ » بالتنوين والرفع « رَبُّنَا » بالرفع على تقدير : تعالى جَدٌّ جَدُّ ربِّنا ، فالجدّ الثانى بدل من الأوّل وحذف وأقيم المضاف إليه مقامه . ومعنى الآية ؛ وأنه تعالى جلال ربِّنا أن يتخذ صاحبة وولدا للاستئناس بهما والحاجة إليهما ، والربّ يتعالى عن ذلك كما يتعالى عن الأنداد والنظراء .

قوله تعالى : وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً ﴾ الهاء فى « أنه » للأمر أو الحديث ، وفى « كان » آسمها وما بعدها الخبر . ويجوز أن تكون « كان » زائدة . والسفيه هنا إبليس فى قول مجاهد وآبن جريج وقتادة . ورواه أبو بُردة بن أبى موسى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل : المشركون من الجنّ ؛ قال قتادة : عصاه سفيه الجنّ كما عصاه سفيه الإنس . والشطط والآشتطاط الغلو فى الكفر . وقال أبو مالك : هو الجور . الكلبى : هو الكذب . وأصله البعد فيعبر به عن الجور لبعده عن العدل ، وعن الكذب لبعده عن الصدق ؛ قال الشاعر :

بأيّة حالٍ حكّموا فيك فاشتطّوا * وما ذاكَ إلا حيث يَمّمَكَ(١) الوَخْطُ

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا ﴾ أى حسبنا ﴿ أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ فلذلك صدقناهم فى أن لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحقّ . وقرأ يعقوب والجحدرى وآبن أبى إسحق « أَنْ لَنْ تَقَوَّلَ »(٢) . وقيل : آنقطع الإخبار عن الجنّ ها هنا فقال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ فمن فتح وجعله من قول الجنّ ردّها إلى قوله : « أنه آستمع » ومن كسر جعلها مبتدأ من قول الله تعالى. والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادٍ : أعوذ بسيّد هذا الوادى من شر سفهاء قومه؛ فيبيت فى جواره حتى يصبح ؛ قاله الحسن وآبن زيد وغيرهما . قال مقاتل : كان أوّل من تعوذ بالجنّ قوم من أهل اليمن ، ثم من بنى حنيفة ، ثم فشا ذلك فى العرب ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم . وقال كَرْدَم بن أبى السائب : خرجت مع أبى إلى المدينة أوّل ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فآوانا المبيت إلى راعى غنم ، فلما آنتصف الليل جاء الذئب فحمل حَمَلا من الغنم ، فقال الراعى : يا عامر الوادى [أنا](٣) جارك . فنادى منادٍ ياسرحان أرسله ، فأتى الحَمَل يَشْتد(٤) . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ

(١) يمك قصدك . والوخط الطعن بالرمح ، ومن معانيه أيضا الشيب .
(٢) قال الألوسى : « تَقَوَّلَ » أصله تتقوّل بتاءين فحذفت إحداهما ، فكذبا مصدر مؤكد لأن الكذب هو التقوّل .
(٣) الزيادة من الدر المنثور للسيوطى .   (٤) يشتد : يعدو .

الجنّ فزادوهم رهقا) أى زاد الجنّ الإنسَ «رهقا» أى خطيئة و إثما؛ قاله آبن عباس ومجاهد وقتادة . والرهق الإثم فى كلام العرب وغشيان المحارم ؛ ورجلٌ رَهِقٌ إذا كان كذلك . ومنه قوله تعالى : « وترهقهم ذلّة » وقال الأعشى :

لا شىءَ ينفعنى مِن دونِ رؤيتها * هل يَشتفِي وامِقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقا

يعنى إثما ، وأضيفت الزيادة إلى الجنّ إذ كانوا سببا لها . وقال مجاهد أيضا : « فزادوهم » أى إن الإنس زادوا الجنّ طغيانا بهذا التعوّذ، حتى قالت الجنّ سدنا الإنس والجنّ . وقال قتادة أيضا وأبو العالية والربيع وآبن زيد : آزداد الإنس بهذا فَرَقا وخوفا من الجنّ . وقال سعيد آبن جبير : كفرا . ولا خفاء أن الآستعاذة بالجنّ دون الآستعاذة بالله كفر وشرك . وقيل : لا يطلق لفظ الرجال على الجنّ ؛ فالمعنى : وأنه كان رجال من الإنس يعوذون من شر الجنّ برجال من الإنس، وكان الرجل من الإنس يقول مثلا : أعوذ بحذيفة بن بدر من جنّ هـذا الوادى . قال القشيرى : وفى هذا تحكم إذ لا يبعد إطلاق لفظ الرجال على الجنّ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا ﴾ هذا من قول الله تعـالى للإنس، أى وأن الجنّ ظنّوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظننتم . الكلبى : المعنى ظنت الجنّ كما ظنت الإنس أن لن يبعث الله رسولا إلى خلقه يقيم به الحجـة عليهم. وكل هذا توكيد للحجة على قريش ؛ أى إذا آمن هؤلاء الجنّ بمحمد فأنتم أحق بذلك .

قوله تعـالى : وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ﴾ هـذا من قول الجنّ أى طلبنا خبرها كما جرت عادتنا ﴿ فوجدناها ﴾ قد ﴿ ملئت حرسا شديدا ﴾ أى حفظة يعنى الملائكة والحَرَس جمع حارس

﴿ وَشُهُبًا ﴾ جمع شهاب وهو ٱنقضاض الكواكب المحرقة لهم عن ٱستراق السمع . وقد مضى القول فيه فى سورة « الحجر »(١) « والصافات »(٢) و « وجَدَ » يجوز أن يقدّر متعديا إلى مفعولين فالأوّل الهاء والألف ، و« مُلِئَتْ » فى موضع المفعول الثانى . ويجوز أن يتعدّى إلى مفعول واحد ويكون « مُلِئَتْ » فى موضع الحال على إضمار قد و « حَرَسًا » نصب على المفعول الثانى بـ « مُلِئَتْ » و « شديدا » من نعت الحرس أى ملئت ملائكة شدادا . ووحد الشديد على لفظ الحرس ؛ وهو كما يقال : السَّلَف الصالح بمعنى الصالحين ، وجمع السَّلَف أسلاف وجمع الحرس أحراس ؛ قال(٣) :

« تجاوزتُ أحراسًا وأهوالَ مَعْشَرٍ »

ويجوز أن يكون « حَرَسًا » مصدرا على معنى حُرِست حراسةً شديدة .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ « مِنها » أى من السماء و « مَقَاعِدَ » مواضع يقعد فى مثلها لٱستماع الأخبار من السماء ؛ يعنى أن مردة الجنّ كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة على ما تقدّم بيانه ، فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشُّهب المحرقة ، فقالت الجنّ حينئذ : « فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا » يعنى بالشهاب الكوكب المحرق؛ وقد تقدّم بيان ذلك . ويقال : لم يكن ٱنقضاض الكواكب إلا بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهو آية من آياته . وٱختلف السَّلَف هل كانت الشياطين تُقذَف قبل المبعث ، أو كان ذلك أمرا حدث لمبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الكلبى : وقال قوم لم تكن تحرس السماء فى الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسمائة عام ، وإنما كان من أجل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشُّهب .

(١) راجع جـ ١٠ ص ١٠ فما بعدها . (٢) راجع جـ ١٥ ص ٦٦ فما بعدها .

(٣) هو آمرؤ القيس ويروى : * تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا * وتمام البيت وهو من معلقته :

* على حراصا لو يشرون مقتلى *

قلت : ورواه عطية العوفى عن ابن عباس ؛ ذكره البيهقى . وقال عبد الله بن عمر : لما كان اليوم الذى نُبِّئ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُنعت الشياطين ورُموا بالشُّهب . وقال عبد الملك بن سابور : لم تكن السماء تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فلما بُعث محمد صلى الله عليه وسلم حُرست السماء ، ورُميت الشياطين بالشُّهب ، ومُنعت عن الدنو من السماء . وقال نافع بن جبير : كانت الشياطين فى الفترة تَسمع فلا تُرمى، فلما بُعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رُميت بالشُّهب . ونحوه عن أُبىّ بن كعب قال : لم يُرمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى نُبِّئ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرُمِىَ بها . وقيل : كان ذلك قبل المبعث ، وإنما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إنذارا بحاله ؛ وهو معنى قوله تعالى : « مُلِئَتْ » أى زيد فى حرسها ؛ وقال أَوْس بن حَجَر وهو جاهلىّ :

فَانْقَضَّ كالدُّرِّىّ يَتْبَعُه * نَقْعٌ يَثُورُ تَخالُه طُنُبَا

وهذا قول الأكثرين . وقد أنكر الجاحظ هذا البيت وقال : كل شعر روى فيه فهو مصنوع، وأن الرمى لم يكن قبل المبعث . والقول بالرمى أصح؛ لقوله تعالى : « فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وشُهُبًا » . وهذا إخبار عن الجنّ، أنه زيد فى حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم ؛ ولما روى عن ابن عباس قال : بينما النبىّ صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من أصحابه إذ رُمِى بنجم فقال : " ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية " قالوا : كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " إنها لا تُرمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربّنا سبحانه وتعالى إذا قضى أمرا فى السماء سبّح حملة العرش ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح إلى هذه السماء ويستخبر أهلُ السماء حملةَ العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهى الخبر إلى هذه فتتخطّف الجنُّ فيرمون فما جاءوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه " وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث ، وروى الزهرىّ نحوه عن علىّ بن الحسين عن علىّ بن أبى طالب عن ابن عباس . وفى آخره قيل للزهرىّ : أكان يُرمَى فى الجاهلية؟ قال: نعم . قلت : أفرأيت قوله سبحانه « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا» قال : غُلظت وشُدِّد أمرُها حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم . ونحوه قال القتبي . قال ابن قتيبة : كان ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث ؛ وكانوا من قبل يسترقون ويُرمَون فى بعض الأحوال ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مُنعت من ذلك أصلا . وقد تقدّم بيان هذا فى سورة « والصافات » عند قوله : « وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ » قال الحافظ : فلو قال قائل كيف تتعرض الجنّ لإحراق نفسها بسبب استماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم ؟ فالجواب أن الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة ، كما ينسى إبليس فى كل وقت أنه لا يسلم ، وأن الله تعالى قال له : « وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » ولولا هذا لما تحقق التكاليف . والرَّصَد قيل من الملائكة ؛ أى ورصدا من الملائكة . والرصد الحافظ للشيء والجمع أرصاد ، وفى غير هذا الموضع يجوز أن يكون جمعا كالحرس والواحد راصد . وقيل : الرصد هو الشهاب أى شهابا قد أرصد له ليرجم به ؛ فهو فَعَل بمعنى مفعول كالخَبَط والنَّفَض .

قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أى هذا الحرس الذى حرست بهم السماء ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أى خيرا . قال ابن زيد : قال إبليس لا ندرى هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا . وقيل : هو من قول الجنّ فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . أى لا ندرى أَشَرٌّ أُرِيدَ بمن فى الأرض بإرسال محمد إليهم ، فإنهم يكذّبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذّب من الأمم ، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا ؛ فالشر والرشد على هذا الكفر والإيمان ؛ وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحى . وقيل : لا ؛ بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن انصرفوا إليهم منذرين ؛ أى لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض فقالوا : إنا لا ندرى أيكفر أهل الأرض بما آمنا به أو يؤمنون .

قوله تعالى : وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا (١٢)

قوله تعالى : ﴿ وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُون ومِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ هـذا من قول الجنّ ؛ أى قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وإنا كنا قبل آستماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون . وقيل : « وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ » أى ومن دون الصالحين فى الصلاح ، وهو أشبه من حمله على الإيمان والشرك . ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ أى فرقا شتى ؛ قاله السدى . الضحاك : أديانا مختلفة . قتادة : أهواء متباينة ، ومنه قول الشاعر :

القَابِضُ البَاسِطُ الهَادِي بِطَاعَتِهِ * فى فِتْنَةِ النَّاسِ إِذْ أَهْوَاؤُهُمْ قِدَدُ

والمعنى : أى لم يكن كل الجنّ كفارا بل كانوا مختلفين ، منهم كفّار ومنهم مؤمنون صلحاء ، ومنهم مؤمنون غير صلحاء . وقال المسيّب : كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس . وقال السدى فى قوله تعالى : « طَرَائِقَ قِدَدًا » قال : فى الجنّ مثلكم قَدَرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية . وقال قوم : أى وأنا بعد آستماع القرآن مختلفون منا المؤمنون ومنا الكافرون . أى ومنا الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا فى الصلاح . والأوّل أحسن ؛ لأنه كان فى الجنّ من آمن بموسى وعيسى وقد أخبر الله عنهم أنهم قالوا : « إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ » وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة ، وكان هـذا مبالغة منهم فى دعاء من دعوهم إلى الإيمان . وأيضا لا فائدة فى قولهم : نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر . والطرائق جمع الطريقة وهى مذهب الرجل ؛ أى كنا فرقا مختلفة . ويقال : القوم طرائق أى على مذاهب شتى . والقِدد نحو من الطرائق وهو توكيد لها واحدها قِدّة . يقال : لكل طريق قِدّة وأصلها من قَدّ السيور وهو قطعها ؛ قال لبيد يرثى أخاه أَرْبَد :

لم تبلُغ العينُ كلّ نهمتها * ليلةَ تُمسي الجيادُ كالقِدَدِ (١)

وقال آخر :

ولقد قُلتُ وزيدٌ حاسرٌ * يومَ ولّتْ خيلُ عمرٍو قِدَدَا

والقِدّ بالكسر سير يُقدّ من جلد غير مدبوغ ؛ ويقال : ماله قِدٌّ ولا قِحْف فالقِدُّ إناء من جلد والقِحف من خشب .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الظنّ هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظنّ فى قوله تعالى : « وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ » « وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا » أى علمنا بالاستدلال والتفكر فى آيات الله أنا فى قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره . و﴿ هَرَبًا ﴾ مصدر فى موضع الحال أى هاربين .

قوله تعالى : وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ﴾ يعنى القرآن ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ وبالله وصدّقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته . وكان صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى الإنس والجنّ . قال الحسن : بعث الله محمدا صلى عليه وسلم إلى الإنس والجنّ ، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجنّ ولا من أهل البادية ولا من النساء؛ وذلك قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى » وقد تقدم (٢) هذا المعنى . وفى الصحيح : " وبعثت إلى الأحمر والأسود "

(١) يقول : لم تبلغ العين من البكاء على أربد كل ما تريد فى هذه الليلة التى فيها الخيل كالقدد من شدة السير والإتعاب .

(٢) راجع جـ ٩ ص ٢٧٤

أى الإنس والجنّ . ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ قال ابن عباس : لايخاف أن ينقص من حسناته ولا أن يزاد فى سيئاته ؛ لأن البخس النقصان والرهق العدوان وغِشيان المحارم ؛ قال الأعشى :

لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِن دُونِ رُؤْيَتِهَا * هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ مَالَمْ يُصِبْ رَهَقَا

الوامق المحبّ ؛ وقد وَمِقَه يَمِقه بالكسر أى أحبّه فهو وامق . وهذا قول حكاه الله تعالى عن الجنّ ؛ لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم . وقراءة العامة « فَلَا يَخَافُ » رفعا على تقدير فإنه لا يخاف . وقرأ الأعمش ويحيى وإبراهيم « فَلَا يَخَفْ » جزما على جواب الشرط وإلغاء الفاء .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى وأنا بعد ٱستماع القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر . والقاسط الجائر ؛ لأنه عادل عن الحق والمقسط العادل ؛ لأنه عادل إلى الحقّ ؛ [يقال :] قسط أى جار وأقسط إذا عدل ؛ قال الشاعر :

قومٌ هم قتلوا ٱبنَ هِندٍ عَنْوَةً * عَمْرًا وهم قَسَطُوا على النُّعْمانِ

﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ أى قصدوا طريق الحق وتوخّوه ومنه تحرّى القبلة ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ أى الجائرون عن طريق الحقّ والإيمان ﴿ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ أى وقودا . وقوله : « فَكَانُوا » أى فى علم الله تعالى .

قوله تعالى : وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ هذا من قول الله تعالى . أى لو آمن من هؤلاء الكفار لوسعنا عليهم فى الدنيا وبسطنا لهم فى الرزق . وهذا محمول على الوحى ؛ أى أوحى إلى أن لو ٱستقاموا . ذكر ٱبن بحر : كل ما فى هذه السورة من « إن » المكسورة المثقلة فهى حكاية لقول الجنّ الذين ٱستمعوا القرآن فرجعوا إلى قومهم منذرين ، وكل ما فيها من

أن المفتوحة المخففة فهى وحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ٱبن الأنبارى : ومن كسر الحروف وفتح « وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا » أضمر يمينا تاما تأويلها : والله أن لو ٱستقاموا على الطريقة ؛ كما يقال فى الكلام : والله أَنْ قمتَ لقمتُ ووالله لو قمتَ قمتُ ؛ قال الشاعر :

أَمَا واللهِ أَنْ لو كُنتَ حُرًّا * وما بِالحُرِّ أنتَ ولا العتِيقِ

ومن فتح ما قبل المخففة نسقها ــ أعنى الخفيفة ــ على « أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ » « وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا » أو على « آمَنَّا بِهِ » وبأن لو ٱستقاموا (١) . ويجوز لمن كسر الحروف كلها إلى « أن » المخففة أن يعطف المخففة على « أُوحِىَ إِلَىَّ » أو على « آمَنَّا بِهِ » ويستغنى عن إضمار اليمين . وقراءة العامة بكسر الواو من « لو » لٱلتقاء الساكنين . وقرأ ٱبن وثّاب والأعمش بضم الواو . و ﴿ مَاءً غَدَقًا ﴾ أى واسعا كثيرا ، وكانوا قد حبس عنهم المطر سبع سنين ؛ يقال : غَدِقت العينُ تغدَق فهى غَدِقة إذا كثر ماؤها . وقيل : المراد الخلق كلهم أى « لَوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ » طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين « لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا » أى كثيرا ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أى لنختبرهم كيف شكرهم فيه على تلك النعم . وقال عمر فى هذه الآية : أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة . فمعنى « لَأَسْقَيْنَاهُمْ » لوسعنا عليهم فى الدنيا ، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلا ؛ لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون فأقيم مقامه ؛ كقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » وقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ » أى بالمطر . والله أعلم . وقال سعيد بن المسيّب وعطاء بن أبى رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية وعبيد بن عمير والحسن : كان والله أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشى ففتنوا بها ، فوثبوا على إمامهم فقتلوه . يعنى عثمان بن عفان . وقال الكلبى وغيره : « وَأَنَّ

(١) وفى حاشية الجمل نقلا عن القرطبى « قال ٱبن الأنبارى : ومن قرأ بالكسر فيما تقدم وفتح « وأن لو ٱستقاموا » أضمر قسما تقديره : والله « أن لو ٱستقاموا على الطريقة ، أو عطفه على « أنه ٱستمع » أو على « آمنّا به » وعلى هذا يكون جميع ما تقدّم معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه » .

لو ٱستقاموا على الطريقة » التى هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لوسعنا أرزاقهم مكرا بهم وٱستدراجا لهم، حتى يفتتنوا بها فنعذبهم بها فى الدنيا والآخرة . وهذا قول قاله الربيع ٱبن أنس وزيد بن أسلم وٱبنه والكلبي والثمالى ويمان بن رباب وٱبن كيسان وأبو مجلز؛ وٱستدلوا بقوله تعالى : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء » الآية؛ وقوله تعالى : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة » الآية ؛ والأول أشبه ؛ لأن الطريقة معرفة بالألف واللام فالأوجب أن تكون طريقته طريقة الهدى ؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى . وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا" قالوا : وما زهرة الدنيا؟ قال : "بركات الأرض" وذكر الحديث . وقال عليه السلام : "فو الله ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا [كما بسطت على من قبلكم](١) فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"

قوله تعالى : ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه ﴾ يعنى القرآن؛ قاله ٱبن زيد . وفى إعراضه عنه وجهان : أحدهما عن القبول إن قيل إنها فى أهل الكفر . الثانى عن العمل إن قيل إنها فى المؤمنين . وقيل : « ومن يعرض عن ذكر ربه » أى لم يشكر نعمه ﴿ يسلكه عذابا صعدا ﴾ قرأ الكوفيون وعياش عن أبى عمرو « يسلكه » بالياء وٱختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لذكر ٱسم الله أولا فقال : « ومن يعرض عن ذكر ربه » . الباقون « نسلكه » بالنون . وروى عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام . وكذلك قرأ طلحة والأعرج وهما لغتان سلكه وأسلكه بمعنًى أى ندخله . « عذابا صعدا » أى شاقا شديدا . قال ٱبن عباس : هو جبل فى جهنم كلما جعلوا أيديهم عليه ذابت . وعن ٱبن عباس : أن المعنى مشقة من العذاب . وذلك معلوم فى اللغة أن الصعد المشقة، تقول : تصعدنى الأمر إذا شق عليك؛ ومنه قول عمر : ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة النكاح . أى ما شق علىّ

---

(١) الزيادة من صحيح الترمذى .

وعذاب صَعَدٌ أى شديد . والصَّعَد مصدر صَعِد؛ يقال : صعِد صَعَدا وصُعودا فوصف به العذاب؛ لأنه يتصعد المعذّب أى يعلوه و يغلبه فلا يطيقه . وقال أبو عبيدة : الصَّعَد مصدر أى عذابا ذا صَعَد، والمشى فى الصَّعود يشقّ . والصَّعود العقبة الكئود. وقال عكرمة : هو صخرة ملساء فى جهنم يُكلَّف صعودها فإذا آنتهى إلى أعلاها حُدِر إلى جهنم . وقال الكلبى : يكلّف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلا فى النار من صخرة ملساء ، يجذب من أمامه بسلاسل ، و يضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ، ولا يبلغ فى أربعين سنة، فإذا بلغ أعلاها أُحدِر إلى أسفلها ، ثم يكلّف أيضا صعودها ، فذلك دأبه أبدا ، وهو قوله تعالى : « سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً » .

قوله تعالى : وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً ﴿١٨﴾

فيه ست مسائل :

الأولى ـ قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ « أَنَّ » بالفتح قيل : هو مردود إلى قوله تعالى : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ » أى قل أوحى إلىّ أن المساجد لله . وقال الخليل : أى ولأن المساجد لله . والمراد البيوت التى تبنيها أهل الملل للعبادة . وقال سعيد بن جبير : قالت الجنّ كيف لنا أن نأتى المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » أى بنيت لذكر الله وطاعته . وقال الحسن : أراد بها كل البقاع ؛ لأن الأرض كلها مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، يقول : " أينما كنتم فصلوا " "فأينما صليتم فهو مسجد " وفى الصحيح : " وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا " . وقال سعيد بن المسيّب وطَلْق ابن حبيب : أراد بالمساجد الأعضاء التى يسجد عليها العبد، وهى القدمان والركبتان واليدان والوجه؛ يقول : هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغيره بها فتجحد نعمة الله . قال عطاء : مساجدك أعضاؤك التى أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها . وفى الصحيح عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة ـ وأشار بيده إلى أنفه ـ واليدين والركبتين وأطراف القدمين " . وقال العباس قال النبى

صلى الله عليه وسلم : " إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب[١] " . وقيل : المساجد هي الصلوات : أي لأن السجود لله . قاله الحسن أيضا ؛ فإن جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجِد بكسر الجيم ، ويقال بالفتح ؛ حكاه الفراء . وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مَسجَد بفتح الجيم . وقيل : هو جمع مَسجَد وهو السجود، يقال : سجدت سجودا ومَسجَدا ؛ كما تقول : ضربت في الأرض ضَرْبا ومَضرَبا بالفتح إذا سرت في ٱبتغاء الرزق . وقال ٱبن عباس : المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة المساجد ؛ لأن كل أحد يسجد إليها . والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله، وهو مروىّ عن ٱبن عباس رحمه الله .

الثانيـة — قوله تعالى : «لِلَّهِ» إضافة تشريف وتكريم ، ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال : «وَطَهِّرْ بَيْتِيَ» وقال عليه السلام : " لا تُعمَل المَطِىّ إلا إلى ثلاثة مساجد " الحديث خرجه الأئمة . وقد مضى الكلام[٢] فيه . وقال عليه السلام : " صلاةٌ في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" قال ٱبن العربي : وقد روى من طريق لا بأس بها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدى " ولو صح هذا لكان نَصًّا .

قلت : هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة « إبراهيم[٣] » .

الثالثـة — المساجد وإن كانت لله ملكا وتشريفا فإنها قد تنسب إلى غيره تعريفا فيقال : مسجد فلان . وفي صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي أضمرت من الحيفاء وأَمَدُها ثَنِيَّة الوَدَاع ، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق . وتكون هذه الإضافة بحكم المحلية كأنها في قبلتهم ، وقد تكون بتحبيسهم ، ولا خلاف بين الأمة في تحبيس المساجد والقناطر والمقابر وإن ٱختلفوا في تحبيس غير ذلك .

(١) آراب : أعضاء واحدها « إرب » بالكسر والسكون .
(٢) راجع جـ ١٠ ص ٢١١ والرواية المشهورة في الصحاح " لا تشدّ الرحال" كما مرّ للقرطبي .
(٣) راجع جـ ٩ ص ٣٧١ فما بعدها .

الرابعــة ــ مع أن المساجد لله لا يذكر فيها إلا الله فإنه تجوز القسمة فيها للأموال . ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء أكل . ويجوز حبس الغريم فيها، وربط الأسير والنوم فيها، وسكنى المريض فيها، وفتح الباب للجار إليها، وإنشاد الشعر فيها إذا عرى عن الباطل . وقد مضى هذا كله مبينا فى سورة « براءة »(١) . « والنور »(٢) وغيرهما .

الخامســة ــ قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ هذا توبيخ للشركين فى دعائهم مع الله غيره فى المسجد الحرام . وقال مجاهد : كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها . يقول : فلا تشركوا فيها صنما وغيره مما يعبد . وقيل : المعنى أفردوا المساجد لذكر الله ، ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا، ولا طرقا، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا . وفى الصحيح : "من نشد ضالّة فى المسجد فقولوا لا ردّها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا" وقد مضى فى سورة « النور » ما فيه كفاية من أحكام المساجد والحمد لله .

السادســة ــ روى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى . وقال : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسالك برحمتك أن تفك رقبتى من النار" فإذا خرج من المسجد قدّم رجله اليسرى ؛ وقال : "اللهم صُبّ على الخير صبًّا ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتنى أبدا ولا تجعل معيشتى كدًّا واجعل لى فى الأرض جدًّا" أى غنى .

قوله تعالى : وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾

---

(١) راجع جـ ٨ ص ١٠٤ فما بعدها . (٢) راجع جـ ١٢ ص ٢٦٥ فما بعدها .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ ﴾ يجوز الفتح أى أوحى الله إليه أنه . ويجوز الكسر على الاستئناف . و « عبد الله » هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى ببطن نخلة ويقرأ القرآن ، حسب ما تقدم أول السورة . ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ أى يعبده . وقال ابن جريج : « يَدْعُوهُ » أى قام إليهم داعيا إلى الله تعالى . ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال الزبير بن العوام : هم الجنّ حين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم . أى كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون حرصا على سماع القرآن . وقيل : كادوا يركبونه حرصا ؛ قاله الضحاك . ابن عباس : رغبة فى سماع الذكر . وروى بُرْد عن مكحول : إن الجنّ بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة وكانوا سبعين ألفا ، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر . وعن ابن عباس أيضا : إن هذا من قول الجنّ لمّا رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به فى الركوع والسجود . وقيل : المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حَرَدا على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحسن وقتادة وابن زيد : يعنى « لما قام عبد الله » محمد بالدعوة تلبّدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه وأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره . واختار الطبرى أن يكون المعنى : كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على إطفاء النور الذى جاء به . وقال مجاهد : قوله « لِبَدًا » جماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء أى تجمع ، ومنه اللبد الذى يفرش لتراكم صوفه ، وكل شيء ألصقته إلصاقا شديدا فقد لبدته ، وجمع اللِّبدة لِبَد مثل قِربة وقِرب . ويقال للشعر الذى على ظهر الأسد لِبدة وجمعها لِبد ؛ قال زهير :

لَدى أَسَدٍ شاكِي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ * لَهُ لِبَدٌ أَظْفارُهُ لم تُقَلَّمِ

ويقال للجراد الكثير لِبد . وفيه أربع لغات وقراءات ؛ فتح الباء وكسر اللام ، وهى قراءة العامة . وضم اللام وفتح الباء ، وهى قراءة مجاهد وابن محيصن وهشام عن أهل الشام واحدتها لُبْدَة . وبضم اللام والباء ، وهى قراءة أبى حَيْوة ومحمد بن السَّمَيْقع وأبى الأشهب العُقَيلى

والجحدرى واحدها لُبْدَة مثل سَقْف وسُقُف ورَهْن ورُهُن . وبضم اللام وشدّ الباء وفتحها . وهى قراءة الحسن وأبى العالية والأعرج والجحْدرى أيضا واحدها لابِد مثل راكع وركَّع وساجد وسُجَّد . وقيل : اللُّبَد بضم اللام وفتح الباء الشىء الدائم ؛ ومنه قيل لنَسر لقمان لُبَد لدوامه وبقائه ؛ قال النابغة :

* أَخْنَى عليها الذى أَخْنَى على لُبَد *

القشيرىّ : وقرئ «لُبُدا» بضم اللام والباء وهو جمع لَبِيد وهو الجُوَالق الصغير . وفى الصحاح : [وقوله تعالى] « أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَدًا » أى جَمًّا . ويقال أيضا : الناس لُبَد أى مجتمعون ، واللبد أيضا الذى لا يسافر ولا يبرح [منزله](١) . قال الشاعر(٢) :

مِن آمرئ ذى سَماحٍ لا تزالُ لَهُ * بَزْلاءُ يَعْيَا بِها الجثّامَةُ اللُّبَدُ

ويروى اللَّبِد . قال أبو عبيد : وهو أشبه . والبزلاء ذو الرأى الجيد وفلان نهّاض ببزلاء إذا كان ممن يقوم بالأمور العظام ؛ قال الشاعر :

إنّى إذا شَغَلَتْ قومًا فُروجُهُم * رَحْبُ المَسالكِ نَهَّاضٌ بِبَزْلاءِ

ولُبَد آخر نسور لقمان وهو ينصرف ؛ لأنه ليس بمعدول . وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى وفدها إلى الحرم يستسقى لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات(٣) سُمْر من أَظْبٍ عُفْرٍ فى جبل وَعْرٍ لا يَمسها القَطْر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نَسر خلف بعده نَسر فآختار النُّسور ، وكان آخر نُسوره يسمى لُبَدا ، وقد ذكرته الشعراء ؛ قال النابغة :

أَضْحَتْ خَلاءً وأمسى أَهْلُها آحْتَمَلوا * أَخْنَى عليها الّذى أَخْنَى على لبد

واللَّبِيد الجُوَالق الصغير ؛ يقال : ألبدت القِربة جعلتها فى لَبِيد . ولَبِيد آسم شاعر من بنى عامر .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى ﴾ أى قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّى » ﴿ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾ وكذا قرأ أكثر القرّاء «قَالَ» على الخبر . وقرأ حمزة وعاصم «قُلْ» على

(١) الزيادة من اللسان مادة « لبد » . (٢) هو الراعى : والبزلاء أيضا الحاجة التى أحكم أمرها ، والجثامة الذى لا يبرح من محله وبلدته . (٣) قال شارح القاموس : هو بالعين المهملة ، ويوجد فى بعض نسخ الصحاح « بقرات » بالقاف والذى فى نسخ القاموس هو الأشبه إذ لا تتولد البقر من الظباء .

الأمر . وسبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ أي لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم خيرا . وقيل : « لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا » أي كفرا « وَلَا رَشَدًا » أي هدى أي إنما عليّ التبليغ . وقيل : الضر العذاب والرشد النعيم . وهو الأول بعينه . وقيل : الضر الموت والرشد الحياة .

قوله تعالى : قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ ﴾ أي لا يدفع عذابه عني أحد إن استحفظته ؛ وهذا لأنهم قالوا اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك . وروى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال : انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ حتى أتى الحَجُون فخطّ عليّ خطّا، ثم تقدّم إليهم فازدحموا عليه فقال سيّد لهم يقال له وِرْدان : أنا أَزْجُلهم[1] عنك ؛ فقال : "إني لن يجيرني من الله أحد" ذكره الماوردي . قال : ويحتمل معنيين أحدهما لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد . الثاني لن يجيرني مما قدره الله تعالى عليّ أحد . ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ أي ملتجأ ألجأ إليه ؛ قاله قتادة . وعنه : نصيرا ومولى . السدي : حِرزا . الكلبي : مدخلا في الأرض مثل السَّرَب . وقيل : وليا ولا مولى . وقيل : مذهبا ولا مسلكا . حكاه ابن شجرة والمعنى واحد ؛ ومنه قول الشاعر :

(١) ازجلهم أي أدفعهم وفي نسخة أزحلهم بالحاء أي أنحيهم .

يا لهف نفسي ولهفي غير مجدية * عني وما من قضاء الله ملتحد

﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ فإن فيه الأمان والنجاة ؛ قاله الحسن . وقال قتادة : « إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ » فذلك الذى أملكه بتوفيق الله، فأما الكفر والإيمان فلا أملكهما . فعلى هذا يكون مردودا إلى قوله تعالى : «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا » أى لا أملك لكم إلا أن أبلغكم . وقيل هو آستثناء منقطع من قوله : « لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا » أى إلا أن أبلغكم أى لكن أبلغكم ما أرسلت به ؛ قاله الفراء . وقال الزجاج : هو منصوب على البدل من قوله : « مُلْتَحَدًا » أى « وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا » إلا أن أبلغ ما يأتينى من الله ورسالاته ؛ أى ومن رسالاته التى أمرنى بتبليغها . أو إلا أن أبلغ عن الله وأعمل برسالته فآخذ نفسى بما آمر به غيرى . وقيل هو مصدر و « لا » بمعنى لم و « إن » للشرط والمعنى لن أجد من دونه ملتحدا أى إن لم أبلغ رسالات ربى بلاغا .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فى التوحيد والعبادة . ﴿ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ كسرت إن ؛ لأن ما بعد فاء الجزاء موضع آبتداء وقد تقدم . ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ نصب على الحال، وجمع « خالدين » لأن المعنى لكل من فعل ذلك، فوحد أولا للفظ « من » ثم جمع للمعنى . وقوله ﴿ أَبَدًا ﴾ دليل على أن العصيان هنا هو الشرك . وقيل : هو المعاصى غير الشرك، و يكون معنى « خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » إلا أن أعفوا وتلحقهم شفاعة ولا محالة إذا خرجوا من الدنيا على الإيمان يلحقهم العفو . وقد مضى هذا المعنى مبينا فى سورة « النساء »(١) وغيرها .

قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ « حَتَّى » هنا مبتدأ أى « حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ » من عذاب الآخرة أو ما يوعدون من عذاب الدنيا ، وهو القتل ببدر ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ حينئذ ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا ﴾ أهم أم المؤمنون . ﴿ وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ معطوف .

---

(١) راجع جـ ٥ ص ٣٣٣ فما بعدها .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾ يعنى قيام الساعة . وقيل : عذاب الدنيا أى لا أدرى فـ«إن» بمعنى «ما» أو «لا» ؛ أى لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة إلا الله ، فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفنيه الله . و « ما » فى قوله «مَا تُوعَدُونَ» يجوز أن تكون بمعنى الذي و يقدّر حرف العائد . ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ أى غاية وأجلا . وقرأ العامة بإسكان الياء من ربى . وقرأ الحرميان وأبو عمرو بالفتح .

قوله تعالى : عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

فيه مسئلتان :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ ﴾ « عالمُ » رفعا نعتا لقوله « رَبِّى » . وقيل : أى هو « عَالِمُ الغَيْبِ » والغيب ما غاب عن العباد . وقد تقدّم بيانه فى أوّل سورة « البقرة »[1] ﴿ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه ؛ لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات ، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات ؛ وفى التنزيل[2] « وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ » . وقال ٱبن جبير: « إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ » هو جبريل عليه السلام . وفيه بعد والأولى أن يكون المعنى ؛ أى لا يظهر على غيبه إلا من ٱرتضى أى ٱصطفى للنبوّة فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه ؛ ليكون ذلك دالا على نبوّته .

الثانية — قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تمدّح سبحانه بعلم الغيب وٱستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم ٱستثنى من ٱرتضاه من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحى إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوّتهم . وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى و ينظر فى الكتب و يزجر بالطير ممن ٱرتضاه من

---

(١) راجع جـ ١ ص ١٦٣ فما بعدها طبعة ثانية أو ثالثة .

(٢) راجع جـ ٤ ص ٩٥

رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبه ، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه . قال بعض العلماء : وليت شعرى ما يقول المنجم فى سفينة ركب فيها ألف إنسان على آختلاف أحوالهم ، وتباين رتبهم ، فيهم الملك والسُّوقة ، والعالم والجاهل ، والغنى والفقير ، والكبير والصغير ، مع آختلاف طوالعهم ، وتباين مواليدهم ، ودرجات نجومهم ، فعمهم حكم الغرق فى ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه ، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها على آختلافها عند ولادة كل واحد منهم ، وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فائدة أبدا فى عمل المواليد ، ولا دلالة فيها على شقىّ ولا سعيد ، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم . وفيه آستحلال دمه على هذا التنجيم ؛ ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

حَكَمَ المنجِّمُ أنَّ طالعَ مولِدِى * يقضِى علىّ بميتَــةِ الغَــرَقِ
قُلْ لِلمُنَجِّم صَبْحَةَ الطُّوفانِ هَلْ * وُلِدَ الجَمِيعُ بكَوْكَبِ الغَــرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أراد لقاء الخوارج : أتلقاهم والقمر فى العقرب ؟ فقال رضى الله عنه : فأين قمرهم ؟ وكان ذلك فى آخر الشهر . فآنظر إلى هذه الكلمة التى أجاب بها ، وما فيها من المبالغة فى الردّ على من يقول بالتنجيم ، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم . وقال له مسافر بن عوف : يا أمير المؤمنين ! لا تَسِرْ فى هــذه الساعة وسِرْ فى ثلاث ساعات يمضين من النهار . فقال له على رضى الله عنه : ولم ؟ قال : إنك إن سرت فى هــذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك بلاء وضر شــديد ، وإن سرت فى الساعة التى أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت . فقال على رضى الله عنه : ما كان لمحمد صــلى الله عليه وسلم مُنَجِّمٌ ولا لنا من بعده ــ فى كلام طويل يحتجّ فيه بآيات من التنزيل ــ فمن صدّقك فى هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن آتخذ من دون الله ندّا أو ضِدّا ، اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك . ثم قال للتكلم : نكذبك ونخالفك ونسير فى الساعة التى تنهانا عنها . ثم أقبل على الناس فقال : يأيها الناس إيا كم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون

به فى ظلمات البر والبحر ؛ وإنما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار ، والله لئن بلغنى أنك تنظر فى النجوم وتعمل بها لأخلدنك فى الحبس ما بقيتَ وبقيتُ ، ولأحرمنك العطاء ما كان لى سلطان . ثم سافر فى الساعة التى نهاه عنها ، ولقى القوم فقتلهم وهى وقعة النهروان الثابتة فى الصحيح لمسلم . ثم قال : لو سرنا فى الساعة التى أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل سار فى الساعة التى أمر بها المنجم ، ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده ، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان — ثم قال : يأيها الناس ! توكلوا على الله وثقوا به ؛ فإنه يكفى ممن سواه . ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ يعنى ملائكة يحفظونه عن أن يقرب منه شيطان ، فيحفظ الوحى من استراق الشياطين والإلقاء إلى الكهنة . قال الضحاك : ما بعث الله نبيا إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين عن أن يتشبهوا بصورة الملك ، فإذا جاءه شيطان فى صورة الملك قالوا : هذا شيطان فاحذره . وإن جاءه الملك قالوا : هذا رسول ربك . وقال ابن عباس وابن زيد : « رَصَدًا » أى حفظة يحفظون النبى صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجن والشياطين . قال قتادة وسعيد بن المسيب : هم أربعة من الملائكة حفظة . وقال الفراء : المراد جبريل ؛ كان إذا نزل بالرسالة نزلت معه ملائكة يحفظونه من أن تستمع الجن الوحى فيلقوه إلى كهنتهم فيسبقوا به الرسول . وقال السدى : « رَصَدًا » أى حفظة يحفظون الوحى ، فما جاء من عند الله قالوا إنه من عند الله ، وما ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان[1] . و « رَصَدًا » نصب على المفعول . وفى الصحاح : والرَّصَد القوم يرصُدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وربما قالوا أرصادا والراصد للشىء الراقب له ؛ يقال : رَصَده يرصُده رَصْدا ورَصَدًا . والترصد الترقب والمَرْصَد موضع الرَّصد .

---

(١) هذا الكلام ينافى قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله قد عصمنى من الإنس والجن" (الحديث جـ ٦ ص ٢٤٤) وأن الشياطين لا يمكن أن ينالوا منه عليه السلام ، فكيف يلقون إليه حتى لا يفرق بين ما يلقونه وبين الوحى إلى أن تبينه له الملائكة .

قوله تعالى : لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ قال قتادة ومقاتل : أى ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلّغ هو الرسالة . وفيه حذف يتعلق به اللام ؛ أى أخبرناه بحفظنا الوحى ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق . وقيل : ليعلم محمد أن قد أبلغ جبريل ومن معه إليه رسالة ربه ؛ قاله آبن جبير . قال : ولم ينزل الوحى إلا ومعه أربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام . وقيل : ليعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم . وقيل : ليعلم الرسول أىّ رسول كان أن الرسل سواه بلغوا . وقيل : أى ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه وآستراق أصحابه . وقال آبن قتيبة : أى ليعلم الجنّ أن الرسل قد بلغوا ما أنزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين بآستراق السمع عليهم . وقال مجاهد : ليعلم من كذّب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم . وقراءة الجماعة « لِيَعْلَمَ » بفتح الياء وتأويله ما ذكرناه . وقرأ آبن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء أى لِيُعلَمَ الناسُ أنّ الرسل قد أبلغوا . وقال الزجاج : أى لِيَعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته بفتح الياء ؛ كقوله تعالى : « وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » المعنى ؛ ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا . ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أى أحاط علمه بما عندهم ؛ أى بما عند الرسل وما عند الملائكة . وقال آبن جبير : المعنى ؛ ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالاته . ﴿ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ أى أحاط بعدد كل شىء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شىء . و « عددا » نصب على الحال ؛ أى أحصى كل شىء فى حال العدد ، وإن شئت على المصدر ؛ أى أحصى وعدّ كل شىء عددا ، فيكون مصدر الفعل المحذوف . فهو سبحانه المحصى المحيط العالم الحافظ لكل شىء . وقد بينا جميعه فى الكتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى . والحمد لله وحده .

سورة المزمّل

وهى سبع وعشرون آية مكية كلها فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر .

وقال ٱبن عباس وقتادة : إلا آيتين منها « وَٱصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ » والتى تليها ؛ ذكره الماوردى . وقال الثعلبى : قوله تعالى « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى » إلى آخر السورة فإنه نزل بالمدينة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى : يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

فيه ثمان مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ قال الأخفش سعيد : « المزّمّل » أصله المتزمل فأدغمت التاء فى الزاى وكذلك «المدّثّر» . وقرأ أُبىّ بن كعب على الأصل «المُتَزَمّل» و «المتدثّر» . وسعيد « المُزَّمِّل »[1] . وفى أصل « المزّمّل » قولان : أحدهما أنه المتحمل ؛ يقال : زَمَل الشىءَ إذا حمله ، ومنه الزّاملة ؛ لأنها تحمل القُمَاش[2] . الثانى أن المزّمّل هو المتلفّف ؛ يقال : تزمل وتدثّر بثوبه إذا تغطى وزمّل غيره إذا غطّاه ، وكل شىء لُفِّف فقد زُمِّل ودُثِّر ؛ قال ٱمرؤ القيس :

* كبيرُ أناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ[3] *

---

(١) لعل هذا ما أراده بعض المفسرين بقولهم : قرأ بعض السلف « المزمل » بفتح الزاى وتخفيفها وفتح الميم وشدّها . (٢) قماش البيت متاعه .

(٣) صدر البيت : * كأن أبانا فى أفانين ودقه *

الثانيــة ــ قوله تعالى : «يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال : الأول قول عكرمة « يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » بالنبوة والملتزم للرسالة. وعنه أيضا : يأيها الذى زُمِّلَ هذا الأمر أى حُمِّله ثم فتر؛ وكان يقرأ «يَأَيُّهَا الْمُزَمَّلُ» بتخفيف الزاى وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول، وكذلك « الْمُدَثَّر » والمعنى المزمِّل نفسه والمدثر نفسه ، أو الذى زمّله غيره . الثانى « يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » بالقرآن ؛ قاله آبن عباس . الثالث المزمل بثيابه ؛ قاله قتادة وغيره . قال النخعى : كان متزملا بقطيفة . عائشة : بمِرط طوله أربعة عشر ذراعا، نصفه علىّ وأنا نائمــة ، ونصفه على النبى صلى الله عليــه وسلم وهو يصلى ، والله ما كان خَزًّا ولا قَزًّا ولا مِرْعِزَاءَ(١) ولا إبريسما ولا صوفا؛ كان سَداه شعرا ولُحمته وَبَرا؛ ذكره الثعلبى .

قلت : وهذا القول من عائشة يدل على أن السورة مدنية ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبن بها إلا فى المدينــة . وما ذكر من أنهــا مكية لا يصح . والله أعلم . وقال الضحاك : تزمل بثيابه لمنامه . وقيــل : بلغه من المشركين سوء قول فيــه ، فآشتد عليه فتزمل فى ثيابه وتدثر فنزلت : « يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » و « يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » . وقيل : كان هذا فى آبتداء ما أوحى إليه ، فإنه لمــا سمع قول الملك ونظر إليه أخذته الرِّعدة فأتى أهله فقال : " زملونى دثرونى " روى معناه عن آبن عباس . وقالت الحكماء : إنمــا خاطبه بالمزمل والمدثر فى أول الأمر؛ لأنه لم يكن بعدُ آدّثر شيئا من تبليغ الرسالة . قال آبن العربى : وآختلف فى تأويل « يَأيها المزمّل » فمنهم من حمله على حقيقته ، قيل له : يامن تلفف فى ثيابه أو فى قطيفته قم ؛ قاله إبراهيم وقتادة . ومنهم من حمــله على المجاز كأنه قيل له : يامن تزمل بالنبوة؛ قاله عكرمة . وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشدّدة بصيغة المفعول الذى لم يسم فاعله ، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل .

قلت : وقد بينــا أنها على حذف المفعول، وقد قرئ بها فهى صحيحة المعــنى . قال : وأما من قال إنه زمّل القرآن فهو صحيح فى المجاز لكنه قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه .

---

(١) المرعزاء بكسر الميم والعين : الزغب الذى تحت شعر العنز .

الثالثــة — قال السهيلي : ليس المزّمّل بآسم من أسمـاء النبيّ صلى الله عليه وسـلم ، ولم يعرف به كما ذهب إليــه بعض الناس وعدّوه في أسمائه ، وإنمـا المزّمّل آسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب ، وكذلك المدّثر . وفي خطابه بهذا الآسم فائدتان : إحداهما الملاطفة فإنّ العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سمّوه بآسم مشتق من حالته التي هو عليها ؛ كقول النبيّ صلى الله عليه وسـلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما ، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له : " قم يا أبا تراب " إشـعارا له أنه غير عاتب عليه وملاطفةً له . وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة : " قم يانومان " وكان نائما ملاطفة له وإشـعارا لترك العتب والتأنيب . فقول الله تعـالى لمحمد صلى الله عليه وسـلم : « يَأَيُّهَا المزمّل . قُم » فيه تأنيسٌ وملاطفةٌ ؛ ليستشعر أنه غير عاتب عليه . والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليـله ليتنبه إلى قيـام الليل وذكر الله تعـالى فيه ؛ لأن الآسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل وآتصف بتلك الصفة .

الرابعــة — قوله تعـالى : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ قراءة العامة بكسر الميم لآلتقاء الساكنين . وقرأ أبو السَّمّال بضم الميم إتباعا لضمة القاف . وحكى الفتح لخفتـه . قال عثمان بن جني . الغرض بهـذه الحركة التبليغ بهـا هربا من آلتقاء الساكنين ، فبأي حركة تحرّكت فقـد وقع الغرض . وهو من الأفعال القاصرة غير المتعدّية إلى مفعول ، فأما ظرف الزمان والمكان فسائغ فيه إلا أن ظرف المكان لايتعـدّى إليه إلا بواسطة ؛ لاتقول : قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار . وقد قيل : إن « قم » هنا معناه صَلِّ ؛ عبر به عنه وآستعير له حتى صار عرفا بكثرة الآستعمال .

الخامســة — « اللَّيْـلَ » حدّ الليـل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر . وقد تقـدّم بيانه في سورة « البقرة »(١) وآختلف هل كان قيامه فرضا وحتما ، أو كان ندبا وحضّا ، والدلائل تقوى أن قيامه كان حتما وفرضا ؛ وذلك أن الندب والحضّ لا يقع على بعض الليل

(١) راجع جـ ٢ ص ١٩٢ طبعة ثانية .

دون بعض ؛ لأن قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت . وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتى . وآختلف أيضا هل كان فرضا على النبيّ صلى الله عليه وسلم وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء ، أو عليه وعلى أمته ؛ ثلاثة أقوال : الأول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب إليه خاصة . الثانى قول آبن عباس ، قال : كان قيام الليل فريضة على النبيّ صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله . الثالث قول عائشة وآبن عباس أيضا وهو الصحيح ؛ كما فى صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو فى سبيل الله ؛ الحديث . وفيه فقلت لعائشة : أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : ألستَ تقرأ «يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» قلت : بلى! قالت : فإن الله عز وجل آفترض قيام الليل فى أوّل هذه السورة فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا ، وأمسك الله عزوجل خاتمتها آثنى عشر شهرا فى السماء ، حتى أنزل الله عز وجل فى آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة . وذكر الحديث . وذكر وكيع ويَعْلَى قالا : حدّثنا مِسْعر عن سماك الحنفى قال : سمعت آبن عباس يقول لما أنزل أوّل « يَأَيُّهَا المزمِّل » كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أوّلها وآخرها نحو من سنة . وقال سعيد بن جبير : مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل بعد عشر سنين « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » فخفّف الله عنهم .

السادسة — قوله تعالى : ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ آستثناء من الليل ، أى صلّ الليل كله إلا يسيرا منه ؛ لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن ، فآستثنى منه القليل لراحة الجسد . والقليل من الشيء ما دون النصف ؛ حُكى عن وهب بن منبه أنه قال : القليل مادون المعشار والسدس . وقال الكلبى ومقاتل : الثلث . ثم قال تعالى : ﴿ نِصْفَهُ أَوِ ٱنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محدودا ، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ » . وقال الأخفش : « نِصفَه » أى أو نصفَه ؛ يقال : أعطه درهما درهمين ثلاثة يريد أو درهمين أو ثلاثة . وقال الزجاج : « نِصفَه » بدل من الليل

و « إلَّا قليلًا » آستثناء من النصف . والضمير في « منه » و « عليه » للنصف . المعنى : قم نصف الليل أو آنقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد عليه قليــلا إلى الثلثين ؛ فكأنه قال : قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه . وقيل : إن « نصفه » بدل من قوله « قليلا » وكان مخيرا بين ثلاث : بين قيام النصف بتمامه، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه، كأن تقدير الكلام : قم الليل إلا نصفه، أو أقل من نصفه، أو أكثر من نصفه. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأوّل فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له من ذا الذي يسألني فأعطيَــه من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر " ونحـوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا وهـو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليــل . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : " إذا مضى شَطْر الليل — أو ثلثاه — ينزل الله " الحديث . رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك . وقــد جاء في كتاب النَّسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنهما قالا قال رســول الله صلى الله عليه وسـلم : " إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شَطْر الليل الأوّل ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى " صححه أبو محمد عبد الحق فبين هــذا الحديث مع صحته معنى النزول، وأن ذلك يكون عند نصف الليــل . وخرّج آبن ماجه من حديث آبن شهاب، عن أبي سلمة وأبي عبدالله الأغر، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليــلة فيقول من يسألني فأعطيَه من يدعوني فأستجيبَ له من يستغفرني فأغفرَ له حتى يطلعَ الفجر " فكانوا يستحبون صلاة آخر الليــل على أوّله . قال علماؤنا : وبهــذا الترتيب آنتظم الحــديث والقرآن فإنهما يبصران من مشكاة واحدة . وفي المــوطأ وغيره من حديث آبن عباس : بتُّ عنــد خالتي ميمونة حتى إذا آنتصف الليل أو قبــله بقليل أو بعــده بقليل آستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام إلى شَنّ معلق فتوضأ وضوءا خفيفا، وذكر الحديث .

السابعــة ــ اختلف العلماء فى الناسخ للأمر بقيام الليل ؛ فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ للأمر بقيام الليل قوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » إلى آخر السورة . وقيل قوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ » . وعن ابن عباس أيضا : هو منسوخ بقوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى » . وعن عائشة أيضا والشافعى ومقاتل وابن كيسان : هو منسوخ بالصلوات الخمس . وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى : « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » . قال أبو عبدالرحمن السُّلمى : لما نزلت « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » قاموا حتى وَرِمت أقدامهم وسُوقهم، ثم نزل قوله تعالى: « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » . قال بعض العلماء: وهو فرض نسخ به فرض؛ كان على النبى صلى الله عليه وسلم خاصة لفضله ؛ كما قال تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » .

قلت : القول الأول يعم جميع هذه الأقوال، وقد قال تعالى : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ » فدخل فيها قول من قال إن الناسخ الصلوات الخمس . وقد ذهب الحسن وابن سيرين إلى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة . وعن الحسن أيضا أنه قال فى هذه الآية : الحمد لله تطوع بعد الفريضة . وهو الصحيح إن شاء الله تعالى ؛ لما جاء فى قيامه من الترغيب والفضل فى القرآن والسنة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أجعل للنبى صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلى عليه من الليل ، فتسامع الناس به ، فلما رأى جماعتهم كره ذلك ، وخشى أن يكتب عليهم قيام الليل ، فدخل البيت كالمغضَب ، فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج إليهم فقال : " أيها الناس اكْلَفوا(١) من الأعمال ما تُطيقون فإن الله لا يَمَلّ من الثواب حتى تَمَلُّوا من العمل و إن خير العمل أدومه و إن قلّ " فنزلت « يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » فكتب عليهم، فأنزل بمنزلة الفريضة حتى أن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به، فمكثوا ثمانية أشهر فرحمهم الله وأنزل « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » فردهم الله إلى الفريضة ، ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به .

---

(١) اكلفوا : هو من كلفت بالأمر إذا أولعت به وأحببته .

قلت : حديث عائشة هذا ذكره الثعلبي ، ومعناه ثابت في الصحيح إلى قوله : " وإن قل " وباقيه يدل على أن قوله تعالى : « يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ » نزل بالمدينة وأنهم مكثوا ثمانية أشهر يقومون . وقد تقدّم عنها في صحيح مسلم : حولا . وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكر غيره عنها . وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أوّل المزمّل وآخرها سنة ؛ قال : فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه ؛ وفي نسخه عنه قولان : أحدهما — أنه كان فرضه عليه إلى أن قبضه الله تعالى . الثاني — أنه نسخ عنه كما نسخ عن أمته . وفي مدّة فرضه إلى أن نسخ قولان : أحدهما — المدّة المفروضة على أمته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عائشة ستة عشر شهرا . الثاني — أنها عشر سنين إلى أن خفّف عنه بالنسخ زيادةً في التكليف ليميزه بفعل الرسالة ؛ قاله ابن جبير .

قلت : هذا خلاف ماذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدّم فتأمله . وسيأتي لهذه المسئلة زيادة بيان في آخر السورة إن شاء الله تعالى .

الثامنة — قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ أي لاتعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني . وقال الضحاك : اقرأه حرفا حرفا . وقال مجاهد : أحبّ الناس في القراءة إلى الله أعقلهم عنه . والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام ؛ ومنه ثغر رَتِل ورَتَل بكسر العين وفتحها إذا كان حسن التنضيد . وقد تقدّم بيانه في مقدّمة الكتاب (1) .

وروى الحسن أن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يقرأ آية ويبكي فقال : " ألم تسمعوا إلى قول الله عز وجل «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» هذا الترتيل " . وسمع عَلْقمة رجلا يقرأ قراءة حسنة فقال : لقد رتّل القرآنَ فداه أبي وأمي . وقال أبو بكر بن طاهر : تدبر في لطائف خطابه ، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرك بالإقبال عليه . وروى عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أوّل درج الجنة ويقال له اقرأ وارتق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا فإن منزلك عند

---

(1) راجع جـ ١ ص ١٧ طبعة ثانية أو ثالثة .

آية تقرؤها " خرجه أبو داود وقد تقدم في أول الكتاب[1] . وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمدّ صوته بالقراءة مدّا .

قوله تعالى : إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) هومتصل بما فرض من قيام الليل أي سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله ؛ لأن الليل للنام، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان، فهو أمر يثقل على العبد. وقيل: إنا سنوحي إليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه . قال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده . مجاهد : حلاله وحرامه . الحسن : العمل به . أبو العالية : ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام . محمد بن كعب : ثقيلا على المنافقين . وقيل : على الكفار؛ لما فيه من الاحتجاج عليهم ، والبيان لضلالتهم وسبّ آلهتهم، والكشف عما حرفه أهل الكتاب . السدي : ثقيل بمعنى كريم ؛ مأخوذ من قولهم : فلان ثقيل عليّ أي يكرم عليّ . الفراء : « ثَقِيلًا » رزينا ليس بالخفيف السّفساف لأنه كلام ربنا. وقال الحسين بن الفضل : ثقيلا لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد . وقال ابن زيد : هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة . وقيل « ثَقِيلًا » أي ثابتا كثبوت الثقيل في محله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبدا . وقيل : هو القرآن نفسه ؛ كما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها ـــ يعني صدرها ـــ على الأرض فما تستطيع أن تتحرك حتى يُسرّى عنه[2] . وفي الموطأ وغيره أنه عليه السلام سئل كيف يأتيك الوحي؟ فقال: " أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه على فيُفصِم عنّي وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول " . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيُفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقا . قال ابن العربي : وهذا أولى ؛ لأنه الحقيقة ، وقد جاء

(١) راجع ج ١ ص ٨ طبعة ثانية أو ثالثة . (٢) أي الوحي .

«وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» وقال عليه السلام : "بُعِثت بالحنيفية السمحة"
وقيل : القول فى هذه السورة هو قول لا إله إلا الله، إذ فى الخبر : خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان، ذكره القشيرى .

قوله تعالى : إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ قال العلماء: ناشئة الليل أى أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا ؛ يقال : نشأ الشيء ينشأ إذا ابتدأ وأقبل شيئا بعد شيء فهو ناشيء وأنشأه الله فنشأ ، ومنه نشأت السحابة إذا بدأت وأنشأها الله ؛ فناشئة فاعلة من نشأت تنشأ فهى ناشئة، ومنه قوله تعالى : «أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ» والمراد أن ساعات الليل الناشئة ، فاكتفى بالوصف عن الأسم فالتأنيث للفظ ساعة، لأن كل ساعة تحدث . وقيل: الناشئة مصدر بمعنى [قيام الليل][1] كالخاطئة والكاذبة ؛ أى إن نشأة الليل هى أشد وطأ . وقيل : إن ناشئة الليل قيام الليل . قال ابن مسعود : الحبشة يقولون نشأ أى قام . فلعله أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة فى كلام الحبشة غالبة عليهم، وإلا فليس فى القرآن ما ليس فى لغة العرب . وقد تقدم بيان هذا فى مقدمة الكتاب مستوفى[2] .

الثانيـة — بين تعالى فى هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر ، وأجلب للثواب .

واختلف العلماء فى المراد بناشئة الليل ؛ فقال ابن عمر وأنس بن مالك : هو ما بين المغرب والعشاء، تمسكا بأن لفظ نشأ يعطى الابتداء فكان بالأولية أحق، ومنه قول الشاعر :

---

(١) زيادة تقتضيها العبارة ؛ وهى كذلك فى كتب التفسير .

(٢) راجع جـ ١ ص ٦٨ فما بعدها طبعة ثانية أو ثالثة .

ولولا أنْ يُقالَ صَبَا نُصَيبٌ * لَقلتُ بِنفسِيَ النَّشْأُ الصِّغارُ

وكان على بن الحسين يصلى بين المغرب والعشاء ويقول: هذا ناشئة الليل. وقال عطاء وعكرمه: إنه بدء الليل. وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هى الليل كله؛ لأنه ينشأ بعد النهار وهو الذى اختاره مالك بن أنس. قال ابن العربى: وهو الذى يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة. وقالت عائشة وابن عباس أيضا ومجاهد: إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم. ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة. فقال يمان وابن كيسان: هو القيام من آخر الليل. وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل. وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدرى متى يستيقظ. وفى الصحاح: وناشئة الليل أوّل ساعاته. وقال القتبى: إنه ساعات الليل؛ لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة. وعن الحسن ومجاهد: هى ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح. وعن الحسن أيضا: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة. ويقال: ما ينشأ فى الليل من الطاعات؛ حكاه الجوهرى.

الثالثة ــ قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ قرأ أبو العالية وأبو عمرو وابن أبى إسحٰق ومجاهد وحميد وابن محيصن وابن عامر والمغيرة وأبو حَيْوة «وِطاءً» بكسر الواو وفتح الطاء والمد، واختاره أبو عبيد. الباقون «وَطْأً» بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختاره أبو حاتم؛ من قولك: اشتدت على القوم وطأة سلطانهم. أى ثقل عليهم ما حمّلهم من المؤن ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم: "اللهم اشدد وطأتك على مُضَر" فالمعنى أنها أثقل على المصلى من ساعات النهار. وذلك أن الليل وقت منام وتودّع وإجمام؛ فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة. ومن مدّ فهو مصدر واطأت وِطاء ومواطأة أى وافقته. ابن زيد: واطأته على الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق، وفلان يواطئ اسمه اسمى، وتواطئوا عليه أى توافقوا؛ فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان؛ لانقطاع الأصوات والحركات؛ قاله مجاهد وابن أبى مُلَيكة وغيرهما. وقال ابن عباس بمعناه أى يواطئ السمع القلب؛ قال الله تعالى: «لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ» أى ليوافقوا. وقيل: المعنى أشد مهاداً للتصرف فى التفكر والتدبر. والوِطاء خلاف الغِطاء. وقيل: «أَشَدُّ وَطْأً» بسكون الطاء وفتح

الواو أى أشد ثباتا من النهار ؛ فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأنقى[1] لما يلهى ويشغل القلب . والوطء الثبات تقول : وطئت الأرض بقدمى . وقال الأخفش : أشد قياما . الفراء : أثبت قراءة وقياما . وعنه : «أَشَدُّ وَطْأً» أى أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش، فعبادته تدوم ولا تنقطع . وقال الكلبى : « أَشَدُّ وَطْأً » أى أشد نشاطا للمصلى؛ لأنه فى زمان راحته . وقال عبادة : « أَشَدُّ وَطْأً » أى نشاطا للمصلى وأخف ، وأثبت للقراءة .

الرابعـــة ــ قوله تعالى : ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أى القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أى أشد استقامة واستمرارا على الصواب؛ لأن الأصوات هادئة، والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلى ما يقرؤه . قال قتادة ومجاهد : أى أصوب للقراءة وأثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم. وقال أبو على : «أَقْوَمُ قِيلًا» أى أشد استقامة لفراغ البال بالليل. وقيل : أى أعجل إجابة للدعاء . حكاه ابن شجرة . وقال عكرمة: عبادة الليل أتم نشاطا، وأتم إخلاصا، وأكثر بركة . وعن زيد ابن أسلم : أجدر أن يتفقه فى القرآن . وعن الأعمش قال : قرأ أنس بن مالك «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَصْوَبُ قِيلًا» فقيل له : «وَأَقْوَمُ قِيلًا» فقال : أقوم وأصوب وأهيأ سواء . قال أبو بكر الأنبارى : وقد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال: من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما أراد الله وقصد له ، واحتجوا بقول أنس هذا ، وهو قول لا يعرج عليـه ولا يلتفت إلى قائله ؛ لأنه لو قرأ بألفاظ تخالف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها لجاز أن يقرأ فى موضع « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الشكر للبارى ملك المخلوقين، ويتسع الأمر فى هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن، ويكون التالى له مفتريا على الله عز وجل ، كاذبا على رسـوله صلى الله عليه وسلم، ولا حجة لهم فى قول ابن مسعود: نزل القرآن على سبعة أحرف، إنما هو كقول أحدكم : هَلُمَّ وتعال وأقبل، لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورة المنقولة بالأسانيد

(١) فى نسخة : وأنق .

الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا آختلفت ألفاظها، وآتفقت معانيها، كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال وأقبل، فأما ما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم رضى الله عنهم فإنه من أورد حرفا منه في القرآن بهت ومال وخرج عن مذهب الصواب . قال أبو بكر : والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم ؛ لأنه مبنى على رواية الأعمش عن أنس، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من قبل أن الأعمش رأى أنسا ولم يسمع منه .

الخامسة ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ قراءة العامة بالحاء غير معجمة أي تصرُّفا في حوائجك ، وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا . والسبح الجرى والدوران ، ومنه السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه . وفرس سابح شديد الجرى؛ قال آمرؤ القيس :

مِسَحٌّ إِذا ما السَّابِحاتُ على الوَنَى * أَثَرْنَ الغُبـارَ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ (١)

وقيل : السبح الفراغ، أي إن لك فراغا للحاجات بالنهار . وقيل : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا » أي نوما والتسبح التمدّد ؛ ذكره الخليل . وعن آبن عباس وعطاء : « سَبْحًا طَوِيلًا » يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك ، فآجعل ناشئة الليل لعبادتك . وقال الزجاج : إن فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الآستدراك .

وقرأ يحيى بن يَعْمَر وأبو وائل « سَبْخًا » بالخاء المعجمة . قال المهدوي : ومعناه النوم ؛ روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة . وقيل : معناه الخفة والسعة والآستراحة ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق ردائها : "لا تُسَبِّخى عنه بدعائك عليه" أي لا تخففى عنه إثمه ؛ قال الشاعر :

---

(١) مسح : معناه يصب الجرى صبا . والونى : الفتور والكلال . والكديد : الموضع الغليظ . والمركل : الذى يركل بالأرجل . ومعنى البيت : إن الخيل السريعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسح السحاب المطر.

فَسَبِّخْ عليكَ الهَمَّ واعلَمْ بأنَّهُ * إذا قَدَّرَ الرحمنُ شيئاً فكائِنُ

الأصمعيّ : يقال سَبَّخ اللهُ عنك الحُمَّى أي خَفَّفها . وسَبَخ الحرُّ فتر وخفّ . والتَّسبيخ النوم الشديد . والتّسبيخ أيضا توسيع القطن والكتّان والصّوف وتنفيشها ؛ يقال للرأة : سبخى قطنك . والسّبيخُ من القطن ما يسبّخ بعد النّدف أي يُلفّ لتغزله المرأة ، والقطعة منه سبيخة ، وكذلك من الصوف والوبر، ويقال لقطع القطن سبائخ؛ قال الأخطل يصف القُنّاص والكلاب :

فأرسلوهُنّ يَذْرِينَ التّرابَ كما * يَذْرِى سَبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أَوْتارِ

وقال ثعلب : السَّبْخ بالخاء التردّد والاضطراب ؛ والسَّبْخ أيضا السكون ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : "الحُمّى من فَيْح جهنم فسبّخوها بالماء" أي سكّنوها ؛ وقال أبو عمرو : السَّبْخ النوم والفراغ .

قلت : فعلى هذا يكون من الأضداد ، وتكون بمعنى السَّبْح بالحاء غير المعجمة .

قوله تعالى : وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ أي ٱدعه بأسمائه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة . وقيل : أي ٱقصد بعملك وجه ربك . وقال سهل : ٱقرأ باسم الله الرحمن الرحيم في ٱبتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك ، وتقطعك عما سواه . وقيل : ٱذكر ٱسم ربك في وعده ووعيده، لتَوَفَّر على طاعته وتعدل عن معصيته . وقال الكلبي : صلّ لربك أي بالنهار .

قلت : وهذا حسن فإنه لما ذكر الليل ذكر النهار؛ إذ هو قسيمه؛ وقد قال الله تعالى : « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ » (1) على ما تقدّم .

(1) راجع جـ ١٣ ص ٦٥ فما بعدها .

الثانيــة ــ قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ التبتل الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل. أي انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره. يقال: بتلت الشيء أي قطعته، ومنه قولهم. طلّقها بتّة بَتْلَةً، وهذه صدقة بتّة بَتْلة؛ أي بائنة منقطعة عن صاحبها؛ أي قطع ملكه عنها بالكلية؛ ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى، ويقال للراهب متبتل؛ لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة. قال:

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشَاءِ كأنَّها * مَنارةُ مُمْسَى راهِبٍ مُتَبَتِّلِ (١)

وفى الحديث النهى عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات. وقيل: إن أصله عند العرب التفرد؛ قاله ابن عرفة. والأول أقوى لما ذكرنا. ويقال: كيف قال «تبتيلا» ولم يقل تبتلا؟ قيل له: لأن معنى تَبتّل بَتّل نفسه، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل.

الثالثــة ــ قد مضى فى «المائدة» (٢) فى تفسير قوله تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ» [حالُ الدين فى الكراهية] (٣) لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه كفاية. قال ابن العربى: وأما اليوم وقد مَرِجت عهودُ الناس، وخفّت أماناتهم، واستولى الحرام على الحطام (٤)، فالعزلة خير من الخلطة، والعُزْبة أفضل من التأهل، ولكن معنى الآية: انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله، وكذلك قال مجاهد: معناه أخلص له العبادة، ولم يرد التبتل فصار التبتل مأمورا به فى القرآن منهيا عنه فى السنة، ومتعلق الأمر غير متعلق النهى فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم؛ فالتبتل المأمور به الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة كما قال تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى

(١) البيت من معلقة امرئ القيس ومعناه: إذا ابتسمت بالليل رأيت لثناياها بريقا وضوءا، وإذا برزت فى الظلام استنار وجهها حتى يغلب ظلمة الليل. وممسى راهب أى إمساؤه.

(٢) راجع جـ ٦ ص ٢٦١ فما بعدها. (٣) الزيادة من ابن العربى.

(٤) فى نسخة: الحكام.

فى ترك النكاح والترهب فى الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شَعَف الجبال ومواقع القَطْر، يفرّ بدينه من الفتن .

قوله تعالى : رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ﴾ قرأ أهل الحرمين وآبن محيصن ومجاهد وأبو عمرو وآبن أبى إسحق وحفص « رَبُّ » بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾. وقيل : على إضمار «هو» . الباقون « رَبِّ » بالخفض على نعت الرب تعالى فى قوله تعالى : « وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ » « رَبِّ الْمَشْرِقِ » ومن علم أنه ربّ المشارق والمغارب انقطع بعمله وأمله إليه . ﴿ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ أى قائما بأمورك . وقيل : كفيلا بما وعدك .

قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أى من الأذى والسبّ والاستهزاء ، ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع من دعائهم . ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ أى لا تتعرض لهم ، ولا تشتغل بمكافأتهم ، فإن فى ذلك ترك الدعاء إلى الله . وكان هذا قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم ، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك ؛ قاله قتادة وغيره . وقال أبو الدرداء : إنا لَنَكْشِرُ فى وجوه [أقوام](١) ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم .

قوله تعالى : ﴿ وَذَرْنِى والْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى آرض بى لعقابهم . نزلت فى صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين . وقال مقاتل : نزلت فى الْمُطْعِمين يوم بدر وهم عشرة ، وقد تقدّم ذكرهم فى « الأنفال »(٢) . وقال يحيى بن سلّام : إنهم بنو المغيرة . وقال سعيد بن جبير أخبرت أنهم آثنا عشر رجلا . ﴿ أُولِى النَّعْمَةِ ﴾ أولى الغنى والترفّه واللذة فى الدنيا . ﴿ وَمَهِّلْهُمْ

---

(١) الزيادة من نهاية آبن الأثير . (٢) راجع جـ ٨ ص ٥٣ .

قَلِيلاً ﴾ يعنى إلى مدّة آجالهم . قالت عائشة رضى الله عنها : لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر . وقيل : « وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً » يعنى إلى مدة الدنيا .

قوله تعالى : إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيماً ﴿١٢﴾ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ﴾ الأنكال القيود . عن الحسن ومجاهد وغيرهما واحدها نِكل وهو ما منع الإنسان من الحركة . وقيل سمى نِكلا ؛ لأنه ينكل به . قال الشعبى أترون أن الله تعالى جعل الأنكال فى أرجل أهل النار خشية أن يهربوا ؟ لا والله ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا ٱستفلت بهم . وقال الكلبى : الأنكال الأغلال . والأول أعرف فى اللغة ؛ ومنه قول الخنساء :

دَعاكَ فَقَطَّعْتَ أَنْكالَهُ * وقَدْ كُنَّ[1] قَبْلَكَ لا تُقْطَعُ

وقيل : إنه أنواع العذاب الشديد ؛ قاله مقاتل . وقد جاء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يحبّ النَّكَل على النَّكَل " بالتحريك ، قاله الجوهرى . قيل : وما النَّكَل؟ قال : " الرجل القوىّ المجرَّب على الفرس القوىّ المجرَّب " ، ذكره الماوردى . قال : ومن ذلك سمى القيد نِكلا لقوته ، وكذلك الغُلّ وكل عذاب قوى فٱشتد . والجحيم النار المؤججة . ﴿ وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ ﴾ أى غير سائغ ؛ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج ، وهو الغسلين والزّقوم والضّريع ؛ قاله ٱبن عباس . وعنه أيضا : أنه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج . وقال الزجاج : أى طعامهم الضّريع ؛ كما قال : « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ » وهو شوك كالعوسج . وقال مجاهد : هو الزقوم ؛ كما قال : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ » . والمعنى واحد وقال حُمْران بن أَعْيَن : قرأ النبى صلى الله عليه وسلم " إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً . وَطَعَاماً ذَا غُصَّة "

(١) فى ديوان الخنساء : ظن .

فصعق . وقال خليد بن حسان : أمسى الحسن عندنا صائما ، فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية « إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا » فقال : آرفع طعامك . فلما كانت الثانية أتيته بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال : آرفعوه . ومثله فى الثالثة ، فآنطلق آبنه إلى ثابت البُنَانى و يزيد الضَّبىّ ويحيى البكّاء فحدّثهم فجاءوه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سَوِيق . والغُصَّة الشَّجا وهو ما يَنْشَب فى الحلق من عَظْم أو غيره وجمعها غُصَصٌ . والغَصَصُ بالفتح مصدر قولك : غَصِصْتَ يا رجل تَغَصّ فأنت غاصّ بالطعام وغصّان ، وأغصصته أنا ، والمنزل غاصٌّ بالقوم أى ممتلئ بهم .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ أى تتحرك وتضطرب بمن عليها . وآنتصب « يَوْمَ » على الظرف أى ينكل بهم ويعذّبون « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ » . وقيل : بنزع الخافض يعنى هذه العقوبة فى يوم ترجف الأرض والجبال . وقيل : العامل « ذَرْنِى » أى وذرنى والمكذبين يوم ترجف الأرض والجبال . ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾ أى وتكون . والكثيب الرمل المجتمع ؛ قال حسان :

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَثِيبِ * كَخَطِّ الْوَحْيِ فى الْوَرَقِ الْقَشِيبِ (١)

والمَهِيل الذى يمرّ تحت الأرجل . قال الضحاك والكلبى : المهيل هو الذى إذا وطئته بالقدم زلّ من تحتها ، وإذا أخذت أسفله آنهال . وقال آبن عباس : « مَهِيلًا » أى رملا سائلا متناثرا . وأصله مَهْيول وهو مَفْعول من قولك : هِلْت عليه التراب أَهِيله هَيْلا إذا صببته . يقال : مَهِيل ومَهْيول، ومَكِيل ومَكْيول، ومَدِين ومَدْيون، ومَعِين ومَعْيون؛ قال الشاعر (٢) :

قد كان قَوْمُك يَحْسَبونَك سَيِّدًا * وإِخَالُ أنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنهم شكوا إليه الجُدُوبة؛ فقال : "أَتَكِيلون أم تَهِيلون"

---

(١) ويروى فى الرق . والوحى هنا الكتابة . والقشيب : الجديد . شبه حسان رضى الله عنه آثار الديار بالسطور .

(٢) هو عباس بن مرداس .

قالوا : نَهِيل . قال : " كِيلوا طعامكم يُبَارَكْ لكم فيه " . وأَهْلت الدقيقَ لغة فى هلت فهو مُهال ومَهِيل . وإنما حذفت الواو ؛ لأن الياء تثقل فيها الضمة فحذفت فسكنت هى والواو فحذفت الواو لالتقاء الساكنين .

قوله تعالى : إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ﴾ يريد النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى قريش ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ وهو موسى ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ أى كذب به ولم يؤمن . قال مقاتل : ذكر موسى وفرعون ؛ لأن أهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفّوا به ؛ لأنه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى موسى ؛ لأنه رباه ونشأ فيما بينهم ، كما قال تعالى : « أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا » . قال المهدوى : ودخلت الألف واللام فى الرسول لتقدّم ذكره ؛ ولذلك اختير فى أوّل الكتب سلام عليكم وفى آخرها السلام عليكم . ﴿ وَبِيلًا ﴾ أى ثقيلا شديدا وضَرْب وبيل وعذاب وبيل أى شديد ، قاله ابن عباس ومجاهد . ومنه مطر وابل أى شديد ؛ قاله الأخفش . وقال الزجاج : أى ثقيلا غليظا . ومنه قيل للطر وابل . وقيل : مهلكا [والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة] (1) قال :

أَكَلْتِ بَنِيكِ أَكْلَ الضَّبِّ حتى * وجَدْتِ مَرارةَ الكَلَإِ الوَبِيلِ

واستوبل فلان كذا أى لم يحمَد عاقبته . وماء وبيل ؛ أى وخيم غير مرىء ، وكلأٌ مستوبَل وطعام وبيل ومُستوبَلٌ إذا لم يُمْرِئْ ولم يُسْتَمْرأ ؛ قال زهير :

(1) الزيادة من حاشية الجمل نقلا عن القرطبي ونص بأنها عبارته .

فَقَضَوْا مَنايَاَ بَيْنَهُمْ ثم أَصْدَرُوا * إِلَى كَلَإٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَـوَخِّمِ

وقالت الخنساء :

لَقَدْ أَكَلَتْ بَجِيلَةُ يومَ لاقَتْ * فَوَارِسَ مَالكٍ أَكْلاً وَبِيلَا

والوبيل أيضا العصا الضخمة ؛ قال :

لَوْ أَصْبَحَ فى يُمْنَى يَدَىَّ زِمامُها * وفِى كَفِّىَ الأُخْرى وَبِيلٌ تُحاذِرُهُ

وكذلك المَوْبِل بكسر الباء ، والمَوْبِلة أيضا الحُزْمة من الحطب ، وكذلك الوَبِيل ؛ قال طَرَفة :

* عَقِيلَةُ شَيْخٍ كالوَبِيل يَلَنْدَدِ (١) *

قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ﴾ هو توبيخ وتقريع . أى كيف تتقون العذاب إن كفرتم . وفيه تقديم وتأخير ؛ أى كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم . وكذا قراءة عبد الله وعطية . قال الحسن : أى بأى صلاة تتقون العذاب ؟ بأى صوم تتقون العذاب ؟ . وفيه إضمار ؛ أى كيف تتقون عذاب يوم . وقال قتادة : والله ما يتّقِى من كفر بالله ذلك اليوم بشىء . و « يوما » مفعول بـ « تتقون » على هذه القراءة وليس بظرف ، و إن قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول « كفرتم » . وقال بعض المفسرين : وقف التمام على قوله « كفرتم » والابتداء « يوما » يذهب إلى أن اليوم مفعول « يجعل » والفعل لله عز وجل ، وكأنه قال : يجعل الله الولدان شيبا فى يوم . قال ابن الأنبارى : وهذا لا يصلح ؛ لأن اليوم هو الذى يفعل هذا من شدّة هوله . المهدوى : والضمير فى « يجعل » يجوز أن يكون لله عز وجل ، و يجوز أن يكون لليوم ، و إذا كان لليوم صلح أن يكون صفة له ، ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عز وجل إلا مع تقدير حذف ؛ كأنه قال : يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا . ابن الأنبارى : ومنهم من نصب اليوم

(١) يلندد شديد الخصومة . وصدر البيت :

* فمرّت كهاة ذات خيف جلالة *

بـ « كفرتم » وهذا قبيح ؛ لأن اليوم إذا علق بـ « كفرتم » احتاج إلى صفة . أى كفرتم بيوم . فإن احتج محتج بأن الصفة قد تحذف و ينصب ما بعدها ، احتججنا عليه بقراءة عبد الله « فَكَيْفَ تَتَّقُونَ يوماً » .

قلت : هذه القراءة ليست متواترة ، و إنما جاءت على وجه التفسير . و إذا كان الكفر بمعنى الجحود فـ « يوما » مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها ؛ أى فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء . وقرأ أبو السَّمَّال قَعْنَب « فكيف تتقونِ » بكسر النون على الإضافة . و « الوِلْدَانَ » الصبيان . وقال السدى : هم أولاد الزنى . وقيل : أولاد المشركين . والعموم أصح ؛ أى يشيب فيه الصغير من غير كبر . وذلك حين يقال : "يا آدم قم فابعث بعث النار" . على ما تقدم فى أوّل سورة «الحج»(1) . قال القشيرى : ثم إن أهل الجنة يغير الله أحوالهم وأوصافهم على ما يريد . وقيل : هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز ؛ لأن يوم القيامة لا يكون فيه وِلْدانٌ ، ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبى لشاب رأسه من الهيبة . و يقال : هذا وقت الفزع ، وقبل أن ينفخ فى الصور نفخة الصعق ؛ فالله أعلم . الزمخشرى : وقد مر بى فى بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب ، فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة ، فقال : أُرِيت القيامة والجنة والنار فى المنام ، ورأيت الناس يقادون فى السلاسل إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون . و يجوز أن يوصف اليوم بالطول ، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب .

قوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ أى متشققة لشدّته . ومعنى « بِهِ » أى فيه ؛ أى فى ذلك اليوم لهوله . هذا أحسن ما قيل فيه . و يقال : مثقلة به إثقالا يؤدّى إلى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه ؛ كقوله تعالى : « ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ » . وقيل « بِهِ » أى له أى لذلك اليوم ؛ يقال : فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك والباء واللام وفى متقاربة فى مثل هذا الموضع ؛ قال الله تعالى : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » أى فى يوم القيامة . وقيل : « بِهِ » أى بالأمر أى السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا .

(1) راجع جـ ١٢ ص ٢ فما بعدها .

وقيل : منفطر بالله أي بأمره . وقال أبو عمرو بن العلاء : لم يقل منفطرة ؛ لأن مجازها السقف ؛ تقول : هذا سماء البيت ؛ قال الشاعر :

فلو رفع السماءُ إليه قوماً * لحقنا بالسماء وبالسحاب

وفي التنزيل : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً » . وقال الفراء : السماء يذكر ويؤنث . وقال أبو علي : هو من باب الجراد المنتشر، والشجر الأخضر، و« أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ » . وقال أبو علي أيضا : أي السماء ذات انفطار ؛ كقولهم : امرأة مرضع أي ذات إرضاع ؛ فجرى على طريق النسب . ﴿ كَانَ وَعْدُهُ ﴾ أي بالقيامة والحساب والجزاء ﴿ مَفْعُولًا ﴾ كائنا لا شك فيه ولا خلف . وقال مقاتل : كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾ يريد هذه السورة أو الآيات عظة . وقيل : آيات القرآن إذ هو كالسورة الواحدة . ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ ﴾ أي من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك إلى ربه ﴿ سَبِيلًا ﴾ أي طريقا إلى رضاه ورحمته فليرغب فقد أمكن له ؛ لأنه أظهر له الحجج والدلائل . ثم قيل : نسخت بآية السيف ، وكذلك قوله تعالى : « فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ » قال الثعلبي : والأشبه أنه غير منسوخ .

قوله تعالى : إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

فيه ثلاث عشرة مسئلة :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ هـذه الآية تفسير لقوله تعالى : « قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ » كما تقـدم ، وهى الناسخة لفرضية قيام الليل كما تقدم. « تَقُومُ » معناه تصلّى و ﴿ أَدْنَى ﴾ أى أقل . وقرأ ابن السَّمَيقع وأبو حيوة وهشام عن أهـل الشام ﴿ ثُلْثَى ﴾ بإسكان اللام . ﴿ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِـهِ ﴾ بالخفض قراءة العامة عطفا على « ثُلُثَى » ؛ المعنى: تقوم أدنى من ثلثى الليل ومن نصفه وثلثه. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ كقوله تعـالى : « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ » فكيف يقومون نصفه أو ثلثه وهم لا يحصونه . وقرأ ابن كثير والكوفيون « وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ » بالنصب عطفا على « أَدْنَى » التقدير : تقوم أدنى من ثلثى الليل وتقوم نصفَه وثلثَه . قال الفراء : وهو أشبه بالصواب ؛ لأنه قال أقل من الثلثين ، ثم ذكر نفس القِلة لا أقل من القلة . القشيرى : وعلى هذه القراءة يحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف ، لخفة القيام عليهم بذلك القدر ، وكانوا يزيدون وفى الزيادة إصابة المقصـود ، فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامـه فلا يصيبونه وينقصون منـه . ويحتمل أنهم أمروا بقيام نصف الليل ، ورخص لهم فى الزيادة والنقصان ، فكانوا ينتهون فى الزيادة إلى قـريب من الثلثـين وفى النصف إلى الثلث . ويحتمل أنهم قـدّر لهم النصف وأنقص إلى الثلث والزيادة إلى الثلثين ، وكان فيهم من يفى بذلك ، وفيهم من يترك ذلك إلى أن نسخ عنهم . وقال قوم : إنما افترض الله عليهم الربع وكانوا ينقصون من الربع . وهذا القول تحكم .

الثانيـــة ــ قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ أى يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها ، وأنتم تعلمون بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ . ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ ﴾ أى لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به . وقيل : أى لن تطيقوا قيام الليل . والأول أصح ؛ فإنّ قيام الليل ما فرض كله قط . قال مقاتل(١) وغيره : لمـا نزلت « قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ

(١) فى نسخة : قال النقاش .

أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ » شق ذلك عليهم ، وكان الرجل لا يدرى متى نصف الليل من ثلثه ، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ ، فآنتفخت أقدامهم ، وآنتُقعت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفّف عنهم ؛ فقال تعالى : « عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ » و « أَنْ » مخففة من الثقيلة ؛ أى علم أنكم لن تحصوه ؛ لأنكم إن زدتم ثقل عليكم ، وآحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضا ، وإن نقصتم شق ذلك عليكم .

الثالثة — قوله تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أى فعاد عليكم بالعفو، وهذا يدل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به . وقيل : أى فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم . وأصل التوبة الرجوع كما تقدّم ؛ فالمعنى رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف ، ومن عسر إلى يسر . وإنما أمروا بحفظ الأوقات على طريق التحرى، فخفف عنهم ذلك التحرى . وقيل : معنى «وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» يخلقهما مقدّرين؛ كقوله تعالى: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا» . آبن العربى : تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم ، وإنما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ فيه قولان : أحدهما أن المراد نفس القراءة؛ أى فآقرءوا فيما تصلّونه بالليل ما خفّ عليكم . قال السدى : مائة آية . الحسن : من قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجّه القرآن . وقال كعب : من قرأ فى ليلة مائة آية كتب من القانتين . وقال سعيد : خمسون آية .

قلت : قول كعب أصح ؛ لقوله عليه السلام: "من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين[1]" خرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده من حديث عبد الله بن عمرو . وقد ذكرناه فى مقدّمة الكتاب[2] والحمد لله . القول الثانى : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ أى فصلّوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى قرآنا؛ كقوله تعالى : « وَقُرْآنَ الْفَجْرِ » أى صلاة الفجر . آبن العربى : وهو الأصح ؛ لأنه عن الصلاة أخبر وإليها يرجع القول .

(١) أى أعطى من الأجر قنطارا . (٢) راجع جـ ١ ص ٩ طبعة ثانية أو ثالثة .

قلت : الأوّل أصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ ، والقول الثانى مجاز فإنه من تسمية الشيء ببعض ماهو من أعماله .

الخامســة ـ قال بعض العلماء قوله تعـالى : « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْـهُ » نَسخ قيامَ الليـل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليـه . ثم احتمل قول الله عز وجل : « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْـهُ » معنيين أحدهما أن يكون فرضا ثانيا؛ لأنه أزيل به فرضٌ غيره . والآخر أن يكون فرضـا منسوخا أزيل بغـيره كما أزيل به غيره؛ وذلك لقوله تعـالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا » فاحتمل قوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْـلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » أى يتهجد بغـير الذى فرض عليه ممـا تيسر منه . قال الشافعى : فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين، فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس .

السادســة ـ قال القشيرى أبو نصر : والمشهور أن نسخ قيـام الليل كان فى حقّ الأمة، وبقيت الفريضة فى حـقّ النبىّ صلى الله عليه وسلم . وقيـل : نسخ التقدير بمقدار وبقى أصل الوجوب؛ كقوله تعالى : « فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ » فالهدى لابدّ منه ، كذلك لم يكن بدٌّ من صلاة الليل، ولكن فوض قدره إلى اختيار المصلى؛ وعلى هذا فقد قال قوم : فرض قيـام الليل بالقليل باق . وهو مذهب الحسن . وقال قوم : نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلا . وهو مذهب الشافعى . ولعل الفريضة التى بقيت فى حقّ النبىّ صلى الله عليه وسلم هى هذا، وهو قيامه ومقداره مفوّض إلى خيرته . وإذا ثبت أن القيام ليس فرضا فقوله تعـالى : « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » معناه اقرءوا إن تيسر عليكم ذلك وصلوا إن شئتم . وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية تقرّر فى حقّ النبىّ صلى الله عليه وسـلم أيضا ، فمـا كانت صلاة الليل واجبة عليه . وقوله : « نَافِلَةً لَكَ » محمول على حقيقة النفل . ومن قال : نسخ المقدار وبقى أصل وجوب قيام الليل ثم نسخ، فهذا النسخ الثانى وقع ببيان مواقيت الصلاة؛ كقوله تعالى : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ » وقوله : « فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

تُصْبِحُونَ » وما فى الخبر من أن الزيادة على الصلوات الخمس تطوّع . وقيل : وقع النسخ بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » والخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم وللأمة ، كما أنّ فرضية الصلاة وإن خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « يَأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ » كانت عامة له ولغيره . وقد قيل : إن فريضة الليل آمتدّت إلى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة؛ لقوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ » وإنما فرض القتال بالمدينة ؛ فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » . وقال آبن عباس : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخ قول الله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ » وجوبَ صلاة الليل .

السابعة — قول الله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ﴾ الآية ؛ بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل، فإن الخلق منهم المريض ويشقّ عليهم قيام الليل، ويشق عليهم أن تفوتهم الصلاة، والمسافر فى التجارات قد لا يطيق قيام الليل، والمجاهد كذلك فخفف الله عن الكل لأجل هؤلاء . و« أَنْ » فى « أَنْ سَيَكُونُ » مخففة من الثقيلة ؛ أى علم أنه سيكون .

الثامنة — سوّى الله تعالى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان والإفضال ، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد ؛ لأنه جمعه مع الجهاد فى سبيل الله . وروى إبراهيم عن علقمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ » وقال آبن مسعود : أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا ، فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء . وقرأ « وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ » الآية . وقال آبن عمر: ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت فى سبيل الله أحبّ إلىّ من الموت بين شعبتي رَحْلي أبتغى من

فضل الله ضاربا فى الأرض . وقال طاوس : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله . وعن بعض السلف أنه كان بواسط ، فجهز سفينة حنطة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله : بِع الطعام يوم تدخل البصرة ، ولا تؤخره إلى غد ؛ فوافق سعةً فى السعر ؛ فقال التجار للوكيل : إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأخره جمعة فربح فيه أمثاله ، فكتب إلى صاحبه بذلك ، فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا ! إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا ، وقد جنيت علينا جناية ، فإذا أتاك كتابى هذا فخذ المال وتصدّق به على فقراء البصرة ، وليتنى أنجو من الاحتكار كفافا لا علىّ ولا لى . ويروى أن غلاما من أهل مكة كان ملازما للمسجد ، فافتقده ابن عمر ، فمشى إلى بيته فقالت أمه : هو على طعام له يبيعه ؛ فلقيه فقال له : يا بنىّ ! مالك وللطعام ؟ فهلا إبلا ، فهلا بقرا ، فهلا غنما : إن صاحب الطعام يحب المَحْل ، وصاحب الماشية يحب الغيث .

التاسعة ــ قوله تعالى : « فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » أى صلوا ما أمكن ؛ فأوجب الله من صلاة الليل ما تيسر ، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس على ما تقدم . قال ابن العربى : وقد قال قوم إن فرض قيام الليل سُنّ فى ركعتين من هذه الآية ؛ قاله البخارى وغيره ، وعقد بابا ذكر فيه حديث " يَعقِد الشيطانُ على قافية[(1)] رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقَد يضرب على كل عُقْدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عُقْدة فإن توضأ انحلت عُقْدة فإن صلى انحلت عُقَده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " وذكر حديث سَمُرة بن جُنْدب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا قال : " أما الذى يُثْلَغ[(2)] رأسُه بالحجر فإنه يأخذ القرآن فيرفُضه[(3)] وينام عن الصلاة المكتوبة " وحديث عبد الله بن مسعود قال : ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال : " ذلك رجل بال الشيطان فى أذنيه " فقال ابن العربى : فهذه أحاديث مقتضية حمل مطلق الصلاة على المكتوبة فيحمل المطلق على المقيد ؛ لاحتماله له ، وتسقط الدعوى ممّن عيّنه

---

(1) قافية الرأس مؤخره ، وقيل : وسطه ؛ أراد تثقيله فى النوم وإطالته .

(2) الثلغ : وهو ضربك الشىء الرطب بالشىء اليابس حتى ينشدخ . (3) يرفضه : يتركه .

لقيام الليل . وفى الصحيح واللفظ للبخارى : قال عبد الله بن عمرو، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل " ولو كان فرضا ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم عليه، ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه، بل كان يذمه غاية الذم. وفى الصحيح عن عبد الله بن عمر قال : كان الرجل فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكنت غلاما شابا عزبا، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله صلى عليه وسلم ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، و إذا لها قرنان ، و إذا فيها ناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار . قال : ولقينا ملك آخر ، فقال لى : لم ترع[1] . فقصصتها على حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل" فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا ؛ فلو كان ترك القيام معصية لما قال له الملك : لم ترع . والله أعلم .

العاشرة — إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرض، وأن قوله : «فاقرءوا ما تيسر من القرآن» . «فاقرءوا ما تيسر منه» محمول على ظاهره من القراءة فى الصلاة، فاختلف العلماء فى قدر ما يلزمه أن يقرأ به فى الصلاة ؛ فقال مالك والشافعى : فاتحة الكتاب لا يجزئ العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها ، وقدره أبو حنيفة بآية واحدة من آى القرآن كانت . وعنه ثلاث آيات ؛ لأنها أقل سورة . ذكر القول الأول الماوردى والثانى ابن العربى . والصحيح ما ذهب إليه مالك والشافعى على ما بيناه فى سورة « الفاتحة[2] » أول الكتاب والحمد لله . وقيل : إن المراد به قراءة القرآن فى غير الصلاة ؛ قال الماوردى : فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولا على الوجوب، أو على الاستحباب دون الوجوب . وهذا قول الأكثرين ؛ لأنه لو وجب عليه أن يقرأه لوجب عليه أن يحفظه . الثانى أنه محمول على الوجوب ؛ ليقف بقراءته على إعجازه ، وما فيه من دلائل التوحيد و بعث الرسل ، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل

---

(١) لم ترع : لا روع ولا خوف عليك بعد ذلك . (٢) راجع جـ١ ص١٢٣ طبعة ثانية أو ثالثة

التوحيد منه أن يحفظه؛ لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة . وفى قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال : أحدها جميع القرآن؛ لأن الله تعالى يسره على عباده؛ قاله الضحاك . الثانى ثلث القرآن؛ حكاه جويبر . الثالث مائتا آية؛ قاله السدى . الرابع مائة آية؛ قاله ابن عباس . الخامس ثلاث آيات كأقصر سورة؛ قاله أبو خالد الكنانى .

الحادية عشرة ــ قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ يعنى المفروضة وهى الخمس لوقتها . ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ الواجبة فى أموالكم؛ قاله عكرمة وقتادة . وقال الحرث العُكْلىّ : صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك . وقيل : صدقة التطوع . وقيل : كل أفعال الخير . وقال ابن عباس : طاعة الله والإخلاص له .

الثانية عشرة ــ قوله تعالى : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب . وقد مضى فى سورة « الحديد »(١) بيانه . وقال زيد ابن أسلم : القرض الحسن النفقة على الأهل . وقال عمر بن الخطاب : هو النفقة فى سبيل الله .

الثالثة عشرة ــ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ تقدّم فى سورة « البقرة »(٢) . وروى عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حيسا ــ يعنى تمرا بلبن ــ فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه . فقال بعضهم : مايدرى هذا المسكين ماهذا؟ فقال عمر : لكن ربّ المسكين يدرى ما هو . وكأنه تأول « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا » أى مما تركتم وخلفتم، ومن الشح والتقصير . ﴿ وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ قال أبو هريرة : الجنة؛ ويحتمل أن يكون أعظم أجرا؛ لإعطائه بالحسنة عشرا . ونصب « خيرًا وأعظمَ » على المفعول الثانى لـ « تَجِدُوهُ » و « هو » فصل عند البصريين، وعماد فى قول الكوفيين لا محل له من الإعراب . و « أجرًا » تمييز . ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ﴾ أى سلوه المغفرة لذنوبكم ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما كان قبل التوبة ﴿ رَحِيمٌ ﴾ لكم بعدها؛ قاله سعيد بن جبير . ختمت السورة .

---

(١) راجع جـ ١٧ ص ٢٥٢

(٢) راجع ٢ ص ٧٣ طبعة ثانية .

سورة المدثر

مكية فى قول الجميع وهى ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) ﴾

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ أى ياذا الذى قد تدثر بثيابه ، أى تغشى بها ونام، وأصله المتدثر فأدغمت التاء فى الدال لتجانسهما . وقرأ أبى « المُتَدَثِّر » على الأصل . وقال مقاتل : معظم هذه السورة فى الوليد بن المغيرة . وفى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحدِّث — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحى — قال فى حديثه : " فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والأرض " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فَجُئِثْتُ (١) منه فرقا فرجعت فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل الله تعالى " ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ " فى رواية — قبل أن تفرض الصلاة — وهى الأوثان قال : " ثم تتابع الوحى " خرجه الترمذى أيضا وقال : حديث حسن صحيح . قال مسلم : وحدثنا زهير بن حرب ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعى قال : سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة أى القرآن أنزل قبل ؟ قال : « يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » فقلت : أو « اقرأ » فقال :

(١) جئثت أى فزعت وخفت وفى رواية جثثت بثاءين بمعناه .

سألت جابر بن عبد الله أىّ القرآن أنزل قبلُ ؟ قال : « يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ » فقلت : أو « آقرأ » فقال جابر : أحدّثكم ما حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : " جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فآستبطنت بطن الوادى فنوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر أحدا ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسى فإذا هو على العرش فى الهواء ــ يعنى جبريل صلى الله عليه وسلم ــ فأخذتنى رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثّرونى فدثّرونى فصبّوا علىّ ماء فأنزل الله عز وجل « يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » خرّجه البخارى وقال فيه : " فأتيت خديجة فقلت دثّرونى وصبّوا علىّ ماء باردا فدثّرونى وصبّوا علىّ ماء باردا فنزلت « يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» " . آبن العربى : وقد قال بعض المفسرين إنه جرى على النبى صلى الله عليه وسلم من عُقْبة [بن ربيعة] (١) أمر فرجع إلى منزله مغموما ، فقلق وآضطجع فنزلت : « يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» وهذا باطل . وقال القشيرى أبو نصر. وقيل بلغه قول كفار مكة أنت ساحر فوجد من ذلك غمّا وحُمّ فتدثر بثيابه ، فقال الله تعالى : « قُمْ فَأَنْذِرْ » أى لا تفكر فى قولهم وبلغهم الرسالة . وقيل : آجتمع أبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وأمية بن خلف والعاص بن وائل ومُطعِم بن عدىّ وقالوا : قد آجتمعت وفود العرب فى أيام الحج ، وهم يتساءلون عن أمر محمد وقد آختلفتم فى الإخبار عنه ؛ فمن قائل يقول مجنون ، وآخر يقول كاهن ، وآخر يقول شاعر ، وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع فى رجل واحد ، فسموا محمدا بآسم واحد يجتمعون عليه وتسميه العرب به ، فقام منهم رجل فقال : شاعر ؛ فقال الوليد : سمعت كلام آبن الأبرص وأمية بن أبى الصَّلْت ، وما يشبه كلامُ محمد كلامَ واحد منهما ؛ فقالوا : كاهن . فقال : الكاهن يَصدُق ويكذب وما كَذَب محمد قط ؛ فقام آخر فقال : مجنون ؛ فقال الوليد : المجنون يَخْنُق الناس وما خَنَق محمد قط . وآنصرف الوليد إلى بيته فقالوا : صبأ الوليد بن المغيرة ؛ فدخل عليه أبو جهل وقال : مالك يا أبا عبد شمس!

---

(١) الزيادة من آبن العربى .

هذه قريش تجمع لك شيئا يعطونكه ، زعموا أنك قد ٱحتجت وصبأت . فقال الوليد : مالى إلى ذلك حاجة ، ولكنى فكرت فى محمد ، فقلت : ما يكون من الساحر؟ فقيل : يفرق بين الأب وٱبنه ، و بين الأخ وأخيه ، و بين المرأة وزوجها ، فقلتُ : إنه ساحر . شاع هــذا فى الناس وصاحوا يقولون : إن محمدا ساحر . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته محزونا فتدثّر بقطيفة ، ونزلت : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ » . وقال عِكرمة : معنى « يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ » أى المدثر بالنبوّة وأثقالها . ٱبن العربى : وهذا مجاز بعيد ؛ لأنه لم يكن تنبأ بعد . وعلى أنها أوّل القرآن لم يكن تمكن منها بعد أن كانت ثانى ما نزل .

الثانيــــة ـــ قوله تعالى : « يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ » ملاطفة فى الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذا ناداه بحاله ، وعبر عنه بصفته ، ولم يقــل يا محمد و يافلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدّم فى سورة « المزمّل » . ومثله قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى إذ نام فى المسجد : " قم أبا تراب " وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضى الله عنها فسقط رداءه وأصابه ترابه ؛ خرجه مسلم . ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق : " قم يا نومان " وقد تقدّم .

الثالثـــة ـــ قوله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ أى خوّف أهل مكة وحذّرهم العــذاب إن لم يُسلموا . وقيل : الإنذار هنا إعلامهم بنبوّته ؛ لأنه مقدمة الرسالة . وقيل : هو دعاؤهم إلى التوحيد ؛ لأنه المقصود بها . وقال الفراء : قم فصل وأمر بالصلاة .

الرابعــــة ـــ قوله تعالى : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أى سيدك ومالكك ومصلح أمرك فعظم ، وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد . وفى حديث أنهم قالوا : بم تُفتتح الصلاةُ؟ فنزلت « وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » أى وصفه بأنه أكبر . قال ٱبن العربى : وهــذا القول وإن كان يقتضى بعمومه تكبير الصلاة ، فإنه مراد فيه تكبير التقديس والتنزيه بخلع الأنداد والأصنام دونه ، ولا تتخذ وليا غيره ، ولا تعبد سواه ، ولا ترى لغيره فعلا إلا له ، ولا نعمة إلا منه ؛ وقــد روى أن أبا ســفيان قال يوم أُحُد : ٱعلُ هُبَل ؛ فقال النبى صلى الله عليــه وسلم : " قولوا الله أعلى وأجلّ " وقد صار هــذا اللفظ بعرف الشرع فى تكبير العبادات كلها أذانا

وصلاة وذكرا بقوله : « الله أكبر » وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الإطلاق فى مواردها ؛ منها قوله : " تحريمها التكبير وتحليلها التسليم " والشرع يقتضى بعرفه ما يقتضى بعمومه ، ومن موارده أوقات الإهلال بالذبائح لله تخليصا له من الشرك ، وإعلانا باسمه فى النسك ، وإفرادا لما شرع منه لأمره بالسفك .

قلت : قد تقدم فى أول سورة « البقرة »(١) أن هذا اللفظ « الله أكبر » هو المتعبد به فى الصلاة ، المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفى التفسير : إنه لما نزل قوله تعالى « وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : " الله أكبر " فكبرت خديجة وعلمت أنه الوحى من الله تعالى ؛ ذكره القشيرى .

الخامسة ــ الفاء فى قوله تعالى : « وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ » دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت فى « فَأَنْذِرْ » أى قم فأنذر وقم فكبر ربك ؛ قاله الزجاج . وقال ابن جنى : هو كقولك زيدا فاضرب ؛ أى زيدا اضرب ، فالفاء زائدة .

السادسة ــ قوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثمانية أقوال : أحدها أن المراد بالثياب العمل . الثانى القلب . الثالث النفس . الرابع الجسم . الخامس الأهل . السادس الخلق . السابع الدين . الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر . فمن ذهب إلى القول الأول قال : تأويل الآية وعملك فأصلح ؛ قاله مجاهد وابن زيد . وروى منصور عن أبى رزين قال : يقول وعملك فأصلح ؛ قال : وإذا كان الرجل خبيث العمل قالوا إن فلانا خبيث الثياب ، وإذا كان حسن العمل قالوا إن فلانا طاهر الثياب ؛ ونحوه عن السدى . ومنه قول الشاعر :

لاهُمَّ إنّ عامرَ بن جَهْمِ * أَوْذَمَ حَجًّا فى ثِيابٍ دُسْمِ(٢)

---

(١) راجع جـ ١ ص ١٧٥ .

(٢) ثياب دسم : وسخة ؛ ومعنى البيت : أنه حج وهو متدنس بالذنوب . وأوذم الحج أوجبه .

ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يُحشَر المرءُ فى ثوبيه اللذين مات عليهما" يعنى عمله الصالح والطالح ؛ ذكره الماوردى . ومن ذهب إلى القول الثانى قال : إن تأويل الآية وقلبك فطهر؛ قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ؛ دليله قول امرئ القيس :

* فسُلِّى ثيابى من ثيابك تَنْسُلِ (١) *

أى قلبى من قلبك . قال الماوردى : ولهم فى تأويل الآية وجهان ؛ أحدهما — معناه وقلبك فطهر من الإثم والمعاصى ؛ قاله ابن عباس وقتادة . الثانى — وقلبك فطهر من الغدر ؛ أى لا تغدر فتكون دنس الثياب . وهذا مروى عن ابن عباس ، واستشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفى :

فإنى بحمد الله لا ثوبَ فاجر * لبستُ ولا مِن غَدْرةٍ أتقنَّعُ

ومن ذهب إلى القول الثالث قال : تأويل الآية ونفسك فطهر ؛ أى من الذنوب . والعرب تكنى عن النفس بالثياب ؛ قاله ابن عباس . ومنه قول عنترة :

فشَكَكْتُ بالرُّمح الطَّويلِ ثيابَهُ * ليس الكريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ

وقال امرؤ القيس :

* فَسُلِّى ثيابِى من ثيابِكِ تَنْسُلِ *

وقال (٢) :

ثِيابُ بَنى عوفٍ طَهارَى نقيَّةٌ * وأوجُهُهُمْ بيضُ المَسَافِرِ غُرّانُ

أى أنفس بنى عوف . ومن ذهب إلى القول الرابع قال : تأويل الآية وجسمك فطهر؛ أى عن المعاصى الظاهرة . ومما جاء عن العرب فى الكناية عن الجسم بالثياب قول ليلى ؛ وذكرت إبلا :

رموها بأثيابٍ خِفافٍ فلا تَرَى * لها شَبَهًا إلّا النَّعامَ المُنَفَّرا

---

(١) صدر البيت : * وإن كنت قد ساءتك منى خليقة *

(٢) نسب المؤلف هذا البيت فيما سيأتى لابن أبى كبشة مرة ولامرئ القيس مرة أخرى ، وفى « اللسان » و « شرح القاموس » أنه لامرئ القيس ولم نعثر عليه فى ديوانه ، وقد نسبه ابن العربى لابن أبى كبشة .

أى ركبوها فرموها بأنفسهم . ومن ذهب إلى القول الخامس قال : تأويل الآية وأهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب ؛ والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا وإزارا ؛ قال الله تعالى : «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» . الماوردى : ولهم فى تأويل الآية وجهان ؛ أحدهما ــ معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف . الثانى ــ الاستمتاع بهنّ فى القبل دون الدبر، فى الطهر لا فى الحيض . حكاه ابن بحر . ومن ذهب إلى القول السادس قال : تأويل الآية وخلقك فحسِّن . قاله الحسن والقُرَظى ؛ لأن خلق الإنسان مشتمل على أحواله اشتمال ثيابه على نفسه . وقال الشاعر :

وَيَحْيَى لا يُلامُ بِسوءِ خُلْقٍ * وَيَحْيَى طاهِرُ الأثوابِ حُرُّ

أى حسن الأخلاق . ومن ذهب إلى القول السابع قال : تأويل الآية ودينك فطهر . وفى الصحيحين عنه عليه السلام قال : "ورأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجره" . قالوا : يا رسول الله فما أولت ذلك ؟ قال : الدين . وروى ابن وهب عن مالك أنه قال : ما يعجبنى أن أقرأ القرآن إلا فى الصلاة والمساجد لا فى الطرق، قال الله تعالى : «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» يريد مالك أنه كنى عن الثياب بالدين . وقد روى عبد الله بن نافع عن أبى بكر بن عبد العزيز بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب عن مالك بن أنس فى قوله تعالى : «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» أى لا تلبسها على غدرة ؛ ومنه قول أبى كبشة :

ثِيابُ بَنِى عَوْفٍ طَهارَى نَقِيَّةٌ * وَأَوْجُهُهُمْ بِيضُ المَسَافِرِ غُرَّانُ

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات، ويعنى بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات، أو جمالهم فى الخلقة أو كليهما ؛ قاله ابن العربى . وقال سفيان بن عيينة : لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا إثم ؛ قاله عكرمة . ومنه قول الشاعر :

* أَوْذَمَ حَجًّا فى ثِيابٍ دُسْمِ *

أى قد دنّسها بالمعاصى . وقال النابغة :

رِقاقُ النِّعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهم * يُحيَّوْنَ بالرَّيحانِ يومَ السَّباسِبِ [(1)]

ومن ذهب إلى القول الثامن قال : إن المراد بها الثياب الملبوسات فلهم فى تأويله أربعة أوجه ؛ أحدهما — معناه وثيابك فأنق ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* ثيابُ بنى عَوْفٍ طَهارَى نقيَّةٌ *

الثانى — وثيابك فشمّرْ وقصّرْ ، فإن تقصير الثياب أبعد من النجاسة ، فإذا انجرّت على الأرض لم يؤمن أن يصيبها ما ينجسها ؛ قاله الزجاج وطاوس . الثالث — «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» من النجاسة بالماء ؛ قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء . الرابع — لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام . وعن ابن عباس : لا تكن ثيابك التى تلبس من مكسب غير طاهر . ابن العربى وذكر بعض ما ذكرناه : ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز ، وإذا حملناها على الثياب المعلومة الطاهرة فهى تتناول معنيين : أحدهما — تقصير الأذيال ؛ لأنها إذا أرسلت تدنست ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا : ارفع إزارك فإنه أتقى وأنقى وأبقى . وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : "إِزْرَةُ [(2)] المؤمن إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك ففى النار" فقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم الغاية فى لباس الإزار الكعب وتوعد ما تحته بالنار ، فما بال رجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم ، ثم يتكلفون رفعها بأيديهم ، وهذه حالة الكبر ، وقائدة العجب ، [وأشد ما فى الأمر أنهم يعصون وينجسون ويلحقون أنفسهم] [(3)] بمن لم يجعل الله معه غيره ولا ألحق به سواه . قال النبى صلى الله عليه وسلم : "لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء" ولفظ الصحيح : "من جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" . قال أبو بكر : يارسول الله ! إن أحد

(1) البيت من قصيدة مدح بها عمرو بن الحرث الغسانى . وأراد برقاق النعال أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وبطيب حجزاتهم عفتهم . والسباسب يوم « السعانين » وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا .

(2) الإزرة بالكسر : الحالة وهيئة الائتزار .

(3) الزيادة من ابن العربى .

شق إزارى يسترخى إلا أنى أتعاهد ذلك منه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لست ممن يصنعه خيلاء " فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهى وآستثنى الصدّيق ، فأراد الأدنياء إلحاق أنفسهم بالرفعاء[(١)] ، وليس ذلك لهم . والمعنى الثانى — غسلها من النجاسة وهو ظاهر منها صحيح فيها . المهدوى : وبه آستدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب ؛ قال آبن سيرين وآبن زيد : لا تصلّ إلا فى ثوب طاهر . وآحتج بها الشافعى على وجوب طهارة الثوب . وليست عند مالك وأهل المدينة بفرض ، وكذلك طهارة البدن ، ويدل على ذلك الإجماع على جواز الصلاة بالآستجمار من غير غسل . وقد مضى هذا القول فى سورة « براءة[(٢)] » مستوفى .

قوله تعالى : وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ قال مجاهد وعكرمة : يعنى الأوثان ؛ دليله قوله تعالى : « فَٱجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ » وقاله آبن عباس وآبن زيد . وعن آبن عباس أيضا : والمأثم فآهجر ؛ أى فآترك . وكذا روى مُغيرة عن إبراهيم النَّخَعى قال : الرجز الإثم . وقال قتادة : الرجز إساف ونائلة صنمان كانا عند البيت . وقيل : الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف ؛ المعنى وعمل الرجز فآهجر ، أو العمل المؤدّى إلى العذاب . وأصل الرجز العذاب ، قال الله تعالى : « لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ » وقال تعالى : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ » فسميت الأوثان رجزا ؛ لأنها تؤدّى إلى العذاب . وقراءة العامة «الرِّجْزَ» بكسر الراء . وقرأ الحسن وعكرمة ومجاهد وآبن محيصن وحفص عن عاصم . «والرُّجْزَ» بضم الراء وهما لغتان مثل الذِّكر والذُّكر . وقال أبو العالية والربيع والكسائى : الرُّجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية . وقال الكسائى أيضا : بالضم الوثن وبالكسر العذاب . وقال السدى : الرَّجز بنصب الراء الوعيد[(٣)] .

(١) فى آبن العربى : بالأقصياء . (٢) راجع جـ ٨ ص ٢٦٢ فما بعدها .
(٣) قوله بنصب الراء ... كذا فى نسخ الأصل ولم نظفر به فى المراجع التى بأيدينا .

قوله تعالى : وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾ فيه أحد عشر تأويلا ؛ الأول — لا تمنن على ربك بما تحمله من أثقال النبوة ، كالذى يستكثر ما يتحمله بسبب الغير . الثانى — لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها ؛ قاله ٱبن عباس وعكرمة وقتادة . قال الضحاك : هذا حرمه الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق ، وأباحه لأمته ؛ وقاله مجاهد . الثالث — عن مجاهد أيضا : لا تضعف أن تستكثر من الخير ؛ من قولك حبل متين إذا كان ضعيفا ؛ ودليله قراءة ٱبن مسعود « وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ مِنَ الْخَيْرِ » . الرابع — عن مجاهد أيضا والربيع : لا تعظم عملك فى عينك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله عليك . قال ٱبن كيسان : لا تستكثر عملك فتراه من نفسك ، إنما عملك مِنّة من الله عليك ؛ إذ جعل الله لك سبيلا إلى عبادته . الخامس — قال الحسن : لا تمنن على الله بعملك فتستكثره . السادس — لا تمنن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجرا تستكثر به . السابع — قال القرظى : لا تعط مالك مصانعة . الثامن — قال زيد بن أسلم : إذا أعطيت عطية فأعطها لربك . التاسع — لا تقل دعوت فلم يستجب لى . العاشر — لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ، ولكن ٱصبر حتى يكون الله هو الذى يثيبك عليها . الحادى عشر — لا تفعل الخير لترائى به الناس .

الثانيــة — هذه الأقوال و إن كانت مرادة فأظهرها قول ٱبن عباس : لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال ؛ يقال : مننت فلانا كذا أى أعطيته . و يقال للعطية المِنّة ؛ فكأنه أمر بأن تكون عطاياه لله لا لٱرتقاب ثواب من الخلق عليها ؛ لأنه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ؛ ولهذا قال : " ما لى مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود عليكم " وكان ما يفضل من نفقة عياله مصروفا إلى مصالح المسلمين ؛ ولهذا لم يورث ؛ لأنه كان لا يملك لنفسه الٱدّخار والاقتناء ، وقد عصمه الله تعالى عن الرغبة فى شىء من

الدنيا ؛ ولذلك حرمت عليه الصدقة وأبيحت له الهدية ، فكان يقبلها ويثيب عليها . وقال: " لو دعيت إلى كُرَاع[1] لأجبت ولو أهـدى إلى ذراع لقبلت " ابن العربى : وكان يقبلها سُنّة ولا يستكثرها شرعة، وإذا كان لا يعطى عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالاجتناب ؛ لأنها باب من أبواب المذلة، وكذلك قول من قال : إن معناها لا تعطى عطية تنتظر ثوابها، فإن الانتظار تعلق بالأطماع ، وذلك فى حيزه بحكم الامتناع ، وقد قال الله تعالى له : « وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى » وذلك جائز لسائر الخلق ؛ لأنه من متاع الدنيا ، وطلب الكسب والتكاثر بها . وأما من قال أراد به العمل أى لا تمنن بعملك على الله فتستكثره فهـو صحيح ؛ فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر .

الثالثـة ــ قوله تعالى: «وَلَا تَمْنُنْ» قراءة العامة بإظهار التضعيف. وقرأ أبو السَّمّال العدوى وأشهب العقيلى والحسن « وَلَا تَمُنَّ » مدغمة مفتوحة . « تَسْتَكْثِرُ » قراءة العامة بالرفع وهو فى معنى الحال ، تقول : جاء زيد يركض أى راكضا ؛ أى لا تعط شيئا مقدرا أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه . وقرأ الحسن بالجـزم على جواب النهى وهو ردىء ؛ لأنه ليس بجواب . ويجوز أن يكون بدلا من « تَمْنُنْ » كأنه قال : لا تستكثر . وأنكره أبوحاتم وقال : لأن المنّ ليس بالاستكثار فيبـدل منه . ويحتمل أن يكون سكن تخفيفا كعضـد . أو أن يعتـبر حال الوقف . وقرأ الأعمش ويحيى « تَسْتَكْثِرَ» بالنصب توهم لام كى كأنه قال : ولا تمنن لتستكثر . وقيل : هو بإضمار « أن » كقوله[2] :

« أَلا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِى أَحْضُرُ الوَغَى »

ويؤيده قـراءة ابن مسعود « وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ » . قال الكسائى : فإذا حذف « أن » رفع وكان المعنى واحدا . وقد يكون المنّ بمعنى التعـداد على المنعم عليه بالنعم ، فيرجـع إلى

(١) الكراع بوزان غراب وهو مستدق الساق من الرجل . وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير.
(٢) البيت لطرفة بن العبد من معلقته وتمامه :

* وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى *

القول [الثاني][1]، ويعضده قوله تعالى: « لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى » وقد يكون مرادا في هذه الآية . والله أعلم .

قوله تعالى : وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى ولسيدك ومالكك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته. وقال مجاهد : على ما أوذيت . وقال ابن زيد : حملت أمرا عظيما ؛ محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله . وقيل : فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى . وقيل : فاصبر على البلوى ؛ لأنه يمتحن أولياءه وأصفياءه . وقيل : على أوامره ونواهيه . وقيل : على فراق الأهل والأوطان .

قوله تعالى : فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ إذا نفخ في الصور . والناقور فاعول من النقر ؛ كأنه الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت ؛ والنقر في كلام العرب الصوت ؛ ومنه قول امرئ القيس :

أُخَفِّضُهُ بالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ * وَيَرْفَعُ طَرْفًا غَيْرَ خَافٍ غَضِيضِ

وهم يقولون : نقر باسم الرجل إذا دعاه مختصا له بدعائه . وقال مجاهد وغيره : هو كهيئة البوق ويعنى به النفخة الثانية . وقيل : الأولى ؛ لأنها أول الشدة الهائلة العامة . وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في «النمل»[2] و «الأنعام»[3] وفي كتاب «التذكرة» والحمد لله . وعن أبي حيان قال : أمنا زرارة بن أوفى فلما بلغ « فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ » خرّ ميتا . ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ أى فذلك اليوم يوم شديد ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أى على من كفر

(١) زيادة يقتضيها المعنى . (٢) راجع جـ ١٣ ص ٢٣٩ فما بعدها . (٣) راجع جـ ٧ ص ٢٠

بالله وبأنبيائه صلى الله عليهم ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ أى غير سهل ولا هين؛ وذلك أن عُقَدَهم لا تحل إلا إلى عقدة أشدّ منها ، بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فإنها تحل إلى ما هو أخفّ منها حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى . و « يَوْمَئِذٍ » نصب على تقدير فذلك يوم عسير يومئذ . وقيل : جرّ بتقدير حرف جر؛ مجازه : فذلك فى يومئذ . وقيل : يجوز أن يكون رفعا إلا أنه بنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن .

قوله تعالى : ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ « ذَرْنِي » أى دعنى ؛ وهى كلمة وعيد وتهديد . « وَمَنْ خَلَقْتُ » أى دعنى والذى خلقته وحيدا ؛ فـ« وَحِيدًا » على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف؛ أى خلقته وحده لا مال له ولا ولد، ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته. والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومى، وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه . وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه السلام، وكان يسمى الوحيد فى قومه . قال ابن عباس : كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لى فى العرب نظير، ولا لأبى المغيرة نظير، وكان يسمى الوحيد؛ فقال الله تعالى : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ » بزعمه « وَحِيدًا » لا أن الله تعالى صدّقه بأنه وحيد . وقال قوم : إن قوله تعالى « وَحِيدًا » يرجع إلى الرب تعالى على معنيين؛ أحدهما ــ ذرنى وحدى معه فأنا أجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم . والثانى ــ أنى انفردت بخلقه ولم يشركنى فيه أحد، فأنا أهلكه ولا أحتاج إلى ناصر فى إهلاكه ؛ فـ« وحيدا » على هذا حال من ضمير الفاعل وهو التاء فى « خَلَقْتُ » والأوّل قول مجاهد ؛ أى خلقته وحيدا فى بطن أمه لا مال له ولا ولد فأنعمت عليه فكفر ؛ فقوله « وحيدا » على هذا يرجع إلى الوليد ؛ أى لم يكن له شىء فملكته . وقيل : أراد بذلك ليدله على أنه يبعث وحيدا

كما خلق وحيدا . وقيل : الوحيد الذى لا يُعرَف(١) أبوه وكان الوليد معروفا بأنه دعىّ ؛ كما ذكرنا فى قوله تعالى : « عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ » وهو فى صفة الوليد أيضا .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴾ أى خولته وأعطيته مالا ممدودا ، وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل والحجور والنَّعَم والجنان والعبيد والجوارى ؛ كذا كان ابن عباس يقول . وقال مجاهد : غلة ألف دينار ؛ وقاله سعيد بن جبير وابن عباس أيضا . وقال قتادة : ستة آلاف دينار . وقال سفيان الثورى وقتادة : أربعة آلاف دينار . الثورى أيضا : ألف ألف دينار . مقاتل : كان له بستان لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفا . وقال عمر رضى الله عنه : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا » غلة شهر بشهر . النعمان بن سالم : أرضا يزرع فيها . القشيرى : والأظهر أنه إشارة إلى ما لا ينقطع رزقه ، بل يتوالى كالزرع والضرع والتجارة .

قوله تعالى : ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ أى حضورا لا يغيبون عنه فى تصرف . قال مجاهد وقتادة : كانوا عشرة . وقيل : اثنا عشر ؛ قاله السدى والضحاك . قال الضحاك : سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطائف . وقال سعيد بن جبير : كانوا ثلاثة عشر ولدا . مقاتل : كانوا سبعة كلهم رجال ؛ أسلم منهم ثلاثة ؛ خالد وهشام والوليد بن الوليد . قال : فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك . وقيل : شهودا ؛ أى إذا ذكر ذكروا معه ؛ قاله ابن عباس . وقيل : شهودا ؛ أى قد صاروا مثله فى شهود ما كان يشهده ، والقيام بما كان يباشره . والأول قول السدى ؛ أى حاضرين مكة لا يظعنون عنه فى تجارة ولا يغيبون .

قوله تعالى : ﴿ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ أى بسطت له فى العيش بسطا حتى أقام ببلدته مطمئنا مترفها يرجع إلى رأيه . والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مَهْدُ الصبىّ . وقال ابن عباس : « وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا » أى وسعت له ما بين اليمن والشام ؛ وقاله مجاهد . وعن مجاهد أيضا فى « مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا » أنه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش .

(١) فى نسخة : لا يتبين .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ أى ثم إن الوليد يطمع بعد هذا كله أن أزيده فى المال والولد . ﴿ كَلَّا ﴾ أى ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم . وقال الحسن وغيره : أى ثم يطمع أن أدخله الجنة ، وكان الوليد يقول : إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لى ؛ فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له « كَلَّا » أى لستُ أزيده ، فلم يزل يرى النقصان فى ماله وولده حتى هلك . و « ثُمَّ » فى قوله تعالى : « ثُمَّ يَطْمَعُ » ليست بثم التى للنسق ولكنها تعجيب ؛ وهى كقوله تعالى : «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» وذلك كما تقول : أعطيتك ثم أنت تجفونى كالمتعجب من ذلك . وقيل : يطمع أن أترك ذلك فى عقبه ؛ وذلك أنه كان يقول : إن محمدا مبتور أى أبتر وينقطع ذكره بموته . وكان يظنّ أن ما رزق لا ينقطع بموته . وقيل : أى ثم يطمع أن أنصره على كفره . و « كَلَّا » قطع للرجاء عما كان يطمع فيه من الزيادة ؛ فيكون متصلا بالكلام الأول . وقيل : « كَلَّا » بمعنى حقًا ويكون ابتداء . ﴿ إِنَّهُ ﴾ يعنى الوليد ﴿ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ أى معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ؛ يقال : عاند فهو عنيد مثل جالس فهو جليس ؛ قاله مجاهد . وعَنَد يعْنِد بالكسر أى خالف وردّ الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند . والعاند البعير الذي يجور عن الطريق و يعدل عن القصد والجمع عُنَّد مثل راكع وركّع ؛ وأنشد أبو عبيدة قول الحارثى:

إذا رَكِبْتُ فَاجْعَلانِي وَسَطًا[1] * إِنِّي كَبِيرٌ لا أُطِيقُ الْعُنَّدَا

وقال أبو صالح : « عَنِيدًا » معناه مباعدا ، قال الشاعر :

أَرَانَا عَلَى حالٍ تُفَرِّقُ بَيْنَنَا * نَوًى غَرْبَةٌ[2] إِنَّ الْفِرَاقَ عَنُودُ

قتادة : جاحدا . مقاتل : معرضا . ابن عباس : جحودا . وقيل : إنه المجاهر بعدوانه . وعن مجاهد أيضا قال : مجانبا للحق معاندا له معرضا عنه . والمعنى كله متقارب . والعرب تقول : عَنَد الرجل إذا عتا وجاوز قدره . والعَنُود من الإبل الذى لا يخالط الإبل إنما هو فى ناحية . ورجل عَنُود إذا كان يَحُلّ وحده لا يخالط الناس . والعنيد من التجبر . وعرق

---

(١) رواية لسان العرب : * إذا رحلت فاجعلونى وسطا *

(٢) نوى غربة : بعيدة .

عاند اذا لم يرقأ دمه ، كل هـذا قياس واحد وقد مضى فى سورة « إبراهيم »[١] . وجمع العنيد عُنُد مثل رغيف ورُغُف .

قوله تعـالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ ﴾ أى سأكلفه . وكان آبن عباس يقول : سألجئه ؛ والإرهاق فى كلام العرب أن يُحمل الإنسان على الشىء . ﴿ صَعُودًا ﴾ " الصَّعود جبل من نار يتصعّد فيه سبعين خريفاثم يهوى به كذلك فيه أبدا " رواه أبو سعيد الخدرىّ عن النبى صلى الله عليه وسلم؛ خرّجه الترمذىّ وقال فيه حديث غريب . وروى عطية عن أبى سعيد قال : صخرة فى جهنم إذا وضعوا عليهـا أيديهم ذابت فإذا رفعوها عادت ، قال : فيبلغ أعلاها فى أربعين سـنة يجذب أمامه بسلاسل و يضرب من خلفه بمقامع ، حتى إذا بلغ أعلاها رمى به إلى أسفلها ، فذلك دأبه أبدا . وقد مضى هذا المعنى فى سورة « قُـلْ أُوحِىَ »[٢] . وفى التفسير : إنه صخرة ملساء يكلف صعودها فإذا صار فى أعلاها حُدِر فى جهنم ، فيقوم يهوى ألف عام من قبل أن يبلغ قرار جهنم ، يحترق فى كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا . وقال آبن عباس : المعنى سأكلفه مشقة من العـذاب لا راحة له فيه . ونحوه عن الحسن وقتادة . وقيل : إنه تصاعد نفسـه للنزع و إن لم يتعقبه موت ، ليعذّب من داخل جسده كما يعذّب من خارجه .

قوله تعـالى : إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ يعنى الوليد فكر فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن . و « قَـدَّرَ » أى هيأ الكلام فى نفسـه ؛ والعرب تقول : قدّرت الشىء إذا هيأته ؛ وذلك أنه لمـا نزل « حمٓ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » إلى قوله « إِلَيْهِ الْمَصِـيرُ » سمعه الوليد يقرؤها فقال : والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ ،

(١) راجع ج ٩ ص ٣٤٩ (٢) راجع ص ١٨ فما بعدها من هذا الجزء .

وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه ، وما يقول هذا بشر . فقالت قريش : صَبَا الوليدُ لتصبونّ قريش كلها . وكان يقال للوليد ريحانة قريش ؛ فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه فمضى إليه حزينا ؟ فقال له : مالى أراك حزينا . فقال له : ومالى لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ، ويزعمون أنك زيّنت كلام محمد ، وتدخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قُحافة لتنال من فضل طعامهما ، فغضب الوليد وتكبر وقال : أنا أحتاج إلى كِسَر محمد وصاحبه ، فأنتم تعرفون قدر مالى ، واللّات والعُزّى مابى حاجة إلى ذلك ، وإنما أنتم تزعمون أن محمدا مجنون ، فهل رأيتموه قط يَخنُق ؟ . قالوا : لا والله . قال : وتزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ قالوا : لا والله . قال : فتزعمون أنه كذّاب فهل جربتم عليه كذبا قط ؟ قالوا : لا والله . قال : فتزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهّن قط ، ولقد رأينا للكهنة أسجاعا وتخالجا فهل رأيتموه كذلك ؟ قالوا : لا والله . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الأمين من كثرة صدقه . فقالت قريش للوليد : فما هو ؟ ففكّر فى نفسه ، ثم نظر ، ثم عبس ، فقال : ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟ ! فذلك قوله تعالى : « إِنَّهُ فَكَّرَ » أى فى أمر محمد والقرآن « وَقَدَّرَ » فى نفسه ماذا يمكنه أن يقول فيهما . ﴿فَقُتِلَ﴾ أى لعن . وكان بعض أهل التأويل يقول : معناها فقهر وغلب ، وكل مُذَلَّل مُقتَّل ؛ قال الشاعر[1] :

وما ذَرَفَتْ عيناكِ إلّا لِتَقْدَحِي * بسَهْمَيْكِ فى أَعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

وقال الزهرى : عُذِّب ؛ وهو من باب الدعاء . ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قال ناسٌ : « كيف » تعجيب ؛ كما يقال للرجل تتعجب من صنيعه : كيف فعلت هذا ؟ وذلك كقوله : « انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ » . ﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ أى لعن لعنا بعد لعن . وقيل : فقتل بضرب من العقوبة ، ثم قتل بضرب آخر من العقوبة ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ أى على أى حال قدر . ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ بأى شىء يرد الحق ويدفعه . ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ أى قطّب بين عينيه فى وجوه المؤمنين ؛ وذلك

(١) هو امرؤ القيس .

أنه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من القول فى محمد صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر مرّ على جماعة من المسلمين فدعوه إلى الإسلام فعبس فى وجوههم . وقيل : عبس وبسر على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه . والعَبْس مصدر عَبَس يَعبِس عَبْسًا وعُبوسا إذا قَطّب . والعَبَس ما يتعلق بأذناب الإبل من أبعارها وأبوالها ؛ قال أبو النَّجْم :

كأنّ فى أذنابِهنّ الشُّوَّلِ * من عَبَسِ الصَّيفِ قُرونَ الأُيَّلِ

﴿ وَبَسَرَ ﴾ أى كَلَح وجهه وتغير لونه ؛ قاله قتادة والسدّى ؛ ومنه قول بشر بن أبى خازم :

صَبَحْنا تَميمًا غداةَ الجِفَارِ (١) * بِشَهْباءَ مَلْمومَةٍ باسِرَهْ

وقال آخر (٢) :

وقد رابَنى منها صُدودٌ رأيتُهُ * وإعراضُها عَنْ حاجتى و بُسورُها

وقيل : إن ظهور العُبوس فى الوجه بعد المحاورة ، وظهور البُسور فى الوجه قبل المحاورة . وقال قوم : بَسَر وَقَف لا يتقدم ولا يتأخر . قالوا : وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف المركب فلم يجئ ولم يذهب قد بسر المركب وأَبْسَر أى وقف وقد أبسرنا . والعرب تقول : وجه باسر بيّن البسور إذا تغير وٱسود . ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾ أى ولى وأعرض ذاهبا إلى أهله . ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ أى تعظم عن أن يؤمن . وقيل : أدبر عن الإيمان وٱستكبر حين دعى إليه . ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا ﴾ أى ماهذا الذى أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ أى يأثره عن غيره ، والسحر الخديعة وقد تقدم بيانه فى سورة « البقرة » (٣) . وقال قوم : السحر إظهار الباطل فى صورة الحق . والأثر مصدر قولك : أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك ؛ ومنه قيل : حديث مأثور أى ينقله خلف عن سلف ؛ قال ٱمرؤ القيس :

---

(١) الجفار : موضع . وقيل هو ماء لبنى تميم . (٢) هو توبة بن الحمير . وزاد بعض النسخ بعد هذا البيت ما يأتى كحاشية : « قوله بشهباء أراد بكتيبة شهباء ومنه قول عنترة :

وكتيبة لبستها بكتيبة * شهباء باسلة يخاف رداها

و يقال : كتيبة ململة وملمومة أيضا أى مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض . وصخرة ملمومة وململة أى مستديرة صلبة ؛ قاله الجوهرى » . (٣) راجع جـ ٢ ص ٤٣ فما بعدها .

وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جاءَنِى * وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ
لَقُلْتُ مِنَ الْقَوْلِ ما لا يَزا * لُ يُؤْثَرُ عَنِّى يَدَ الْمُسْنَدِ (١)

يريد آخر الدهر . وقال الأعشى :

إِنَّ الَّذِى فِيهِ تَمَارَيْتُمَا (٢) * بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالآثِرِ

ويروى بَيَّنَ . ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ أى ما هذا إلا كلام المخلوقين يُختدع به القلوب كما تُختدع بالسحر . قال السدى : يعنون أنه من قول سيار عبد لبنى الحضرمى (٣)، كان يجالس النبى صلى الله عليه وسلم فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك . وقيل : أراد أنه تلقنه من أهل بابل . وقيل : من مسيلمة . وقيل : عن عدى الحضرمى الكاهن . وقيل : إنما تلقنه ممن آدعى النبوة قبله فنسج على منوالهم . قال أبو سعيد الضرير : إن هذا إلا سحر يؤثر أى يورث

قوله تعالى : سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٣٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٣٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ أى سأدخله سقر كى يصلى حرها . وإنما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته ولوحته وأحرقت جلدة وجهه . ولا ينصرف للتعريف والتأنيث . قال آبن عباس : هى الطبق السادس من جهنم . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "سأل موسى ربه فقال أى ربّ أىّ عبادك أفقر فقال صاحب سقر" ذكره الثعلبى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴾ هذه مبالغة فى وصفها ؛ أى وما أعلمك أىّ شىء هى ، وهى كلمة تعظيم ، ثم فسر حالها فقال : ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴾ أى لا تترك لهم عظما ولا لحما ولا دما إلا أحرقته .

(١) يقول : لو أتانى هذا النبأ عن حديث غيره لقلت قولا يشيع فى الناس و يؤثر عنى آخر الدهر . والنثا ما يحدث به من خير وشر . والمسند الدهر .

(٢) الذى فى ديوان الأعشى طبع أوربا : تداريتما .

(٣) فى بعض النسخ : من قول أبى اليسر سيار .

وكرر اللفظ تأكيدا . وقيل : لا تبقي منهم شيئا ، ثم يعادون خلقا جديدا ، فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبدا . وقال مجاهد : لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا تحرقهم كلما جددوا . وقال السدي : لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما. ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي مغيرة من لاحه إذا غيره. وقراءة العامة « لَوَّاحَةٌ » بالرفع نعت لـ«سَقَرَ» في قوله تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ » . وقرأ عطية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر « لَوَّاحَةً » بالنصب على الاختصاص للتهويل. وقال أبو رزين : تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سوادا من الليل؛ وقاله مجاهد . والعرب تقول : لاحه البرد والحر والسقم والحزن إذا غيره؛ ومنه قول الشاعر :

تَقولُ ما لَاحَكَ يا مُسافِرْ * يابْنَةَ عَمِّي لاحَنِي الْهَواجِرْ (١)

وقال آخر :

وتَعجبُ هِنْدٌ أَنْ رَأَتْنِي شاحِبًا * تقولُ لَشَيْءٌ لَوَّحَتْه السَّمائِمُ (٢)

وقال رؤبة بن العجاج :

لَوَّحَ منه بعدَ بُدْنٍ وسَنَقْ * تَلْويحَكَ الضَّامِرَ يُطْوَى لِلسَّبَقْ (٣)

وقيل : إن اللوح شدة العطش ؛ يقال : لاحه العطش ولوحه أي غيره . والمعنى أنها مُعطشة للبشر أي لأهلها ؛ قاله الأخفش ، وأنشد :

سقَتْني على لَوْحٍ من الماءِ شَرْبَةً * سقاها بها اللهُ الرِّهامَ الغَوادِيا

يعني باللوح شدة العطش ، والتاح أي عطش . والرهام جمع رِهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة ، وأرهمت السحابة أتت بالرهام . وقال ابن عباس : «لَوَّاحَةٌ» أي تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام . الحسن وابن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ؛ نظيره : «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»

---

(١) الهواجر جمع هاجرة وهي شدة الحر عند منتصف النهار .

(٢) السمائم جمع سموم وهي الريح الحارة .

(٣) لوحه السفر غيره وأضمره والبدن السمن واكتناز اللحم . والسنق الشبع حتى يكون كالتخمة . الضامر : الفرس . يطوى يجوع لأجل السباق .

وفى البشر وجهان : أحدهما ـ أنه الإنس من أهل النار ؛ قاله الأخفش والأكثرون . الثانى ـ أنه جمع بشرة وهى جلدة الإنسان الظاهرة ؛ قاله مجاهد وقتادة . وجمع البشر أبشار وهذا على التفسير الأول ، وأما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلا الناس لا الجلود ؛ لأنه من لاح الشىء يلوح إذا لمع .

قوله تعالى : عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أى على سقر تسعة عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها . ثم قيل : على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها ؛ مالك وثمانية عشر ملكا . ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيبا ، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكا بأعيانهم . وعلى هذا أكثر المفسرين . الثعلبى : ولا ينكر هذا ، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض الخلائق . وقال ابن جريج : نعت النبىّ صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم . فقال : " فكأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصى يجرّون أشعارهم لأحدهم من القوة مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرميهم فى النار و يرمى فوقهم الجبل " .

قلت : وذكر ابن المبارك قال حدثنا حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس ، عن رجل من بنى تميم قال : كنا عند أبى العوام فقرأ هذه الآية « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » فقال ما تسعة عشر ؟ تسعة عشر ألف ملك أو تسعة عشر ملكا ؟ قال قلت : لا بل تسعة عشر ملكا . فقال : وأنى تعلم ذلك ؟ فقلت : لقول الله عز وجل : « وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » قال : صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مِرْزَبَة(١) لها شُعْبتان فيضرب الضربة فيهوى بها فى النار سبعين ألفا . وعن عمرو بن دينار : كل واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر. وخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا . فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد غُلِب أصحابك اليوم، فقال : "وبم غُلبوا" قال : سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال : "فماذا قالوا" قال : قالوا لا ندرى حتى نسأل نبينا . قال : "أفغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة علىّ بأعداء الله إنى سائلهم عن تربة الجنة وهى الدَّرْمَك" فلما جاءوا قالوا : يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم ؟ قال : " هكذا وهكذا " فى مرة عشرة وفى مرة تسعة . قالوا : نعم . قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : " ما تُرْبة الجنة " قال : فسكتوا هنيهة ثم قالوا : أخبزة يا أبا القاسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الخبز من الدَّرْمَك" قال أبو عيسى : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشَّعْبى عن جابر . وذكر ابن وهب قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خزنة جهنم : "ما بين مَنكِبى أحدهم كما بين المشرق والمغرب" . وقال ابن عباس : ما بين مَنكِبى الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان فى قعر جهنم .

---

(١) المرزبة عصية من حديد والمطرقة الكبيرة التى للحداد .

قلت : والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشرهم الرؤساء والنقباء، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال الله تعالى : « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ » . وقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " . وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ! أسمع ابن أبى كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر، وأنتم الدَّهْم ــ أى العدد ــ والشجعان، فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ! قال السدى : فقال أبو الأشد بن كَلَدة الجُمَحى لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع بمَنكبى الأيمن عشرة من الملائكة، و بمَنكبى الأيسر التسعة ، ثم تمرون إلى الجنة . يقولها مستهزئا . فى رواية : إن الحرث بن كَلَدة قال أنا أكفيكم سبعة عشر واكفونى أنتم اثنين . وقيل : إن أبا جهل قال أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار ؟ فنزل قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ أى لم نجعلهم رجالا فتتعاطون مغالبتهم . وقيل : جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم؛ ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله و بالغضب له فتؤمن هوادتهم؛ ولأنهم أشد خلق الله بأسا وأقواهم بطشا . ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ﴾ أى بلية . وروى عن ابن عباس من غير وجه قال : ضلالة للذين كفروا يريد أبا جهل وذويه . وقيل : إلا عذابا ، كما قال تعالى : « يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ . ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ » أى جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب . وفى « تِسْعَةَ عَشَرَ » سبع قراءات (١) : قراءة العامة « تِسْعَةَ عَشَرَ » . وقرأ أبو جعفر بن القعقاع وطلحة بن سليمان « تِسْعَةَ عْشَرَ » بإسكان العين . وعن ابن عباس « تِسْعَةُ عَشَرَ » بضم الهاء .

---

(١) ورد فى الاصول ست قراءات فقط ولعل السابعة قراءة سليمان بن قتة « تسعة أعشر » بضم التاء وهمزة مفتوحة وسكون العين وضم الشين وجر الراء . وتعقب السمين هذه القراءات فقال : « فى هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات نسا كلها » .

وعن أنس بن مالك « تِسْعَةُ وَعَشَرْ » وعنه أيضا « تِسْعَةُ وَعْشَر » . وعنه أيضا « تِسْعَةُ أَعْشُر » ذكرها المهدوى وقال : من قرأ « تِسْعَةَ عْشَرَ » أسكن العينَ لتوالى الحركات . ومن قرأ « تِسْعَةُ وَعَشَرْ » جاء به على الأصل قبل التركيب ، وعطف عشرا على تسعة ، وحذف التنوين لكثرة الاستعمال ، وأسكن الراء من عشر على نية السكوت عليها . ومن قرأ « تِسْعَةُ عَشَرْ » فكأنه من التداخل ، كأنه أراد العطف وترك التركيب فرفع هاء التأنيث ثم راجع البناء وأسكن . وأما « تِسْعَةُ أَعْشُر » فغير معروف ، وقد أنكرها أبو حاتم . وكذلك « تِسعةُ وَعْشُر » لأنها محمولة على « تِسعةُ أَعْشُر » والواو بدل من الهمزة وليس لذلك وجه عند النحويين . الزمخشرى : وقرئ « تِسْعَةُ أَعْشُر » جمع عَشِير مثل يَمين وأَيْمُن .

قوله تعالى : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أى ليوقن الذين أعطو التوراة والإنجيل أن عدد خزنة جهنم موافقة لما عندهم ؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم . ثم يحتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلاَم . ويحتمل أنه يريد الكل . ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ بذلك ؛ لأنهم كلما صدّقوا بما فى كتاب الله آمنوا ، ثم ازدادوا إيمانا لتصديقهم بعدد خزنة جهنم . ﴿ وَلَا يَرْتَابَ ﴾ أى ولا يشك ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أى أعطوا الكتاب ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أى المصدّقون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر . ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أى فى صدورهم شك ونفاق من منافقى أهل المدينة ، الذين يَنْجُمون فى مستقبل الزمان بعد الهجرة ، ولم يكن بمكة نفاق وإنما نَجم بالمدينة . وقيل : المعنى ؛ أى وليقول المنافقون الذين يَنْجُمون فى مستقبل الزمان بعد الهجرة . ﴿ وَالْكَافِرُونَ ﴾ أى اليهود والنصارى ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ يعنى بعدد خزنة جهنم . وقال الحسين بن الفضل : السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق ؛ فالمرض فى هذه الآية الخلاف و « الْكَافِرُونَ » أى مشركو العرب . وعلى القول الأوّل أكثر المفسرين . ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب ؛ لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم

قاطعين بالكذب، وقوله تعالى إخبارا عنهم : «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ» أى ما أراد الله «بِهَذَا» العدد الذى ذكره حديثا أى ماهذا من الحديث ؛ قال الليث : المثل الحديث ؛ ومنه « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ » أى حديثها والخبر عنها ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أى كإضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ أى يخزى و يعمى ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾ أى و يرشد ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ كإرشاد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : « كذلك يضل الله» عن الجنة «من يشاء ويهدى» إليها «من يشاء» . ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى ومايدرى عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب أهل النار « إِلَّا هُوَ» أى إلا الله جل ثناؤه . وهذا جواب لأبى جهل حين قال : أمَا لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر؟! وعن ابن عباس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنائم حُنين ، فأتاه جبريل فجلس عنده ، فأتى ملَك فقال : إن ربك يأمرك بكذا وكذا، فخشى النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يكون شيطانا، فقال : " ياجبريل أتعرفه " فقال : هو ملَك وما كل ملائكة ربك أعرف . وقال الأوزاعيّ قال موسى : « يا ربّ من فى السماء قال ملائكتى قال كم عِدّتهم يا ربّ قال اثنى عشر سبطا قال كم عِدّة كل سبط قال عدد التراب » . ذكرهما الثعلبي . وفى الترمذيّ عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أطّت السماءُ وحُقّ لها أن تئِطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملَك واضعٌ جبهته لله ساجدا " .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ يعنى الدلائل والحجج والقرآن . وقيل : « وَمَا هِيَ » أى وما هذه النار التى هى سقر « إِلَّا ذِكْرَى» أى عظة « لِلْبَشَرِ» أى للخلق . وقيل : نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة . قاله الزجاج . وقيل : أى ما هذه العدة « إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ » أى ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى ، وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار ؛ فالكناية على هذا فى قوله تعالى : « وَمَا هِيَ » ترجع إلى الجنود ؛ لأنه أقرب مذكور .

قوله تعالى : كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ
إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ
مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾
مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ
نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ قال الفراء : « كَلَّا » صلة للقسم ، التقدير أى والقمر . وقيل : المعنى ؛ حقًا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على « كَلَّا » وأجاز الطبرى الوقف عليها ، وجعلها ردا للذين زعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم ؛ أى ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار . ثم أقسم على ذلك جل وعز بالقمر و بما بعده فقال : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أى وَلَّى وكذلك « دَبَر » . وقرأ نافع وحمزة وحفص « إِذْ أَدْبَرَ » الباقون « إذا » بألف و« دَبَر » بغير ألف وهما لغتان بمعنى ؛ يقال : دبر وأدبر ، وكذلك قبل الليل وأقبل . وقد قالوا أمس الدابر والمدبر ، قال صخر بن عمرو بن الشَّريد السُّلَمى :

وَلَقَدْ قَتَلْنَاكُمْ ثُنَاءَ ومَوْحَدًا * وتَرَكْتُ مُرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ

و يروى المدبر . وهذا قول الفراء والأخفش . وقال بعض أهل اللغة : دبر الليل إذا مضى وأدبر أخذ فى الإدبار . وقال مجاهد : سألت ابن عباس عن قوله تعالى « وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ » فسكت حتى إذا دَبَر قال : يا مجاهد ! هذا حين دَبَر الليلُ . وقرأ محمد بن السَّمَيقع « وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ » بألفين ، وكذلك فى مصحف عبد الله وأُبَىّ بألفين . وقال قطرب من قرأ « دَبَرَ » فيعنى أقبل ، من قول العرب دبر فلان إذا جاء من خلفى . قال أبو عمرو : وهى لغة قريش .

وقال ابن عباس فى رواية عنه : الصواب « أَدْبَرَ » إنما يدبر ظهر البعير . واختار أبو عبيد «إِذَا أَدْبَرَ» قال: لأنها أكثر موافقة للحروف التى تليه ؛ ألا تراه يقول ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ فكيف يكون أحدهما « إذ » والآخر « إذا » وليس فى القرآن قسم تعقبه « إذ » وإنما يتعقبه « إذا » . ومعنى « أَسْفَرَ » أضاء . وقراءة العامة « أَسْفَرَ » بالألف . وقرأ ابن السَّمَيْقع « سَفَرَ » . وهما لغتان . يقال : سَفَر وجهُ فلان وأسفر إذا أضاء . وفى الحديث : "أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر" أى صلّوا صلاة الصبح مُسفرين، ويقال : طَوِّلوها إلى الإسفار والإسفار الإنارة . وأسفر وجهه حسنا أى أشرق، وسَفَرت المرأةُ كشفت عن وجهها فهى سافر . ويجوز أن يكون [من] سَفَر الظلامَ أى كنسه كما يُسفَر البيت أى يُكنَس ، ومنه السَّفِير لما سقط من ورق الشجر وتحاتَّ ؛ يقال : إنما سمى سفيرا لأن الريح تَسفِره أى تَكنُسه . والمِسْفَرة المِكْنَسة.

قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ جواب القسم ؛ أى إن هذه النار « لَإِحْدَى الْكُبَرِ » أى لإحدى الدواهى . وفى تفسير مقاتل « الْكُبَر » اسم من أسماء النار . وروى عن ابن عباس « إِنَّهَا » أى إن تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم « لَإِحْدَى الْكُبَرِ » أى لكبيرة من الكبائر . وقيل : أى إن قيام الساعة لإحدى الكُبَر . والكُبَر هى العظائم من العقوبات ؛ قال الراجز:

يا بن المُعَلَّى نَزَلتْ إحدى الكُبَرْ * داهيةُ الدهرِ وصَمَّاءُ الغِيَرْ

وواحدة « الكُبَر » كُبرى مثل الصُّغْرى والصُّغَر والعُظْمى والعُظَم . وقرأ العامة « لَإِحْدَى » وهو اسم بنى ابتداء للتأنيث وليس مبنيا على المذكر؛ نحو عقبى وأخرى وألفه ألف قطع لا تذهب فى الوصل . وروى جرير بن حازم عن ابن كثير « إِنَّهَا لَحْدَى الْكُبَرِ » بحذف الهمزة . ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يريد النار أى إن هذه النار الموصوفة « نَذِيرًا لِلْبَشَرِ » فهو نصب على الحال من المضمر فى « إِنَّهَا » قاله الزجاج . وذُكِّر؛ لأن معناه معنى العذاب ، أو أراد ذات إنذار على معنى النَّسب ؛ كقولهم امرأة طالق وطاهر . وقال الخليل : النذير مصدر كالنكير ولذلك يوصف به المؤنث . وقال الحسن : والله ما أنذر الخلائق بشىء أدهى منها . وقيل : المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أى قم نذيرا للبشر أى مخوفا لهم

. « نذيرا » حال من « قُمْ » فى أوّل السورة حين قال : « قُمْ فَأَنْذِرْ » قاله أبو على الفارسى وابن زيد، وروى عن ابن عباس وأنكره الفراء . ابن الأنبارى : وقال بعض المفسرين معناه « يأيها المدثر قم نذيرا للبشر . وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال فيما بينهما . وقيل : هو من صفة الله تعالى . روى أبو معاوية الضرير : حدّثنا إسمعيل بن سميع عن أبى رَزين « نذيرا للبشر » قال يقول الله عز وجل : أنا لكم منها نذير فاتقوها . و « نذيرا » على هذا نصب على الحال ؛ أى « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً » منذرا بذلك البشر . وقيل : هو حال من «هو» فى قوله تعالى : « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ » . وقيل : هو فى موضع المصدر كأنه قال : إنذارا للبشر . قال الفراء : يجوز أن يكون النذير بمعنى الإنذار أى أنذر إنذارا ؛ فهو كقوله تعالى : « فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ » أى إنذارى ؛ فعلى هـذا يكون راجعا الى أوّل السـورة أى « قم فانذر » أى إنذارا . وقيـل : هو منصوب بإضمار فعـل . وقرأ ابن أبى عبلة « نذيرٌ » بالرفع على إضمار هو . وقيل : أى إن القرآن نذير للبشر لمـا تضمنه من الوعد والوعيد .

قوله تعالى : ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ اللام متعلقة بـ « نذيرا » ؛ أى نذيرا لمن شاء منكم أن يتقدّم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية ؛ نظيره : «ولقد عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ منكُمْ » أى فى الخير « ولقد عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ » عنه . قال الحسن : هذا وعيد وتهديد و إن خرج مخرج الخبر، كقوله تعالى : « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ » . وقال بعض أهل التأويل : معناه لمن شاء الله أن يتقدّم أو يتأخر ؛ فالمشيئة متصلة بالله جل ثناؤه ، والتقديم الإيمان والتأخير الكفر . وكان ابن عباس يقول : هذا تهديد و إعلام أن من تقدّم إلى الطاعة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزى بثواب لا ينقطع ، ومن تأخر عن الطاعة وكذّب محمدا صلى الله عليه وسـلم عوقب عقابا لا ينقطع . وقال السدى : « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ » إلى النار المتقدّم ذكرها « أَوْ يَتَأَخَّرَ » عنها إلى الجنة .

قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ أى مرتهنة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما خلّصها وإما أوبقها وليست « رهينة » تأنيث رهين فى قوله تعالى : « كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ » لتأنيث النفس ؛ لأنه لو قُصدت الصفة لقيل رهين؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث . وإنما هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم ؛ كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهين؛ ومنه بيت الحماسة :

أَبَعْدَ الذى بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ * رَهِينَةُ رَمْسٍ ذِى تُرَابٍ وجَنْدَلِ (١)

كأنه قال رهن رمس . والمعنى : كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم . وٱختلف فى تعيينهم ؛ فقال ٱبن عباس : الملائكة . على بن أبى طالب : أولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم . الضحاك : الذين سبقت لهم من الله الحسنى ، ونحوه عن ٱبن جريج ؛ قال : كل نفس بعملها محاسبة « إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ » وهم أهل الجنة فإنهم لا يحاسبون . وكذا قال مقاتل أيضا : هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى . وقال الحسن وٱبن كَيْسان : هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين؛ لأنهم أدّوا ما كان عليهم . وعن أبى ظَبْيان عن ٱبن عباس قال : هم المسلمون . وقيل : إلا أصحاب الحق وأهل الإيمان . وقيل : هم الذين يُعطَون كتبهم بأيمانهم . وقال أبو جعفر الباقر : نحن وشيعتنا أصحاب اليمين ، وكل من أبغضنا أهل البيت فهم المرتهنون . وقال الحكم : هم الذين ٱختارهم الله لخدمته فلم يدخلوا فى الرهن ؛ لأنهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم . وقال القاسم : كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من ٱعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة، فكل من ٱعتمد على الكسب فهو مرهون ، وكل من ٱعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به . ﴿ فِى جَنَّاتٍ ﴾ أى فى بساتين ﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أى يسألون ﴿ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أى المشركين

---

(١) النعف من الأرض المكان المرتفع فى ٱعتراض . والبيت من قول عبد الرحمن بن زيد العذرى وقد قتل أخوه وعرضت عليه الدية فأبى أن يأخذها وأخذ بثاره .

﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ أى أدخلكم ﴿ فِي سَقَرَ ﴾ كما تقول : سلكت الخيط فى كذا أى أدخلته فيه . قال الكلبى : فيسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه، فيقول له : يافلان . وفى قراءة عبد الله بن الزبير «يافلانُ ما سَلَكَكَ فِي سَقَرَ» . وعنه قال : قرأ عمر بن الخطاب «يا فلانُ ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ» وهى قراءة على التفسير لا أنها قرآن كما زعم من طعن فى القرآن ؛ قاله أبو بكر بن الأنبارى . وقيل : إن المؤمنين يسألون الملائكة عن أقربائهم فتسأل الملائكة المشركين فيقولون لهم « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ » . قال الفراء : فى هذا ما يقوى أن أصحاب اليمين الولدان؛ لأنهم لا يعرفون الذنوب . ﴿ قَالُوا ﴾ يعنى أهل النار ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ أى المؤمنين الذين يصلّون . ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ أى لم نك نتصدق . ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ أى كنا نخالط أهل الباطل فى باطلهم . وقال ابن زيد : نخوض مع الخائضين فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قولهم — لعنهم الله — كاهن مجنون شاعر ساحر . وقال السُّدّى : أى وكنا نكذّب مع المكذّبين . وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه . وقيل معناه : وكنا أتباعا ولم نكن متبوعين . ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى لم نك نصدّق بيوم القيامة يوم الجزاء والحكم . قوله تعالى : ﴿ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ أى جاءنا ونزل بنا الموت ؛ ومنه قوله تعالى : « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين ؛ وذلك أن قوما من أهل التوحيد عذّبوا بذنوبهم ثم شُفّع فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة فأخرجوا من النار ، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم . وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع أربعة ؛ جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ، ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ » إلى قوله : « فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » قال عبد الله بن مسعود : فهؤلاء هم الذين يبقون فى جهنم وقد ذكرنا إسناده فى كتاب « التذكرة » .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ أى فما لأهل مكة قد أعرضوا وولوا عما جئتهم به . وفى تفسير مقاتل : الإعراض عن القرآن من وجهين ؛ أحدهما الجحود والإنكار، والوجه الآخر ترك العمل بما فيه . و « مُعْرِضِينَ » نصب على الحال من الهاء والميم فى « لَهُمْ » وفى اللام معنى الفعل ؛ فانتصاب الحال على معنى الفعل . ﴿ كَأَنَّهُمْ ﴾ أى كأن هؤلاء الكفار فى فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ قال ابن عباس : أراد الحمر الوحشية . وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء أى مُنفَّرة مذعورة ؛ واختاره أبو عبيد وأبو حاتم . الباقون بالكسر أى نافرة . يقال : نَفَرت واستَنفرت بمعنًى ؛ مثل عَجِبت واستَعجبت وسَخِرت واستَسخرت ؛ وأنشد الفراء :

أَمْسِكْ حِمارَكَ إنّه مُسْتَنفِرٌ * فى إِثْرِ أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ(١)

قوله تعالى : ﴿ فَرَّتْ ﴾ أى نفرت وهربت ﴿ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ أى من رماة يرمونها . وقال بعض أهل اللغة : إن القسور الرامى و جمعه القَسْورة . وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابن كَيْسان : القسْورة هم الرّماة والصيادون، ورواه عطاء عن ابن عباس وأبو [ظَبْيان](٢) عن أبى موسى الأشعرى . وقيل : إنه الأسد . قاله أبو هريرة وابن عباس أيضا . ابن عرفة : من القَسْر بمعنى القَهر أى إنه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع . وروى أبو جمرة عن ابن عباس قال : ما أعلم القسورة الأسد فى لغة أحد من العرب ولكنها عُصَب الرجال ؛ قال : فالقسورة جمع الرجال وأنشد :

(١) غرب كسكر اسم موضع وجبل دون الشام فى بلاد بنى كلاب .
(٢) فى الأصول : أبو حيان وهو تحريف والتصحيح من تفسير الثعلبى « والتهذيب » .

يا بنتُ كُونِي خَـيْرَةً لِخَيِّرَهْ * أخوالُها الجنّ وأهـلُ القَسْوَرَهْ

وعنه : رِكْز الناس أي حسّهم وأصواتهم . وعنه أيضا : « فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ » أي من حبال الصيادين . وعنه أيضا القسورة بلسان العرب الأسد، و بلسان الحبشة الرماة، و بلسان فارس شير، و بلسان النَّبَط أريا . وقال ابن الأعرابي : القسورة أوّل الليل؛ أي فرّت من ظلمة الليل . وقاله عِكرمة أيضا . وقيل : هو أوّل سواد الليل، ولا يقال لآخر سواد الليل قَسْوَرة. وقال زيد بن أسلم : من رجال أقوياء، وكل شـديد عند العرب فهو قَسْـورة وقَسْـور . وقال لبيد بن ربيعة :

إذا ما هَتَفْنـا هَتْفـةً في نَدِيِّنـا * أتانا الرجالُ العائدون القَسَـاوِر

قوله تعـالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُـمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًـا مُنَشَّرَةً ﴾ أي يعـطى كتبا مفتوحة ؛ وذلك أن أبا جهـل و جماعة من قريش قالوا : يا محمـد ! ائتنا بكتب من ربّ العالمين مكتوب فيها أني قد أرسلتُ إليكم محمدا ؛ صلى الله عليه وسلم ؛ نظيره : « وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ » . وقال ابن عباس : كانوا يقولون إن كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار . قال مطر الورّاق : أرادوا أن يُعطَوا بغير عمل . وقال الكلبي : قال المشركون بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح عند رأسـه مكتوبا ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك . وقال مجاهد : أرادوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب فيـه من الله عز وجل إلى فلان بن فلان . وقيل : المعنى أن يذكر بذكر جميل ؛ فجعلت الصحف موضـع الذكر مجازا . وقالوا : إذا كانت ذنوب الإنسان تكتب عليه فما بالنا لا نرى ذلك . ﴿ كَلَّا ﴾ أي ليس يكون ذلك . وقيل : حقّا . والأول أجود؛ لأنه رد لقولهم . ﴿ بَلْ لَا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ أي لا أعطيهم ما يتمنون لأنهـم لا يخافون الآخرة اغترارا بالدنيا . وقرأ سعيد بن جبير « صُحْفًا مُنْشَرةً » بسكون الحاء والنون؛ فأما تسكين الحاء فتخفيـف ، وأما النون فشاذ . إنما يقال : نشرت الثوب وشبهه ولا يقال أنشرت . ويجوز أن يكون شبه الصحيفة بالميت كأنها ميتة بطيها ، فإذا نشرت حييت ، فجاء على أنشر الله الميت كما شبه إحياء الميت بنشر الثوب؛ فقيل فيه نشر الله الميت فهي لغة فيه .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦ ﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ أى حقا إن القرآن عظة . ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أى ٱتعظ به . ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ ﴾ أى وما يتعظون ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أى ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكر إلا بمشيئة الله ذلك لهم . وقراءة العامة « يَذْكُرُونَ » بالياء وٱختاره أبو عبيد؛ لقوله تعالى : « كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ » . وقرأ نافع ويعقوب بالتاء، وٱختاره أبو حاتم لأنه أعم وٱتفقوا على تخفيفها . ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ فى الترمذى وسنن ٱبن ماجه عن أنس ٱبن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الآية « هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ » قال : " قال الله تبارك وتعالى أنا أهلٌ أن أُتّقى فمن ٱتقانى فلم يجعل معى إلها فأنا أهلٌ أن أغفر له " لفظ الترمذى وقال فيه : حديث حسن غريب . وفى بعض التفسير : هو أهل المغفرة لمن تاب إليه من الذنوب الكبار، وأهل المغفرة أيضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار . وقال محمد بن نصر : أنا أهلٌ أن يتقينى عبدى ، فإن لم يفعل كنت أهلا أن أغفر له وأرحمه، وأنا الغفور الرحيم .

سورة القيامة

مكية وهى تسع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ قيل : إن «لا» صلة وجاز وقوعها فى أول السورة ؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض فهو فى حكم كلام واحد ، ولهذا قد يذكر الشىء فى سورة ويجىء جوابه فى سورة أخرى ؛ كقوله تعالى : « وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ » وجوابه فى سورة أخرى : « مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة ؛ قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة ؛ ومثله قول الشاعر :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى فاعترتنِى صَبَابةٌ * فكاد صَمِيمُ القلبِ لا يَتَقَطَّعُ

وحكى أبو الليث السمرقندى : أجمع المفسرون أن معنى « لَا أُقْسِمُ » أقسم ، واختلفوا فى تفسير « لا » قال بعضهم : « لا » زيادة فى الكلام للزينة ويجرى فى كلام العرب زيادة « لا » كما قال فى آية أخرى : « قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ » يعنى أن تسجد ، وقال بعضهم : « لا » ردٌّ لكلامهم حيث أنكروا البعث فقال : ليس الأمر كما زعمتم .

قلت : وهذا قول الفرّاء ؛ قال الفرّاء : وكثير من النحويين يقولون « لا » صلة ولا يجوز أن يبدأ بجحد ثم يجعل صلة ؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جحد من خبر لا جحد فيه ، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار ، فجاء الإقسام بالردّ عليهم [فى كثير من الكلام المبتدأ منه وغير المبتدأ](1) وذلك كقولهم لا والله لا أفعل فـ«لا» ردٌّ لكلام قد مضى ، وذلك كقولك : لا والله إن القيامة لحق ، كأنك أكذبت قوما أنكروه . وأنشد غير الفرّاء لامرئ القيس :

فلا وأبيكِ ٱبنةَ العامِرىّ * لا يَدَّعِى القومُ أَنِّى أَفِرّْ

وقال غوية بن سلمى :

ألا نادت أمامةُ بٱحتمال * لِتحزنِنى فلا بِكِ ما أبالِى

وفائدتها توكيد القسم فى الردّ . قال الفرّاء : وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرأ «لَأُقْسِمُ» بغير ألف ؛ كأنها لام تأكيد دخلت على أقسم وهو صواب ؛ لأن العرب تقول : لأقسم بالله

(1) الزيادة من تفسير الفراء .

وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز . ﴿ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أى بيوم يقوم فيه لربهم، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء . ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ لاخلاف فى هذا بين القراء وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيما لشأنه [ولم يقسم بالنفس][1] . وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية . وقيل : « وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » ردّ آخر وابتداء قسم بالنفس اللوامة . قال الثعلبي : والصحيح أنه أقسم بهما جميعا . ومعنى « بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » أى بنفس المؤمن الذى لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول : ما أردتُ بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم . قال الحسن : هى والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردتُ بكلامى؟ ما أردتُ بأ كلى؟ ما أردتُ بحديث نفسى ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه . وقال مجاهد : هى التى تلوم على مافات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لِم فعلته، وعلى الخير لِم لا تستكثر منه . وقيل : إنها ذات اللوم . وقيل : إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها ؛ فعلى هذه الوجوه تكون اللوّامة بمعنى اللائمة وهو صفة مدح ؛ وعلى هذا يجيء القسم بها سائغا حسنا . وفى بعض التفسير أنه آدم عليه السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التى أخرج بها من الجنة . وقيل : اللوّامة بمعنى الملُومة المذمومة — عن ابن عباس أيضا — فهى صفة ذمّ وهو قول من نفى أن يكون قسما ؛ إذ ليس للعاصى خطر يقسم به، فهى كثيرة اللوم . وقال مقاتل : هى نفس الكافر يلوم نفسه، ويتحسر فى الآخرة على ما فرّط فى جنب الله . وقال الفراء : ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهى تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانا، والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته .

قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ فنعيدها خلقا جديدا بعد أن صارت رفاتا . قال الزجاج : أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوّامة ليجمعن العظام للبعث، فهذا جواب القسم . وقال النحاس : جواب القسم محذوف أى لتبعثنّ ؛ ودل عليه قوله تعالى : « أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ » للإحياء والبعث . والإنسان هنا الكافر

(١) الزيادة من تفسير ابن عطية وغيره .

المكذب للبعث . والآية نزلت فى عدىّ بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : حدّثني عن يوم القيامة متى تكون، وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ؛ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يامحمد ولم أومن به ، أو يجمع الله العظام ؟ ! ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهمّ اكفني جارَيِ السُّوءِ عدىّ بن ربيعة والأخنس بن شَرِيق".

وقيل نزلت فى عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت . وذكر العظام والمراد نفسه كلها ؛ لأن العظام قالَب الخَلْق . ﴿ بَلَى ﴾ وقف حسن ثم تبتدئ ﴿قَادِرِينَ﴾ . قال سيبويه : على معنى نجمعها قادرين فـ«قَادِرِينَ» حال من الفاعل المضمر فى الفعل المحذوف على ماذكرناه من التقدير . وقيل : المعنى بلى نقدر قادرين . قال الفرّاء : « قَادِرِينَ » نصب على الخروج من « نَجْمَعَ » أى نقدر ونقوى « قَادِرِينَ » على أكثر من ذلك . وقال أيضا : يصلح نصبه على التكرير أى « بَلَى » فليحسبنا قادرين . وقيل : المضمر كنا أى كنا قادرين فى الابتداء ، وقد اعترف به المشركون . وقرأ ابن أبي عَبْلة وابن السَّمَيْقع « بَلَى قادِرُونَ » بتأويل نحن قادرون . ﴿ عَلَى أَنْ نُسَوِّى بَنَانَهُ ﴾ البنان عند العرب الأصابع واحدها بنانة؛ قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنَـانَهُ * عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ

وقال عنترة :

وأنَّ الموتَ طَوْعَ يدِى إذا ما * وَصَلْتُ بَنَانَها بِالهِنْـدُوَانِي

فنبه بالبنان على بقية الأعضاء . وأيضا فإنها أصغر العظام فخصها بالذكر لذلك . قال القتبيّ والزجاج : وزعموا أن الله لايبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام؛ فقال الله تعالى : بلى قادرين على أن نعيد السُّلَامَيَات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوى ، ومن قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر . وقال ابن عباس وعامة المفسرين : المعنى « عَلَى أَنْ نُسَـوِّىَ بَنَانَهُ » أى نجعـل أصابع يديه ورجليـه شيئا واحدا كخفّ البعير أو كحافر الحمـار أو كظلف الخنزير ، ولا يمكنه أن يعمل به شيئا ، ولكنا فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء . وكان الحسن

يقول : جعل لك أصابع فأنت تبسطهنّ ، وتقبض بهنّ ، ولو شاء الله لجمعهنّ فلم تتق الأرض إلا بكفيك . وقيل : أى نقدر أن نعيد الإنسان فى هيئة البهائم ، فكيف فى صورته التى كان عليها ؛ وهو كقوله تعالى : « وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ » .

قلت : والتأويل الأوّل أشبه بمساق الآية . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ قال ابن عباس : يعنى الكافر يكذّب بما أمامه من البعث والحساب . وقاله عبد الرحمن بن زيد، ودليله ﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾ أى يسأل متى يكون ؟ على وجه الإنكار والتكذيب . فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب ، ولكن يأثم لما بين يديه . ومما يدل على أن الفجور التكذيب ما ذكره القتبى وغيره : أن أعرابيا قصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشكا إليه نقب إبله ودبرها ، وسأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله ، فقال الأعرابى :

أَقْسَمَ بِاللهِ أبو حفص عُمَرْ * ما مَسَّها مِنْ نَقَبٍ ولا دَبَرْ
* فَاغْفِرْ له اللهمَّ إنْ كان فَجَرْ *

يعنى إن كان كذّبنى فيما ذكرت . وعن ابن عباس أيضا : يعجّل المعصية ويسوّف التوبة . وفى بعض الحديث قال : يقول سوف أتوب ولا يتوب؛ فهو قد أخلف فكذب . وهذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدى وسعيد بن جبير يقول : سوف أتوب، سوف أتوب حتى يأتيه الموت على أشرّ أحواله . وقال الضحاك : هو الأمل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت . وقيل : أى يعزم على المعصية أبدا وإن كان لا يعيش إلا مدّة قليلة . فالهاء على هذه الأقوال للإنسان . وقيل : الهاء ليوم القيامة . والمعنى بل يريد الإنسان ليكفر بالحقّ بين يدى يوم القيامة . والفجور أصله الميل عن الحقّ . «يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ» أى متى يوم القيامة .

قوله تعالى : فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ قرأ نافع وأبان عن عاصم « بَرَقَ» بفتح الراء معناه لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يَطرِف . قال مجاهد وغيره : هذا عند الموت . وقال الحسن : هذا يوم القيامة . وقال فيه معنى الجواب عما سال عنه الإنسان كأنه يوم القيامة « إِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ » . والباقون بالكسر « بَرِقَ » ومعناه تحيّر فلم يَطرِف؛ قاله أبو عمرو والزجاج وغيرهما . قال ذو الرمة :

ولو انّ لُقمانَ الحكيم تَعرَّضَتْ * لِعينيه مَىٌّ سافِرًا كاد يَبْرَقُ

الفرّاء والخليل : « بَرِق » بالكسر فَزِع وبُهِت . والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت : قد بَرِق فهو برِقٌ ؛ وأنشد الفرّاء :

فَنفْسَكَ فانْعَ ولا تَنْعَني * ودَاوِ الكُلُومَ ولا تَبْرَقِ[(١)]

أى لا تَفزَع من كثرة الكُلُوم التى بك . وقيل : بَرَق يَبرُق بالفتح شقّ عينيه وفتحهما . قاله أبو عبيدة؛ وأنشد قول الكلابيّ :

لما أتانى ٱبنُ عُمَيرٍ راغبًا * أعطيتُه عِيسًا صِهابًا فبَرَقْ[(٢)]

أى فتح عينيه . وقيل : إن كسر الراء وفتحها لغتان بمعنى .

---

(١) قائله طرفة .

(٢) فى غير القرطبى : لما أتانى ابن صبيح . والعيس الصهاب هى الإبل التى خالط بياضها حمرة وهى تعد عند العرب من أشرفها .

قوله تعالى : ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾ أى ذهب ضوءه . والخسوف فى الدنيا إلى انجلاء بخلاف الآخرة فإنه لا يعود ضوءه . ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ؛ ومنه قوله تعالى : « فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ » وقرأ ابن أبى إسحق وعيسى والأعرج . « وَخُسِفَ الْقَمَرُ » بضم الخاء وكسر السين يدل عليه « وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » . وقال أبو حاتم محمد بن إدريس : إذا ذهب بعضه فهو الكسوف، وإذا ذهب كله فهو الخسوف . ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ أى جمع بينهما فى ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ، قاله الفراء والزجاج . قال الفراء : ولم يقل جمعت ؛ لأن المعنى جمع بينهما . وقال أبو عبيدة : هو على تغليب المذكر . وقال الكسائى : هو محمول على المعنى كأنه قال الضوءان . المبرد : التأنيث غير حقيقى . وقال ابن عباس وابن مسعود : جمع بينهما أى قرن بينهما فى طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران . وقد مضى الحديث بهذا المعنى فى آخر سورة « الأنعام »[(1)] . وفى قراءة عبد الله « وَجُمِعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ » وقال عطاء بن يسار : يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى . وقال على وابن عباس : يجعلان فى [نور][(2)] الحجب . وقد يجمعان فى نار جهنم ؛ لأنهما قد عُبدا من دون الله ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة فى تبكيت الكافرين وحسرتهم . وفى مسند أبى داود الطيالسى ، عن يزيد الرقاشى ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى عليه وسلم : " إن الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار " وقيل : هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان، ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر ، فكأن المعنى يجمع حرهما عليهم . وقيل : يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثمّ تعاقب ليل ولا نهار .

قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾ أى يقول ابن آدم، ويقال أبو جهل؛ أى أين المهرب . قال الشاعر :

---

(1) راجع جـ ٧ ص ١٤٦ فما بعدها . (2) الزيادة من كتب التفسير .

أين المفر والكباش تنتطح * وأى كبش حاد عنها يفتضح

الماوردى : ويحتمل وجهين ؛ أحدهما « أَيْنَ الْمَفَرُّ » من الله آستحياء منه . الثانى « أَيْنَ الْمَفَرُّ » من جهنم حذرا منها . ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين : أحدهما — أن يكون من الكافر خاصة فى عَرْصة القيامة دون المؤمن؛ لثقة المؤمن ببشرى ربه . الثانى — أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ماشاهدوا منها . وقراءة العامة «الْمَفَرُّ» بفتح الفاء وآختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنه مصدر. وقرأ آبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم ؛ قال الكسائى : هما لغتان مثل مَدَبّ ومَدِبّ ومَصَحّ ومَصِحّ . وعن الزهرى بكسر الميم وفتح الفاء . المهدوى : من فتح الميم والفاء من «المفر» فهو مصدر بمعنى الفرار، ومن فتح الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذى يفر إليه . ومن كسر الميم وفتح الفاء فهو الإنسان الجيّد الفرار؛ فالمعنى أين الإنسان الجيّد الفرار ولن ينجو مع ذلك .

قلت : ومنه قول آمرئ القيس :

* مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا[1] *

يريد أنه حسن الكر والفر جيّده . ﴿كَلَّا﴾ أى لا مفر فـ«كلا» ردّ وهو من قول الله تعالى، ثم فسر هذا الردّ فقال : ﴿لَا وَزَرَ﴾ أى لا ملجأ من النار . وكان آبن مسعود يقول : لا حصن . وكان الحسن يقول : لاجبل . وآبن عباس يقول : لاملجأ . وآبن جبير : لامحيص ولا منعة ، والمعنى فى ذلك كله واحد . والوَزَر فى اللغة مايلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما؛ قال الشاعر :

لَعَمْرِىَ ما للفتى مِنْ وَزَرْ * مِنَ الموتِ يُدْرِكُه والكِبَرْ

قال السدىّ : كانوا فى الدنيا إذا فزعوا تحصنّوا فى الجبال ، فقال الله لهم : لا وَزَرَ يعصمكم يومئذ منى ؛ قال طَرَفة :

وَلَقَدْ تَعْلَمُ بَكْرٌ أَنَّنَا * فاضِلُو الرَّأْيِ وفى الرَّوْعِ وُزُرْ

(١) تمام البيت : * كجلمود صخر حطه السيل من عل *

أى ملجأ للخائف . ويروى : وُقُر . ﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ أى المنتهى؛ قاله قتادة . ونظيره : «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» . وقال آبن مسعود : إلى ربك المصير والمرجع . وقيل : أى المستقر فى الآخرة حيث يقره الله تعالى ؛ إذ هو الحاكم بينهم . وقيل : إن « كَلَّا » من قول الإنسان لنفسه إذا علم أنه ليس له مفر قال لنفسه : «كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» .

قوله تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ ﴾ أى يخبر آبن آدم برا كان أو فاجرا ﴿ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ أى بما أسلف من عمل سيء أو صالح، أو أخر من سنة سيئة أو صالحة يُعمَل بها بعده؛ قاله آبن عباس وآبن مسعود . وروى منصور عن مجاهد قال ينبأ بأول عمله وآخره . وقاله النخعى . وقال آبن عباس أيضا : أى بما قدّم من المعصية وأخر من الطاعة . وهو قول قتادة . وقال آبن زيد : « بِمَا قَدَّمَ » من أمواله لنفسه « وَأَخَّرَ » خلف للورثة . وقال الضحاك : ينبأ بما قدّم من فرض وأخر من فرض . قال القشيرى : وهذا الإنباء يكون فى القيامة عند وزن الأعمال . ويجوز أن يكون عند الموت .

قلت : والأوّل أظهر؛ لما خرجه آبن ماجه فى سننه من حديث الزُّهرى؛ حدثنى أبو عبد الله الأغرّ عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنّ مما يلحق المؤمنَ من عمله وحسناته بعد موته عِلْما علمه ونَشَره وولدا صالحا تركه أو مصحفا ورّثه أو مسجدا بناه أو بيتا لآبن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته" وخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "سبع يجرى أجرهنّ للعبد بعد موته وهو فى قبره من علّم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورّث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته" فقوله : "بعد موته وهو فى قبره" نصّ على أن ذلك لا يكون عند الموت ، وإنما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله ، وإن كان يبشر بذلك فى قبره . ودل على هذا أيضا قوله الحق : « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ » وقوله تعالى : « وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ » وهذا لا يكون إلا فى الآخرة بعد وزن الأعمال . والله أعلم .

وفى الصحيح : "من سنّ فى الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء" .

قوله تعالى : بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ قال الأخفش : جعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك . وقال ابن عباس : « بَصِيرَةٌ » أى شاهد وهو شهود جوارحه عليه : يداه بما بطش بهما ، ورجلاه بما مشى عليهما ، وعيناه بما أبصر بهما . والبصيرة الشاهد ، وأنشد الفرّاء :

كأنّ على ذى العقلِ عَيْنًا بَصيرةً * بِمَقْعَدِه أو مَنْظَرٍ هو ناظِرُهْ

يُحاذِرُ حتى يَحسبَ الناسَ كلَّهمْ * من الخوفِ لاتَخْفَى عليهم سَرائِرُهْ

ودليل هذا التأويل من التنزيل قوله تعالى : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وجاء تأنيث البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح ، لأنها شاهدة على نفس الإنسان ؛ فكأنه قال : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ؛ قال معناه القتبي وغيره . وناس يقولون هذه الهاء فى قوله : « بَصِيرَةٌ » هى التى يسميها أهل الإعراب هاء المبالغة كالهاء فى قولهم : داهية وعلّامة وراوية . وهو قول أبى عبيد . وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر ؛ يدل عليه قوله تعالى : « وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ » فيمن جعل المعاذير الستور . وهو قول السدّى والضحاك . وقال بعض أهل التفسير : المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة ؛ أى شاهد فحذف حرف الجر . ويجوز أن يكون بصيرة نعتا لاسم مؤنث فيكون تقديره : بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ؛ وأنشد الفراء :

* كأنّ على ذِى العقلِ عيناً بصيرةً *

وقال الحسن فى قوله تعالى : « بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ » يعنى بصير بعيوب غيره جاهل بعيوب نفسه . (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) أى ولو أرخى ستوره . والستر بلغة أهل اليمن معذار؛ قاله الضحاك؛ وقال الشاعر :

ولكنها ضَنَّتْ بِمَنزِلِ ساعةٍ * علينا وأَطَّتْ فَوْقَهَا بالمَعَاذِرِ

قال الزجاج : المَعاذِر السُّتور والواحد مِعذار ؛ أى وإن أرخى ستره ؛ يريد أن يخفى عمله فنفسه شاهدة عليه . وقيل : أى ولو اعتذر فقال لم أفعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذِّب عذره؛ قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء والسدى أيضا ومقاتل . قال مقاتل : أى لو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك ، نظيره قوله تعالى : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ » وقوله : « وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » فالمعاذير على هذا مأخوذ من العذر ؛ قال الشاعر :

وإياكَ والأمرَ الذى إنْ توسَّعتْ * مَوَارِدُه ضاقتْ عليكَ المصادرُ

فما حَسَنٌ أن يَعْذِرَ المرءُ نفسَهُ * وليس له مِن سائِرِ الناسِ عاذرُ

واعتذر رجل إلى إبراهيم النَّخَعى فقال له : قد عَذَرتك غير مُعتذِر، إن المعاذير يَشُوبها الكذب . وقال ابن عباس : « وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ » أى لو تجرد من ثيابه . حكاه الماوردى .

قلت : والأظهر أنه الإدلاء بالحجة والاعتذار من الذنب ؛ ومنه قول النابغة :

ها إنَّ ذِى عِذْرَةٌ إلَّا تَكُنْ نَفَعتْ * فإنّ صاحِبَها مُشَارِكُ النَّكَدِ

والدليل على هذا قوله تعالى فى الكفار : « وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ » وقوله تعالى فى المنافقين : « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ » . وفى الصحيح أنه يقول : "يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسولك وصلَّيتُ وصمتُ وتصدقتُ ويثنى بخير

ما ٱستطاع " الحديث . وقد تقدم فى « حٰمٓ السجدة »(١) وغيرها . والمَعاذِير والمَعاذِر جمع مَعْذِرة ؛ ويقال : عَذَرته فيما صنع أعذِره عُذْرا وعُذُرا والاسم المَعْذِرة والعُذْرى ؛ قال الشاعر(٢) :

* إنّى حُدِدْتُ ولا عُذْرَى لِمَحْدُودِ *

وكذلك العِذْرة وهى مثل الرِّكْبة والجِلْسة ؛ قال النابغة :

ها إنَّ تا عِذْرَةٌ إلّا تكُنْ نَفَعتْ * فإنّ صاحِبَها قد تاهَ فى البَلَدِ(٣)

وتضمنت هذه الآية خمس مسائل :

الأولى — قال القاضى أبو بكر بن العربى قوله تعالى : « بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ » : فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه ؛ لأنها شهادة منه عليها ؛ قال الله سبحانه وتعالى : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ولا خلاف فيه ؛ لأنه إخبار على وجه تنتفى التهمة عنه ؛ لأن العاقل لا يكذب على نفسه ، وهى المسئلة :

الثانية — وقد قال سبحانه فى كتابه الكريم : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » ثم قال تعالى : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا » وهو فى الآثار كثير ؛ قال النبى صلى الله عليه وسلم : " اُغْدُ يا أُنَيْس على ٱمرأة هذا فإن ٱعترفت فٱرجمها " . فأما إقرار الغير على الغير بوارث أو دين فقال مالك : الأمر المجتمع عليه عندنا فى الرجل يهلك وله بنون ، فيقول أحدهم : إن أبى قد أقرّ أن فلانا ٱبنه أن ذلك النسب لا يثبت بشهادة إنسان واحد ،

(١) راجع جـ ١٥ ص ٣٥٠ ففيه معنى ما أشار إليه القرطبى وأما الحديث فقد أورده فى سورة الأنعام جـ ٦ ص ٤٠٢

(٢) قائله الجموح الظفرى ، وقيل : هو راشد بن عبد ربه ، وعذرى مقصور . وفى اللسان : صواب إنشاده ؛ لولا حددت ، على إرادة أن ، تقديره : لولا أن حددت لأن لولا التى معناها ٱمتناع الشىء لوجود غيره هى مخصوصة بالأسماء وقد تقع بعدها الأفعال على تقدير أن .

(٣) تقدّم البيت برواية : ها إن ذى — مشارك الكمد ، وهما روايتان .

ولا يجوز إقرار الذى أقر إلا على نفسه فى حصته من مال أبيه، يعطى الذى شهد له قدر الذى يصيبه من المال الذى فى يده . قال مالك: وتفسير ذلك أن يهلك الرجل ويترك ٱبنين ويترك ستمائة دينار، ثم يشهد أحدهما بأن أباه الهالك أقر أن فلانا ٱبنه، فيكون على الذى شهد للذى ٱستلحق مائة دينار، وذلك نصف ميراث المستلحق لو لحق، وإن أقر له الآخر أخذ المائة الأخرى فٱستكمل حقه وثبت نسبه . وهو أيضا بمنزلة المرأة تقر بالدين على أبيها أو على زوجها وينكر ذلك الورثة ، فعليها أن تدفع إلى الذى أقرت له قدر الذى يصيبها من ذلك الدين لو ثبت على الورثة كلهم ، إن كانت آمرأة فورثت الثمن دفعت إلى الغريم ثمن دينه، وإن كانت ٱبنة ورثت النصف دفعت إلى الغريم نصف دينه ، على حساب هذا يدفع إليه من أقر له من النساء .

الثالثة ــ لا يصح الإقرار إلا من مكلف لكن بشرط ألا يكون محجورا عليه؛ لأن الحجر يسقط قوله إن كان لحق نفسه، فإن كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقط ومنه جائز. وبيانه فى مسائل الفقه . وللعبد حالتان فى الإقرار إحداهما فى ٱبتدائه ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم . والثانية فى ٱنتهائه وذلك مثل إبهام الإقرار، وله صور كثيرة وأمهاتها ستّ : الصورة الأولى ــ أن يقول له عندى شيء؛ قال الشافعي : لو فسّره بتمرة أو كسرة قُبِل منه. والذى تقتضيه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قَدر ، فإذا فسّره به قُبِل منه وحلف عليه . الصورة الثانية ــ أن يفسّر هذا بخمر أو خنزير أو ما لا يكون مالاً فى الشريعة لم يُقبَل بٱتفاق ولو ساعده عليه المقَر له . الصورة الثالثة ــ أن يفسّره بمختلَف فيه مثل جلد الميتة أو سرقين أو كلب ، فإن ردّه لم يحكم عليه حاكم آخر غيره بشيء ؛ لأن الحكم قد نفذ بإبطاله . وقال بعض أصحاب الشافعي : يلزم الخمر والخنزير وهو قول باطل . وقال أبو حنيفة : إذا قال له عليّ شيءٌ لم يقبل تفسيره إلا بمكيل أو موزون؛ لأنه لا يثبت فى الذمة بنفسه إلا هما. وهذا ضعيف فإن غيرهما يثبت فى الذمة إذا وجب ذلك إجماعا . الصورة الرابعة ــ إذا قال له : عندى مال قُبِل تفسيره بما لا يكون مالا فى العادة كالدرهم والدرهمين ما لم يجئ من قرينة

الحال ما يحكم عليه بأكثر منه . الصورة الخامسة — أن يقول له : عندى مال كثير أو عظيم؛ فقال الشافعى : يقبل فى الحبة . وقال أبو حنيفة : لا يقبل إلا فى نصاب الزكاة . وقال علماؤنا فى ذلك أقوالا مختلفة؛ منها نصاب السرقة والزكاة والدية وأقله عندى نصاب السرقة؛ لأنه لا يُبان عُضوُ المسلم إلا فى مال عظيم . وبه قال أكثر الحنفية . ومن يعجب فيتعجب لقول الليث بن سعد : إنه لا يقبل فى أقل من آثنين وسبعين درهما . فقيل له : ومن أين تقول ذلك ؟ قال ؛ لأن الله تعالى قال : «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» وغزواته وسراياه كانت آثنتين وسبعين . وهذا لا يصح؛ لأنه أخرج حُنَيْنا منها ، وكان حقه أن يقول يُقبَل فى أحد وسبعين ، وقد قال الله تعالى : «آذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» وقال : «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ» وقال : «وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» . الصورة السادسة — إذا قال له عندى عشرة أو مائة أو ألف فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه ، فإن قال ألف درهم أو مائة وعبد أو مائة وخمسون درهما فإنه يُفسِّر المبهم ويُقبَل منه . وبه قال الشافعى . وقال أبو حنيفة : إن عطف على العدد المبهم مكيلا أو موزونا كان تفسيرا؛ كقوله : مائة وخمسون درهما؛ لأن الدرهم تفسير للخمسين ، والخمسين تفسير للمائة . وقال آبن خيران الأصطخرى من أصحاب الشافعى : الدرهم لا يكون تفسيرا فى المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويُفسِّر هو المائة بما شاء .

المسئلة الرابعة — قوله تعالى : «وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ» ومعناه لو آعتذر بعد الإقرار لم يقبل منه . وقد آختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقر فى الحدود التى هى خالص حق الله؛ فقال أكثرهم منهم الشافعى وأبو حنيفة : يقبل رجوعه بعد الإقرار ، وقال به مالك فى أحد قوليه ، وقال فى القول الآخر : لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجها صحيحا . والصحيح جواز الرجوع مطلقا؛ لما روى الأئمة منهم البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنى مرارا أربعا كل مرة يعرض عنه ، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : "أبك جنون" قال : لا . قال : "أحصنت" قال : نعم . وفى حديث البخارى : "لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت" . وفى النسائى وأبى داود : حتى قال له فى الخامسة

"أجامعتها" قال : نعم . قال : "حتى غاب ذلك منك فى ذلك منها" قال : نَعَم . قال : "كما يغيب المِرود فى المُكْحُلة والرِّشاء فى البئر" . قال : نَعَم . ثم قال : "هل تدرى ما الزنى" قال : نعم ؛ أتيت منها حراما مثل ما يأتى الرجل من أهله حلالا . قال : "فما تريد منى" قال : أريد أن تطهرنى . قال : فأمر به فرُجم . قال الترمذى وأبو داود : فلما وجد مَسَّ الحجارة فرَّ يشتد[2] فضرب به رجل بلَحْيِ جملٍ وضربه الناس حتى مات . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "هلّا تركتموه" وقال : أبو داود والنَّسائى ؛ ليتثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما لترك حَدّ فلا . وهذا كله طريق للرجوع وتصريح بقبوله . وفى قوله عليه السلام : "لعلك قَبَّلْتَ أو غَمزتَ" إشارة إلى قول مالك : إنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجها .

الخامسة ـ وهذا فى الحر المالك لأمر نفسه ، فأما العبد فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يقرّ على بَدَنه ، أو على ما فى يده وذمته ، فإن أقرّ على بَدَنه فيما فيه عقوبة من القتل فما دونه نفذ ذلك عليه . وقال محمد بن الحسن : لا يقبل ذلك منه ؛ لأن بَدَنه مستغرق لحقّ السيد ، وفى إقراره إتلاف حقوق السيد فى بَدَنه ؛ ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم : "من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإن من يُبْدِ لنا صفحته نُقم عليه الحدّ" المعنى أن محل العقوبة أصل الخلقة وهى [الدُّمْية][3] فى الآدمية ولا حقّ للسيد فيها ، وإنما حقه فى الوصف والتبع وهى المالية الطارئة عليه ، ألا ترى أنه لو أقرّ بمال لم يقبل حتى قال أبو حنيفة : إنه لو قال سرقت هذه السِّلْعة أنه لم تقطع يده ويأخذها المقَرّ له . وقال علماؤنا : السِّلْعة للسيد ويُتْبَع العبدُ بقيمتها إذا عَتَق ؛ لأن مال العبد للسيد إجماعا ، فلا يقبل قوله فيه ولا إقراره عليه ، لا سيما وأبو حنيفة يقول : إن العبد لا ملك له . ولا يصح أن يَملِك ولا يملك ، ونحن وإن قلنا إنه يصح تملّكه ، ولكن جميع ما فى يده لسيده بإجماع على القولين . والله أعلم .

---

(١) اللفظ فى رواية لأبى داود . (٢) يشتد : يعدو .
(٣) التصحيح من ابن العربى وفى الأصول «الذمة» .

قوله تعالى : لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ فى الترمذى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يحرّك به لسانه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ » قال : فكان يحرّك به شفتيه . وحرك سفيان شفتيه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدّة ، كان يحرّك شفتيه ، فقال لى ابن عباس : أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرّكهما ، فقال سعيد : أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحرّكهما فحرّك شفتيه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ قال فاستمع له وأنصت . ثم إن علينا أن تقرأه؛ قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع ، و إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما أقرأه ؛ خرّجه البخارى أيضا . ونظير هذه الآية قوله تعالى : « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ » وقد تقدّم[1] . وقال عامر الشّعْبى : إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حُبّه له ، وحلاوته فى لسانه ، فنهى عن ذلك حتى يجتمع ؛ لأن بعضه مرتبط ببعض . وقيل : كان عليه السلام إذا نزل عليه الوحى حرّك لسانه مع الوحى مخافة أن ينساه فنزلت « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ » ونزل « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » ونزل « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ » قاله ابن عباس . « وَقُرْآنَهُ » أى وقراءته عليك . والقراءة والقرآن فى قول الفراء مصدران . وقال قتادة : « فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ »

---

(١) راجع ج ١١ ص ٢٥٠

أى فاتبع شرائعه وأحكامه . وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ أى تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام؛ قاله قتادة . وقيل : ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما . وقيل : أى إن علينا أن نبينه بلسانك . قوله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ قال ابن عباس : أى إن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه . وقيل : أى « كَلَّا » لا يُصلُّون ولا يزكون يريد كفار مكة . ﴿ بَلْ تُحِبُّونَ ﴾ أى بل تحبون يا كفار أهل مكة ﴿ الْعَاجِلَةَ ﴾ أى الدار الدنيا والحياة فيها ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ أى تدعون ﴿ الْآخِرَةَ ﴾ والعمل لها . وفى بعض التفسير قال : الآخرة الجنة . وقرأ أهل المدينة والكوفيون « بَلْ تُحِبُّونَ » « وَتَذَرُونَ » بالتاء فيهما على الخطاب واختاره أبو عبيد، قال: ولولا الكراهة لخلاف هؤلاء القراء لقرأتها بالياء ؛ لذكر الإنسان قبل ذلك. الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار أبى حاتم ، فمن قرأ بالياء فردا على قوله تعالى: «يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ» وهو بمعنى الناس . ومن قرأ بالتاء فعلى أنه واجههم بالتقريع ؛ لأن ذلك أبلغ فى المقصود ؛ نظيره : « إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا » .

قوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ الأول من النضرة التى هى الحسن والنعمة . والثانى من النظر أى وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ؛ يقال : نَضَرهم الله يَنضُرهم نَضْرة ونَضَارة وهو الإشراق والعيش والغِنى ؛ ومنه الحديث "نَضَر[1] الله آمرءاً سمع مقالتى فوعاها" . « إِلَىٰ رَبِّهَا » إلى خالقها ومالكها « نَاظِرَةٌ » أى تنظر إلى ربها ؛ على هذا جمهور العلماء . وفى الباب حديث صُهَيب خرجه مسلم وقد مضى فى « يونس » عند قوله تعالى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ[2] » . وكان ابن عمر يقول : أكرم أهل الجنة

(١) نضره ونضره بالتشديد وأنضره أى نعمه ، يروى الحديث بالتخفيف والتشديد من النضارة وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق . (٢) راجع جـ ٨ ص ٣٣٠

على الله من ينظر إلى وجهه غُدْوة وعَشية . ثم تلا هذه الآية «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » . وروى يزيد النحوى عن عكرمة قال : تنظر إلى ربها نظرا . وكان الحسن يقول : نضرت وجوههم ونظروا إلى ربّهم .

وقيل : إن النظر هنا آنتظار ماهم عند الله من الثواب . وروى عن آبن عمر ومجاهد . وقال عكرمة : تنتظر أمر ربّها . حكاه الماوردىّ عن آبن عمر وعكرمة أيضا . وليس معروفا إلا عن مجاهد وحده . وآحتجوا بقوله تعالى : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » وهذا القول ضعيف جدا ، خارج عن مقتضى ظاهر الآية والأخبار . وفى الترمذى عن آبن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أدنى أهل الجنة منزلة لمَن ينظر إلى جِنانه وأزواجه وخَدمه وسُرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غُدْوة وعَشيّة " ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » قال هذا حديث غريب . وقد روى عن آبن عمر ولم يرفعه . وفى صحيح مسلم عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم جلّ وعزّ إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جَنّة عدن " . وروى جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : " إنكم سترون ربكم عِيانا كما ترون هذا القمر لا تُضَامُّون فى رؤيته فإن آستطعتم ألّا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا " ثم قرأ « وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ » متفق عليه . وخرجه أيضا أبو داود والترمذىّ وقال : حديث حسن صحيح . وخرّج أبو داود عن أبى رَزِين العُقَيلىّ قال : قلت يا رسول الله أكلّنا يرى ربه ؟ قال آبن معاذ : مُخْلِيًا به يوم القيامة ؟ قال : "نعم يا أبا رَزِين " قال : وما آية ذلك فى خَلْقه ؟ قال " يا أبا رَزِين أليس كلّكم يرى القمر " قال آبن معاذ : ليلة البدر مُخْلِيًا به . قلنا : بلى . قال : " فالله أعظم " [قال آبن معاذ قال] (١) :

(١) الزيادة من مسند أبى داود .

" فإنما هو خلق من خلق الله — يعنى القمر — فالله أجل وأعظم " . وفى كتاب النسائى عن صهيب قال : " فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحبّ إليهم من النظر ولا أقر لأعينهم " وفى التفسير لأبى إسحـق الثعلبى عن الزبير عن جابر قال قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : " يتجلّى ربّنـا عزّ وجلّ حتى ينظروا إلى وجهـه فيخرون له سُجَّـدا فيقول ٱرفعوا رءوسكم فليس هـذا بيوم عِبـادة " قال الثعلبى : وقـول مجاهد أنها بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شىء من خلقه فتأويل مدخول ؛ لأن العرب إذ أرادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته ؛ كما قال تعالى : « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ » « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ » و « مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً » و إذا أرادت به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه ، فأما إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى وذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان . وقال الأزهرى : إن قول مجاهد تنتظر ثواب ربها خطأ ؛ لأنه لا يقـال نظر إلى كذا بمعنى الانتظار ، و إن قول القائل نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، كذلك تقـوله العرب ؛ لأنهم يقولون نظرت إليه إذا أرادوا نظر العين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرته ؛ قال : —

فإنَّكما إنْ تَنْظُرانِىَ ساعةً * مِن الدَّهرِ تَنْفَعْنِى لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ

لما أراد الانتظار قال تنظرانى ولم يقـل تنظران إلىّ ؛ وإذا أرادوا نظر العين قالوا نظرت إليه ؛ قال : —

نَظرتُ إليها والنُّجـومُ كأنَّهـا * مَصابيحُ رُهْبـانٍ تُشَبُّ لِقُفَّـالِ (1)

وقال آخر : —

نَظرتُ إليها بالمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى * ولِى نَظَـرٌ (2) لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

وقال آخر :

إنِّى إليكَ لِمـا وَعَدتَ لَناظِرٌ * نَظَـرَ الفقيرِ إلى الغنىِّ المُـوسِرِ

(1) تشب : توقد . والقفال جمع قافل وهو الراجع من السفر . والبيت من قصيدة لامرئ القيس .

(2) فى نسخ الأصل نظرة ، والصواب ما ذكرنا كما فى ديوان قائله وهو عمر بن ربيعة .

أى إنى أنظر إليك بذل ؛ لأن نظر الذل والخضوع أرق لقلب المسئول ؛ فأما ما استدلوا به من قوله تعالى : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » فإنما ذلك فى الدنيا . وقد مضى القول فيه فى موضعه مستوفى[1] . وقال عطية العوفى : ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، ونظره يحيط بهم ؛ يدل عليه « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » قال القشيرى أبو نصر : وقيل : «إلى» واحد الآلاء أى نعمه منتظرة . وهذا أيضا باطل ؛ لأن واحد الآلاء يكتب بالألف لا بالياء ، ثم الآلاء نعمه الدفع[2] ، وهم فى الجنة لا ينتظرون دفع نقمة عنهم ، والمنتظر للشيء متنغص العيش فلا يوصف أهل الجنة بذلك . وقيل : أضاف النظر إلى الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : « تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » والماء يجرى فى النهر لا النهر . ثم قد يذكر الوجه بمعنى العين ؛ قال الله تعالى : «فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا » أى على عينيه . ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى يخلق الرؤية والنظر فى الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ » فقيل : يارسول الله ! كيف يمشون فى النار على وجوههم ؟ قال : "الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم" .

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ أى وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة . وفى الصحاح : وبَسَر الفحلُ الناقةَ وٱبتسرها إذا ضربها من غير ضَبَعَة ، وبَسَر الرجلُ وجهَه بُسُورا أى كَلَح ؛ يقال : عَبَس وبَسَر . وقال السدى : «بَاسِرَةٌ» أى متغيرة والمعنى واحد . ﴿ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ أى توقن وتعلم ، والفاقرة الداهية والأمر العظيم ؛ يقال : فقرته الفاقرة أى كسرت فَقَار ظهره . قال معناه مجاهد وغيره . وقال قتادة : الفاقرة الشر . السدىّ : الهلاك . ٱبن عباس وٱبن زيد : دخول النار . والمعنى متقارب . وأصلها الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم ؛ قاله الأصمعى . يقال : فَقَرتُ أنفَ البعير إذا حززته بحديدة ثم جعلتَ على موضع الحزّ الجَرِيرَ[3] وعليه وَتَرٌ مَلْوِىّ لتذلّلَه بذلك وتروِّضَه ؛ ومنه قولهم : قد عُمِل به الفاقرة . وقال النابغة :

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٥٤ (٢) هكذا فى كل الأصول . (٣) الجرير حبل من أدم يخطم به البعير

أَبَى لِيَ قَبْرٌ لا يَزالُ مُقَابِلِي * وضَرْبةُ فَأْسٍ فوق رَأْسِي فَاقِرَهْ

أى كاسرة .

قوله تعالى : كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ «كَلَّا» رَدْع وزَجْر أى بعيد أن يؤمن الكافر بيوم القيامة ؛ ثم ٱستأنف فقال : « إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ » أى بلغت النفس أو الروح التراقى ؛ فأخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به ؛ كقوله تعالى : « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ » وقوله تعالى : « فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ » وقد تقدّم(1) . وقيل : «كَلَّا» معناه حقًّا أى حقًّا إن المساق إلى الله « إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ » أى إذا ٱرتقت النفس إلى التراقى . وكان ٱبن عباس يقول : إذا بلغت نفس الكافر التراقى . والتراقى جمع تَرْقُوة وهى العظام المكتنفة لنُقْرة النَّحْر، وهو مقدّم الحلق من أعلى الصدر ، وهو موضع الحَشْرجة ؛ قال دُرَيد بن الصِّمَّة(2) :

وَرُبَّ عَظِيمةٍ دافَعتَ عَنْهمْ * وقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهمُ التَّراقِى

وقد يكنى عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقى ، والمقصود تذكيرهم شدّة الحال عند نزول الموت .

قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ ٱختلف فيه فقيل : هو من الرقية ؛ عن ٱبن عباس وعكرمة وغيرهما . روى سِماك عن عِكرمة قال : مَن راقٍ يَرْقِى أى يَشْفِى . وروى ميمون بن مِهران عن ٱبن عباس : أى هل من طبيب يَشْفيه ؛ وقاله أبو قِلابة وقتادة ؛ وقال الشاعر :

هَلْ لِلفَتَى مِنْ بَناتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ * أَمْ هلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقِ

(1) راجع جـ ١٥ ص ١٩٥ وجـ ١٧ ص ٢٣٠ فما بعدها .

(2) كذا فى الأصل والبيت لأخته عمرة من قصيدة لها ترثى بها أباها كما فى شعراء النصرانية .

وكان هـذا على وجه الاستبعاد واليأس ؛ أى من يقدر أن يَرْقِى من الموت ؛ وعن ابن عباس أيضا وأبى الجوزاء أنه من رَقِىَ يَرْقَى إذا صَعِد ، والمعنى : من يَرقَى بروحه إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ وقيل: إن ملك الموت يقول مَن راقٍ؟ أى من يرقَى بهذه النفس ؛ وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها ، فيقول ملك الموت : يافلان اصعد بها . وأظهر عاصم وقوم النون فى قوله تعالى : « مَنْ رَاقٍ » واللام فى قوله : « بَلْ رَانَ » لئلا يشبه مَرَّاق وهو بائع المَرَقة ، وبَرَّان فى تثنية البَرّ. والصحيح ترك الإظهار، وكسرة القاف فى « مَنْ رَاقٍ » وفتحة النون فى « بَلْ رَانَ» تكفى فى زوال اللبس . وأمثل مما ذُكِر: قصد الوقف على « مَنْ » و« بَلْ » فأظهرهما ؛ قاله القشيرى .

قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ ﴾ أى أيقن الإنسان ﴿ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ أى فراق الدنيا والأهل والمال والولد ، وذلك حين عاين الملائكة . وقال الشاعر :

فِـراقٌ ليس يُشبِهُهُ فِـراق * قد انقطـع الرجاءُ عن التَّلَاق

﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾ أى فاتصلت الشدّة بالشدّة؛ شدّة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . وقال الشعبي وغيره : المعنى التفت ساقا الإنسان عند الموت من شدّة الكرب. وقال قتادة : أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى. وقال سعيد بن المسيِّب والحسن أيضا : هما ساقا الإنسان إذا التفتا فى الكفن . وقال زيد ابن أسلم : التفت ساق الكفن بساق الميت . وقال الحسن أيضا : ماتت رجلاه ، و يبست ساقاه فلم تحملاه ، ولقد كان عليهما جوّالا . قال النحاس : القول الأوّل أحسنها . وروى علىّ ابن أبى طلحة عن ابن عباس : « وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ » قال آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة ، فتلتقى الشدّة بالشدّة إلا من رحمه الله ؛ أى شدّة كرب الموت بشدّة هول المطلع ؛ والدليل على هـذا قوله تعالى : « إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ » وقال مجاهد : بلاء ببلاء . يقول : تتابعت عليه الشدائد . وقال الضحاك وابن زيد : اجتمع عليه أمران شديدان الناس يُجهِّزون جسده والملائكة يُجهِّزون رُوحه، والعرب لا تذكر الساق إلا فى المِحَن

والشدائد العظام ؛ ومنه قولهم : قامت الدنيا على ساق ، وقامت الحرب على ساق .
قال الشاعر :

* وقامتِ الحربُ بنا على ساق[1] *

وقد مضى هذا المعنى فى آخر سورة « نٓ وَالقَلَمِ »[2] . وقال قوم : الكافر تُعَذَّب رُوحه عند خروج نفسه فهذه الساق الأولى ، ثم يكون بعدهما ساق البعث وشدائده . ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أى إلى خالقك ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أى يوم القيامة ﴿ الْمَسَاقُ ﴾ أى المرجع . وفى بعض التفاسير قال: يسوقه مَلَكه الذى كان يحفظ عليه السيئاتِ . والمَسَاق المصدر من ساق يسوق ، كالمَقَال من قال يقول .

قوله تعالى : فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ أى لم يصدّق أبو جهل ولم يُصلّ . وقيل : يرجع هذا إلى الإنسان فى أوّل السورة وهو اسم جنس . والأوّل قول ابن عباس . أى لم يصدّق بالرسالة « وَلَا صَلَّىٰ » ودعا لربه وصلى على رسوله . وقال قتادة : فلا صدّق بكتاب الله ولا صلى لله . وقيل : ولا صدّق بمال له ذخرا له عند الله ، ولا صلّى الصلوات التى أمره الله بها . وقيل : فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه . قال الكسائى : « لا » بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره ؛ تقول العرب : لا عبد الله خارج ولا فلان ، ولا تقول : مررت برجل لا مُحسن حتى يقال ولا مُجمِل ، وقوله تعالى : « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » ليس من هذا القبيل ؛ لأن معناه أفلا اقتحم ؛ أى فهلا اقتحم فحذف ألف الاستفهام . وقال الأخفش : « فَلَا صَدَّقَ » أى لم يصدّق ؛ كقوله : « فَلَا اقْتَحَمَ » أى لم يقتحم ولم يشترط أن يعقبا

---

(١) صدر البيت : * صبرا أمام إنه شرباق *

(٢) راجع جـ ١٨ ص ٢٤٨ وما بعدها .

بشيء آخر، والعرب تقول : لاذهب أي لم يذهب ، فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل؛ ومنه قول زهير :

* فَلا هو أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ * (١)

قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ أي كذّب بالقرآن وتولى عن الإيمان ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴾ أي يتبختر افتخارا بذلك؛ قاله مجاهد وغيره . مجاهد : المراد به أبو جهل . وقيل : « يَتَمَطَّى » من المَطَا وهو الظَّهْر والمعنى يَلْوِي مَطَاه . وقيل : أصله يتمطط وهو التمدّد من التكسل والتثاقل، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحق؛ فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف والتمطى يدل على قلة الاكتراث وهو التمدّد ، كأنه يمدّ ظَهْره ويَلْويه من التبختر . والمَطِيطة الماء الخاثر في أسفل الحوض؛ لأنه يتمطط أي يتمدّد ؛ وفي الخبر " إذا مشت أمّتي المُطَيْطاء (٢) وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم " والمُطَيْطاء التبختر ومدّ اليدين في المشي .

قوله تعالى : ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴾ تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد، أي فهو وعيد أربعة لأربعة ؛ كما روي أنها نزلت في أبي جهل الجاهل بربّه فقال : « فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى » أي لاصدّق رسول الله ، ولا وقف بين يديّ فصلّى ، ولكن كذّب رسولي وتولّى عن التصلية بين يديّ . فترك التصديق خَصْلة ، والتكذيب خَصْلة ، وترك الصلاة خَصْلة ، والتولّي عن الله تعالى خَصْلة ، فجاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربعة . والله أعلم . لايقال : فإن قوله « ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى » خَصْلة خامسة ؛ فإنا نقول : تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولّي فأخبر عنها . وذلك بَيِّن في قول قتادة على مانذكره . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم (٣) ، فاستقبله أبوجهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صدر البيت : * وكان طوى كشحا على مستكنة *

(٢) المطيطاء يمدّ ويقصر قال ابن الأثير : وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر .

(٣) في نسخة ذات ليلة .

بيده ، فهزّه مرة أو مرتين ثم قال له : "أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى" فقال له أبوجهل : أتهددني؟ فوالله إني لأَعزُّ أهل الوادي وأكرمه . ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لأبي جهل . وهي كلمة وعيد . قال الشاعر :

فَأَوْلَى ثم أَوْلَى ثم أَوْلَى * وهَلْ للدَّرِّ يُحْلَبُ من مَرَدّ

قال قتادة : أقبل أبو جهل بن هشام يتبختر فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال : "أَوْلَى لكَ فأَوْلَى ثم أَوْلَى لكَ فأوْلَى" فقال : ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئا ، إني لأعزُّ مَنْ بين جبليها . فلما كان يوم بَدْر أشرف على المسلمين فقال : لا يُعبَدُ اللهُ بعد هذا اليوم أبدا . فضرب الله عنقه وقتله شر قِتْلة . وقيل : معناه الويل لك ، ومنه قول الخنساء :

هَمَمْتُ بنفسيَ كُلَّ الهُمُومِ * فأَوْلَى لنفسيَ أَوْلَى لهَا

سأَحْمِلُ نفسي على آلةٍ(1) * فإمَّا عليها وإمَّا لَهَا

الآلة الحالة والآلة السرير أيضا الذي يحمل عليه الميت ؛ وعلى هذا التأويل قيل : هو من المقلوب ؛ كأنه قيل : أويل ، ثم أخر الحرف المعتل ، والمعنى الويل لك حيا والويل لك ميتا ، والويل لك يوم البعث ، والويل لك يوم تدخل النار ؛ وهذا التكرير كما قال(2) :

* لَكَ الوَيْلاتُ إِنَّكَ مُرْجِلي *

أي لك الويل ثم الويل ثم الويل ، وضُعِّف هذا القول . وقيل: معناه الذم لك أولى من تركه إلا أنه كثير في الكلام فحذف . وقيل : المعنى أنت أولى وأجدر بهذا العذاب . وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : قال الأصمعي أَوْلَى في كلام العرب معناه مُقارَبة الهلاك ، كأنه يقول : قد وَلِيتَ الهلاك ، قد دَانَيْتَ الهلاكَ ؛ وأصله من الوَلْي وهو القُرْب ؛ قال الله

---

(1) في نسخ من الأصل على آلة بفتح فشد وهي الحربة وصوابه آلة أي حالة .

(2) هو امرؤ القيس ، والبيت بتمامه :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة * فقالت لك الويلات إنك مرجلي

تعالى : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ » أى يقربون منكم ؛ وأنشد الأصمعى :

* وأَوْلَى أن يكون له الولاءُ *

أى قارب أن يكون له ؛ وأنشد أيضا :

* أَوْلَى لِمَنْ هاجَتْ لَهُ أَنْ يُكْمَدَا *

أى قد دنا صاحبها الكمد . وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعى ويقول : ليس أحد يفسّر كتفسير الأصمعى . النحاس : العرب تقول أَوْلَى لكَ كِدتَ تَهلِك ثم أَفْلَتَّ ، وكأنّ تقديره : أولى لك وأولى بك الهلكة . المهدوى قال : ولا تكون أَوْلَى أَفْعَل منكَ ، وتكون خبر مبتدإ محذوف ، كأنه قال : الوعيد أولى له من غيره ؛ لأن أبا زيد قد حكى : أَوْلاَةُ الآنَ إذا أَوْعدوا . فدخول علامة التأنيث دليل على أنه ليس كذلك . و «لَكَ» خبرعن « أَوْلَى » . ولم ينصرف « أَوْلَى » لأنه صار علما للوعيد فصار كرجل آسمه أحمد . وقيل : التكرير فيه على معنى ألزم لك على عملك السّىء الأول ، ثم على الثانى والثالث والرابع كما تقدّم .

قوله تعالى : أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ ﴾ أى يظن آبن آدم ﴿ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أى أن يُخلَّى مُهمَلا فلا يؤمَر ولا يُنهى ؛ قاله آبن زيد ومجاهد ، ومنه إبل سُدًى ترعى بلا راع . وقيل : أيحسب أن يترك فى قبره كذلك أبدا لا يُبعَث . وقال الشاعر :

فأُقسِمُ بالله جهدَ اليمين * ما ترَكَ اللهُ شيئاً سُدَى

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ أى من قطرة ماء تُمنَى فى الرَّحِم أى تُراق فيه ؛ ولذلك سميت مِنًى لإراقة الدماء ، وقد تقدّم (١) . والنطفة الماء القليل ؛ يقال : نطف الماء إذا قطر . أى ألم يك ماء قليلا فى صُلْب الرجل وتَرائب المرأة . وقرأ حفص « مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى » بالياء وهى قراءة ٱبن مُحَيْصن ومجاهد ويعقوب وعيّاش عن أبى عمرو وٱختاره أبو عبيد لأجل المنيّ . الباقون بالتاء ؛ لأجل النطفة وٱختاره أبو حاتم . ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً ﴾ أى دما بعد النطفة ، أى قد رتّبه تعالى بهذا كله على خِسّة قدره . ثم قال : ﴿ فَخَلَقَ ﴾ أى فقدّر ﴿ فَسَوَّى ﴾ أى فسوّاه تسوية وعدّله تعديلا بجعل الروح فيه ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ﴾ أى من الإنسان . وقيل : من المنيّ . ﴿ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ أى الرجل والمرأة . وقد ٱحتج بهذا من رأى إسقاط الخنثى . وقد مضى فى سورة « الشورى » (٢) أن هذه الآية وقرينتها إنما خرجتا مخرج الغالب . وقد مضى فى أول سورة « النساء » (٣) أيضا القول فيه ، وذكرنا فى آية المواريث حكمه فلا معنى لإعادته ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ ﴾ أى أليس الذى قدر على خلق هذه النَّسَمة من قطرة من ماء ﴿ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ أى على أن يعيد هذه الأجسام كهيئتها للبعث بعد البِلَى . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال : "سبحانك اللهم وبَلَى" وقال ٱبن عباس : من قرأ « سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » إماما كان أو غيره فليقل : « سبحان ربى الأعلى » ومن قرأ « لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » إلى آخرها إماما كان أو غيره فليقل : « سبحانك اللّهمّ بَلَى » ذكره الثعلبى من حديث أبى إسحق السَّبِيعِيّ عن سعيد ٱبن جبير عن ٱبن عباس . ختمت السورة والحمد لله .

---

(١) راجع جـ ١٧ ص ١١٨ وص ٢١٦

(٢) راجع جـ ١٦ ص آية ٥٢

(٣) راجع جـ ٥ ص ٢

سورة الانسان

وهي إحدى وثلاثون آية

مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي . وقال الجمهور : مدنية . وقيل : فيها مكيّ ، من قوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا » إلى آخر السورة وما تقدّمه مدنيّ .

وذكر ابن وهب قال : وحدّثنا ابن زيد قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر بن الخطاب : لا تُثْقِل على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " دَعْه يا ابن الخطاب " قال : فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده ، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زَفَر زَفْرة فخرجت نَفْسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أَخْرَجَ نفسَ صاحبكم — أو أخيكم — الشَّوقُ إلى الجنة" وروى عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ وسيأتي . وقال القشيري : إن هذه السورة نزلت في عليّ بن طالب رضي الله عنه . والمقصود من السورة عام . وهكذا القول في كل ما يقال إنه نزل بسبب كذا وكذا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ « هَلْ » بمعنى قد ، قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة . وقد حكى عن سيبويه « هل » بمعنى قد . قال الفراء : هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر؛ لأنك تقول : هل أعطيتك؟ تُقرِّره

بأنك أعطيته، والجحد أن تقول : هل يقدر أحد على مثل هذا . وقيل : هى بمنزلة الاستفهام، والمعنى أتى . والإنسان هنا آدم عليه السلام؛ قاله قتادة والثورى وعكرمة والسّدّى . وروى عن ابن عباس «حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ» قال ابن عباس فى رواية أبى صالح : أربعون سنة مرت به ، قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف . وعن ابن عباس أيضا فى رواية الضحاك أنه خلق من طين ، فأقام أربعين سنة ، ثم من حمإ مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة . وزاد ابن مسعود فقال : أقام وهو من تراب أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وستين سنة ، ثم نفخ فيه الرُّوح . وقيل : الحين المذكور هاهنا لا يُعرَف مقداره . عن ابن عباس أيضا . حكاه الماوردىّ . « لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا» قال الضحاك عن ابن عباس : لا فى السماء ولا فى الأرض . وقيل : أى كان جسدا مصوّرا ترابا وطينا لا يُذكَر ولا يُعرَف ولا يُدرَى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نُفِخ فيه الرُّوح فصار مذكورا ؛ قاله الفراء وقطرب وثعلب . وقال يحيى بن سلّام : لم يكن شيئا مذكورا فى الخلق وإن كان عند الله شيئا مذكورا . وقيل : ليس هذا الذِّكر بمعنى الإخبار فإن إخبار الربّ عن الكائنات قديم، بل هذا الذِّكر بمعنى الخطر والشرف والقدر؛ تقول : فلان مذكور أى له شرف وقدر . وقد قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » أى قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قَدْر عند الخليقة . ثم لما عَرَّف اللهُ الملائكةَ أنه جعل آدم خليفة، وحمّله الأمانة التى عجز عنها السموات والأرض والجبال ، ظهر فضله على الكل فصار مذكورا . قال القشيرى : وعلى الجملة ما كان مذكورا للخلق وإن كان مذكورا لله . وحكى محمد بن الجهم عن الفراء : «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا» قال : كان شيئا ولم يكن مذكورا . وقال قوم : النفى يرجع إلى الشىء ؛ أى قد مضى مُدَد من الدهر وآدم لم يكن شيئا يذكر فى الخليقة ؛ لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة، والمعدوم ليس بشىء حتى يأتى عليه حين . والمعنى قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لأحد من الخليقة . وهذا معنى قول قتادة ومقاتل. قال قتادة : إنما خلق الإنسان حديثا ما نعلم من خليقة الله جل ثناؤه خليقة

كانت بعد الإنسان . وقال مقاتل : فى الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئا مذكورا ؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ، ولم يخلق بعده حيوانا . وقد قيـل : « الإنسان » فى قوله تعالى : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ » عنى به الجنس من ذرية آدم ، وأن الحين تسعة أشهر مدّة حمل الإنسان فى بطن أمه « لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا » إذ كان علقة ومضغة ؛ لأنه فى هذه الحالة جماد لا خطر له . وقال أبو بكر رضى الله عنه لمـا قرأ هـذه الآية : ليتها تمّت فلا نُبْتَلى . أى ليت المدّة التى أتت على آدم لم تكن شيئا مذكورا تمّت على ذلك فلا يلد ولا يُبْتلى أولادُه . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقرأ «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا » فقال ليتها تمّتْ .

قوله تعـالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أى آبن آدم من غير خلاف ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أى من ماء يقطر وهو المنىّ ، وكل ماء قليل فى وعاء فهو نطفة ؛ كقول عبد الله بن رَوَاحة يعاتب نفسه :

مَالِى أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجنَّـهْ * هل أنتِ إلَّا نُطْفَةٌ فى شَنَّهْ[1]

وجمعها نُطَف ونِطَاف . ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ أخلاط واحدها مِشْج ومَشِيج مثل خِدْن وخَدِين ؛ قال رؤبة :

يَطْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاجِ * لَمْ يُكْسَ جِلْدًا فى دَمٍ أَمْشَـاجِ

ويقال : مَشَجتُ هـذا بهذا أى خلطته فهو مَمْشوج ومَشيج مثـل مخلوط وخليط . وقال المبرّد : واحد الأَمْشاج مَشْج يقال مَشَج يَمْشِج إذا آختلط وهو هنا آختلاط النطفة بالدم ؛ قال الشّمّاخ :

طَوَتْ أَحْشاءَ مُرْتِجَةٍ لِوَقْتٍ * على مَشَـجٍ سُـلالَتُهُ مَهِينُ

وقال الفراء : أمشاج أخلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعَلَقة ، ويقال للشىء من هذا إذا خُلط مَشِيج كقولك خَلِيط ، ومَمْشوج كقولك مخلوط . وروى عن آبن عباس رضى الله عنه

(١) الشنة : القربة .

قال : الأمشاج الحمرة فى البياض والبياض فى الحمرة . وهذا قول يختاره كثير من أهل اللغة؛ قال الهذلى[(١)] :

كَأَنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ مِنْهُ * خِلَافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ

وعن ابن عباس أيضا قال[(٢)] : يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما الولد، فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة . وقد روى هذا مرفوعا؛ ذكره البزار . وروى عن ابن مسعود : أمشاجها عروق المضغة . وعنه : ماء الرجل وماء المرأة وهما لونان . وقال مجاهد : نطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء . وقال ابن عباس : خلق من ألوان؛ خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهى نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه . وقال قتادة : هى أطوار الخلق؛ طور علقة وطور نطفة وطور عظاما ثم يكسو العظام لحما؛ كما قال فى سورة «المؤمنين» «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» الاية . وقال ابن السكيت : الأمشاج الأخلاط؛ لأنها ممتزجة من أنواع فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة . وقال أهل المعانى : الأمشاج ما جمع وهو فى معنى الواحد؛ لأنه نعت للنطفة؛ كما يقال : بُرْمَةٌ أَعْشَارٌ وثوبٌ أخلاقٌ . وروى عن أبى أيوب الأنصارى : قال جاء حبر من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرنى عن ماء الرجل وماء المرأة؛ فقال : " ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علَا ماءُ المرأة آنثَتْ و إذا عَلَا ماءُ الرجل أذْكَرتْ " فقال الحبر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقد مضى هذا القول مستوفى فى سورة « البقرة » . ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ أى نختبره . وقيل : نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار . وفيما يختبر به وجهان؛ أحدهما ـــ

(١) هو عمرو بن الداخل الهذلى : سيط به أى خرج قذذ من الريش مختلط من الدم والماء .

(٢) وفى حاشية الجمل نقلا عن القرطبى ما يأتى :

والمعنى : «من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة والثخن والقوام، والخواص تجتمع من الأخلاط وهى العناصر الأربعة ، ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له » .

نختبره بالخير والشر ؛ قاله الكلبي . الثاني ــ نختبر شكره في السّرّاء وصبره في الضّرّاء ؛ قاله الحسن . وقيل : « نَبْتَلِيهِ » نُكلِّفه . وفيه أيضا وجهان ؛ أحدهما ــ بالعمل بعد الخلق ؛ قاله مقاتل . الثاني ــ بالدِّين ليكون مأمورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي . وروى عن ٱبن عباس : « نَبْتَلِيهِ » نصرفه خلقا بعد خلق ؛ لنبتليه بالخير والشر . وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال : المعنى والله أعلم ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ لنبتليه وهي مُقدَّمة معناها التأخير .

قلت : لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخِلْقة . وقيل : « جَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » يعني جعلنا له سمعا يسمع به الهدى وبصرا يبصر به الهدى .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ أي بينا له وعرّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ببعث الرسل فآمن أو كفر ؛ كقوله تعالى : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » . وقال مجاهد : أي بينا له السبيل إلى الشّقاء والسّعادة . وقال الضحاك وأبو صالح والسدي : السبيل هنا خروجه من الرحم . وقيل : منافعه ومضارّه التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله . ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ أي أيهما فعل فقد بينا له . قال الكوفيون : « إِنْ » ها هنا تكون جزاء و « ما » زائدة أي بينا له الطريق إن شكر أو كفر . وٱختاره الفراء ولم يجزه البصريون ؛ إذ لا تدخل « إِنْ » للجزاء على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل . وقيل : أي هديناه الرشد أي بينا له سبيل التوحيد بنصب الأدلة عليه ؛ ثم إن خلقنا له الهداية ٱهتدى وآمن ، وإن خذلناه كفر . وهو كما تقول : قد نصحت لك إن شئت فٱقبل وإن شئت فٱترك ؛ أي فإن شئت فتحذف الفاء وكذا « إِمَّا شَاكِرًا » والله أعلم . ويقال : هديته السبيل وللسبيل وإلى السبيل . وقد تقدّم في « الفاتحة »(1) وغيرها . وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع ٱجتماعهما في معنى المبالغة ؛ نفيا للمبالغة في الشكر وإثباتا لها في الكفر ؛ لأن شكر الله تعالى لا يُؤدّى فٱنتفت عنه المبالغة ، ولم تنتف عن الكفر المبالغة ، فقلّ شكره لكثرة النعم عليه وكَثُر كفره وإن قلّ مع الإحسان إليه . حكاه الماوردي .

(1) راجع جـ ١ ص ١٤٧ وص ١٦٠ طبعة ثانية أو ثالثة .

قوله تعالى : إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ بيّن حالَ الفريقين ، وأنه تعبّد العقلاء وكلّفهم ومكّنهم مما أمرهم فمن كفر فله العقاب ، ومن وحّد وشكر فله الثواب . والسلاسل القيود فى جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى فى «الحاقة»[1] . وقرأ نافع والكسائى وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر « سَلَاسِلًا » منوّنا . الباقون بغير تنوين . ووقف قُنْبُل وابن كثير وحمزة بغير ألف . الباقون بالألف . فأما « قَوَارِير » الأوّل فنوّنه نافع وابن كثير والكسائى وأبو بكر عن عاصم، ولم ينوّن الباقون . ووقف فيه يعقوب وحمزة بغير ألف . والباقون بالألف . وأما « قَوَارِير» الثانيه فنوّنه أيضا نافع والكسائى وأبو بكر ، ولم ينوّن الباقون ، فمن نوّن قرأها بالألف ، ومن لم ينوّن أسقط منها الألف، واختار أبو عبيد التنوين فى الثلاثة ، والوقف بالألف اتباعا لخط المصحف، قال : رأيت فى مصحف عثمان « سَلَاسِلًا » بالألف و « قَوَارِيرًا » الأوّل بالألف وكان الثانى مكتوبا بالألف فحُكّت فرأيت أثرها هناك بيّنا . فمن صرف فله أربع حجج : أحدها — أن الجموع أشبهت الآحاد فجمعت جمع الآحاد، فجعلت فى حكم الآحاد فصرفت . الثانية — أن الأخفش حكى عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف إلا أَفْعَل منك، وكذا قال الكسائى والفراء هو على لغة من يُجِر الأسماء كلها إلا قولهم هو أظرف منك فإنهم لا يُجْرونه، وأنشد ابن الأنبارى فى ذلك قول عمرو بن كلثوم :

كَأَنَّ سُيوفَنَا فِينا وفِيهِمْ * مَخَارِيقٌ بِأَيْدِى لَاعِبِينَا

وقال لَبِيد :

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعوتُ لِحَتفِها * بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

وقال لَبِيد أيضا :

فَضْلًا وذو كَرَمٍ يُعِينُ على النَّدَى * سَمْحٌ كَسُوبُ رَغَائِبٍ غَنَّامُهَا

---

(١) راجع جـ ١٨ ص ٢٧٢.

فصرف مَحَاريق ومَغَالق ورَغَائب وسبيلها ألّا تُصرَف . والحجة الثالثة — أن يقول نوّنت قوارير الأوّل لأنه رأس آية، ورءوس الآى جاءت بالنون؛ كقوله جلّ وعزّ : «مَذْكُورًا . سَمِيعًا بَصِيرًا » فنوّنا الأوّل ليوقف بين رءوس الآى، ونوّنا الثانى على الجوار للأوّل . والحجة الرابعة — آتباع المصاحف وذلك أنهما جميعا فى مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالألف . وقد آحتج من لم يصرفهنّ بأن قال : إن كل جمع بعد الألف منه ثلاثة أحرف أو حرفان أو حرف مشدّد لم يُصرَف فى معرفة ولا نكرة، فالذى بعد الألف منه ثلاثة أحرف قولك : قناديل ودنانير ومناديل ، والذى بعد الألف منه حرفان قول الله عزّ وجلّ : « لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ» لأن بعد الألف منه حرفين، وكذلك قوله : «وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا» والذى بعد الألف منه حرف مُشَدّد شَوَابّ ودَوَابّ . وقال خلف : سمعت يحيى بن آدم يحدث عن آبن إدريس قال : فى المصاحف الأوّل الحرف الأوّل بالألف والثانى بغير ألف؛ فهذا حجة لمذهب حمزة . وقال خلف : رأيت فى مصحف ينسب إلى قراءة آبن مسعود الأول بالألف والثانى بغير ألف . وأما أَفْعَل مِنْك فلا يقول أحد من العرب فى شعره ولا فى غيره هو أفعل منك منوّنا؛ لأن مِن تقوم مقام الإضافة فلا يجمع بين تنوين و إضافة فى حرف؛ لأنهما دليلان من دلائل الأسماء ولا يجمع بين دليلين؛ قاله الفراء وغيره .

قوله تعالى : ﴿ وَأَغْلَالًا ﴾ جمع غُلّ تُغلّ بها أيديهم إلى أعناقهم . وعن جُبير بن نُفَير عن أبى الدرداء كان يقول : آرفعوا هذه الأيدى إلى الله جل ثناؤه قبل أن تُغلّ بالأغلال . وقال الحسن : إن الأغلال لم تجعل فى أعناق أهل النار، لأنهم أعجزوا الربّ سبحانه ولكن إذلالا . ﴿ وَسَعِيرًا ﴾ تقدّم القول فيه .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ الأبرار أهل الصدق واحدهم بَرٌّ، وهو من آمتثل أمر الله تعالى . وقيل : البَرّ الموحِّد والأبرار جمع بارّ مثل شاهد وأشهاد، وقيل : هو جمع بَرّ مثل نَهْر وأنهار ؛ وفى الصحاح : وجمع البر الأبرار وجمع البار البَرَرة، وفلان يَبَرّ خالقه ويتبرّره أى يُطيعه والأم بَرَّة بولدها . وروى آبن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما سماهم الله جل ثناؤه الأبرار لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء كما أن لوالدك عليك حقّا كذلك لولدك عليك حقّا " . وقال الحسن : البَرّ الذى لا يؤذى الذَّرّ . وقال قتادة : الأبرار الذين يؤدّون حقّ الله ويوفون بالنَّذْر . وفى الحديث : " الأبرار الذين لا يؤذون أحدا " . ﴿ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ أى من إناء فيه الشراب . قال آبن عباس : يريد الخمر . والكأس فى اللغة الإناء فيه الشراب، وإذا لم يكن فيه شراب لم يُسَمّ كأسا . قال عمرو بن كُلْثوم :

صَبَنْتِ(1) الكأسَ عنّا أمَّ عمرٍو * وكان الكأسُ مجْرَاها اليَمِينَا

وقال الأصمعى : يقال صَبَنْتَ عنّا الهديّة أو ما كان من معروف تَصْبِنُ صَبْنا بمعنى كَفَفْتَ ؛ قاله الجوهرى . ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا ﴾ أى شَوْبها وخلطها؛ قال حسّان :

كأنّ سَبِيئَةً(2) مِنْ بيتِ رَأْسٍ * يكونُ مِزَاجُها عَسلٌ وماءُ

ومنه مِزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة . ﴿ كَافُورًا ﴾ قال آبن عباس : هو آسم عين ماء فى آلجنة يقال له عين الكافور . أى يمازجه ماء هذه العين التى تسمى كافورا . وقال سعيد عن قتادة : تُمزَج لهم بالكافور وتُختَم بالمسك . وقاله مجاهد . وقال عِكرمة : مِزَاجها طعمها . وقيل : إنما الكافور فى ريحها لا فى طعمها . وقيل : أراد كالكافور فى بياضه وطيب رائحته وبَرْده ؛ لأن الكافور لا يشرب ؛ كقوله تعالى : « حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا » أى كنار . وقال آبن كَيْسان : طُيِّب بالمسك والكافور والزنجبيل . وقال

---

(1) الرواية المشهورة فى المعلقات : صددت الكأس .

(2) السبيئة : الخمر . وسميت بذلك لأنها تستبى أى تشترى لتشرب ؛ وفى بعض النسخ : كأن خبيئة ، وهى المصونة المضنون بها لنفاستها . و بيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر .

مقاتل : ليس بكافور الدنيا ولكن سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدى لها القلوب. وقوله : « كَانَ مِزَاجُهَا » « كان » زائدة أى من كأس مِزاجُها كافورٌ . ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾ قال الفراء : إن الكافور اسم لعين ماء فى الجنة ؛ فـ«عَيْنًا» بدل من كافور على هذا . وقيل : بدل من كأس على الموضع . وقيل : هى حال من المضمر فى مزاجها . وقيل : نصب على المدح ؛ كما يُذكَر الرجلُ فتقول : العاقلَ اللبيبَ أى ذكرتم العاقلَ اللبيبَ فهو نصب بإضمار أعنى . وقيـل : يشربون عينا . وقال الزجاج : المعنى من عين . ويقال : كافور وقافور . والكافور أيضا وعاء طلع النخل وكذلك الكُفُرَّى . قاله الأصمعى .

وأما قول الراعى :

تَكْسُو المَفَارِقَ واللَّبَّاتِ ذَا أَرَجٍ * مِن قُصْبِ مُعْتَلِفِ الكافورِ دَرَّاجِ

فإنّ الظبى الذى يكون منه المسك إنمـا يَرْعى سُنْبلَ الطِّيب فجعـله كافورا . ﴿ يَشْرَبُ بِهَا ﴾ قال الفراء : يشرب بها ويشربها سواء فى المعنى ، وكأنّ يشرب بها يَرْوَى بها وينقع ، وأنشد :

شَرِبْنَ بِمـاءِ البحرِ ثم تَرَفَّعتْ * مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (١)

قال : ومثله فلان يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسـنا . وقيل : المعنى يشربها والباء زائدة . وقيل : الباء بدل « من » تقديره يشرب منها ؛ قاله القتبى . ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ فيقال : إن الرجل منهم ليمشى فى بيوتاته ويصعد إلى قصوره ، وبيده قضيب يشـير به إلى المـاء فيجرى معه حيثما دار فى منازله على مستوى الأرض فى غير أخدود ، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره ؛ وذلك قوله تعـالى : « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَـا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَـا تَفْجِيرًا » أى يُشقِّقونها شَقًّا كما يفجر الرجل النهر هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد . وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» يقودونها حيث شاءوا ، وتتبعهم حيثما مالوا مالت معهم . وروى

---

(١) قائله أبو ذؤيب يصف السحابات ، والباء فى « بماء » بمعنى « من » و« متى » معناها « فى » فى لغة هذيل ونئيج : أى مر سريع مع صوت .

أبو مقاتل عن أبى صالح عن سعد عن أبى سهل[1] عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربع عيون فى الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التى ذكر الله « يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » [والأخرى الزنجبيل][2] والأخريان نضاختان من فوق العرش إحداهما التى ذكر الله [عينا فيها تسمى][3] « سَلْسَبِيلا » والأخرى التسنيم " ذكره الترمذى الحكيم فى « نوادر الأصول » . وقال : فالتسنيم للقربين خاصة شربا لهم ، والكافور للأبرار شربا لهم ؛ يمزج للأبرار من التسنيم شرابهم ، وأما الزنجبيل والسلسبيل فللأبرار منها مزاج هكذا ذكره فى التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هى شرب ، فما كان للأبرار مزاج فهو للقربين صرف وما كان للأبرار صرف فهو لسائر أهل الجنة مزاج ، والأبرار هم الصادقون ، والمقربون هم الصديقون .

قوله تعالى : يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ أى لا يخلفون إذا نذروا . وقال معمر عن قتادة : بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات . وقال مجاهد وعكرمة : يوفون إذا نذروا فى حق الله جل ثناؤه . وقال الفراء والجرجانى : وفى الكلام إضمار ؛ أى كانوا يوفون بالنذر فى الدنيا . والعرب قد تزيد مرة « كان » وتحذف أخرى . والنذر حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شىء يفعله . وإن شئت قلت فى حده : النذر هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه . وقال الكلبى : « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ » أى يتمون العهود والمعنى واحد ؛ وقد قال الله تعالى :

(١) هذا السند فى الأصول : أبو مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبى سهل الخ وصوبناه من التذكرة للقرطبى .
(٢) الزيادة من الدر المنثور . (٣) الزيادة من التذكرة والدر المنثور .

«ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» أى أعمال نسكهم التى ألزموها أنفسهم بإحرامهم بالحج . وهذا يقوّى قول قتادة . وإن النـذر يندرج فيه ما ٱلتزمه المرء بإيمانه من ٱمتثال أمر الله ؛ قاله القشيرى . وروى أشهب عن مالك أنه قال : « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ » هو نذر العتق والصيام والصلاة . وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال مالك « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ » قال : النذر هو اليمين .

قوله تعالى : ﴿ وَيَخَافُونَ ﴾ أى يحذرون ﴿ يَوْمًا ﴾ أى يوم القيامة . ﴿ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ أى عاليا داهيا فاشيا وهو فى اللغة ممتدا ؛ والعرب تقول : ٱستطار الصَّدْع فى القارورة والزجاجة وٱستطال إذا ٱمتد ؛ قال الأعشى :

وبَانَتْ وقد أَسْأَرَتْ(١) فى الفُؤَا * دِ صَدْعًا على نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

ويقال : ٱستطار الحريق إذا ٱنتشر . وٱستطار الفجر إذا ٱنتشر الضوء .

وقال حسّان :

وَهانَ على سَرَاة بَنِي لُؤَيٍّ * حَرِيقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ(٢)

وكان قتادة يقول : ٱستطار والله شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض . وقال مقاتل : كان شره فاشيا فى السموات فٱنشقت ، وتناثرت الكواكب ، وفزعت الملائكة ، وفى الأرض نُسِفت الجبالُ وغارت المياهُ .

قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ قال ٱبن عباس ومجاهد : على قِلته وحبّهم إياه وشهوتهم له . وقال الدارانى : على حبّ الله . وقال الفُضَيل بن عِياض : على حبّ إطعام الطعام . وكان الربيع بن خيثم إذا جاءه السائل قال : أطعموه سُكَّرًا فإن الربيع يحبّ السُّكَّر . ﴿ مِسْكِينًا ﴾ أى ذا مسكنة . وروى أبو صالح عن ٱبن عباس قال : هو الطوّاف يسألك مالَكَ ﴿ وَيَتِيمًا ﴾ أى من يتامى المسلمين . وروى منصور عن الحسن : أن

---

(١) ويروى : أورثت .

(٢) سراة بنى لؤى أى خيارهم . والبويرة : موضع ببنى قريظة ؛ يشير إلى ما فعله المسلمون ببنى قريظة .

يتيما كان يحضر طعام آبن عمر ، فدعا ذات يوم بطعامه ، وطلب اليتيم فلم يجده ، فجاءه بعد ما فرغ آبن عمر من طعامه فلم يجد الطعام ، فدعا له بسويق وعسل ؛ فقال : دونك هذا فوالله ما غُبِنتَ ؛ قال الحسن وآبن عمر : والله ما غُبِن . ﴿ وَأَسِيرًا ﴾ أى الذى يؤسر فيحبس . فروى أبو صالح عن آبن عباس قال : الأسير من أهل الشرك يكون فى أيديهم . وقاله قتادة . وروى آبن أبى نجيح عن مجاهد قال : الأسير هو المحبوس . وكذا قال سعيد آبن جبير وعطاء : هو المسلم يُحبَس بحق . وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وآبن عباس . قال قتادة : لقد أمر الله بالأسرى أن يُحسَن إليهم ، وأن أسراهم يومئذ لأهلُ الشِّرك ، وأخوك المسلم أحقُّ أن تطعمه . وقال عكرمة : الأسير العبد . وقال أبو حمزة الثُّمالى : الأسير المرأة ، يدل عليه قوله عليه السلام : "آستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عَوانٍ عندكم" أى أسيرات . وقال أبو سعيد الخدرى : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » فقال : "المسكين الفقير واليتيم الذى لا أب له والأسير المملوك والمسجون" ذكره الثعلبى . وقيل : نسخ إطعام المسكين آية الصدقات ، وإطعام الأسير [آية] السيف ؛ قاله سعيد بن جبير . وقال غيره : بل هو ثابت الحكم ، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوع ، وإطعام الأسير لحفظ نفسه إلى أن يتخير فيه الإمام . الماوردى : ويحتمل أن يريد بالأسير الناقص العقل ؛ لأنه فى أسر خبله وجنونه ، وأسر المشرك آنتقام يقف على رأى الإمام ؛ وهذا بِرٌّ وإحسان . وعن عطاء قال : الأسير من أهل القبلة وغيرهم .

قلت : وكأنّ هذا القول عام يجمع جميع الأقوال ، ويكون إطعام الأسير المشرك قربة إلى الله تعالى ، غير أنه من صدقة التطوع ، فأما المفروضة فلا . والله أعلم . ومضى القول فى المسكين واليتيم والأسير وآشتقاق ذلك من اللغة فى « البقرة »[1] مستوفى والحمد لله .

---

(١) راجع جـ ٢ ص ١٤ فما بعدها وص ٢١

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ أى يقولون بألسنتهم للسكين واليتيم والأسير «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ» فى الله جل ثناؤه فزعا من عذابه وطمعا فى ثوابه . ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً ﴾ أى مكافأة . ﴿ وَلَا شُكُورًا ﴾ أى ولا أن تثنوا علينا بذلك ؛ قال ابن عباس : كذلك كانت نياتهم فى الدنيا حين أطعموا . وعن سالم عن مجاهد قال : أما إنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله جل ثناؤه منهم فأثنى به عليهم ؛ ليرغب فى ذلك راغب . وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه القشيرى . وقيل : إن هـذه الآية نزلت فى مُطْعِم بن ورقاء الأنصارىّ نذر نذرا فوفى به . وقيل : نزلت فيمن تكفل بأسرى بَدْر وهم سبعة من المهاجرين ؛ أبو بكر وعمر وعلىّ والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبو عبيدة رضى الله عنهم ؛ ذكره المـاوردى . وقال مقاتل : نزلت فى رجل من الأنصـار أطعم فى يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا . وقال أبو حمـزة الثمـالى : بلغنى أن رجلا قال يا رسول الله أطعمنى فإنى والله مجهود ؛ فقال : "والذى نفسى بيده ما عنـدى ما أطعمك ولكن اطلب" فأتى رجلا من الأنصار وهو يتعشى مع امرأته فسأله وأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت المرأة : أطعمه واسقه . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسـلم يتيم فقال : يا رسول الله ! أطعمنى فإنى مجهود . فقال : "ما عنـدى ما أطعمك ولكن اطلب" فاستطعم ذلك الأنصارىّ فقالت المرأة : أطعمه واسقه ، فأطعمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم أسير فقال : يا رسـول الله ! أطعمنى فإنى مجهود . فقال : "والله ما معى ما أطعمك ولكن اطلب" . فجاء الأنصارىّ فطلب ، فقالت المرأة : أطعمه واسقه . فنزلت : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » ذكره الثعلبى . وقال أهل التفسير : نزلت فى علىّ وفاطمة رضى الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة .

قلت : والصحيح أنها نزلت فى جميع الأبرار ، ومن فعل فعلا حسنا ؛ فهى عامة . وقد ذكر النقاش والثعلبى والقشيرى وغير واحد من المفسرين فى قصة علىّ وفاطمة وجاريتهما حديثا لا يصح ولا يثبت ، رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله عز وجل : « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » قال :

مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب؛ فقالوا : يا أبا الحسن — ورواه جابر الجُعْفيّ عن قَنْبَر مولى عليّ قال : مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبا الحسن — رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سليم — لو نذرتَ عن ولديك شيئا ، وكل نذر ليس له وفاء فليسَ بشيء . فقال رضى الله عنه : إن بَرأَ ولداى صمت لله ثلاثة أيام شكرا . وقالت جارية لهم نوبية . إن بَرأَ سيّداى صمت لله ثلاثة أيام شكرا . وقالت فاطمة مثل ذلك . وفي حديث الجُعْفيّ فقال الحسن والحسين : علينا مثل ذلك فألْبِس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق عليّ إلى شمعون بن حاريا الخيبرى وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير ، فجاء به فوضعه ناحية البيت ، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته ، وصلّى عليٌّ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه . وفي حديث الجُعْفيّ : فقامت الجارية إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص، فلما مضى صيامهم الأول وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش؛ إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد — في حديث الجُعْفيّ — أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنا والله جائع ؛ أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فسمعه عليّ رضى الله عنه فأنشأ يقول[1] :

فاطمَ ذاتَ الفضلِ واليقين * يا بنتَ خيرِ الناسِ أجمعين

أما تَرَينَ البائسَ المسكين * قد قام بالباب له حنين

يشكو إلى الله ويستكين * يشكو إلينا جائعٌ حزين

كل امرئٍ بكسبِه رهين * وفاعل الخيرات يستبين

---

(١) هذه الأبيات والتي بعدها كل النسخ مجمعة على تحريفها ، ولقد أحسن أبو حيان إذ يقول فيها : وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا ، ظاهرة الاختلاق ، وفيها أشعار للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة ، وأشعار لفاطمة رضى الله عنها تخاطب كل واحد منهم ، ظاهرها الاختلاق لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها وسفاطة معانيها ، وسيأتي للمؤلف رحمه الله ما يضعف هذا الحديث ويزيفه .

موعدُنا جَنّةُ علّيين * حرّمها الله على الضّنين
وللبخيل موقفٌ مهين * تهوى به النار الى سِجّين
شرابه الحميم والغِسْلين * مَنْ يفعلِ الخيرَ يقم سمين
* ويَدْخلُ الجنةَ أيَّ حين *

فأنشأت فاطمة رضى الله عنها تقول :

أمرُكَ عندى يآبن عَمٍّ طاعهْ * ما بِيَ مِن لُؤم ولا وَضَاعهْ
قَدَيْتُ فى الخبز له صِناعهْ * أُطعِمه ولا أبالِي السّاعهْ
أرجو إذا أشبعتُ ذا المجَاعهْ * أنْ ألحقَ الأخيارَ والجماعهْ
* وأدخلَ الجنةَ لِى شَفاعهْ *

فاطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا إلا الماء القَرَاح، فلما أن كان فى اليوم الثانى قامت إلى صاع فطحنته وآختبزته، وصلى علىٌّ مع النبى صلى الله عليه وسلم، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم فوقف بالباب يتيم فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد: يتيم من أولاد المهاجرين آستشهد والدى يوم العَقَبة (1). أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة. فسمعه علىّ فأنشأ يقول :

فاطِم بِنتَ السيِّد الكريم * بنت نبيٍّ ليس بِالزَّنيم
لقد أتى الله بِذِى اليَتيم * من يرحم اليوم يكن رحيم
ويدخل الجنة أى سليم * قد حُرِّم الخُلدُ على اللئيم
ألّا يَجوزُ الصراطَ المستقيم * يزلّ فى النار الى الجحيم
* شرابُه الصديدُ والحميم *

فأنشأت فاطمة رضى الله عنها تقول :

أُطعِمه اليوم ولا أبالِي * وأُوثِر الله على عِيالِي
أمسَوْا جياعاً وهُمُ أشبَالِي * أصغرُهم يُقتَلُ فِي القِتالِ

(1) كذا فى الأصل.

بِكَرْبَلَا يُقتَل بِاْغتِيـالِ * ياويل لِلقاتِلِ مِن وبالِ
تَهوِى به النارِ إلى سِفالِ * وفى يديهِ الغُلّ والأغلال
* كبولة : ادت على الأكبالِ *

فاطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا إلا الماء القَراح ، فلما كانت فى اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقى فطحنته واختبزته ، وصلّى علىٌّ مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم ؛ إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد تأسروننا وتَشُدّوننا ولا تُطْعموننا ! أطعمونى فإنى أسير محمد . فسمعه علىّ فأنشأ يقول :

فاطـم يا بِنتَ النبىِّ أحمد * بنت نبىٍّ سـيِّدٍ مُسَـوَّدِ
وسماه الله فهو محمـد * قد زانه الله بحسنٍ أغيـد
هـذا أسِيرٌ للنبىِّ المهتـد * مُثقَـلٌ فى غُلِّهِ مُقيَّـد
يَشكو إلينا الجوعَ قد تمدد * من يُطعِمِ اليومَ يجِده فى غد
عِند العلىِّ الواحِدِ الموحَّد * مايزرع الزارعُ سوف يَحصُد
* أعطِيهِ لالا تجعلِيهِ أقعد *

فأنشأت فاطمة رضى الله تعالى عنها تقول :

لم يَبْـقَ مِمّـا جاء غيرُ صاع * قـد ذهبت كَفِّى مع الذِّراع
ابنـاى واللهِ هُمـا جِيـاع * يارَبِّ لاتتركهما ضِـياع
أبوهما لِلخـير ذو اصـطناع * يَصطنِـع المعروفَ بِابتداع
عَبْلُ الذِّراعينِ شديد الباع * وما على رأسِىَ مِن قِنـاع
* إلّا قِناعًا نَسْجُه أَنْسَاع *

فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئا إلا المـاء القَراح، فلما أن كان فى اليوم الرابع ، وقد قضى الله النذر أخذ بيده اليمنى الحسن و بيده اليسرى الحسين وأقبل نحو

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم انطلق بنا إلى ابنتى فاطمة " فانطلقوا إليها وهى فى محرابها ، وقد لصق بطنها بظهرها ، وغارت عيناها من شدة الجوع ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المجاعة فى وجهها بكى وقال : "واغوثاه يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعا " فهبط جبريل عليه السلام وقال : السلام عليك ربك يقرئك السلام يا محمد خذه هنيئا فى أهل بيتك . قال : " وما آخذ يا جبريل " فأقرأه « هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ » إلى قوله : « وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا » قال الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول : فهذا حديث مُزوّق مُزيّف قد تطرّف فيه صاحبه حتى تَشبَّه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يَعَضّ شفتيه تلهفا ألا يكون بهذه الصفة ، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم ؛ وقد قال الله تعالى فى تنزيله : « يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ » وهو الفضل الذى يفضل عن نفسك وعيالك ، وجرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بأن " خير الصدقة ما كان عن ظهر غِنًى " . "وابدأ بنفسك ثم بمن تَعُول" وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كفى بالمرء إثما أن يضيع من يَقُوت" أفيحسب عاقل أن عليا جهل هذا الأمر حتى أجهد صبيانا صغارا من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ ! حتى تضوّروا من الجوع ، وغارت العيون منهم ؛ لخلاء أجوافهم ، حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد . هَبْ أنه آثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك ؟ ! وهَبْ أن أهله سمحت بذلك لعلىّ فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهن ؟ ! ما يروج مثل هذا إلا على حَمْقى جهّال ؛ أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعلىّ مثل هذا . وليت شعرى من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علىّ وفاطمة ، وإجابة كل واحد منهما صاحبه ، حتى أدّاه إلى هؤلاء الرواة ؟ ! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى ؛ بلغنى أن قوما

يُخلّدون فى السجون فيبقون بلا حيلة ، فيكتبون أحاديث فى السَّمَر وأشباهه ، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة ، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيّفوها ، وما من شىء إلا وله آفة ومكيدة ، وآفة الدّين وكيده أكثر .

قوله تعالى : إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ « عَبُوسا » من صفة اليوم ، أى يوما تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ؛ فالمعنى نخاف يوما ذا عبوس . وقال ابن عباس : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقَطِران . وعن ابن عباس : العَبُوس الضّيق والقَمْطرِير الطويل ؛ قال الشاعر :

* شَديدًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا *

وقيل : القَمْطرير الشّديد ؛ تقول العرب : يوم قَمْطرير وقُماطِر وعَصِيب بمعنى ؛ وأنشد الفرّاء :

بَنِى عَمِّنَا هل تذكُرونَ بَلاءَنا * عليكمْ إذا ما كان يومٌ قُماطِرُ

بضم القاف . واقْمَطَرَّ إذا اشتدّ . وقال الأخفش : القمطرير أشدّ ما يكون من الأيام وأطوله فى البلاء ؛ قال الشاعر :

ففرّوا إذا ما الحربُ ثار غُبارُها * ولَجّ بها اليومُ العَبُوسُ القُماطِرُ

وقال الكسائى : يقال اقْمَطَرَّ اليومُ وازْمَهَرَّ اقْمطرارا وازْمهرارا وهو القمطرير والزمهرير ، ويوم مُقْمَطِرٌّ إذا كان صعبا شديدا ؛ قال الهُذَلىّ (١) :

بَنُو الحَرْبِ أرْضِعْنا لهم مُقْمَطِرَّةً * ومَنْ يُلْقَ مِنّا ذلكَ اليوم يَهْرُبِ

(١) البيت لحذيفة بن أنس الهذلى والذى فى ديوان الهذليين :

بنو الحرب أرضعنا بها مقمطرة * ومن يلق منا يلق سيد مدرب

أرضعنا مبنى للمجهول . مقمطرة من اقطرت الناقة إذا لقحت . ويلق بنى للمجهول فى اللفظين . والسيد عنا ذيل الأسد . والمدرب الضارى .

وقال مجاهد : إن العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم؛ وأنشد ابن الأعرابي :

يَغْدُو على الصَّيْدِ يَعُودُ مُنْكَسِرْ * وَيَقْمَطِرُ ساعةً وَيَكْفَهِرْ

وقال أبو عبيدة : يقال رجل قَمْطرير أي متقبض ما بين العينين . وقال الزجاج : يقال اقْمَطَرَّت الناقةُ إذا رَفعت ذَنَبها وجَمعت قُطْرَيها وزَمَّت بأنفها ؛ فاشتقه من القُطْر وجعل الميم مزيدة . قال أسد بن ناعصة :

وَاصْطَلَيْتُ الحروبَ في كلّ يومٍ * باسِلِ الشَّرِّ قَمْطَرِيرِ الصَّباحِ

قوله تعالى : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ ﴾ أي دفع عنهم ﴿ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ ﴾ أي بأسه وشدته وعذابه ﴿ وَلَقَّاهُمْ ﴾ أي أتاهم وأعطاهم حين لقوه أي رأوه ﴿ نَضْرَةً ﴾ أي حسنا ﴿ وَسُرُورًا ﴾ أي حبورا . قال الحسن ومجاهد : «نَضْرَةً» في وجوههم «وَسُرُورًا» في قلوبهم . وفي النضرة ثلاثة أوجه : أحدها أنها البياض والنقاء؛ قاله الضحاك . الثاني الحسن والبهاء؛ قاله ابن جبير . الثالث أنها أثر النعمة؛ قاله ابن زيد .

قوله تعالى : وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا ﴾ على الفقر . وقال القُرَظي : على الصوم . وقال عطاء : على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر . وقيل : بصبرهم على طاعة الله، وصبرهم على معصية الله ومحارمه . و «ما» مصدرية وهذا على أن الآية نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلا حسنا . وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال : "الصبر أربعة أولها الصبر عند الصدمة الأولى والصبر على أداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله والصبر على المصائب" . ﴿ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير . أي يسمى

بحرير الدنيا وكذلك الذى فى الآخرة [وفيه] ما شاء الله عز وجل من الفضل . وقد تقدم[١] أن من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، وإنما ألبسه من ألبسه فى الجنة عوضا عن حبسهم أنفسهم فى الدنيا عن الملابس التى حرم الله فيها .

قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا ﴾ أى فى الجنة ، ونصب « مُتَّكِئِينَ » على الحال من الهاء والميم فى « جَزَاهُمْ » والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها « صَبَرُوا » ؛ لأن الصبر إنما كان فى الدنيا والاتكاء فى الآخرة . وقال الفراء . وإن شئت جعلت « مُتَّكِئِينَ » تابعا كأنه قال جزاهم جنة « مُتَّكِئِينَ فِيهَا » . ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ السرر فى الحجال وقد تقدم[٢] . وجاءت عن العرب أسماء تحتوى على صفات : أحدها الأريكة لا تكون إلا فى حجلة على سرير ، ومنها السَّجْل وهو الدلو الممتلئ ماء فإذا صفرت لم تسم سجلا ، وكذلك الذَّنُوب لا تُسمَّى ذَنُوبا حتى تُملأ ، والكأس لا تُسمَّى كأسا حتى تُترَع من الخمر ، وكذلك الطَّبَق الذى تُهدَى عليه الهدية مِهْدى ، فإذا كان فارغا قيل طَبَق أو خوان ؛ قال ذو الرُّمَّة :

خُدُودٌ جَفَتْ فى السَّيْرِ حَتَّى كأنَّمَا * يُبَاشِرْنَ بِالْمَعْزَاءِ مَسَّ الأرَائِكِ[٣]

أى الفرش على السرر . ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ﴾ أى لا يرون فى الجنة شدة حر كحر الشمس ﴿ وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ أى ولا بردا مفرطا ؛ قال الأعشى :

مُنَعَّمَةٌ طِفْلَةٌ كَالْمَهَا * ةِ لَمْ تَرَ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرَا[٤]

وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اشتكت النارُ إلى ربِّها عزَّ وجلّ قالت يا ربِّ أكل بعضى بعضًا فجعل لها نَفَسين نَفَسا فى الشتاء ونَفَسا فى الصيف فشدّة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدّة ما تجدون من الحر فى الصيف

---

(١) راجع : جـ ١٢ ص ٢٩ (٢) راجع : جـ ١٠ ص ٣٩٨

(٣) المعزاء الأرض الصلبة يقول : من شدة الحاجة إلى النوم يرون الأرض الصلبة ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك وهى السرر . ويروى : خدودا على أنه مفعول لفعل فى البيت قبله .

(٤) الذى فى ديوان الأعشى طبع أوربا : مبتلة الخلق مثل المهاة ... الخ .

من سَمُومِها" . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن هواء الجنة سَجْسَج لا حرٌّ ولا بردٌ" والسَّجْسَج الظِّل الممتد كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس . وقال مُرَّة الهَمْدانى : الزمهرير البرد القاطع . وقال مقاتل بن حيان : هو شيء مثل رءوس الإبر ينزل من السماء فى غاية البرد . وقال ٱبن مسعود : هو لون من العذاب وهو البرد الشديد ، حتى إن أهل النار إذا أُلقوا فيه سألوا الله أن يعذّبهم بالنار ألف سنة أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا . قال أبو النَّجْم :

* أو كنت ريحًا كنتُ زَمْهَرِيرَا *

وقال ثعلب : الزَّمهرير القمر بلغة طيء؛ قال شاعرهم :

وليلةٍ ظَلامُها قد ٱعتكَرْ * قَطَعْتُهَا والزَّمْهرِيرُ مازَهَرْ

ويروى : ما ظهر ؛ أى لم يطلع القمر . فالمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر الدنيا ؛ أى إنهم فى ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ؛ لأن ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر . وقد مضى هذا المعنى مُجَوَّدا فى سورة « مريم »(1) عند قوله تعالى : « وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا » . وقال ٱبن عباس : بينما أهل الجنة فى الجنة إذ رأوا نورا ظنّوه شمسا قد أشرقت بذلك النور الجنة ، فيقولون : قال ربنا « لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا » فما هذا النور ؟ فيقول لهم رضوان : ليست هذه شمس ولا قمر، ولكن هذه فاطمة وعلىّ ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما ، وفيهما أنزل الله تعالى « هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ » . وأنشد :

أنا مَوْلًى لِفَتًى * أُنْزِلَ فيه هَلْ أَتَى
ذاكَ علىُّ المُرْتَضَى * وٱبن عَمِّ المصطفَى

قوله تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ أى ظل الأشجار فى الجنة قريبة من الأبرار، فهى مُظلّة عليهم زيادة فى نعيمهم وإن كان لا شمس ولا قمر ثَمَّ؛ كما أن أمشاطهم الذهب والفضة

---

(1) راجع جـ ١١ ص ١٢٧

و إن كان لا وسخ ولا شعث ثَمَّ . ويقال : إن آرتفاع الأشجار فى الجنة مقدار مائة عام ، فإذا آشتهى ولىّ الله ثمرتها دانت حتى يتناولها . وآنتصبت « دَانِيَةً » على الحال عطفا على « مُتَّكِئِينَ » كما تقول : فى الدار عبد الله متكئًا ومرسلة عليه الحجال . وقيل : آنتصبت نعتا للجنة ؛ أى وجزاهم جنةً دانيةً فهى صفة لموصوف محذوف . وقيل : على موضع « لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا » ويرون دانيةً . وقيل : على المدح أى دنت دانيةً . قاله الفراء . « ظِلَالُهَا » الظلال مرفوعة بدانية ، ولو قرئ برفع دانية على أن تكون الظلال مبتدأ ودانية الخبر لجاز ، وتكون الجملة فى موضع الحال من الهاء والميم فى « جزاهم » وقد قرئ بذلك . وفى قراءة عبد الله « وَدَانِياً عَلَيْهِمْ » لتقدم الفعل . وفى حرف أُبىّ « وَدَانٍ » رفع على الآستئناف . ﴿ وَذُلِّلَتْ ﴾ أى سُخِّرت لهم ﴿ قُطُوفُهَا ﴾ أى ثمارها ﴿ تَذْلِيلًا ﴾ أى تسخيرا فيتناولها القائم والقاعد والمضطجع لا يرد أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوك ؛ قاله قتادة . وقال مجاهد : إن قام أحد آرتفعت له ، و إن جلس تدلت عليه ، و إن آضطجع دنت منه فأكل منها . وعنه أيضا : أرض الجنة من ورق ، وترابها الزعفران ، وطيبها مسك أذفر ، وأصول شجرها ذهب وورق ، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، والثمر تحت ذلك كله ؛ فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه . وقال آبن عباس : إذا همّ أن يتناول من ثمارها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد ، وتذليل القطوف تسهيل التناول . والقطوف الثمار الواحد قِطف بكسر القاف سمى به لأنه يُقطَف ، كما سمى الجنى لأنه يجنى . « تَذْلِيلًا » تأكيد لما وصف به من الذل ؛ كقوله تعالى : « وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا » « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا » . الماوردىّ : و يحتمل أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها ، وتخلص لهم من نواها .

قلت : وفى هذا بعد ؛ فقد روى آبن المبارك ، قال أخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن آبن عباس قال : نخل الجنة جذوعها زُمُرُّد أخضر ، وكَرَبُها ذهب أحمر ، وسَعَفها كُسْوة لأهل الجنة ، منها مُقَطَّعاتهم وحُلَلهم ، وثمرها أمثال القلال والدِّلاء ، أشد

بياضا من اللّبن، وأحلى من العسل، وألين من الزُّبد ليس فيه عَجَم . قال أبو جعفر النحاس: ويقال المذلّل الذى قد ذلّله الماءُ أى أرواه . ويقال المذلّل الذى يُفَيِّئه أدنى ريح لنعمته ، ويقال المذلّل المُسَوَّى ؛ لأن أهل الحجاز يقولون : ذَلِّلْ نخلك أى سَوِّه ، ويقال المُذلَّل القريب المتناول ؛ من قولهم : حائط ذَلِيلٌ أى قصير . قال أبو حنيفة : وهذه الأقوال التى حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة وقالوها فى قول آمرئ القيس :

* وساقٍ كأُنبوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ (١) *

قوله تعالى : وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أى يدور على هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب « بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ » قال آبن عباس : ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء؛ أى ما فى الجنة أشرف وأعلى وأنقى. ثم لم تنف الأوانى الذهبية بل المعنى يسقون فى أوانى الفضة ، وقد يسقون فى أوانى الذهب . وقد قال تعالى : « يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ » . وقيل : نبه بذكر الفضّة على الذهب ؛ كقوله : « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ » أى والبرد فنبه بذكر أحدهما على الثانى . والأكواب الكِيزان العظام التى لا آذان لها ولا عُرَى ، الواحد منها كُوب ؛ وقال عَدِىّ :

مُتَّكِئًا تُقْرَعُ (٢) أبوابُه * يَسْعَى عليه العبدُ بالكُوبِ

وقد مضى فى « الزخرف » (٣) . ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ أى فى صفاء القوارير وبياض الفضة ؛ فصفاؤها صفاء الزجاج وهى من فضّة . وقيل : أرض الجنة

(١) الأنبوب : البردى . والسقى : النخل المسقى . شبه ساق المرأة ببردى قد نبت تحت نخل ؛ فالنخل يظله من الشمس وذلك أحسن ما يكون منه . وصدر البيت : وكشح لطيف كالجديل مخصر .

(٢) يروى : تخفق . بدل تقرع . (٣) راجع ج ١٦ ص ١١١ فما بعدها .

من فضّة ، والأوانى تتخذ من تربة الأرض التى هى منها . ذكره ابن عباس وقال : ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة . وقال : لو أخذت فضّة من فضّة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذُّباب لم تر من ورائها الماء ، ولكن قوارير الجنة مثل الفضة فى صفاء القوارير (١) . ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ قراءة العامة بفتح القاف والدال ؛ أى قَدّرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : أتوا بها على قدر رِيِّهم بغير زيادة ولا نقصان . الكلبى : وذلك ألذّ وأشهى ؛ والمعنى قَدّرتها الملائكة التى تطوف عليهم . وعن ابن عباس أيضا : قَدّروها على ملء الكفّ لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل أو بإفراط صغر . وقيل : إن الشاربين قَدّروا لها مقادير فى أنفسهم على ما اشتهوا وقَدّروا . وقرأ عبيد بن عمير والشّعبى وابن سيرين « قُدِّروها » بضم القاف وكسر الدال أى جعلت لهم على قدر إرادتهم . وذكر هذه القراءة المهدوى عن علىّ وابن عباس رضى الله عنهما ؛ وقال : ومن قرأ « قُدِّرُوها » فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى ، وكأن الأصل قُدِّروا عليها فحذف حرف الجر ؛ والمعنى قُدِّرت عليهم ؛ وأنشد سيبويه (٢) :

آلَيْتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهْرَ آكُلُهُ * والحَبُّ يأكلُه فى القَرْيةِ السُّوسُ

وذهب إلى أن المعنى على حَبّ العراق . وقيل : هذا التقدير هو أن الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب ؛ وذلك قوله تعالى : « قَدَّرُوها تَقْدِيرًا » أى لا يفضل عن الرِّىّ ولا ينقص منه ، فقد أُلهمت الأقداحُ معرفةَ مقدار رِىّ المشتهى حتى تغترف بذلك المقدار . ذكر هذا القول الترمذىّ الحكيم فى « نوادر الأصول » .

قوله تعالى : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا ﴾ وهى الخمر فى الإناء . ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴾ « كان » صلة أى مزاجها زنجبيل أو كان فى حكم الله زنجبيلا . وكانت العرب تستلذّ من

(١) أى فى بياضها .

(٢) قائله المتلمس . ويروى : أطعمه . والرواية الصحيحة فى « آليت » بالفتح لأنه يخاطب عمرو بن هند الملك ، وكان قد أقسم ألا يطعم المتلمس حب العراق . فقال له المتلمس مستهزئا آليت على حب العراق لا أطعمه ، وقد وجدت منه بالشام ما يغنى عما عندك فنه هناك كثير بحيث يأكله السوس . وأراد بالقرية الشام .

الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته ؛ لأنه يَحْذُو اللسانَ ، ويَهضم المأكول ، فرغبوا في نعيم الآخرة بمـا آعتقدوه نهاية النعمة والطيب . وقال المسيَّب بن عَلَس يصف ثغر المرأة :

وَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ بِهِ * إِذْ ذُقْتَهُ وَسُلَافَةَ الخَمْرِ

ويروى : الكَرْم (1) . وقال آخر :

كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيـ * ـلِ بَاتَ بِفِيهَا وأَرْيًا مُشَارًا

ونحوه قول الأعشى :

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبِيـ * ـلَ بَاتَا بِفِيهَا وأَرْيًا مَشُورًا

وقال مجاهد : الزنجبيل آسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار . وكذا قال قتادة : والزنجبيل آسم العين التي يشرب بها المقربون صِرفا وتمزج لسائر أهل الجنة . وقيل : هي عين في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل . وقيل : إنّ فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل .

والمعنى كأنّ فيها زنجبيلا . ﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من كأس . ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل أي يسقون عينا . ويجوز نصبه بإسقاط الخافض أي من عين على ما تقدم في قوله تعالى : « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ » . ﴿ فِيهَا ﴾ أي في الجنة ﴿ تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴾ السلسبيل الشراب اللذيذ وهو فَعْليل من السَّلاسة ؛ تقول العرب : هذا شراب سَلِسٌ وسَلْسَال وسَلْسَلٌ وسَلْسَبِيل بمعنًى أي طيّب الطعم لذيذه . وفي الصحاح : وتسلسل الماء في الحلق جرى ، وسَلْسَلْتُه أنا صببته فيه ، وماء سَلْسَل وسَلْسَال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه ، والسُّلاسل بالضم مثله . وقال الزجاج : السَّلْسَبيل في اللغة آسم لما كان في غاية السَّلاسة فكأنّ العين سميت بصفتها . وعن مجاهد قال : سَلْسَبيلا حديدة الجَرْي تسيل في حلوقهم آنسلالا . ونحوه عن آبن عباس : إنها الحديدة الجَرْي . ذكره الماوردي ؛ ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

---

(1) الذي في ديوان الأعشى هذا البيت لا الذي بعده ، وفيه : خالط فاها ... الخ والظاهر أن البيتين واحد ... ختلفت الرواية .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عليهمُ * بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[1]

وقال أبو العالية ومقاتل : إنما سميت سَلْسَبيلا ؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم ، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة . وقال قتادة : سلسة منقاد ماؤها حيث شاءوا . ونحوه عن عكرمة . وقال القَفَّال : أي تلك عين شريفة فَسَلْ سَبِيلاً إليها . وروى هذا عن عليّ رضي الله عنه . وقوله : «تُسَمَّى» أي إنها مذكورة عند الملائكة وعند الأبرار وأهل الجنة بهذا الاسم . وصرف سلسبيل ؛ لأنه رأس آية ؛ كقوله تعالى : « الظُّنُونا » و « السَّبِيلَا » .

قوله تعالى : وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢)

قوله تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴾ بيّن من الذي يطوف عليهم بالآنية ؛ أي ويخدمهم ولدان مُخَلَّدون فإنهم أخفُّ في الخدمة . ثم قال : « مُخَلَّدُونَ » أي باقون على ما هم عليه من الشَّباب والغَضاضة والحُسْن ، لا يَهْرَمون ولا يتغيرون ويكونون على سنّ واحدة على مَرِّ الأزمنة . وقيل : مُخَلَّدون لا يموتون . وقيل : مُسَوَّرون مُقَرَّطون ؛ أي مُحَلَّون والتخليد التحلية . وقد تقدم هذا[2] . ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴾ أي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم لؤلؤا مفرقا في عَرْصة المجلس ، واللؤلؤ إذا نُثر بساطا كان أحسن منه منظوما . وعن المأمون أنه ليلة زُفَّت إليه بوران بنت الحسن بن سهل ، وهو

---

(١) البريص : نهر بدمشق . وبردى نهر آخر بدمشق أيضا أي ماء بردى . ويصفق : يمزج . والرحيق : الخمر البيضاء .

(٢) راجع جـ ١٧ ص ٢٠٢ فما بعدها .

على بساط منسوج من ذهب، وقد نثرت عليه نساءُ دار الخليفة اللؤلؤ ، فنظر إليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال : لله درُّ أبى نُوَاس كأنه أبصر هذا حيث يقول :

كأنّ صُغْرَى وكُبْرَى من فقاقعها * حَصْبَاءُ دُرٍّ على أرض مِنَ الذَّهَبِ

وقيل : إنما شبههم بالمنثور؛ لأنهم سراع فى الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبههنّ باللؤلؤ المكنون المخزون لأنهنّ لا يُمْتَهنَّ بالخدمة .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ « ثَمَّ » ظرف مكان أى هناك فى الجنة، والعامل فى « ثَمَّ » معنى « رَأَيْتَ » أى وإذا رأيت ببصرك « ثَمَّ » . وقال الفرّاء : فى الكلام « ما » مضمرة أى وإذا رأيت ما ثَمَّ؛ كقوله تعالى : « لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ » أى ما بينكم . وقال الزجاج : « ما » موصولة بثَمَّ على ماذكره الفرّاء، ولايجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ، ولكن « رَأَيْتَ » يتعدى فى المعنى إلى « ثَمَّ » والمعنى إذا رأيت ببصرك « ثَمَّ » ويعنى بثَمَّ الجنة، وقد ذكر الفرّاء هذا أيضا . والنعيم سائر ما يتنعم به . والمُلْك الكبير استئذان الملائكة عليهم؛ قاله السُّدّىّ وغيره . قال الكلبىّ : هو أن يأتى الرسول من عند الله بكرامة من الكُسْوة والطعام والشراب والتحف إلى ولىّ الله وهو فى منزله فيستأذن عليه، فذلك المُلْك العظيم . وقاله مقاتل بن سليمان . وقيل : المُلْك الكبير هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجبا ، حاجبا دون حاجب ، فبينما ولىّ الله فيما هو فيه من اللذة والسرور إذ يستأذن عليه مَلَك من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية وتُحْفة من ربّ العالمين لم يرها ذلك الولىّ فى الجنة قط ، فيقول للحاجب الخارج : استأذن على ولىّ الله فإن معى كتابا وهدية من ربّ العالمين . فيقول هذا الحاجب للحاجب الذى يليه : هذا رسول من ربّ العالمين ، معه كتاب وهدية يستأذن على ولىّ الله؛ فيستأذن كذلك حتى يبلغ إلى الحاجب الذى يلى ولىّ الله فيقول له : يا ولىّ الله! هذا رسول من ربّ العالمين يستأذن عليك ، معه كتاب وتُحفة من ربّ العالمين أفيؤذن له؟ فيقول : نعم ! فأذنوا له . فيقول ذلك الحاجب الذى يليه : نَعَم فأذنوا له . فيقول الذى يليه للآخر كذلك حتى يبلغ

الحاجب الآخر، فيقول له : نَعَم أيها المَلك، قد أذن لك، فيدخل فيسلّم عليه ويقول: السّلامُ يقرئك السّلام ، وهــذه تُحفة وهذا كتاب من ربّ العالمين إليك. فإذا هو مكتوب عليــه : من الحيّ الذى لا يموت إلى الحيّ الذى لا يموت . فيفتحه فإذا فيه : سلام على عبدى وولِيى ورحمتى و بركاتى يا وليى أما آن لك أن تشتاق إلى رؤية ربك؟ فيستخفه الشوق فيركب البُرَاق فيطير به البُرَاق شوقا إلى زيارة علّام الغيوب، فيعطيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال سـفيان الثورىّ : بلغنا أن المُلْك الكبير تسليم الملائكة عليهم ؛ دليـله قوله تعالى : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِـمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَـا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ». وقيل : المُلْك الكبير كون التّيجان على رءوسهم كما تكون على رأس ملك من الملوك . وقال الترمذىّ الحكيم : يعنى مُلْك التكوين فإذا أرادوا شيئا قالوا له كُنْ . وقال أبو بكر الورّاق : مُلْك لا يتعقبه هُلْك . وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم : " إن الملك الكبير هو [أنّ](١) أدناهم منزلة ينظر فى مُلْكه مسيرة ألفى عام يَرَى أقصاه كما يَرَى أدناه " قال : " وإن أفضلهم منزلة مَن ينظر فى وجه ربّه تعالى كلّ يوم مرتين " سبحان المنعم .

قوله تعـالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ قرأ نافع وحمزة وٱبن محيصن « عَالِيهم » ساكنة اليـاء ، وٱختاره أبو عبيد ٱعتبارا بقراءة ٱبن مسعود وٱبن وثاب وغيرهما « عَالِيَتُهُمْ » وبتفسير ٱبن عباس : أما رأيت الرجل عليه ثيابٌ يعلوها أفضل منها . الفراء : وهو مرفوع بالٱبتداء وخبره « ثِيَابُ سُنْدُسٍ » وٱسم الفاعل يراد به الجمع . ويجوز فى قول الأخفش إفراده على أنه ٱسم فاعل متقدّم و «ثِيَابُ» مرتفعة به وسَدّت مَسدّ الخبر والإضافة فيــه فى تقدير الٱنفصال لأنه لم يَخْتَصّ ، وٱبتــدئ به لأنه ٱختص بالإضافة . وقرأ الباقون «عَالِيَهُمْ» بالنصب . وقال الفراء : هو كقولك فَوْقَهم ، والعرب تقول : قومك داخلَ الدارِ فينصبون داخل على الظرف لأنه مَحلّ . وأنكر الزجاج هذا وقال : هو مما لا نعرفه فى الظروف، ولو كان ظرفا لم يجز إسكان الياء ولكنه نصب على الحال من شيئين : أحدهما الهاء والميم فى قوله :

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى .

« يَطُوفُ عَلَيْهِمْ » أى على الأبرار « وِلْدَانٌ » عاليا الأبرارَ ثيابُ سندسٍ؛ أى يطوف عليهم في هذه الحال ، والثاني أن يكون حالا من الولدان أى « إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا » في حال علو الثياب أبدانهم . وقال أبو على : العامل في الحال إما « لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا » وإما « جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا » قال : ويجوز أن يكون ظرفا فصُرِف . المهدوى : ويجوز أن يكون آسم فاعل ظرفا؛ كقولك هو ناحية من الدار، وعلى أن عاليا لمّا كان بمعنى فوق أُجْرِى مُجْراه بجعل ظرفا . وقرأ آبن محيصن وآبن كثير وأبو بكر عن عاصم « خُضْرٍ » بالجر على نعت السُّندس « وَإِسْتَبْرَقٌ » بالرفع نَسَقا على الثياب، ومعناه عاليهم [ثيابُ][1] سندسٍ و إستبرقٌ . وقرأ آبن عامر وأبو عمرو ويعقوب « خُضْرٌ » رفعا نعتا للثياب « وَإِسْتَبْرَقٍ » بالخفض نعتا للسُّندس ، وآختاره أبو عُبيد وأبو حاتم لجودة معناه ؛ لأن الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهى مرفوعة ، وأحسن ما عطف الإستبرق على السُّندس عطف جنس على جنس ، والمعنى عاليهم ثيابٌ خُضْرٌ من سندسٍ و إستبرقٍ أى من هذين النوعين . وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع ويكون « خُضْرٌ » نعتا للثياب ؛ لأنهما جميعا بلفظ الجمع « وإِسْتَبْرَقٌ » عطفا على الثياب . وقرأ الأعمش وآبن وثّاب وحمزة والكسائى كلاهما بالخفض ويكون قوله «خضرٍ» نعتا للسُّندس ، والسُّندس آسم جنس وأجاز الأخفش وصف آسم الجنس بالجمع على آستقباح له ؛ وتقول : أهلك الناسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدِّرهمُ البِيضُ؛ ولكنه مُستبعَد في الكلام . والمعنى على هذه القراءة : عاليهم ثيابُ سندسٍ خضرٍ وثيابُ إستبرقٍ . وكلهم صرف الإستبرق إلا آبن محيصن فإنه فتحه ولم يصرفه فقرأ « و إستبرقَ » نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمى وهو غلط ؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف ؛ تقول الإستبرق إلا أن يزعم أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب . وقرئ « وَآسْتَبْرَقَ » بوصل الهمزة والفتح على أنه سُمِّى بآستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا؛ لأنه مُعرَّب مشهور تعريبه وأن أصله آستبرك[2] والسُّندس ما رَقّ من الدِّيباج[3] والإستبرق ما غَلُظ منه . وقد تقدّم .

(١) زيادة تقتضيها العبارة . (٢) في الأصل إستبرق وهو تحريف والتصويب من القاموس؛ وفي الألفاظ الفارسية وشرح القاموس أصله : « آستبر » . (٣) راجع جـ ١٠ ص ٣٩٧ و جـ ١٧ ص

قوله تعالى : ﴿ وَحُلُّوا ﴾ عطف على « وَيَطُوفُ » . ﴿ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ وفى سورة فاطر « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ » وفى سورة الحج «يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا» فقيل : حُلِيّ الرجل الفضّة وحُلِيّ المرأة الذهب . وقيل : تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضّة . وقيل : يجمع فى يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضّة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محاسن الجنة ؛ قاله سعيد بن المسيِّب . وقيل : أى لكل قوم ماتميل إليه نفوسهم . ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ قال علىّ رضى الله عنه فى قوله تعالى : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » قال : إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما ، فتجرى عليهم بنضرة النّعيم ، فلا تتغير أبشارهم ، ولا تتشعث أشعارهم أبدا ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما فى بطونهم من الأذى ، ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ » . وقال النَّخَعىّ وأبو قِلَابَة : هو إذا شربوه بعد أكلهم طَهَّرهم ، وصار ما أكلوه وما شربوه رَشْحَ مِسك ، وضُمِّرت بطونُهم . وقال مقاتل : هو من عينِ ماء على باب الجنة ، تنبع من ساق شجرة ، من شرب منها نزع الله ما كان فى قلبه من غِلّ وغِشّ وحسد ، وما كان فى جوفه من أذًى وقذر . وهذا معنى ماروى عن علىّ إلا أنه فى قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فَعُولا للمبالغة ، ولا يكون فيه حجة للحنفى أنه بمعنى الطاهر . وقد مضى بيانه فى سورة « الفرقان »(1) والحمد لله . وقال طَيِّب الجَمَّال : صَلَّيتُ خَلْف سهل بن عبد الله العَتَمة فقرأ « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » وجعل يُحرِّك شفتيه وفمه كأنه يَمَصّ شيئا ، فلما فرغ قيل له : أتشرب أم تقرأ ؟ فقال : والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأته .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ أى يقال لهم إنما هذا جزاء لكم أى ثواب . ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ ﴾ أى عملكم ﴿ مَشْكُورًا ﴾ أى من قبل الله ، وشكره للعبد قبول طاعته ، وثناؤه عليه ، وإثابته إياه . وروى سعيد عن قتادة قال : غَفَر لهم الذَّنب وشَكَر لهم الحُسْنى . وقال

(1) راجع جـ ١٣ ص ٣٩ فما بعدها .

مجاهد : « مَشْكُورًا » أى مقبولا والمعنى متقارب ؛ فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره ، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل؛ إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم . روى عن آبن عمر : أن رجلا حَبَشيًّا قال : يا رسول الله ! فضلتم علينا بالصُّوَر والألوان والنبّوة ، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنتَ به، وعملتُ بما عملتَ أكائن أنا معك فى الجنة ؟ قال : " نعم والذى نفسى بيده إنه لَيُرى بياضُ الأسود فى الجنة وضياؤه من مسيرة ألف عام" ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عَهْد ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة" فقال الرجل : كيف نهلك بعدها يا رسول الله؟ فقال : " إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضعه على جبل لأثقله فتجىء النِّعمة من نِعَم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله إلا أن يَتَطَوَّلَ(١) الله برحمته " قال : ثم نزلت « هَـلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ » إلى قوله : « وَمُلْكًا كَبِيرًا » قال الحبشىّ : يا رسول الله ! وإن عينىّ لترى ما ترى عيناك فى الجنة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " نعم " فبكى الحبشىّ حتى فاضت نَفْسه . قال آبن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه فى حفرته ويقول : « إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا » قلنا : يا رسول الله وما هو ؟ قال : " والذى نفسى بيده لقد أوقفه الله ثم قال أى عبدى لأبيضنّ وجهك ولأُبَوِّئَنَّك من الجنة حيث شئت فنعم أجر العاملين " .

قوله تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُوراً ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً ﴾ ما آفتريته ولا جئتَ به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يدّعيه المشركون . ووجه آتصال هـذه الآية بما قبلُ أنه سبحانه لما ذكر أصناف الوعد والوعيد بيّن أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه، فليس بسحر

(١) فى نسخة : يتعطف .

ولا كهانة ولا شعر وأنه حق . وقال ابن عباس : أنزل القرآن متفرقا آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة؛ فلذلك قال « نَزَّلْنَا »(١) وقد مضى القول فى هذا مبينا والحمد لله .

قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أى لقضاء ربك . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : اصبر على أذى المشركين؛ هكذا قضيت . ثم نسخ بآية القتال . وقيل : أى اصبر لما حكم به عليك من الطاعات ، أو انتظر حكم الله إذ وعدك أنه ينصرك عليهم ولا تستعجل فإنه كائن لا محالة . ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا ﴾ أى ذا إثم ﴿ أَوْ كَفُورًا ﴾ أى لا تطع الكفّار . فروى مَعْمَر عن قَتَادة قال قال أبو جهل : إن رأيتُ محمدا يُصلِّى لأطأن على عنقه . فأنزل الله عز وجل : « وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا » . ويقال : نزلت فى عُتْبة بن ربيعة والوليد ابن المغيرة، وكانا أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الأموال والتزويج على أن يترك ذكر النبوّة، ففيهما نزلت « وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا » . قال مقاتل : الذى عرض التزويج عتبة بن ربيعة؛ قال : إن بناتى من أجمل نساء قريش، فأنا أزوجك ابنتى من غير مَهْر، وارجع عن هذا الأمر . وقال الوليد : إن كنتَ صنعتَ ما صنعتَ لأجل المال، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر؛ فنزلت . ثم قيل « أَوْ » فى قوله تعالى : « آثِمًا أَوْ كَفُورًا » أوكد من الواو؛ لأن الواو إذا قلت : لا تطع زيدا وعمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص؛ لأنه أمره ألا يطيع الاثنين، فإذا قال : « لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا » فـ « أو » قد دلّت على أن كل واحد منهما أهل أن يُعْصَى؛ كما أنك إذا قلت : لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، أو اتبع الحسن أو ابن سيرين فقد قلت : هذان أهل أن يُتّبعا وكل واحد منهما أهل لأن يُتّبع؛ قاله الزجاج . وقال الفراء : « أو » هنا بمنزلة «لا» كأنه قال : ولا كفورا؛ قال الشاعر :

لَا وَجْدَ ثَكْلَى كما وَجَدْتُ وَلَا * وَجْدَ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ(٢)

أَوْ وَجْدَ شيخٍ أَضَلَّ ناقتَهُ * يَوْمَ تَوَافَى الحجيجُ فاندفعوا

---

(١) راجع جـ ١٣ ص ٢٩ (٢) العجول من النساء والإبل الواله التى فقدت ولدها ، سميت بذلك لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا ، وهى هنا الناقة . والربع كضرد الفصيل ينتج فى الربيع .

أراد ولا وجد شيخ . وقيل : الآثم المنافق ، والكفور الكافر الذى يظهر الكفر ؛ أى لا تطع منهم آثمـا ولا كفورا . وهو قريب من قول الفرّاء .

قوله تعـالى : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ أى صـلّ لربك أول النهار وآخره ، ففى أوّله صلاة الصبح وفى آخره صلاة الظهر والعصر . ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ ﴾ يعنى صلاة المغرب والعشاء الآخرة ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْـلًا طَوِيلًا ﴾ يعنى التطوّع فى الليل ؛ قاله ٱبن حبيب . وقال ٱبن عباس وسفيان : كلّ تسبيح فى القرآن فهو صلاة . وقيل : هو الذكر المطلق سواء كان فى الصـلاة أو فى غيرها . وقال ٱبن زيد وغيره : إن قوله « وَسَبِّحْهُ لَيْـلًا طَوِيلًا » منسوخ بالصلوات الخمس . وقيل : هو ندب . وقيل : هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم . وقد تقـدّم القول فى مثله فى سـورة « المزمل » وقول ٱبن حبيب حسن . وجمـع الأصيل الأصائل والأُصُل ؛ كقولك سَفَائن وسُفُن ؛ قال :

* ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ *

وقال(١) فى الأصائل وهو جمع الجمع :

لَعَمْرِى لَأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ * وأقعـدُ فى أَفْيَـائِهِ بالأَصَـائِلِ

وقد مضى هذا فى آخر « الأعراف »(٢) مستوفى . ودخلت « مِنْ » على الظـرف للتبعيض ، كما دخلت على المفعول فى قوله تعالى : « يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ » .

قوله تعـالى : إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْـدِيلًا ﴿٢٨﴾

قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَـاجِلَةَ ﴾ توبيخ وتقريع ، والمـراد أهل مكة . والعاجلة الدنيـا ﴿ وَيَذَرُونَ ﴾ أى ويدعون ﴿ وَرَاءَهُمْ ﴾ أى بين أيديهـم ﴿ يَوْمًا ثَقِيـلًا ﴾

(١) قاله أبو ذؤيب الهذلى . (٢) راجع جـ ٧ ص ٣٥٥ وما بعدها .

أي عسيرا شديدا كما قال : « ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » أي يتركون الإيمان بيوم القيامة . وقيل : « وَرَاءَهُمْ » أي خلفهم ؛ أي ويذرون الآخرة خلف ظهورهم فلا يعملون لها . وقيل : نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوّته . وحبهم العاجلة أخذهم الرشا على ما كتموه . وقيل : أراد المنافقين ؛ لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا . والآية تعم . واليوم الثقيل يوم القيامة . وإنما سمي ثقيلا لشدائده وأهواله . وقيل : للقضاء فيه بين عباده .

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ ﴾ أي من طين . ﴿ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ أي خلقهم ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم . والأَسْر الخَلْق ؛ قال أبو عُبيد : يقال فرس شديد الأَسْر أي الخَلْق . ويقال : أسره الله جل ثناؤه إذا شَدّد خَلْقه ؛ قال لَبيد :

سَاهِمُ الوجهِ شديدٌ أَسْرُهُ * مُشْرِفُ الحارِكِ مَحْبوكُ الكَتَدْ (١)

وقال الأخطل :

مِنْ كلِّ مُجْتَنَبٍ شديدٍ أَسْرُهُ * سَلِسِ القِيَادِ تَخَالُهُ مُخْتَالَا (٢)

وقال أبو هريرة والحسن والربيع : شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعَصَب . وقال مجاهد في تفسير الأَسْر : هو الشَّرج ؛ أي إذا خرج الغائط والبول تقبّض الموضعُ . وقال ابن زيد : الأَسْر القوّة . وقال ابن أحمر يصف فرسا :

يَمْشِي بِأَوْظِفَةٍ شِدَادٍ أَسْرُهَا * صُمِّ السَّنَابِكِ لا تَقِي بِالجَدْجَدِ (٣)

واشتقاقه من الإسار وهو القِدُّ الذي يشد به الأقتاب ؛ يقال : أَسَرْتُ القَتَبَ أَسْرا أي شددته وربطته ؛ ويقال : ما أحسن أَسْر قَتَبِه أي شدّه وربطه ؛ ومنه قولهم : خذه

---

(١) ورد في اللسان مادة (حبك) : أنشد بيت لبيد على هذه الصورة : مشرف الحارك محبوك الكفل (وكذلك هو في ديوانه) ، ومحبوك الكفل : مدمجه . وفي مادة حرك أنشد الشطر :

* مغبط الحارك محبوك الكفل *

أما الشطر الذي في التفسير هنا فهو لأبي دؤاد وقد مر في جـ ١٧ ص ٣٢ .

(٢) مجتنب مفتعل من الجنيبة وهي الفرس تقاد ولا تركب ، وكانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل فإذا صاروا إلى الحرب ركبوا الخيل . (٣) الجدجد : الأرض الصلبة . ولا تقي : لاتتوقى ولا تهيب .

بأسره إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله ؛ كأنهم أرادوا تعكيمه(١) وشده لم يُفتح ولم ينقص منه شيء . ومنه الأسير لأنه كان يُكتّف بالإسار . والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية . أى سوّيتُ خَلْقك وأحكمته بالقوى ثم أنت تكفر بى . ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ قال ابن عباس : يقول لو نشاء لأهلكناهم وجئنا بأطوع لله منهم . وعنه أيضا : لغيرنا محاسنهم إلى أسمج الصّور وأقبحها . كذلك روى الضحاك عنه . والأول رواه عنه أبو صالح .

قوله تعالى : إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أى السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أى موعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أى طريقا موصّلا إلى طاعته وطلب مرضاته . وقيل : « سَبِيلًا » أى وسيلة . وقيل : وجهة وطريقا إلى الجنة . والمعنى واحد . ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾(٢) أى الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم ، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تتقدم إلا أن تتقدم مشيئته . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « وَمَا يَشَاءُونَ » بالياء على معنى الخبر عنهم . والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه . وقيل : إن الآية الأولى منسوخة بالثانية . والأشبه أنه ليس بنسخ بل هو تبيين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته . قال الفراء : « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » جواب لقوله : «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا» ثم أخبرهم أن الأمر ليس إليهم فقال : « وَمَا تَشَاءُونَ » ذلك السبيل « إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » لكم . ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بأعمالكم ﴿ حَكِيمًا ﴾ فى أمره ونهيه لكم . وقد مضى فى غير موضع .

---

(١) عكمت المتاع شددته ، والعكام الخيط الذى يعكم به ، وعكمت البعير شددت عليه العكم .

(٢) فى نسخة : إلى الخير .

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ أى يدخله الجنة راحما له ﴿ وَالظَّالِمِينَ ﴾ أى و يعذّب الظالمين فنصبه بإضمار يعذّب . قال الزجاج : نصب الظالمين لأن قبله منصوب؛ أى يدخل من يشاء فى رحمته و يعذّب الظالمين أى المشركين ويكون ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرا لهذا المضمر؛ كما قال الشاعر :

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا * أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ * وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا

أى أخشى الذئب أخشاه . قال الزجاج : والاختيار النصب و إن جاز الرفع؛ تقول : أعطيت زيدا وعمرا أعددت له برّا فيختار النصب؛ أى و برّرت عمرا أو أبرّ عمرا . وقوله فى « حم عسق » : « يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ » ارتفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب فى المعنى؛ فلم يجز العطف على المنصوب قبله فارتفع بالابتداء . وها هنا قوله : « أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا » يدل على و يعذّب فجاز النصب . وقرأ أبان بن عثمان « وَالظَّالِمُونَ » رفعا بالابتداء والخبر ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ ﴾ . ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أى مؤلما موجعا . وقد تقدم هذا فى سورة «البقرة »(١) وغيرها والحمد لله . ختمت السورة .

سورة المرسلات

مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية منها وهى قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ » مدنية . وقال ابن مسعود : نزلت « وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا » على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجنّ ونحن معه نسير حتى أوينا إلى غار بمنًى فنزلت ، فبينا نحن نتلقاها منه ، و إنّ فاه لرَطْب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "وُقيتم شرّها كما وُقيت شرّكم". وعن كريب مولى ابن عباس قال: قرأت سورة «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا » فسمعتنى أُمّ الفضل امرأة العباس فبكت وقالت : والله يا بنىّ لقد أذكرتنى بقراءتك هذه السورة أنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى صلاة المغرب . والله أعلم . وهى خمسون آية .

(١) راجع جـ ١ ص ١٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا (١) فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا (٢)
وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا (٣) فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا (٤) فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا (٥)
عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ (٧) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨)
وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ
أُقِّتَتْ (١١) لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ (١٣) وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

قوله تعالى : ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ جمهور المفسرين على أن المرسلات الرياح . وروى مسروق عن عبد الله قال : هى الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبر والوحى . وهو قول أبى هريرة ومقاتل وأبى صالح والكلبى . وقيل : هم الأنبياء أرسلوا بلا إله إلا الله ؛ قاله ابن عباس . وقال أبو صالح : إنهم الرسل تُرسَل بما يُعرَفون به من المعجزات . وعن ابن عباس وابن مسعود : إنها الرياح ؛ كما قال تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ » وقال : « وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ » . ومعنى « عُرْفًا » يتبع بعضها بعضا كعُرْف الفَرَس ؛ تقول العرب : الناس إلى فلان عُرْفٌ واحد إذا توجهوا إليه فأكثروا . وهو نصب على الحال من « والمرسلات » أى والرياح التى أرسلت متتابعة . ويجوز أن تكون مصدرا أى تباعا . ويجوز أن يكون النصب على تقدير حرف الجر ، كأنه قال : والمرسلات بالعُرْف والمراد الملائكة أو الملائكة والرسل . وقيل : يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه . وقيل : إنها الزواجر والمواعظ . « وعُرْفًا » على هذا التأويل متتابعات كعُرْف الفَرَس ؛ قاله ابن مسعود . وقيل : جاريات ؛ قاله الحسن ؛ يعنى فى القلوب . وقيل : معروفات فى العقول .

﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ الرياح بغير اختلاف ؛ قاله المهدوى . وعن ابن مسعود : هى الرياح العواصف تأتى بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه ؛ كما قال تعالى : « فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا »(١) . وقيل: العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها . وقيل : الملائكة تعصف بروح الكافر؛ يقال: عصف بالشيء أى أباده وأهلكه ، وناقة عَصُوف أى تعصف براكبها فتمضى كأنها ريح فى السرعة ، وعصفت الحرب بالقوم أى ذهبت بهم . وقيل : يحتمل أنها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف . ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها . وقال ابن مسعود ومجاهد : هى الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته ؛ أى تنشر السحاب للغيث . وروى ذلك عن أبى صالح . وعنه أيضا : الأمطار ؛ لأنها تنشر النبات فالنشر بمعنى الإحياء ؛ يقال : نشر الله الميت وأنشره أى أحياه . وروى عنه السدى : أنها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بنى آدم . الضحاك : إنها الصحف تنشر على الله بأعمال العباد . وقال الربيع : إنه البعث للقيامة تنشر فيه الأرواح . قال : « والنَّاشِرَاتِ » بالواو ؛ لأنه استئناف قسم آخر . ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾ الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل ؛ قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وأبو صالح . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : ما تفرق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال . وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده . وعن سعيد عن قتادة قال : « الفارقات فرقا » الفرقان فَرَق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال . وقاله الحسن وابن كيسان . وقيل : يعنى الرسل فَرَقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه أى بينوا ذلك . وقيل : السحابات الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهى الحامل التى تخرج وتندّ فى الأرض حين تضع ، ونوق

(١) كذا فى الأصول ؛ ولعل المناسب الاستشهاد بقوله تعالى : « جاءتها ريح عاصف » كما أشار إليه أبو حيان بقوله : وأن العصف من صفات الريح ... الخ .

فـوارِقُ وفُرَّق . [وربمـا](1) شـبهوا السحابة التى تنفرد من السحاب بهذه الناقـة ؛ قال ذو الرمّة :

أَوْ مُزْنَةٌ فارِقٌ يَجْلو غَوارِبَها * تَبَوُّجُ الْبَرْقِ والظَّلْماءُ عُلْجُومُ(2)

﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة بإجماع ؛ أى تلقى كتب الله عز وجل إلى الأنبياء عليهم السلام ؛ قاله المهدوى . وقيل : هـو جبريل وسمى بآسم الجمع ؛ لأنه كان ينزل بها . وقيل : المراد الرسل يلقـون إلى أممهم ما أنزل الله عليهم ؛ قاله قُطْرب . وقرأ آبن عباس « فالملَقِّيات » بالتشديد مع فتح القاف ؛ وهو كقوله تعالى : « وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ » . ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ أى تلقى الوحى إعذارا من الله أو إنذارا إلى خلقـه من عذابه ؛ قاله الفراء . وروى عن أبى صالح قال : يعنى الرسل يعذرون وينذرون . وروى سعيد عن قتادة « عُذْرًا » قال : عذرا لله جل ثناؤه إلى خلقه ، ونذرا للؤمنين ينتفعون به ويأخذون به . وروى الضحاك عن آبن عباس . « عُذْرًا » أى ما يلقيه الله جل ثناؤه من معاذير أوليـائه وهى التـوبة « أَوْ نُذُرًا » ينذر أعداءه . وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص « أَوْ نُذْرًا » بإسكان الذال وجميع السبعة على إسكان ذال « عُذْرا » سوى ما رواه الجُعْفى والأعشى عن أبى بكر عن عاصم أنه ضم الذال . وروى ذلك عن آبن عبـاس والحسن وغيرهمـا . وقـرأ إبراهيم التَّيمى وقتادة « عُذْرًا وَنُذْرًا » بالواو العاطفة ولم يجعلا بينهما ألفا . وهما منصوبان على الفاعل له أى للإعذار أو للإنذار . وقيل : على المفعول به . وقيل : على البدل من « ذِكْرًا » أى فالملقيات عذرا أو نذرا . وقال أبو على : يجوز أن يكون العذُر والنذُر بالتثقيل على جمع عاذر وناذر ؛ كقوله تعالى : « هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ » فيكون نصبا على الحال من الإلقاء ؛ أى يلقون الذكر فى حال العذر والإنذار . أو يكون مفعولا لـ « ـذكرا » أى « فالملقيات » أى تُذَكِّر « عُذْرًا أو نُذْرًا » . وقال المبرد : هما بالتثقيل جمع والواحد عَذِير ونَذِير . ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ هـذا جواب ما تقدم من القسم ؛ أى ما توعدون من أمر القيامة لواقع بكم ونازل عليـكم .

(1) الزيادة من اللسان عن الجوهرى مادة « فرق » .
(2) تبوج البرق : تفتحه وتكشفه . علجوم شديد السواد .

ثم بين وقت وقوعه فقال: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أى ذهب ضوءها ومُحِي نورُها كطمس الكتاب؛ يقال: طَمَس الشيءُ إذا دَرَس وطُمِس فهو مطموس، والريح تطمس الآثار فتكون الريح طامسة والأثر طامسا بمعنى مطموس . ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ أى فُتِحت وشُقَّت ؛ ومنه قوله تعالى : « وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » . وروى الضحاك عن ٱبن عباس قال: فُرِجت للطيّ . ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أى ذُهِب بها كلها بسرعة ؛ يقال : نَسَفْتُ الشيء وأنسفته إذا أخذته كله بسرعة . وكان ٱبن عباس والكلبيّ يقول: سُوِّيت بالأرض، والعرب تقول : فَرَس نَسُوف إذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه ؛ قال بِشْر :

* نَسُوفٌ للحِـزَام بمرفقيها *

ونَسَفت الناقةُ الكلأَ [إذا قلعته من أصله][(١)] . وقال المبرد: نُسِفت قُلِعت من موضعها؛ يقـول الرجل للرجل يقتلع رجليه من الأرض : أَنْسَفت رجلاه . وقيـل : النَّسْف تفريق الأجزاء حتى تذروها الرياح . ومنه نَسف الطعام؛ لأنه يُحَرَّك حتى يذهب الريح بعض ما فيه من التِّـبْن . ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ أى جمعت لوقتها ليوم القيامة ، والوقت الأجل الذى يكون عنده الشيء المؤخر إليه؛ فالمعنى : جعل لهـا وقت وأجل للفصل والقضاء بينهم و بين الأمم ؛ كما قال تعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ » . وقيل : هـذا فى الدنيا أى جمعت الرسل لميقاتها الذى ضرب لهـا فى إنزال العـذاب بمن كذبهم بأن الكفار مُمْهَلون . و إنمـا تزول الشكوك يوم القيامة . والأول أحسن ؛ لأن التوقيت معناه شيء يقع يوم القيامة، كالطَّمْس ونَسْف الجبال وتشقيق السماء ولا يليق به التأقيت قبل يوم القيامة . قال أبو على : أى جعل يوم الدين والفصل لهـا وقتا . وقيـل : أُقِّتت وُعِدت وأُجِّلت . وقيـل : « أُقِّتَتْ » أى أرسلت لأوقات معلومة على ما علمه الله وأراد . والهمزة فى « أُقِّتَتْ » بدل من الواو ؛ قاله الفراء والزجاج . قال الفراء : وكل واو ضُمَّت وكانت ضمتها لازمة جاز أن يبدل منها همزة ؛ تقول : صلّى القـوم إِحْدانا تريد وِحْدانا، ويقولون هـذه وُجُوه حسان و[أُجُوه][(٢)] . وهذا

---

(١) الزيادة من كتب اللغة ؛ وفى الأصول : إذا رعته . (٢) زيادة يقتضيها المقام .

لأن ضمة الواو ثقيلة . ولم يجز البدل فى قوله : « وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ » لأن الضمة غير لازمة . وقرأ أبو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد «وُقِّتَتْ» بالواو وتشديد القاف على الأصل . وقال أبو عمرو : وإنما يقرأ « أُقِّتَتْ » من قال فى وُجوه أُجوه . وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج « وُقِتَت » بالواو وتخفيف القاف . وهو فُعِلت من الوقت ومنه « كِتَابًا مَوْقُوتًا » . وعن الحسن أيضا : « وُوقِتَتْ » بواوين وهو فُوعِلت من الوقت أيضا مثل عُوهِدت . ولو قلبت الواو فى هاتين القراءتين ألفا لجاز . وقرأ يحيى وأيوب وخالد بن إلياس وسلّام «أُقِتَتْ» بالهمزة والتخفيف؛ لأنها مكتوبة فى المصحف بالألف . ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ أى أخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو ٱستفهام على التعظيم . أى ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ أجلت . وروى سعيد عن قتادة قال : يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة أو إلى النار . وفى الحديث : "إذا حُشِر الناسُ يوم القيامة قاموا أربعين عاما على رءوسهم الشمسُ شاخصةً أبصارهم إلى السماء ينتظرون الفصل" . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ أتبع التعظيم تعظيما؛ أى وما أعلمك ما يوم الفصل . ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى عذاب وخزى لمن كذّب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل فهو وعيد . وكرره فى هذه السورة عند كل آية لمن كذّب؛ لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فإن لكل مكذّب بشىء عذابا سوى تكذيبه بشىء آخر، ورُبَّ شىء كذّب به هو أعظم جُرْما من تكذيبه بغيره؛ لأنه أقبح فى تكذيبه ، وأعظم فى الردّ على الله ، فإنما يقسم له من الويل على قدر ذلك ، وعلى قدر وفاقه وهو قوله : « جَزَاءً وِفَاقًا » . وروى عن النعمان بن بشير قال : وَيْلٌ وادٍ فى جهنم فيه ألوان العذاب . وقاله ٱبن عباس وغيره . قال ٱبن عباس : إذا خَبَتْ جهنمُ أُخذ من جمره فألقى عليها فيأكل بعضها بعضا . وروى أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "عُرِضت علىّ جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل" وروى أنه مَجْمَع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم ، وإنما يسيل الشىء فيما سفل من الأرض وٱنفطر ، وقد علم العباد فى الدنيا أن شر المواضع فى الدنيا ما ٱستنقع فيها مياه الأدناس والأقذار والغسالات من الجيف وماء الحمامات ، فذكر أن ذلك

الوادى مستنقع صديد أهل الكفر والشرك؛ ليعلم ذوو العقول أنه لا شيء أقذر منه قذارة، ولا أنتن منه نتنا، ولا أشدّ منه مرارة، ولا أشدّ سوادا منه؛ ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تضمن من العذاب، وأنه أعظم وادٍ فى جهنم، فذكره الله تعالى فى وعيده فى هذه السورة .

قوله تعالى : أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ أخبر عن إهلاك الكفّار من الأمم الماضين من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم . ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ أى نلحق الآخرين بالأولين . ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ أى مثل ما فعلناه بمن تقدّم نفعل بمشركى قريش إما بالسيف وإما بالهلاك . وقرأ العامة « ثُمَّ نُتْبِعُهُمْ » بالرفع على الاستئناف وقرأ الأعرج « نُتْبِعْهُمْ » بالجزم عطفا على « نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ » كما تقول : ألم تزرنى ثم أكرمك . والمراد أنه أهلك قوما بعد قوم على اختلاف أوقات المرسلين . ثم استأنف بقوله : « كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ » يريد من يهلك فيما بعد . ويجوز أن يكون الإسكان تخفيفا من « نتبعهم » لتوالى الحركات . وروى عنه الإسكان للتخفيف . وفى قراءة ابن مسعود « ثُمَّ سَنُتْبِعُهُمْ » والكاف من « كَذَٰلِكَ » فى موضع نصب أى مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك . ثم قيل : معناه التهويل لهلاكهم فى الدنيا اعتبارا . وقيل : هو إخبار بعذابهم فى الآخرة .

قوله تعالى : أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ أى ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدّم . وهذه الآية أصل لمن قال إن خالق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده . وقد مضى القول[1] فيه .

(١) راجع جـ ١٢ ص ٧ فما بعدها .

﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ أي في مكان حريز وهو الرحم . ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ قال مجاهد : إلى أن نصوّره . وقيل : إلى وقت الولادة . ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ وقرأ نافع والكسائي « فَقَدَّرْنَا » بالتشديد . وخفف الباقون وهما لغتان بمعنى . قاله الكسائي والفراء والقُتَبي . قال القُتَبي : قَدَرنا بمعنى قَدّرنا مشدّدة : كما تقول : قدَرتُ كذا وقدّرته ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال : " إذا غُمَّ عليكم فأَقْدِروا له " أي قدّروا له المسير والمنازل . وقال محمد بن الجهم عن الفراء : « فَقَدَّرْنَا » قال : وذكر تشديدها عن عليّ رضي الله عنه وتخفيفها ؛ قال : ولا يبعدن أن يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا ؛ لأن العرب تقول : قُدِر عليه الموت وقُدِّر : قال الله تعالى : « نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ » قرئ بالتخفيف والتشديد ، وقُدِر عليه رزقه وقُدِّر قال : وآحتج الذين خَفَّفوا فقالوا ؛ لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدّرون . قال الفراء : وتجمع العرب بين اللغتين ؛ قال الله تعالى : « فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا » قال الأعشى :

وأَنْكَرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ * من الحوادثِ إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

وروى عن عِكرمة « فَقَدَرْنَا » مخففة من القدرة وهو آختيار أبي عبيد وأبي حاتم والكسائي لقوله : ﴿ فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ ومن شدّد فهو من التقدير أي فقدّرنا الشقي والسعيد فنعم المقدّرون . رواه آبن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : المعنى قدرنا قصيرا أو طويلا . ونحوه عن آبن عباس : قدّرنا ملكنا . المهدوي : وهذا التفسير أشبه بقراءة التخفيف .

قلت : هو صحيح فإن عِكرمة هو الذي قرأ « فَقَدَرْنَا » مخففا قال : معناه فملكنا فنعم المالكون ، فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين ؛ أي قدّرنا وقت الولادة وأحوال النطفة في التنقيل من حالة إلى حالة حتى صارت بشرا سويا ، أو الشقيّ والسعيد ، أو الطويل والقصير ، كله على قراءة التشديد . وقيل : هما بمعنًى كما ذكرنا .

قوله تعالى : أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

فيه مسئلتان :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ أى ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات فى بطنها . وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه ، ودفن شعره وسائر ما يزيله عنه . وهو قوله عليه السلام : " قُصُّوا أظافركم وادفنوا قُلاماتِكم " وقد مضى فى «البقرة»[1] بيانه . يقال : كَفَتُّ الشى أكْفِته إذا جمعته وضممته ، والكَفْت الضم والجمع ؛ وأنشد سيبويه :

كِرامٌ حينَ تَنْكفتُ الأَفَاعى * إلى أجْحَارهنّ من الصَّقِيعِ

وقال أبو عبيد : «كِفَاتًا» أوعية و يقال لِلنِّحْى كِفْت وكَفِيت لأنه يحوى اللبن و يضمه قال :

فأنتَ اليومَ فوقَ الأرض حيًّا * وأنتَ غدًا تَضُمُّكَ فى كِفَاتِ

وخرج الشَّعْبىّ فى جنازة فنظر إلى الجَبَّان فقال : هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء .

و[الثانيــة][2] ــ روى عن ربيعة فى النَّبَّاش قال تُقطَع يده فقيل له : لم قلت ذلك؟ قال : إن الله عز وجل يقول : « أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وأَمْوَاتًا » فالأرض حرز . وقد مضى هذا فى سورة « المائدة »[3] وكانوا يسمون بَقيع الغَرْقَد كَفْتة ، لأنه مقبرة تضم الموتى ، فالأرض تضم الأحياء إلى منازلهم والأموات فى قبورهم . وأيضا آستقرار الناس على وجه الأرض ، ثم آضطجاعهم عليها ، آنضمام منهم إليها . وقيل : هى كِفات للأحياء يعنى دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات فى الأرض ؛ إذا لا ضَمّ فى كون الناس عليها ، والضَّمّ يشير إلى الآحتفاف من جميع الوجوه . وقال الأخفش وأبو عبيدة ومجاهد فى أحد قوليه : الأحياء والأموات يرجع إلى الأرض أى الأرض منقسمة إلى حىّ وهو الذى ينبت ، وإلى ميت

---

(١) راجع جـ ٢ ص ١٠٢ فما بعدها . (٢) لم يذكر فى الأصول لفظ المسئلة الثانية والمتبادر أن هنا موضعها كما يستفاد من أحكام القرآن لابن العربى . (٣) راجع جـ ٦ ص ١٦٨ فما بعد .

وهو الذى لا ينبت . وقال الفراء : ٱنتصب « أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا » بوقوع الكفات عليه ؛ أى ألم نجعل الأرض كفات أحياء وأموات . فإذا نونت نصبت؛ كقوله تعالى : « أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا » . وقيل : نصب على الحال من الأرض أى منها كذا ومنها كذا . وقال الأخفش : « كِفَاتًا » جمع كافتة والأرض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع . وقال الخليل : التكفيت تقليب الشيء ظهرا لبطن أو بطنا لظهر . ويقال : ٱنكفت القومُ إلى منازلهم أى ٱنقلبوا . فمعنى الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون إليها ويدفنون فيها . ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ أى فى الأرض ﴿ رَوَاسِىَ شَامِخَاتٍ ﴾ يعنى الجبال ، والرواسى الثوابت، والشامخات الطوال؛ ومنه يقال : شمخ بأنفه إذا رفعه كبرا . قال : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ أى وجعلنا لكم سقيا والفُرَات الماء العذب يشرب ويسق منه الزرع . أى خلقنا الجبال وأنزلنا الماء الفرات . وهذه الأمور أعجب من البعث . وفى بعض الحديث قال أبو هريرة : فى الأرض من الجنة الفُرَات والدِّجلة ونهر الأردن . وفى صحيح مسلم : سَيحان وجَيْحان والنيل والفُرات كلّ من أنهار الجنة .

قوله تعالى : ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى يقال للكفار سيروا « إلى ما كنتم به تكذبون » من العذاب يعنى النار فقد شاهدتموها عيانا . ﴿ ٱنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ﴾ أى دخان ﴿ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴾ يعنى الدخان الذى يرتفع ثم يتشعب إلى ثلاث شعب . وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ٱرتفع تشعب . ثم وصف الظل فقال : ﴿ لَا ظَلِيلٍ ﴾ أى ليس كالظل الذى يقى حر الشمس ﴿ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ ﴾ أى لا يدفع من لهب جهنم شيئا . واللهب

ما يعلو على النار إذ آضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر . وقيل : إن الشعب الثلاث هى الضريع والزقوم والغسلين ؛ قاله الضحاك . وقيل : اللهب ثم الشرر ثم الدخان ؛ لأنها ثلاثة أحوال هي غاية أوصاف النار إذا آضطرمت وآشتدت . وقيل : عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب . فأما النور فيقف على رءوس المؤمنين ، وأما الدخان فيقف على رءوس المنافقين ، وأما اللهب الصافى فيقف على رءوس الكافرين . وقيل : هو السرادق وهو لسان من نار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فتظللهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار . وقيل : هو الظل من يحموم ؛ كما قال تعالى : «فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ»[1] على ما تقدم . وفى الحديث : " إن الشمس تدنو من رءوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم أكفان فتلحقهم[2] الشمس وتأخذ بأنفاسهم ومدّ ذلك اليوم ثم ينجى الله برحمته من يشاء إلى ظلّ من ظلّه فهنالك يقولون « فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ » " ويقال للمكذبين « آنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » من عذاب الله وعقابه « آنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ » فيكون أولياء الله جل ثناؤه فى ظلّ عرشه أو حيث شاء من الظلّ إلى أن يفرغ من الحساب ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقره من الجنة والنار . ثم وصف النار فقال : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الشرر واحدته شررة . والشرار واحدته شرارة وهو ما تطاير من النار فى كل جهة ، وأصله من شررتُ الثوبَ إذا بسطته للشمس ليجفّ . والقصر البناء العالى . وقراءة العامة « كَالْقَصْرِ » بإسكان الصاد أى الحصون والمدائن فى العظم وهو واحد القصور . قاله آبن عباس وآبن مسعود . وهو فى معنى الجمع على طريق الجنس . وقيل : القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمرة وجمر وتمرة وتمر . والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ .

وفى البخارى عن آبن عباس أيضا : « تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصَرِ » قال كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع[3] أو أقلّ فنرفعه للشتاء فنسميه القصر . وقال سعيد بن جبير والضحاك : هى

---

(١) راجع جـ ١٧ ص ٢١٣ (٢) كذا فى الأصول ولعل اللفظ تلفحهم .

(٣) بنصب ثلاثة و يجوز إضافة بقصر إليها أى بقدر ثلاثة أذرع .

أصول الشجر والنخل العظام إذا وقع وقُطِع . وقيل : أعناقه . وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي « كالقَصَر » بفتح الصاد أراد أعناق النخل . والقَصَرة العنق جمعها قَصَر وقصرات . وقال قتادة : أعناق الإبل . وقرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد ، وهى أيضا جمع قَصْرة مثل بَدْرة وبِدَر وقَصْعة وقِصَع وحَلْقة وحِلَق لِحلق الحديد . وقال أبو حاتم : ولعله لغة كما قالوا حاجة وحِوَج . وقيل : القَصْر الجبل فشبه الشرر بالقصر في مقاديره، ثم شبهه في لونه بالجمالات الصُّفْر وهى الإبل السود؛ والعرب تسمى السّود من الإبل صُفْرا ؛ قال الشاعر (١) :

تِلْكَ خَيْلِى منه وتلك رِكَابى * هُنّ صُفْرٌ أَوْلَادُها كالزَّبِيبِ

أى هنّ سود . وإنما سميت السود من الإبل صُفْرا لأنه يشوب سوادها شيء من صُفرة ؛ كما قيل لبيض الظباء : الأُدْم ؛ لأن بياضها تعلوه كُدْرة : والشرر إذا تطاير وسقط وفيه بقية من لون النار أشبه الإبل السود لما يشوبها من صُفْرة . وفى شعر عِمْران بن حطّان الخارجىّ :

دَعَتْهم بأعلى صَوْتِها ورَمَتْهم * بمثلِ الجمالِ الصُّفْرِ نزّاعةُ الشَّوى

وضعف الترمذىّ (٢) هذا القول فقال : وهذا القول محال فى اللغة أن يكون شىء يشوبه شىء قليل فنسب كله إلى ذلك الشائب ، فالعجب لمن قد قال هذا ، وقد قال الله تعالى : « جِمَالَاتٌ صُفْرٌ » فلا نعلم شيئا من هذا فى اللغة ، ووجهه عندنا أن النار خلقت من النور فهى نار مضيئة ، فلما خلق الله جهنم وهى موضع النار حشا ذلك الموضع بتلك النار وبعث إليها سلطانه وغضبه ، فاسودّت من سلطانه وازدادت حِدّة ، وصارت أشد سوادا من النار ومن كل شىء سوادا ، فإذا كان يوم القيامة وجىء بجهنم فى الموقف رمت بشررها على أهل الموقف غضبا لغضب الله ، والشرر هو أسود لأنه من نار سوداء ، فإذا رمت النار بشررها فإنها ترمى الأعداء به فهنّ سود من سواد النار ، لا يصل ذلك إلى الموحدين؛ لأنهم

---

(١) هو الأعشى . (٢) فى نسخة : اليزيدى .

فى سرادق الرحمة قد أحاط بهم فى الموقف، وهو الغمام الذى يأتى فيه الربّ تبارك وتعالى ولكن يعاينون ذلك الرمى، فإذا عاينوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه فى رأى العين منهم حتى يروها صفراء؛ ليعلم الموحدون أنهم فى رحمة الله لا فى سلطانه وغضبه . وكان آبن عباس يقول : الجمالات الصُّفر حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال . ذكره البخارى . وكان يقرؤها «جُمَالَاتٌ» بضم الجيم، وكذلك قرأ مجاهد وحميد «جُمَالَات» بضم الجيم وهى الحبال الغلاظ وهى قُلُوس السفينة أى حبالها . وواحد القُلُوس قلس. وعن آبن عباس أيضا على أنها قطع النحاس . والمعروف فى الحبل الغليظ جُمَّل بتشديد الميم كما تقدم فى «الأعراف»(١). « وجُمَالات » بضم الجيم جمع جِمَالة بكسر الجيم موحدا كأنه جمع جَمَل نحو حَجَر وحجارة وذَكَر وذِكَارة . وقرأ يعقوب وآبن أبى إسحق وعيسى والجحدرى « جُمَالة » بضم الجيم موحدا وهى الشيء العظيم المجموع بعضه إلى بعض . وقرأ حفص وحمزة والكسائى « جِمالة » وبقية السبعة « جِمَالَات » قال الفراء : يجوز أن تكون الجمالات جمع جِمال كما يقال رجل ورجال ورجالات . وقيل : شبهها بالجمالات لسرعة سيرها . وقيل : لمتابعة بعضها بعضا . والقَصْر واحد القصور . وقَصْر الظلام آختلاطه . ويقال: أتيته قَصْرا أى عَشيًّا فهو مشترك؛ قال(٢) :

كَأَنَّهُمُ قَصْرًا مَصابيحُ راهِبٍ * بِمَـوْزَنَ رَوَّى بالسَّلِيطِ ذُبالَهَا

مسئلة ــ فى هذه الآية دليل على جواز آدّخار الحطب والفحم وإن لم يكن من القوت، فإنه من مصالح المرء ومغانِى مفاقِره . وذلك مما يقتضى النظر أن يكتسبه فى غير وقت حاجته، ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن، كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يدّخر القوت فى وقت عموم وجوده من كسبه وماله ، وكل شيء محمول عليه . وقد بين آبن عباس هذا بقوله : كنا نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندّخره للشتاء وكنا نسميه القصر . وهذا أصح ما قيل فى ذلك والله أعلم .

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٠٧ .

(٢) قائله كثير عزة . وموزن كمقعد بلد بالجزيرة .

قوله تعالى : هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ أى لا يتكلمون ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ أى إن يوم القيامة له مواطن ومواقيت ، فهذا من المواقيت التى لا يتكلمون فيها ولا يؤذن لهم فى الاعتذار والتنصل . وعن عكرمة عن ابن عباس قال : سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى : « هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ » و « لَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » وقد قال تعالى : « وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ » فقال له : إن الله عز وجل يقول : « وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان . وقيل : لا ينطقون بحجة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق . قال الحسن : لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون . وقيل : إن هذا وقت جوابهم « اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ »(1) وقد تقدم . وقال أبو عثمان : أسكتتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب . وقال الجنيد : أى عذر لمن أعرض عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه . و «يوم» بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر؛ أى تقول الملائكة « هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ » . ويجوز أن يكون قوله « انطلقوا » من قول الملائكة ، ثم يقول الله لأوليائه : هذا يوم لا ينطق الكفار . ومعنى اليوم الساعة والوقت . وروى يحيى بن سليمان عن أبى بكر عن عاصم « هَٰذَا يَوْمَ لَا يَنطِقُونَ » بالنصب ورويت عن ابن هرمز وغيره ، فجاز أن يكون مبنيا لإضافته إلى الفعل وموضعه رفع . وهذا مذهب الكوفيين . وجاز أن يكون فى موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم . وهذا مذهب البصريين؛ لأنه إنما بنى عندهم إذا أضيف إلى مبنى والفعل هاهنا معرب . وقال الفراء فى قوله تعالى « وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » الفاء نسق أى عطف على « يؤذن» وأجيز ذلك ؛ لأن أواخر الكلام بالنون . ولو قال : فيعتذروا لم يوافق الآيات . وقد قال :

---

(1) راجع جـ ١٢ ص ١٥٣

« لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا » بالنصب وكله صواب ؛ ومثله : « مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ » بالنصب والرفع .

قوله تعالى : هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ أى ويقال لهم هذا اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق، فيتبين المحق من المبطل . ﴿ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله . رواه عنه الضحاك . ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ أى حيلة فى الخلاص من الهلاك ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ أى فاحتالوا لأنفسكم وقاوونى وان تجدوا ذلك . وقيل : أى « فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ » أى قدرتم على حرب « فَكِيدُونِ » أى حاربونى . كذا روى الضحاك عن ابن عباس . قال : يريد كنتم فى الدنيا تحاربون محمدا صلى الله عليه وسلم وتحاربوننى فاليوم حاربونى . وقيل : أى إنكم كنتم فى الدنيا تعملون بالمعاصى وقد عجزتم الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم . وقيل : إنه من قول النبى صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود « فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ » .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى : ﴿ إن الْمُتَّقِينَ فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴾ أخبر بما يصير إليه المتقون غدا ، والمراد بالظلال ظلال الأشجار وظلال القصور مكان الظل فى الشعب الثلاث . وفى سورة يس « هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ » . ﴿ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أى يتمنون . وقراءة العامة « ظلالٍ » . وقرأ الأعرج والزهرى وطلحة « ظُلَلٍ » جمع ظُلّة يعنى

فى الجنة . ﴿ كُلُوا وَٱشْرَبُوا ﴾ أى يقال لهم غدا هـذا بدل ما يقال للشركين « فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ » . فـ«كُلُوا وَٱشْرَبُوا » فى موضع الحال من ضمير «المتقين» فى الظرف الذى هـو « فِى ظِلَالٍ » أى هم مسـتقرّون « فِى ظِلَالٍ » مقـولا لهم ذلك . ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ أى نثيب الذين أحسنوا فى تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم فى الدنيا .

قوله تعـالى : كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيـلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا ﴾ هذا مردود إلى ما تقدم قبل المتقين ، وهو وعيد وتهديد وهو حال من « المكذبين » أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم : «كلوا وتمتعوا قليـلا » . ﴿ إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴾ أى كافرون . وقيل : مكتسبون فعـلا يضركم فى الآخرة من الشرك والمعاصى .

قوله تعـالى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ أى إذا قيل لهؤلاء المشركين «آركعوا» أى صلوا « لا يركعون » أى لا يصلون؛ قاله مجاهد . وقال مقاتل : نزلت فى ثقيف آمتنعوا من الصـلاة فنزل ذلك فيهم . قال مقاتل : قال لهم النبى صـلى الله عليه وسـلم "أسلموا" وأمرهم بالصلاة فقالوا : لا نَحْنِى فإنها مَسَبَّة علينا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : "لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود" . يذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع ، فقال له صبىّ : ياشيخ قم فاركع . فقام فركع ولم يحاجه بمـا يراه مذهبا ، فقيـل له فى ذلك فقـال : خشيت أن أكون من الذين « إِذَا قِيلَ لَهُـمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ » . وقال آبن عبـاس : إنمـا يقال لهم هـذا فى الآخرة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون . قتادة : هذا فى الدنيا . آبن العربى : هذه الاية

حجة على وجوب الركوع و إنزاله ركنا فى الصلاة وقد ٱنعقد الإجماع عليه ، وظنّ قوم أن هذا إنما يكون فى القيامة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويل وعقاب ، وإنما يدعون إلى السجود كشفا لحال الناس فى الدنيا ، فمن كان يسجد له يُمكَّن(١) من السجود ، ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا . وقيل : أى إذا قيل لهم ٱخضعوا للحق لا يخضعون ، فهو عام فى الصلاة وغيرها وإنما ذكر الصلاة ، لأنها أصل الشرائع بعد التوحيد . وقيل : الأمر بالصلاة أمر بالإيمان ؛ لأنها لا تصح من غير إيمان .

قوله تعالى : ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ أى إن لم يصدّقوا بالقرآن الذى هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام فبأى شىء يصدّقون . وكرر «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» لمعنى تكرير التخويف والوعيد . وقيل : ليس بتكرار ، لأنه أراد بكل قول منه غير الذى أراده بالآخر ؛ كأنه ذكر شيئا فقال : ويل لمن يكذّب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذّب بهذا ، ثم ذكر شيئا آخر فقال : ويل لمن يكذّب بهذا . ثم كذلك إلى آخرها . ختمت السورة ولله الحمد .

سورة « عم » مكية وتسمى سورة « النبأ » وهى أربعون أو إحدى وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى : عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ « عم » لفظ ٱستفهام ؛ ولذلك سقطت منها ألف « ما » ، ليتميز الخبر عن الاستفهام . وكذلك فيم ومم إذا ٱستفهمت . والمعنى عن أى شى

(١) فى نسخة : تمكن من السجود .

يسأل بعضهم بعضا . وقال الزجاج : أصل « عم » عن ما فأدغمت النون فى الميم ؛ لأنها تشاركها فى الغنة . والضمير فى « يَتَسَاءَلُونَ » لقريش . وروى أبو صالح عن آبن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتتحدث فيما بينها فمنهم المصدّق ومنهم المكذب به فنزلت « عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ » . وقيل : « عم » بمعنى فيم يتشدّد المشركون ويختصمون .

قوله تعالى : ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ أى يتساءلون « عن النبإ العظيم » فعن ليس تتعلق بـ«يتساءلون» الذى فى التلاوة ؛ لأنه كان يلزم دخول حرف الآستفهام فيكون «عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ» كقولك : كم مالك أثلاثون أم أربعون؟ فوجب لما ذكرناه من آمتناع تعلقه بـ«يتساءلون» الذى فى التلاوة ، وإنما يتعلق بيتساءلون آخر مضمر . وحسن ذلك لتقدم يتساءلون ؛ قاله المهدوى . وذكر بعض أهل العلم أن الآستفهام فى قوله : « عن » مكرر إلا أنه مضمر كأنه قال عمّ يتساءلون أعن النبإ العظيم . فعلى هذا يكون متصلا بالآية الأولى . والنبأ العظيم أى الخبر الكبير . ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ أى يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب آخر ؛ فروى أبو صالح عن آبن عباس قال : هو القرآن ؛ دليله قوله : « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ » فالقرآن نبأ وخبر وقصص وهو نبأ عظيم الشأن . وروى سعيد عن قتادة قال : هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصدّق ومكذّب . وقيل : أمر النبى صلى الله عليه وسلم . وروى الضحاك عن آبن عباس قال : وذلك أن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة ، فأخبره الله جل ثناؤه باختلافهم ثم هدّدهم فقال : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ أى سيعلمون عاقبة القرآن ، أو سيعلمون البعث أحق هو أم باطل . و « كَلَّا » ردّ عليهم فى إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرآن فيوقف عليها . ويجوز أن يكون بمعنى حقا أو « أَلَا » فيبدأ بها . والأظهر أن سؤالهم إنما كان عن البعث ؛ قال بعض علمائنا : والذى يدل عليه قوله عز وجل « إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا » يدل على أنهم كانوا يتساءلون عن البعث . ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ أى حقا ليعلمون صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت . وقال الضحاك : « كَلَّا

سَيَعْلَمُونَ» يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم . وقيل : بالعكس أيضا . وقال الحسن : هو وعيد بعد وعيد . وقراءة العامة فيهما بالياء على الخبر ؛ لقوله تعالى : « يَتَسَاءَلُونَ » وقوله : « هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ » . وقرأ الحسن وأبو العالية ومالك بن دينار بالتاء فيهما .

قوله تعالى : أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ دلهم على قدرته على البعث ؛ أى قدرتنا على إيجاد هذه الأمور أعظم من قدرتنا على الإعادة . والمهاد الوطاء والفراش . وقد قال تعالى : « الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا » وقرئ « مَهْدًا » ومعناه أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه . ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أى لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها . ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أى أصنافا ذكرا وأنثى . وقيل : ألوانا . وقيل : يدخل فى هذا كل زوج من قبيح وحسن وطويل وقصير ؛ لتختلف الأحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول . ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ ﴾ « جعلنا » معناه صيرنا ؛ ولذلك تعدت إلى مفعولين . ﴿ سُبَاتًا ﴾ المفعول الثانى أى راحة لأبدانكم ، ومنه يوم السبت أى يوم الراحة ؛ أى قيل لبنى إسرائيل : استريحوا فى هذا اليوم فلا تعملوا فيه شيئا . وأنكر ابن الأنبارى هذا وقال : لا يقال للراحة سبات . وقيل : أصله التمدد ؛ يقال : سبتت المرأة شعرها إذا حلته وأرسلته ، فالسبات كالممدود ورجل مسبوت الخلق أى ممدود . وإذا أراد الرجل أن يستريح تمدد فسميت الراحة سبتا .

وقيل : أصله القطع ؛ يقال : سبت شعره سبتا حلقه ؛ وكأنه إذا نام آنقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات، يشبه الموت إلا أنه لم تفارقه الروح . ويقال : سير سبت أى سهل لين؛ قال الشاعر (١) :

وَمَطْوِيَّةِ الأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا * فَسَبْتٌ وأمّا ليلها فَذَمِيلُ

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أى تلبسكم ظلمته وتغشاكم ؛ قاله الطبرى . وقال آبن جبير والسدى : أى سكنا لكم . ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ فيه إضمار أى وقت معاش أى متصرفا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فـ « مَعَاشًا » على هذا آسم زمان ليكون الثانى هو الأول . ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف . ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ أى سبع سموات محكمات ؛ أى محكمة الخلق وثيقة البنيان . ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ أى وقادا وهى الشمس . وجعل هنا بمعنى خلق؛ لأنها تعدّت لمفعول واحد والوهاج الذى له وهج ؛ يقال : وهَج يهِج وَهْجا ووَهَجا ووَهَجانا . ويقال للجوهر إذا تلألأ توهج . وقال آبن عباس : وهاجا منيرا متلألئا . ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ قال مجاهد وقتادة : المعصرات الرياح . وقاله آبن عباس . كأنها تعصر السحاب . وعن آبن عباس أيضا أنها السحاب . وقال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك : أى السحائب التى تنعصر بالماء ولما تمطر بعد ؛ كالمرأة المعصر التى قددنا حيضها ولم تحض؛ قال أبو النجم :

[تَمْشِى الْهُوَيْنَا مائلاً خِمَارُهَا * قَدْ أَعْصَرَتْ أَوْقَدْدَنَا إِعْصَارُهَا] (٢)

[وقال آخر] :

فَكَانَ مِجَنِّى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِى * ثَلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ وَمُعْصِرُ

---

(١) هو حميد بن ثور . والسبت السير السريع والذميل السير اللين .

(٢) هذه الزيادة من أبى حيان دل عليها إجماع نسخ الأصل على ذكر أبى النجم وأما البيت الذى بعده فلعمر بن أبى ربيعة .

وقال آخر[1]:

وذى أُشُرٍ كالأُقْحُوانِ يَزِينُهُ * ذِهابُ الصَّبَا والمُعْصِراتُ الرَّوائحُ

فالرياح تسمى معصرات؛ يقال: أعصرت الريح تعصر إعصارا إذا أثارت العجاج وهى الأعصار، والسحب أيضا تسمى المعصرات لأنها تمطر. وقال قتادة أيضا: المعصرات السماء. النحاس: هذه الأقوال صحاح؛ يقال للرياح التى تأتى بالمطر معصرات والرياح تلقح السحاب فيكون المطر والمطر ينزل من الريح على هذا. ويجوز أن تكون الأقوال واحدة ويكون المعنى وأنزلنا من ذوات الرياح المعصرات «مَاءً ثَجَّاجاً» وأصح الأقوال أن المعصرات السحاب كذا المعروف أن الغيث منها، ولو كان بالمعصرات لكان الريح أولى. وفى الصحاح: والمعصرات السحائب تعتصر بالمطر وأُعْصِر القومُ أى أُمْطِروا؛ ومنه قرأ بعضهم «وَفِيهِ يُعْصَرُونَ» والمُعْصِر الجارية أول ما أدركت وحاضت؛ يقال: قد أعصرت كأنها دخلت عصر شبابها أو بلغته؛ قال الراجز[2]:

جاريةٌ بسَفَوانَ دارُها * تمشى الهُوَيْنا ساقطًا خمارُها

* قَدْ أعْصَرَتْ أو قَدْدَنا إعْصارُها *

والجمع معاصر، ويقال: هى التى قاربت الحيض؛ لأن الإعصار فى الجارية كالمراهقة فى الغلام. سمعته من أبى الغوث الأعرابى. قال غيره: والمعصر السحابة التى حان لها أن تمطر؛ يقال أَجَنّ الزرع فهو مُجِنّ أى صار إلى أن يُجَنّ وكذلك السحاب إذا صار إلى أن يمطر فقد أعصر. وقال المبرّد: يقال سحاب معصر أى ممسك للماء ويعتصر منه شىء بعد شىء، ومنه العَصَر بالتحريك للملجأ الذى يلجأ إليه، والعُصْرة بالضم أيضا الملجأ. وقد مضى هذا المعنى فى سورة «يوسف»[3] والحمد لله. وقال أبو زبيد[4]:

---

(١) هو البعيث كما فى اللسان وروايته للبيت:

وذى أشر كالأقحوان تشوفه * ذهاب الصبا والمعصرات الدوالح

والدوالح السحائب التى أثقلها الماء. الذهاب بكسر الذال: الأمطار الضعيفة. (٢) هو منصور بن مرثد الأسدى

(٣) راجع جـ ٩ ص ٢٠٥ (٤) قاله فى رثاء ابن أخته وكان مات عطشا فى طريق مكة.

صادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ * وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ

ومنه الْمُعْصِر للجارية التي قد قربت من البلوغ يقال لها مُعْصِرٌ؛ لأنها تحبس في البيت فيكون البيتُ لها عَصَرًا . وفي قراءة ابن عباس وعكرمة « وَأَنْزَلْنَا بِالْمُعْصِرَاتِ » والذي في المصاحف « مِنَ الْمُعْصِرَاتِ » قال أُبَيّ بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان « مِنَ الْمُعْصِرَاتِ » أي من السموات . « مَاءً ثَجَّاجًا » صبّابا متتابعا؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما . يقال : ثججت دمه فأنا أَثُجُّه ثَجًّا وقد ثَجّ الدمُ يَثُجّ ثُجُوجًا وكذلك الماء فهو لازم ومتعدّ . والثَّجَّاج في الآية المُنْصَبُّ . وقال الزجاج : أي الصّبّاب وهو متعدّ كأنه يَثُجّ نفسه أي يصُبّ . وقال عَبِيد بن الأبرص :[1]

فَثَجَّ أَعْلاهُ ثم ارْتَجَّ أَسْفَلُهُ * وضَاقَ ذَرْعًا بِحَمْلِ المَاءِ مُنْصَاحِ

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الحج المبرور فقال : "العَجُّ والثَّجُّ" فالعجّ رفع الصوت بالتلبية والثجّ إراقة الدماء وذبح الهدايا . وقال ابن زيد: ثجّاجا كثيرا . والمعنى واحد .

قوله تعالى : ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ ﴾ أي بذلك الماء ﴿ حَبًّا ﴾ كالحنطة والشعير وغير ذلك ﴿ وَنَبَاتًا ﴾ من الأبّ وهو ما تأكله الدواب من الحشيش . ﴿ وَجَنَّاتٍ ﴾ أي بساتين ﴿ أَلْفَافًا ﴾ أي ملتفة بعضها ببعض لتشعب أغصانها ولا واحد له كالأوزاع والأخياف . وقيل: واحد الألفاف لِف بالكسر ولُف بالضم . ذكره الكسائي؛ قال :

جَنَّةٌ لُفٌّ وعَيْشٌ مُغْدِقٌ * ونَدَامَى كُلُّهُمْ بِيضٌ زُهُرْ

وعنه أيضا وأبي عبيدة : لفيف كشريف وأشراف . وقيل : هو جمع الجمع حكاه الكسائي . يقال: جنة لَفّاء و نبت لِفّ والجمع لُفّ[2] بضم اللام مثل حُمْر ثم يجمع اللُّفّ ألفافا . الزمخشري : ولو قيل جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان وجيها . و يقال : شجرة لفاء وشجر لُفّ وامرأة

(١) البيت في وصف المطر ومنصاح : منشق بالماء .

(٢) قوله «والجمع لف بضم اللام» راجع إلى جنة لفاء بدليل قوله : مثل حمر لأنه جمع حمراء، وأما لف بالكسر والفتح فجمعه ألفاف .

لفّاء أي غليظة الساق مجتمعة اللحم . وقيل : التقدير ونخرج به جنات ألفافا فحذف لدلالة الكلام عليه . ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه أن الأشجار في البساتين تكون متقاربة (١) ، فالأغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين ؛ لما وعد الله من الجزاء والثواب . وسمي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه .

قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي للبعث ﴿فَتَأْتُونَ﴾ أي إلى موضع العرض ﴿أَفْوَاجًا﴾ أي أمما كل أمة مع إمامهم . وقيل : زمرا وجماعات الواحد فوج . ونصب يوما بدلا من اليوم الأول . وروى من حديث معاذ بن جبل قلت : يا رسول الله ! أرأيت قول الله تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " يامعاذ لقد سألت عن أمر عظيم " ثم أرسل عينيه باكيا ثم قال : " يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم أعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلوا وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس ـ يعني النمام ـ وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون

---

(٢) في نسخة من الأصل : متقاربة الأغصان ... الخ .

رءوسهم ووجوههم فآكلة الربا والعمى من يجور فى الحكم والصم البكم الذين يعجبون بأعمالهم والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلّبون على جذوع النار فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد نتنا (١) من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات و يمنعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء " .

قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ أى لنزول الملائكة؛ كما قال تعالى : « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا » .وقيل: تقطعت فكانت قطعا كالأبواب. فآنتصاب الأبواب على هذا التأويل بحذف الكاف . وقيل : التقدير فكانت ذات أبواب؛ لأنها تصير كلها أبوابا . وقيل : أبوابها طرقها . وقيل : تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبوابا . وقيل : إن لكل عبد بابين فى السماء بابا لعمله و بابا لرزقه فإذا قامت القيامة آنفتحت الأبواب . وفى حديث الإسراء : " ثم عرج بنا الى السماء فآستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بُعث إليه قال قد بُعث إليه ففُتح لنا " . ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أى لا شىء كما أن السراب كذلك يظنه الرائى ماء وليس بماء. وقيل : « سُيِّرَت » نسفت من أصولها . وقيل : أزيلت عن مواضعها .

قوله تعالى : إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

---

(١) وفى الدر المنثور: حق الله والفقراء . الخ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ مفعال من الرَّصد والرَّصد كل شيء كان أمامك . قال الحسن : إن على النار رصدا لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه ، فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حُبِس . وعن سفيان رضي الله عنه قال : عليها ثلاث قناطر . وقيل « مِرْصَادًا » ذات أرصاد على النسب أى ترصد من يمر بها . وقال مقاتل : محبسا . وقيل : طريقا وممرا فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع جهنم . وفى الصحاح : والمرصاد الطريق . وذكر القشيرى : أن المرصاد المكان الذى يَرْصد فيه الواحدُ العدوَّ ، نحو المِضْمار الموضع الذى تُضَمَّر فيه الخيل . أى هى معدّة لهم ؛ فالمرصاد بمعنى المحل ؛ فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا بجهنم . وذكر الماوردى عن أبى سنان أنها بمعنى راصدة تجازيهم بأفعالهم . وفى الصحاح : الراصد الشيء الراقب له ؛ تقول : رَصَدَه يَرْصُده رَصْدا ورَصَدا ، والتَّرصُّد . التَّرقب والمَرْصَد موضع الرصد . الأصمعى : رَصَدْته أرصُده ترقبته وأرصدته أعددت له . والكسائى مثله .

قلت : فجهنم معدّة مترصِّدة متفعّل من الرَّصد وهو الترقب ؛ أى هى متطلعة لمن يأتى . والمرصاد مِفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمِغيار فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار . ﴿ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾ بدل من قوله : « مِرْصَادًا » والمآب المرجع أى مرجعا يرجعون إليها ؛ يقال : آب يؤوب أوبة إذا رجع . وقال قتادة : مأوى ومنزلا . والمراد بالطاغين من طغى فى دينه بالكفر أو فى دنياه بالظلم .

قوله تعالى : ﴿ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ أى ماكثين فى النار مادامت الأحقاب وهى لا تنقطع ، فكلما مضى حُقُبٌ جاء حُقُبٌ . والحُقُب بضمتين الدهر والأحقاب الدهور . والحِقْبة بالكسر السنة والجمع حِقب ؛ قال متمم بن نُوَيرة التميمى :

وكُنّا كندمانَىْ جَذِيمةَ حِقْبةً * مِنَ الدهرِ حتى قيلَ لن يتصدَّعَا

فلمّا تفرّقنا كأنّى ومالِكاً * لِطُولِ اجتماعٍ لم نبِت ليلةً معَا

والحُقْب بالضم والسكون ثمانون سنة . وقيل : أكثر من ذلك وأقل على ما يأتى والجمع أحقاب . والمعنى فى الآية ؛ لابثين فيها أحقاب الآخرة التى لا نهاية لها ؛ فحذف الآخرة لدلالة الكلام عليه ؛ إذ فى الكلام ذكر الآخرة وهو كما يقال أيام الآخرة ؛ أى أيام بعد أيام إلى غير نهاية ، وإنما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة أحقاب أو عشرة أحقاب ونحوه . وذكر الأحقاب لأن الحقب كان أبعد شيء عندهم ، فتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونها ، وهى كناية عن التأبيد أى يمكثون فيها أبدا . وقيل : ذكر الأحقاب دون الأيام ؛ لأن الأحقاب أهول فى القلوب وأدل على الخلود . والمعنى متقارب ؛ وهذا الخلود فى حقّ المشركين . ويمكن حمل الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب . وقيل : الأحقاب وقت لشربهم الحميم والغسّاق ، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب ؛ ولهذا قال : « لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً . إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً » و « لابِثين » اسم فاعل من لَبِث ويقويه أن المصدر منه اللبث بالإسكان كالشرب . وقرأ حمزة والكسائى « لَبِثين » بغير ألف وهو اختيار أبى حاتم وأبى عبيد وهما لغتان ؛ يقال : رجل لابِثٌ ولبِث مثل طَمِعٌ وطامِعٌ وفَرِهٌ وفارهٌ . ويقال : هو لَبِثٌ بمكان كذا أى قد صار اللبث شأنه ، فَشُبّه بما هو خلقة فى الإنسان نحو حَذِرٌ وفَرِقٌ ؛ لأن باب فَعِل إنما هو لما يكون خلقة فى الشيء فى الأغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لَابِث . والحُقْب ثمانون سنة فى قول ابن عمر وابن محيصن وأبى هريرة ؛ والسنة ثلثمائة يوم وستون يوماً واليوم ألف سنة من أيام الدنيا ؛ قاله ابن عباس . وروى ابن عمر هذا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وقال أبو هريرة : والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما كل يوم مثل أيام الدنيا . وعن ابن عمر أيضا : الحُقْب أربعون سنة . السدى : سبعون سنة . وقيل : إنه ألف شهر . رواه أبو أُمامة مرفوعا . بشير بن كعب : ثلثمائة سنة . الحسن : الأحقاب لا يدرى أحدُكم هى ولكن ذكروا أنها مائة حُقْب ، والحُقْب الواحد منها سبعون ألف سنة ، اليوم منها كألف سنة مما تعدون . وعن أبى أُمامة أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم : " إن الحُقْب الواحد ثلاثون ألف سنة " ذكره المهدوى . والأول الماوردى . وقال قُطْرب : هو الدهر الطويل غير المحدود . وقال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه، قال النبى صلى الله عليه وسلم : "والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقابا الحُقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة مما تعدون فلا يتكلنّ أحدكم على أنه يخرج من النار". ذكره الثعلبى . القُرظىّ : الأحقاب ثلاثة وأربعون حُقبا كل حُقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم ألف سنة .

قلت : هذه أقوال متعارضة والتحديد فى الآية للخلود يحتاج إلى توقيف يقطع العذر ، وليس ذلك بثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم . وإنما المعنى والله أعلم ما ذكرناه أولا؛ أى لابثين فيها أزمانا ودهورا كلما مضى زمن يعقبه زمن، ودهر يعقبه دهر، هكذا أبد الآبدين من غير انقطاع . وقال ابن كَيْسان : معنى « لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً » لا غاية لها ولا انتهاء فكأنه قال أبدا . وقال ابن زيد ومقاتل : إنها منسوخة بقوله تعالى : « فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » يعنى إن العدد قد انقطع والخلود قد حصل .

قلت : وهذا بعيد؛ لأنه خبر وقد قال تعالى : « وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ » على ما تقدم (١) . هذا فى حقّ الكفار فأما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص . والله أعلم . وقيل : المعنى « لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً » أى فى الأرض؛ إذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير فى « لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا » لجهنم . وقيل : واحد الأحقاب حُقُب وحِقْبَة؛ قال :

فإنْ تَنْأَ عنها حِقْبَةً لا تُلاقِها * فأَنْتَ بِمَا أَحْدَثْتَهُ بِالْمُجَرِّبِ

وقال الكُمَيت (٢) :

* مَرَّ لها بَعْدَ حِقْبَةٍ حِقَبُ *

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٠٦

(٢) صدر البيت : * ولا حمول غدت ولا دمن *

قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ﴾ أى فى الأحقاب ﴿ بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ البرد النوم فى قول أبى عبيدة وغيره؛ قال الشاعر (١) :

وَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُمُ * وإن شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً ولا بَرْدَا

وقاله مجاهد والسدى والكسائى والفضل بن خالد وأبو معاذ النحوى ؛ وأنشدوا قول الكندى :

بَرَدَتْ مَراشِفُها عَلَىَّ فَصَدَّنِى * عَنْها وعَنْ تَقْبِيلِها الْبَرْدُ

يعنى النوم . والعرب تقول : منع البَرْدُ البَرْدَ يعنى أذهب البرد النوم .

قلت : وقد جاء الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل فى الجنة نوم . فقال : " لا ، النوم أخو الموت والجنة لاموت فيها " فكذلك النار ؛ وقد قال تعالى : « لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا » وقال ابن عباس : البَرْد بَرْد الشَّراب . وعنه أيضا : البَرْد النوم والشَّراب الماء . وقال الزجاج : أى لايذوقون فيها بَرْدَ ريح ولا ظِلٍّ ولا نَوْمٍ فجعل البرد برد كل شىء له راحة ، وهذا برد ينفعهم فأما الزَّمْهَرير فهو برد يتأذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به . وقال الحسن وعطاء وابن زيد : بردا أى رَوْحا وراحة ؛ قال الشاعر (٢) :

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ * ولا الْفَىْءُ أَوْقَاتَ (٣) الْعَشِىِّ تَـذُوقُ

« لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا » جملة فى موضع الحال من الطاغين ، أو نعت للأحقاب ؛ فالأحقاب ظرف زمان والعامل فيه « لَابِثِينَ » أو « لَبِثِينَ » على تعدية فَعِل . ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ استثناء منقطع فى قول من جعل البرد النوم ، ومن جعله من البرودة كان بدلا منه . والحميم الماء الحار ؛ قاله أبو عبيدة . وقال ابن زيد : الحميم دموع أعينهم تجمع فى حياض ثم يسقونه . قال النحاس : أصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق الحَمَّام ومنه الحُمَّى ومنه «وَظِلٍّ مِنْ

---

(١) هو العرجى عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان . ونسب إلى العرج وهو موضع قبل الطائف ، كان ينزل به . والنقاخ كغراب : الماء الطيب .

(٢) قائله حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة .

(٣) كذا فى الأصل وفى كتب اللغة مادة « فيأ » ولا الفىء من برد العشى ... الخ

يَحْمُومٍ » إنما يراد به النهاية فى الحر . والغَسَّاق صديد أهل النار وقيحهم . وقيل: الزمهرير. وقرأ حمزة والكسائى بتشديد السين وقد مضى فى « ص » القول فيه (١) . ﴿ جَزَاءً وِفَاقاً ﴾ أى موافقا لأعمالهم . عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ؛ فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة . و « جزاء » نصب على المصدر أى جازيناهم جزاءً وافق أعمالهم ؛ قاله الفراء والأخفش . وقال الفراء أيضا : هو جمع الوِفْق والوفْق واللِّفْق واحدٌ . وقال مقاتل : وافق العذاب الذنب فلاذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار . وقال الحسن وعكرمة : كانت أعمالهم سيئة فأتاهم الله بما يسوءهم . ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ﴾ أى لايخافون ﴿ حِسَاباً ﴾ أى محاسبة على أعمالهم . وقيل : معناه لايرجون ثواب حساب . الزجاج : أى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم . ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ﴾ أى بما جاءت به الأنبياء . وقيل : بما أنزلنا من الكتب . وقراءة العامة « كِذّابا » بتشديد الذال وكسر الكاف على كَذَّب أى كذّبوا تكذيبا كبيرا . قال الفراء : هى لغةٌ يمانيةٌ فصيحةٌ ؛ يقولون : كذّبت [به] (٢) كِذّابا وخرّقت القميصَ خِرّاقا ؛ وكل فعْل فى وزن فَعَّل فمصدره فِعّالٌ مشدد فى لغتهم ؛ وأنشد بعض الكلابيين :

لَقَدْ طَالَ ما ثَبَّطْتَنِى عن صَحَابَتِى * وعن حِوَجٍ قِضَّاؤُها مِنْ شِفَائِيَا

وقرأ على رضى الله عنه « كِذَاباً » بالتخفيف وهو مصدر أيضا . وقال أبو على : التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة ؛ كقول الأعشى :

فَصَدَقْتُهَا وكَذَبْتُهَا (٣) * والمَرْءُ يَنْفَعه كِذَابُهْ

أبو الفتح : جاءا جميعا مصدر كَذَب وكَذَّب جميعا . الزمخشرى : « كِذَاباً » بالتخفيف مصدر كَذَب ؛ بدليل قوله :

فَصَدَقْتُهَا وكَذَبْتُهَا * والمَرْءُ يَنْفَعه كِذَابُهْ

---

(١) راجع جـ ١٥ ص ٢٢١ فما بعدها .

(٢) الزيادة من الفراء . (٣) قال الشهاب : وضمير صدقتها وكذبتها للنفس والمراد أنه يصدق نفسه تارة بأن يقول إن أمانيها محققة وتكذيبها بخلافه أو على العكس .

وهو مثل قوله : « أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا » يعنى وكذّبوا بآياتنا فكذبوا كذابا . أو تنصبه بـ « كَذَّبُوا » ، لأنه يتضمن معنى كذبوا ؛ لأن كل مكذّب بالحق كاذب ؛ لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة . وقرأ ابن عمر « كُذّابا » بضم الكاف والتشديد جمع كاذب ؛ قاله أبو حاتم . ونصبه على الحال الزمخشري . وقد يكون الكُذّاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب ، يقال : رجل كُذّاب كقولك حُسّان وبُخّال فيجعله صفة لمصدر « كَذَّبُوا » أى تكذيبا كُذّابا مفرطا كذبُه . وفى الصحاح : وقوله تعالى : «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا» وهو أحد مصادر المُشَدَّد؛لأن مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فِعّال مثل كِذّاب وعلى تفعلة مثل توصية وعلى مُفَعَّل؛ مثل «وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» . ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ « كُلَّ » نصب بإضمار فعل يدل عليه « أَحْصَيْنَاهُ » أى وأحصينا كل شىء أحصيناه . وقرأ أبو السَّمّال «وَكُلُّ شَيْءٍ» بالرفع على الابتداء « كِتَابًا » نصب على المصدر ؛ لأن معنى أحصينا كتبنا أى كتبناه كتابا . ثم قيل : أراد به العلم فإن ما كتب كان أبعد من النسيان . وقيل : أى كتبناه فى اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة . وقيل : أراد ما كتب على العباد من أعمالهم . فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر الله تعالى إياهم بالكتابة ؛ دليله قوله تعالى : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ » . ﴿ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ قال أبو بَرْزة : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية فى القرآن فقال " قوله تعالى : « فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » " أى « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » و « كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا » .

قوله تعالى : إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ذكر جزاء من اتقى مخالفة أمر الله « مَفَازًا » موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه أهل النار . ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها . ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ هذا تفسير الفوز . وقيل : « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا » إن للمتقين حدائق ؛ جمع حديقة وهى البستان المحوط عليه ؛ يقال أحدق به أى أحاط . والأعناب جمع عنب أى كروم أعناب فحذف . ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ كواعب جمع كاعِب وهى الناهد ؛ يقال : كَعَبَت الجارية تَكْعُب كُعُوبًا وكَعَّبت تُكَعِّب تكعيبا ونَهَدت تَنْهُد نُهودا . وقال الضحاك : الكواعب العذارى ؛ ومنه قوله قيس بن عاصم :

وَكَمْ مِنْ حَصَانٍ قَد حَوَيْنَا كَرِيمَةٍ * وَمِنْ كَاعِبٍ لَمْ تَدْرِ مَا الْبُؤْسُ مُعْصِرِ

والأتراب الأقران فى السنّ . وقد مضى فى سورة «الواقعة»(1) الواحد ترب . ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ قال الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس : مترعة مملوءة ؛ يقال : أدهقت الكأس أى ملأتها وكأس دهاق أى ممتلئة ؛ قال :

أَلَا اسْقِنِي صِرْفًا سَقَانِي السَّاقِي * مِنْ مَائِهَا بِكَأْسِهِ الدِّهَاقِ

وقال خداش بن زهير :

أَتَانَا عَامِرٌ يَبْغِي قِرَانَا * فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقًا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس أيضا : متتابعة يتبع بعضها بعضا ؛ ومنه ادّهقت الحجارةُ ادِّهَاقا وهو شدّة تلازبها ودخول بعضها فى بعض ؛ فالمتتابع كالمتداخل . وعن عكرمة أيضا وزيد بن أسلم : صافية ؛ قال الشاعر :

لَأَنْتِ إِلَى الْفُؤَادِ أَحَبُّ قُرْبًا * مِنَ الصَّادِي إِلَى كَأْسٍ دِهَاقِ

وهو جمع دَهْقٍ(2) وهو خشبتان [يُغْمَز] بهما [الساق](3) . والمراد بالكأس الخمر فالتقدير وخمرا ذات دهاق أى عصرت وصفيت ؛ قاله القشيرى . وفى الصحاح : وأدهقتُ الماء أى أفرغته

(1) راجع جـ ١٧ ص ٢١٤ (2) كذا فى الأصل . (3) التصحيح من كتب اللغة وفى الأصول : خشبتان يعصر بهما .

إفراغا شديدا . قال أبو عمرو والدَّهق : بالتحريك ضرب من العذاب . وهو بالفارسية أشْكَنجه . المبرد : والمدهوق المعذَّب بجميع العذاب الذى لا فرجة فيه . ابن الأعرابى : دَهَقت الشيء كسرته وقطعته، وكذلك دَهْدَقته، وأنشد لحُجْر بن خالد :

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْباعِ والنَّدَى * وبَعْضُهُم تَغْلِي بِذَمٍّ مَناقِعُه (١)

ودَهْمَقْتُه بزيادة الميم مثله . وقال الأصمعى : الدَّهْمقة لِينُ الطعام وطيبُه ورقته وكذلك كل شىء لِيِّن ؛ ومنه حديث عمر : لو شئت أن يُدَهْمَق لى لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال : « أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا » .

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾ أى فى الجنة ﴿ لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴾ اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح؛ ومنه الحديث : "إذا قلتَ لصاحبك أَنْصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لَغَوت" وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير عقولهم ولم يتكلموا بلغو ؛ بخلاف أهل الدنيا . « وَلَا كِذَّابًا » تقدم ، أى لا يكذّب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذبا . وقرأ الكسائى « كِذَابًا » بالتخفيف من كَذَبت كِذَابا أى لا يتكاذبون فى الجنة . وقيل : هما مصدران للتكذيب وإنما خففها ها هنا لأنها ليست بمقيد بفعل يصير مصدرا له ، وشدّد قوله : « وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا » لأن كَذَّبوا يقيد المصدر بالكِذّاب . ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ ﴾ نصب على المصدر . لأن المعنى جزاهم بما تقدم ذكره جزاء وكذلك ﴿ عَطَاءً ﴾ لأن معنى أعطاهم وجزاهم واحد . أى أعطاهم عطاء . ﴿ حِسَابًا ﴾ أى كثيرا؛ قاله قتادة؛ يقال : أَحْسَبْت فلانا أى كثّرت له العطاء حتى قال حَسْبِي . قال : (٢)

ونُقْفِي وَلِيدَ الحَيِّ إنْ كان جائعا * ونُحْسِبُه إنْ كان ليس بجائع

(١) يروى هكذا فى اللسان مادة « دهق » . وفى الأصول « مراجله » . والمناقع : القدور الصغار واحدها منقع ومنقعة .

(٢) قائله امرأة من بنى قشير . ونقفيه أى نؤثره بالقفية وهى ما يؤثر به الضيف والصبى .

وقال القتبى : ونرى أصل هذا أن يعطيه حتى يقول حَسْبى . وقال الزجاج : « حِسَاباً » أى ما يكفيهم . وقاله الأخفش . يقال : أَحْسَبنى كذا أى كفانى . وقال الكلبى : حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا . مجاهد : حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى العَدّ . أى بقدر ماوجب له فى وعد الربّ فإنه وعد للحسنة عشرا ، ووعد لقوم بسبعمائة ضعف ، وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار ، كما قال تعالى : « إِنَّمَا يُوَفَّى الصابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . وقرأ أبو هاشم « عَطَاءً حَسَّاباً » بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فعّال أى كفافا ؛ قال الأصمعى : تقول العرب حسّبت الرجل بالتشديد إذا أكرمته ؛ وأنشد قول الشاعر :

* إذا أتاهُ ضَيْفُه يُحَسِّبُهْ *

وقرأ ابن عباس « حَسَناً » بالنون .

قوله تعالى : رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ﴾ قرأ ابن مسعود ونافع وأبو عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب والمفضّل عن عاصم « رَبُّ » بالرفع على الاستئناف « الرَّحْمَنُ » خبره . أو بمعنى هو ربُّ السموات ويكون « الرَّحْمَنُ » مبتدأ ثانيا . وقرأ ابن عامر ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض نعتا لقوله : « جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ » أى جزاء من ربك ربِّ السموات الرحمن . وقرأ ابن عباس وعاصم وحمزة والكسائى « رَبِّ السَّمٰوَاتِ »

خفضاً على النعت « الرَّحْمٰنِ »(١) رفعا على الابتداء أى هو الرحمن . واختاره أبو عبيد وقال : هذا أعدلها ؛ خفض « رب » لقربه من قوله « مِنْ رَبِّكَ » فيكون نعتا له ورفع « الرحمن » لبعده منه على الاستئناف وخبره ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ أى لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه . وقال الكسائى : « لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا » بالشفاعة إلا بإذنه . وقيل : الخطاب الكلام ؛ أى لا يملكون أن يخاطبوا الربّ سبحانه إلا بإذنه ؛ دليله : « لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ » . وقيل : أراد الكفار « لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا » فأما المؤمنون فيشفعون .

قلت : بعد أن يؤذن لهم ؛ لقوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » وقوله تعالى : « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا » .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ « يَوْمَ » نصب على الظرف ؛ أى يوم لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح . واختلف فى الروح على أقوال ثمانية : الأوّل — أنه ملك من الملائكة . قال ابن عباس : ماخلق الله مخلوقا بعد العرش أعظم منه ، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفًّا وقامت الملائكة كلهم صفًّا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم . ونحو منه عن ابن مسعود ؛ قال : الروح ملك أعظم من السموات السبع ، ومن الأرضين السبع ، ومن الجبال . وهو حيال السماء الرابعة(٢) يسبح الله كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة ؛ يخلق الله من كل تسبيحة ملكا ، فيجىء يوم القيامة وحده صفًّا وسائر الملائكة صفًّا . الثانى — أنه جبريل عليه السلام . قاله الشعبى والضحاك وسعيد بن جبير . وعن ابن عباس : إن عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع ، يدخل جبريل كل يوم فيه سحرا فيغتسل فيزداد نورا على نوره وجمالا على جماله وعظما على عظمه ، ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة

---

(١) هذه القراءة ذكرها القرطبى وابن عطية ولم يذكرا قراءة عاصم بالجر فيهما وهى رواية حفص ، وقد ذكرها أبو حيان والألوسى ، فتكون القراءات عن عاصم على هذا ثلاثا ؛ رفع فيهما وجر فيهما وجر « رب » ورفع « الرحمن » .

(٢) فى نسخة : السماء السابعة .

تقع من ريشه سبعين ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفا البيتَ المعمور والكعبة سبعون ألفا لا يعودون إليهما إلى يوم القيامة . وقال وهب : إن جبريل عليه السلامُ واقف بين يدى الله تعالى تُرْعَد فَرَائصُه ، يخلق الله تعالى من كل رِعْدة مائة ألف ملك ، فالملائكة صفوف بين يدى الله تعالى منكسة رءوسهم فإذا أذن الله لهم فى الكلام قالوا : لا إله إلا أنت ؛ وهو قوله تعالى : «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ» فى الكلام « وَقَالَ صَوَابًا » يعنى قول : « لا إله إلا أنت » . والثالث ــ روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الروح فى هذه الآية جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رءوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام " ثم قرأ «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا » فإن هؤلاء جند وهؤلاء جند وهذا قول أبى صالح ومجاهد . وعلى هذا هم خلق على صورة بنى آدم كالناس وليسوا بناس . الرابع ــ أنهم أشراف الملائكة ؛ قاله مقاتل بن حيان . الخامس ــ أنهم حفظة على الملائكة ؛ قاله ابن أبى نجيح . السادس ــ أنهم بنو آدم ؛ قاله الحسن وقتادة . فالمعنى ذوو الروح . وقال العوفى والقرظى : هذا مما كان يكتمه ابن عباس ؛ قال : الروح خلق من خلق الله على صور بنى آدم وما نزل ملك من السماء إلا ومعه واحد من الروح . السابع ــ أرواح بنى آدم تقوم صفًّا فتقوم الملائكة صفًّا وذلك بين النفختين قبل أن تردّ إلى الأجساد ؛ قاله عطية . الثامن ــ أنه القرآن ؛ قاله زيد بن أسلم وقرأ « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا » . و « صَفًّا » مصدر أى يقومون صفوفا . والمصدر ينبئ عن الواحد والجمع كالعَدْل والصَّوْم . ويقال ليوم العيد : يوم الصفّ . وقال فى موضع آخر : « وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » هذا يدل على الصّفوف وهذا حين العرض والحساب . قال معناه القتبى وغيره . وقيل : يقوم الروح صفًّا والملائكة صفًّا فهم صفّان . وقيل : يقوم الكل صفًّا واحدا . ﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ أى لا يشفعون ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾ فى الشفاعة ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ يعنى حقًّا ؛ قاله الضحاك ومجاهد . وقال أبو صالح : لا إله إلا الله . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : يشفعون لمن قال لا إله إلا الله .

وأصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من أصاب يصيب إصابة ؛ كالجواب من أجاب يُجيب إجابة . وقيل : «لَا يَتَكَلَّمُونَ» يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفًّا لا يتكلمون هيبة وإجلالا «إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ» في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا، وأنهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه . وقال الحسن : إن الروح تقول يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة ولا النار إلا بالعمل . وهو معنى قوله : «وَقَالَ صَوَابًا» .

قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي الكائن الواقع ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي مرجعا بالعمل الصالح ؛ كأنه إذا عمل خيرا ردّه إلى الله عز وجل ، وإذا عمل شرا عده منه . وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام : "والخير كله بيديك والشر ليس إليك" . وقال قتادة : «مآبا» سبيلا .

قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يخاطب كفار قريش ومشركي العرب ؛ لأنهم قالوا : لا نبعث . والعذاب عذاب الآخرة وكل ما هو آت فهو قريب ، وقد قال تعالى : «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» قال معناه الكلبي وغيره . وقال قتادة : عقوبة الدنيا ؛ لأنها أقرب العذابين . قال مقاتل : هي قتل قريش ببدر . والأظهر أنه عذاب الآخرة وهو الموت والقيامة ؛ لأن من مات فقد قامت قيامته فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة ، وإن كان من أهل النار رأى الخزي والهوان ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ بين وقت ذلك العذاب ؛ أي أنذرناكم عذابا قريبا في ذلك اليوم وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي يراه . وقيل : ينظر إلى ما قدمت فحذف إلى . والمرء ها هنا المؤمن في قول الحسن ؛ أي يجد لنفسه عملا فأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا . ولما قال : ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ﴾ علم أنه أراد بالمرء المؤمن . وقيل : المرء ها هنا أبيّ بن خلف وعُقبة بن أبي مُعَيط «ويقولُ الكَافِرُ» أبو جهل . وقيل : هو عام في كل أحد وإنسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب . وقال مقاتل : نزلت قوله «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

تُرَابًا ﴾ في أخيه الأسود بن عبد الأسد . وقال الثعلبي : سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول : الكافر ها هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب وافتخر بأنه خلق من نار ، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة والرحمة ، ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى أنه يكون بمكان آدم فـ « يَقُولُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » قال : ورأيته في بعض التفاسير للقشيري أبي نصر . وقيل : أي يقول إبليس ياليتني خلقت من التراب ولم أقل أنا خير من آدم . وعن ابن عمر : إذا كان يوم القيامة مُدّت الأرضُ مدّ الأَديم ، وحشر الدواب والبهائم والوحوش ، ثم يوضع القِصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجمّاء من الشاة القَرْناء بنطحتها ، فإذا فرغ من القِصاص بينها قيل لها : كوني ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر: « يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » . ونحوه عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم . وقد ذكرناه في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة مجودا والحمد لله . ذكر أبو جعفر النحاس : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر ، قال أخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال : إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان ثم يقال للبهائم والطير كوني ترابا فعند ذلك « يَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » . وقال قوم : « يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » أي لم أبعث كما قال : « يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ » . وقال أبو الزِّناد : إذا قُضي بين الناس ، وأُمر بأهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجنّ عودوا ترابا فيعودون ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم « يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا » . وقال ليث بن أبي سليم : مؤمنو الجنّ يعودون ترابا . وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد : مؤمنو الجنّة حول الجَنّة في رَبَضٍ ورحاب وليسوا فيها . وهذا أصح وقد مضى في سورة « الرحمن »(1) بيان هذا وأنهم مكلّفون يثابون ويعاقبون فهم كبني آدم ، والله أعلم بالصواب .

(1) راجع جـ ١٧ ص ١٦٩

سورة النازعات

مكية بإجماع . وهى خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾
وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾
يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾
أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا
كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ
زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ أقسم سبحانه بهذه الأشياء التى ذكرها على أن القيامة حق . و «النَّازِعَاتِ» الملائكة التى تَنزِع أرواح الكفار ؛ قاله علىّ رضى الله عنه ، وكذا قال ٱبن مسعود وٱبن عباس ومسروق ومجاهد : هى الملائكة تَنزِع نفوس بنى آدم . قال ٱبن مسعود : يريد أنفس الكفار يَنزِعها ملك الموت من أجسادهم ، من تحت كل شعرة ، ومن تحت الأظافير وأصول القدمين نزعًا كالسُّفُّود ينزع من الصُّوف الرَّطْب ، ثم يُغرِقها أى يرجعها فى أجسادهم ، ثم يَنزِعها ؛ فهذا عمله بالكفّار . وقاله ٱبن عباس . وقال سعيد بن جبير : نُزِعت أرواحُهم ثم غُرِّقت ثم حُرِّقت ثم قُذِف بها فى النار . وقيل : يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق . وقال السدى : و «النازعاتِ» هى النفوس حين تغرق فى الصدور . مجاهد : هى الموت يَنزِع النفوس . الحسن وقتادة : هى النجوم تَنزِع من أفق إلى أفق ؛ أى تذهب من قولهم : نزع إليه أى ذهب ، أو من قولهم : نزعت الخيل أى جرت . «غَرْقًا»

أى إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر . وقاله أبو عبيدة وآبن كيسان والأخفش .
وقيل : النازعات القسىّ تنزع بالسهام ؛ قاله عطاء وعكرمة . و «غَرْقًا» بمعنى إغراقا ؛ وإغراق النازع فى القوس أن يبلغ غاية المدّ حتى ينتهى إلى النَّصْل . يقال : أغرق فى القوس أى آستوفى مدّها ، وذلك بأن تنتهى إلى العَقَب الذى عند النَّصْل الملفوف عليه . والآستغراق الآستيعاب . ويقال لقشرة البيضة الداخلة : « غِرْقِىء » . وقيل : هم الغزاة الرماة .

قلت : هو والذى قبله سواء ؛ لأنه إذا أقسم بالقِسِىّ فالمراد النازعون بها تعظيما لها ؛ وهو مثل قوله تعالى : « وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا » والله أعلم . وأراد بالإغراق المبالغة فى النزع وهو سائغ فى جميع وجوه تأويلها . وقيل : هى الوحش تَنزِع (١) من الكلأ وتَنفر . حكاه يحيى بن سلاّم . ومعنى « غَرْقًا » أى إبعادا فى النزع .

قوله تعالى : ﴿ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴾ قال آبن عباس : يعنى الملائكة تَنشِط نَفْس المؤمن فتقبضها كما يُنشَط العِقَال من يد البعير إذا حُلّ عنه . وحكى هذا القول الفراء ثم قال : والذى سمعت من العرب أن يقولوا أُنْشِطت وكأنما أُنشِط من عِقَال . وربطها نَشْطها والرابط الناشط ، وإذا ربطت الحبل فى يد البعير فقد نَشَطته فأنت ناشط ، وإذا حللته فقد أَنْشطته وأنت مُنشِط . وعن آبن عباس أيضا : هى أنفس المؤمنين عند الموت تَنْشَط للخروج ؛ وذلك أنه مامن مؤمن [يَحضُره (٢) الموت] إلا وتُعرَض عليه الجنة قبل أن يموت فيرى فيها ما أعَدّ الله له من أزواجه وأهله من الحور العين فهم يَدْعونه إليها فنفسه إليهم نَشِطَةٌ أن تخرج فتأتيهم . وعنه أيضا قال : يعنى أنفس الكفار والمنافقين تَنْشَط كما يُنشَط العَقَبُ ، الذى يعقب به السهم ، والعَقَب بالتحريك العَصَب الذى تُعمَل منه الأوتار ، الواحدة عَقَبة ؛ تقول منه : عَقَب السَّهمَ والقَدَحَ والقوسَ عَقْبا إذا لوى شيئا منه عليه . والنَّشْط الجذب بسرعة ومنه الأُنْشُوطة عقدة يسهل آنحلالها إذا جُذبت مثل عقدة التِّكة . وقال أبو زيد : نشطت

---

(١) فى نسخ الأصل : تنزع من الكلأ . وفى البحر : تنزع إلى ... الخ .

(٢) الزيادة من تفسير الثعلبى .

الحبلَ أَنْشُطه نَشْطا عقدته بأنْشُوطة ، وأَنْشَطته أى حللته ، وأَنْشطت الحبلَ أى مددته حتى ينحل . وقال الفراء : أُنشِطَ العقالُ أى حُلّ ونُشِط أى ربط الحبل فى يديه . وقال الليث : أنشطته بأنشوطة وأُنْشوطتين أى أوثقته ، وأَنشطتُ العِقالَ أى مددت أُنْشوطته فانحلت . قال : ويقال نَشَط بمعنى أَنْشَط لغتان بمعنًى ؛ وعليه يصح قول ابن عباس المذكور أوّلا . وعنه أيضا : الناشطات الملائكة لنشاطها تذهب وتجىء بأمر الله حيثما كان . وعنه أيضا وعن علىّ رضى الله عنهما : هى الملائكة تَنْشِط أرواحَ الكفّار مابين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم نَشْطا بالكَرْب والغَمّ كما تنشط الصّوف من سُّفّود الحديد وهى من النَّشْط بمعنى الجَذْب ؛ يقال : نَشَطتُ الدَّلو أَنْشِطها بالكسر وأَنشُطها بالضم أى نزعتها . قال الأصمعى : بئر أنشاط أى قريبة القعر تخرج الدّلو منها بجذبة واحدة . وبئر نَشُوط ؛ قال : وهى التى لا يخرج منها الدّلو حتى تُنْشَط كثيرا . وقال مجاهد : هو الموت ينشِط نَفْس الإنسان . السدى : هى النفوس حين تَنشِط من القدمين . وقيل : النازعات أيدى الغزاة أو أنفسهم تَنزِع القسىّ بإغراق السهام وهى التى تنشط الأوهاق(١). عكرمة وعطاء : هى الأوهاق تنشط السهام . وعن عطاء أيضا وقتادة والحسن والأخفش : هى النجوم تَنشِط من أفق إلى أفق أى تذهب . وكذا فى الصحاح . « والنّاشِطَاتِ نَشْطًا » يعنى النجوم من بُرج إلى بُرج كالثور الناشط من بلد إلى بلد . والهموم تَنشِط بصاحبها؛ قال هِميان بن قُحافة :

أَمْسَتْ هُمُومِى تَنْشِطُ المَنَاشِطَا * الشَّامَ بِى طَوْراً وطَوْراً وَاسِطَا

أبو عبيدة وعطاء أيضا : الناشطات هى الوحش حين تَنشط من بلد إلى بلد ، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد؛ وأنشد قول هِميان :

* أمست همومى ... * البيت

وقيل : « والنَّازِعَاتِ » للكافرين « والنَّاشِطَاتِ » للؤمنين ، فالملائكة يجذبون رُوح المؤمن برفق والنّزع جَذْبٌ بشدّة والنَّشْط جذب برِفْق . وقيل : هما جميعا للكفار والآيتان بعدهما للؤمنين عند فراق الدنيا .

(١) جمع وهق بحركتين وقد يسكن الحبل تشدّ به الإبل والخيل لئلا تند ، ويقال فى طرفه أنشوطة .

قوله تعالى : ﴿ والسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴾ قال عليّ رضى الله عنه : هى الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين . الكلبى : هى الملائكة تقبض أرواح المؤمنين ، كالذى يسبح فى الماء فأحيانا يَنْغَمِس وأحيانا يرتفع، يسلّونها سلّا رفيقا بسهولة ثم يدعونها تستريح . وقال مجاهد وأبو صالح : هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله؛ كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع فى جريه . وعن مجاهد أيضا : الملائكة تسبح فى نزولها وصعودها . وعنه أيضا : السابحات الموت يسبح فى نفوس بنى آدم . وقيل : هى الخيل الغزاة؛ قال عنترة .

والخَيْلُ تَعْلَمُ حين تَسْـ * ـبَحُ فِي حِيَاضِ المَوْتِ سَبْحَا

وقال آمرؤ القيس :

مِسَحٍّ[1] إذا ما السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى * أَثَرْنَ غُبَارًا بالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

قتادة والحسن : هى النجوم تسبح فى أفلاكها وكذا الشمس والقمر؛ قال الله تعالى : « كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » . عطاء : هى السفن تسبح فى الماء . آبن عباس : السابحات أرواح المؤمنين تسبح شوقا إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج .

قوله تعالى : ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴾ قال عليّ رضى الله عنه : هى الملائكة تسبق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء عليهم السلام . وقاله مسروق ومجاهد . وعن مجاهد أيضا وأبى روق : هى الملائكة سبقت آبن آدم بالخير والعمل الصالح . وقيل : تسبق بنى آدم إلى العمل الصالح فتكتبه . وعن مجاهد أيضا : الموت يسبق الإنسان . مقاتل : هى الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . آبن مسعود : هى أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا إلى لقاء الله تعالى ورحمته . ونحوه عن الربيع قال . هى النفوس تسبق بالخروج عند الموت . وقال قتادة والحسن ومَعْمَر : هى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير . عطاء : هى الخيل التى تسبق إلى الجهاد . وقيل : يحتمل أن تكون

---

(١) مسح : يصب الجرى . الونى : الفتور . الكديد : الموضع الغليظ . المركل : الذى يركل بالأرجل . ومعنى البيت : إن الخيل السريعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسح السحاب المطر .

السابقات ما تسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار ؛ قاله الماوردى . وقال الجرجانى : ذكر « فالسَّابِقَاتِ » بالفاء لأنها مشتقة من التى قبلها ؛ أى واللائى يسبحن فيسبقن ، تقول : قام فذهب ؛ فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب ، ولو قلت : قام وذهب لم يكن القيام سببا للذهاب .

قوله تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ قال القشيرى : أجمعوا على أن المراد الملائكة . وقال الماوردى فيه قولان : أحدهما الملائكة ؛ قاله الجمهور . والقول الثانى هى الكواكب السبعة . حكاه خالد بن مَعْدان عن معاذ بن جبل . وفى تدبيرها الأمر وجهان : أحدهما تدبير طلوعها وأفولها . الثانى تدبير ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال . وحكى هذا القول أيضا القشيرى فى تفسيره ، وأن الله تعالى علّق كثيرا من تدبير أمر العالم بحركات النجوم ، فأضيف التدبير إليها وإن كان من الله ، كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره . وعلى أن المراد بالمدبرات الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله ؛ قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما . وهو إلى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك ؛ كما قال عز وجل : « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ » وكما قال تعالى : « فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ » يعنى جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، والله عز وجل هو الذى أنزله . وروى عطاء عن ابن عباس : « فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا » الملائكة وكلت بتدبير أحوال الأرض فى الرياح والأمطار وغير ذلك . قال عبد الرحمن بن سابِط : تدبير أمر الدنيا إلى أربعة ؛ جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل وإسرافيل ، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود ، وأما ميكائيل فموكل بالقَطْر والنبات ، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس فى البر والبحر ، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم ، وليس من الملائكة أقرب من إسرافيل وبينه وبين العرش مسيرة خمسمائة عام . وقيل : أى وُكِّلوا بأمور عرّفهم الله بها . ومن أول السورة إلى هنا قسم أقسم الله به ، ولله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك إلا به عز وجل . وجواب القسم مضمر كأنه قال : والنازِعاتِ وكذا وكذا لتبعثُنّ ولتحاسَبُنّ أضمر لمعرفة السامعين

بالمعنى ؛ قاله الفراء . ويدل عليه قوله تعالى : « أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً » ألست ترى أنه كالجواب لقولهم : « أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً » نبعث فٱكتفى بقوله : « أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً » . وقال قوم : وقع القسم على قوله : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى » وهذا ٱختيار الترمذى ٱبن علي . أى فيما قصصت من ذكر يوم القيامة وذكر موسى وفرعون «لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» ولكن وقع القسم على ما فى السورة مذكورا ظاهرا بارزا أحرى وأقمن من أن يؤتى بشيء ليس بمذكور فيها . قال ٱبن الأنبارى : وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال فيما بينهما . وقيل : جواب القسم «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى» لأن المعنى قد أتاك . وقيل : الجواب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ على تقدير ليوم ترجف لحذف اللام . وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا . وقال السجستاني : يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال : فإذا هم بالساهرة والنازعات . ٱبن الأنبارى : وهذا خطأ ؛ لأن الفاء لا يفتتح بها الكلام والأول الوجه . وقيل : إنما وقع القسم على أن قلوب أهل النار تجف وأبصارهم تخشع فٱنتصاب « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه . قال الزجاج : أى قلوب راجفة يوم ترجف . وقيل : ٱنتصب بإضمار ٱذكر . و « ترجف » أى تضطرب والراجفة أى المضطربة كذا قال عبد الرحمن زيد ؛ قال : هى الأرض ، والرادفة الساعة . مجاهد : الراجفة الزلزلة ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ الصيحة . وعنه أيضا وٱبن عباس والحسن وقتادة : هما الصيحتان . أى النفختان أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى ، وأما الثانية فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى . وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "بينهما أربعون سنة" وقال مجاهد أيضا : الرادفة حين تَنْشَقّ السماء وتُحْمَلُ الأرض والجبال فتُدَكُّ دكّة واحدة وذلك بعد الزلزلة . وقيل : الراجفة تحرك الأرض ، والرادفة زلزلة أخرى تفنى الأرضين . فالله أعلم . وقد مضى فى آخر « النمل »(1) ما فيه كفاية فى النفخ فى الصور . وأصل الرجفة الحركة ، قال الله تعالى : « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ » وليست الرجفة ها هنا من

(1) راجع جـ ١٣ ص ٢٣٩ فما بعدها .

الحركة فقط بل من قولهم : رَجَفَ الرَّعدُ يَرجُفُ رَجْفًا ورَجيفا أى أظهر الصوت والحركة ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها و إفاضة الناس فيها ؛ قال[1] :

أبالأراجيف يابنَ اللُّؤمِ تُوعِدُنِي * وفى الأراجيف خِلْتُ اللُّؤمَ والخَوَرا

وعن أبىّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ربع الليل قام ثم قال : " يأيها الناس آذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه " . ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ أى خائفة وجلة ؛ قاله آبن عباس وعليه عامة المفسرين . وقال السدى : زائلة عن أماكنها ؛ نظيره « إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ » . وقال المؤرّج : قلقة مستوفزة، مرتكضة[2] غير ساكنة . وقال المبرد : مضطربة . والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار؛ يقال وجف القلب يجف وجيفا إذا خفق ؛ كما يقال : وجب يجب وجيبا ؛ ومنه وجيف الفرس والناقة فى العدو ؛ والإيجاف حمل الدابة على السير السريع ؛ قال :

بُدِّلْنَ بَعْدَ جِرَّةٍ صَرِيفَا * وبَعْدَ طُولِ النَّفَسِ الوَجِيفَا

و « قُلُوبٌ » رفع بالآبتداء و « وَاجِفَةٌ » صفتها . و ﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ خبرها؛ مثل قوله : « وَلَعَبْدٌ مُؤمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ » ومعنى « خَاشِعَةٌ » منكسرة ذليلة من هول ما ترى؛ نظيره : « خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ » والمعنى أبصار أصحابها فحذف المضاف . ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الحَافِرَةِ ﴾ أى يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم إنكم تبعثون قالوا منكرين متعجبين: أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا قبل الموت؟ وهو كقولهم : « أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا » يقال : رجع فلان فى حافرته وعلى حافرته أى رجع من حيث جاء ؛ قاله قتادة . وأنشد آبن الأعرابى :

---

(١) قائله منازل بن ربيعة المنقرى فى هجو رؤبة والعجاج . والرواية المشهورة للبيت كما فى كتب النحو كشرح التصريح وغيره هى :

أبا لأراجيز يابن اللؤم توعدنى * وفى الأراجيز خلت اللؤم والخور

والأراجيز جمع أرجوزة وهى القصائد الجارية على بحر الرجز . وفى الأراجيز خبر مقدّم واللؤم مبتدأ مؤخر وتوسط خلت بين المبتدإ والخبر أبطل عملها ؛ وهو موضع الشاهد فى البيت عند النحاة . وقيل لا يمنع النصب على أن يقدر مبتدأ أى وأما خلت . (٢) مرتكضة : مضطربة .

أحافِـرَةً على صَلَعٍ وشَيْبٍ * مَعَـاذَ اللهِ مِنْ سَـفَهٍ وعَارِ

يقول : أأرجـع إلى ما كنتُ عليه فى شـبابى من الغَزَل والصِّبا بعـد أن شِبتُ وصلِعتُ ! ويقـال : رجع على حافرته ، أى الطـريق الذى جاء منه . وقولهم فى المثل : النَّقْد عنـد الحافرة . قال يعقوب : أى عند أوّل كلمـة . ويقال : آلتقى القوم فاقتتلوا عنـد الحافرة . أى عند أوّل ما آلتقوا . وقيل : الحافرة العاجلة ؛ أى أئنا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كنا؟ قال الشاعر :

آليْتُ لا أُنْسـاكُمُ فآعْلَمُـوا * حَتّى يُرَدَّ النّـاسُ فى الحافِرَهْ

وقيل : الحافرة الأرض التى تحفر فيها قبـورهم فهى بمعنى المحفورة ؛ كقوله تعـالى : « مَاءٍ دَافِقٍ » و « عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » والمعنى أئنا لمردودون فى قبورنا أحياء . قاله مجاهـد والخليل والفرّاء . وقيـل : سميت الأرض الحافرة ؛ لأنها مسـتقرّ الحوافر كما سميت القـدم أرضا ؛ لأنها على الأرض . والمعنى أئنا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشى على أقدامنا . وقال آبن زيد : الحافرة النار وقرأ « تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » . وقال مقاتل وزيد بن أسلم : هى آسم من أسماء النار . وقال آبن عباس : الحافِرةُ فى كلام العـرب الدنيا . وقرأ أبو حيوة : « الحَفِرَة » بغير ألف مقصور من الحافرة . وقيل : الحفِرة الأرض المنتنة بأجساد موتاها ؛ من قولهم : حفرت أسنانه إذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها . يقال : فى أسـنانه حَفْرٌ وقد حَفَرَتْ تَحْفِرُ حَفْرًا ، مثال كَسَر يَكْسِر كَسْرا إذا فسدت أصولها . و بنو أسد يقولون : فى أسنانه حَفَرٌ بالتحريك . وقد حفِرت مثال تعِب تعبا وهى أردأ اللغتين ؛ قاله فى الصحاح .

﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴾ أى بالية متفتتة . يقال : نَخِر العظم بالكسر أى بلِي وتَفَتّت ؛ يقال : عظام نَخِرَةٌ وكذا قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة وآختاره أبو عبيد ؛ لأن الآثار التى تُذكر فيها العظام نظرنا فيها فرأينا نَخِـرَةً لا ناخرة . وقرأ أبو عمرو وآبنـه عبد الله وآبن عباس وآبن مسعود وآبن الزبير وحمزة والكسائى وأبو بكر « نَاخِرَةً » بالألف وآختـاره الفرّاء والطبرى وأبو معاذ النحوى ؛ لوفاق رءوس الآى . وفى الصحاح : والنّاخِر من العظام

التي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير . ويقال : ما بها ناخر أي ما بها أحد . حكاه يعقوب عن الباهلي . وقال أبو عمرو بن العلاء : الناخرة التي لم تنخر بعد أي لم تبل ولا بد أن تنخر . وقيل : الناخرة المجوّفة . وقيل : هما لغتان بمعنى ؛ كذلك تقول العرب : نخِر الشيء فهو نخِر وناخر؛ كقولهم : طَمِعَ فهو طَمِعٌ وطامِعٌ وحَذِرٌ وحاذِرٌ وبَخِل وباخِل وفَرِه وفاره؛ قال الشاعر :

يَظَلُّ بِها الشَّيْخُ الَّذِي كانَ بادِنًا * يَدِبُّ على عُوجٍ لَهُ نَخِراتِ

عُوج يعني قوائم . وفي بعض التفسير : ناخرة بالألف بالية ونخِرة تنخر فيها الريح أي تمر فيها على عكس الأول ؛ قال(١) :

* مِنْ بَعْدِ ما صِرْتَ عِظاماً ناخِرَهْ *

وقال بعضهم : الناخرة التي أكلت أطرافها و بقيت أوساطها . والنخرة التي فسدت كلها . وقال مجاهد : نخرة أي مرفوتة ؛ كما قال تعالى : « عِظَامًا وَرُفَاتًا » ونُخْرَة الريح بالضم شدّة هبوبها . والنخرة أيضا والنُّخَرَة مثال الهُمَزَة مقدّم أنف الفرس والحمار والخنزير ؛ يقال : هَشَم نُخْرَته أي أنفه . ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ أي رجعة خائبة كاذبة باطلة أي ليست كائنة ؛ قاله الحسن وغيره . الربيع بن أنس : « خَاسِرَةٌ » على من كذّب بها . وقيل : أي هي كرة خسران . والمعنى أهلها خاسرون ؛ كما يقال : تجارة رابحة أي يربح صاحبها . ولا شيء أخسر من كرة تقتضي المصير إلى النار . وقال قتادة ومحمد بن كعب : أي لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنحشرنّ بالنار ، وإنما قالوا هذا لأنهم أوعدوا بالنار . والكرّ الرجوع ؛ يقال : كَرّه وكَرّ بنفسه يتعدى ولا يتعدى . والكرة المرة والجمع الكرات . ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ذكر جل ثناؤه سهولة البعث عليه فقال : « فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : نفخة واحدة ﴿ فَإِذَا هُمْ ﴾ أي الخلائق أجمعون ﴿ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ أي على وجه الأرض بعد ما كانوا في بطنها . قال الفرّاء : سميت بهذا الاسم ؛ لأن فيها نوم

---

(١) قائله الهمداني يوم القادسية .

الحيوان وسهرهم . والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهِرَةً بمعنى ذات سهر؛ لأنه يسهر فيها خوفا منها فوصفها بصفة ما فيها ؛ وٱستدل ٱبن عباس والمفسرون بقول أمية ٱبن أبى الصّلت :

وفيها لَحْمُ ساهِرةٍ وبَحْرٍ * وما فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمَ

وقال آخر يوم ذى قار لفرسه :

أَقْدِمْ مَحاجِ إنّها الأَساوِرَهْ * ولا يَهُولَنّكَ رِجْلٌ[(1)] نادِرَهْ

فإنّما قَصْرُكَ تُرْبُ السّاهِرَهْ * ثُمّ تعودُ بَعْدَها فى الحافِرَهْ

* مِنْ بَعْدِ ما صِرْتَ عِظاماً ناخِرَهْ *

وفى الصحاح : ويقال : السّاهور ظِلّ الساهِرة وهى وجه الأرض . ومنه قوله تعالى : «فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ» قال أبو كبير الهُذَلىّ :

يَرْتَدْنَ ساهِرَةً كَأَنّ جَمِيمَها * وعَمِيمَها أَسْدافُ لَيْلٍ مُظْلِمِ[(2)]

ويقال : السّاهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف[(3)]، وأنشدوا قول أمية بن أبى الصّلْت[(4)] :

* قَمَرٌ وساهورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ *

وأنشدوا لآخر فى وصف ٱمرأة :

كأنّها عِرْقُ سامٍ عِنْدَ ضارِبِهِ * أو شُقّةٌ[(5)] خَرَجَتْ مِن جَوْفِ ساهُورِ

يريد شقة القمر . وقيل : الساهرة هى الأرض البيضاء . وروى الضحاك عن ٱبن عباس قال : أرض من فِضّة لم يُعصَ الله جل ثناؤه عليها قط خلقها حينئذ . وقيل : أرض جددها

---

(١) هذه الأبيات للهمدانى يوم القادسية وقد تقدم ذكرها . محاج : ٱسم فرس الشاعر . وفى اللسان مادة «نخر» : أقدم أخانهم . ولا تهولنك رءوس . وفى السمين : بادره . (٢) الجميم بالجيم، النبت الذى قد نبت وٱرتفع قليلا ولم يتم كل التمام، والعميم المكتمل التام من النبت، والأسداف جمع سدف بالتحريك وهو ظلمة الليل . (٣) هذا كما تزعم العرب فى الجاهلية . (٤) وصدر البيت : * لا نقص فيه غير أن خبيئه *

(٥) كذا فى نسخ الأصل التى بأيدينا والذى فى اللسان مادة « سهر » أو فلقة .

الله يوم القيامة . وقيل : الساهرة آسم الأرض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق ؛ وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال الثورى : الساهرة أرض الشام . وهب بن منبه : جبل بيت المقدس . عثمان بن أبى العاتكة : إنه آسم مكان من الأرض بعينه بالشام وهو الصقع الذى بين جبل أريحاء وجبل حسان(1) يمده الله كيف يشاء . قتادة : هى جهنم أى فإذا هؤلاء الكفار فى جهنم . وإنما قيل لها ساهرة ؛ لأنهم لا ينامون عليها حينئذ . وقيل : الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم ؛ أى يوقفون بأرض القيامة فيدوم السهر حينئذ . ويقال : الساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك ، لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة ؛ قال الأشعث بن قيس :

وساهرةٍ يَضْحَى السّرابُ مُجَلِّلًا * لأَقْطارِها قد جئتها متلثّمًا

أو لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة .

قوله تعالى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ أى قد جاءك وبلغك « حَدِيثُ مُوسَى » وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم . أى إن فرعون

(1) ذكره الطبرى أيضا .

كان أقوى من كفار عصرك ثم أخذناه وكذلك هؤلاء . وقيل : « هل » بمعنى « ما » أى ما أتاك ولكن أخبرت به فإن فيه عبرةً لمن يخشى . وقد مضى من خبر موسى وفرعون فى غير موضع ما فيه كفاية . وفى «طُوَى» ثلاث قراءات : قرأ ٱبن محيصن وٱبن عامر والكوفيون « طُوًى » منونا وٱختاره أبو عبيد لخفة الاسم . الباقون بغير تنوين ؛ لأنه معدول مثل عُمَر وقُثَم ؛ قال الفراء : طوى واد بين المدينة ومصر . قال : وهو معدول عن طاو كما عدل عمر عن عامر . وقرأ الحسن وعكرمة « طِـوًى » بكسر الطاء وروى عن أبى عمـرو على معنى المقدس مرة بعد مرة ؛ قاله الزجاج ؛ وأنشد[2] :

أَعاذِلَ إِنّ اللَّوْمَ فى غَيْرِ كُنْهِهِ * عَلَىَّ طِوًى من غَيِّكِ المُتَرَدِّدِ

أى هو لَوْمٌ مكرر علىّ[3] . وقيـل : ضم الطاء وكسرها لغتان وقـد مضى فى « طـه » القول فيـه . ﴿ ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ أى ناداه ربه فحذف لأن النـداء قول ؛ فكأنه ؛ قال له ربه « ٱذْهَبْ إِلَى فِرْعَـوْنَ » . ﴿ إِنَّهُ طَغَى ﴾ أى جاوز القـدر فى العصـيان . وروى عن الحسن قال : كان فرعون عِلْجًا من هَمْدان . وعن مجاهد قال : كان من أهل إِصْطَخْر . وعن الحسن أيضـا قال : مـن أهل أصبهان يقال له ذو ظفـر طوله أربعـة أشبار . ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ أى تسلم فتطهر من الذنوب . وروى الضحاك عن ٱبن عباس قال : هـل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله . ﴿ وَأَهْـدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ أى وأرشـدك إلى طاعة ربك ﴿ فَتَخْشَى ﴾ أى تخافه وتتقيه . وقرأ نافع وٱبن كثير « تَزَّكَّى » بتشديد الزاى على إدغام التاء فى الزاى لأن أصلها تتزكى الباقون : «تَزَكَّى» بتخفيف الزاى على معنى طرح التاء . وقال أبو عمرو : « تَزَّكَّى » بالتشديد [تتصدق بـ][4] الصدقة و « تَزَكَّى » تكون زكيا مؤمنا . وإنما دعا فرعونَ ليكون زكيا مؤمنا . قال : فلهـذا ٱخترنا التخفيف . وقال صخـر بن جويرية :

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٥٦ فما بعدها وجـ ١١ ص ٢٠٠ فما بعدها وجـ ١٣ ص ٢٥٠ فما بعدها .

(٢) قائله عدى بن زيد . (٣) راجع جـ ١١ ص ١٧٥ .

(٤) الزيادة من الطبرى وهى لازمة .

لما بعث الله موسى إلى فرعون قال له : « ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ » إلى قوله « وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ » ولن يفعل ؛ فقال : يارب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لا يفعل ؟ فأوحى الله إليه أن آمض إلى ما أمرتك به فإن فى السماء آثنى عشر ألف ملك يطلبون علم القَدَر فلم يبلغوه ولا يدركوه . ﴿ فَأَرَاهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ أى العلامة العظمى وهى المعجزة . وقيل : العصا . وقيل : اليد البيضاء تبرق كالشمس . وروى الضحاك عن آبن عباس : الآية الكبرى قال العصا . الحسن : يده وعصاه . وقيل : فلق البحر . وقيل : الآية إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته . ﴿ فَكَذَّبَ ﴾ أى كذب نبىّ الله موسى ﴿ وَعَصَىٰ ﴾ أى عصى ربه عز وجل . ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾ أى ولى مدبرا معرضا عن الإيمان « يَسْعَىٰ » أى يعمل بالفساد فى الأرض . وقيل : يعمل فى نكاية موسى . وقيل : « أَدْبَرَ يَسْعَىٰ » هاربا من الحية . ﴿ فَحَشَرَ ﴾ أى جمع أصحابه ليمنعوه منها . وقيل : جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للعارضة . وقيل : حشر الناس للحضور . ﴿ فَنَادَىٰ ﴾ أى قال لهم بصوت عال ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ أى لا رب لكم فوقى . ويروى : إن إبليس تصور لفرعون فى صورة الإنس بمصر فى الحمام فأنكره فرعون ، فقال له إبليس : ويحك ! أما تعرفنى ؟ قال : لا . قال : وكيف وأنت خلقتنى ؟ ألست القائل أنا ربكم الأعلى . ذكره الثعلبى فى كتاب العرائس . وقال عطاء : كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها فقال أنا رب أصنامكم . وقيل : أراد القادة والسادة هو ربهم وأولئك هم أرباب السّفلة . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير؛ فنادى فحشر ؛ لأن النداء يكون قبل الحشر . ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ أى نكال قوله : « مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي » وقوله بعد : « أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ » قاله آبن عباس ومجاهد وعكرمة . وكان بين الكلمتين أربعون سنة ؛ قاله آبن عباس . والمعنى أمهله فى الأولى ثم أخذه فى الآخرة فعذبه بكلمتيه . وقيل : نكال الأولى هو أن أغرقه ، ونكال الآخرة العذاب فى الآخرة . قاله قتادة وغيره . وقال مجاهد : هو عذاب أوّل عمره وآخره . وقيل : الآخرة قوله « أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ » والأولى تكذيبه لموسى . عن قتادة أيضا .

و « نَكَالَ » منصوب على المصدر المؤكد فى قول الزجاج ؛ لأن معنى أخذه الله نكل الله به فأخرج [نَكَال](١) مكان مصدر من معناه لا من لفظه . وقيل : نصب بنزع حرف الصفة، أى فأخذه الله بنكال الآخرة فلما نُزِع الخافض نصب . وقال الفرّاء : أى أخذه الله أخذا نكالا أى للنكال . والنكال آسم لما جعل نكالا للغير أى عقوبة له حتى يعتبر به . يقال : نكل فلان بفلان إذا أثخنه عقوبة . والكلمة من الآمتناع ومنه النكول عن اليمين والنِّكْلُ القيد . وقد مضى فى سورة «المزمل»(٢) والحمد لله . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾ أى آعتبارا وعظة. ﴿ لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾ أى يخاف الله عز وجل .

قوله تعالى : ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

قوله تعالى : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ﴾ يريد أهل مكة أى أخلقكم بعد الموت أشدّ فى تقديركم ﴿ أَمِ السَّمَاءُ ﴾ فمن قدر على السماء قدر على الإعادة؛ كقوله تعالى: « لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ » وقوله تعالى : « أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ » فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ . ثم وصف السماء فقال : ﴿ بَنَاهَا ﴾ أى رفعها فوقكم كالبناء . ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ أى أعلى سقفها فى الهواء ؛ يقال : سمكت الشيء أى رفعته فى الهواء وسَمَكَ الشيءُ سموكا آرتفع . وقال الفرّاء : كل شيء حمل شيئا من البناء وغيره فهو سَمْكٌ . وبناء مَسْمُوكٌ وسَنام سامِكٌ تامِكٌ أى عالٍ والمسموكات(٣) السموات . ويقال : آسْمُكْ فى الدَّيْم أى آصعد فى الدرجة .

(١) زيادة تقتضيها العبارة . (٢) راجع ص ٤٥ من هذا الجزء . (٣) الذى فى اللغة المسمكات كمكرمات وورد كذلك فى الخبر وصحح التاج أن المسموكات لغة لا لحن وبها ورد الخبر عن طريق آخر .

قوله تعالى : ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور . ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ أي جعله مظلما ؛ غطش الليل وأغطشه الله ، كقولك : [ظَلِمَ الليلُ[1]] وأظلمه الله . ويقال أيضا : أغطش الليل بنفسه وأغطشه الله ، كما يقال : أظلم الليل ، أظلمه الله . والغَطَش والغَبَش الظلمة ورجل أغطش أي أعمى أو شبيه به وقد غَطِش والمرأة غطشاء ؛ ويقال : ليلةٌ غطشاء وليل أغطش ، وفلاة غَطْشى لا يهتدى لها ؛ قال الأعشى :

وَيَهْمَاء بِاللَّيْلِ غَطْشَى الفَلَا * ةِ يُؤْنِسُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا[2]

وقال الأعشى أيضا :

عَقَرْتُ لَهُمْ مَوْهِنًا نَاقَتِي * وَغَامِرُهُمْ مُدْلَهِمٌّ غَطَشْ

يعني بغامرهم لَيْلَهم لأنه غمرهم بسواده . وأضاف الليل إلى السماء لأن الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضاف إلى السماء ؛ ويقال : نجوم الليل لأن ظهورها بالليل . ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي أبرز نهارها وضوءها وشمسها . وأضاف الضحا إلى السماء كما أضاف إليها الليل ؛ لأن فيها سبب الظلام والضياء وهو غروب الشمس وطلوعها . ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ أي بسطها . وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء . وقد مضى القول فيه في أول « البقرة[3] » عند قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ » مستوفى . والعرب تقول : دحوت الشيء أدحوه دحوا إذا بسطته . ويقال لعُشّ النعامة أُدْحِيّ ؛ لأنه مبسوط على وجه الأرض . وقال أمية بن أبي الصَّلْت :

وَبَثَّ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاهَا * فَهُمْ قُطَّانُهَا[4] حَتَّى التَّنَادِي

وأنشد المبرّد :

دَحَاهَا فَلَمَّا رَآهَا اسْتَوَتْ * عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا

---

(١) هذه الزيادة من اللسان عن الفراء ، قال : ظلم الليل بالكسر وأظلم بمعنى .

(٢) الفياد بفتح الفاء وضمها ذكر البوم . (٣) راجع جـ ١ ص ٢٥٥ فما بعدها .

(٤) مضى هذا البيت في جـ ١٥ ص ٣١٠ بلفظ : سكانها . والمعنى واحد .

وقيل : دحاها سوّاها ؛ ومنه قول زيد بن عمرو :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ * لَهُ الأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالا
دَحاها فَلَمَّا ٱسْتَوَتْ شَدَّهَا * بِأَيْدٍ وأَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبالا

وعن ٱبن عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألف عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت . وذكر بعض أهل العلم أنّ «بَعْدَ» فى موضع «مع» كأنه قال : والأرض مع ذلك دحاها ؛ كما قال تعالى : « عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ » . ومنه قولهم : أنت أحمق وأنت بعد هذا سيّء الخلق ؛ قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا عَنِّى إِلَيْكِ فَإِنَّنِى * حَرَامٌ وإِنِّى بَعْدَ ذَاكَ لَبِيبُ

أى مع ذلك لبيب . وقيل : بعد بمعنى قَبْلُ ؛ كقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ » أى من قبل الفرقان ؛ قال أبو خراش الهُذَلِىّ :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا * خِرَاشٌ وبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وزعموا أن خراشا نجا قبل عروة . وقيل : «دَحَاهَا» حرثها وشقها . قاله ٱبن زيد . وقيل: دحاها مهدها للأقوات . والمعنى متقارب . وقراءة العامة « وَالْأَرْضَ » بالنصب أى دحا الأرض . وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون « وَالْأَرْضُ » بالرفع على الابتداء ؛ لرجوع الهاء . ويقال : دحا يَدْحو دحوًا ودَحَى يَدْحَى دحيًا ؛ كقولهم : طَغَى يطْغَى ويَطغُو وطَغِى يَطغَى ومحا يمحو ويَمْحَى ولَحَى العودَ يلحَى ويلحو فمن قال : يدحو قال دحوت ومن قال يدحَى قال دحيت . ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا ﴾ أى أخرج من الأرض ﴿ مَاءَهَا ﴾ أى العيون المتفجرة بالماء . ﴿ وَمَرْعَاهَا ﴾ أى النبات الذى يرعى . وقال القتبى : دل بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحبّ والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح ؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء . ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ قراءة العامة « والجِبَالَ » بالنصب أى وأرسى الجبال « أَرْسَاهَا » يعنى أثبتها فيها أوتادا لها . وقرأ

الحسن وعمرو بن ميمون وعمـرو بن عبيد ونصر بن عاصم « والجبالُ » بالرفع على الابتداء . ويقال : هلا أدخل حرف العطف على « أَخْرَجَ » فيقال: إنه حال بإضمار قد ؛ كقوله تعالى: «حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ» . ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ ﴾ أي منفعة لكم . ﴿ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ من الإبل والبقر والغنم . و « مَتَاعًا » نصب على المصدر من غير اللفظ ؛ لأن معنى « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا » أمتع بذلك . وقيل : نصب بإسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا .

قوله تعالى : فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ أي الداهية العظمى ، وهي النفخة الثانية التي يكون معها البعث ؛ قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه وهـو قـول الحسن . وعن ابن عباس أيضا والضحاك أنها القيامة ؛ سميت بذلك لأنها تَطُمّ على كل شيء فتعم ماسواها لعظم هولهـا ؛ أي تغلبه . وفي أمثالهم : جَرَى الوادِي فَطَمَّ على القَرِيّ[1] .

المبرد : الطامة عند العرب الداهية التي لاتستطاع ، وإنما أخذت فيا أحسب من قولهم: طَمَّ الفرسُ طَميما إذا استفرغ جهده في الجرى ، وطَمَّ المـاءُ إذا ملأ النهر كله . غيره : هي مأخوذة من طمّ السيل الرَّكِيَّة[2] أي دفنها والطمّ الدفن والعلو . وقال القاسم بن الوليد الهمداني: الطامة الكبرى حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار. وهو معنى قول مجاهد. وقال سفيان : هي الساعة التي يسلم فيها أهل النـار إلى الزبانيـة . أي الداهيـة التي طَمّت وعظمت ؛ قال :

إن بعضَ الحُبّ يُعمى ويُصِمّ * وكذاك البُغْضُ أَدْهَى وأَطَمّ

---

(١) القرى مجرى المـاء في الروضة والجمع أقرية وأقراء وقريان ؛ و يضرب المثل عند تجاوز الشيء حده .

(٢) الركية : البئر ؛ أي جرى سيل الوادي .

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴾ أي ما عمل من خير أو شر . ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ ﴾ أي ظهرت . ﴿ لِمَنْ يَرَى ﴾ قال ابن عباس : يكشف عنها تتلظى فيراها كل ذي بصر . وقيل : المراد الكافر لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب . وقيل : يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار . وجواب « فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ » محذوف أي إذا جاءت الطامة دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة . وقرأ مالك بن دينار : « وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ » عكرمة وغيره « لِمَنْ تَرَى » بالتاء أي لمن تراه الجحيم أو لمن تراه أنت يا محمد . والخطاب له عليه السلام والمراد به الناس .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي تجاوز الحد في العصيان . قيل : نزلت في النضر وابنه الحرث ، وهي عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة . وروى عن يحيي بن أبي كثير قال : من اتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى . وروى جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة : أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون [1] . ويروى أنه وجد في الكتب : إن الله جل ثناؤه قال « لا يؤثر عبد لى دنياه على آخرته إلا بثثت عليه همومه وصنيعته [2] ثم لا أبالي في أيها هلك » . ﴿ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أي مأواه . والألف واللام بدل من الهاء . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ أي حذر مقامه بين يدي ربه . وقال الربيع : مقامه يوم الحساب . وكان قتادة يقول : إن لله عز وجل مقاما قد خافه المؤمنون . وقال مجاهد : هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب

---

(١) في بعض النسخ : ما يعملون . (٢) في نسخة : وضيعته .

فيقلع؛ نظيره : « ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ » . ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ أى زجرها عن المعاصي والمحارم . وقال سهل : ترك الهوى مفتاح الجنة ؛ لقوله عز وجل : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى » قال عبد الله بن مسعود : أنتم فى زمان يقود الحقّ الهوى وسيأتى زمان يقود الهوى الحقّ ، فنعوذ بالله من ذلك الزمان . ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أى المنزل . والآيتان نزلتا فى مصعب بن عمير وأخيه عامر بن عمير؛ فروى الضحاك عن ابن عباس قال : أما من طغى فهو أخ لمصعب بن عمير أسر يوم بدر ، فأخذته الأنصار فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا أخو مصعب بن عمير، فلم يشدوه فى الوثاق وأكرموه وبيّتوه عندهم ، فلما أصبحوا حدّثوا مصعب بن عمير حديثه؛ فقال : ما هو لى بأخ ، شدّوا أسيركم فإن أمه أكثر أهل البطحاء حليا ومالا . فأوثقوه حتى بعثت أمّه فى فدائه . « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » فمصعب بن عمير ؛ وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أُحُد حين تفرّق الناس عنه حتى نفذت المشاقص فى جوفه . وهى السهام ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا فى دمه قال : " عند الله أحتسبك " وقال لأصحابه : " لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما و إن شراك نعليه من ذهب " . وقيل : إن مصعب بن عمير قتل أخاه عامرا يوم بدر . وعن ابن عباس أيضا قال : نزلت هذه الآية فى رجلين أبى جهل بن هشام المخزومى ومصعب بن عمير العبدرىّ . وقال السدى : نزلت هذه الآية « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؛ وذلك أن أبا بكر كان له غلام يأتيه بطعام ، وكان يسأله من أين أتيت بهذا ، فأتاه يوما بطعام فلم يسأله وأكله ؛ فقال له غلامه : لِم لا تسألنى اليوم ؟ فقال : نسيت فمن أين لك هذا الطعام . فقال : تكهنت لقوم فى الجاهلية فأعطونيه . فتقايأه من ساعته وقال : يا رب ما بقى فى العروق فأنت حبسته فنزلت : «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» . وقال الكلبي : نزلت فى من همّ بمعصيته وقدر عليها فى خلوة ثم تركها من خوف الله . ونحوه عن ابن عباس . يعنى من خاف عند المعصية مقامه بين يدى الله فانتهى عنها والله أعلم .

قوله تعالى : يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ قال ابن عباس : سأل مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة استهزاء ، فأنزل الله عز وجل الآية . وقال عروة بن الزبير فى قوله تعالى : ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ . ومعنى « مُرْسَاهَا » أى قيامها . قال الفراء : رسوها قيامها[1] كرسو السفينة . وقال أبو عبيدة : أى منتهاها ، ومرسا السفينة حيث تنتهى . وهو قول ابن عباس . الربيع بن أنس : متى زمانها . والمعنى متقارب . وقد مضى فى «الأعراف»[2] بيان ذلك . وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة إلا بغضبة يغضبها ربك " . « فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا » أى فى أى شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها ؟ وليس لك السؤال عنها . وهذا معنى ما رواه الزهرى عن عروة بن الزبير قال : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت « فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا » أى منتهى علمها ؛ فكأنه عليه السلام لما أكثروا عليه سأل الله أن يعرفه ذلك فقيل له : لا تسأل فلست فى شيء من ذلك . ويجوز أن يكون إنكارا على المشركين فى مسألتهم له ؛ أى فيم أنت من ذلك حتى يسألوك بيانه ولست ممن يعلمه . روى معناه عن ابن عباس . والذكرى بمعنى الذكر . «إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا» أى منتهى علمها فلا يوجد عند غيره علم الساعة ؛ وهو كقوله تعالى : « قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي» وقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » . ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾

---

(١) قال الفراء : كقولك تام العدل وقام الحق أى ظهر وثبت .

(٢) راجع جـ ٧ ص ٣٣٥ فما بعدها .

أى مخوّف ؛ وخص الإنذار بمن يخشى لأنهـم المنتفعون به وإن كان منذرا لكل مكلّف ، وهو كقوله تعـالى : « إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ » . وقراءة العامة « مُنْـذِرُ » بالإضـافة غير منون ؛ طلب التخفيف وإلا فأصـله التنوين ؛ لأنه للمستقبل وإنما لاينون فى المـاضى . قال الفراء : يجوز التنوين وتركه ؛ كقوله تعالى : « بَالِـغٌ أَمْرَهُ » و « بَالِـغُ أَمْرِهِ » و «مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ» و «مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ » والتنوين هوالأصل وبه قرأ أبو جعفـر وشيبة والأعرج وٱبن محيصن وحميـد وعياش عن أبى عمرو « مُنْذِرٌ » منـونا وتكون فى موضـع نصب والمعـنى إنمـا ينتفع بإنذارك من يخشى الساعة . وقال أبوعلى : يجوز أن تكون الإضافة للـماضى نحو ضارب زيدٍ أمس ؛ لأنه قـد فعل الإنذار ، والآية ردّ على من قال : أحوال الآخرة غير محسـوسة وإنما هى راحة الروح أو تألمها من غير حس . ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾ يعنى الكفار يرون الساعة ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا ﴾ أى فى دنيـاهم ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً ﴾ أى قدر عشية ﴿ أَوْ ضُحَاهَا ﴾ أى أو قدر الضحا الذى يلى تلك العشية، والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال تعالى : « لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » . وروى الضحاك عن ٱبن عباس : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوما واحدا . وقيل : «لَمْ يَلْبَثُوا» فى قبورهم «إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » وذلك أنهم ٱستقصروا مدّة لبثهم فى القبور لـما عاينوا من الهول . وقال الفرّاء : يقول القائل وهل للعشية ضحا ؟ وإنما الضحا لصدر النهار ولكن أضيف الضحا إلى العشية وهو اليوم الذى يكون فيـه على عادة العرب ؛ يقولون : آتيك الغـداة أوعشيتها ، وآتيك العشية أو غداتها ، فتكون العشية فى معنى آخر النهار ، والغـداة فى معنى أوّل النهار ؛ قال : وأنشدنى بعض بنى عقيل :

نَحْنُ صَبَحْنا عامرًا فى دَارِهـا * جُرْدًا تَعَـادَى طَرَفَىْ نهـارِها

* عَشِيَّةَ الهلالِ أَوْ سِرارِها *

أراد عشية الهلال أوعشية سِرار العشية ، فهو أشد من آتيك الغداة أوعشيتها .

ســـورة عبس

مكية فى قول الجميع، وهى إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤)

فيه ست مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ ﴾ أى كلح بوجهه؛ يقال : عبس وبسر . وقد تقدّم . ﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أى أعرض بوجهه ﴿ أَنْ جَاءَهُ ﴾ « أَنْ » فى موضع نصب لأنه مفعول له، المعنى لأن جاءه الأعمى أى الذى لايبصر بعينيه . فروى أهل التفسير أجمع أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم وقد طمع فى إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عبد الله عليه كلامه فأعرض عنه، ففيه نزلت هذه الآية . قال مالك : إن هشام بن عروة حدّثه عن عروة أنه قال نزلت « عَبَسَ وَتَوَلَّى » فى ابن أم مكتوم؛ جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : يا محمد استدنِنى[(١)] وعند النبى صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول : " يافلان هل ترى بما أقول بأسا " فيقول : لا والدُّمى[(٢)] ماأرى بما تقول بأسا؛ فأنزل الله « عَبَسَ وَتَوَلَّى » . وفى الترمذى مسندا قال : حدّثنا سعيد ابن يحيى بن سعيد الأموى، حدّثنى أبى، قال هذا ماعرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت : نزلت «عَبَسَ وَتَوَلَّى» فى ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الرواية هنا وفى ابن العربى يا محمد، والمشهور فى التفسير يارسول الله علمنى مما علمك الله . وفى رواية : يارسول أرشدنى، كما سيأتى للصنف . (٢) الدمى جمع دمية وهى الصورة، ويريد بها الأصنام .

وسلم فجعل يقول : يارسول الله أرشـدنى ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسـلم رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه و يقبل على الآخر، وَيقول « أترى بمـا أقول بأسا » فيقول : لا ؛ ففى هذا نزلت ؛ قال هذا حديث غريب .

الثانيــــة ـــ الآية عتاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى إعراضه وتوليه عن عبد الله آبن أم مكتوم . و يقال : عمرو بن أم مكتوم ، وآسم أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم ، وعمرو هذا هو آبن قيس بن زائدة بن الأصم ، وهو آبن خال خديجة رضى الله عنها . وكان قد تشاغل عنـه برجل من عظماء المشركين يقال كان الوليـد بن المغيرة ؛ آبن العربى : قاله المـالكية من علمائنـا ، وهو يكنى أبا عبد شمس . وقال قتادة : هو أمية بن خلف وعنه أبىّ بن خلف . وقال مجاهد : كانوا ثلاثة عتبة وشيبة آبنا ربيعة وأبىّ بن خلف . وقال عطاء : عتبة بن ربيعة . سفيان الثورى : كان النبى صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس . الزمخشرى : كان عنده صناديد قريش عتبة وشيبة آبنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم . قال آبن العربى : أما قول علمائنا إنه الوليد بن المغيرة فقد قال آخرون إنه أمية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين ، وذلك أن أمية بن خلف والوليد كانا بمكة وآبن أم مكتوم كان بالمدينة ماحضر معهما ولا حضرا معه ، وكان موتهما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر ببدر ، ولم يقصد قط أمية المدينة ولا حضر عنده مفردا ولا مع أحــــد .

الثالثــــة ـــ أقبل آبن أم مكتوم والنبى صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى ، وقد قوى طمعه فى إسلامهم وكان فى إسلامهم إسلام مَنْ وراءهم من قومهم ، فجاء آبن أم مكتوم وهو أعمى فقال : يارسول الله علّمنى مما علّمك الله ؛ وجعل يناديه و يكثر النداء ولا يدرى أنه مشغول بغيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه ، وقال فى نفسه : يقول هؤلاء إنما أتباعه العميان والسَّفلة

والعبيد ؛ فعبس وأعرض عنه فنزلت الآية . قال الثورى : فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ٱبن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول : " مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى " ويقول :"هل من حاجة ". وٱستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين غزاهما . قال أنس : فرأيته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء .

الرابعة ــ قال علماؤنا : ما فعله ٱبن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لاتنكسر قلوب أهل الصُّفَّة ؛ أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغنى ، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعا فى إيمانهم ، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى » الآية على ما تقدم[1] . وقيل : إنما قصد النبى صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل ثقة بما كان فى قلب ٱبن أم مكتوم من الإيمان؛ كما قال: " إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه مخافة أن يكبه الله فى النار على وجهه " .

الخامسة ــ قال ٱبن زيد : إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه؛ لأنه أشار إلى الذى كان يقوده أن يكفه، فدفعه ٱبن أم مكتوم وأبى إلا أن يكلم النبى صلى الله عليه وسلم حتى يُعلِّمه ، فكان فى هذا نوع جفاء منه . ومع هذا أنزل الله فى حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم : « عَبَسَ وَتَوَلَّى » بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيما[2] له ولم يقل : عبست وتوليت . ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أى يعلمك ﴿لَعَلَّهُ﴾ يعنى ٱبن أم مكتوم ﴿يَزَّكَّى﴾ بما ٱستدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين بأن يزداد طهارة فى دينه ، وزوال ظلمة الجهل عنه . وقيل : الضمير فى « لَعَلَّهُ » للكافر يعنى إنك إذا طمعت فى أن يتزكى بالإسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق

(١) راجع جـ ٨ ص ٤٥ فما بعدها .

(٢) فى نسخة : تعليما .

وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن . وقرأ الحسن «آأَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى»[1] بالمدّ على الاستفهام فـ«ـأَنْ» متعلقة بفعل محذوف دل عليه «عَبَسَ وَتَوَلَّى» التقدير آأن جاءه أعرض عنه وتولى؟ فيوقف على هذه القراءة على «وَتَوَلَّى» ولا يوقف عليه على قراءة الخبر وهي قراءة العامة .

السادسة — نظير هذه الآية في العتاب قوله تعالى في سورة الأنعام : «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ» وكذلك قوله في سورة الكهف : «وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وما كان مثله ، والله أعلم . ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ بما تقول ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ أي العظة . وقراءة العامة «فَتَنْفَعُهُ» بضم العين عطفا على «يَزَّكَّى» . وقرأ عاصم وابن أبي إسحق وعيسى «فَتَنْفَعَهُ» نصبا . وهي قراءة السُّلَمِيّ وزر بن حُبَيْش على جواب لعل لأنه غير موجب؛ كقوله تعالى : «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ» ثم قال : «فَأَطَّلِعَ» .

قوله تعالى : أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ أي كان ذا ثروة وغنىً ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أي تَعرّض له وتصغي لكلامه . والتصدي الإصغاء ؛ قال الراعي :

تَصَدَّى لِوَضَّاحٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ * سِرَاجُ الدُّجَى يَحْنِي إليه الأَسَاوِرُ[2]

وأصله تتصدّد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك؛ يقال : داري صدد داره أي قبالتها ، نصب على الظرف . وقيل : من الصدى وهو العطش . أي تتعرض له كما يتعرض العطشان للماء والمصاداة المعارضة . وقراءة العامة «تَصَدَّى» بالتخفيف على طرح التاء الثانية تخفيفا .

---

(١) قال الزمخشري : وقرئ « آأن » بهمزتين وألف بينهما .

(٢) الإسوار (بكسر الهمزة وضمها) قائد الفرس ، وقيل : هو الجيد الرمي بالسهام ، وقيل : هو الجيد الثبات على الفرس ، والجمع أساورة وأساور .

وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الإدغام . ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴾ أى لا يهتدى هذا الكافر ولا يؤمن إنما أنت رسول ما عليك إلا البلاغ .

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ يطلب العلم لله ﴿ وَهُوَ يَخْشَى ﴾ أى يخاف الله ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ أى تعرض عنه بوجهك وتشتغل بغيره . وأصله تتلهى ؛ يقال : لهيت عن الشيء ألهى أى تشاغلت عنه . والتلهى التغافل ولهيت عنه وتلهيت بمعنى .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ « كَلَّا » كلمة ردع وزجر ؛ أى ما الأمر كما تفعل مع الفريقين ؛ أى لا تفعل بعدها مثلها من إقبالك على الغنى و إعراضك عن المؤمن الفقير . والذى جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الأولى كما تقدّم ، ولو حمل على صغيرة لم يبعد ؛ قاله القشيرى . والوقف على « كَلَّا » على هذا الوجه جائز . ويجوز أن تقف على « تَلَهَّى » ثم تبتدئ « كَلَّا » على معنى حقا . ﴿ إِنَّهَا ﴾ أى السورة أوآيات القرآن ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ أى موعظة وتبصرة للخلق ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ أى اتعظ بالقرآن . قال الجرجانى : « إِنَّهَا » أى القرآن والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة أخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز ؛ كما قال تعالى فى موضع آخر : « كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ » . ويدل على أنه أراد القرآن قوله : « فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ » أى كان حافظا له غير ناس ؛ وذكر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ . وروى الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى : « فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ » قال من شاء الله تبارك وتعالى ألهمه . ثم أخبر عن جلالته فقال : ﴿ فِي صُحُفٍ ﴾ جمع صحيفة ﴿ مُكَرَّمَةٍ ﴾ أى عند الله ؛ قاله السدى . الطبرى : « مُكَرَّمَةٍ » فى الدين لما فيها من العلم والحكم . وقيل: « مُكَرَّمَةٍ » لأنها نزل بها كرام الحفظة ، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ . وقيل : « مُكَرَّمَةٍ »

لأنها نزلت من كريم ؛ لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه . وقيل : المراد كتب الأنبياء ؛ دليله : «إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى» . ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ رفيعة القدر عند الله . وقيل : مرفوعة عنده تبارك وتعالى . وقيل : مرفوعة فى السماء السابعة ، قاله يحيى بن سلّام . الطبرى : مرفوعة الذكر والقدر . وقيل : مرفوعة عن الشبه والتناقض . ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ قال الحسن : من كل دنس . وقيل : مصانة عن أن ينالها الكفار . وهو معنى قول السُّدّىّ . وعن الحسن أيضا : مطهرة من أن تنزل على المشركين . وقيل : أى القرآن أثبت للملائكة فى صحف يقرءونها فهى مكرمة مرفوعة مطهرة . ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ أى الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله فهم بررة لم يتدنسوا بمعصية . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هى مطهرة تجعل التطهير لمن حملها «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» قال : كَتَبَة . وقاله مجاهد أيضا . وهم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد فى الأسفار التى هى الكتب واحدهم سافر ؛ كقولك : كاتب وكَتَبَة . ويقال : سفرت أى كتبت والكتاب هو السِّفْر وجمعه أَسْفار . قال الزجاج : وإنما قيل للكتاب سِفْرٌ بكسر السين وللكاتب سافر؛ لأن معناه أنه يبين الشىء ويوضحه . يقال : أَسْفر الصبح إذا أضاء، وسَفَرَت المرأة إذا كشفت النقاب عن وجهها . قال : ومنه سَفَرْتُ بين القوم أسفر سِفارة أصلحت بينهم . وقاله الفراء وأنشد :

فما أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي * ولا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيْتُ

والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء . ويقال للورّاقين سفراء بلغة العبرانية . وقال قتادة : السَّفَرَةُ هنا هم القرّاء لأنهم يقرءون الأسفار . وعنه أيضا كقول ابن عباس . وقال وهب بن منبه : «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ» هم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن العربى : لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة كراما بررة ، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية ، ولا قاربوا المرادين بها ، بل هى لفظة مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق، ولا يشاركهم فيها سواهم ، ولا يدخل معهم فى متناولها غيرهم . وروى

فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "[مثل][1] الذى يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السَّفَرة الكرام البررة ومثل الذى يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران" متفق عليه واللفظ للبخارى . ﴿ كِرَامٍ ﴾ أى كرام على ربهم؛ قاله الكلبى. الحسن : كرام عن المعاصى فهم يرفعون أنفسهم عنها . وروى الضحاك عن ابن عباس فى « كِرَامٍ » قال : يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجته أو تبرز لغائطه . وقيل : أى يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم . ﴿ بَرَرَةٍ ﴾ جمع بارّ مثل كافر وكفرة ، وساحر وسحرة ، وفاجر وفجرة ؛ يقال : برٌّ وبارّ إذا كان أهلا للصدق ، ومنه بَرَّ فلانٌ فى يمينه أى صدق ، وفلان يَبَرُّ خالقه ويتبرّره أى يطيعه ؛ فمعنى « بَرَرَةٍ » مطيعون لله صادقون لله فى أعمالهم . وقد مضى فى سورة « الواقعة »[2] قوله تعالى : « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ . كَرِيمٌ فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » أنهم الكرام البررة فى هذه السورة .

قوله تعالى : قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ « قُتِلَ » أى لُعن . وقيل : عُذِّب . والإنسان الكافر . روى الأعمش عن مجاهد قال : ما كان فى القرآن « قُتِلَ الْإِنْسَانُ » فإنما عنى به الكافر . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : نزلت فى عُتْبة بن أبى لهب وكان قد آمن ، فلما نزلت « وَالنَّجْمِ » ارتدّ وقال آمنت بالقرآن كله إلا النجم ، فأنزل الله جل ثناؤه فيه « قُتِلَ الْإِنْسَانُ » أى لعن عتبة حيث كفر بالقرآن ، ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الزيادة من صحيح البخارى .
(٢) راجع جـ ١٧ ص ٢٢٢

فقال : " اللهم سلّط عليه كلبك أسد الغاضرة "[1] فخرج من فوره بتجارة إلى الشام ، فلما انتهى إلى الغاضرة تذكر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل لمن معه ألف دينار إن هو أصبح حيًّا ، فجعلوه في وسط الرفقة ، وجعلوا المتاع حوله ، فبينما هم على ذلك أقبل الأسد ، فلما دنا من الرحال وثب فإذا هو فوقه فمزقه ، وقد كان أبوه ندبه وبكى وقال : ما قال محمد شيئا قط إلا كان . وروى أبو صالح عن ابن عباس « مَا أَكْفَرَهُ » أي شيء أكفره . وقيل : «ما» تعجب ؛ وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا : قاتله الله ما أحسنه ، وأخزاه الله ما أظلمه ؛ والمعنى اعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا . وقيل : ما أكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه على التعجب أيضا ؛ قال ابن جريج : أي ما أشدّ كفره . وقيل : « ما » استفهام أي أيّ شيء دعاه إلى الكفر ؛ فهو استفهام توبيخ . و « ما » تحتمل التعجب ، وتحتمل معنى أيّ فتكون استفهاما . ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ أي من أيّ شيء خلق الله هذا الكافر فيتكبر ؛ أي اعجبوا لخلقه . ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ أي من ماء يسير مهين جماد ﴿ خَلَقَهُ ﴾ فلِمَ يغلظ في نفسه ؟ ! . قال الحسن : كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين . ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ في بطن أمه . كذا روى الضحاك عن ابن عباس : أي قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه ، وحسنا ودميا ، وقصيرا وطويلا ، وشقيا وسعيدا . وقيل : « فَقَدَّرَهُ » أي فسواه كما قال : « أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا » . وقال : « الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ » . وقيل : « فَقَدَّرَهُ » أطوارا أي من حال إلى حال ؛ نطفة ثم علقة إلى أن تم خلقه . ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء وقتادة والسدي ومقاتل : يسره للخروج من بطن أمه . مجاهد : يسره لطريق الخير والشر ؛ أي بين له ذلك . دليله : « إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ » و « هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » . وقاله الحسن وعطاء وابن عباس أيضا في رواية أبي صالح عنه . وعن مجاهد أيضا قال : سبيل

---

(١) كذا لفظ الحديث في الأصول ورواية أبي حيان له : " اللهم ابعث عليه كلبك يأكله " ، ثم قال : فلما انتهى إلى الغاضرة ... الخ .

الشقاء والسعادة . ابن زيد : سبيل الإسلام . وقال أبو بكر بن طاهر : يسر على كل أحد ما خلقه له ، وقدره عليه ؛ دليله قوله عليه السلام : "اعملوا فكلٌّ مُيَسَّر لما خُلِق له" .

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ أى جعل له قبرا يوارى فيه إكراما ، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعَوَافى (١) ؛ قاله الفراء . وقال أبو عبيدة : « أَقْبَرَهُ » جعل له قبرا ، وأمر أن يقبر . قال أبو عبيدة : ولما قتل عُمَرُ بن هبيرة صالحَ بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه : أَقْبِرنا صالحا ؛ فقال : دونكموه . وقال : « أَقْبَرَهُ » ولم يقل قبره ؛ لأن القابر هو الدافن بيده ، قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إلى نَحْرِها * عاشَ ولَمْ يُنْقَلْ إلى قابِرِ

يقال : قبرت الميت إذا دفنته ، وأقبره الله أى صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا ؛ تقول العرب : بترتُ ذَنَبَ البعير وأبتره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله ، وطردت فلانا والله أطرده أى صيره طريدا . ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ أى أحياه بعد موته . وقراءة العامة « أَنْشَرَهُ » بالألف . وروى أبو حيوة عن نافع وشعيب بن أبى حمزة « شَاءَ نَشَرَهُ » بغير ألف لغتان فصيحتان بمعنى ؛ يقال : أنشر الله الميت ونَشَره ؛ قال الأعشى :

حتّى يقولَ النّاسُ ممّا رَأوا * يا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النّاشِرِ

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ قال مجاهد وقتادة : « لَمَّا يَقْضِ » لا يقضى أحد ما أمر به . وكان ابن عباس يقول : « لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ » لم يف بالميثاق الذى أخذ عليه فى صلب آدم . ثم قيل : « كَلَّا » ردع وزجر أى ليس الأمر كما يقول الكافر ؛ فإن الكافر إذا أخبر بالنشور قال : « وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى » ربما يقول قد قضيت ما أمرت به ، فقال : كلا لم يقض شيئا بل هو كافر بى وبرسولى . وقال الحسن : أى حقًّا لم يقض أى لم يعمل بما أمر به . و « مَا » فى قوله : « لَمَّا » عماد للكلام ؛ كقوله تعالى : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ » وقوله : « عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ »

---

(١) العوافى : طلاب الرزق من الإنس والدواب والطير ؛ والمراد هنا الوحوش والبهائم .

وقال الإمام ابن فورك : أى كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان ، بل أمره بما لم يقض له . ابن الأنبارى : الوقف على « كَلَّا » قبيح ، والوقف على « أَمَرَهُ » و « أَنْشَرَهُ » جيد ؛ فـ « كَلَّا » على هذا بمعنى حقا .

قوله تعالى : فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ لما ذكر جل ثناؤه ابتداء خلق الإنسان ذكر ما يسر من رزقه ؛ أى فلينظر كيف خلق الله طعامه . وهذا النظر نظر القلب بالفكر ؛ أى ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذى هو قوام حياته ، وكيف هيأ له أسباب المعاش ليستعدّ بها للمعاد . وروى عن الحسن ومجاهد قالا : « فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ » أى إلى مدخله ومخرجه . وروى ابن أبى خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابى قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : " يا ضحاك ما طعامك " قلت : يا رسول الله ! اللحم واللبن ؛ قال : " ثم يصير إلى ماذا " قلت إلى ما قد علمته ؛ قال : " فإن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا " . وقال أبىّ بن كعب قال النبى صلى الله عليه وسلم : " إن مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وإن قزّحه[1] وملّحه فانظر إلى ما يصير " . وقال أبو الوليد : سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه ؛ قال : يأتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به إلى ما صار .

(١) قزحه : أى تبله من القزح وهو التابل الذى يطرح فى القدر كالكمون والكزبرة ونحو ذلك . والمعنى : إن المطعم وإن تكلف الإنسان التنوق فى صنعته وتطييبه فإنه عائد إلى حال يكره ويستقذر فكذلك الدنيا المحروص على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار . « النهاية » .

قوله تعالى : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ قراءة العامة « إِنَّا » بالكسر على الاستئناف . وقرأ الكوفيون ورويس عن يعقوب « أَنَّا » بفتح الهمزة فـ « أنَّا » فى موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهو بدل منه ؛ كأنه قال : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ » إلى « أَنَّا صَبَبْنَا » فلا يحسن الوقف على « طَعَامِهِ » من هذه القراءة . وكذلك إن رفعت « أَنَّا » بإضمار هو أنا صببنا ؛ لأنها فى حال رفعها مترجمة عن الطعام . وقيل : المعنى لأنّا صببنا الماء فأخرجنا به الطعام أى كذلك كان . وقرأ الحسين بن علىّ (1) « أَنَّى » ممال بمعنى كيف . فمن أخذ بهذه القراءة قال : الوقف على « طعامه » تام . ويقال : معنى « أنّى » أين إلا أنّ فيها كناية عن الوجوه ؛ وتأويلها : من أى وجه صببنا الماء ؛ قال الكميت :

أَنَّى ومِنْ أَيْنَ آبَكَ (2) الطَّـرَبُ * مِن حيثُ لا صَبْوَةٌ ولا رِيَبُ

« صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا » يعنى الغيث والأمطار . ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ أى بالنبات ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ أى قمحا وشعيرا وسُلْتًا (3) وسائر ما يحصد ويدّخر ﴿ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴾ وهو القَتُّ والعَلَفُ ؛ عن الحسن ؛ سمى بذلك لأنه يُقْضَب أى يُقْطَع بعد ظهوره مرة بعد مرة . قال القتبىّ وثعلب : وأهل مكة يسمون القتّ القَضْب . وقال ابن عباس : هو الرُّطَب لأنه يُقْضَب من النخل ؛ ولأنه ذكر العنب قبله . وعنه أيضا : أنه الفِصْفِصَة وهو القتّ الرَّطْب . وقال الخليل : القَضْب الفِصفِصة الرَّطْبة . وقيل : بالسين فإذا يبست فهو قتّ . قال : والقَضْب اسم يقع على ما يُقْضَب من أغصان الشجرة ليتخذ منها سهام أو قِسِىّ . ويقال : قضبا يعنى جميع ما يقضب مثل القتّ والكرّاث وسائر البقول التى تقطع فينبت أصلها . وفى الصحاح : والقَضْبة والقَضْب الرَّطْبة وهى الإسْفِسْتُ بالفارسية والموضع الذى ينبت فيه مَقْضَبَةٌ . ﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ وهى شجرة الزيتون ﴿ وَنَخْلًا ﴾ يعنى النخيل ﴿ وَحَدَائِقَ ﴾ أى

---

(1) فى نسخة : قرأ بعض القراء .

(2) آبك : أتاك . الريب : صروف الدهر .

(3) السلت (بالضم) : ضرب من الشعير .

بساتين واحدها حديقة . قال الكلبي : وكل شيء أحيط عليه من نخيل أو شجر فهو حديقة، وما لم يحط عليه فليس بحديقة . ﴿ غُلْبًا ﴾ عظاما شجرها ؛ يقال : شجرة غَلْبَاءُ، ويقال للأسد الأغلب ؛ لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جميعا ؛ قال العجّاج :

ما زِلتُ يومَ البَيْنِ ألوِي صُلْبِي * والرأسَ حتى صِرتُ مِثلَ الأغْلَبِ

ورجل أغلب بَيِّن الغَلَب إذا كان غليظ الرقبة . والأصل في الوصف بالغُلْب الرِّقابُ فاستعير؛ قال عمرو بن معدى كَرِب :

يمْشِي بها غُلْبُ الرِّقابِ كأنَّهم * بُزْلٌ كُسِينَ من الكُحَيْلِ جِلالا (١)

وحديقة غَلْباء ملتفّة وحدائق غُلْب . واغْلَوْلَب العُشبُ بلغ والتف البعض بالبعض . قال ابن عباس : الغُلْب جمع أغلب وغلباء وهي الغلاظ . وعنه أيضا الطوال . قتادة وابن زيد : النخل الكرام . وعن ابن زيد أيضا وعكرمة : عظام الأوساط والجذوع . مجاهد : ملتفة . ﴿ وَفَاكِهَةً ﴾ أي ما تأكله الناس من ثمار الأشجار كالتين والخوخ وغيرهما . ﴿ وَأَبًّا ﴾ هو ما تأكله البهائم من العُشب ؛ قال ابن عباس والحسن : الأبّ كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس، وما يأكله الآدميون هو الحصيد ؛ ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

له دَعوةٌ مَيْمونةٌ رِيحُها الصَّبا * بها يُنْبِتُ الله الحَصِيدةَ والأبّا

وقيل: إنما سمى أبًّا؛ لأنه يُؤَبّ أي يُؤَمّ ويُنتجَع . والأَبّ والأمّ أخوان؛ قال :

جِذْمُنا قَيْسٌ ونَجْدٌ دارُنا * ولنا الأَبُّ بِهِ والمَكْرَعُ (٢)

وقال الضحاك : الأبّ كل شيء ينبت على وجه الأرض . وكذا قال أبو رزين : هو النبات؛ يدل عليه قول ابن عباس قال : الأبّ ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام .

(١) الكحيل : نوع من القطران تطلى به الإبل للجرب ولا يستعمل إلا مصغرا . وجل الدابة : الذى تلبسه لتصان به والجمع جلال وأجلال .

(٢) الجذم (بكسر الجيم) : الأصل . والمكرع : مفعل من الكرع أراد به الماء الصالح للشرب .

وعن ابن عباس أيضا وابن أبى طلحة : الأبّ الثمار الرّطبة . وقال الضحاك : هو التين خاصة . وهو محكى عن ابن عباس أيضا ؛ قال الشاعر :

فما لهم مرتع للسَّوا (١) * م والأبُّ عندهم يُقدَر

الكلبيّ : هو كل نبات سوى الفاكهة . وقيل : الفاكهة رَطْب الثمار والأبّ يابسها. وقال إبراهيم التيميّ : سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن تفسير الفاكهة والأبّ فقال : أىّ سماء تُظلّنى وأىّ أرض تُقلّنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم . وقال أنس : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال : كل هذا قد عرفناه فما الأبّ؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال : هذا لَعَمْرُ الله التكلّف وما عليك يابن أم عمر ألّا تدرى ما الأبّ . ثم قال : اتبعوا ما بُيِّن لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خُلقتم من سبع ورُزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع " وإنما أراد بقوله : " خُلقتم من سبع " يعنى « مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ » الآية ، والرزق من سبع وهو قوله تعالى : «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا» إلى قوله : «وَفَاكِهَةً» ثم قال : «وَأَبًّا» وهو يدل على أنه ليس برزق لابن آدم وأنه مما تختص به البهائم . والله أعلم . ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ ﴾ نصب على المصدر المؤكد ؛ لأن إنبات هذه الأشياء إمتاع لجميع الحيوانات . وهذا ضرب مثلٍ ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم ؛ كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه فى غير موضع . ويتضمن امتنانا عليهم بما أنعم به وقد مضى فى غير موضع أيضا .

قوله تعالى : فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(١) السوام والسائمة : المال الراعى من الإبل والغنم وغيرهما .

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد ليتزودوا له بالأعمال الصالحة وبالإنفاق مما آمتن به عليهم . والصّاخّة الصيحة التى تكون عنها القيامة وهى النفخة الثانية ، تُصِيخ الأسماعَ أى تُصِمّها فلا تسمع إلا ما يدعى به للإحياء . وذكر ناس من المفسرين قالوا : تُصِيخ لها الأسماع من قولك أصاخ إلى كذا أى آستمع إليه ؛ ومنه الحديث : "ما مِن دابة إلا وهى مُصِيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة إلّا الجنّ والإنس" وقال الشاعر :

يُصِيخُ لِلنَّبْأَةِ أَسْمَاعَهُ * إِصَاخَةَ النَّاشِدِ لِلْمُنْشِدِ

قال بعض العلماء : وهذا يؤخذ على جهة التسليم للقدماء فأما اللغة فمقتضاها القول الأوّل ؛ قال الخليل : الصّاخّة صيحة تَصخّ الآذانَ صخّا أى تُصِمُّها بشدة وقعتها . وأصل الكلمة فى اللغة الصكّ الشديد . وقيل : هى مأخوذة من صخه بالحجر إذا صكّه ؛ قال الراجز :

يا جَارَتِى هَلْ لَكِ أَن تُجَالِدِى * جِلَادَةً كَالصَّكِّ بِالجَلَامِدِ

ومن هذا الباب قول العرب : صخّتهم الصاخه وباتتهم البائتة وهى الداهية . الطبرى : وأحسبه من صخّ فلانٌ فلانا إذا أصمّه . قال آبن العربى : الصاخة التى تورث الصمم، وإنها لَمُسْمِعة وهذا من بديع الفصاحة ، حتى لقد قال بعض حديثى الأسنان حديثى الأزمان :

* أَصَمّ بِك النّاعِى وإِنْ كان أَسْمَعا *

وقال آخر :

أَصَمَّنِى سِرُّهُمْ أيامَ فُرْقَتِهم * فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِسِرٍّ يُورِثُ الصَّمَما

ولَعمر الله إنّ صيحة القيامة لَمُسْمِعة تُصِمُّ عن الدنيا وتُسْمِع أُمور الآخرة .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ أى يهرب أى تجىء الصاخة فى هذا اليوم الذى يهرب فيه من أخيه ؛ أى من موالاة أخيه ومكالمته ؛ لأنه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه ؛ كما قال بعده : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ أى يشغله عن غيره . وقيل : إنما يفر حذرا من مطالبتهم إياه لما بينهم من التبعات . وقيل : لئلا يروا ما هو

فيه من الشدة . وقيل : لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا ؛ كما قال : « يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً » . وقال عبد الله بن طاهر الأبهرى : يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك فى الدنيا لما آعتمد شيئا سوى ربه تعالى . ﴿ وَصَاحِبَتِهِ ﴾ أى زوجته . ﴿ وَبَنِيهِ ﴾ أى أولاده .

وذكر الضحاك عن آبن عباس قال : يفر قابيل من أخيه هابيل ، ويفر النبى صلى الله عليه وسلم من أمه ، وإبراهيم عليه السلام من أبيه ، ونوح عليه السلام من آبنه ، ولوط من آمرأته ، وآدم من سوأة بنيه . وقال الحسن : أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم ، وأول من يفر من آبنه نوح ، وأول من يفر من آمرأته لوط . قال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ . ﴿ لِكُلِّ آمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " يُحشر الناسُ يوم القيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا " قلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : " يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض " . خرجه الترمذى عن آبن عباس أن النبى صلى عليه وسلم قال : " يحشرون حُفاةً عُراةً غُرْلًا " فقالت آمرأة : أينظر بعضنا — أو بعضنا يرى — عورة بعض؟ قال : " يافلانة " " لكل آمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه " قال : حديث حسن صحيح . وقراءة العامة بالغين المعجمة ؛ أى حال يشغله عن الأقرباء . وقرأ آبن محيصن وحميد « يَعْنِيهِ » بفتح الياء وعين غير معجمة ؛ أى يعنيه أمره . وقال القتبى : يعنيه يصرفه ويصدّه عن قرابته ؛ ومنه يقال : آعْنِ عنّى وجهك أى آصرفه وآعْنِ عن السّفيه ؛ قال خُفَاف :

سَيَعْنِيكَ حَرْبُ بَنِي مَالِكٍ * عن الفُحْشِ والجهْلِ فى المَحْفِلِ

قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴾ أى مشرقة مضيئة قد علمت مالها من الفوز والنعيم ، وهى وجوه المؤمنين . ﴿ ضَاحِكَةٌ ﴾ أى مسرورة فرحة . ﴿ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ أى بما

أتاها الله من الكرامة . وقال عطاء الخُراسانى : « مُسْفِرَةٌ » من طول ما اغبرّت فى سبيل الله جل ثناؤه . ذكره أبو نُعَيم . الضحاك : من آثار الوضوء . ابن عباس : من قيام الليل؛ لما روى فى الحديث : "من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار" يقال : أسفر الصبح إذا أضاء . ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ أى غبار ودخان ﴿ تَرْهَقُهَا ﴾ أى تغشاها ﴿ قَتَرَةٌ ﴾ أى كسوف وسواد . كذا قال ابن عباس . وعنه أيضا : ذِلّة وشِدّة . والقَتَر فى كلام العرب الغُبار جمع القترة عن أبى عبيد ؛ وأنشد الفرزدق :

مُتَوَّجٌ بِرِداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ * مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّاياتِ والقَتَرا

وفى الخبر : إن البهائم إذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار. وقال زيد بن أسلم : القَتَرة ما ارتفعت إلى السماء ، والغَبَرة ما انحطت إلى الأرض ، والغبار والغبرة واحد . ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ ﴾ جمع كافر ﴿ الْفَجَرَةُ ﴾ جمع فاجر وهو الكاذب المفترى على الله تعالى . وقيل : الفاسق ؛ [يقال] : فجر فجورا أى فسق وفجر أى كذب ، وأصله الميل والفاجر المائل . وقد مضى بيانه والكلام فيه والحمد لله وحده .

سورة التكوير

مكية فى قول الجميع وهى تسع وعشرون آية

وفى الترمذى : عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة [كأنه رأى عين][1] فليقرأ إذا الشمس كورت و إذا السماء انفطرت و إذا السماء انشقت" قال : هذا حديث حسن [غريب] .

---

(١) الزيادة من صحيح الترمذى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قال ٱبن عباس : تكويرها إدخالها فى العرش . الحسن : ذهاب ضوئها . وقاله قتادة ومجاهد ، وروى عن ٱبن عباس أيضا . سعيد بن جبير : غُوِّرَتْ . أبو عبيدة : كُوِّرت مثل تكوير العمامة تُلَفُّ فتمْحَى . وقال الربيع بن خُثَيْم : « كُوِّرَتْ » رُمِي بها ؛ ومنه كَوَّرْتُه فتَكَوَّر أى سقط .

قلت : وأصل التكوير الجمع مأخوذ من كار العمامة على رأسه يَكُورُها أى لاثَها وجَمعها فهى تُكَوَّر ويُمْحَى ضوءها ثم يُرْمَى بها فى البحر . والله أعلم . وعن أبى صالح : كُوِّرت نكست .

﴿ وَإِذَا النُّجُومُ ٱنْكَدَرَتْ ﴾ أى تهافتت وتناثرت . وقال أبو عبيدة : ٱنصبت كما ينصب العُقاب إذا ٱنكسرت . قال العَجّاج يصف صقرا : (١)

أَبْصَرَ خِرْبانَ فَضاءٍ فَانْكَدَرْ * تَقَضِّيَ الْبَازِي إِذَا الْبازِي كَسَرْ

---

(١) هكذا البيت فى نسخ الأصل التى بأيدينا والذى فى ديوان العجاج رواية الأصمعى نسخة الشنقيطي : قال يمدح عمرو بن عبيد الله بن معمر : قد جبر الدين الاله فجبر . إلى أن قال :

دانى جناحيه من الطور فمر * تقضى البازى إذا البازى كسر
أبصر خربان فضاء فانكدر * شاكى الكلاليب إذا أهوى ٱطفر

الطور الجبل وعنى هنا الشام ، يقول : ٱنقض ٱبن معمر انقضاضة من الشام ٱنقضاض البازى ضم جناحيه . وخربان جمع خرب وهو ذكر الحبارى ، والكلاليب المخالب ، وٱطفر أصله ٱظتفر فأبدلت التاء طاء فأدغمت فى الظاء .

وروى أبو صالح عن آبن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايبق في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض حتى يفزع أهل الأرض السابعة مما لقيت وأصاب العليا " يعني الأرض . وروى الضحاك عن آبن عباس قال : تساقطت؛ وذلك أنها قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من في الأرض ومن في السموات فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة؛ لأنه مات من كان يمسكها . ويحتمل أن يكون آنكدارها طمس آثارها . وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوئها . وعن آبن عباس أيضا : آنكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها . والمعنى متقارب . ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ يعني قلعت من الأرض وسيرت في الهواء؛ وهو مثل قوله تعالى : «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً» . وقيل : سيرها تحوّلها عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا أي رملا سائلا، وتكون كالعهن، وتكون هباء منثورا ، وتكون سرابا مثل السَّراب الذي ليس بشيء . وعادت الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتاء، وقد تقدم في غير موضع والحمد لله . ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ أي النوق الحوامل التي في بطونها أولادها؛ الواحدة عشراء أو التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك آسمها حتى تضع وبعد ما تضع أيضا. ومن عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدّم وإن كان قد جاوز ذلك؛ يقول الرجل لفرسه وقد قرح : هاتوا مهري وقربوا مُهْري يسميه بمتقدّم آسمه ؛ قال عَنْترة :

لا تَذْكُرِي مُهْرِي وما أَطْعَمْتُهُ * فَيَكونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَجْرَب

وقال أيضا :

* وحَمَلْتُ مُهْرِي وَسْطَها فَمَضَاها[1] *

وإنما خص العشار بالذكر؛ لأنها أعز ما تكون على العرب وليس يعطلها أهلها إلا حال القيامة. وهذا على وجه المثل ؛ لأن في القيامة لاتكون ناقة عشراء ، ولكن أراد به المثل ؛ أن هول

(١) صدره : * وضربت قرني كبشها فتجدلا *

يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها وٱشتغل بنفسه . وقيل : إنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضا ، ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عِشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها . وخوطبت العرب بأمر العِشار ؛ لأن مالها وعيشها أكثره من الإبل . وروى الضحاك عن ٱبن عباس : عُطِّلَتْ عطلها أهلها لٱشتغالهم بأنفسهم . وقال الأعشى :

هُوَ الواهِبُ المائةَ المُصْطَفا ✽ ةَ إمَّا مَخاضًا وإمَّا عِشارا

وقال آخر :

تَرَى المَرْءَ مَهْجورا إذا قَلَّ مالُه ✽ وبَيْتُ الغَنِيّ يُهْدَى لَهُ ويُزارُ

وما يَنفَعُ الزُّوّارَ مالُ مَزُورِهِم ✽ إذا سَرَّحَتْ شُولٌ(١) له وعِشارُ

يقال : ناقة عشراء وناقتان عشراوان ونوق عِشار وعشراوات يبدلون من همزة التأنيث واوا . وقد عَشَّرت الناقةُ تعشيرا أى صارت عَشْراء . وقيل : العِشار السحاب يُعطَّل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر ؛ والعرب تشبه السحاب بالحامل . وقيل : الديار تُعطَّل فلا تُسكَن . وقيل : الأرض التى يُعشَّر زرعُها تُعطَّل فلا تُزرَع . والأول أشهر وعليه من الناس الأكثر . ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أى جمعت والحشر الجمع . عن الحسن وقتادة وغيرهما . وقال ٱبن عباس : حشرها موتها . رواه عنه عِكرمة . وحَشْر كل شيء الموتُ غير الجن والإنس فإنهما يوافيان يوم القيامة . وعن ٱبن عباس أيضا قال : يحشر كل شيء حتى الذباب . قال ٱبن عباس : تحشر الوحوش غدا ؛ أى تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها كونى ترابا فتموت . وهذا أصح مما رواه عنه عِكرمة ، وقد بيد فى كتاب « التذكرة » مستوفى ، ومضى فى سورة « الأنعام »(٢) بعضه . أى إن الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببنى آدم . وقيل : عنى بهذا أنها مع نفرتها اليوم من الناس وتبددها

(١) فى نسخة : بزل . (٢) راجع جـ ٦ ص ٤٢١

فى الصحارى ، تضم غدا إلى النـاس من أهوال ذلك اليوم . قال معناه أبيّ بن كعب .
﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّـرَتْ ﴾ أى ملئت من المـاء ؛ والعـرب تقول : سَجَرتُ الحوض أسجُره سَجْرا إذا ملأته وهو مسجور، والمسجور والساجر فى اللغة الملآن . وروى الربيع بن خيثم : سُجِّـرت فاضت وملئت . وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك . قال آبن أبى زمنين : سُجِّرَتْ حقيقته ملئت فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحدا . وهو معنى قول الحسن . وقيل : أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى آمتلأت . عن الضحاك ومجاهد : أى فجرت فصارت بحرا واحدا . القشيرى : وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذى ذكره فى قوله تعـالى : « بَيْنَهُـمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ » فإذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الأرض كلها ، وصارت البحار بحرا واحدا . وقيـل : صارت بحرا واحدا من الحميم لأهـل النار . وعن الحسن أيضا وقتادة وآبن حيان : تيبس فلا يبقى من مائها قطرة . القشـيرى : وهو من سَجرتَ التنور أسجُره سَجْرا إذا أحميتـه ، وإذا سُلِّط عليـه الإيقاد نشف ما فيـه من الرطوبة ، وتُسَـيَّر الجبال حينئذ، وتصير البحار والأرض كلها بساطا واحدا ، بأن يملأ مكان البحار بتراب الجبال . وقال النحاس : وقـد تكون الأقوال متفقة ؛ يكون تَيَبُّس من المـاء بعد أن يفيض بعضها إلى بعض فتقلب نارا .

قلت : ثم تسير الجبال حينئذ كما ذكر القشيرى والله أعلم . وقال آبن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وأُبيّ وعليّ بن أبى طالب وآبن عبـاس فى رواية الضحاك عنـه : أوقدت فصارت نارا . قال آبن عبـاس : يكوِّر الله الشمس والقمر والنجوم فى البحر ، ثم يبعث الله عليها ريحا دَبُورا فتنفخه حتى يصير نارا . وكذا فى بعض الحديث : "يأمر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينتثرن فى البحر ثم يبعث الله جل ثناؤه الدَّبور فيسجرها نارا فتـلك نار الله الكبرى التى يُعـذِّب بها الكفار" . قال القشيرى : قيل فى تفسـير قول آبن عباس « سُجِّـرَتْ » أوقدت يحتمل أن تكون جهنم فى قعور من البحار ، فهى الآن غير مسـجورة لقوام الدنيا، فإذا آنقضت الدنيـا سجرت فصارت كلها نارا يدخلها الله أهلها . ويحتمل أن تكون تحت البحر نار، ثم يوقـد الله البحر كله فيصـير نارا . وفى الخبر : البحر نار فى نار .

وقال معاوية بن سعيد : بحر الروم وسط الأرض أسفله آبار مطبقة بنحاس يسجر نارا يوم القيامة . وقيل : تكون الشمس فى البحر، فيكون البحر نارا بحرّ الشمس . ثم جميع ما فى هذه الايات يجوز أن يكون فى الدنيا قبل القيامة ويكون من أشراطها، ويجوز أن يكون يوم القيامة، وما بعد هذه الآيات فيكون فى يوم القيامة .

قلت : روى عن عبد الله بن عمرو : لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم . وقال أبىّ بن كعب : ست آيات من قبل يوم القيامة ؛ بينما الناس فى أسواقهم ذهب ضوء الشمس و بدت النجوم فتحيروا ودهشوا ، فبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجوم وتساقطت ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت وآضطربت وآحترقت فصارت هباء منثورا ، ففزعت الإنس الى الجنّ والجنّ إلى الإنس، وآختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير، وماج بعضها فى بعض، فذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ثم قالت الجنّ للإنس : نحن نأتيكم بالخبر، فآنطلقوا إلى البحار فإذا هى نار تأجج، فبينما هم كذلك تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السّفلى ، وإلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم . وقيل : معنى « سُجِّرَتْ » هو حمرة مائها حتى تصير كالدم؛ مأخوذ من قولهم : عين سجراء أى حمراء . وقرأ آبن كثير « سُجِرَتْ » وأبو عمرو أيضا إخبارا عن حالها مرة واحدة . وقرأ الباقون بالتشديد إخبارا عن حالها فى تكرير ذلك منها مرة بعد أخرى .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قال النعمان بن بشير : قال النبى صلى الله عليه وسلم « وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » قال : "يُقرَن كُلُّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله". وقال عمر بن الخطاب : يقرن الفاجر مع الفاجر، ويقرن الصالح مع الصالح . وقال آبن عباس : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة، السابقون زوج ـ يعنى صنفا ـ وأصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج . وعنه أيضا قال : زوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين، وقرن الكافر بالشياطين وكذلك المنافقون. وعنه أيضا: قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار،

فيضم المبرّز فى الطاعة إلى مثله ، والمتوسط إلى مثله ، وأهل المعصية إلى مثله ؛ فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله ؛ والمعنى : وإذا النفوس قرنت إلى أشكالها فى الجنة والنار . وقيل : يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان ، كما قال تعالى : « ٱحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ » . وقال عبد الرحمن بن زيد : جعلوا أزواجا على أشباه أعمالهم ليس بتزويج ، أصحاب اليمين زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، والسابقون زوج ؛ وقد قال جل ثناؤه : « ٱحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ » أى أشكالهم . وقال عِكرمة : « وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ » قرنت الأرواح بالأجساد ؛ أى ردت إليها . وقال الحسن : ألحق كل آمرئ بشيعته ؛ اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض ، والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين . وقيل : يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة ، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين . وقيل : قرنت النفوس بأعمالها فصارت لآختصاصها به كالتزويج .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ الموءودة المقتولة ؛ وهى الجارية تدفن وهى حية ، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤودها أى يثقلها حتى تموت ؛ ومنه قوله تعالى : « وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا » أى لا يثقله ؛ وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرة :

وموءودةٍ مقبورةٍ فِى مَفَازَةٍ * بآمّتِها مَوْسُودةٍ لم تُمَهَّدِ[1]

وكانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين ؛ إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به . الثانية إما مخافة الحاجة والإملاق ، وإما خوفا من السبي والآسترقاق . وقد مضى

---

(١) كذا روى البيت ونسب إلى متمم بن نويرة فى الأصول ، ونسبه اللسان وشرح القاموس مادة (عوز) إلى حسان رضى الله عنه وروى فيهما :

وموءودة مقرورة فى معاوز * بآمتها مرموسة لم توسد

والآمّة : ما يعلق بسرة المولود إذا سقط من بطن أمه . والمعاوز : خرق يلف بها الصبي .

فى سورة «النحل» هذا المعنى عند قوله تعالى : « أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ »(١) مستوفى . وقد كان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا، و يمنعون منه حتى آفتخر به آلفرزدق، فقال :

ومِنَّا الّذى مَنَعَ الوَائِدَاتِ(٢) * فَأَحْيَا الْوَئِيدَ فَلَمْ يُوأَدِ

يعنى جَدّه صَعْصَعة كان يشتريهن من آبائهن ، لجاء الإسلام وقد أحيا سبعين موءودة . وقال آبن عباس : كانت المرأة فى الجاهليـة إذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها فى الحفرة وردّت التراب عليها، وإن ولدت غلاما حبسته ؛ ومنه قول الراجز :

سَمَّيْتُهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمُوتُ * والقَبْرُ صِهْرٌ ضَامِنٌ زِمِّيتُ

الزِّمِّيت الوقور، والزِّميت مثال الفِسِّيق أَوْقَر من الزِّمِيت، وفلان أزمت الناس أى أوقرهم، وما أشـد تَزَمُّته ؛ عن الفراء . وقال قتادة : كانت الجاهلية يقتل أحدهم آبنته و يغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك وتوعَّدهم بقوله : «وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ» قال عمر فى قوله تعالى «وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ» قال : جاء قيس بن عاصم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله! إنى وأدت ثمان بنات كنّ لى فى الجاهلية، قال : "فأعتق عن كل واحدة منهن رقبة" قال : يا رسول الله إنى صاحب إبل، قال : "فأهد عن كل واحدة منهنّ بَدَنة إن شئت" . وقوله تعالى : «سُئِلَتْ» سؤال الموءودة سؤال توبيخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضُرِب لم ضُرِبت وما ذنبك؟ قال الحسن : أراد الله أن يوبخ قاتلها؛ لأنها قُتِلت بغير ذنب . وقال آبن أسلم : بأى ذنب ضُرِبت وكانوا يضربونها . وذكر بعض أهل العلم فى قوله تعالى « سُئِلَت » قال : طُلِبت ؛ كأنه يريد كما يُطْلَب بدم القتيل . قال : وهو كقوله : « وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا » أى مطلوبا . فكأنها طُلِبت منهم ، فقيل أين أولادكم ؟ ! وقرأ الضحاك وأبو الضحا عن جابر بن زيد وأبى صالح « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ » فتتعلق الجارية بأبيها فتقول : بأىّ ذنب

(١) راجع جـ ١٠ ص ١١٧

(٢) و يروى : وجدّى الذى منع الوائدات ... الخ .

قتلتنى؟ ! فلا يكون له عذر ؛ قاله ابن عباس وكان يقرأ « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ » وكذلك هو فى مصحف أُبَىّ . وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن المرأة التى تقتل ولدها تأتى يوم القيامة متعلقا ولدها بثدييها ملطخا بدمائه فيقول يا ربّ هذه أمى وهذه قتلتنى " والقول الأول عليه الجمهور ، وهو مثل قوله تعالى لعيسى : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ » على جهة التوبيخ والتبكيت لهم ، فكذلك سؤال الموءودة توبيخ لوائدها ، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها ؛ لأن هذا مما لا يصح إلا بذنب ، فبأىّ ذنب كان ذلك ، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها كان أعظم فى البلية وظهور الحجة على قاتلها . والله أعلم . وقرئ «قُتِّلَتْ» بالتشديد وفيه دليل بيّن على أن أطفال المشركين لا يُعذّبون ، وعلى أن التعذيب لا يُستحق إلا بذنب .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ أى فتحت بعد أن كانت مطوية ، والمراد صحف الأعمال التى كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر ، تطوى بالموت وتنشر فى القيامة ، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول : « مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » . وروى مرثد بن وداعة قال : إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش ، فتقع صحيفة المؤمن فى يده «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» إلى قوله : «الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» وتقع صحيفة الكافر فى يده « فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ » إلى قوله : وَلَا كَرِيمٍ » . وروى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يُحشر الناسُ يوم القيامة حُفاةً عُراةً" فقلت : يا رسول الله ! فكيف بالنساء؟ قال : " شُغِلَ الناسُ يا أم سلمة " قلت : وما شَغَلهم ؟ قال : " نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل " . وقد مضى فى سورة « سبحان »(١) قول أبى السوّار العدوى : هما نشرتان وطية ؛ أما ما حييت يابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت ، فإذا مت طُويت ، حتى إذا بعثت نشرت « اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » . وقال مقاتل : إذا مات المرء طويت صحيفة عمله فإذا كان يوم القيامة نشرت . وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذا قرأها قال : إليك يساق

(١) راجع جـ ١٠ ص ٢٣٠

الأمر يابن آدم . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو « نُشِرَتْ » مخففة على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة . الباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة فى تقريع العاصى وتبشير المطيع . وقيل : لتكرار ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ الكشط قلع عن شدة التزاق ؛ فالسماء تُكشَط كما يُكشَط الجلد عن الكبش وغيره ، والقشط لغة فيه . وفى قراءة عبد الله « وَإِذَا السَّمَاءُ قُشِطَتْ » وكشطت البعير كشطا نزعت جلده ، ولا يقال سلخته ؛ لأن العرب لا تقول فى البعير إلا كشطته أو جلَّدته وانكشط أى ذهب ؛ فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء . وقيل تطوى كما قال تعالى : « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ » فكأن المعنى قلعت فطويت . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ أى أوقدت فأضرمت للكفار وزيد فى إحمائها . يقال : سعرت النار وأسعرتها . وقراءة العامة بالتخفيف من السعير . وقرأ نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد ؛ لأنها أوقدت مرة بعد مرة . قال قتادة : سعَّرها غضبُ الله وخطايا بنى آدم . وفى الترمذى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة " وروى موقوفا .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أى أدنيت وقربت من المتقين . قال الحسن : إنهم يقربون منها ؛ لا أنها تزول عن موضعها . وكان عبد الرحمن بن زيد يقول : زينت(١) والزلفى فى كلام العرب القربة ؛ قال الله تعالى : « وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ » وتزلف فلان تقرب .

قوله تعالى : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ يعنى ما عملت من خير وشر . وهذا جواب « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » وما بعدها . قال عمر رضى الله عنه : لهذا أجرى الحديث . وروى

---

(١) فى نسخة : أدنيت .

عن ٱبن عباس وعمر رضى الله عنهما أنهما قرأاها فلما بلغا « عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ » قالا: لهذا أجريت القصة ؛ فالمعنى على هذا إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت من عملها . وفى الصحيحين عن عدىّ بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ما بينه و بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّمه [وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم](١) بين يديه فتستقبله النار فمن ٱستطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل". وقال الحسن : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » قسم وقع على قوله : « عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ » كما يقال : إذا نفر زيد نفر عمرو . والقول الأوّل أصح . وقال ٱبن زيد عن ٱبن عباس فى قوله تعالى : « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » إلى قوله : « وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ » ٱثنتا عشرة خصلة ؛ ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة ؛ وقد بينا الستة الأولى بقول أبىّ بن كعب .

قوله تعالى : فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ ﴾ أى أقسم و « لا » زائدة كما تقدّم . ﴿ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِى الْكُنَّسِ ﴾ هى الكواكب الخمسة الدرارىّ : زُحَل والمشترِى وعُطَارِد والمرّيخ والزُّهَرة ، فيما ذكر أهل التفسير . والله أعلم . وهو مروىّ عن علىّ كرم الله وجهه . وفى تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان : أحدهما — لأنها تستقبل الشمس ؛ قاله بكر بن عبد الله المزنى . الثانى — لأنها تقطع المجرّة ؛ قاله ٱبن عباس . وقال الحسن وقتادة : هى النجوم التى تخنس

(١) الزيادة من صحيح مسلم

بالنهار وإذا غربت، وقاله عليّ رضي الله عنه قال : هي النجوم تَخْنِس بالنهار وتظهر بالليل، وتكنِس في وقت غروبها؛ أي تتأخر عن البصر لخفائها فلا تُرَى. وفي الصحاح: و«الخُنَّس» الكواكب كلها ، لأنها تَخْنِس في المغيب ، أو لأنها تخفى نهارا . ويقال : هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة. وقال الفراء في قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِي الْكُنَّسِ» إنها النجوم الخمسة؛ زُحَل والمشترِي والمرِّيخ والزُّهَرة وعُطارد؛ لأنها تَخنِس في مجراها، وتكنِس أي تستتر كما تَكنِس الظِّباء في المغار وهو الكِناس. ويقال: سميت خُنَّسا لتأخرها لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم؛ يقال : خَنَس عنه يَخنُس بالضم خنوسا تأخر ، وأخنسه غيره إذا خَلَّفه ومضى عنه . والخَنَس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة ، والرجل أخنس والمرأة خنساء والبقر كلها خُنْس . وقد روى عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ» هي بقر الوحش . روى هشيم عن زكريا عن أبي إسحق عن أبي ميسرة عمرو بن شَرَحْبيل ، قال قال لي عبد الله بن مسعود : إنكم قوم عرب فما الخنّس ؟ قلت : هي بقر الوحش؛ قال : وأنا أرى ذلك . وقاله إبراهيم وجابر بن عبد الله . وروى عن ابن عباس : إنما أقسم الله ببقر الوحش . وروى عنه عكرمة قال : « الخنّس » البقر و « الكُنّس » هي الظِّباء ، فهي خُنَّس إذا رأين الإنسان خَنَسْن وانقبضْن وتأخرن ودخلن كناسهنّ . القشيري : وقيل على هذا « الخنّس » من الخَنَس في الأنف وهو تأخير الأرنبة وقصر القصبة ، وأنوف البقر والظباء خُنْس . والأصح الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا ، فذكر النجوم أليق بذلك .

قلت : لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد ، وإن لم يُعلَم وجهُ الحكمة في ذلك . وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وهما صحابيان والنَّخعي أنها بقر الوحش . وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنها الظِّباء . وعن الحجاج بن منذر قال : سألت جابر بن زيد عن الجواري الكنّس ، فقال : الظِّباء والبقر ، فلا يبعد أن يكون المراد

النجوم . وقد قيل : إنها الملائكة ؛ حكاه الماوردى . والكنّس الغُيّب ؛ مأخوذة من الكِناس وهو كِناس الوحش الذى يختفى فيه . قال أَوْس بن حَجَر :

أَلم تر أن الله أنزل مُزْنةً * وعُفْرُ الظِّباءِ فى الكِناسِ تَقَمَّعُ (١)

وقال طَرَفة :

كأنّ كِنَاسَىْ ضَالَةٍ يَكْنُفَانِهَا * وأَطْرَ قِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ (٢)

وقيل : الكُنوس أن تأوى إلى مكانسها ، وهى المواضع التى تأوى إليها الوحوش والظّباء . قال الأعشى :

فلما أتينا الحىَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ * كما أَتْلَعَتْ تحتَ المكانسِ رَبْرَبُ

يقال : تَلَعَ النهارُ ارتفع وأَتْلعت الظَّبيةُ من كِناسها أى سمت بجيدها . وقال امرؤ القيس :

تَعَشَّى (٣) قليلا ثم أَنْحَى ظُلُوفَهُ * يُثِيرُ التُّرابَ عن مَبِيتٍ ومَكْنِسِ

والكنس جمع كانِس وكانِسة ، وكذا الخنس جمع خانِس وخانِسة . والجوارى جمع جارية من جرى يجرى . ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ قال الفراء : أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر ؛ حكاه الجوهرى . وقال بعض أصحابنا : إنه دنا من أوله وأظلم وكذلك السحاب إذا دنا من الأرض . المهدوى : «وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ» أدبر بظلامه ؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما . وروى عنهما أيضا وعن الحسن وغيره : أقبل بظلامه . زيد بن أسلم : «عَسْعَسَ» ذهب . الفراء : العرب تقول عسعس وسعسع إذا لم يبق منه إلا اليسير . الخليل وغيره : عسعس الليلُ إذا أقبل أو أدبر . المبرد : هو من الأضداد والمعنيان يرجعان إلى شىء واحد وهو ابتداء الظلام فى أوله وإدباره فى آخره ؛ وقال عَلْقَمة بن قُرْط :

حَتَّى إذا الصُّبحُ لها تنفَّسَا * وانجابَ عنها لَيلُها وعَسْعَسَا

(١) تقمع : تحرك رءوسها من القمعة ؛ وهى ذباب أزرق يدخل فى أنوف الدواب أو يقع عليها فيلسعها .
(٢) قال : « كناسى » لأن الحيوان يستكن بالغداة فى ظلها وبالعشى فى فيئها . والضال : السدر البرى الواحدة ضالة . والأطر : العطف . والمؤيد : المقوى . يقول الشاعر : كأن كناسى ضالة يكتفان هذه الناقة لسعة ما بين مرفقيها وزورها .
(٣) تعشى : دخل فى العشاء وهو أول الليل . ظلوفه : حوافره .

وقال رُؤْبة :

يا هِنـدُ ما أسرعَ ما تَسَعْسَعَا * من بَعْدِ ما كان فتًى سَرَعْرِعَا[1]

وهذه حجة الفراء . وقال امرؤ القيس[2] :

عَسْعَسَ حتى لو نشـاءُ آدَّنَا * كان لنا مِن نارِه مَقْبَسُ

فهذا يدل على الدُّنو . وقال الحسن ومجاهد : عسعس أظلم ؛ قال الشاعر :

حتى إذا ما لَيلُهنَّ عَسْعَسَا * رَكِبْنَ من حَدِّ الظَّلامِ حِنْدِسَا

المـاوردىّ : وأصل العسّ الامتلاء ؛ ومنه قيل للقدح الكبير عُسٌّ لامتلائه بمـا فيه فأطلق على إقبال الليـل لابتداء امتلائه ؛ وأطلق على إدباره لانتهاء امتلائه على ظـلامه ؛ لاستكمال امتلائه به . وأما قول امرئ القيس :

* ألمـا على الربـع القديم بِعَسْعَسَا[3] *

فموضع بالبادية . وعَسْعَسُ أيضا اسم رجل؛ قال الراجز :

* وعَسْعَسٌ نِعْـمَ الفـتى تَبَيَّاهْ *

أى تعتمده . ويقال للذئب العَسْعَس والعَسْعاس والعَسَّاس ؛ لأنه يَعُسُّ بالليل ويطلب . ويقال للقنافذ العَساعِس لكثرة ترددها بالليـل . قال أبو عمـرو : والتعسعس الشم ؛ وأنشـــد :

* كمنخر الذِّئبِ إذا تَعَسْعَسَا *

والتَّعَسْعُس أيضا طلب الصيد [بالليل][4] .

---

(١) تسعسعا : أدبر وفنى ؛ والسرعرع : الشاب الناعم .

(٢) كذا فى الأصول كلها ولم نجده فى ديوانه . وفى اللسان : كان له من ضوئه مقبس . ثم قال : أنشده أبو البلاد النحوى وقال : وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع . وادّنا أصله : إذ دنا فأدغم .

(٣) تمامه : * كأنى أنادى أو أكلم أخرسا *

(٤) الزيادة من الصحاح .

قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي آمتد حتى يصير نهارا واضحا ؛ يقال للنهار إذا زاد تنفس . وكذلك الموج إذا نَضَح الماءَ . ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف . وقيل : « إِذَا تَنَفَّسَ » أي آنشق وآنفلق ؛ ومنه تَنَفَّست القوسُ(١) أي تصدّعت . ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ هذا جواب القسم . والرسول الكريم جبريل؛ قاله الحسن وقتادة والضحاك . والمعنى « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ » عن الله « كَرِيمٍ » على الله . وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم عدّاه عنه بقوله « تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » ليعلم أهل التحقيق في التصديق أن الكلام لله عز وجل . وقيل : هو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ مَنْ جعله جبريلَ فقوّته ظاهرة؛ فروى الضحاك عن آبن عباس قال : من قوّته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه . ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ ﴾ أي عند الله جل ثناؤه ﴿ مَكِينٍ ﴾ أي ذي منزلة ومكانة؛ فروى عن أبي صالح قال : يدخل سبعين سُرَادِقا بغير إذن . ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أي في السموات ؛ قال آبن عباس : من طاعة الملائكة جبريل أنه لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان: آفتح له ففتح فدخلُ ورأى ما فيها، وقال لمالك خازن النار : آفتح له جهنم حتى ينظر إليها فأطاعه وفتح له . ﴿ أَمِينٍ ﴾ أي مؤتمن على الوحي الذي يجيء به . ومن قال : إن المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى « ذِي قُوَّةٍ » على تبليغ الرسالة « مُطَاعٍ » أي يطيعه من أطاع الله جل وعز . ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون حتى يتهم في قوله . وهو من جواب القسم . وقيل : أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه جل وعز فقال: ماذاك إليّ؛ فأذن له الربّ جلّ ثناؤه فأتاه وقد سدّ الأفق، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشيا عليه، فقال المشركون : إنه مجنون، فنزلت : « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » « وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ » وإنما رأى جبريل على صورته فهابه، وورد عليه ما لم تحتمل بنيته فخرّ مغشيا عليه .

---

(١) في نسخ الأصل : تنفست القوس والنفوس أي تصدّعت . واللغة لا ذكر فيها لكلمة النفوس ولعلها زيادة من الناسخ .

قوله تعالى : وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ أى رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح « بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ » أى بمطلع الشمس من قِبل المشرق؛ لأن هـذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين . أى من جهتـه ترى الأشياء . وقيـل : الأفق المبين أقطار السماء ونواحيها؛ قال الشاعر :

أَخَـذْنا بِآفاقِ السماءِ عَلَيْـكُمُ * لنا قَمَراها والنُّجـومُ الطَّوالِـعُ

المـاوردى : فعلى هذا فيـه ثلاثة أقاويل ؛ أحدها أنه رآه فى أفق السماء الشرقى ؛ قاله سفيان . الثـانى فى أفق السماء الغـربى ، حكاه آبن شجرة . الثـالث أنه رآه نحو أجياد وهو مشرق مكة ؛ قاله مجاهـد . وحكى الثعلبى عن آبن عبـاس قال النبى صـلى الله عليـه وسلم لجبريل : " إنى أحبّ أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء " قال : لن تقدر على ذلك . قال : "بلى" قال : فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال : " بالأبطح " قال : لا يسعنى . قال : " فبمِنًى " قال : لا يسعنى . قال : " فبعرفات " قال : ذلك بالحرىّ أن يسعنى . فواعده فخرج النبى صلى الله عليه وسـلم للوقت ، فإذا هو قد أقبل بخَشْخشةٍ وكَلْكلةٍ من جبال عرفات ، قد ملأ مابين المشرق والمغرب ، ورأسـه فى السماء ورجلاه فى الأرض ، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسـلم خرّ مغشيا عليه ، فتحول جبريل فى صـورته وضمه إلى صـدره . وقال : يامحمد لا تخف ؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة ، وأن العرش على كاهله ، وأنه ليتضاءل أحيانا من خشـية الله حتى يصير مثل الوصع — يعنى العصفور — حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته . وقيل : إن محمدا

عليه السلام رأى ربه عز وجل بالأفق المبين . وهو معنى قول ابن مسعود . وقد مضى القول في هذا في « والنجم » (١) مستوفى فتأمله هناك . وفي « المبين » قولان : أحدهما أنه صفة الأفق؛ قاله الربيع. الثاني أنه صفة لمن رآه؛ قاله مجاهد. ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ بالظاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي أي بمتهم والظِّنة التُّهمة؛ قال الشاعر :

أَمَا وكِتَابِ اللهِ لا عن شَناءَةٍ * هُجِرتُ ولكنَّ الظَّنِينَ ظَنِينُ

واختاره أبو عبيد؛ لأنهم لم يُبَخِّلوه ولكن كَذَّبوه ؛ ولأن الأكثر من كلام العرب : ما هو بكذا، ولا يقولون : ما هو على كذا ، إنما يقولون : ما أنت على هذا بمتهم . وقرأ الباقون « بِضَنِينٍ » بالضاد أي ببخيل من ضَنِنت بالشيء أَضَنّ ضنًّا [فهو] ضَنِين . فروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : لا يضنّ عليكم بما يَعلم، بل يعلِّم الخلق كلام الله وأحكامه . وقال الشاعر :

أَجُودُ بِمَكْنُونِ الحديثِ وإنّني * بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَالَنِي لَضَنِينُ

والغيب القرآن وخبر السماء . ثم هذا صفة محمد عليه السلام . وقيل : صفة جبريل عليه السلام . وقيل : بظنين بضعيف . حكاه الفراء والمبرد؛ يقال : رجل ظَنين أي ضعيف . وبئر ظَنُون إذا كانت قليلة الماء؛ قال الأعشى :

ما جُعِلَ الجُدُّ الظَّنُونُ الذي * جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الماطِرِ

مِثْلَ الفُرَاتِيِّ إذا ما طَمَا * يَقْذِفُ بالبُوصِيِّ والماهِرِ (٢)

والظَّنُون الدَّيْن الذي لا يدرى أيقضيه آخذه أم لا؛ ومنه حديث عليّ عليه السلام في الرجل يكون له الدَّين الظَّنون قال : يزكيه لما مضى إذا قبضه إن كان صادقا . والظَّنُون الرجل

---

(١) راجع جـ ١٧ ص ٩٤ وقول ابن مسعود هناك هو أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل والذي قال بأنه رأى ربه هو ابن عباس رضى الله عنهما .

(٢) الجد : البئر تكون في موضع كثير الكلأ . الفراتي : المنسوب إلى الفرات . والبوصي : ضرب من سفن البحر، والملاح أيضا . والماهر : السابح .

السيء الخلق ؛ فهو لفظ مشترك . ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ أي مرجوم ملعون كما قالت قريش . قال عطاء : يريد بالشيطان الأبيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يفتنه . ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ قال قتادة : فإلى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته . كذا روى معمر عن قتادة؛ أي أين تذهبون عن كتابي وطاعتي . وقال الزجاج : فأيّ طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم . ويقال : أين تذهب وإلى أين تذهب . وحكى الفراء عن العرب : ذهبت الشامَ وخرجت العراقَ وانطلقت السوقَ أي إليها . قال : سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة؛ وأنشدني بعض بني عقيل :

تَصِيحُ بنا حَنِيفةُ إذ رأتنا * وأيَّ الأرض تذهبُ بالصِّيَاحِ

يريد إلى أي أرض تذهب فحذف إلى . وقال الجنيد : معنى الآية مقرون بآية أخرى وهي قوله تعالى : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» المعنى : أيّ طريق تسلكون أبين من الطريق الذي بينه الله لكم . وهذا معنى قول الزجاج . ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعني القرآن ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي موعظة وزجر و«إنْ» بمعنى «ما» . وقيل : ما محمد إلا ذكر . ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ أي يتبع الحقّ ويقيم عليه . وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى : لما نزلت « لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ » قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم ــ وهذا هو القدر وهو رأس القدرية ــ فنزلت : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ فبين بهذا أنه لا يعمل العبد خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرا إلا بخذلانه . وقال الحسن : والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله لها . وقال وهب بن منبه : قرأت في سبعة(1) وثمانين كتابا مما أنزل الله على الأنبياء مَنْ جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وفي التنزيل : « وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» وقال تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » وقال تعالى : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » والآي في هذا كثير وكذلك الأخبار وأن الله سبحانه هدى بالإسلام وأضل بالكفر كما تقدم في غير موضع . ختمت السورة والحمد لله .

---

(1) في تفسير الثعلبي : بضعة وثمانين .

سورة الانفطار

مكية عند الجميع وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ أى تشققت بأمر الله ؛ لنزول الملائكة ؛ كقوله : « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا » . وقيل : تفطرت لهيبة الله تعالى . والفَطْر الشقّ ؛ يقال : فَطَرْته فانفطر، ومنه فَطَر نابُ البعيرِ طَلَع فهو بعير فاطر ، وتفطر الشيء تَشَقّق، وسيف فُطار أى فيه شقوق ؛ قال عنترة :

وَسَيْفِي كالعَقِيقةِ وَهْوَ كِمْعِي * سِلاحِي لا أَفَلَّ ولا فُطَارَا[1]

وقد تقدّم فى غير موضع[2] . ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ أى تساقطت ؛ نثرت الشيء أنثره نثرا فانتثر والاسم النِّثار . والنُّثار بالضم ما تناثر من الشيء، ودرٌّ منثَّر شدِّد للكثرة . ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ أى فُجِّر بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدّم . وقال الحسن : فُجِّرت ذهب ماؤها و يبست ؛ وذلك أنها أوّلا راكدةٌ مجتمعة ، فإذا فُجِّرت تفرّقت فذهب ماؤها . وهذه الأشياء بين يدى الساعة على ما تقدّم فى « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » . ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أى قلبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء ؛ يقال : بعثرت المتاع قلبته ظهرا لبطن ، و بعثرت الحوض و بحثرته إذا هدمته وجعلت أسفله أعلاه . وقال قوم منهم الفرّاء: «بُعْثِرَتْ» أخرجت ما فى بطنها من الذهب والفضة . وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض

(١) العقيقة : شعاع البرق الذى يبدو كالسيف . والكمع : الضجيع . (٢) راجع جـ ١٦ ص ٤

ذهبها وفضتها . ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ مثل : « يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ » وتقدّم . وهذا جواب « إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ » لأنه قسم فى قول الحسن وقع على قوله تعالى : « عَلِمَتْ نَفْسٌ » يقول : إذا بدت هـذه الأمور من أشراط الساعة ختمت الأعمال فعلمت كل نفس ما كسبت ، فإنهـا لا ينفعها عمل بعـد ذلك . وقيل : أى إذا كانت هذه الأشـياء قامت القيامة فحوسبت كل نفس بمـا عملت ، وأوتيت كتابهـا بيمينها أو بشمالها فتذكرت عنـد قراءته جميع أعمالها . وقيل : هو خبر وليس بقسم وهـو الصحيح إن شاء الله تعالى .

قوله تعـالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ ﴾ خاطب بهذا منكرى البعث . وقال ابن عباس : الإنسان هنا الوليد بن المغيرة . وقال عكرمة : أبىّ بن خلف . وقيل : نزلت فى أبى الأشدّ بن كلدة الجمحىّ . عن ابن عباس أيضا : « مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » أى ما الذى غرك حتى كفرت « بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » أى المتجاوز عنك . قال قتادة : غره شـيطانه المسلّط عليـه . الحسن : غره شيطانه الخبيث . وقيل : حمقه وجهله . رواه الحسن عن عمر رضى الله عنه . وروى غالب الحنفى قال : لمـا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسـلم « يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » قال : " غره الجهل " وقال صالح بن مسمار : بلغنا أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قرأ « يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » فقال : " غره جهـله " . وقال عمـر رضى الله عنـه : كما قال الله تعالى « إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » . وقيل : غره عفو الله إذ لم يعاقبه فى أول مرة . قال إبراهيم بن الأشعث : قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله تعالى

يوم القيامة بين يديه فقال لك « مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » ماذا كنت تقول ؟ قال : كنت أقول غرني ستورك المرخاة ؛ لأن الكريم هو الستار . نظمه ٱبن السَّمَّاك فقال :

يا كاتِمَ الذَّنبِ أَمَا تَستحِي * واللهُ في الخَلوةِ ثانيكا
غَرَّكَ من ربِّكَ إمهالُهُ * وسَترُهُ طولَ مَساويكا

وقال ذو النون المصريّ : كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر .

وأنشد أبو بكر بن طاهر الأبهري :

يا مَنْ غلا في العُجْبِ والتِّيهِ * وغَرَّهُ طُولُ تَمادِيه
أَمْلَى لك اللهُ فبارزتَهُ * ولم تَخَف غِبَّ معاصِيه

وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه ، فنظر فإذا هو بالباب فقال : مالك لم تجبني ؟ فقال . لثقتي بحلمك وأَمْنِي من عقوبتك . فاستحسن جوابه فأعتقه . وناس يقولون : ما غرك ما خدعك وسوّل لك حتى أضعت ما وجب عليك . وقال ٱبن مسعود : ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة فيقول له : يابن آدم ماذا غرك بي؟ يآبن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يآبن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ . ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ أي قدر خلقك من نطفة ﴿فَسَوَّاكَ﴾ في بطن أمك وجعل لك يدين و رجلين وعينين وسائر أعضائك ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ أي جعلك معتدلا سويّ الخلق ؛ كما يقال : هذا شيء معدّل . وهذه قراءة العامة وهي ٱختيار أبي عبيد وأبي حاتم ؛ قال الفراء وأبو عبيد : يدلّ عليه قوله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » . وقرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي : « فَعَدَلَكَ » مخففا أي أمالك وصرفك إلى أيّ صورة شاء إما حسنا وإما قبيحا ، وإما طويلا وإما قصيرا . وقال [موسى بن عليّ ٱبن أبي رباح اللخمي عن أبيه عن جده [1]] قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : " إن النطفة

---

(١) الزيادة من تفسير الثعلبي والطبري والدر المنثور . والحديث كما رواه الثعلبي بعد السند : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجده "ما ولد لك" قال يا رسول الله وما عسى أن يولد لي ، إما غلام أو جارية . قال " فمن يشبه" قال : فمن يشبه ؛ أمه أو أباه ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم . " لا تقل هكذا إن النطفة ... الحديث " .

إذا آستقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها و بين آدم " أما قرأت هذه الآية ﴿فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ : " فيما بينك و بين آدم " [وقال عكرمة وأبو صالح : « فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ »] إن شاء فى صورة إنسان ، و إن شاء فى صورة حمار، و إن شاء فى صورة قرد،و إن شاء فى صورة خنزير. وقال مكحول : إن شاء ذكرا و إن شاء أنثى . وقال مجاهد : « فِى أَىِّ صُورَةٍ » أى فى أى شَبَه من أب أو أمّ أو عمّ أو خالٍ أوغيرهم . و « فى » متعلقة بـ«ـركّبك » ولا تتعلق بـ«ـعَدَلَكَ » على قراءة من خفف ؛ لأنك تقول عدلت إلى كذا ولا تقول عدلت فى كذا ؛ ولذلك منع الفراء التخفيف ؛ لأنه قدر « فى » متعلقة بـ«ـعدلك » و « ما » يجوز أن تكون صلة مؤكدة ؛ أى فى أى صورة شاء ركبك . ويجوز أن تكون شرطية أى إن شاء ركبك فى غير صورة الإنسان من صورة قرد أو حمار أو خنزير فـ « ما » بمعنى الشرط والجزاء ؛ أى فى صورة ما شاء أن يركبك ركبك .

قوله تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ يجوز أن تكون « كَلَّا » بمعنى حقًّا و «أَلَا» فيبتدأ بها . و يجوز أن تكون بمعنى «لا» على أن يكون المعنى ليس الأمر كما تقولون من أنكم فى عبادتكم غير الله محقون . يدل على ذلك قوله تعالى : « مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » وكذلك يقول الفراء : يصير المعنى ليس كما غررت به . وقيل : أى ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث . وقيل : هو بمعنى الردع والزجر. اى لا تغتروا بحلم الله وكرمه فتتركوا التفكر فى آياته . ابن الأنبارى : الوقف الجيد على « الدِّينِ » وعلى « رَكَّبَكَ » والوقف على «كَلَّا » قبيح . ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ ياأهل مكة ﴿بِالدِّينِ﴾ أى بالحساب و « بل » لنفى شىء تقدم وتحقيق غيره . و إنكارهم للبعث كان معلوما وإن لم يجرله ذكر فى هذه السورة .

قوله تعالى : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ أى رقباء من الملائكة ﴿كِرَامًا﴾ أى علىّ ؛ كقوله تعالى : «كِرَامٍ بَرَرَةٍ » وهنا ثلاث مسائل :

الأولى — روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الخراءة أو الجماع فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم [حائط][1] أو بغيره أو ليستره أخوه" . وروى عن علىّ رضى الله عنه قال : "لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادى العورة" وروى "إن العبد إذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه" .

الثانية — واختلف الناس فى الكفار هل عليهم حفظة أم لا ؟ فقال بعضهم : لا ؛ لأن أمرهم ظاهر، وعملهم واحد؛ قال الله تعالى : « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ » . وقيل : بل عليهم حفظة؛ لقوله تعالى : « كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ » . وقال : « وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ » وقال : « وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ » فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة . فإن قيل : الذى على يمينه أى شىء يكتب ولا حسنة له ؟ قيل له : الذى يكتب عن شماله يكون بإذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وإن لم يكتب . والله أعلم .

الثالثة — سئل سفيان : كيف تعلم الملائكة أن العبد قد همّ بحسنة أو سيئة ؟ قال : إذا همّ العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك ، وإذا همّ بسيئة وجدوا منه ريح النتن . وقد مضى فى « ق »[2] عند قوله : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » زيادة بيان لمعنى هذه الآية . وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك . وقد مضى فى آخر « آل عمران »[3] القول فى هذا . وعن الحسن : يعلمون لا يخفى عليهم شىء من أعمالكم . وقيل : يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدّثتم به أنفسكم . والله أعلم .

---

(١) الزيادة من الدر المنثور وفيه سبب ورود الحديث أنه عليه السلام رأى رجلا يغتسل بفلاة من الأرض ...... الخ .

(٢) راجع جـ ١٧ ص ١١

(٣) راجع جـ ٤ ص ٣١٠ فما بعدها .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ . وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ تقسيم مثل قوله : « فَرِيقٌ فِى الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ » وقال : « يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا » الآيتين . ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أى يصيبهم لهبها وحرها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ أى يوم الجزاء والحساب وكرر ذكره تعظيما لشأنه ؛ نحو قوله تعالى : « القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ » وقال ابن عباس فيما روى عنه : كل شيء من القرآن من قوله : « وَمَا أَدْرَاكَ » فقد أدراه ، وكل شيء من قوله : « وَمَا يُدْرِيكَ » فقد طوى عنه . ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو « يَوْمُ » بالرفع على البدل من « يَوْمُ الدِّينِ » أو ردا على اليوم الأول فيكون صفة ونعتا لـ« يَوْمَ الدِّينِ » . ويجوز أن يرفع بإضمار هو . الباقون بالنصب على أنه فى موضع رفع إلا أنه نصب ؛ لأنه مضاف غير متمكن ؛ كما تقول : أعجبنى يوم يقوم زيد . وأنشد المبرد :

مِنْ أَىِّ يَوْمَىَّ مِنَ المَوْتِ أَفِرّْ * أَيَوْمَ لَمْ يُقْدَرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرْ

فاليومان الثانيان مخفوضان بالإضافة عن الترجمة عن اليومين الأولين إلا أنهما نصبا فى اللفظ ؛ لأنهما أضيفا إلى غير محض . وهذا آختيار الفراء والزجاج . وقال قوم : اليوم الثانى منصوب على المحل كأنه قال : فى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا . وقيل : بمعنى إن هذه الأشياء تكون يوم ، أو على معنى يدانون يوم ؛ لأن الدِّين يدل عليه ، أو بإضمار آذكر . ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا ينازعه فيه أحد ؛ كما قال : « لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ . اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ اليَوْمَ » تمت السورة والحمد لله .

سورة المطففين

مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل . ومدنية فى قول الحسن وعكرمة ، وهى ست وثلاثون آية

قال مقاتل : وهى أول سورة نزلت بالمدينة . وقال ابن عباس وقتادة : مدنية إلا ثمان آيات من قوله : « إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا » إلى آخرها مكى . وقال الكلبى وجابر بن زيد : نزلت بين مكة والمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)

فيه أربع مسائل :

الأولى — روى النسائى عن ابن عباس قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » فأحسنوا الكيل بعد ذلك . قال الفراء : فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وعن ابن عباس أيضا قال : هى أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم ؛ كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح ، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان ، فلما نزلت هذه السورة انتهوا ، فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وقال قوم : نزلت فى رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو ؛ كان له صاعان يأخذ بأحدهما ويعطى بالآخر ؛ قاله أبو هريرة رضى الله عنه .

الثانيــة — قوله تعالى : « وَيْلٌ » أى شدة عذاب فى الآخرة . وقال ابن عباس : إنه واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ، فهو قوله تعالى : « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » أى الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم . وروى عن ابن عمر قال : المطفف الرجل يستأجر المكيال

وهو يعلم أنه يحيف فى كيله فوزره عليه . وقال آخرون : التطفيف فى الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث . وفى الموطأ قال مالك : ويقال لكل شيء وفاءٌ وتطفيف . وروى عن سالم ابن أبى الجعد قال : الصلاة بمكيال فمن أوفى أوفى له ومن طفّف فقد علمتم ما قال الله عز وجل فى ذلك : « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ »

الثالثــة ــ قال أهل اللغة : المطفِّف مأخوذ من الطَّفيف وهو القليــل ، والمُطفِّف هو المقل حقّ صاحبه بنقصانه عن الحقّ فى كيل أو وزن . وقال الزجاج : إنمــا قيل للفاعل من هــذا مُطفِّف ؛ لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف ، وإنما أخذ من طَفِّ الشيء وهو جانبه . وطِفَاف المَكُّوك وطَفَافه بالكسر والفتح ما ملأ أَصْباره وكذلك طَفُّ المَكُّوك وطَفَفه ؛ وفى الحديث : "كُلُّكم بنــو آدم طَفُّ الصاع لَمْ تَمْلَئُوه" وهو أن يقرب أن يمتلئ فلا يفعل ؛ والمعنى بعضكم من بعض قريب فليس لأحد على أحد فضــل إلا بالتقوى . والطُّفَاف والطُّفَافة بالضم ما فوق المكيال . وإناء طَفّان إذا بلغ الملءُ طفافَه ؛ تقول منــه : أطففت . والتطفيف نقص المكيال وهو ألا تمــلأه إلى أَصْباره أى جوانبه ؛ يقال : أدهقت الكأس إلى أَصْبارها أى إلى رأسها . وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سَبْق الخيل : كنت فارسا يومئذ فسبقت الناس حتى طَفَّفَ بى الفرسُ مسجد بنى زُرَيْق حتى كاد يساوى المسجد . يعنى وَثَب بى .

الرابعــة ــ المطَفِّف هو الذى يخسر فى الكيل والوزن ولا يوفى حسب ما بينا وروى ابن القاسم عن مالك أنه قرأ « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » فقال : لا تُطَفِّفْ ولا تخلبْ (١) ولكن أرسل وصُبّ عليه صَبًّا حتى إذا استوفى (٢) أرسل يدك ولا تُمسك . وقال عبد الملك بن الماجشون : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطِّفاف ، وقال : إن البركة فى رأسه . قال : وبلغنى أن كيل فرعون كان مسحا بالحديدة .

---

(١) كذا فى الأصول وفى ابن العربى (ولا تجلب) . (٢) فى بعض الأصول وابن العربى «استوى» .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ قال الفراء : أى من الناس ؛ يقال : ٱكتلت منك أى ٱستوفيت منك ، ويقال : ٱكتلت ما عليك أى أخذت ما عليك . وقال الزجاج : أى إذا ٱكتالوا من الناس ٱستوفوا عليهم الكيل ؛ والمعنى : الذين إذا ٱستوفوا أخذوا الزيادة وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا ، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم . الطبرى : « على » بمعنى عند .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

فيـه مسئلتان :

الأولى — قوله تعالى : « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ » أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدى الفعل فنصب ؛ ومثله نصحتك ونصحت لك وأمرتك به وأمرتكه ؛ قاله الأخفش والفراء . قال الفراء : وسمعت أعرابية تقول إذا صَدَرَ الناسُ أتينا التاجر فيكيلنا المُدّ والمُدَّين إلى الموسم المقبل . وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس . قال الزجاج : لا يجوز الوقف على « كَالُوا » و « وَزَنُوا » حتى تصل به « هم » قال : ومن الناس من يجعلها توكيدا ، ويجيز الوقف على « كَالُوا » و « وَزَنُوا » والأول الاختيار ؛ لأنها حرف واحد . وهو قول الكسائى . قال أبو عبيد : وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين ويقف على « كَالُوا » و « وَزَنُوا » ويبتدئ « هُمْ يُخْسِرُونَ » قال : وأحسب قراءة حمزة كذلك أيضا . قال أبو عبيد : والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين إحداهما الخط ؛ وذلك أنهم كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا « كَالُوا » و « وَزَنُوا » بالألف ، والأخرى أنه يقال : كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربى ؛ كما يقال : صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك ، وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك . قوله : « يُخْسِرُونَ » أى ينقصون ؛ والعرب تقول : أخسرت الميزان وخسرته ، و « هم » فى موضع نصب على قراءة العامة راجع إلى الناس ؛ تقديره « وَإِذَا كَالُوا » الناس « أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » وفيه وجهان : أحدهما أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال :

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

أراد جنيت لك ، والوجه الآخر أن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والمضاف هو المكيل والموزون . وعن ابن عباس رضى الله عنه : إنكم معاشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان . وخصّ الأعاجم لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرّقين فى الحرمين ؛ كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون . وعلى القراءة الثانية « هم » فى موضع رفع بالابتداء ؛ أى وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم فهم يخسرون . ولا يصح؛ لأنه تكون الأولى ملغاة ليس لها خبر ، وإنما كانت تستقيم لو كان بعدها وإذا كالوا هم ينقصون أو وزنوا هم يخسرون .

الثانيــة ــ قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : "خَمْسٌ بِخَمْسٍ ما نقض قوم العهد إلا سلّط الله عليهم عدوّهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون وما طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر" خرجه أبو بكر البزار بمعناه ومالك بن أنس أيضا من حديث ابن عمر. وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة . وقال مالك بن دينار: دخلت على جار لى قد نزل به الموت ، بجعل يقول: جبلين من نار! جبلين من نار! فقلت: ما تقول؟ أتهجر؟(١) قال : يا أبا يحيى كان لى مكيالان أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر؛ فقمت بجعلت أضرب أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظما ، فمات من وجعه . وقال عكرمة : أشهد على كل كيّال أو وزّان أنه فى النار . قيل له : فإن ابنك كيال أو وزان . فقال : أشهد أنه فى النار . قال الأصمعى : وسمعت أعرابية تقول لا تلتمس المروءة ممن مروءته فى رءوس المكاييل ولا ألسنة الموازين. وروى ذلك عن علىّ رضى الله عنه . وقال عبد خير : مر علىّ رضى الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح فأكفأ الميزان ، ثم قال: أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت. كأنه أمره بالتسوية أوّلا ليعتادها ، ويفصل الواجب من النفل. وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل

(١) هجر فى نومه ومرضه يهجر هجرا : هذى .

والوزن بالقسط ، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العَرَق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم . وقد روى أن أبا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر وآستخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة ، فقال أبو هريرة : فوجدناه فى صلاة الصبح فقرأ فى الركعة الأولى « كهيعص » وقرأ فى الركعة الثانية « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ » قال أبو هريرة : فأقول فى صلاتى ويل لأبى فلان كان له مكيالان إذا آكتال آكتال بالوافى وإذا كال كال بالناقص .

قوله تعالى : أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ ﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون التطفيف ببالهم ولا يخمنون تخمينا ﴿ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ فمسئولون عما يفعلون . والظن هنا بمعنى اليقين ؛ أى ألا يوقن أولئك ولو أيقنوا ما نقصوا فى الكيل والوزن . وقيل : الظن بمعنى التردد ؛ أى إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا و يبحثوا عنه ويأخذوا بالأحوط ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ شأنه وهو يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فيه أربع مسائل :

الأولى — العامل فى « يوم » فعل مضمر دل عليه « مَبْعُوثُونَ » والمعنى يبعثون « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » . ويجوز أن يكون بدلا من يوم فى « لِيَوْمٍ عَظِيمٍ » وهو مبنى . وقيل : هو فى موضع خفض ؛ لأنه أضيف إلى غير متمكن . وقيل : هو منصوب على الظرف أى فى يوم ، ويقال : أقم إلى يوم يخرج فلان فتنصب يوم ، فإن أضافوا إلى الاسم فحينئذ يخفضون ويقولون : أقم إلى يوم خروج فلان . وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، التقدير أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس لربّ العالمين ليوم عظيم .

الثانيـــة ـ وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له : قد سمعت ما قال الله تعالى فى المطففين ؛ أراد بذلك أن المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذى سمعت به ، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن. وفى هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ، ووصف اليوم بالعظيم ، وقيام الناس فيه لله خاضعين ، ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب ، وتفاقم الإثم فى التطفيف ، وفيما كان فى مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط ، والعمل على التسوية والعدل فى كل أخذ و إعطاء ، بل فى كل قول وعمل .

الثالثـــة ـ قرأ ابن عمر «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» حتى بلغ « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » فبكى حتى سقط وامتنع من قراءة ما بعـده ثم قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول " يوم يقوم الناس لرب العالمين فى يوم كان مقداره خمسين ألف سـنة فمنهم من يبلغ العَرَقُ كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهـم من يبلغ حَقْويه ومنهم من يبلغ صـدره ومنهم من يبلغ أذنيه حتى إن أحدهم ليغيب فى رشحه كما يغيب الضِّفدع (١) " . وروى ناس عن ابن عباس قال : يقومون مقـدار ثلثمائة سـنة . قال : ويُهوَّن على المؤمنين قـدر صلاتهم الفريضة . وروى عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "يقومون ألف عام فى الظُّلَّة". وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يوم يقوم الناس لربّ العـالمين حتى إن أحدهم ليقوم فى رشحه إلى أنصاف أذنيـه " . وعنه أيضـا عن النبى صلى الله عليه وسلم : "يقوم مائة سنة " . وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم لبشير الغِفَارى : "كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلثمائة سنة لربّ العالمين لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر" قال بشير : المستعان الله .

قلت : قد ذكرناه مرفوعا من حديث أبى سعيد الخُدْرى عن النبى صلى الله عليه وسلم : " إنه لَيخفَّف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا" فى «سأل سائل» (٢) . وعن ابن عبـاس : يُهوَّن على المؤمنين قَدْرَ صلاتهم الفريضة . وقيل : إن ذلك

---

(١) أى فى الماء . (٢) راجع جـ ١٨ ص ٢٨٢ .

المقام على المؤمن كزوال الشمس ؛ والدليل على هذا من الكتاب قوله الحق : « أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ثم وصفهم فقال : « الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » جعلنا الله منهم بفضله وكرمه وجوده ومنّه آمين . وقيل : المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لربّ العالمين ؛ قاله ٱبن جبير. وفيه بُعد ؛ لما ذكرنا من الأخبار فى ذلك وهى صحيحة ثابتة ، وحسبك بما فى صحيح مسلم والبخارىّ والترمذىّ من حديث ٱبن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » قال : " يقوم أحدهم فى رشحه إلى نصف أذنيه " ثم قيل : هذا القيام يوم يقومون من قبورهم . وقيل : فى الآخرة بحقوق عباده فى الدنيا . وقال يزيد الرِّشْك : يقومون بين يديه للقضاء .

الرابعة — القيام لله ربّ العالمين سبحانه حقير بالإضافة إلى عظمته وحقّه ، فأما قيام الناس بعضهم لبعض فٱختلف فيه الناس ؛ فمنهم من أجازه ومنهم من منعه . وقد روى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قام إلى جعفر بن أبى طالب وٱعتنقه ، وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تِيب عليه . وقول النبى صلى الله عليه وسلم للأنصار حين طلع عليه سعد بن معاذ : "قوموا إلى سيّدكم" وقال أيضا : "من سرّه أن يَتمثّل له الناسُ قياما فليتبوأ مقعدَه من النار" وذلك يرجع إلى حال الرجل ونيته ، فإن ٱنتظر ذلك وٱعتقده لنفسه فهو ممنوع ، وإن كان على طريق البشاشة والوصلة فإنه جائز ، وخاصة عند الأسباب كالقدوم من السفر ونحوه . وقد مضى فى آخر سورة « يوسف »[1] شىء من هذا .

قوله تعالى : كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

(١) راجع جـ ٩ ص ٢٦٥ فابعدها .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ قال قوم من أهل العلم بالعربية : «كَلَّا» ردع وتنبيه؛ أى ليس الأمر على ما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان، أو تكذيب بالآخرة فليرتدعوا عن ذلك. فهى كلمة ردع وزجر ثم ٱستأنف فقال : «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ». وقال الحسن : «كَلَّا» بمعنى حَقًّا. وروى ناس عن ٱبن عباس «كَلَّا» قال : أَلَا تُصَدِّقون؛ فعلى هذا الوقف «لِرَبِّ الْعَالَمِينَ». وفى تفسير مقاتل : إن أعمال الفجار. وروى ناس عن ٱبن عباس قال : إن أرواح الفجار وأعمالهم «لَفِي سِجِّينٍ». وروى ٱبن أبى نجيح عن مجاهد قال : سجين صخرة تحت الأرض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها. ونحوه عن ٱبن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب؛ قال كعب : تحتها أرواح الكفار تحت خدّ إبليس. وعن كعب أيضا قال : سجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعة مكتوب فيها ٱسم كل شيطان تلقى أنفس الكفار عندها. وقال سعيد بن جبير : سجين تحت خَدِّ إبليس. يحيى بن سلّام : حجر أسود تحت الأرض يكتب فيه أرواح الكفار. وقال عطاء الخراسانى : هى الأرض السابعة السفلى وفيها إبليس وذرّيته. وعن ٱبن عباس قال : إن الكافر يحضره الموت وتحضره رسل الله فلا يستطيعون لبغض الله له وبغضهم إياه أن يؤخروه ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه ورفعوه إلى ملائكة العذاب، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشر، ثم هبطوا به إلى الأرض السابعة، وهى سجين وهى آخر سلطان إبليس فأثبتوا فيها كتابه. وعن كعب الأحبار فى هذه الآية قال : إن روح الفاجر إذا قبضت يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها، ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها، فتدخل فى سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجّين وهو خَدُّ إبليس، فيخرج لها من سجّين من تحت خدّ إبليس رَقٌّ فيُرقَم فيوضع تحت خَدِّ إبليس. وقال الحسن : سجّين فى الأرض السابعة. وقيل : هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التى ظنوا أنها تنفعهم. قال مجاهد : المعنى عملهم تحت الأرض السابعة لا يصعد منها شيء. وقال :

سجين صخرة فى الأرض السابعة . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "سجين جُبٌّ فى جهنم وهو مفتوح" وقال فى الفلق : " إنه جُبٌّ مُغطًّى" . وقال أنس : هى دركة فى الأرض السفلى . وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم : سجين أسفل الأرض السابعة " . وقال عكرمة : " سجين خسار وضلال ؛ كقولهم لمن سقط قدره : قد زلق بالحضيض . وقال أبو عبيدة والأخفش والزجاج : « لَفِي سِجِّينٍ » لفى حبس وضيق شديد فِعِّيل من السجن ؛ كما يقول : فِسِّيقٌ وشِرِّيب ؛ قال ابن مقبل :

وَرُفْقَة يَضْرِبُون الْبَيْضَ ضاحِيَةً * ضَرْبًا تَوَاصَتْ به الأبْطالُ سِجِّينا (١)

والمعنى كتابهم فى حبس ؛ جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم ، أو لأنه يَحُلّ من الإعراض عنه والإبعاد له مَحَلَّ الزجر والهوان . وقيل : أصله سجيل فأبدلت اللام نونا . وقد تقدم ذلك . وقال زيد بن أسلم : سجين فى الأرض السافلة وسِجِّيل فى السماء الدنيا . القشيرى : سجين موضع فى السافلين يدفن فيه كتاب هؤلاء فلا يظهر بل يكون فى ذلك الموضع كالمسجون . وهذا دليل على خبث أعمالهم وتحقير الله إياها ؛ ولهذا قال فى كتاب الأبرار : « يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ » . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ أى ليس ذلك مما كنت تعلمه يا محمد أنت ولا قومك . ثم فسره له فقال : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ أى مكتوب كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى . وقال قتادة : مرقوم أى مكتوبٌ رُقِم لهم بشر لا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد . وقال الضحاك : مرقوم مختوم بلغة حمير؛ وأصل الرقم الكتابة ؛ قال :

سَأَرْقُمُ فى الماءِ القَراحِ إِلَيْكُمُ * على بُعْدِكُمْ إنْ كان لِلْماءِ رَاقِمُ

وليس فى قوله : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ » ما يدل على أن لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل فى قوله : « الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ » بل هو تعظيم لأمر سجين . وقد مضى فى مقدمة الكتاب (٢) — والحمد لله — أنه ليس فى القرآن غير عربى . ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

---

(١) الذى فى التاج نقلا عن الجوهرى : * ورجلة يضربون الهام عن عرض *

(٢) راجع جـ ١ ص ٦٨ .

أى شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين . ثم بين تعالى أمرهم فقال : ﴿ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أى بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد . ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ أى فاجر جائر عن الحق، معتد على الخلق فى معاملته إياهم وعلى نفسه، وهو أثيم فى ترك أمر الله . وقيل : هذا فى الوليد بن المغيرة وأبى جهل ونظرائهما ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ وقراءة العامة « تتلى » بتاءين وقراءة أبى حيوة وأبى سماك وأشهب العقلى والسلمى « إِذَا يُتْلَى » بالياء . وأساطير الأولين أحاديثهم وأباطيلهم التى كتبوها وزخرفوها . واحدها أسطورة وإسطارة وقد تقدم .

قوله تعالى : كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ « كَلَّا » ردع وزجر ؛ أى ليس هو أساطير الأولين . وقال الحسن : معناها حقا « رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » . وقيل : فى الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت فى قلبه نكتةٌ سوداء فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صُقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذى ذكر الله فى كتابه « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» " قال : هذا حديث حسن صحيح . وكذا قال المفسرون : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب . قال مجاهد : هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب قلبه . قال مجاهد : هى مثل الآية التى فى سورة البقرة « بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً » الآية . ونحوه عن الفراء ؛ قال : يقول كثرت المعاصى منهم والذنوب فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها . وروى عن مجاهد أيضا قال : القلب مثل الكف ورفع كفه ، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض وضم إصبعه ؛ فإذا أذنب الذنب انقبض وضم

أخرى حتى ضمّ أصابعه كلها ، حتى يُطبَع على قلبه . قال : وكانوا يرون أن ذلك هو الرّين ، ثم قرأ « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ » . ومثله عن حذيفة رضى الله عنه سواء . وقال بكر بن عبد الله : إن العبد إذ أذنب صار فى قلبه كوخزة الإبرة ، ثم صار إذا أذنب ثانيا صار كذلك ، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمُنْخل أو كالغِرْبال لا يعى خيرا ولا يثبت فيه صلاح . وقد بينا فى «البقرة»(١) القول فى هذا المعنى بالأخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا معنى لإعادتها . وقد روى عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن آبن جريج عن عطاء عن آبن عباس ، وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن آبن عباس شيئا الله أعلم بصحته ؛ قال : هو الرّان الذى يكون على الفخذين والساق والقدم وهو الذى يلبس فى الحرب . قال : وقال آخرون الرّان الخاطر الذى يخطر بقلب الرجل وهذا مما لا يُضْمن عُهْدةُ صحته . فالله أعلم . فأما عامة أهل التفسير فعلى ما قد مضى ذكره قبل هذا . وكذلك أهل اللغة عليه ؛ يقال : ران على قلبه ذَنْبُه يَرين رَيْنا ورُيونا أى غلب . قال أبو عبيدة فى قوله : « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ » أى غلب ؛ وقال أبو عبيد : كل ما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك ؛ وقال الشاعر :

وكَمْ رانَ مِنْ ذَنْبٍ عَلى قَلْبِ فاجِرٍ * فَتابَ مِنَ الذَّنْبِ الّذى رانَ وٱنْجَلَى

ورانت الخمر على عقله أى غلبته ، وران عليه النعاس إذا غطاه ؛ ومنه قول عمر فى الأُسَيْفع — أُسَيْفع جُهَينة — : فأصبح قد رِينَ به . أى غلبته الديون وكان يُدّان ؛ ومنه قول أبى زُبَيْد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سُكْرا فقال :

ثُمّ لَمّا رآه رانَتْ بِهِ الخَمْـ * ـرُ وألّا تَرِينَـهُ بِاتّقـاءِ

فقوله : رانت به الخمر ، أى غلبت على عقله وقلبه . وقال الأموى : قد أران القومُ فهم مُرِينون إذا هلكت مواشيهم وهُزِلت . وهذا من الأمر الذى أتاهم مما يغلبهم فلا يستطيعون آحتماله . قال أبو زيد يقال : قد رِينَ بالرجل رَيْنا إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له

(١) راجع جـ ١ ص ١٨٨ فما بعدها .

به . وقال أبو معاذ النحوى : الرين أن يَسْوَدَّ القلبُ من الذنوب ؛ والطبع أن يطبع القلب ، وهذا أشد من الرّين[(١)] ، والإقفال أشد من الطبع . الزجاج : الرين هو كالصدإ يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين ، يقال : غين على قلبه غطى . والغين شجر ملتف الواحدة غيناء أى خضراء كثيرة الورق ملتفة الأغصان . وقد تقدم قول الفراء أنه إحاطة الذنب بالقلوب . وذكر الثعلبي عن ابن عباس : « رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ » أى غطى عليها . وهذا هو الصحيح عنه إن شاء الله . وقرأ حمزة والكسائى والأعمش وأبو بكر والمفضل « ران » بالإمالة ؛ لأن فاء الفعل الراء وعينه الألف منقلبة من ياء فحسنت الإمالة لذلك . ومن فتح فعلى الأصل ؛ لأن باب فاء الفعل فى فَعَل الفتح مثل كال وباع ونحوه . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ووقف حفص « بل » ثم يبتدئ « ران » وقفا يبين اللام لا للسكت .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ ﴾ أى حقا « إنهم » يعنى الكفار ﴿ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ أى يوم القيامة ﴿ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ . وقيل : « كَلَّا » ردع وزجر أى ليس كما يقولون بل « إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ » . قال الزجاج : فى هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يُرَى فى القيامة ، ولولا ذلك ما كان فى هذه الآية فائدة ولا خَسَّت منزلةُ الكفار بأنهم يُحجَبون . وقال جل ثناؤه : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » فأعلم الله جل ثناؤه أن المؤمنين ينظرون إليه ، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه . وقال مالك بن أنس فى هذه الآية : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه . وقال الشافعى : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا . ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى المعاد لما عبده فى الدنيا . وقال الحسين بن الفضل : لما حجبهم فى الدنيا عن نور توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته . وقال مجاهد فى قوله تعالى « لَمَحْجُوبُونَ » : أى عن كرامته ورحمته ممنوعون . وقال قتادة : هو أن الله لا ينظر إليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . وعلى الأول الجمهور وأنهم محجوبون عن رؤيته فلا يرونه . ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴾ أى

---

(١) فى اللسان : هو الختم ؛ أى الطبع على القلب هو الختم كما فى « اللسان » مادة « رين » .

ملازموها ومحترقون فيها غير خارجين منها ، « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » و « كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا » . ويقال : الجحيم الباب الرابع من النار . ﴿ ثُمَّ يُقَالُ ﴾ لهم أى تقول لهم خزنة جهنم ﴿ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ رسل الله فى الدنيا .

قوله تعالى : كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ « كَلَّا » بمعنى حقًّا والوقف على « تُكَذِّبُونَ » . وقيل : أى ليس الأمر كما يقولون ولا كما ظنوا بل كتابهم فى سجّين وكتاب المؤمنين فى عِلِّيين . وقال مقاتل : كلّا أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يَصْلَونه . ثم آستأنف فقال : « إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ » مرفوع فى علّيين على قدر مرتبتهم . قال آبن عباس : أى فى الجنة . وعنه أيضا قال : أعمالهم فى كتاب الله فى السماء . وقال الضحاك ومجاهد وقتادة : يعنى السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين . وروى آبن الأجلح عن الضحاك قال : هى سِدْرة المنتهى ينتهى إليها كل شىء من أمر الله لا يعدوها ، فيقولون : رَبِّ ! عبدُك فلان ، وهو أعلم به منهم، فيأتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بأمانه من العذاب . فذلك قوله تعالى : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ » . وعن كعب الأحبار قال : إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى السماء ، وفتحت لها أبواب السماء ، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش ، فيخرج لهم من تحت العرش رَقٌّ فيُرْقَم ويُختَم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون . وقال قتادة أيضا : « فِى عِلِّيِّينَ » هى فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى . وقال البَرَاء بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم : " عِلّيون فى السماء السابعة تحت العرش". وعن آبن عباس أيضا : هو لوح من زبرجدة خضراء معلّق بالعرش أعمالهم مكتوبة فيه . وقال الفراء : عِلّيون آرتفاع بعد آرتفاع . وقيل : عِلّيون أعلى الأمكنة . وقيل : معناه علو فى علو مضاعف كأنه لا غاية له ؛ ولذلك جمع بالواو والنون .

وهو معنى قول الطبرى . قال الفـراء : هو آسم موضوع على صـفة الجمع ولا واحد له من لفظه ؛ كقولك : عشرون وثلاثون والعـرب إذا جمعت جمعا ولم يكن له بنـاء من واحده ولا تثنية قالوا فى المذكر والمؤنث بالنون . وهو معنى قول الطبرى . وقال الزجاج : إعراب هذا الأسم كإعراب الجمع كما تقول هذه قِنَّسرون ورأيت قِنَّسرين . وقال يونس النحوى : واحدها عِلِّىّ وعِلِّيَة . وقال أبو الفتح : عِلِّيين جمع عِلِّىّ وهو فِعِّيل من العُلُوّ . وكان سبيله أن يقول عِلِّيّـة كما قالوا للغرفة عِلِّيَة ؛ لأنهـا من العلو ، فلمـا حذفت التاء من عِلِّيَة عوضوا منهـا الجمع بالواو والنون كما قالوا فى أرضين . وقيـل : إن عِلِّيين صفة للملائكة فإنهم الملأ الأعلى ؛ كما يقال : فلان فى بنى فلان ؛ أى هو فى جملتهم وعنـدهم . والذى فى الخـبر من حديث آبن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أهل عِلِّيين لينظرون إلى الجنة من كذا فإذا أشرف رجل من أهـل عِلِّيين أشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا النور فيقال أشرف رجل من أهل عِلِّيين الأبرار أهل الطاعة والصدق " . وفى خبر آخر : " إن أهل الجنـة ليرون أهل عِلِّيين كما يُرَى الكوكب الدُّرىّ فى أفق السماء " يدل على أن عِلِّيين آسم الموضع المرتفع . وروى ناس عن آبن عباس فى قوله « عِلِّيِّينَ » قال : أخبر أن أعمالهم وأرواحهم فى السماء الرابعة . ثم قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ أى ما الذى أعلمك يا محمـد أىّ شىء علّيون على جهة التفخيم والتعظيم له فى المنزلة الرفيعة . ثم فسره له فقـال : ﴿ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ . وقيل : إن « كِتَابٌ مَرْقُومٌ » ليس تفسيرا لعِلِّيين بل تمّ الكلام عند قوله « عِلِّيون » ثم آبتـدأ وقال : « كِتَابٌ مَرْقُومٌ » أى كتاب الأبرار كتاب مرقوم ؛ ولهـذا عكس الرقم فى كتاب الفجار ؛ قاله القشيرى . وروى : أن الملائكة تصـعَد بعمل العبد ، فإذا آنتهوا به إلى ما شاء الله من سـلطانه أوحى إليهم : إنكم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه ، وأنه أخلص لى عمله فاجعلوه فى عِلِّيين فقد غفرت له ، وأنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا آنتهوا به إلى ماشـاء الله أوحى إليهم : أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على مافى قلبه وأنه لم يخلص لى عمله ، فاجعلوه فى سِجِّين .

قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أى يشهد عمل الأبرار مقربو كلّ سماء من الملائكة . وقال وهب وآبن إسحق : المقربون هنا إسرافيل عليه السلام ، فإذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة وله نور يتلألأ فى السموات كنور الشمس فى الأرض حتى ينتهى بها الى إسرافيل فيختم عليها و يكتب فهو قوله : «يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» أى يشهد كتابتهم .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ ﴾ أى أهل الصدق والطاعة . ﴿ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ أى نَعْمة والنَّعمة بالفتح التنعيم ؛ يقال : نعّمه الله وناعمه فتنعّم وآمرأة منعّمة ومناعمة بمعنى . أى إن الأبرار فى الجنات يتنعمون . ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ وهى الأسرة فى الحِجَال ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ أى إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامات ؛ قاله عكرمة وآبن عباس ومجاهد . وقال مقاتل : ينظرون إلى أهل النار . وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم : " ينظرون إلى أعدائهم فى النار " ذكره المهدوى . وقيل : على أرائك أفضاله ينظرون إلى وجهه وجلاله .

قوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ أى بهجته وغضارته ونوره؛ يقال : أنضر النباتُ إذا آزهرّ ونوّر . وقراءة العامّة « تَعْرِفُ » بفتح التاء وكسر الراء « نَضْرَةَ » نصبا ؛ أى تعرف يا محمد . وقرأ أبو جعفر بن القعقاع و يعقوب وشيبة وآبن أبى إسحق : « تُعْرَفُ » بضم التاء وفتح الراء على الفعل المجهول « نَضْرَةُ » رفعا . ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ ﴾ أى من شراب لا غش فيه . قاله الأخفش والزجاج . وقيل : الرحيق الخمر الصافية . وفى الصحاح : الرحيق صفوة الخمر . والمعنى واحد . الخليل : أفصى[1] الخمر وأجودها . وقال مقاتل وغيره : هى الخمر العتيقة البيضاء الصافية من الغش النيرة؛ قال حسان :

(١) كذا فى الأصول كلها ولعل الصواب : أصفى الخمر .

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمُ * بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (١)

وقال آخر (٢) :

أَمْ لا سَبِيلَ إلى الشَّبَابِ وذِكْرُه * أَشْهى إلىَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

﴿ مَخْتُومٌ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ قال مجاهد : يختم به آخر جرعة . وقيل : المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما فى الكأس انختم ذلك بخاتم المسك . وكان ابن مسعود يقول : يجدون عاقبتها طعم المسك . ونحوه عن سعيد بن جبير و إبراهيم النخعى قالا : ختامه آخر طعمه . وهو حسن ؛ لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدر فى آخرها ، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك . وعن مسروق عن عبد الله قال : المختوم الممزوج . وقيل : مختوم أى ختمت ومنعت عن أن يمسها ماسٌّ إلى أن يفكَّ ختامَها الأبرارُ . وقرأ علىٌّ وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائى « خَاتَمُه » بفتح الخاء والتاء وألف بينهما . قال علقمة : أما رأيت المرأة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا تريد آخره . والخاتم والختام متقاربان فى المعنى إلا أن الخاتم الاسم والختام المصدر ؛ قاله الفراء . وفى الصحاح : والختام الطين الذى يختم به . وكذا قال مجاهد وابن زيد : خُتم إناؤه بالمسك بدلا من الطين . حكاه المهدوى . وقال الفرزدق :

وبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاَقَ الخِتَامِ (٣) *

وقال الأعشى :

* وَأَبْرَزَها وعَلَيْها خَتَمْ (٤) *

أى عليها طينة مختومة ؛ مثل نَفَض بمعنى مَنْفوض وقَبَض بمعنى مَقبوض . وذكر ابن المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى « خِتَامُهُ مِسْكٌ » خَلْطه ليس بخاتم يختم ؛ ألا ترى إلى قول المرأة من نسائكم : إن خَلْطه من الطِّيب كذا وكذا

(١) تقدم شرح البيت بهامش ص ١٤١ من هذا الجزء . (٢) هو أبو كبير الهذلى .
(٣) صدر البيت : * فبتن جنابى مصرعات *
(٤) صدره : * وصهباء طاف يهوديها *

إنما خَلْطه مسك؛ قال : شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر أشربتهم، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو رُوح إلا وجد ريح طيبها . وروى أبيّ بن كعب قال : قيل يارسول الله ما الرحيق المختوم ؟ قال : "غُدْران الخمر" . وقيل : مختوم فى الآنية وهو غير الذى يجرى فى الأنهار . فالله أعلم . ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ ﴾ أى وفى الذى وصفناه من أمر الجنة ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ أى فليرغب الراغبون ؛ يقال : نَفِستُ عليه الشيء أَنْفَسه نَفاسةً أى ضَنِنْت به ولم أحبّ أن يصير إليه . وقيل: الفاء بمعنى إلى أى وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون فى العمل؛ نظيره: «لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ» . ﴿ وَمِزَاجُهُ ﴾ أى ومزاج ذلك الرحيق ﴿ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ وهو شراب ينصبّ عليهم من علو وهو أشرف شراب فى الجنة . وأصل التَّسْنيم فى اللغة الآرتفاع، فهى عين ماء تجرى من علو إلى أسفل؛ ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه، وكذلك تسنيم القبور . وروى عن عبد الله قال : تسنيمٌ عينٌ فى الجنة يشرب بها المقربون صرفا، ويمزج منها كأس أصحاب اليمين فتطيب . وقال آبن عباس فى قوله عز وجل : « وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ » قال : هذا مما قال الله تعالى « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ » . وقيل : التسنيم عين تجرى فى الهواء بقدرة الله تعالى فتنصبّ فى أوانى أهل الجنة على قدر ملئها، فإذا آمتلأت أمسك الماء فلا تقع منه قطرة على الأرض ولا يحتاجون إلى الآستقاء؛ قاله قتادة . آبن زيد : بلغنا أنها عين تجرى من تحت العرش . وكذا فى مراسيل الحسن . وقد ذكرناه فى سورة « الإنسان »(1) . ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ أى يشرب منها أهل جنة عدن وهم أفاضل أهل الجنة صرفا، وهى لغيرهم مزاج . و « عَيْنًا » نصب على المدح . وقال الزجاج : نصب على الحال من تسنيم، وتسنيم معرفة ليس يعرف له آشتقاق، وإن جعلته مصدرا مشتقا من السنام فـ«عينًا» نصب؛ لأنه مفعول به؛ كقوله تعالى : « أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا » وهذا قول الفراء إنه منصوب بتسنيم . وعند الأخفش بـ« يُسْقَوْنَ » أى يسقون عينا أو من عين . وعند المبرد بإضمار أعنى على المدح .

(1) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء فما بعدها .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴾ وصف أرواح الكفار فى الدنيا مع المؤمنين باستهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك . روى ناس عن آبن عباس قال : هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن أبى مُعَيْط والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والعاص آبن هشام وأبو جهل والنضر بن الحرث وأولئك ﴿ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل عَمّار وَخَبّاب وصُهَيب وبلال ﴿ يَضْحَكُونَ ﴾ على وجه السخرية ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ ﴾ عند إتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يَتَغَامَزُونَ ﴾ يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم . وقيل : أى يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به ؛ يقال : غمزت الشيء بيدى ؛ قال :

وكُنْتُ إذا غَمَزْتُ قناةَ قَوْمٍ * كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمَا

وقالت عائشة : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سجد غمزنى فقبضت رجلى . الحديث ؛ وقد مضى فى « النساء »[1] . وغمزته بعينى . وقيل : الغمز بمعنى العيب يقال غمزه أى عابه ، وما فى فلان غمزة أى عيب . وقال مقاتل : نزلت فى علىّ بن أبى طالب جاء فى نفر من المسلمين إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون وضحكوا عليهم وتغامزوا . ﴿ وَإِذَا آنْقَلَبُوا ﴾ أى آنصرفوا إلى أهلهم وأصحابهم وذويهم ﴿ آنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ أى معجبين منهم . وقيل : معجبون بما هم عليه من الكفر متفكهون بذكر المؤمنين . وقرأ آبن القعقاع وحفص والأعرج والسُّلَمىّ : « فَكِهِين » بغير ألف . الباقون بألف . قال الفراء : هما لغتان مثل

(١) راجع جـ ٥ ص ٢٢٦ فما بعدها .

طَمِعٌ وطامِعٌ وحَذِرٌ وحاذِرٌ وقد تقدم فى سورة « الدخان »(١) والحمد لله . وقيل : الفكِهُ الأَشِر البطِر والفاكه الناعم المتنعم . ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ ﴾ أى إذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ فى ٱتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ لأعمالهم موكلين بأحوالهم رقباء عليهم ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾ يعنى هـذا اليوم الذى هو يوم القيامة ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا . نظيره فى آخر سورة « المؤمنين »(٢) وقد تقدم . وذكر ٱبن المبارك : أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة فى قوله تعالى « فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ » قال : ذكر لنا أن كعبا كان يقول إن بين الجنة والنار كُوًى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا ٱطلع من بعض الكُوَى ؛ قال الله تعالى فى آية أخرى : « فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ » قال : ذكر لنا أنه ٱطلع فرأى جماجم القوم تغلى . وذكر ٱبن المبارك أيضا : أخبرنا الكلبيّ عن أبى صالح فى قوله تعالى « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » قال : يقال لأهل النار وهم فى النار ٱخرجوا فتفتح لهم أبواب النار ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا ٱنتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم ؛ فذلك قوله : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » و يضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم فذلك قوله تعالى : « فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ » . ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ وقد مضى هـذا فى أول سورة « البقرة »(٣) . ومعنى « هَلْ ثُوِّبَ » أى هل جوزى بسخريتهم فى الدنيا بالمؤمنين إذا فعل بهم ذلك . وقيل : إنه متعلق بـ « يَنْظُرُونَ » أى ينظرون هل جوزى الكفار فيكون معنى هل [التقرير] وموضعها نصبا بـ « يَنْظُرُونَ » . وقيل : ٱستئناف لا موضع له من الإعراب . وقيل : هو إضمار على القول، والمعنى؛ يقول بعض المؤمنين لبعض « هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ » أى أثيب وجوزى . وهو من ثاب يثوب أى رجع ؛ فالثواب ما يرجع على العبد فى مقابلة عمله ويستعمل فى الخير والشر . ختمت السورة والله أعلم .

---

(١) راجع جـ ١٦ ص ١٣٩ . (٢) راجع جـ ١٢ ص ١٥٥ . (٣) راجع جـ ١ ص ٢٠٨ .

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون آية

قوله تعالى : إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ أي ٱنصدعت وتفطّرت بالغمام والغمام مثل السحاب الأبيض . وكذا روى أبو صالح عن ٱبن عباس . وروى عن عليّ عليه السلام قال : تشقّ من المجرة . وقال : المجرة باب السماء . وهذا من أشراط الساعة وعلاماتها . ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ أي سمعت وحُقّ لها أن تسمع . روى معناه عن ٱبن عباس ومجاهد وغيرهما ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " ما أذن الله لشيء كإذنه لنبيّ يتغنى بالقرآن " أي ما ٱستمع الله لشيء ؛ قال الشاعر :

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيرًا ذُكِرْتُ به * وإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عندَهُم أَذِنوا

أي سمعوا . وقال قَعْنَب بن أمّ صاحب :

إن يَأذَنُوا رِيبَةً طاروا بها فَرَحًا * وما هُمُ أَذِنُوا منْ صالحٍ دَفَنُوا

وقيل : المعنى وحقق الله عليها الاستماع لأمره بالانشقاق . وقال الضحاك : حُقّت أطاعت وحُقّ لها أن تطيع ربها لأنه خلقها ؛ يقال : فلان محقوق بكذا . وطاعة السماء بمعنى أنها لاتمتنع مما أراد الله بها . ولايبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع وتجيب . وقال قتادة : حُقّ لها أن تفعل ذلك ؛ ومنه قول كُثَيِّر :

فإنْ تَكُنِ العُتْبَى فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا * وَحُقَّتْ لَهَا العُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّت

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أى بسطت ودكت جبالها . قال النبي صلى الله عليه وسلم : " تمد مد الأديم " لأن الأديم إذا مد زال كل آنثناء فيه وآمتد وآستوى . وقال آبن عباس وآبن مسعود : ويزاد فى سعتها كذا وكذا ؛ لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها . وقد مضى فى سورة «إبراهيم»(١) أن الأرض تبدل بأرض أخرى وهى الساهرة فى قول آبن عباس على ماتقدم عنه . ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أى أخرجت أمواتها وتخلت عنهم . وقال آبن جبير : ألقت ما فى بطنها من الموتى وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء . وقيل : ألقت ما فى بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منها . أى خلا جوفها فليس فى بطنها شىء وذلك يؤذن بعظم الأمر كما تلقى الحامل ما فى بطنها عند الشدة . وقيل : تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها . وقيل : ألقت ما آستودعت وتخلت مما آستحفظت ؛ لأن الله تعالى آستودعها عباده أحياء وأمواتا ، وآستحفظها بلاده مزارعة وأقواتا . ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أى فى إلقاء موتاها ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ أى وحق لها أن تسمع أمره . وآختلف فى جواب «إذا» فقال الفراء : « أَذِنَتْ » والواو زائدة ، وكذلك « وَأَلْقَتْ » . آبن الأنبارى : قال بعض المفسرين جواب « إِذَا السَّمَاءُ آنْشَقَّتْ » « أَذِنَتْ » وزعم أن الواو مقحمة وهذا غلط ؛ لأن العرب لاتقحم الواو إلا مع «حتى — إذا» كقوله تعالى : «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» ومع «لمَّا» كقوله تعالى : « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ » معناه «نَادَيْنَاهُ» والواو لاتقحم مع غير هذين . وقيل : الجواب فاء مضمرة كأنه قال : « إِذَا السَّمَاءُ آنْشَقَّتْ » فيأيها الإنسان إنك كادح . وقيل : جوابها مادل عليه «فَمُلَاقِيهِ» أى إذا السماء آنشقت لاقى الإنسان كدحه . وقيل : فيه تقديم وتأخير ، أى « يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ » « إِذَا السَّمَاءُ آنْشَقَّتْ » قاله المبرد . وعنه أيضا : الجواب « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » وهو قول الكسائى ؛ أى إذا السماء آنشقت فمن أوتى كتابه بيمينه فحكمه كذا . قال أبو جعفر النحاس : وهذا أصح

---

(١) راجع جـ ٩ ص ٣٨٣ .

ما قيل فيه وأحسنه . وقيل : هو بمعنى آذكر « إِذَا السَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ » . وقيل : الجواب محذوف لعلم المخاطبين به ؛ أى إذا كانت هذه الأشياء علم المكذبون بالبعث ضلالتهم وخسرانهم . وقيل : تقدّم منهم سؤال عن وقت القيامة ، فقيل لهم : إذا ظهرت أشراطها كانت القيامة فرأيتم عاقبة تكذيبكم بها . والقرآن كالآية الواحدة فى دلالة البعض على البعض . وعن الحسن : إن قوله « إِذَا السَّمَاءُ ٱنْشَقَّتْ » قسم . والجمهور على خلاف قوله من أنه خبر وليس بقسم .

قوله تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ المراد بالإنسان الجنس أى يآبن آدم . وكذا روى سعيد عن قتادة : يآبن آدم إن كدحك لضعيف فمن آستطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوّة إلا بالله . وقيل : هو معيّن ؛ قال مقاتل : يعنى الأسود بن عبد الأسد . ويقال : يعنى أبىّ بن خلف . ويقال : يعنى جميع الكفار ؛ يعنى يأيها الكافر إنك كادح . والكدح فى كلام العرب العمل والكسب ؛ قال آبن مقبل :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا * أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِى الْعَيْشَ أَكْدَحُ

وقال آخر :

وَمَضَتْ بَشَاشَةُ كُلِّ عَيْشٍ صَالِحٍ * وَبَقِيتُ أَكْدَحُ لِلْحَيَاةِ وَأَنْصَبُ

أى أعمل . وروى الضحاك عن آبن عباس : « إِنَّكَ كَادِحٌ » أى راجع « إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا » أى رجوعا لا محالة « فَمُلَاقِيهِ » أى ملاقٍ ربك . وقيل : ملاقٍ عملك . القتبى : « إِنَّكَ كَادِحٌ » أى عامل ناصب فى معيشتك إلى لقاء ربك . والملاقاة بمعنى اللقاء أى تلقى ربك بعملك . وقيل : أى تلاقى كتاب عملك ؛ لأن العمل قد آنقضى ولهذا قال : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ » .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وهو المؤمن ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ لا مناقشة فيه . كذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من حوسب يوم القيامة عُذِّب" قالت : فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» فقال : "ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب" أخرجه البخارى ومسلم والترمذى . وقال حديث حسن صحيح . ﴿ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ أزواجه فى الجنة من الحور العين « مَسْرُورًا » أى مغتبطا قرير العين . ويقال : إنها نزلت فى أبى سلمة ابن عبد الأسد وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة . وقيل : إلى أهله الذين كانوا له فى الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته . والأول قول قتادة . أى إلى أهله الذين قد أعدهم الله له فى الجنة .

قوله تعالى : وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ نزلت فى الأسود بن عبد الأسد أخى أبى سلمة ؛ قاله ابن عباس . ثم هى عامة فى كل مؤمن وكافر . قال ابن عباس : يمدّ يده اليمنى ليأخذ كتابه فيجذبه مَلَك فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وقال قتادة ومقاتل : يفك ألواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك . ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ أى بالهلاك فيقول : يا ويلاه يا ثبوراه . ﴿ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾ أى ويدخل النار حتى يصلى بحرّها . وقرأ الحرميان وابن عامر والكسائى « وَيُصَلَّى » بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام ؛ كقوله تعالى : « ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ » وقوله : « وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ » . الباقون « وَيَصْلَى » بفتح الياء مخففا فعل لازم غير متعد؛ لقوله : « إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ » وقوله : « يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى » وقوله : « ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ » . وقراءة ثالثة رواها أبان

عن عاصم وخارجة عن نافع وإسمعيل المكى عن ابن كثير « وَيُصَلَّى » بضم الياء وإسكان الصاد وفتح اللام مخففا ؛ كما قرئ « وَسَيُصْلَوْنَ » بضم الياء ، وكذلك فى « الغاشية » قد قرئ أيضا : « تُصْلَى نَارًا » وهما لغتان صَلَى وأصلى ؛ كقوله : « نَزَلَ . وَأَنْزَلَ » . ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِى أَهْلِهِ ﴾ أى فى الدنيا ﴿ مَسْرُورًا ﴾ قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة فى الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور فى الآخرة ، وقرأ قول الله تعالى : « إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ » قال : ووصف أهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال : « إِنَّهُ كَانَ فِى أَهْلِهِ مَسْرُورًا » . ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ أى لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب . يقال : حار يحور إذا رجع ؛ قال لبيد :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ * يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وقال عكرمة وداود بن أبى هند : يَحُور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع . ويجوز أن تتفق الكلمتان فإنهما كلمة اشتقاق ؛ ومنه الخبز الحُوَّارى ؛ لأنه يرجع إلى البياض . وقال ابن عباس : ما كنت أدرى ما يَحُور حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها حُورِى حورى أى ارجعى إلىّ ، فالحَوْر فى كلام العرب الرجوع ؛ ومنه قوله عليه السلام : " اللهم إنى أعوذ بك من الحَوْر بعد الكَوْر " يعنى من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة . وكذلك الحُوْر بالضم . وفى المثل « حَوْرٌ فى مَحَارة » أى نقصان فى نقصان يضرب للرجل إذا كان أمره يُدبِرُ ؛ قال الشاعر[1] :

وَاسْتَعْجَلُوا عَنْ خَفِيفِ الْمَضْغِ فَازْدَرَدُوا * وَالذَّمُّ يَبْقَى وَزَادُ الْقَوْمِ فِى حُورِ

والحُور أيضا الاسم من قولك : طحنت الطاحنة فما أحارت شيئا ؛ أى ما ردّت شيئا من الدقيق . والحُور أيضا الهلكة ؛ قال الراجز[2] :

* فِى بِئْرِ لَا حُورٍ سَرَى وَلَا شَعَرْ *

(١) قائله سبيع بن الخطيم ؛ يريد الأكل يذهب والذم يبقى .

(٢) هو العجاج .

قال أبو عبيدة : أى بِرجُورٍ ، و « لا » زائدة . وروى " بَعْدَ الْكَوْن "[1] ومعناه من انتشار الأمر بعد تمامه . وسُئِل مَعْمَر عن الحَوْر بعدَ الكَوْن فقال : هو الكُنْتِيّ . فقال له عبد الرزاق : وما الكُنْتِيّ ؟ فقال : الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء . قال أبو عمرو : يقال للرجل إذا شاخ كُنْتِيّ كأنه نسب إلى قوله : كنتُ فى شبابى كذا . قال :

فأصبحتُ كُنتياً وأصبحتُ عاجِنًا * وشرُّ خصالِ المرءِ كُنْتُ وعاجِنُ

عجن الرجل إذا نهض معتمدا على الأرض من الكبر . وقال ابن الأعرابى : الكُنْتِيّ هو الذى يقول كنتُ شابا وكنتُ شجاعا ، والكانِيّ هو الذى يقول : كان لى مال وكنت أهب ، وكان لى خيل وكنت أركب .

قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ ﴾ أى ليس الأمر كما ظنّ بل يحور إلينا ويرجع . ﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ قبل أن يخلقه عالما بأن مرجعه إليه . وقيل : بلى ليحورنّ وليرجعنّ . ثم استأنف فقال : « إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا » من يوم خلقه إلى أن بعثه . وقيل : عالما بما سبق له من الشقاء والسعادة .

قوله تعالى : فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ ﴾ أى فأقسم و « لا » صلة . ﴿ بِٱلشَّفَقِ ﴾ أى بالحمرة التى تكون عند مغيب الشمس حتى تأتى صلاة العشاء الآخرة . قال أشهب وعبد الله بن الحكم ويحيى بن يحيى وغيرهم كثير عددهم عن مالك : الشَّفَق الحمرة التى فى المغرب ، فإذا ذهبت الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء . وروى ابن وهب قال : أخبرنى غير واحد عن علىّ بن أبى طالب ومعاذ بن جبل وعُبَادة بن الصامت وشدّاد بن أوس

(١) الكون هنا : مصدر كان التامة يقال : كان يكون كونا أى وجد واستقر . (النهاية) .

وأبى هريرة أن الشَّفَق الحُمْرة ، وبه قال مالك بن أنس . وذكر غيرُ ٱبن وهب من الصحابة عُمر وٱبن عُمر وٱبن مسعود وٱبن عباس وأنساً وأبا قتادة وجابر بن عبد الله وٱبن الزبير ، ومن التابعين سعيد بن جبير وٱبن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار والزهرىّ ، وقال به من الفقهاء الأوزاعىّ ومالك والشافعى وأبو يوسف وأبو ثور وأبو عبيد وأحمد و إسحق . وقيل : هو البياض ؛ روى ذلك عن ٱبن عباس وأبى هريرة أيضا وعمر بن عبد العزيز والأوزاعىّ وأبى حنيفة فى إحدى الروايتين عنه . وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه . وروى عن ٱبن عمر أيضا أنه البياض والاختيار الأوّل ؛ لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه ؛ ولأن شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كأنه الشَّفَق وكان أحمر فهذا شاهد للحمرة ؛ وقال الشاعر :

* وأَحمر اللَّوْنِ كَمُحْمَرِّ الشَّفَقْ *

وقال آخر :

قُمْ يا غلامُ أَعِنِّى غيرَ مُرْتَبِكٍ * على الزَّمَانِ بِكأسٍ حَشْوُها شَفَقُ

ويقال للمَغْرَة الشَّفَق . وفى الصحاح : الشَّفق بقية ضوء الشمس وحُمْرتها فى أول الليل إلى قريب من العَتَمة . قال الخليل : الشَّفَق الحُمْرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة إذا ذهب قيل غاب الشَّفَق . ثم قيل : أصل الكلمة من رقّة الشىء ؛ يقال : شىء شَفِق أى لا تماسك له لرِقته . وأشفق عليه أى رَقّ قلبه عليه ، والشَّفَقة الاسم من الإشفاق وهو رِقة القلب وكذلك الشَّفَق ؛ قال الشاعر[1] :

تَهْوَى حَيَاتِى وأَهْوَى مَوْتَها شَفَقًا * والموتُ أَكْرَمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ

فالشَّفَق بقية ضوء الشمس وحُمْرتها فكأن تلك الرِّقة من ضوء الشمس . وزعم الحكماء أن البياض لا يغيب أصلا . وقال الخليل : صعدت منارة الإسكندرية فرمقت البياض فرأيته يتردّد من أفق إلى أفق ولم أره يغيب . وقال ٱبن أبى أُوَيْس : رأيته يتمادى إلى طلوع الفجر .

---

(١) هو إسحق بن خلف . وقيل هو لابن المعلى . اللسان .

قال علماؤنا : فلما لم يتحدد وقته سقط اعتباره. وفي سنن أبي داود عن النعمان بن بشير قال: أنا أعلمكم بوقت صلاة العشاء الآخرة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثة . وهذا تحديد ثم الحكم معلق بأول الاسم . لا يقال : فينتقض عليكم بالفجر الأول فإنا نقول الفجر الأول لا يتعلق به حكم من صلاة ولا إمساك ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن الفجر بقوله وفعله فقال : " وليس الفجر أن تقول هكذا — فرفع يده إلى فوق — ولكن الفجر أن تقول هكذا وبسطها " وقد مضى بيانه في آية الصيام من سورة « البقرة » (١) فلا معنى للإعادة . وقال مجاهد : الشفق النهار كله ألا تراه قال « وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » . وقال عكرمة : ما بقي من النهار. والشَّفَق أيضا الرديء من الأشياء؛ يقال : عطاء مُشَفَّق أي مُقَلَّل؛ قال الكُمَيْت :

مَلِكٌ أغَرُّ من الملوك تحلَّبَتْ * للسائلين يَدَاهُ غيرَ مُشَفَّقِ

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي جمع وضم ولف وأصله من سَوْرة السلطان وغضبه ؛ فلولا أنه خرج إلى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لمجيئه، ولكن خرج من باب الرحمة فمزج بها فسكن الخلق إليه ثم اندعروا والتفوا وانقبضوا ورجع كل إلى مأواه فسكن فيه من هوله وحشا، وهو قوله تعالى : « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ » أي بالليل « وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ » أي بالنهار على ما تقدم . فالليل يجمع ويضم ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه . هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم ؛ قال ضابئ ابن الحرث البُرْجُمِيّ :

فإنّي وإيّاكُمْ وشَوْقًا إليكُمُ * كقابِضِ ماءٍ لم تَسِقْهُ أنامِلُهْ

يقول : ليس في يدي من ذلك شيء كما أنه ليس في يد القابض على الماء شيء ؛ فإذا جَلَّل الليلُ الجبالَ والأشجارَ والبحارَ والأرضَ فاجتمعت له فقد وَسَقَها . والوَسْق ضمك الشيء

---

(١) راجع جـ ٢ ص ٣١٨ فما بعدها.

بعضه إلى بعض، تقول : وسَقْته أَسِقُه وسْقا . ومنه قيل : للطعام الكثير المجتمع وَسْق وهو ستون صاعا . وطعام موسوق أى مجموع، وإبلٌ مستوسقة أى مجتمعة ؛ قال الراجز (١) :

إن لنا قلائِصًا حَقائِقا * مُسْتَوسقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقا

وقال عِكرمة : « وَمَا وَسَقَ » أى وما ساق من شيء إلى حيث يأوى ؛ فالوسْقُ بمعنى الطرد ؛ ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحمر وسيقة ؛ قال الشاعر (٢) :

* كما قافَ آثارَ الوَسيقةِ قائِفُ *

وعن ابن عباس : « وَمَا وَسَقَ » أى وما جَنّ وستر . وعنه أيضا : وما حمل وكل شيء حملته فقد وَسَقْته ؛ والعرب تقول : لا أفعله ما وَسَقت عيني الماء ؛ أى حملته . ووَسَقت الناقةُ تَسِقُ وَسْقا أى حملت وأغلقت رَحِمها على الماء، فهى ناقة واسِق ونُوق وساق مثل نائم ونِيام وصاحِب وصِحاب ؛ قال بشر بن أبى خازم :

أَلَظَّ بِهِنّ يَحْدوهُنّ حتى * تَبيَّنَت الحِيالُ مِنَ الوِساقِ

ومواسيق أيضا. وأوسقت البعير حملته حمله وأوسقت النخلةُ كثر حَمْلها . وقال يمان والضحاك ومقاتل بن سليمان: حَمَلَ من الظلمة. قال مقاتل: أو حمل من الكواكب. القشيرى ومعنى حَمَلَ ضمّ وجمع والليل يجلّل بظلمته كل شيء فإذا جلّلها فقد وَسَقها . و يكون هذا القَسَم قَسَما بجميع المخلوقات ؛ لاشتمال الليل عليها ؛ كقوله تعالى : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَالَا تُبْصِرُونَ » . وقال ابن جبير : « وَمَا وَسَقَ » أى وما عمل فيه يعنى التهجد والاستغفار بالأسحار ؛ قال الشاعر :

ويَوْمًا تَرانا صالحين وتَارَةً * تَقُومُ بِنا كالْواسِقِ الْمُتَلَبِّبِ

أى كالعامل .

---

(١) هو العجاج كما فى اللسان مادة « وسق » .

(٢) قائله الأسود بن يعفر، وصدره : * كذبت عليك لا تزال تقوفنى *

قوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ أى تم واجتمع واستوى . قال الحسن : اتسق أى امتلأ واجتمع . ابن عباس : استوى . قتادة : استدار . الفراء : اتساقه امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذى هو الجمع ؛ يقال : وسقته فاتسق ، كما يقال : وصلته فاتصل ، ويقال : أمر فلان مُتَّسِق أى مجتمع على الصلاح منتظم . ويقال : اتسق الشيء إذا تتابع . ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ قرأ أبو عمرو وابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومسروق وأبو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحمزة والكسائى « لَتَرْكَبَنَّ » بفتح الباء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم أى لتركبن يا محمد حالا بعد حال ؛ قاله ابن عباس . الشعبي : لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ، ودرجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة فى القربة من الله تعالى . ابن مسعود : لتركبن السماء حالا بعد حال ؛ يعنى حالاتها التى وصفها الله تعالى بها من الانشقاق والطي وكونها مرة كالمُهْل ومرة كالدِّهان . وعن إبراهيم عن عبد الله : « طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ » قال : السماء تقلب حالا بعد حال . قال : تكون وردة كالدِّهان وتكون كالمُهْل . وقيل : أى لتركبن أيها الإنسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا . فالخطاب للإنسان المذكور فى قوله : « يَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ » وهو اسم للجنس ومعناه الناس . وقرأ الباقون « لَتَرْكَبُنَّ » بضم الباء خطابا للناس واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ قال : لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لما ذكر قبل هذه الآية فمن يؤتى كتابه بيمينه ومن يؤتى كتابه بشماله . أى لتركبن حالا بعد حال من شدائد القيامة ، أو لتركبن سنة من كان قبلكم فى التكذيب واختلاف على الأنبياء .

قلت : وكله مراد وقد جاءت بذلك أحاديث (١) ؛ فروى أبو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن على عن جابر رضى الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن ابن آدم لفى غفلة عما خلقه الله عز وجل إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه وأثره وأجله واكتبه شقيا أو سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا

---

(١) راجع جـ ١٧ ص ١٤ .

آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا جاءه الموت ارتفع ذانك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فإذا أدخل حفرته ردّ الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد " ثم قال الله عز وجل « لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ » قال : " حالا بعد حال " ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن قدامكم أمرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم " فقد اشتمل هذا الحديث على أحوال تعترى الإنسان من حين يخلق إلى حين يبعث ، وكله شدّة بعد شدة ، حياة ثم موت ، ثم بعث ثم جزاء ، وفي كل حال من هذه شدائد . وقال صلى الله عليه وسلم : " لتركبنّ[1] سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه" قالوا : يارسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : " فمن " ؟ خرجه البخاري . وأما أقوال المفسرين ؛ فقال عكرمة : حالا بعد حال ؛ فطيما بعد رضيع وشيخا بعد شباب ؛ قال الشاعر :

كَذَلِكَ الْمَرْءُ إِنْ يُنْسَأْ لَهُ أَجَلٌ * يَرْكَبْ على طَبَقٍ مِنْ بَعْدِهِ طَبَقُ

وعن مكحول : كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه . وقال الحسن : أمرا بعد أمر ؛ رخاءً بعد شدّة ، وشدّة بعد رخاء ، وغنًى بعد فقر ، وفقرا بعد غنًى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة . سعيد بن جبير : منزلة بعد منزلة ؛ قوم كانوا في الدنيا متّضعين فارتفعوا في الآخرة ، وقوم كانوا في الدنيا مرتفعين فاتضعوا في الآخرة . وقيل : منزلة عن منزلة وطبقا عن طبق[2] ؛ وذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه ، ومن كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه ؛ لأن كل شيء يجر إلى شكله . ابن زيد : ولتصيرن من طبق الدنيا إلى طبق الآخرة . وقال ابن عباس : الشدائد والأهوال الموت ثم البعث ثم العرض ؛

(١) رواية البخاري "لتتبعن" بدل "لتركبن" . (٢) في نسخة : طبقة .

والعرب تقول لمن وقع فى أمر شديد : وقع فى بنات طبق وإحدى بنات طبق ؛ ومنه قيل للداهية الشديدة : أم طبق وإحدى بنات طبق . وأصلها من الحيات ؛ إذ يقال للحية أم طبق لتحوّيها . والطبق فى اللغة الحال كما وصفنا ؛ قال الأقرع بن حابس التميمى :

إِنِّى ٱمْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ ٱلدَّهْرَ أَشْطُرَهُ * وساقَنِي طَبَقٌ مِنْـهُ إِلَى طَبَقِ

وهذا أدل دليل على حدوث العالم وإثبات الصانع ؛ قالت الحكماء : من كان اليوم على حالة وغدا على حالة أخرى فليعلم أن تدبيره إلى سواه . وقيل لأبى بكر الوراق : ما الدليل على أن لهذا العالم صانعا ؟ فقال : تحويل الحالات ، وعجز القوة ، وضعف الأركان ، وقهر المنية ، ونسخ العزيمة . ويقال : أتانا طبقٌ من الناس وطبق من الجراد أى جماعة . وقول العباس فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

تُنْقَلُ مِنْ صَالَبٍ إِلَى رَحِمٍ * إِذا مَضَى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ

أى قرن من الناس . يكون طباق الأرض أى ملأها . والطبق أيضا عظم رقيق يفصل بين الفقارين . ويقال : مضى طبق من الليل وطبق من النهار أى معظم منه . والطبق واحد الأطباق فهو مشترك . وقرئ « لَتَرْكَبِنَّ » بكسر الباء على خطاب النفس و « لَيَرْكَبَنَّ » بالياء على ليركبن الإنسان . و « عن طبقٍ » فى محل نصب على أنه صفة لـ« طبقا » أى طبقا مجاوزا لطبق . أو حال من الضمير فى « لَتَرْكَبُنَّ » أى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة .

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يعنى اى شىء يمنعهم من الإيمان بعد ما وضحت لهم الآيات وقامت الدلالات . وهذا ٱستفهام إنكار . وقيل : تعجيب أى ٱعجبوا منهم فى ترك الإيمان مع هذه الآيات .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أى لا يصلون . وفى الصحيح : إن أبا هريرة قرأ « إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ » فسجد فيها فلما ٱنصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها . وقد قال مالك : إنها ليست من عزائم السجود ؛ لأن المعنى

لا يذعنون ولا يطيعون فى العمل بواجباته . آبن العربى : والصحيح أنها منه وهى رواية المدنيين عنه وقد آعتضد فيها القرآن والسنة . قال آبن العربى : لما أممت بالناس تركت قراءتها ؛ لأنى إن سجدت أنكروه وإن تركتها كان تقصيرا منى فآجتنبتها إلا إذا صليت وحدى . وهذا تحقيق وعد الصادق بأن يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : "لولا حِدْثان قومك بالكفر لهدمت البيت ولرددته على قواعد إبراهيم" . ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهرى يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه ، وهو مذهب مالك والشافعى ويفعله الشيعة ، فحضر عندى يوما فى محرس آبن الشواء بالثغر ـ موضع تدريسى ـ عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم إلى الصفّ وأنا فى مؤخره قاعدا على طاقات البحر أتنسم الريح من شدة الحر ، ومعى فى صفّ واحد أبو ثمنة رئيس البحر وقائده مع نفر من أصحابه ينتظر الصلاة ويتطلع على مراكب تحت الميناء ، فلما رفع الشيخ يديه فى الركوع وفى رفع الرأس منه قال أبو ثمنة وأصحابه : ألا ترون إلى هذا المشرقىّ كيف دخل مسجدنا؟ فقوموا إليه فآقتلوه وآرموا به إلى البحر فلا يراكم أحد . فطار قلبى من بين جوانحى وقلت : سبحان الله هذا الطُّرْطُوسى فقيه الوقت . فقالوا لى : ولم يرفع يديه ؟ فقلت : كذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهذا مذهب مالك فى رواية أهل المدينة عنه . وجعلت أُسكّنهم وأسكتهم حتى فرغ من صلاته وقمت معه إلى المسكن من المحرس ، ورأى تغير وجهى فأنكره وسألنى فأعلمته ، فضحك وقال : ومن أين لى أن أُقتل على سنةٍ؟ فقلت له : ولا يحل لك هذا فإنك بين قوم إن قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ فى غيره .

قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به . وقال مقاتل : نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا أربعة فأسلم آثنان منهم . وقيل : هي في جميع الكفار . ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أي بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب . كذا روى الضحاك عن آبن عباس . وقال مجاهد : يكتمون من أفعالهم . آبن زيد : يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة؛ مأخوذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه ؛ يقال : أوعيت الزاد والمتاع إذا جعلته في الوعاء؛ قال الشاعر :

الخيرُ أَبقَى وإنْ طَالَ الزمانُ بِهِ * والشَّرُّ أَخبثُ ما أَوْعيْتَ مِن زادِ

ووعاه أي حفظه ؛ تقول : وعيتُ الحديث أَعِيه وَعْيًا وأذنٌ واعية . وقد تقدم[(1)] . ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي موجع في جهنم على تكذيبهم . أي آجعل ذلك بمنزلة البشارة . ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ آستثناء منقطع ، كأنه قال : لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وعملوا الصالحات أي أدّوا الفرائض المفروضة عليهم ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ ﴾ أي ثواب ﴿ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي غير منقوص ولا مقطوع؛ يقال : مننت الحبل إذا قطعته . وقد تقدم[(2)] . وسأل نافع بن الأزرق آبن عباس عن قوله « لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » فقال : غير مقطوع . فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ قال : نعم قد عرفه أخو يشكر حيث يقول[(3)] :

فَتَرَى خَلْفَهنَّ مِنْ سُرْعةِ الرَّجْـ * ـعِ مَنِينًا كأنَّه أَهْبَاءُ

قال المبرد : المنين الغبار ؛ لأنها تقطعه وراءها . وكل ضعيف منين وممنون . وقيل : « غَيْرُ مَمْنُونٍ » لا يُمَنّ عليهم به . وذكر ناس من أهل العلم أن قوله « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » ليس آستثناء وإنما هو بمعنى الواو ، كأنه قال : والذين آمنوا . وقد مضى في « البقرة[(4)] » القول فيه والحمد لله .

---

(١) راجع جـ ١٨ ص ٢٦٣ (٢) راجع جـ ١٥ ص ٣٤١ .

(٣) تقدم هذا البيت بلفظ : فترى خلفها من الرجع والوقـ * ـع منينا ... الخ .

(٤) راجع جـ ٢ ص ١٦٩ .

ســورة البروج

مكية بٱتفاق . وهى ثنتـان وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعـالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ ﴾

قَسَمٌ أقسم الله به جلّ وعزّ . وفى «البروج» أقوال أربعة : أحدها ــ ذات النجوم ؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك . الثانى ــ القصور؛ قاله ٱبن عباس وعِكْرِمة ومجاهد أيضـا . قال عِكرمة : هى قصور فى السماء . مجاهد : البُرُوج فيهـا الحَرَس . الثالث ــ ذات الخَلْق الحَسَن ؛ قاله المِنهال بن عمرو . الرابع ــ ذات المنازل؛ قاله أبو عبيدة ويحيى ٱبن سـلام . وهى ٱثنـا عشر بُرْجًا ، وهى منازل الكواكب والشمس والقمر . يسير القمر فى كل برج منها يومين وثلث يوم؛ فذلك ثمـانية وعشرون يوما، ثم يَسْتَسِرّ[1] ليلتين ؛ وتسير الشمس فى كل بُرْج منها شهرا . وهى : الحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاء ، والسَّرَطان، والأَسَد، والسُّنْبُلَة ، والمِيزان، والعَقْرب ، والقَوْس، والجَدْى ، والدَّلْو، والحُوت . والبروج فى كلام العرب : القصور؛ قال الله تعالى : « وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ »[2] . وقد تقدّم .

قوله تعـالى : ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ أى الموعود به . وهو قَسَمٌ آخر ، وهو يوم القيامة ؛ من غير ٱختلاف بين أهـل التأويل . قال ٱبن عباس : وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يُجتمعوا فيه . ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ ٱختلف فيهما ؛ فقال علىّ وٱبن عباس وٱبن عمـر وأبو هريرة رضى الله عنهم : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة . وهو قول الحسن .

---

(١) سرر الشهر (بفتحتين) : آخر ليلة منه ؛ وهو مشتق من قولهم : ٱستسر القمر؛ أى خفى ليلة السرار؛ فربما كان ليلة وربما كان ليلتين .

(٢) راجع جـ ٥ ص ٨٢

وروآه أبوهريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ... " خرجه أبو عيسى الترمذيّ في جامعه وقال : هذا حديث [حسن][١] غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى آبن عبيدة يضعّف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره . وقد روى شعبة وسفيان الثّوريّ وغير واحد من الأئمة عنه . قال القُشَيْري فيوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه .

قلت : وكذلك سائر الأيام والليالي ؛ فكل يوم شاهد وكذا كل ليلة ؛ ودليله ما رواه أبو نعيم الحافظ عن معاوية بن قُرّة عن مَعْقِل بن يَسَار عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "ليس من يوم يأتي على العبد إلا ينادَى فيه يآبن آدم أنا خَلْق جديد وأنا فيما تَعْمَل عليك شهيد فاعمل فيّ خيرا أشهدْ لك به غدًا فإني لو قد مضيتُ لم ترني أبدًا ويقول الليل مثل ذلك " . حديث غريب من حديث معاوية ، تفرّد به عنه زيد العَمِّي[٢] ، ولا أعلمه مرفوعا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد . وحكى القُشَيْريّ عن آبن عمر وآبن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى . وقال سعيد بن المسيّب : الشاهد التّروية ، والمشهود يوم عَرَفة . وروى إسرائيل عن أبي إسحق عن الحرث عن عليّ رضى الله عنه : الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم النحر . وقاله النَّخَعيّ . وعن عليّ أيضا : المشهود يوم عرفة . وقال آبن عباس والحسين آبن عليّ رضى الله عنهما : المشهود يوم القيامة ؛ لقوله تعالى : « ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ »[٣] .

---

(١) الزيادة من صحيح الترمذي

(٢) في كتاب الأنساب للسمعاني : « العمى » بفتح العين المهملة وتشديد الميم ، هذه النسبة إلى العم وهو بطن من تميم . وفي تهذيب التهذيب : « قال على بن مصعب : سمي زيد العمى لأنه كان كلما سئل عن شيء قال حتى أسأل عمى » .

(٣) آية ١٠٣ سورة هود .

قلت : وعلى هذا اختلفت أقوال العلماء في الشاهد فقيل : الله تعالى ؛ عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير؛ بيانه : « وكفى بالله شهيدا »[(١)] ، « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم »[(٢)] . وقيل : محمد صلى الله عليه وسلم ؛ عن ابن عباس أيضا والحسين ابن علي ؛ قرأ ابن عباس « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا »[(٣)] ، وقرأ الحسين « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا »[(٤)] .

قلت : وأقرأ أنا « ويكون الرسول عليكم شهيدا »[(٥)] . وقيل : الأنبياء يشهدون على أممهم ؛ لقوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد » . وقيل : آدم . وقيل : عيسى بن مريم ؛ لقوله : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم »[(٦)] . والمشهود أمته . وعن ابن عباس أيضا ومحمد بن كعب : الشاهد الإنسان ؛ دليله : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[(٧)] . مقاتل : أعضاؤه ؛ بيانه : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »[(٨)] . الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة ، والمشهود سائر الأمم ؛ بيانه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »[(٩)] . وقيل : الشاهد الحفظة ، والمشهود بنو آدم . وقيل : الليالي والأيام . وقد بيناه .

قلت : وقد يشهد المال على صاحبه ، والأرض بما عمل عليها ؛ ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل — أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة " . وفي الترمذي عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « يومئذ تحدث أخبارها » قال : " أتدرون ما أخبارها " ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " فإن أخبارها أن تشهد على

---

(١) آية ٧٩ سورة النساء . (٢) آية ١٩ سورة الأنعام . (٣) آية ٤١ سورة النساء .
(٤) آية ٤٥ سورة الأحزاب . (٥) آية ١٤٣ سورة البقرة . (٦) آية ١١٧ سورة المائدة .
(٧) آية ١٤ سورة الإسراء . (٨) آية ٢٤ سورة النور . (٩) آية ١٤٣ سورة البقرة .

كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا — قال — فهذه أخبارها" . قال حديث حسن غريب صحيح . وقيل : الشاهد الخلق ، شهدوا لله عزّ وجلّ بالوحدانية . والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى . وقيل : المشهود يوم الجمعة ؛ كما روى أبو الدّرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ... " وذكر الحديث . خرّجه ابن ماجه وغيره .

قلت : فعلى هذا يومُ عَرَفة مشهود ، لأن الملائكة تشهده وتنزل فيه بالرحمة . وكذا يوم النَّحْر إن شاء الله . وقال أبو بكر العَطّار : الشاهد الحَجَرُ الأسود ؛ يشهد لمن لمسه بصدق وإخلاص ويقين . والمشهود الحاجّ . وقيل : الشاهد الأنبياء ، والمشهودُ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بيانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ — إلى قوله تعالى — : وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ[1] » .

قوله تعالى : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾ أي لُعِن . قال ابن عباس : كل شيء في القرآن « قُتِل » فهو لعن . وهذا جواب القَسَم — في قول الفرّاء — واللام فيه مضمرة ؛ كقوله : « وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا — ثم قال — قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا » أي لقد أفلح . وقيل : فيه تقديم وتأخير ؛ أي قُتِل أصحابُ الأخدود والسماءِ ذاتِ البروج ؛ قاله أبو حاتم السِّجِسْتانيّ ، ابن الأنباريّ : وهذا غلط ؛ لأنه لا يجوز لقائل أن يقول : والله قام زيد ؛ على معنى قام زيد والله . وقال قوم : جواب القَسَم « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال بينهما . وقيل : « إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا » . وقيل : جواب القسم محذوف ؛ أي والسماءِ ذاتِ البروج لَتُبْعَثُنّ . وهذا اختيار ابنِ الأنباريّ . والأخدود : الشق العظيم

(١) آية ٨١ سورة آل عمران .

المستطيل في الأرض كالخَنْدَق ، وجمعه أخاديد . ومنه الخدّ لمجارى الدموع ، والمِخَدّة ؛ لأنّ الخدّ يوضع عليها . ويقال : تخدّد وجه الرجل إذا صارت فيه أخاديد من جراح . قال طَرَفة :

ووجهٌ كأنّ الشمس حلت رداءَها * عليه نقيّ اللون لم يَتَخَدّدِ

﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ « النار » بدل من « الأخدودِ » بدل الاشتمال . و « الْوَقُودِ » بفتح الواو قراءة العامة ، وهو الحطب . وقرأ قَتادة وأبو رَجاء ونصر بن عاصم (بضم الواو) على المصدر ؛ أي ذات الاتقاد والالتهاب . وقيل : ذات الوقود بأبدان الناس . وقرأ أشهب العقيلي وأبو السَّمّال العَدَوىّ وابن السَّمَيْقَع « النَّارُ ذاتُ » بالرفع فيهما ؛ أي أحرقتهم النار ذات الوقود . ﴿ إِذْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ أي الذين خدّدوا الأخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين ، وكانوا بنَجْرَان في الفَتْرة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ٱختلفت الرواية في حديثهم . والمعنى متقارب . ففي صحيح مسلم عن صُهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان مَلِك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ؛ فلما كَبِر قال للملك : إني قد كَبِرت فٱبعث إلىّ غلاما أعلّمْه السحر ؛ فبعث إليه غلاما يعلمه ؛ فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ؛ فكان إذا أتى الساحرَ مرّ بالراهب وقعد إليه ؛ فإذا أتى الساحرَ ضربه ؛ فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحرَ فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيتَ أهلك فقل : حبسني الساحر . فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حَبَست الناس فقال : اليومَ أعلمُ آلساحرُ أفضلُ أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللّهمّ إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فٱقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ؛ فرماها فقتلها ومضى الناس . فأتى الراهبَ فأخبره فقال له الراهب : أيْ بُنَيّ ؛ أنت اليومَ أفضلُ منّي ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستُبْتَلَى ؛ فإنِ ٱبتُلِيتَ فلا تدلّ عليّ . وكان الغلام يبرئ الأكْمَه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء . فسمع جليسٌ للملِك كان قد عَمِيَ فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك أجمع إن أنت شَفيتني . فقال : إني لا أشفي أحدًا ، إنما

يشفى الله؛ فإن أنت آمنتَ بالله دعوتُ اللهَ فشفاك؛ فآمن بالله فشفاه الله . فأتى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس؛ فقال له الملك : من رَدّ عليك بصرَك ؟ قال رَبّى . قال : ولكَ ربٌّ غيرى ؟ ! قال : رَبّى وربُّك الله . فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دَلّ على الغلام؛ فجىء بالغلام فقال له الملك : أى بُنَىّ ! أقد بلغ من سِحْرك ما تُبرئ الأكْمَهَ والأبرص ، وتفْعَلُ وتفعل ؟ ! فقال : إنى لا أَشْفِى أحداً ، إنما يشفى الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب؛ فجىء بالراهب فقيل له : آرجع عن دينك . فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مَفْرِق رأسه فشقّه حتى وقع شِقّاه . ثم جىء بجليس الملكِ فقيل له : آرجع عن دينك؛ فأبى فوضع المنشار فى مَفْرِق رأسه فشَقّه به حتى وقع شِقّاه . ثم جىء بالغلام فقيل له : آرجع عن دينك؛ فابى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال : آذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فآصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذِرْوَته فإن رجع عن دينه و إلا فآطرحوه؛ فذهبوا به فصَعِدوا به الجبل فقال : اللّهُمّ آكْفِنِيهم بمَا شِئت؛ فرَجَف بهم الجبلُ فسقطوا . وجاء يمشى إلى الملكِ فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفَانِيهمُ الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : آذهبوا به فآحملوه فى قُرْقُور[(١)] فتوسّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه و إلا فآقذفوه؛ فذهبوا به فقال : اللّهُمّ آكْفِنِيهم بمَا شئت؛ فآنكفأت بهم السفينة فغرقوا . وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانِيهم الله . فقال للملك : إنك لستَ بقاتِلِى حتى تفعل ما آمرك به . قال : ما هو ؟ قال : تجمع النـاس فى صعيدٍ واحدٍ وتَصْلُبُنِى على جِذْع ، ثم خُذْ سَهْمًا من كِنَانتى[(٢)] ثم ضَعِ السّهمَ فى كَبِدِ القَوْس ثم قل : بآسم الله رَبِّ الغلام ، ثم آرمنى ؛ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنِى . فجمع النـاسَ فى صَعيدٍ واحدٍ وصَلَبه على جِذع ، ثم أخذ سهمًا من كِنَانتِه ثم وضع السّهم فى كَبِدِ القَوْس ثم قال : بآسم الله رَبِّ الغلام؛ ثم رماه فوقع السهم فى صُدْغه فوضع يده فى صُدغه فى موضع السّهم فمات؛ فقال الناس : آمنا بربِّ الغلام ! آمنا برب الغلام ! آمنا برب

(١) القرقور (بضم القافين) : السفينة الصغيرة . (٢) الكنانة (بالكسر) : جعبة السهام تتخذ من جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها .

الغلام ! فأُتِيَ الملكُ فقيل له : أرأيتَ ما كنتَ تَحْـذَر ؟ قد والله نَزَلَ بك حَذَرُك ، قد آمن الناس ؛ فأمر بالأخدودِ فى أفواه السِّكَك ، فخُـدَّت وأضرم النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأحْمُوه فيها ــ أو قيل له اقتحم ــ ففعلوا ؛ حتى جاءت امرأة ومعها صبيٌّ لهـا فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : "يا أُمَّه اصْبِرِى فإنكِ على الحق" . خرّجه الترمذى بمعناه . وفيه : "وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة" قال مَعْمَر : أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين . وفيه : "أن الدابة التى حبستِ الناس كانت أسدًا وأن الغلام دُفن ــ قال ــ فيُذْكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صُدْغه كما وضعها حين قُتِل" . وقال : حديث حسن غريب . ورواه الضحاك عن ابن عبـاس قال : كان مَلِك بنَجْرانَ وفى رَعيّته رجل له فتًى فبعثه إلى ساحر يعلّمــه السحر ، وكان طريق الفتى على راهب يقرأ الإنجيل ؛ فكان يعجبه ما يسمعه من الراهب ، فدخل فى دين الراهب ؛ فأقبل يوما فإذا حيّة عظيمة قطعت على الناس طريقهم ، فأخذ حجرا فقال باسم الله رب السموات والأرض وما بينهما ؛ فقتلها . وذكر نحو ما تقدم . وأن الملك لمـا رماه بالسهم وقتله قال أهل مملكة الملك : لا إله إلا إله[1] عبد الله بن ثامر ؛ وكان اسمَ الغـلام ، فغضب الملك وأمر فخدّت أخاديد ، وجُمع فيها حطب ونار وعرض أهل مملكته عليها ، فمن رجع عن التوحيد تركه ، ومن ثبت على دينه قذفه فى النار . وجىء بامرأة مرضع فقيل لهـا ارجعى عن دينك وإلا قذفناك وولدك ــ قال ــ فأشفقت وهمت بالرجوع ، فقال لها الصبيّ المرضع : يا أمى ، اثبتى على ما أنت عليه فإنما هى غُمَيضة ؛ فألقوها وابنَها . وروى أبو صالح عن ابن عباس أن النار ارتفعت من الأخدود فصارت فوق الملك وأصحابه أربعين ذراعا فأحرقتهم . وقال الضحاك : هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، أخذهم يوسف ابن شراحيل بن تُبّع الحميرى ، وكانوا نيّفًا وثمانين رجلا ، وحَفَر لهم أخدودا وأحرقهم فيه ، حكاه المـاوَرْدىّ ، وحكى الثعلبيّ عنه أن أصحاب الأخدود من بنى إسرائيل ، أخذوا رجالا

(١) فى الأصول : « ... إلا الله عبد الله ... » وهو تحريف .

ونساء نخدّوا لهم الأخاديد، ثم أوقدوا فيها النار ، ثم أقيم المؤمنون عليها وقيل لهم: تكفرون أو تُقذفون فى النار ؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابه ؛ وقاله عَطِيّة العَوْفى . وروى نحو هذا عن ابن عباس. وقال علىّ رضى الله عنه : إن مَلِكًا سَكِر فوقع على أخته ، فأراد أن يجعل ذلك شَرْعًا فى رَعِيّته فلم يقبلوا ؛ فأشارت عليه أن يخطب بأن الله — عز وجل — أحلّ نكاح الأخوات فلم يَسمع منه . فأشارت عليه أن يَخُدّ لهم الأخدود ويُلقى فيه كلّ من عصاه . ففعل . قال : وبقاياهم ينكحون الأخوات وهم المجوس ، وكانوا أهل كتاب . وروى عن علىّ أيضا أن أصحاب الأخدود كان سببهم أن نبيًّا بعثه الله تعالى إلى الحبشة ، فاتبعه ناس فخدّ لهم قومُهم أخدودا ، فمن اتبع النبىّ رمى فيها ، فجىء بامرأة لها بُنَىّ رضيع فجزِعت ، فقال لها : يا أُمّاه ، امضى ولا تجزعى . وقال أيوب عن عِكْرِمة قال: «قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ» قال : كانوا من قومك من السِّجِسْتان . وقال الكلبىّ : هم نصارى نَجْران ، أخذوا بها قوما مؤمنين فخدّوا لهم سبعة أخاديد ، طول كل أخدود أربعون ذراعا ، وعرضه اثنا عشر ذراعا . ثم طرح فيه النِّفْط[1] والحطب ، ثم عرضوهم عليها ؛ فمن أبى قذفوه فيها . وقيل : قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين . وقال مقاتل : أصحاب الأخدود ثلاثة ؛ واحد بنجران ، والآخر بالشام ، والآخر بفارس . أمّا الذى بالشام فأنطنيانوس الرومى ، وأما الذى بفارس فبختنصّر ، والذى بأرض العرب يوسف بن ذى نُوَاس . فلم يُنزل الله فى الذى بفارس والشام قرآنا ، وأنزل قرآنا فى الذى كان بنجران . وذلك أن رجلين مسلمين كان أحدهما بتهامة والآخر بنجران ، آجر أحدهما نفسه ، فجعل يعمل و يقرأ الإنجيل ؛ فرأت ابنة المستأجر النور فى قراءة الإنجيل ، فأخبرت أباها فأسلم . وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامرأة ، بعد ما رُفع عيسى ، فخدّ لهم يوسف بن ذى نواس بن تُبّع الحِمْيَرِىّ أخدودا وأوقد فيه النار ؛ وعرضهم على الكفر ، فمن أبى أن يكفر قذفه فى النار ، وقال : من رجع عن دين عيسى لم يقذف . وإن امرأة معها ولدها صغير لم يتكلم ، فرجعت ، فقال لها ابنها : يا أمّاه ، إنى أرى أمامك

---

(١) النفط (بالكسر وقد يفتح) : دهن معدنى سريع الاحتراق ، توقد به النار ويتداوى به .

نارا لا تطفأ ، فقذفا جميعا أنفسهما فى النار، بجعلها الله وآبنها فى الجنة . فقُذِف فى يوم واحد سبعة وسبعون إنسانا . وقال آبن إسحق عن وهب بن مُنَبّه : كان رجل من بقايا أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام ، يقال له قيميون(١)، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا مجابَ الدعوة ، وكان سائحا فى القُرى لا يُعرف بقرية إلا مضى عنها ، وكان بَنّاء يعمل الطين . قال محمد بن كعب القُرَظى: وكان أهلُ نجران أهلَ شرك يعبدون الأصنام، وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلّم غلمان أهل نجران السحر ؛ فلما نزل بها قيميون بنى بها خَيْمة بين نجران وبين تلك القرية التى بها الساحر ، بجعل أهل نجران يبعثون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر؛ فبعث إليه الثامر عبد الله بن الثامر ، فكان مع غلمان أهــل نجران ، وكان عبد الله إذا مرّ بصاحب الخَيْمة أعجبه ما يرى من أمر صلاته وعبادته ، بجعل يجلس إليــه ويسمع منــه حتى أسلم ، فوحّد الله وعبده وجعل يسأله عن آسم الله الأعظم ، وكان الراهب يعلمه فكتمه إياه وقال : يابن أخى، إنك لن تحمله ، أخشى ضعفك عنه؛ وكان أبوه الثامر لا يظن إلا أن آبنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان . فلما رأى عبد الله أن الراهب قد بخل عليه بتعليم آسم الله الأعظم، عَمَد إلى قِداح(٢) بجمعها، ثم لم يُبق لله تعالى آسما يعلمه إلا كتبه فى قِدْح، لكل آسم قِدْح؛حتى إذا أحصاها أوْقد لها نارا،ثم جعل يقذفها فيها قِدْحًا قِدحا، حتى إذا مرّ بالآسم الأعظم قذف فيهـا بقِدحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم يضرّه شىء؛ فأخذه ثم قام إلى صاحبه،فأخبره أنه قد علم آسمَ الله الأعظم الذى كتمه إياه؛فقال: وما هو؟ قال : كذا وكذا . قال : وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع . فقال له : يآبن أخى ، قد أصبته ، فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل. بجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضرّ إلا قال : يا عبد الله ، أتوحّد الله وتدخل فى دينى فأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البــلاء ؟ فيقول : نعم ؛ فيوحّد الله ويُسلم فيدعو الله له فيشفى ، حتى لم يبق أحد بنجران به ضرّ إلا أتاه فآتبعه على دينه ودعا له فعوفى ؛ حتى رفع شأنه إلى ملكهم فدعاه فقال

(١) فى تاريخ الطبرى : « فيميون » بالفاء .

(٢) القدح (بالكسر) : السهم قبل أن ينصل ويراش ، جمعه قداح .

أفسدت عليّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي ، فلأمثلن بك . قال : لا تقدر على ذلك؛ فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطرح عن رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس . وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بحار لا يلقى فيها شيء إلا هلك، فيُلقى فيها فيخرج ليس به بأس ؛ فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله وتؤمنَ بما آمنتُ به؛ فإنك إن فعلت ذلك سُلّطت عليّ وقتلتني . فوحّد الله ذلك الملك وشهد شهادته ، ثم ضربه بعصا فشجّه شجّة صغيرة ليست بكبيرة فقتله ، وهلك الملك مكانه ، وآجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ؛ فمن ذلك كان أصل النصرانية بنجران . فسار إليهم ذو نُوَاس اليهودي بجنوده من حِمْيَر ، فدعاهم إلى اليهودية وخيّرهم بين ذلك أو القتل، فآختاروا القتل فخدّ لهم الأخدود ؛ فحرّق بالنار وقتّل بالسيف ومثّل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفا . وقال وهب بن مُنَبِّه : آثني عشر ألفا . وقال الكَلْبي : كان أصحاب الأخدود سبعين[1] ألفا . قال وهب : ثم لما غلب أرياط على اليمن خرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرِق. قال آبن إسحق : وذو نواس هذا آسمه زرعة بن تبان[2] أسعد الحميري ، وكان أيضا يسمى يوسف ، وكان له غدائر من شعر تَنُوس ، أي تضطرب ، فسُمّيَ ذا نواس ؛ وكان فعل هذا بأهل نجران فأفلت منهم رجل آسمه دَوْس ذو ثَعْلَبان، فساق الحبشة لينتصر بهم، فملكوا اليمن وهلك ذو نواس في البحر ؛ ألقى نفسه فيه ؛ وفيه يقول عمرو بن معدي كرب :

أتُوعِدُني كأنك ذو رُعَيْنٍ * بأنْعَم عِيشةٍ أو ذو نُوَاس
وكائنْ كان قبلك من نَعِيمٍ * ومُلْكٍ ثابتٍ في الناس راسِ
قديمٍ عهدُه من عهد عادٍ * عظيمٍ قاهرِ الجبروت قاسِ
أزال الدّهرُ ملكهُمُ فأضحى * يُنَقَّلُ من أناس في أناس

---

(١) في بعض النسخ : « تسعين ألفا » .

(٢) هو كغراب أو كرمان ، ويكسر ، وهو أول من كسا البيت الحرام

وذو رُعَيْن ملك من ملوك حِمْير . ورُعَيْن حِصن له . وهو من ولد الحرث بن عمرو بن حمير ابن سبأ .

مســـئلة ــ قال علماؤنا : أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة فى هذه الآية ، ما كان يَلقاه من وَحّد قبلهم من الشدائد؛ يؤنسهم بذلك . وذكر لهم النبىّ صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقَوْن من الأذى والآلام، والمشقات التى كانوا عليها ؛ ليتأسوا بمثل هــذا الغلام فى صبره وتصلبه فى الحق وتمسّكه به ، وبذله نفسه فى حق إظهار دعوته ، ودخول الناس فى الدين مع صِغر ســنّه وعظم صبره . وكذلك الراهب صَبَر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار . وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان فى قلوبهــم ، صَبَرُوا على الطرح فى النار ولم يَرْجعوا فى دينهم . آبن العربى : وهذا منسوخ عندنا؛ حسب ما تقدم بيانه فى سورة « النحل »[1] .

قلت : ليس بمنسوخ عندنا ، وأن الصبر على ذلك لمن قَوِيت نفسه وصَلُب دينه أولى؛ قال الله تعــالى مخبرا عن لُقْمان : « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ[2] » . وروى أبو سعيد الخُدْرىّ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " إن من أعظم الجهاد كلمةَ عَدْلٍ عند سلطان جائر " . خرّجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب . وروى آبن سَنْجَر محمد بن سَنْجر عن أُمَيْمة مولاة النبىّ صلّى الله عليه وسـلّم قالت : كنت أُوَضِّئ النبىّ صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فقال : أوصنى . فقال: " لا تشرك بالله شيئا وإن قُطّعت أو حُرّقت بالنار ... " الحديث . قال علماؤنا : ولقد آمتحن كثير من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وســلم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا ولم يلتفتوا إلى شىء من ذلك . ويكفيك قصّة عاصم وخُبيب وأصحابهما وما لقُوا من الحروب والمِحَن والقتْل والأسر والحرق؛ وغير ذلك . وقد مضى فى « النّحل » أن هــذا إجماع ممن قوِى فى ذلك ؛ فتأمله هناك[3] .

(١) راجع جـ ١٠ ص ١٨٠ وما بعدها، وص ٢٠٢ (٢) آية ١٧ سورة لقمان .
(٣) راجع جـ ١٠ ص ١٨٠

قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ دعا على هؤلاء الكفار بالإبعاد من رحمة الله تعالى . وقيل : معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين ؛ أى إنهم قُتلوا بالنار فصبَروا . وقيل : هو إخبار عن أولئك الظالمين؛ فإنه روى أن الله قبض أرواح الذين أُلقُوا فى الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار ، وخرجت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها قعود . وقيل : إن المؤمنين نَجَوْا وأحرقت النار الذين قعدوا؛ ذكره النحاس . ومعنى «عليها» أى عندها ؛ وعلى بمعنى عند . وقيل : « عليها » على ما يدنو منها من حافات الأخدود ؛ كما قال :

* وبات على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ (١) *

والعامل فى « إذ» «قُتِل» ؛ أى لعنوا فى ذلك الوقت . ﴿ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أى حضور . يعنى الكفار كانوا يَعرِضون الكفر على المؤمنين فمن أبَى ألقوه فى النار؛ وفى ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجدّ (٢) فى ذلك . وقيل : «على» بمعنى مع؛ أى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود .

قوله تعالى : وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ وقرأ أبو حَيْوَة « نَقِمُوا » بالكسر . والفصيح هو الفتح . وقد مضى فى « براءة » القول فيه (٣) . أى ما نَقَم الملكُ وأصحابُه من الذين حَرَّقهم . ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا ﴾ أى إلا أن يصدّقوا . ﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ أى الغالب المنيع . ﴿ الْحَمِيدِ ﴾

---

(١) البيت لأعشى قيس؛ وصدره :

* تشب لمقرورين يصطليانها *

(٢) فى بعض النسخ : « أى بالجد » بدل « ثم بالجد » .

(٣) راجع جـ ٨ ص ٢٠٧

اى المحمود فى كل حال . ﴿ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا شريك له فيهما ولا نديد. ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى عالم بأعمال خلقه لا تخفى عليه خافية .

قوله تعالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى حرقوهم بالنار . والعرب تقول : فتن فلان الدرهم والدينار، إذا أدخله الكُور لينظر جودته . ودينار مفتون. ويُسمّى الصائغ الفتّان، وكذلك الشيطان ؛ وورِق فتين ؛ أى فضة محترقة . ويقال للحرة[1] فتين ؛ أى كأنها أحرقت حجارتها بالنار ، وذلك لسوادها . ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ أى من قبيح صنيعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الايات البينات على يدى الغلام . ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ لكفرهم . ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ فى الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار . وقد تقدم عن ابن عباس . وقيل : « وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » أى ولهم فى الآخرة عذاب زائد على عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين . وقيل : لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق . والحريق : اسم من أسماء جهنم ؛ كالسعير . والنار دركات وأنواع ولها أسماء . وكأنهم[2] يعذبون بالزمهرير فى جهنم ، ثم يعذبون بعذاب الحريق . فالأول عذاب ببردها ، والثانى . عذاب بحرها . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله ؛ أى صدقوا به وبرسله . ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ ﴾ أى بساتين . ﴿ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ من ماء غير آسن، ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى . ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ أى العظيم ، الذى لا فوز يشبهه .

(١) الحرة (بفتح الحاء المهملة) : أرض ذات حجارة سود نخرة. (٢) فى نسخة من الأصل : «وكانوا» .

قوله تعالى : إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى أخذه الجبابرة والظَّلَمة ؛ كقوله جل ثناؤه : « وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » . وقد تقدم (١) . قال المبرّد : « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ » جواب القَسَم ؛ المعنى : والسماءِ ذاتِ البروج إن بطش ربك . وما بينهما معترض مؤكد للقسم . وكذلك قال الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول : إن القَسَم واقع على ذكر صفته بالشدة . ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ يعنى الخلق — عند أكثر العلماء — يخلقهم ٱبتداء ثم يعيدهم عند البَعْث . وروى عِكرمة قال : عَجِب الكفار من إحياء الله جل ثناؤه الأموات . وقال ٱبن عباس : يبدئ لهم عذاب الحريق فى الدنيا ثم يعيده عليهم فى الآخرة . وهذا ٱختيار الطبرى . ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ أى السَّتور لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها ﴿ الْوَدُودُ ﴾ أى المحبّ لأوليائه . وروى الضحاك عن ٱبن عباس قال : كما يودّ أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة . وعنه أيضا « الودود » أى المتودّد إلى أوليائه بالمغفرة . وقال مجاهد : الوادّ لأوليائه ؛ فعول بمعنى فاعل . وقال ٱبن زيد : الرحيم . وحكى المبرّد عن إسمعيل بن إسحق القاضى أن الودود هو الذى لا ولد له ؛ وأنشد قول الشاعر :

وأركب فى الرّوع عُريانةً * ذلولَ الجناح لقاحًا ودودا

أى لا ولد لها تحِن إليه . ويكون معنى الآية : إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله ؛ ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء . وقيل : الودود بمعنى المودود ؛ كرَكُوب وحَلُوب ؛ أى يودّه عباده الصالحون ويحبّونه . ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ قرأ الكوفيون إلا عاصما « المجيد » بالخفض نعتاً للعرش . وقيل : لـ«ربك» ؛ أى إن بطش ربك المجيد لشديد .

(١) آية ١٠٢ سورة هود راجع جـ ٩ ص ٩٥

ولم يمتنع الفصل لأنه جارٍ مجرى الصفة في التشديد . الباقون بالرفع نعتا لـ« ذو » وهو الله تعالى . واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأن المجد هو النهاية في الكرم والفضل ، والله سبحانه المنعوت بذلك ، وإن كان قد وصف عرشه بالكريم في آخر «المؤمنون»(1) . تقول العرب : في كل شجر نار ، واستمجد المَرْخ والعَفار(2) ؛ أي تناهيا فيه حتى يقتبس منهما . ومعنى ذو العرش : أي ذو المُلك والسلطان ؛ كما يقال : فلان على سرير ملكه ؛ وإن لم يكن على سرير . ويقال : ثُلَّ عَرْشُه ؛ أي ذهب سلطانه . وقد مضى بيان هذا في « الأعراف »(3) وخاصة في « كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » . ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ أي لا يمتنع عليه شيء يريده . الزمخشري : « فَعَّالٌ » خبر ابتداء محذوف . وإنما قيل : « فَعَّالٌ » لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة . وقال الفراء : هو رفع على التكرير والاستئناف ؛ لأنه نكرة محضة . وقال الطَّبَرِيّ : رفع « فَعّال » وهي نكرة محضة على وجه الإتباع لإعراب « الغفور الودود » . وعن أبي السَّفَر(4) قال : دخل ناس من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أبي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا : ألا نأتيك بطبيب ؟ قال : قد رآني ! قالوا : فما قال لك ؟ قال قال : إني فعال لما أريد .

قوله تعالى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾

قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذّبة لأنبيائهم ؛ يؤنّسه بذلك ويسلّيه . ثم بيّنهم فقال . ﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ وهما في موضع جرّ على البدل من « الجنود » . المعنى : أنك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله . ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك . ﴿ فِي تَكْذِيبٍ ﴾

(1) راجع جـ ١٢ ص ١٥٧ . (2) المرخ والعفار : شجرتان من أكثر الشجر نارا ، يحذ منهما الزناد . والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالي . و « استمجد » : استكثر . (3) راجع جـ ٧ ص ٢٢٠
(4) هو سعيد بن يحمد الهمداني .

لك ؛ كدأب من قبلهم . وإنما خص فرعون وثمود ؛ لأن ثمود فى بلاد العرب، وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين . وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين فى الهلاك ؛ فدلّ بهما على أمثالها فى الهلاك . والله أعلم .

قوله تعالى : وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ أى يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون. والمحاط به كالمحصور . وقيل : أى والله عالم بهم فهو يجازيهم . ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ أى متناه فى الشرف والكرم والبركة، وهو بيان ما بالناس الحاجةُ إليه من أحكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون . وقيل « مجيد » أى غير مخلوق . ﴿ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ أى مكتوب فى لوح . وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه . وقيل : هو أم الكتاب ؛ ومنه انتسخ القرآن والكتب . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : اللوح من ياقوتة حمراء، أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر مَلَك يقال له ماطريون[1] ، كتابه نور وقلمه نور ، ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة ، ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء ؛ يرفع وضيعا ويضع رفيعا ، ويغنى فقيرا ويفقر غنيًّا ، يُحيي ويميت ، ويفعل ما يشاء ؛ لا إله إلا هو . وقال أنس بن مالك ومجاهد : إن اللوح المحفوظ الذى ذكره الله تعالى فى جبهة إسرافيل . وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش . وقيل : اللوح المحفوظ الذى فيه أصناف الخلق والخليقة ، وبيانُ أمورهم، وذكرُ آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، والأقضيةُ النافذة فيهم ، ومآلُ عواقب أمورهم ؛ وهو أمُّ الكتاب . وقال ابن عباس : أول شىء كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ « إنى أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسولى ، من استسلم لقضائى وصبر على بلائى وشكر نعمائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ، ومن لم يستسلم لقضائى

---

(١) فى روح المعانى : « ساطريون » .

ولم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليتخذ إلهاً سواى » . وكتب الحجاج إلى محمد بن الحنفية رضى الله عنه يتوعده ، فكتب إليه ابن الحنفية : « بلغنى أن لله تعالى فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرةً فى اللوح المحفوظ ، يُعزّ ويُذلّ ، ويبتلى ويفرح ، ويفعل ما يريد ؛ فلعل نظرة منها تشغلك بنفسك فتشتغل بها ولا تتفرغ » . وقال بعض المفسرين : اللّوح شيء يلوح للملائكة فيقرءونه . وقرأ ابن السّميقع وأبو حَيْوة « قرآنُ مجيدٍ » على الإضافة ؛ أى قرآن ربٍّ مجيد . وقرأ نافع « فى لوحٍ محفوظٌ » بالرفع نعتا للقرآن ؛ أى بل هو قرآن مجيد محفوظ فى لوح . الباقون (بالجر) نعتا للوح . والقرّاء متفقون على فتح اللام من « لَوح » إلا ما رُوى عن يحيى بن يَعْمر ؛ فإنه قرأ فى « لُوحٍ » بضم اللام ؛ أى إنه يلوح ، وهو ذو نور وعُلُوّ وشرف . قال الزمخشرىّ : واللُّوح الهواء ؛ يعنى اللُّوح فوق السماء السابعة الذى فيه اللّوح . وفى الصحاح : لاح الشيء يلوح لَوْحًا أى لمح . ولاحه السّفر : غيّره . ولاح لَوْحا ولُواحا عطش ، وٱلتاح مثله . واللّوح : الكَتِف وكلّ عظم عريض . واللّوح : الذى يكتب فيه . واللُّوح (بالضم) : الهواء بين السماء والأرض . والحمد لله .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطارق

مَكِّيَّةٌ، وهى سبع عشرة آية

قوله تعالى : وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ ﴾ قَسَمان : « السَّماءُ » قَسَم، و « الطَّارِقُ » قَسَم . والطارق : النجم . وقد بيّنه الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ واختلف فيه ؛ فقيل : هو زُحَل ، الكوكبُ الذى فى السماء السابعة ؛ ذكره محمد بن الحسن فى تفسيره، وذكر له أخبارا، الله أعلم بصحتها . وقال ابن زيد : إنه الثُّرَيّا . وعنه أيضا أنه زُحَل ؛ وقاله الفراء . ابن عباس : هو الجَدْى . وعنه أيضا وعن علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنهما — والفراء : « النَّجْمُ الثَّاقِبُ » نَجْمٌ فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم؛ فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة، وهو زُحَل ؛ فهو طارق حين ينزل وطارقٌ حين يَصْعَد . وحكى الفراء : ثَقَب الطائرُ إذا ارتفع وعلا . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع أبى طالب، فانحطّ نجم فامتلأت الأرض نورا، ففزِع أبو طالب وقال : أىّ شىء هذا! فقال : "هذا نجم رُمى به وهو آية من آيات الله" فعجب أبو طالب ونزل « والسماءِ والطارِقِ » . وروى عن ابن عباس أيضا « وَالسَّماءِ والطَّارِقِ » [قال : السماء] (١) وما يَطْرُق فيها . وعن

(١) زيادة عن الطبرى .

ابن عباس وعطاء : « الثاقب » الذي تُرْمَى به الشياطين . قتادة : هو عام في سائر النجوم ؛ لأن طلوعها بِلَيْلٍ ؛ وكلّ من أتاك ليلاً فهو طارق . قال :

ومِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعاً * فألْهَيْتُهَا عن ذِي تَمَائِمَ مُغْيِلِ (١)

وقال :

ألم ترياني كلما جئتُ طارقا * وجدت بها طِيباً وإن لم تطيّب

فالطارق : النجم ؛ اسم جنس ، سُمِّيَ بذلك لأنه يطرق ليلا ؛ ومنه الحديث : " نهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يَطْرُقَ المسافر أهله ليلًا كي تَسْتَحِدّ المَغِيبة وتَمْتَشط الشَّعِثة (٢) " . والعرب تسمّي كلَّ قاصدٍ في الليل طارقا . يقال : طرق فلان إذا جاء بليل . وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق . ولابن الرُّومي (٣) :

يا راقدَ الليلِ مسرورًا بأوّله * إن الحوادث قد يَطْرُقْنَ أسحارا

لا تفرحن بليلٍ طاب أوّله * فرُبَّ آخرِ ليلٍ أجّج النارا

وفي الصحاح : والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح . ومنه قول هند :

نحن بنات طارِق * نمشي على النَّمارق

أي إن أبانا في الشرف كالنجم المضيء . الماوردي : وأصل الطرق الدّق ؛ ومنه سميت المِطْرقة . فسُمِّيَ قاصد الليل طارقًا لاحتياجه في الوصول إلى الدق . وقال قوم : إنه قد يكون نهارا . والعرب تقول : أتيتك اليوم طرقتين ؛ أي مرتين . ومنه قوله صلى الله عليه

---

(١) البيت لامرئ القيس . والتمائم : التعاويذ التي تعلق في عنق الصبي . وذو التمائم : هو الصبي . والمغيل : الذي تؤتى أمه وهي ترضعه . ويروى : « محول » بدل « مغيل » وهو الذي أتى عليه الحول .

(٢) الاستحداد : حلق العانة بالحديد . والمغيبة : التي غاب عنها زوجها والشعثة : التي تلبد شعرها .

(٣) لم نعثر على هذين البيتين في ديوان ابن الرومي . وقد أورد الجاحظ البيت الأول في كتابه (الحيوان جـ ٦ ص ٥٠٨ طبع مطبعة الحلبي) غير منسوب . ولم يعرف أن الجاحظ يستشهد بشعر ابن الرومي . وقد توفي الجاحظ وكانت سن ابن الرومي ٣٤ على أن هذا الشعر ليس من روح ابن الرومي . وقد أورد أيضا الغزالي في (الأحياء جـ ٣ ص ١٨٠ طبع الحلبي) البيت الأول ضمن ستة أبيات من وزنه وقافيته .

وسلم : "أعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن" . وقال جرير في الطروق :

طَـرَقَتْك صائدةُ القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجِعي بسلام

ثم بيّن فقال : ﴿ وما أدراكَ ما الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ والثاقب : المضيء . ومنه «شهابٌ ثاقب»[1] . يقال : ثَقَب يَثْقُب ثُقُوبًا وثَقابةً إذا أضاء . وثقوبه ضوءه . والعرب تقول: أثقب نارك ؛ أي أضئها . قال :

أذاع به في الناس حتى كأنه * بعَلْياء نارٌ أوقدت بثقوب

الثُّقُوب ما تُشعل به النار من دِقاق العيدان . وقال مجاهد : الثاقب المُتَوَهِّج . القُشَيْرِيّ : والمُعْظَم على أن الطارق والثاقب اسمُ جنسٍ أريد به العموم؛ كما ذكرنا عن مجاهد. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ تفخيمًا لشأن هـذا المُقْسَم به . وقال سُفيان : كل ما في القرآن « وما أدراك » فقد أخبره به . وكل شيء قال فيه « وما يدريك » لم يخبره به .

قوله تعالى : إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

قال قتادة : حَفَظَةٌ يحفظون عليك رِزْقك وعَمَلك وأجلك . وعنه أيضا قال : قرينه يحفظ عليه عَمَلَه من خير أو شر . وهذا هو جواب القَسَم . وقيل : الجواب «إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ » في قول الترمذي محمد بن علي . و « إنْ » مخففة من الثقيلة، و « ما » مؤكّدة ؛ أي إن كل نفس لعليها حافظ . وقيل : المعنى إن كل نفس إلا عليها حافظ يحفظها من الآفات حتى يُسلمها إلى القدر . قال الفراء : الحافظ من الله يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير؛ وقاله الكلبي . وقال أبو أُمامة : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "وُكِل بالمؤمن مائةٌ وستون مَلَكًا يَذُبُّون عنه ما لم يقدر عليه . من ذلك البصرُ ، سبعةُ أملاك يذُبُّون عنه كما يُذَبّ عن قَصعة العسل الذُّبابُ . ولو وُكِل العبدُ إلى نفسه طَرْفة عين لاختطفته الشياطين". وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة « لَمّا » بتشديد الميم ؛ أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وهي لغة

(١) آية ١٠ سورة الصافات .

هُذيل . يقول قائلهم : نشدتك لَمّا قمت . الباقون بالتخفيف على أنها زائدة مؤكدة كما ذكرنا . ونظير هذه الآية قولُه تعالى : « لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ »(١) . على ما تقدم . وقيل : الحافظ هو الله سبحانه؛ فلولا حفظه لها لم تبق . وقيل : الحافظ عليه عقله ، يرشده إلى مصالحه ويكُفّه عن مضارّه .

قلت : العقل وغيره وسائط ، والحافظ فى الحقيقة هو الله جل وعز؛ قال الله عز وجل : « فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا »(٢) ، وقال : « قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ »(٣) . وما كان مثله .

قوله تعالى : فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ ﴾ أى ابن آدم ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ وجه الاتصال بما قبله توصية الإنسان بالنظر فى أوّل أمره وسَنَته الأولى ، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه؛ فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ، ولا يُمْلِي على حافظه إلا ما يَسُرّه فى عاقبة أمره . و « مِمَّ خُلِقَ » استفهام ؛ أى من أى شىء خلق . ثم قال : ﴿ خُلِقَ ﴾ وهو جواب الاستفهام ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ أى من المَنِيّ . والدَّفْق : صبُّ المـاء؛ دَفَقْتُ المـاء أَدْفُقُهُ دَفْقا صَبَبْتُه ، فهو ماء دافق؛ أى مـدفوق ؛ كما قالوا : سِرٌّ كاتِمٌ ؛ أى مكتوم ؛ لأنه من قولك : دُفِق المـاء على ما لم يسم فاعله . ولا يقـال : دفق المـاءُ . ويقال : دَفَقَ اللهُ روحَه ؛ إذا دُعِيَ عليـه بالموت . قال الفراء والأخفش : «ماءٍ دافِقٍ» أى مصبوب فى الرّحِم . الزجاج : من ماء ذى اندفاق . يقال : دارع وفارس ونابل؛ أى ذو فَرَس ودِرْع ونَبْل . وهـذا مذهب سيبويه . فالدافق هو المندفق بشدّة قوّته . وأراد ماءين : ماء الرجل وماء المرأة ؛ لأن الإنسان مخلوق منهما ، لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما . وعن عكرمة عن ابن عباس : «دافِقٍ» لزج . ﴿ يَخْرُجُ ﴾

---

(١) راجع جـ ٩ ص ٢٩١ (٢) آية ٦٤ سورة يوسف . (٣) آية ٤٢ سورة الأنبياء .

أى هذا الماء ﴿ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ ﴾ أى الظهر . وفيه لغات أربع : صُلْب، وصُلُب — وقُرئ بهما — وصَلَب (بفتح اللام)، وصالَب (على وزن قالَب)؛ ومنه قول العباس (١) :

* تُنْقَلُ من صالَب إلى رَحِم *

﴿ والتَّرائِب ﴾ أى الصدر، الواحدة تَرِيبة؛ وهى موضع القِلادة من الصدر . قال :

مُهَفْهَفَة بيضاء غير مُفاضةٍ * ترائبها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ (٢)

والصلب من الرجل . والترائب من المرأة . قال ابن عباس : الترائب موضع القلادة . وعنه : ما بين ثدييها؛ وقاله عكرمة . وروى عنه يعنى ترائب المرأة اليدين والرجلين والعينين؛ وبه قال الضحاك . وقال سعيد بن جبير : هو الجيد . مجاهد : هو ما بين المنكبين والصدر . وعنه : الصدر . وعنه : التراقى . وعن ابن جبير عن ابن عباس : الترائب أربع أضلاع من هذا الجانب . وحكى الزجاج : أن الترائب أربع أضلاع من يَمْنة الصدر، وأربع أضلاع من يَسرة الصدر . وقال مَعْمر بن أبى حبيبة المدنى : الترائب عصارة القلب؛ ومنها يكون الولد . والمشهور من كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر (٣) . قال دُرَيد بن الصِّمَّة :

فإن تُدْبِروا نأخذكُم فى ظُهورِكُمْ * وإن تُقبِلوا نأخذكُم فى التَّرائب

وقال آخر :

وبَدتْ كأن ترائبًا من نَحْرِها * جَمْرُ الغَضَى فى ساعد تتوقد

وقال آخر :

والزّعفرانُ على ترائبها * شَرِقٌ به اللَّبَاتُ والنَّحرُ (٤)

---

(١) هو ابن عبد المطلب ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمام البيت :

* إذا مضى عالم بدا طبق *

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس . والمهفهفة : الخفيفة اللحم التى ليست برهلة ولا ضخمة البطن . والمفاضة : المسترخية البطن . والسجنجل : المرآة . وقيل : سبيكة الفضة ، أو الزعفران ، أو ماء الذهب .

(٣) فى بعض نسخ الأصل : « أنها عظام النهد والصدر » .

(٤) البيت للمخبل . وشرق الجسد بالطيب امتلأ فضاق . واللبات (جمع لبة) : موضع القلادة .

وعن عكرمة : الترائب الصدر ؛ ثم أنشد :

* نظامُ دُرٍّ على ترائبها *

وقال ذو الرُّمّة :

* ضَرَجْنَ البُرُودَ عن ترائب حرة (١) *

أى شققن . ويروى « ضَرَحْن » بالحاء ؛ أى ألقين . وفى الصحاح : والتريبة واحدة الترائب، وهى عظام الصدر؛ ما بين التَّرْقُوة والثَّنْدُوَة .

قال الشاعر :

* أشرف ثَدْياها على التَّريب (٢) *

وقال المُثَقِّب العَبْدى :

ومن ذَهَب يسنّ (٣) على تَرِيب * كلَوْن العاج ليس بذى غُضُون (٤)

[عن غير الجوهرى : الثَّندوة للرجل بمنزلة الثدى للمرأة . وقال الأصمعى : مغرز الثَّدْى . وقال ابن السكّيت : هى اللحم الذى حول الثدى ؛ إذا ضممت أوّلها همزت ، و إذا فتحت لم تهمز] (٥) . وفى التفسير : يُخْلَق من ماء الرجل الذى يخرج من صلبه العظمُ والعَصَبُ . ومن ماء المرأة الذى يخرج من ترائبها اللَّحْمُ والدمُ ؛ وقاله الأعمش . وقد تقدّم مرفوعا فى أوّل سورة (آل عمران) (٦) . والحمد لله — وفى (الحجرات) « إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ » (٧) وقد تقدّم . وقيل : إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع فى الأنثيين . وهذا لا يعارض قوله : « من بين الصُّلْب » ؛ لأنه

---

(١) تمام البيت :

* وعن أعين قَتَلْننا كل مقتل *

(٢) القائل هو الأغلب العجلى . وتمام البيت :

* لم يعدوا التفليك فى النُّتُوب *

وتفلك ثدى الجارية : استدار . والنتوب : النهود وهو ارتفاعه .

(٣) كذا فى بعض النسخ والطبرى . وفى بعضها : « يسر » بالراء . وفى روح المعانى : « يبيز » . وفى اللسان وشعراء النصرانية : « يلوح » . (٤) فى اللسان مادة (ترب) : « ... ليس له غضون » . والبيت من قصيدة مكسورة القافية مطلعها :

أفاطم قبل بينك متعينى ومنعك ما سألتك أن تبينى

(٥) مابين المربعين ساقط من بعض نسخ الأصل . (٦) راجع جـ ٤ ص ٧ (٧) راجع جـ ١٦ ص ٣٤٣

إن نزل من الدماغ فإنما يمرّ بين الصلب والترائب . وقال قتادة : المعنى ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة . وحكى الفراء : أن مثل هذا يأتي عن العرب ؛ وعليه فيكون معنى من بين الصلب من الصلب . وقال الحسن : المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ، ومن صلب المرأة وترائب المرأة . ثم إنا نعلم أن النطفة من جميع أجزاء البدن ؛ ولذلك يُشْبه الرجل والديه كثيرا . وهذه الحكمة فى غسل جميع الجسد من خروج المنى . وأيضا المكثر من الجماع يجد وجعاً فى ظهره وصلبه ؛ وليس ذلك إلا لخلو صُلبه عما كان محتبسا من الماء . وروى إسماعيل عن أهل مكة « يخرج من بين الصُّلُب » بضم اللام . ورُويت عن عيسى الثقفى . حكاه المهدوى وقال : من جعل المنِيّ يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير فى « يخرج » للماء . ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للإنسان . وقرئ « الصَّلَب » بفتح الصاد واللام . وفيه أربع لغات[1] : صُلْب وصُلُب وصَلَب وصَالَب . قال العجّاج :

* فى صَلَب مثل العِنان المُؤْدَمِ *

وفى مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم :

* تُنْقَل من صالَب إلى رَحِم *

الأبيات مشهورة معروفة . ﴿ إِنَّهُ ﴾ أى إن الله جل ثناؤه ﴿ عَلَى رَجْعِهِ ﴾ أى على رَدّ الماء فى الإحليل ﴿ لَقَادِرٌ ﴾ كذا قال مجاهد والضحاك . وعنهما أيضا أن المعنى : إنه على رد الماء فى الصلب ؛ وقاله عكرمة . وعن الضحاك أيضا أن المعنى : إنه على رَدّ الإنسان ماء كما كان لقادر . وعنه أيضا أن المعنى : إنه على رَدّ الإنسان من الكِبَر إلى الشباب ومن الشباب إلى الكِبَر لقادر . وكذا فى المهدوى . وفى الماوردىّ والثعلبى : إلى الصِّبا ومن الصِّبا إلى النطفة . وقال ابن زيد : إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر . وقال ابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة أيضا : إنه على ردّ الإنسان بعد الموت لقادر . وهو اختيار الطبرى . الثعلبىّ : وهو الأقوى ؛ لقوله تعالى : « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ » . قال الماوردىّ : ويحتمل أنه على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه فى الآخرة ؛ لأن الكفار يسألون الله تعالى فيها الرَّجْعة .

---

(١) تقدم هذا فى ص ٥

قوله تعالى : يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾

فيه مسألتان :

الأولى ـ العامل فى « يوم » ـ فى قول من جعل المعنى إنه على بعث الإنسان ـ قوله « لقادر » ولا يعمل فيه « رجعه » لما فيه من التفرقة بين الصّلة والموصول بخبر « إنّ » . وعلى الأقوال الأُخر التى فى « إنَّه عَلَى رَجْعِه لَقَادِرٌ » يكون العامل فى « يوم » فعلٌ مضمر ولا يعمل فيه « لقادر » ؛ لأن المراد فى الدنيا . و ﴿ تُبْلَى ﴾ أى تُمتحن وتُختبَر ؛ قال أبو الغُول الطُّهَوِىّ[1] :

ولا تَبْلَى بَسالتهم وإن هم * صَلُوا بالحَرْب حِيناً بعد حِينِ

ويروى « تُبْلَى بسالتهم » . فمن رواه «تُبلى» ـ بضم التاء ـ جعله من الاختبار ؛ وتكون البسالة على هذه الرواية الكراهة ؛ كأنه قال : لا يُعرف لهم فيها كراهة . و « تبلى » تُعرف . قال الراجز :

قد كنت قبل اليوم تزدرينى * فاليوم أبلوك وتبتلينى

أى أعرفك وتعرفنى . ومن رواه « تَبْلَى » ـ بفتح التاء ـ فالمعنى أنهم لا يضعفون عن الحرب وإن تكررت عليهم زمانا بعد زمان . وذلك أن الأمور الشداد إذا تكررت على الإنسان هدّته وأضعفته . وقيل : «تُبْلَى السرائر» أى تخرج مخبآتها وتظهر، وهو كل ما كان استسره الإنسان من خير أو شر ، وأضمره من إيمان أو كفر ؛ كما قال الأَحْوَص :

سيبقى لها فى مُضْمَر القلب والحَشَا * سريرةُ وُدّ يوم تُبْلَى السرائر[2]

---

(١) هو شاعر إسلامى ، منسوب إلى « طهية » وهى أم قبيلة من العرب .

(٢) كذا ورد فى بعض نسخ الأصل وخزانة الأدب جـ ١ ص ٣٢٢ وفى بعض نسخ الأصل والشعر والشعراء وكتاب الأغانى جـ ٤ ص ٢٤٦ طبع دار الكتب المصرية : « ستبلى لكم ... » .

الثانيــــة — رُوِى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ائتمن الله تعالى خلقه على أربع : على الصلاة والصوم والزكاة والغسل وهي السرائر التي يختبرها الله عز وجل يوم القيامة" ذكره المهدوىّ . وقال ابن عمر قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ثلاث من حافظ عليها فهو ولىّ الله حقًّا ، ومن اختانهنّ فهو عدوّ الله حقًّا : الصلاة والصوم والغسل من الجنابة" ذكره الثعلبيّ . وذكر المَاوَرْدِىّ عن زيد بن أسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الأمانة ثلاث : الصلاة والصوم والجنابة . استأمن الله عز وجلّ ابنَ آدم على الصلاة فإن شاء قال صلّيتُ ولم يُصَلّ . استأمن الله عزّ وجلّ ابنَ آدم على الصوم فإن شاء قال صُمْتُ ولم يَصُم . استأمن الله عز وجل ابنَ آدم على الجنابة فإن شاء قال اغتسلت ولم يغتسل اقرءوا إن شئتم « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِر » " وذكره الثعلبي عن عطاء . وقال مالك في رواية أشهب عنه وسألته عن قوله تعالى « يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِر » : أبلغك أن الوضوء من السرائر ؟ قال : وقد بلغني ذلك فيما يقول الناس ، فأما حديث أحدّث(١) به فلا . والصلاة من السرائر ، والصيام من السرائر ، إن شاء قد صلّيت ولم يصل . ومن السرائر ما في القلوب ؛ يجزى الله به العباد . قال ابن العربي : « قال ابن مسعود يُغفر للشهيد إلا الأمانة ، والوضوءُ من الأمانة ، والصلاةُ والزكاةُ من الأمانة ، والوديعةُ من الأمانة ؛ وأشدّ ذلك الوديعةُ ، تُمَثَّل له على هيئتها يوم أخذها فيُرْمَى بها في قعر جهنم ، فيقال له : أخرجها ، فيتبعها فيجعلها في عنقه ، فإذا رجا أن يخرج بها زَلّت منه فيتبعها ؛ فهو كذلك دهرَ الداهرين . وقال أُبَىّ بن كعب : من الأمانة أن ائْتُمِنت المرأة على فرجها . قال أشهب : قال لى سفيان في الحيضة والحمل إن قالت لم أحض وأنا حامل صُدّقت ، ما لم تأت بما يُعرف فيه أنها كاذبة . وفي الحديث : "غسل الجنابة من الأمانة" . وقال ابن عمر : يُبْدِى الله يوم القيامة كلَّ سِرٍّ خفيّ ، فيكون زَيْنًا في الوجوه وشَيْنًا في الوجوه . والله عالم بكل شيء ، ولكن يظهر علامات الملائكة والمؤمنين .

---

(١) في ابن العربي : « أخذته » .

قوله تعالى : فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُ ﴾ أى الإنسان ﴿ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ أى مَنَعة تمنعه . ﴿ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ ينصره مما نزل به . وعن عِكرمة « فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ ولا نَاصِرٍ » قال : هؤلاء الملوك ، ما لهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر . وقال سفيان : القوّة العشيرة . والناصر الحليف . وقيل : « فما لَهُ من قُوَّةٍ » فى بدنه . « ولا نَاصِرٍ » من غيره يمتنع به من الله . وهو معنى قول قتادة .

قوله تعالى : وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أى ذات المطر . تَرْجِع كلّ سنة بمطر بعد مطر . كذا قال عامة المفسرين . وقال أهل اللغة : الرجع المطر . وأنشدوا للتنخّل يصف سيفًا شبّهه بالماء :

أبيض كالرَّجْع رَسوب إذا * ما ثاخ فى مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي

[ثاخَت قَدَمُه فى الوحَل تثوخ وتثيخ : خاضت وغابت فيه ؛ قاله الجوهرى] (١) .

قال الخليل : الرَّجْع المطر نفسه ، والرَّجْع أيضا نبات الربيع . وقيل : « ذاتِ الرَّجْعِ » أى ذات النفع . وقد يُسَمَّى المطر أيضا أَوْبًا كما يُسَمّى رَجْعًا قال :

رَبّاءُ شَمّاءُ لا يأوِى لِقُلّتِها * إلا السّحابُ وإلا الأَوْبُ والسَّبَلُ (٢)

---

(١) ما بين المربعين ذكر فى هامش بعض نسخ الأصل . والمحتفل : أعظم موضع فى الجسد . ويختلى : يقطع .

(٢) البيت للتنخل الهذلى . قال السكرى فى شرح هذا البيت : « ربّاء يربأ فوقها ؛ يقول لا يدنو لقلتها ؛ أى لرأسها . أى لا يعلو هذه الهضبة من طولها إلا السحاب والأوب . والأوب : رجوع النحل . والسبل : القطر حين يسبل » .

وقال عبد الرحمن بن زيد : الشمس والقمر والنجوم يرجعن فى السماء ؛ تطلع من ناحية وتغيب فى أخرى . وقيل : ذاتِ الملائكة ؛ لرجوعهم إليها بأعمال العباد . وهذا قَسَمٌ . ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ قَسَمٌ آخر ؛ أى تتصدّع عن النبات والشجر والثمار والأنهار ؛ نظيره « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا »[1] الآية . والصَّدْع بمعنى الشقّ ؛ لأنه يصدَع الأرض فتنصدع به . وكأنه قال : والأرض ذات النبات ؛ لأن النبات صادع للأرض . وقال مجاهد : والأرض ذات الطرق التى تَصْدَعها المُشاةُ . وقيل : ذاتِ الحرث لأنه يصدعها . وقيل : ذاتِ الأموات ، لانصداعها عنهم للنشور . ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ على هذا وقع القَسَم . أى إن القرآن يفصل بين الحق والباطل . وقد تقدّم فى مقدمة الكتاب[2] ما رواه الحارث عن علىّ رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كتاب فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبّار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله " . وقيل : المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد فى هذه السورة من قوله تعالى : « إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ » . ﴿ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ أى ليس القرآن بالباطل واللعب . والهزل ضدّ الجدّ ، وقد هَزَل يَهْزِل . قال الكُمَيْت :

* يُجَدُّ بنا فى كلّ يوم ونَهْزِلُ[3] *

﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أى إن أعداء الله ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أى يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكرًا . ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أى أجازيهم جزاء كيدهم . وقيل : هو ما أوقع الله بهم يوم بَدْرٍ من القتل والأسر . وقيل : كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون . وقد مضى هذا المعنى فى أول « البقرة » عند قوله تعالى : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ »[4] . مستوفًى .

---

(١) آية ٢٦ سورة عبس . (٢) راجع جـ ١ ص ٥ طبعة ثانية أو ثالثة . (٣) صدر البيت :

* أرانا على حب الحياة وطولها *

(٤) راجع جـ ١ ص ٢٠٨ طبعة ثانية أو ثالثة .

قوله تعالى : فَمَهِّلِ الْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ ﴾ أى أخّرهم ، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم ، وآرض بما يدبره[(١)] فى أمورهم . ثم نُسخت بآية السيف «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»[(٢)] . ﴿ أَمْهِلْهُمْ ﴾ تأكيد . ومهّل وأمهل بمعنًى ؛ مثلُ نزّل وأنزل . وأمْهَلَه أنظره ومهّله تمهيلا ؛ والاسم المُهْلة . والاستمهال الاستنظار . وتَمَهّل فى أمره أى آتّاد . وآتْمَهَلّ اتْمِهْلالًا أى اعتدل وانتصب . والاتْمِهلال أيضا سكون وفتور . ويقال : مَهْلًا يا فلان ؛ أى رِفْقًا وسكونا . ﴿ رُوَيْدًا ﴾ أى قريبا ؛ عن ابن عباس . قتادة : قليلا . والتقدير : أمهلهم إمهالا قليلا . والرُّوَيْد فى كلام العرب تصغير رَوْد . وكذا قاله أبو عبيد . وأنشد :

* كأنها ثَمِلٌ يمشى على رُودِ[(٣)] *

أى على مَهَل . وتفسير «رُوَيْدًا» : مَهَلًا ، وتفسير رُوَيْدَك أمهل ؛ لأن الكاف إنما تدخله إذا كان بمعنى أفعِل دون غيره ، وإنما حرّكت الدال لالتقاء الساكنين ، فنُصب نصبَ المصادر ، وهو مصغر مأمور به ؛ لأنه تصغير الترخيم من إرواد ؛ وهو مصدر أَرْوَدَ يُرْوِد . وله أربعة أوجه : اسم للفعل ، وصفة ، وحال ، ومصدر ؛ فالاسم نحو قولك : رويدَ عمرًا ؛ أى أَرْوِد عمرا بمعنى أمهِله . والصفة نحو قولك : ساروا سَيْرًا رويدًا . والحال نحو قولك : سار القوم رويدا ؛ لما اتصل بالمعرفة صار حالًا لها . والمصدر نحو قولك : رويد عمْرٍو بالإضافة ؛ كقوله تعالى : « فَضَرْبَ الرِّقَابِ »[(٤)] قال جميعه الجوهرى . والذى فى الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتا للمصدر ؛ أى إمهالا رويدا . ويجوز أن يكون للحال ؛ أى أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب . ختمت السورة .

---

(١) فى بعض النسخ « يريده » . (٢) آية ٥ سورة التوبة .

(٣) هذا عجز بيت للجموح الظفرى . وصدره :

* تكاد لا تسلم البطحاء وطأتها *

(٤) آية ٤ سورة محمد .

سورة الأعلى

مكية في قول الجمهور . وقال الضحاك : مدنية . وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾

يستحب للقارئ إذا قرأ «سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى» أن يقول عَقِبه : سبحان رَبِّيَ الأعلى؛ قاله النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقاله جماعة من الصحابة والتابعين؛ على ما يأتى . وروى جعفر ابن محمد عن أبيه عن جدّه قال : إن لله تعالى مَلَكًا يقال له حزقيائيل ، له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ، فخطر له خاطر : هل تقدر أن تُبصر العرش بجميعه ؟ فزاده الله أجنحة مثلها ، فكان له ستة وثلاثون ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام . ثم أوحى الله إليه : أيها المَلَك ، أن طِرْ، فطار مقدار عشرين ألف سنة؛ فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش . ثم ضاعف الله له في الأجنحة والقوّة وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة أخرى، فلم يصل أيضا؛ فأوحى الله إليه : أيها الملك، لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ ساق عرشى . فقال المَلَك : سبحان رَبِّيَ الأعلى؛ فأنزل الله تعالى « سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى » فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "اجعلوها في سجودكم" . ذكره الثعلبيّ في (كتاب العرائس) له . وقال ابن عباس والسُّدّيّ : معنى «سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى» أي عَظِّم ربَّك الأعلى . والاسم صِلة، قُصِد بها تعظيم المسمّى؛ كما قال لبيد :

* إلى الحَوْل ثم اسم السلام عليكما[1] *

---

(١) تمامه : * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر *

وقيل : نَزِّه رَبَّك عن السُّوء وعما يقول فيه الملحدون . وذكر الطبري أن المعنى نَزِّه آسم ربك عن أن تسمِّيَ به أحدا سواه . وقيل : نَزِّه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت خاشع معظِّم ، ولذكره محترِم . وجعلوا الاسم بمعنى التسمية ، والأولى أن يكون الاسم هو المسمَّى . روى نافع عن ابن عمر قال: لا تقل على آسم الله؛ فإن آسم الله هو الأعلى . وروى أبو صالح عن ابن عباس : صلِّ بأمر ربك الأعلى . قال : وهو أن تقول سبحان ربى الأعلى . وروى عن علىّ رضى الله عنه ، وابنِ عباس وابنِ عمر وابنِ الزبير وأبى موسى وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم : أنهم كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا : سبحان ربى الأعلى ؛ امتثالا لأمره فى ابتدائها . فيختار الاقتداء بهم فى قراءتهم ؛ لا أن سبحان ربى الأعلى من القرآن ؛ كما قاله بعض أهل الزَّيْغ . وقيل : إنها فى قراءة أُبَىّ : «سبحان ربى الأعلى» . وكان ابن عمر يقرؤها كذلك . وفى الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأها قال : "سبحان ربى الأعلى" . قال أبو بكر الأنبارىّ : حدّثنى محمد بن شهريار قال حدّثنا حسين بن الأسود قال حدّثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال حدّثنا عيسى ابن عمر عن أبيه قال : قرأ علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى الصلاة « سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى » ثم قال : سبحان ربى الأعلى؛ فلما انقضت الصلاة قيل له : يا أمير المؤمنين ، أتزيد هذا فى القرآن ؟ قال ما هو؟ قالوا : سبحان ربى الاعلى . قال : لا ، إنما أُمِرْنا بشىء فقلته . وعن عُقبة بن عامر الجُهَنِىّ قال: لما نزلت « سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آجعلوها فى سجودكم" . وهذا كله يدل على أن الاسم هو المسمَّى ؛ لأنهم لم يقولوا : سبحان اسم ربى الأعلى . وقيل : إن أول من قال سبحان ربى الأعلى ميكائيل عليه السلام . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لجبريل: "يا جبريل أخبرنى بثواب من قال سبحان ربى الأعلى فى صلاته أو فى غير صلاته" . فقال : "يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها فى سجوده أو فى غير سجوده إلا كانت له فى ميزانه أثقلَ من العرش والكرسى وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدى أنا فوق كلِّ شىء وليس فوقى شىء . اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له

وأدخلته الجنة. فإذا مات زاره ميكائيل كلّ يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فأوقفه بين يدى الله تعالى فيقول يا رب شفّعنى فيه فيقول قد شفّعتك فيه فاذهب به إلى الجنة" .
وقال الحسن : « سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى » أى صلّ لربك الأعلى . وقيل : أى صلّ بأسماء الله لا كما يصلى المشركون بالمُكَاءِ والتَّصْدِيَة (١) . وقيل : ارفع صوتك بذكر ربك . قال جرير :

قَبح الإلهُ وجوهَ تَغْلِب كلّما * سَبَح الحجيج وكبّروا تكبيرا

قوله تعالى : ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ قد تقدّم معنى التسوية فى « الانفطار » (٢) وغيرها . أى سوّى ما خلق فلم يكن فى خلقه تَثْبِيج (٣) . وقال الزجاج : أى عدّل قامته . وعن ابن عباس : حسَّن ما خلق . وقال الضحاك : خلق آدم فسوّى خلقه . وقيل : خلق فى أصلاب الآباء، وسوّى فى أرحام الأمهات . وقيل : خلق الأجساد فسوّى الأفهام . وقيل : أى خلق الإنسان وهيّأه للتكليف . ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ قرأ علىّ رضى الله عنه والسُّلَمِىّ والكسائىّ « قَدَر » مخففة الدال، وشدّد الباقون . وهما بمعنًى واحد . أى قدّر ووفّق لكل شكل شكله . ﴿ فَهَدى ﴾ أى أرشد . قال مجاهد : قدّر الشقاوة والسعادة، وهدى للرشد والضلالة . وعنه قال : هدى الإنسان للسعادة والشقاوة ، وهدى الأنعام لمراعيها . وقيل : قدّر أقواتهم وأرزاقهم، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنسًا ولمراعيهم إن كانوا وَحْشًا . وروى عن ابن عباس والسدىّ ومقاتل والكلبىّ فى قوله « فهدى » قالوا : عرّف خلقه كيف يأتى الذكر لأنثى ؛ كما قال فى (طه) : « أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٤) » أى الذكر للأنثى . وقال عطاء : جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له . وقيل : خلق المنافع فى الأشياء، وهدى الإنسان لوجه

---

(١) المكاء : الصفير . والتصدية : التصفيق . قال ابن عباس : « كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفقون ويصفرون ؛ فكان ذلك عبادة فى ظنهم » . (٢) راجع جـ ١٩ ص ٢٢٤ (٣) التثبيج : التخليط .
(٤) آية ٥٠ .

استخراجها منها . وقيل : « قَدَّرَ فَهَدَى » قدّر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه ، وعرّفه وجه الانتفاع به . يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألفُ سَنة عَمِيت ، وقد ألهمها الله أنّ مسح العين بورق الرازيانج الغَضّ يرد إليها بصرَها ؛ فربّما كانت فى بَرّيّة بينها وبين الرّيف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافةَ على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها ، فتحكّ بها عينيها وترجع باصرةً بإذن الله تعالى . وهدايات الإنسان إلى مالا يحدّ من مصالحه ومالا يُحْصر من حوائجه ، فى أغذيته وأدويته ، وفى أبواب دنياه ودينه ، وإلهامات البهائم والطيور وهوامّ الأرض ، باب واسع وشَوْط بَطِين(١) لا يُحيط به وصفُ واصف ؛ فسبحان ربّيَ الأعلى . وقال السدّيّ : قدّر مُدّة الجنين فى الرّحم تسعةَ أشهر وأقلّ وأكثر ، ثم هداه للخروج من الرّحم . وقال الفراء : أى قدّر فهدى وأضل ؛ فآكتفى بذكر أحدهما ؛ كقوله تعالى : « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ(٢) » . ويحتمل أن يكون بمعنى دعا إلى الإيمان ؛ كقوله تعالى : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ(٣) » أى لتدعو ، وقد دعا الكلّ إلى الإيمان . وقيل : « فَهَدَى » أى دَلّهم بأفعاله على توحيده ، وكونه عالما قادرا . ولا خلاف أن من شدّد الدال من « قدّر » أنه من التقدير ؛ كقوله تعالى : « وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً(٤) » . ومن خفّف فيحتمل أن يكون من التقدير فيكونان بمعنًى . ويحتمل أن يكون من القُدرة والمُلْك ؛ أى ملك الأشياء ، وهَدَى من شاء .

قلت : وسمعت بعض أشياخى يقول : الذى خلق فسوّى وقدّر فهدى . هو تفسير العلوّ الذى يليق بجلال الله سبحانه على جميع مخلوقاته .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴾ أى النبات والكَلأ الأخضر . قال الشاعر(٥) :

وقد يَنْبُت المَرْعَى على دِمَن الثَّرَى * وتَبْقَى حزازاتُ النفوس كما هِيَا

---

(١) أى بعيد . (٢) آية ٨١ سورة النحل .

(٣) آية ٥٢ سورة الشورى . (٤) آية ٢ سورة الفرقان .

(٥) هو زفر بن الحارث . والدمن : السرقين — الزبل — المتلبد بالبعر . والثرى : التراب والأرض .

﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ الغُثَاء : ما يقذف به السَّيل على جوانب الوادى من الحشيش والنبات والقُمَاش[١] . وكذلك الغُثّاء (بالتشديد) . والجمع الأغثاء . قتادة : الغثاء الشىء اليابس . ويقال للبقل والحشيش إذا تحطّم و يَبِس : غُثاء وهَشِيم . وكذلك للذى يكون حول الماء من القُماش غثاء ؛ كما قال :

كأنّ طَمِيَّة[٢] المُجَيمِرِ غُدْوةً * من السَّيْل والأغثاء[٣] فَلْكَةُ مِغْزَل

وحكى أهل اللغة : غَثَا الوادى وَاجفا . وكذلك الماء إذا علاه من الزَّبد والقُمَاش مالا ينتفع به . والأحْوَى : الأسود؛ أى إن النبات يَضرب إلى الحُوّة من شدّة الخضرة كالأسود . والحُوّة : السواد؛ قال الأعشى[٤] :

لَمْيَاءُ فى شَفَتَيْها حُوّةٌ لَعَسٌ * وفى اللِّثَاتِ وفى أنيابها شَنَبُ

وفى الصحاح : والحُوّة سُمْرة الشَّفة . يقال : رجل أحْوَى وامرأة حوّاء، وقد حَوِيَتْ . وبعيرٌ أحْوَى إذا خالط خضرته سواد وصُفرة . وتصغير أحْوَى أُحَيْوٍ؛ فى لغة من قال أُسَيْوِد . ثم قيل : يجوز أن يكون « أحوى » حالًا من « المَرْعَى » ، ويكون المعنى : كأنه من خضرته يضرب إلى السواد ؛ والتقدير : أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء . يقال : قد حَوِيَ النبت ؛ حكاه الكسائى . وقال :

---

(١) القماش (بالضم) : ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء . وقماش كل شىء : فتاته .

(٢) فى بعض النسخ ومعلقة امرئ القيس :

* كأن ذُرَا رأس المجيمر غدوة *

وقد أشار التبريزى شارح المعلقة الى الرواية الأولى . قال : « والمجيمر » أرض لبنى فزارة . وطمية : جبل فى بلادهم . يقول : قد امتلأ المجيمر ، فكأن الجبل فى الماء فلكة مغزل لما جمع السيل حوله من الغثاء .

(٣) فى المعلقة : «الغثاء» قال التبريزى : ورواه الفراء « من السيل والأغثاء» جمع الغثاء ، وهو قليل فى الممدود . قال أبو جعفر : من رواه الأغثاء فقد أخطأ ؛ لأن غثاء لا يجمع على أغثاء ، وإنما يجمع على أغثية ؛ لأن أفعلة جمع الممدود وأفعالا جمع المقصور ، نحو رحًا وأرحاء .

(٤) كذا فى جميع نسخ الأصل ، وهو خطأ . والبيت لذى الرمة كما فى ديوانه واللسان . واللمياء من الشفاه : اللطيفة القليلة الدم . واللعس (بفتحتين) : لون الشفة إذا كانت تضرب الى السواد قليلا ؛ وذلك يستملح . والشنب : برودة وعذوبة فى الفم ورقة فى الأسنان .

وغيث من الوسمى حُوٌّ تِلاعُه * تبطّنته بشيظم صلتان (١)

ويجوز أن يكون « أحوى » صفةً لـ « غثاء » . والمعنى : أنه صار كذلك بعد خضرته . وقال أبوعبيدة : بجعله أسود من احتراقه وقدمه ؛ والرَّطْب إذا يبس اسودّ . وقال عبد الرحمن بن زيد : أخرج المرعى أخضر ، ثم لما يبس اسود من احتراقه فصار غثاء تذهب به الرياح والسيول . وهو مَثَلٌ ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها .

قوله تعالى : سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ ﴾ أى القرآن يا محمد فنعلّمكه ﴿ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ أى فتحفظ ؛ رواه ابن وهب عن مالك . وهذه بشرى من الله تعالى ؛ بشره بأن أعطاه آية بيّنة ، وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى ، وهو أُمّىٌّ لا يكتب ولا يقرأ ، فيحفظه ولا ينساه . وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : كان يتذكّر مخافة أن ينسى فقيل : كَفَيْتُكَه . قال مجاهد والكلبى : كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا نزل عليه جبريل بالوحى ، لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبيّ صلى الله عليه وسلم بأوّلها ، مخافة أن ينساها ؛ فنزلت « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » بعد ذلك شيئا فقد كَفَيْتُكَه . ووجه الاستثناء على هذا ، ما قاله الفراء : إلا ما شاء الله وهو لم يشأ أن تنسى شيئا ؛ كقوله تعالى : « خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ » (٢) ولا يشاء . ويقال فى الكلام : لأُعطينّكه كلما سألت إلا ما شئت ، وإلا أن أشاء أن أمنعك والنية على ألا يمنعه شيئا . فعلى هذا مجارى الأيمان ؛ يستثنى فيها ونية الحالف التمام . وفى رواية أبى صالح عن ابن عباس : فلم ينس بعد نزول هذه الآية حتى مات ، « إلا ما شاء الله » . وعن سعيد عن قتادة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا ؛ « إلا

(١) الوسمى : مطر أول الربيع ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات ، نسب الى الوسم . والتلاع : جمع التلعة ؛ وهى أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها الى تلعة أسفل منها ، وهى مكرمة من المنابت . وقيل : التلعة مجرى الماء من أعلى الوادى الى بطون الأرض . وتبطنته : دخلته . والشيظم : الطويل الجسيم الفتى من الناس والخيل . والصلتان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل . (٢) آية ١٠٨ سورة هود .

ما شاء الله ». وعلى هذه الأقوال قيل : إلا ما شاء الله أن ينسى، ولكنه لم ينس شيئا منه بعد نزول هذه الآية . وقيل : إلا ما شاء الله أن ينسى ثم يذكر بعد ذلك؛ فإذًا قد نسى، ولكنه يتذكر ولا ينسى نسيانا كُلِّيًّا . وقد رُوى أنه أسْقَط آية فى قراءته فى الصلاة، فحسب أُبَيّ أنها نسخت، فسأله فقال : "إنى نسيتها" . وقيل : هو من النسيان؛ أى إلا ما شاء الله أن يُنسيك . ثم قيل : هذا بمعنى النسخ؛ أى إلا ما شاء الله أن ينسخه . والاستثناء نوع من النسخ . وقيل : النسيان بمعنى التَّرْك؛ أى يَعصِمك من أن تترك العمل به؛ إلا ما شاء الله أن تتركه لنسخه إياه . فهذا فى نسخ العمل، والأوّل فى نسخ القراءة . قال الفَرْغانى : كان يَغْشى مجلس الجُنَيد أهلُ البَسْط من العلوم، وكان يغشاه ابن كَيْسان النحوى، وكان رجلا جليلا؛ فقال يوما : ما تقول يا أبا القاسم فى قول الله تعالى : « سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى » ؟ فأجابه مسرعا — كأنه تقدّم له السؤال قبل ذلك بأوقات — : لا تنسى العمل به . فقال ابن كَيْسان : لا يَفْضُضِ الله فاك ! مثلك من يصدر عن رأيه . وقوله : « فلا » للنفى لا للنهى . وقيل : للنهى؛ وإنما أثبتت الياء لأن رءوس الآى على ذلك . والمعنى : لا تَغْفُل عن قراءته وتكراره فتنساه؛ إلا ما شاء الله أن يُنْسِيَكَه برفع تلاوته للصلحة . والأوّل هو المختار؛ لأن الاستثناء من النهى لا يكاد يكون إلا مؤقتا معلوما . وأيضا فإن الياء مثبتة فى جميع المصاحف وعليها القراء . وقيل : معناه إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله . وقيل : المعنى فجعله غثاء أَحْوَى إلا ما شاء الله أن يناله بنو آدم والبهائم؛ فإنه لا يصير كذلك .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ ﴾ أى الإعلان من القول والعمل . ﴿ وَمَا يَخْفَى ﴾ من السر . وعن ابن عباس : ما فى قلبك ونفسك . وقال محمد بن حاتم : يعلم إعلان الصدقة وإخفاءها . وقيل : الجهر ما حفظته من القرآن فى صدرك . « وما يخفى » هو ما نُسخ من صدرك . ﴿ وَنُيَسِّرُكَ ﴾ معطوف على «سنقرئك» وقوله : «إنه يعلم الجهر وما يخفى» اعتراض . ومعنى ﴿ لِلْيُسْرَى ﴾ أى للطريقة اليسرى؛ وهى عمل الخير . قال ابن عباس : نيسرك لأن تعمل خيرا . ابن مسعود : « لليسرى » أى للجنة . وقيل : نوفقك للشريعة اليسرى؛ وهى الحنيفية السمحة السهلة؛ قال معناه الضحاك . وقيل : أى نهوّن عليك الوحى حتى تحفظه وتعمل

قوله تعالى : فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أي فعظ قومك يا محمد بالقرآن . ﴿ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ أي الموعظة . وروى يونس عن الحسن قال : تذكرة للمؤمن وحجة على الكافر . وكان ابن عباس يقول : تنفع أوليائي ولا تنفع أعدائي . وقال الجُرْجَانِيّ : التذكير واجب و إن لم ينفع . والمعنى : فذكّر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع ، فحذف ؛ كما قال : « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ »[1] . وقيل : إنه مخصوص بأقوام بأعيانهم . وقيل : إنّ « إنْ » بمعنى ما ؛ أي فذكّر ما نفعت الذكرى ، فتكون « إنْ » بمعنى ما ، لا بمعنى الشرط ؛ لأن الذكرى نافعةٌ بكل حال ؛ قاله ابن شجرة . وذكر بعض أهل العربية : أنّ « إنْ » بمعنى إذ ؛ أي إذ نفعت ؛ كقوله تعالى : « وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[2] أي إذ كنتم ؛ فلم يخبر بعلوّهم إلا بعد إيمانهم . وقيل : بمعنى قد .

قوله تعالى : سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾

أي مَن يتقي الله و يخافه . فروى أبو صالح عن ابن عباس قال : نزلت في ابن أم مَكْتُوم . الماوردي : وقد يَذّكر من يرجوه ، إلا أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي ؛ فلذلك علّقها بالخشية دون الرجاء ، و إن تعلّقت بالخشية والرجاء . وقيل : أي عمم أنت التذكير والوعظ ، و إن كان الوعظ إنما ينفع من يخشى ، ولكن يحصل لك ثواب الدعاء ؛ حكاه القُشَيْرِي .

قوله تعالى : وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ أي و يتجنّب الذكرى ويبعد عنها . ﴿الْأَشْقَى﴾ أي الشقي في علم الله . وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة . ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾

(١) آية ٨١ سورة النحل . (٢) آية ١٣٩ سورة آل عمران .

أى العظمى، وهى السفلى من أطباق النار؛ قاله الفرّاء . وعن الحسن : الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا ؛ وقاله يحيي بن سلام . ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ أى لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيا حياة تنفعه ؛ كما قال الشاعر :

ألا ما لنفسٍ لا تموت فينقضى * عناها ولا تحيا حياة لها طعم

وقد مضى فى « النساء »[1] وغيرها حديثُ أبى سعيد الخدرى ، وأن المُوَحِّدين من المؤمنين إذا دخلوا جهنم — وهى النار الصغرى على قول الفراء — احترقوا فيها وماتوا؛ إلى أن يُشفع فيهم . خرّجه مسلم . وقيل : أهل الشقاء متفاوتون فى شقائهم ، وهذا الوعيد للأشقى ، وإن كان ثَمّ شقىٌّ لا يبلغ هذه المرتبة .

قوله تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ أى قد صادف البقاء فى الجنة ؛ أى من تطهر من الشرك بالإيمان ؛ قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة . وقال الحسن والربيع : من كان عمله زاكيا ناميا. وقال مَعْمر عن قتادة : « تَزَكَّى » قال بعمل صالح . وعنه وعن عطاء وأبى العالية : نزلت فى صدقة الفطر . وعن ابن سيرين « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » قال : خرج فصلّى بعد ما أدّى . وقال عكرمة : كان الرجل يقول أقدّم زكاتى بين يدى صلاتى . فقال سفيان : قال الله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » . وروى عن أبى سعيد الخدرى وابن عمر أن ذلك فى صدقة الفطر وصلاة العيد، وكذلك قال أبو العالية، وقال : إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء . وروى كَثير بن عبد الله عن أبيه عن جدّه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى » قال : "أخرج زكاة الفطر"، « وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » قال: "صلاة العيد" . وقال ابن عباس والضحاك : « وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ » فى طريق المُصَلَّى . « فصلى » صلاة العيد . وقيل : المراد

---

(١) راجع جـ ٥ ص ١٩٦

بالآية زكاة الأموال كلها ؛ قاله أبو الأحوص وعطاء . وروى ابن جُريج قال قلت لعطاء : « قد أفلحَ من تزكى » للفطر ؟ قال : هى للصدقات كلها . وقيل : هى زكاة الأعمال لا زكاة الأموال ؛ أى تطهّر فى أعماله من الرياء والتقصير؛ لأن الأكثر أن يقال فى المال : زَكَّى ، لا تَزَكَّى . وروى جابر بن عبد الله قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : ”«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» أى من شهد أن لا إله إلا الله وخَلَع الأنداد وشهد أنى رسول الله“ . وعن ابن عباس « تزكى » قال : لا إله إلا الله . وروى عنه عطاء قال : نزلت فى عثمان بن عفان رضى الله عنه ! قال : كان بالمدينة منافق كانت له نخلة بالمدينة مائلة فى دار رجل من الأنصار ، إذا هبت الرياح أسقطت البُسْر والرُّطَب إلى دار الأنصارى ، فيأكل هو وعيالهُ ، فخاصمه المنافق ؛ فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى المنافق وهو لا يعلم نفاقه فقال : ”إن أخاك الأنصارىّ ذكر أن بسرك ورطبك يقع إلى منزله فيأكل هو وعياله فهل لك أن أعطيك نخلة فى الجنة بدلها“ ؟ فقال : أبيع عاجلا بآجل ! لا أفعل . فذكروا أن عثمان ابن عفان أعطاه حائطا من نخل بدل نخلته ؛ ففيه نزلت « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى » . ونزلت فى المنافق « وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى » . وذكر الضحاك أنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

الثانيــة — قد ذكرنا القول فى زكاة الفطر فى سورة «البقرة»(1) مستوفًى . وقد تقدّم أن هذه السورة مكية ، فى قول الجمهور ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر . القُشَيْرِىّ : ولا يبعد أن يكون أثنى على مَن يمتثل أمره فى صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يأمر به فى المستقبل .

الثالثــة — قوله تعالى : ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ أى ذكر ربه . وروى عطاء عن ٱبن عباس قال : يريد ذِكْر معاده وموقفه بين يدى الله جل ثناؤه ، فعبده وصَلّى له . وقيل : ذكر ٱسم رَبّه بالتكبير فى أول الصلاة لأنها لا تنعقد إلا بذكره ؛ وهو قوله : الله أكبر . وبه يُحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة ؛ لأن الصلاة معطوفة عليها . وفيه حُجّة لمن قال : إن الافتتاح جائز بكل اسم من أسماء الله عز وجل . وهذه مسألة خلافية

---

(1) راجع جـ ١ ص ٣٤٣ طبعة ثانية أو ثالثة .

بين الفقهاء . وقد مضى القول في هذا في أول سورة «البقرة»(١) . وقيل : هي تكبيرات العيد . قال الضحاك : « وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ » في طريق المُصَلَّى «فَصَلَّى» ؛ أي صلاة العيد . وقيل : « وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ » وهو أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ؛ ليكون استيفاؤه لها وخشوعُه فيها بحسب خوفه ورجائه . وقيل : هو أن يفتتح أوّلَ كلِّ سورة ببسم الله الرحمن الرحيم . « فصلَّى» أي فصلّى وذَكَر . ولا فرق بين أن تقول : أكرمتني فزرتني ، وبين أن تقول : زرتني فأكرمتني . قال ابن عباس : هذا في الصلاة المفروضة ، وهي الصلوات الخمس . وقيل : الدعاء ؛ أي دعاء الله بحوائج الدنيا والآخرة . وقيل : صلاة العيد ؛ قاله أبو سعيد الخُدْرِيّ وٱبن عمر وغيرهما . وقد تقدم . وقيل : هو أن يتطوّع بصلاةٍ بعد زكاته ؛ قاله أبو الأحوص ، وهو مقتضى قول عطاء . وروى عن عبد الله قال : من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له .

قوله تعالى : بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾

قراءة العامة « بَلْ تُؤْثِرُونَ » بالتاء ؛ تصديقه قراءة أُبَيّ « بل أنتم تُؤْثِرُونَ » وقرأ أبو عمرو ونصر بن عاصم « بل يؤثرون » بالياء على الغيبة ؛ تقديره : بل يؤثرون الأشقون الحياةَ الدنيا . وعلى الأوّل فيكون تأويلها بل تؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب . وعن ٱبن مسعود أنه قرأ هذه الآية فقال : أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة ؟ لأن الدنيا حُضِّرت وعُجِّلت لنا طيباتها وطعامُها وشرابُها ولذّاتها وبهجتها ، والآخرة غُيِّبت عنا فأخذنا العاجل وتركنا الآجل . وروى ثابت عن أنس قال : كنا مع أبي موسى في مسير والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا . قال أبو موسى : يا أنس ، إن هؤلاء يكاد أحدهم يَفْرِي الأديم بلسانه فَرْيًا فتعال فلنذكر رَبّنا

(١) راجع جـ ١ ص ١٧٥ طبعة ثانية أو ثالثة .

ساعةً . ثم قال : يا أنس، ما ثَبَرَ(١) الناسَ! ما بطَّأهم ! ؟ قلت : الدنيا والشيطان والشهوات .
قال : لا، ولكن عُجِّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أَمَا والله لو عاينوها ما عَدَلُوا(٢) ولا مَيَّلُوا .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

أى والدار الآخرة ؛ أى الجنة . ﴿ خَيْرٌ ﴾ أى أفضل . ﴿ وَأَبْقَى ﴾ أى أدوَم من الدنيا .
وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه فى اليمّ فلينظر بم يرجع " صحيح . وقد تقدم(٣) . وقال مالك بن دينار : لو كانت الدنيا من ذهب يفنَى ، والآخرة من خزَف يبقى ، لكان الواجب أن يُؤْثَر خزَفٌ يبقى على ذهب يفنى . قال : فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ قال قتادة وابن زيد : يريد قوله « وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقَى » . وقالا : تتابعت كتب الله جل ثناؤه ـــ كما تسمعون ـــ أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا . وقال الحسن : « إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى » قال : كُتُبُ الله جلّ ثناؤه كلّها . الكلبيّ : « إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى » من قوله : « قد أفلح » إلى آخر السورة؛ لحديث أبى ذَرّ على ما يأتى . وروى عكرمة عن ابن عباس : « إِنَّ هَذَا لَفِي الصحف الأولى » قال : هـذه السورة . وقال الضحاك : إن هـذا القرآن لفى الصحف الأولى؛ أى الكُتُب الأولى . ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ يعنى الكتب المنزّلة عليهما . ولم يرد أن هذه الألفاظ بعينها فى تلك الصحف، وإنما هو على المعنى؛ أى إن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف . وروى الآجُرّى من حديث أبى ذَرّ قال : قلت يا رسول الله ، فما

(١) الثبر : الحبس ؛ أى ما الذى صدهم ومنعهم عن طاعة الله .
(٢) قوله « ما عدلوا » : ما ساووا بها شيئا . وقوله « ولا ميلوا » : أى ما شكوا ولا ترددوا .
(٣) راجع جـ ٤ ص ٣٢٠ .

كانت صحف إبراهيم ؟ قال : " كانت أمثالاً كلّها : أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فإنى لا أردها ولو كانت من فم كافر . وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له [ثلاث][1] ساعات : ساعة يناجى فيها ربّه ، وساعة يحاسب فيها نفسه يفكر فيها[2] فى صنع الله عز وجل إليه ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب . وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا إلا فى ثلاث : تزوّد لمعاد ، ومَرَمّة لمعاش ، ولذّة فى غير مُحَرَّم . وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا للسانه . ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه ". قال : قلت يا رسول الله ، فما كانت صحف موسى ؟ قال : "كانت عبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب . وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها . وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل " . قال : قلت يا رسول الله ، فهل فى أيدينا شيء مما كان فى يدى إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك؟ قال : "نعم اقرأ يا أبا ذرّ « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَذَا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » . وذكر الحديث .

ســـورة الغاشـــية

وهى مكّية فى قول الجميع ، وهى ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾

« هل » بمعنى قد ؛ كقوله : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ »[3] ؛ قاله قُطْرُب . أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية ؛ أى القيامة التى تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها ؛ قاله أكثر المفسرين . وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : «الغاشية» النار تغشى وجوه الكفار ؛ ورواه أبو صالح

(١) زيادة من الدر المنثور . (٢) فى الدر المنثور : « يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيها صنع ... » .
(٣) آية ١ سورة الإنسان .

عن ابن عباس؛ ودليله قوله تعالى : « وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ »[1] . وقيل : تغشى الخلق . وقيل : المراد النفخة الثانية للبعث ؛ لأنها تغشى الخلائق . وقيل : « الغاشية » أهل النار يَغْشَوْنها ويقتحمون فيها . وقيل : معنى « هل أتاك » أى هذا لم يكن من علمك ولا من علم قومك . قال ابن عباس : لم يكن أتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور ها هنا . وقيل : إنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله؛ ومعناه إن لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك؛ وهو معنى قول الكلبىّ .

قوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾

قال ابن عباس : لم يكن أتاه حديثهم فأخبره عنهم فقال : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أى يوم القيامة . ﴿خَاشِعَةٌ﴾ قال سفيان : أى ذليلة بالعذاب . وكل متضائل ساكن خاشعٌ . يقال : خشع فى صلاته إذا تذلّل ونكس رأسه . وخشع الصوت : خَفِى ؛ قال الله تعالى : « وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ »[2] . والمراد بالوجوه أصحاب الوجوه. وقال قتادة وابن زيد : « خاشعةٌ » أى فى النار . والمراد وجوه الكفار كلهم ؛ قاله يحيى بن سلام . وقيل : أراد وجوه اليهود والنصارى ؛ قاله ابن عباس . ثم قال : ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ فهذا فى الدنيا ؛ لأن الآخرة ليست دار عمل . فالمعنى : وجوه عاملة ناصبة فى الدنيا « خاشعةٌ » فى الآخرة . قال أهل اللغة : يقال للرجل إذا دأب فى سَيْره : قد عمِل يعْمَل عَمَلًا . ويقال للسحاب إذا دام بَرْقُه : قد عَمِل يعمل عملًا . وذا سحاب عَمِل . قال الهذلىّ[3] :

حتى شآها كَليـلٌ مَوْهِنًا عَمِـلٌ * باتت طِرابا وبات الليلَ لم يَنَم

---

(١) آية ٥٠ سورة إبراهيم . (٢) آية ١٠٨ سورة طه .

(٣) هو ساعدة بن جُؤَيّة . وقوله « شآها » : أى ساقها . والكليل : البرق الضعيف . والموهن : القطعة من الليل . وباتت طرابا : أى باتت البقر العطاش طرابا إلى السير إلى الموضع الذى فيه البرق . وبات البرق الليل أجمع لا يفتر ؛ فعبر من البرق بأنه لم ينم لاتصاله من أول الليل إلى آخره (راجع هذا البيت والكلام عليه فى خزانة الأدب الشاهد الرابع بعد الستمائة) .

﴿ نَاصِبَةٌ ﴾ أى تَعِبة. يقال: نَصِب (بالكسر) ينصَب نَصَباً إذا تعب ، ونصْباً أيضا ، وأنصبه غيره. فروى الضحاك عن ابن عباس قال: هم الذين أنصبوا أنفسهم فى الدنيا على معصية الله عزّ وجل وعلى الكفر ؛ مثل عبدة الأوثان ، وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم ، لا يقبل الله جل ثناؤه منهم إلا ما كان خالصا له . وقال سعيد عن قتادة : « عاملةٌ ناصبةٌ » قال : تكبّرت فى الدنيا عن طاعة الله عز وجل فأعملها الله وأنصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال؛ والوقوف حُفاةً عُراةً فى العَرصات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . قال الحسن وسعيد بن جُبير : لم تَعْمَل لله فى الدنيا ولم تَنْصَب له فأعملها وأنصبها فى جهنم . وقال الكلبي : يُجَرّون على وجوههم فى النار . وعنه وعن غيره : يُكَلَّفون ارتقاء جبل من حديد فى جهنم ، فيَنْصَبون فيها أشدّ ما يكون من النَّصَب ، بمعالجة السلاسل والأغلال والخوض فى النار ؛ كما تخوض الإبل فى الوَحَل ، وارتقائها فى صعود من نار ، وهبوطها فى حدور منها ؛ إلى غير ذلك من عذابها . وقاله ابن عباس . وقرأ ابن مُحَيْصن وعيسى وحُميد ، ورواها عبيد عن شبل عن ابن كثير « ناصِبةً » بالنصب على الحال . وقيل: على الذم . الباقون (بالرفع) على الصفة أو على إضمار مبتدأ فيوقف على « خاشعة » . ومن جعل المعنى فى الآخرة جاز أن يكون خبراً بعد خبر عن «وجوه» فلا يوقف على « خاشعة » . وقيل : « عاملةٌ ناصِبَةٌ » أى عاملةٌ في الدنيا ناصبة فى الآخرة . وعلى هذا يحتمل: وجوه يومئذ عاملة فى الدنيا ناصبة فى الآخرة خاشعة . قال عكرمة والسُّدّي : عملت فى الدنيا بالمعاصى . وقال سعيد بن جُبير وزيد بن أسلم : هم الرهبان أصحاب الصوامع ؛ وقاله ابن عباس . وقد تقدّم فى رواية الضحاك عنه . وروى عن الحسن قال : لما قدم عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — الشام أتاه راهب شيخٌ كبيرٌ مُتَقَهِّلٌ ، عليه سواد ، فلما رآه عمر بكى . فقيل له : يا أمير المؤمنين ما يُبكيك ؟ قال : هذا المسكين طلب أمرا فلم يصبه ، ورجا رجاء فأخطاه ، — وقرأ قول الله عزّ وجلّ — « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ » . قال الكسائى :

التقهل : رثاثة الهيئة، ورجل مُتَقَهِّل يابس الجلد سيِّء الحال مثل المُتَقَحِّل . وقال أبو عمرو : التقهل : شَكْوَى الحاجة . وأنشد :

* لَعْـوًا[1] إذا لاقيته تَقَهَّلا *

والقَهْل : كُفران الإحسان . وقد قَهَل يَقْهَل قَهْلًا إذا أثنى ثناءً قبيحا . وأقهل الرجل تكلّف ما يعيبه ودَنَّس نفسه . وٱنقهل ضَعُف وسقط ؛ قاله الجوهرى . وعن علىّ رضى الله عنه أنهم أهل حَرُوراء ؛ يعنى الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " تَحقِرون صلاتكم[2] مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يمرقون من الدِّين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيّة " الحديث .

قوله تعالى : تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾

أى يصيبها صِلاؤها وحرّها . ﴿ حَامِيَةً ﴾ شديدة الحرّ ؛ أى قد أوقدت وأحميت المدة الطويلة . ومنه حَمِيَ النهار (بالكسر) وحَمِيَ التَّنُّور حَمْيًا فيهما ؛ أى اشتد حرّه . وحكى الكسائى : اشتدّ حَمْيُ الشمس وحَمْوُها بمعنًى . وقرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب « تُصْلَىٰ » بضم التاء . الباقون بفتحها . وقرئ « تُصَلَّى » بالتشديد . وقد تقدم القول فيها فى « إذا السَّماءُ ٱنْشَقَّتْ[3] » . الماوردى : فإن قيل فما معنى وصفها بالحَمْى ، وهى لا تكون إلا حامية ، وهو أقل أحوالها ، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟ قيل : قد ٱختلف فى المراد بالحامية ها هنا على أربعة أوجه ؛ أحدها — أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى ، وليست كنار الدنيا التى ينقطع حميها بانطفائها . الثانى — أن المراد بالحامية أنها حِمًى من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم ؛ كما قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " إن لكل مَلِك حِمًى وأن حِمَى الله محارمه . ومن

---

(١) اللعو : السيء الخلق . والشره الحريص . (٢) أى تعدون صلاتكم حقيرة بالنظر إلى صلاتهم .

(٣) راجع جـ ١٩ ص ٢٧٠

يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ". الثالث — أنها تحمى نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها؛ كما يحمى الأسد عرينه؛ ومثله قول النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي صولة المستأسد الحامى

الرابع — أنها حامية حمى غيظ وغضب؛ مبالغة فى شدة الانتقام . ولم يرد حمى جرم وذات؛ كما يقال: قد حمى فلان إذا اغتاظ وغضب عند إرادة الانتقام . وقد بين الله تعالى بقوله هذا المعنى فقال : « تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ »(١) .

قوله تعالى : تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾

الآنى الذى قد انتهى حره ؛ من الإيناء بمعنى التأخير . ومنه "آنيت وآذيت"(٢) . وآناه يؤنيه إيناء ؛ أى أخره وحبسه وأبطأه . ومنه « يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ »(٣) . وفى التفاسير « مِنْ عَيْنٍ آنية » أى تناهى حرها ؛ فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت . وقال الحسن : « آنية » أى حرها ادرك ؛ أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا إليها وردا عطاشا . وعن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : بلغت أناها وحان شربها .

قوله تعالى : لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ ﴾ أى لأهل النار . ﴿ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم . قال عكرمة ومجاهد: الضريع نبت ذو شوك لاصق بالأرض ، تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبا ، فإذا يبس فهو الضريع ، لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه ؛ وهو سم قاتل ، وهو أخبث الطعام وأشنعه ؛ على هذا عامة المفسرين . إلا أن الضحاك روى عن ابن عباس قال : هو شىء يرمى به البحر يسمى الضريع من أقوات الأنعام

---

(١) آية ٨ سورة الملك . (٢) أى فى الحديث فى صلاة الجمعة ؛ إذ قيل لرجل جاء يوم الجمعة يتخطى رقاب الناس . ومعنى « آنيت » أخرت المجىء وأبطأت ، و « آذيت » أى آذيت الناس بتخطيك .

(٣) آية ٤٤ سورة الرحمن

لا النـاس، فإذا وقعت فيـه الإبل لم تشبع، وهلكت هُزْلًا . والصحيح ما قاله الجمهور أنه نبت . قال أبو ذُؤيب (١) :

رَعَى الشِّبْرِق الرّيّانَ حتى إذا ذَوَى * وعاد ضَرِيعًا بانَ منـه النّحائص (٢)

وقال الهذلىّ (٣) وذكر إبلًا وسُوء مَرْعاها :

وحُبِسن فى هَزْمِ الضّرِيع فكلُّهـا * حَدْباءُ داميـةُ اليَدَيْن حَرودُ (٤)

وقال الخليل: الضريع نبات أخضر مُنْتن الريح يرمى به البحر . وقال الوالبىّ عن ابن عباس : هو شجر من نار، ولو كانت فى الدنيا لأحرقت الأرض وما عليها . وقال سعيد بن جبير : هو الحجارة، وقاله عكرمة . والأظهر أنه شجر ذو شَوْك حسب ما هو فى الدنيا . وعن ابن عباس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " الضريع شىء يكون فى النـار يشبه الشوك أشدّ مرارة من الصبر وأنتن من الجيفة وأحرّ من النار سماه الله ضريعا " . وقال خالد بن زياد : سمعت المتوكل بن حمدان يُسأل عن هـذه الآية « ليس لهم طعام إلا مِن ضرِيع » قال : بلغنى أن الضريع شجرة من نار جهنم ، حَمْلُها القَيح والدم، أشدّ مرارة من الصبر، فذلك طعامهم . وقال الحسن : هو بعض ما أخفاه الله من العذاب . وقال ابن كَيْسان : هو طعام يضرعون عنده ويَذِلّون ، ويتضرعون منه إلى الله تعـالى طلبا للخلاص منه، فسُمّى بذلك لأن آكله يَضرع فى أن يُعْفَى منـه لكراهته وخشونته . قال أبو جعفر النحاس : قد يكون مشـتقًّا من الضارع وهو الذليـل؛ أى ذو ضراعة ، أى من شربه ذليـل تلحقه ضراعة . وعن الحسن أيضا : هو الزقوم . وقيـل : هو وادٍ فى جهنم . فالله أعلم . وقد قال الله تعـالى فى موضع

---

(١) لم نعثر على هـذا البيت فى ديوان أبى ذؤيب .

(٢) فى بعض نسخ الأصل : «بان عنه النحائص» . والنحائص : جمع النحوص (بفتح النون) وهى الأتان الوحشية الحائل . وقيل : هى التى فى بطنها ولد . وقيل : التى لا ابن لها .

(٣) هو قيس بن عيزارة؛ كما فى اللسان . (٤) هزم الضريع : ما تكسر منـه . والحدباء : الناقة التى بدت حراقفها وعظم ظهرها . والحرود : التى لا تكاد تدر .

آخر : « فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ »(١) . وقال هنا : « إِلَّا مِن ضَرِيعٍ » وهو غير الغسلين . ووجه الجمع أن النار دركات ؛ فنهم مَن طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد . قال الكلبيّ : الضريع فى درجة ليس فيها غيره، والزقوم فى درجة أخرى . ويجوز أن يحمل الآيتان على حالتين كما قال : « يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ »(٢) . القُتَبيّ : ويجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار، أو من جوهر لا تأكله النار . وكذلك سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها ؛ ولو كانت على ما نعلم ما بقيت على النار . قال : وإنما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا ؛ فالأسماء متفقة الدلالة، والمعانى مختلفة . وكذلك ما فى الجنة من شجرها وفُرُشها . القُشَيْرِىّ : وأمثلُ من قول القُتَبيّ أن نقول : إن الذى يُبقى الكافرين فى النار ليدوم عليهم العذاب ، يُبقى النبات وشجرةَ الزقوم فى النار ليُعَذِّبَ بها الكفار . وزعم بعضهم أن الضريع بعينه لا ينبت فى النار ولا أنهم يأكلونه . فالضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس . وإذا وقعت الإبل فيه لم تشبع وهلكت هُزْلًا . فأراد أن هؤلاء يقتاتون بما لا يشبعهم، وضَربَ الضَّريع له مَثَلًا أنهم يعذَّبون بالجوع كما يعذَّب مَن قُوتُه الضريع . قال الترمذىّ الحكيم : وهذا نظر سقيم من أهله وتأويل دنىء ؛ كأنه يدل على أنهم تحيروا فى قدرة الله تعالى، وأن الذى أنبت فى هذا التراب هذا الضريع قادر على أن ينبته فى حريق النار ؛ كما جعل لنا فى الدنيا من الشجر الأخضر نارا ، فلا النار تحرق الشجر، ولا رطوبة الماء فى الشجر تطفئ النار؛ فقال تعالى : « الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ »(٣) . وكما قيل حين نزلت « وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ »(٤) : قالوا يا رسول الله ، كيف يمشون على وجوههم ؟ فقال : " الذى

(١) آية ٣٥ و ٣٦ سورة الحاقة . (٢) آية ٤٤ سورة الرحمن .
(٣) آية ٨٠ سورة يس . (٤) آية ٩٧ سورة الإسراء .

أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم " . فلا يتحير فى مثل هذا إلا ضعيف القلب . أو ليس قد أخبرنا أنه « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها »(١) ، وقال : « سرابيلهم من قطران »(٢) ، وقال : « إن لدينا أنكالا »(٣) أى قيودا . « وجحيما وطعاما ذا غصة » قيل : ذا شوك . فإنما يتلون عليهم العذاب بهذه الأشياء .

قوله تعالى : لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

يعنى الضريع لا يسمن آكله . وكيف يسمن من يأكل الشوك ! قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية قال المشركون : إن إبلنا لتسمن بالضريع ؛ فنزلت «لا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ» . وكذبوا ، فإن الإبل إنما ترعاه رطبا فإذا يبس لم تأكله . وقيل : اشتبه عليهم أمره فظنوه كغيره من النبت النافع ؛ لأن المضارعة المشابهة . فوجدوه لا يسمن(٤) ولا يغنى من جوع .

قوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أى ذات نعمة . وهى وجوه المؤمنين ؛ نعمت بما عاينت من عاقبة أمرها وعملها الصالح . ﴿لِسَعْيِهَا﴾ أى لعملها الذى عملته فى الدنيا . ﴿رَاضِيَةٌ﴾ فى الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها . ومجازه : لثواب سعيها راضية . وفيها واو مضمرة . المعنى : ووجوه يومئذ ؛ ليفصل بينها و بين الوجوه المتقدمة . والوجوه عبارة عن الأنفس . ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أى مرتفعة ؛ لأنها فوق السموات حسب ما تقدم . وقيل : عالية القدر ؛ لأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين . وهم فيها خالدون .

---

(١) آية ٥٦ سورة النساء . (٢) آية ٥٠ سورة إبراهيم .
(٣) آية ١٢ سورة المزمل . (٤) فى بعض النسخ : « لا يشبه » .

قوله تعالى : لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾

أى كلاما ساقطا غير مرضى . وقال : «لاغية» واللغوُ واللغا واللاغية بمعنًى واحد . قال :

* عن اللغا ورفَثِ التكلّم (١) *

وقال الفرّاء والأخفش : أى لا تسمع فيها كلمة لَغْو . وفى المراد بها ستة أوجه : أحدها — يعنى كذبا و بهتانا وكفرا بالله عز وجل؛ قاله ابن عباس . الثانى — لا باطل ولا إثم؛ قاله قتادة . الثالث — أنه الشتم؛ قاله مجاهد . الرابع — المعصية؛ قاله الحسن . الخامس — لا يسمع فيها حالف يحلف بكذب؛ قاله الفرّاء . وقال الكلبى : لا يسمع فى الجنة حالف بيمين برّة ولا فاجرة . السادس — لا يسمع فى كلامهم كلمة بلغو؛ لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم؛ قاله الفرّاء أيضا . وهو أحسنها لأنه يعمّ ما ذكر . وقرأ أبو عمرو وابن كثير «لا يُسمع» بياء غير مسمى الفاعل . وكذلك نافع إلا أنه بالتاء المضمومة؛ لأن اللاغية اسم مؤنث فأنث الفعل لتأنيثه . ومن قرأ بالياء فلأنه حال بين الاسم والفعل الجار والمجرور . وقرأ الباقون بالتاء مفتوحة . ﴿ لاغِيةً ﴾ نصبا على إسناد ذلك للوجوه؛ أى لا تسمع الوجوه فيها لاغية .

قوله تعالى : فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ أى بماء مندفق، وأنواع الأشربة اللذيذة على وجه الأرض من غير أخدود . وقد تقدم فى سورة « الإنسان » أن فيها عيونا (٢) . فـ « عَيْن » بمعنى عيون . والله أعلم . ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ أى عالية . ورُوى أنه كان ارتفاعها قدر ما بين

---

(١) قبله : * وربّ أسراب حجيج كُظَّمِ * قائله رؤبة . ونسبه ابن برى للعجاج .

(٢) راجع جـ ١٩ ص ١٢٤، ١٤٠

السماء والأرض، ليرى ولىّ الله مُلكَه حوله . ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ أى أباريق وأوانٍ . والإبريق : هو ماله عُروة وخُرطوم . والكُوب : إناء ليس له عُرْوة ولا خُرطوم . وقد تقدم هذا فى سورة « الزخرف »(١) وغيرها . ﴿ وَنَمَارِقُ ﴾ أى وسائد ، الواحدة نُمْرُقَة . ﴿ مَصْفُوفَةٌ ﴾ أى واحدة إلى جنب الأخرى . قال الشاعر :

وإنا لنجرى الكاس بين شُروبنا * وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقال آخر :

كُهُول وشُبان حِسانٌ وجوههم * على سُرُر مصفوفة ونمارق

وفى الصحاح : النُّمْرُق والنُّمْرُقَة : وسادة صغيرة . وكذلك النِّمِرقة (بالكسر) لغة حكاها يعقوب . وربما سَمَّوا الطِّنْفِسة التى فوق الرَّحْل نُمْرُقة؛ عن أبى عبيد . ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ قال أبو عبيدة : الزرابىّ : البُسُط . وقال ابن عباس : الزرابىّ الطنافس التى لها خَمْل رقيق، واحدتها زَرْبِيّة؛ وقاله الكلبي والفراء . والمبثوثة : المبسوطة؛ قاله قتادة . وقيل : بعضها فوق بعض؛ قاله عكرمة . وقيل كثيرة؛ قاله الفراء . وقيل : متفرقة فى المجالس؛ قاله القتبىّ .

قلت : هذا أصوب ، فهى كثيرة متفرقة . ومنه « وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ »(٢) . وقال أبو بكر الأنبارى : وحدّثنا أحمد بن الحسين قال حدّثنا حسين بن عرفة قال حدّثنا عمار بن محمد قال : صليت خلف منصور بن المعتمر فقرأ « هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ » وقرأ فيها « وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ » متكئين فيها ناعمين .

قوله تعالى : أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

قال المفسرون : لما ذكر الله عز وجل أمر أهل الدارين تعجّب الكفار من ذلك ، فكذبوا وأنكروا ؛ فذكّرهم الله صنعته وقدرته ؛ وأنه قادر على كل شىء، كما خلق الحيوانات والسماء والأرض . ثم ذكر الإبل أولا لأنها كثيرة فى العرب ولم يروا الفِيَلة ، فنبههم جلّ

(١) راجع جـ ١٦ ص ١١٣ (٢) آية ١٦٤ سورة البقرة

ثناؤه على عظيم من خلقه ؛ قد ذلّله للصغير يقوده ويُنيخه ويُنهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقيل حمله ، وليس ذلك فى شىء من الحيوان غيره . فأراهم عظيما من خلقه مسخَّرًا لصغير من خلقه ؛ يدلّهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته . وعن بعض الحكماء : أنه حدّث عن البعير و بديع خلقه ، وقد نشأ فى بلاد لا إبل فيها ؛ ففكر ثم قال : يوشك أن تكون طوال الأعناق . وحين أراد بها أن تكون سفائن البر ، صبّرها على احتمال العطش؛ حتى أن إظماءها ليرتفع إلى العشر فصاعدًا وجعلها ترعى كل شىء نابت فى البرارى والمفاوز، مما لا يرعاه سائر البهائم . وقيل : لما ذكر السُّرُرَ المرفوعة قالوا : كيف نَصْعَدها؟ فأنزل الله هذه الآية و بيّن أن الإبل تبرك حتى يُحمل عليها ثم تقوم؛ فكذلك تلك السرر تتطامن ثم ترتفع . قال معناه قتادة ومقاتل وغيرهما . وقيل : الإبل هنا القِطَع العظيمة من السحاب؛ قاله المبرّد . قال الثعلبىّ : وقيل فى الإبل هنا السحاب ولم أجد لذلك أصلا فى كتب الأئمة .

قلت : قد ذكر الأصمعى أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب قال أبو عمرو : من قرأها « أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ » بالتخفيف عنى به البعير لأنه من ذوات الأربع ، يَبْرُك فتحمل عليه الحمولة . وغيره من ذوات الأربع لا يُحمل عليه إلا وهو قائم . ومن قرأها بالتثقيل فقال «الإبِلّ»(١) عنى بها السحاب التى تحمل الماء للمطر . وقال الماوردى : وفى الإبل وجهان : أحدهما — وهو أظهرهما وأشهرهما أنها الإبل من النَّعم . الثانى — أنها السحاب . فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرته، والمنافع العامة لجميع خلقه . و إن كان المراد بها الإبل من النَّعم فلأن الإبل أجمعُ للمنافع من سائر الحيوان؛ لأن ضروبه أربعة : حَلُوبة ، ورَكُوبة ، وأَكولة ، وحمولة . والإبل تجمع هذه الخلال الأربع ؛ فكانت النِّعمة بها أعم ، وظهور القدرة فيها أتم . وقال الحسن : إنما خصّها الله بالذكر لأنها تأكل النَّوَى والقَتّ ، وتُخرج اللبن . وسئل الحسن أيضا عنها وقالوا : الفيل أعظم فى الأعجوبة؟ فقال : العرب بعيدة العهد بالفيل، ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ، ولا يركب ظهره ، ولا يُحلَب

(١) فى البحر : «وقرأ الجمهور بكسر الباء وتخفيف اللام . والأصمعى عن أبى عمرو بإسكان الباء . وعلى وابن عباس شد اللام ، ورويت عن أبى عمرو وأبى جعفر والكسائى ، وقالوا إنها السحاب» .

دَرّه . وكان شُريح يقـول : اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الإبل كيف خُلقت . والإبل لا واحد لها من لفظها ، وهى مؤنثـة ؛ لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، و إذا صغرتها دخلتها الهاء فقلت : أُبَيْلة وغُنَيْمة ، ونحو ذلك . وربما قالوا للإبل : إِبْل بسكون الباء للتخفيف ، والجمع آبال .

قوله تعالى : وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ أى رفعت عن الأرض بلا عمد . وقيل : رُفعت فلا ينالها شىء . ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أى كيف نصبت على الأرض بحيث لا تزول ؛ وذلك أن الأرض لما دُحيت مادت فأرساها بالجبال . كما قال : « وَجَعَلْنَا فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ »[1] . ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ أى بُسطت ومُدّت . وقال أنس : صليت خلف علىّ رضى الله عنه فقرأ « كَيْفَ خَلَقْتُ » و « رَفَعْتُ » و « نَصَبْتُ » و « سَطَحْتُ » بضم التاءات ؛ أضاف الضمير إلى الله تعالى . وبه كان يقرأ محمد بن السَّمَيْقَع وأبو العالية ؛ والمفعول محذوف ، والمعنى خلقتها . وكذلك سائرها . وقرأ الحسن وأبو حَيْوَة وأبو رجاء « سُطِّحَتْ » بتشديد الطاء وإسكان التـاء . وكذلك قرأ الجماعة إلا أنهم خففوا الطاء . وقدم الإبل فى الذكر ، ولو قدّم غيرها لجاز . قال القشيرى : وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة . وقد قيـل : هو أقرب إلى النـاس فى حق العرب لكثرتها عنـدهم ، وهم من أعرف الناس بها . وأيضا : مرافق الإبل أكثر من مرافق الحيوانات الأخر ؛ فهى مأكولة ولبنها مشروب ، وتصلح للحمل والركوب ، وقطع المسافات البعيدة عليهـا ، والصبر على العطش وقلّة العَلَف وكثرة الحمل ، وهى من معظم أموال العرب . وكانوا يسيرون على الإبل منفردين مستوحشين عن الناس ، ومَن هـذا حالُه تفكّر فيما يحضُره ، فقد ينظر

(١) آية ٣١ سورة الأنبياء .

فى مركوبه ثم يمدّ بصره إلى السماء ثم إلى الأرض . فأمروا بالنظر فى هذه الأشياء ؛ فإنها أدلّ دليل على الصانع المختار القادر .

قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ ﴾ أى فعظهم يا محمد وخوّفهم . ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ أى واعظ . ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ أى بمسلّط عليهم فتقتلهم . ثم نسختها آية السيف[1] . وقرأ هارون الأعور « بِمُسَيْطَرٍ » (بفتح الطاء) ، و « والمسيطرون » . وهى لغة تميم . وفى الصحاح : « والمُسَيْطر والمُصَيْطِر: المسلّط على الشيء ليُشرِف عليه ويتعهّدَ أحواله ويكتبَ عمله ؛ وأصله من السّطر لأن من معنى السطر ألّا يتجاوز[2] ؛ فالكتاب مُسَطَّر والذى يفعله مُسَطِّر ومُسَيطِر ؛ يقال : سَيْطَرْتَ علينا ، وقال تعالى : « لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ » . وسَطَره أى صَرَعه » . ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ آستثناء منقطع ؛ أى لكن من تولّى عن الوعظ والتذكير . ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴾ وهى جهنم الدائم عذابها . وإنما قال « الأكبر » لأنهم عُذِّبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل . ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود: « إِلّا من تَوَلّى وكَفَر فإنه يعذبه الله » . وقيل: هو استثناء متصل . والمعنى: لست بمسلّط إلا على من تولّى وكفر، فأنت مسلّط عليه بالجهاد، والله يعذّبه بعد ذلك العذابَ الأكبر ؛ فلا نسخ فى الآية على هذا التقدير . وروى أن عَلِيًّا أَتَى برجل آرتدّ ، فآستتابه ثلاثةَ أيام فلم يعاود الإسلام ، فضرب عنقه وقرأ « إِلّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ » . وقرأ ابن عباس وقتادة « أَلَا » على الاستفتاح والتنبيه ؛ كقول آمرئ القيس :

* أَلَا رُبَّ يومٍ لَكَ منهنّ صالحٍ[3] *

---

(١) آية ٣٧ سورة الطور . (٢) كذا فى نسخ الأصل وتفسير ابن عادل نقلا عن القرطبي . والذى فى الصحاح : « وأصله من السطر ؛ لأن الكتاب مسطر ... » .

(٣) تمامه : * ولا سيما يوم بدارة جلجل *

و « مَن » على هذا للشرط . والجواب « فَيُعذِّبُهُ اللَّهُ » والمبتدأ بعد الفاء مضمر؛ والتقدير : فهو يعذبه الله؛ لأنه لو أريد الجواب بالفعل الذى بعد الفاء لكان : إلّا مَن تولّى وكَفَر يعذبه الله . ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ أى رجوعهم بعد الموت . يقال : آب يؤوب؛ أى رجع . قال عبيد :

وكلّ ذى غَيبةٍ يَؤُوبُ * وغائبُ الموتِ لا يَؤُوبُ

وقرأ أبو جعفر « إِيّابهم » بالتشديد . قال أبو حاتم : لا يجوز التشديد ، ولو جاز لجاز مثله فى الصيام والقيام . وقيل : هما لغتان بمعنًى . الزمخشرىّ : وقرأ أبو جعفر المدنىّ « إِيّابهم » بالتشديد؛ ووجهه أن يكون فِيعالًا مصدر أيّب فَيعَل من الإياب . أو أن يكون أصله إوّابا فِعّالا من أوّب ، ثم قيل : إيوابا كديوان فى دِوّان . ثم فُعل ما فُعل بأصل سَيّد ونحوه .

سورة الفجر

مَكّيّة[1] ، وهى ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ أقسم بالفجر . ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ أقسام خمسة . واختلف فى « الفجر » فقال قوم : الفجر هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم؛ قاله علىّ وابن الزبير وابن عباس رضى الله عنهم . وعن ابن عباس أيضا أنه النهار كله ، وعبر عنه بالفجر لأنه أوّله . وقال ابن مُحَيْصِن عن عطية عن ابن عباس[2] يعنى فجر يوم المحرم . ومثله قال قتادة . قال : هو فجر أوّل يوم من المحرم؛ منه تنفجر السَّنَة .

(١) فى بعض نسخ الأصل : « سبع وعشرون » وفى بعضها : « تسع وعشرون » .
(٢) فى بعض النسخ : « ابن مسعود » .

وعنه أيضا : صلاة الصبح . وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : « والفجر » يريد صبيحة يوم النّحر ؛ لأن الله تعالى جل ثناؤه جعل لكل يوم ليلةً قبله إلا يوم النحر لم يجعل له ليلة قبله ولا ليلة بعده ؛ لأن يوم عرفة له ليلتان : ليلة قبله وليلة بعده ، فمن أدرك الموقف ليلةً بعد عرفة ، فقد أدرك الحج إلى طلوع الفجر فجر يوم النحر . وهذا قول مجاهد . وقال عكرمة : « والفجر » قال : انشقاق الفجر من يوم جَمْع (١) . وعن محمد بن كعب القُرَظيّ : « والفجرِ » آخر أيام العَشْر إذا دَفَعْتَ من جَمْع . وقال الضحاك : فجر ذى الحجة ؛ لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال : « وليالٍ عَشْرٍ » أى ليال عشر من ذى الحجة . وكذا قال مجاهد والسدّىّ والكلبيّ فى قوله : « وَلَيالٍ عَشْرٍ » هو عشر ذى الحجة ؛ وقاله ابن عباس . وقال مسروق : هى العشر التى ذكرها الله فى قصة موسى عليه السلام « وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ » (٢) ، وهى أفضل أيام السنة . وروى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " « والفجرِ . وليالٍ عَشْرٍ » — قال — عشر الأضحى " فهى ليال عشر على هذا القول ؛ لأن ليلة يوم النحر داخلة فيه ؛ إذ قد خصّها الله بأن جعلها مَوْقِفًا لمن لم يُدرك الوقوف يوم عرفة . وإنما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها (٣) ، فلو عُرّفت لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التّنكير ، فنُكرت من بين ما أقسم به للفضيلة التى ليست لغيرها . والله أعلم . وعن ابن عباس أيضا : هى العشر الأواخر من رمضان ؛ وقاله الضحاك . وقال ابن عباس أيضا ويَمَان والطبرىّ : هى العشر الأُول من المحرّم التى عاشرها يوم عاشوراء . وعن ابن عباس : « ولَيَالِ عشرٍ » (٤) (بالإضافة) يريد : وليالى أيام عشر .

قوله تعالى : وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾

الشَّفْعُ الاثنان ، والوَتْرُ الفرد . واختلف فى ذلك ؛ فرُوِى مرفوعا عن عمران بن الحُصَين عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الشفع والوتر الصلاةُ منها شفع ومنها وتر " .

(١) هو يوم عرفة . (٢) آية ١٤٢ سورة الأعراف . (٣) فى الجمل عن القرطبى : لأنها أفضل أيام السنة . (٤) فى تفسير الألوسى : «وقرأ ابن عباس بالإضافة فضبطه بعضهم (وليال عشر) بلام دون ياء ، وبعضهم (وليالى) بالياء وهو القياس» .

وقال جابر بن عبد الله قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "« والفجرِ وليالٍ عشرٍ » — قال — هو الصبح وعشر النَّحْر والوَتْرُ يوم عرفة والشفع يوم النحر". وهو قول ابن عباس وعكرمة . واختاره النحاس وقال: حديث أبى الزبير عن جابر هو الذى صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو أصح إسنادا من حديث عِمران بن حُصين . فيومُ عَرَفَةَ وَتْرٌ لأنه تاسعها ، ويومُ النَّحْر شفع لأنه عاشرها . وعن أبى أيوب قال : سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : « والشفعِ والوترِ » فقال : "الشفع يوم عرفة و يوم النحر والوتر ليلة يوم النحر" . وقال مجاهد وابن عباس أيضا : الشفع خلقه ؛ قال الله تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا »(١) والوتر هو الله عز وجل . فقيل لمجاهد : أترويه عن أحد ؟ قال : نعم ، عن أبى سعيد الخُدْرِيّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح وقتادة قالوا : الشفع الخلق ؛ قال الله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ »(٢) الكفر والإيمان ، والشقاوة والسعادة ، والهدى والضلال ، والنور والظلمة ، والليل والنهار ، والحرّ والبرد ، والشمس والقمر ، والصيف والشتاء ، والسماء والأرض ، والجنّ والإنس . والوتر هو الله عز وجل ؛ قال جل ثناؤه : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ » . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إن لله تسعةً وتسعين اسما والله وِتْرٌ يحب الوِتْر" . وعن ابن عباس أيضا : الشفع صلاة الصبح ، والوتر صلاة المغرب . وقال الربيع بن أنس وأبو العالية : هى صلاة المغرب ، الشفع فيها ركعتان ، والوتر الثالثة . وقال ابن الزبير : الشفع يَوْمَا مِنًى : الحادى عشر ، والثانى عشر . والثالث عشر الوتر ؛ قال الله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ »(٣) . وقال الضحاك : الشفع عشر ذى الحجة ، والوتر أيام مِنًى الثلاثة . وهو قول عطاء . وقيل : إن الشفع والوتر آدم وحوّاء ؛ لأن آدم كان فردا فشُفِع بزوجته حوّاء فصار شفعا بعد وتر. رواه ابن أبى نَجِيح ، وحكاه القشيرىّ عن ابن عباس . وفى رواية : الشفع آدم وحوّاء ، والوتر هو الله تعالى . وقيل : الشفع والوتر الخلق ؛ لأنهم شفع ووتر ،

---

(١) آية ٨ سورة النبأ . (٢) آية ٤٩ سورة الذاريات . (٣) آية ٢٠٣ سورة البقرة .

فكأنه أقسم بالخلق . وقد يُقسم الله تعالى بأسمائه وصفاته لعلمه ، ويُقسم بأفعاله لقدرته ؛ كما قال تعالى : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى »(١) . ويُقسم بمفعولاته لعجائب صنعه ؛ كما قال : « وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا » ، « والسَّماءِ ومَا بَنَاها » ، « والسَّماءِ والطَّارِقِ » . وقيل : الشفع درجات الجنة وهى ثمان . والوتر دركات النار ؛ لأنها سبعة . وهذا قول الحسين بن الفضل؛ كأنه أقسم بالجنة والنار . وقيل : الشفع الصَّفَا والمَرْوَة ، والوتر الكعبة . وقال مقاتل بن حيّان : الشفع الأيام والليالى ، والوتر اليوم الذى لا ليلة بعده وهو يوم القيامة . وقال سفيان ابن عُيينة : الوتر هو الله ، وهو الشفع أيضا ؛ لقوله تعالى : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ »(٢) . وقال أبو بكر الورّاق : الشفع تضادّ أوصاف المخلوقين : العزّ والذّل ، والقدرة والعجز ، والقوة والضعف ، والعلم والجهل ، والحياة والموت ، والبصر والعمى ، والسمع والصّمم ، والكلام والخرس . والوتر انفراد صفات الله تعالى : عِزٌ بلا ذُلّ ، وقدرة بلا عجز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت ، وبصر بلا عمى ، وكلام بلا خرس ، وسمع بلا صمم ، وما وازاها . وقال الحسن : المراد بالشفع والوتر العدد كلّه ؛ لأن العدد لا يخلو عنهما ، وهو إقسام بالحساب . وقيل : الشفع مسجد مكة والمدينة، وهما الحَرَمان . والوتر مسجد بيت المقدس . وقيل : الشفع القِران بين الحج والعُمْرة ، أو التّمتع بالعُمْرة إلى الحج . والوتر الإفراد فيه . وقيل : الشفع الحيوان ؛ لأنه ذكر وأنثى . والوتر الجماد. وقيل : الشفع ما يَنْمى والوتر ما لا يَنْمى . وقيل غير هذا . وقرأ ابن مسعود وأصحابه والكسائىّ وحمزة وخلف « والوِترِ » بكسر الواو . والباقون (بفتح الواو) وهما لغتان بمعنًى واحد . وفى الصحاح : الوِتر (بالكسر) : الفرد، والوَتر (بفتح الواو) : الذَّحْل(٣) . هذه لغة أهل العالية . فأمّا لغة أهل الحجاز فبالضدّ منهم . فأمّا تميم فبالكسر فيهما .

---

(١) آية ٣ سورة الليل .

(٢) آية ٧ سورة المجادلة .

(٣) الذحل : الحقد والعداوة .

قوله تعالى : وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِى ﴾ وهـذا قَسَمٌ خامس . وبعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم . ومعنى « يَسْرِى » أى يُسْرَى فيه ؛ كما يقال : لَيْلٌ نائمٌ ونهارٌ صائمٌ . قال :

لقد لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ فى السُّرَى * ونِمْتِ وما لَيْـلُ المَطِىِّ بنـائِمِ [(١)]

ومنه قوله تعالى : « بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ [(٢)] » . وهذا قول أكثر أهل المعانى ، وهو قول القُتَبِىّ والأخفش . وقال أكثر المفسرين : معنى « يسرى » سار فذهب . وقال قتادة وأبو العالية : جاء وأقبـل . وروى عن إبراهيم « وَاللَّيْـلِ إِذَا يَسْرِ » قال : إذا استوى . وقال عكرمة والكلبى ومجاهد ومحمد بن كعب فى قوله « والليل » : هى ليلة المُزْدَلِفة خاصة ؛ لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله . وقيل : ليلة القدر ؛ لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها . وقيل : إنه أراد عموم الليل كله .

قلت : وهو الأظهر كما تقـدم . والله أعلم . وقـرأ ٱبن كثير وٱبن مُحَيْصن ويعقوب « يسرى » بإثبات الياء فى الحالين على الأصـل ؛ لأنها ليست بمجزومة فثبتت فيها الياء . وقرأ نافع وأبو عمرو بإثباتها فى الوصل ، وبحذفها فى الوقف ؛ وروى عن الكسائى . قال أبو عبيد : كان الكسائى يقـول مرة بإثبات اليـاء فى الوصـل وبحذفها فى الوقف اتباعًا للمصحف . ثم رجع إلى حذف الياء فى الحالين جميعا ؛ لأنه رأس آية ، وهى قراءة أهل الشام والكوفة واختيار أبى عبيد اتباعا للخط ؛ لأنهـا وقعت فى المصحف بغير ياء . قال الخليل : تسقط الياء منها اتفاقا لرءوس الآى . قال الفرّاء : قد تحذف العربُ الياء وتكتفى بكسر ما قبلها . وأنشد بعضهم :

كَفَّـاكَ كَفٌّ ما تُليق درهمًـا * جُودًا وأخرى تُعطِ بالسيف الدَّمَا

---

(١) هذا البيت من قصيدة لجرير يرد بها على الفرزدق .

(٢) آية ٣٣ سورة سبأ .

يقال : فلان ما يُليق درهمًا من جُوده؛ أى ما يمسكه ولا يَلْصَق به . وقال المُؤَرِّج : سألت الأخفش عن العلة فى إسقاط الياء من « يَسْرِ » فقال : لا أجيبك حتى تَبِيت على باب دارى سنة ، فبت على باب داره سنة ؛ فقال : الليل لا يَسرى و إنما يُسْرَى فيه ؛ فهو مصروف وكلُّ ما صرفته عن جهته بخسته من إعرابه ؛ ألا ترى إلى قوله تعـالى : « وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا »[1] ولم يقل بَغِيّة لأنه صرفها عن باغيـة . الزمخشرى : وياء « يَسْرِي » تحـذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة ، وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة . وهذه الأسماء كلها مجرورة بالقَسَم ، والجواب محذوف ، وهو لَيُعَذِّبن ؛ يدلّ عليه قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ — إلى قوله تعـالى — فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ » . وقال ابن الأنبارى هو « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » . وقال مقاتل : « هل » هنا فى موضع إنّ ؛ تقديره : إن فى ذلك قَسَما لذى حِجْر . فـ « هل » على هـذا فى موضع جواب القَسَم . وقيل : هى على بابهـا من الاستفهام الذى معناه التقرير ؛ كقولك : ألم أُنعِم عليك ؛ إذا كنت قد أنعمت . وقيل : المراد بذلك التأكيد لمـا أقسم به وأقسم عليـه . والمعنى : بل فى ذلك مَقْنَع لذى حِجـر . والجواب على هذا « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » . أو مُضْمَر محذوف . ومعنى ﴿ لِذِي حِجْرٍ ﴾ أى لذى لُبّ وعَقْل . قال الشاعر :

وكيف يُرَجَّى أن تتـوب وإنمـا * يُرَجَّى من الفتيان من كان ذا حِجْر

كذا قال عامة المفسرين ؛ إلا أن أبا مالك قال : « لِذِي حِجْر » لذى ستر من الناس . وقال الحسن : لذى حِلم . قال الفـراء : الكل يرجع إلى معنًى واحد ؛ لذى حِجـر ، ولذى عقل ، ولذى حلم ، ولذى سِـتر ؛ الكل بمعنى العقـل . وأصـل الحِجْر المنع . يقال لمن مَلَك نَفْسَـه ومنعها : إنه لذو حِجْر ؛ ومنه سُمِّيَ الحَجَر لامتناعه بصلابته : ومنـه حَجَر الحاكم على فلان أى منعه وضبطه عن التصرف ؛ ولذلك سُمِّيت الحُجْرة حُجْـرةً لامتناع ما فيها بهـا . وقال الفرّاء : العرب تقول : إنه لذو حِجْر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطًا لها ؛ كأنه أخذ من حَجَرت على الرجل .

---

(١) آية ٢٨ سورة مريم .

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ ﴾ أى مالكك وخالقك . ﴿ بِعَادٍ . إِرَمَ ﴾ قراءة العامة « بعاد » مُنوَّنا . وقرأ الحسن وأبو العالية « بِعادِ إِرَمَ » مضافا . فمن لم يُضف جعل « إرم » آسمه ولم يصرفه ؛ لأنه جعل عادا آسم أبيهم و إرَمَ آسم القَبيلة ، وجعله بدلاً منه أو عطف بيان . ومن قرأه بالإضافة ولم يَصْرِفه جعله آسم أمّهم أو آسم بلدتهم . وتقديره : بعاد أهل إرم . كقوله : « وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ » ولم تنصرف ـ قَبيلةً كانت أو أرضًا ـ للتعريف والتأنيث . وقراءة العامة « إِرَم » بكسر الهمزة . وعن الحسن أيضا «بعادَ إرَمَ» مفتوحتين . وقرئ « بعادَ أرْم » بسكون الراء على التخفيف ؛ كما قرئ « بِوَرْقِكُمْ » وقرئ « بِعادٍ إِرَمِ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ » بإضافة « إرَم » ـ إلى ـ « ذَاتِ العِمَادِ » والإِرَم : العلَم . أى بعاد أهل ذات العَلم . وقرئ « بِعادٍ أَرَمَ ذَاتِ العِمَادِ » أى جعل الله ذات العماد رميما . وقرأ مجاهد والضحاك وقتادة « أَرَم » بفتح الهمزة . قال مجاهد : من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالآرام التى هى الأعلام ، واحدها أَرَم . وفى الكلام تقديم وتأخير ؛ أى والفجر وكذا وكذا إنّ ربّك لبالمرصاد ألم تر . أى ألم ينته علمك إلى ما فعل ربُّك بعاد . وهذه الرؤية رؤية القلب ، والخطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، والمراد عامّ . وكان أمر عاد وثمود عندهم مشهورا ؛ إذ كانوا فى بلاد العرب ، وحِجْرُ ثمودَ موجود اليوم . وأمر فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من أهل الكتاب ، واستفاضت به الأخبار ، وبلاد فرعون متصلةٌ بأرض العرب . وقد تقدّم هذا المعنى فى سورة « البروج »[(١)] وغيرها ﴿ بِعَادٍ ﴾ أى بقوم عاد . فروى شَهْر بن حَوْشَب عن أبى هريرة قال : أن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المِصْراع من حجارة ، ولو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يُقلّوه ، وأن كان أحدهم ليُدخِل قدمه فى الأرض فتدخل فيها . و « إرم » قيل هو سام بن نوح ؛ قاله آبن إسحاق . وروى عطاء عن آبن عباس ـ وحكى عن آبن إسحاق

(١) راجع جـ ١٩ ص ٢٩٥

أيضا — قال : عاد ابن إرم، فإرم على هذا أبو عاد، وعاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح . وعلى القول الأوّل هو آسم جدّ عاد . قال آبن إسحاق : كان سام بن نوح له أولاد ، منهم إرم بن سام وأرفخشذ بن سام. فمن ولد إرم بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك الطغاة والعصاة . وقال مجاهد : « إرم » أمّة من الأمم، وعنه أيضا أن معنى إرم : القديمة . ورواه آبن أبى نجيح . وعن مجاهد أيضا أن معناها القوية . وقال قتادة : هى قبيلة[1] من عاد. وقيل : هما عادان . فالأولى هى إرم؛ قال الله عزّ وجلّ: « وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى »[2] . فقيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح : عاد ؛ كما يقال لبنى هاشم : هاشم . ثم قيل للأولين منهم : عادٌ الأولى ، وإرم تسمية لهم بآسم جدّهم . ولمن بعدهم عادٌ الأخيرة . قال ابن الرُّقيّات :

مجـدًا تليـدًا بنـاه أوّلهم * أدرك عادًا وقبـله إرمَا

وقال مَعْمَر : « إرم » إليه مجمع عاد وثمود . وكان يقال: عاد إرم وعاد ثمود . وكانت القبائل تنتسب إلى إرم . ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ قال آبن عباس فى رواية عطاء: كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع، والقصير منهم طوله ثلثمائة ذراع بذراع نفسه . وروى عن آبن عباس أيضا أن طول الرجل منهم كان سبعين ذراعا . آبن العربى : وهو باطل؛ لأن فى الصحيح : " إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى الهـواء فلم يزل الخلق ينقص إلى الآن". وزعم قتادة: أن طول الرجل منهم آثنا عشر ذراعا. قال أبو عبيدة: «ذات العماد» ذات الطول . يقال : رجل مُعْمَد إذا كان طويلا . ونحوه عن آبن عباس ومجاهد . وعن قتادة أيضا : كانوا عمادًا لقومهم ؛ يقال : فلان عميد القوم وعُمودهم أى سيدهم . وعنه أيضا: قيل لهم ذلك لأنهم كانوا ينتقلون بأبياتهم للآنتجاع، وكانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث و يطلبون الكلأ ، ثم يرجعون إلى منازلهم . وقيـل : « ذات العماد » أى ذات الأبنية المرفوعة على العمد . وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور. قال ابن زيد :

(١) فى بعض النسخ : « القرية » . (٢) آية ٥٠ سورة النجم .

« ذاتِ العِمادِ » يعني إحكام البنيان بالعمد . وفي الصحاح : والعِمادُ الأبنيـة الرفيعة ، تذكّر وتؤنث . قال عمرو بن كلثوم :

ونحن إذا عِمادُ الحيّ خرّت * على الأحفاضِ نمنع من يَلِينا

والواحدة عِمادة . وفلان طويل العِماد : إذا كان منزله مُعْلَمًا لزائره . والأحفاض : جمع حفض (بالتحريك) وهو متاع البيت إذا هُيِّئ ليُحمل ؛ أي خرّت على المتاع . ويروى : « عن الأحفاض » أي خرّت عن الإبل التي تحمل خُرْثِيّ[1] البيت . وقال الضحاك : « ذاتِ العِمادِ » ذات القوة والشدّة ، مأخوذة من قوة الأعمدة ؛ دليله قوله تعـالى : « وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً[2] » . وروى عَوف عن خالد الرَّبَعِيّ « إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ » قال : هي دمشق . وهو قول عكرمة وسعيد المَقْبُرِيّ . ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك . وقال محمد بن كعب القُرَظِيّ : هي الإسكندرية .

قوله تعـالى : ﴿ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ (٨)

الضمير في « مِثْلها » يرجع إلى القبيلة . أي لم يُخْلَق مثلُ القبيلة في البلاد قوةً وشدّةً ، وعِظَمَ أجساد وطولَ قامة ؛ عن الحسن وغيره . وفي حرف عبـد الله « التي لم يخـلق مثلهم في البلاد » . وقيل : يرجع للمدينة . والأول أظهر ، وعليه الأكثر حسب ما ذكرناه . ومن جعل « إرم » مدينة قدّر حذفا ؛ المعنى : كيف فعل ربُّك بمدينة عاد إرم ، أو بعاد صاحبة إرم . وإرم على هـذا مؤنثة معرفة . واختار ابن العربي أنهـا دِمشق لأنه ليس في البلاد مثلها . ثم أخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها . ثم قال : وإن في الإسكندرية لعجائب ، لو لم يكن إلا المنار فإنها مبنية الظاهر والباطن على العمد ، ولكن لها أمثال ، فأمّا دِمشق فلا مثل لها . وقد روى مَعْن عن مالك أن كتابا وجد بالإسكندرية فلم يُدر ما هو ، فإذا فيـه « أنا شدّاد ابن عاد الذي رفع العماد ، بنيتهـا حين لا شيب ولا موت . قال مالك : أن كان لتمرّ بهـم

---

(١) الخرثي : متاع البيت وأثاثه . (٢) آية ١٥ سورة فصلت

مائة سنة لا يرون فيها جنازة . وذكر عن ثور بن زيد[١] أنه قال : أنا شداد بن عاد ، وأنا رفعت العماد ، وأنا الذى شددت بذراعى بطن الواد ، وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع ، لا يُخرجه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وروى أنه كان لعاد آبنان : شدّاد وشديد ؛ فملكا وقهرا ، ثم مات شديد ، وخلص الأمر لشدّاد فملك الدنيا ودانت له ملوكها ؛ فسمع بذكر الجنة فقال : أبنى مثلها . فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة . وهى مدينة عظيمة ، قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها[٢] من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المُطّرِدة[٣] . ولما تمّ بناؤها سار إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا . وعن عبد الله بن قِلَابة أنه خرج فى طلب إبل له ، فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثَمّ ، وبلغ خبره معاوية فاستحضره ، فقص عليه ، فبعث إلى كعب فسأله فقال : هى إرم ذات العماد ، وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك ، أحمر أشقر قصير ، على حاجبه خال وعلى عقبه خال ، يخرج فى طلب إبل له ؛ ثم التفت فأبصر آبن قِلَابة وقال : هذا والله ذلك الرجل . وقيل : أى لم يخلق مثل أبنية عاد المعروفة بالعمد . فالكناية للعماد . والعماد على هذا جمع عمد . وقيل : الإرم : الهلاك ؛ يقال : أرم بنو فلان أى هلكوا ؛ وقاله آبن عباس . وقرأ الضحاك : « أَرَمَّ ذَاتَ العِمَادِ » ؛ أى أهلكهم فجعلهم رميما .

قوله تعالى : وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾

ثمود هم قوم صالح . و« جَابُوا » : قطعوا . ومنه : فلان يجوب البلاد أى يقطعها . وإنما سمى جَيْب القميص لأنه جِيب ؛ أى قُطع . قال الشاعر وكان قد نزل على آبن الزبير بمكة ، فكتب له بستين وَسْقًا يأخذها بالكوفة . فقال :

---

(١) فى الأصول : «يزيد» وهو تحريف . (٢) الأساطين : جمع الاسطوانة ، وهى العمود والسارية .
(٣) أى التى تجرى .

راحت رَواحًا قَلُوصي وهي حامدة * آل الزُّبير ولم تعـدل بهـم أحدا

راحت بستين وَسْـقًا فى حقيبتهـا * ما حَملت حملها الأدنى ولا السددا

ما إن رأيت قَلوصا قبلهـا حملت * ستيـن وَسْـقًا ولا جابت به بلدا

أى قطعت . قال المفسرون : أول من نحت الجبـال والصخور والرخام ثمـود . فبنَوْا من المدائن ألفا وسبعمائة مدينـة كلها من الحجارة . ومن الدور والمنازل ألفى ألف وسبعمائة ألف كلها من الحجارة . وقد قال تعالى : «وكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ»(١) . وكانوا لقوتهم يُخرجون الصخور ويَنْقُبون الجبـال ، ويجعلونها بيـوتا لأنفسهم . ﴿ بِالوادِى ﴾ أى بوادى القرى ؛ قاله محمد بن إسحاق . وروى أبو الأشهب عن أبى نضرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى غزاة تبوك على وادى ثمود ، وهو على فرس أشقر ، فقـال : "أسرعوا السير فإنكم فى وادٍ ملعون" . وقيل : الوادى بين جبـال ، وكانوا ينقُبون فى تلك الجبـال بيوتا ودورا وأحواضا . وكل مُنْفَرَج بين جبال أو تلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو وادٍ .

قوله تعـالى : وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾

أى الجنود والعساكر والجموع والجيوش التى تشدّ ملكه ؛ قاله ابن عباس . وقيل : كان يعذب النـاس بالأوتاد ويشدهم بها إلى أن يموتوا ؛ تَجَبُّراً منه وعُتُوًّا . وهكذا فعل بامرأته آسية وماشطة ابنته ؛ حسب ماتقدم فى آخر سورة « التحريم »(٢) . وقال عبد الرحمن بن زيد : كانت له صخرة تُرفع بالبَكَرات ، ثم يؤخذ الإنسان فتُوتَد له أوتاد الحديد ، ثم يُرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه . وقد مضى فى سورة « ص »(٣) من ذكر أوتاده ما فيه كفاية . والحمد لله .

قوله تعـالى : ٱلَّذِينَ طَغَـوْا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَـا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾

---

(١) آية ٨٢ سورة الحجر . (٢) راجع جـ ١٨ ص ٢٠٢ (٣) راجع جـ ١٥ ص ١٥٤

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ يعنى عادا وثمودا[1] وفرعون « طَغَوْا » أى تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر فى الظلم والعدوان . ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ أى الجور والأذى . و « الَّذِينَ طَغَوْا » أحسنُ الوجوه فيه أن يكون فى محل النصب على الذم . ويجوز أن يكون مرفوعا على : هم الذين طغوا، أو مجرورا على وصف المذكورين : عادٍ، وثمود، وفرعون . ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أى أفرغ عليهم وألقى ؛ يقال : صبّ على فلان خِلْعة أى ألقاها عليه . قال النابغة :

فصبَّ[2] عليه الله أحسن صُنْعِه * وكان له بين البَرِيّة ناصرا

﴿ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ أى نَصيب عذاب . و يقال : شِدّته ؛ لأن السَّوْط كان عندهم نهاية ما يعذَّب به . قال الشاعر :

ألم تر أنّ الله أظهر دِينَه * وصبّ على الكفار سَوْط عذاب

وقال الفراء : هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب . وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذى يعذّبون به، فجرى لكل عذاب؛ إذ كان فيه عندهم غاية العذاب . وقيل، معناه عذاب يخالط اللحم والدم ؛ من قولهم : ساطه يَسُوطه سَوْطا أى خلطه ، فهو سائط . فالسَّوْطُ خلْطُ الشيء بعضه ببعض ؛ ومنه سُمِّيَ المِسواط . وسوّطه أى خَلَطه ، وأكثر ذلك يقال : سوّط فلان أموره . قال :

فسُطْها ذَمِيمَ الرأْيِ غيرَ مُوَفَّقٍ * فلستَ على تَسْوِيطها بِمُعَانِ

قال أبو زيد : يقال أموالهم سَوِيطة بينهم ؛ أى مختلطة . حكاه عنه يعقوب . وقال الزجاج : أى جعل سَوْطهم الذى ضربهم به العذابَ . يقال : ساط دابته يسوطها ؛ أى ضربها

---

(١) اختلف فى « ثمود » فنهم من صرفه ومنهم من لم يصرفه ؛ فمن صرفه ذهب به إلى الحى لأنه اسم عربى مذكر سمى بمذكر . ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة وهى مؤنثة .

(٢) الرواية فى البيت كما فى ديوانه وشعراء النصرانية : * وربّ عليه الله ... الخ * قال البطليوسى شارح الديوان : ربّه أتمه . وأصله أن يقال : ربيت معروفى عند فلان أربه ربًّا إذا أدمته عليه وتممته لديه . و « ربّ عليه » دعاء معطوف على ما قبله . وهو مدح فى النعمان . وعلى هذه الرواية لا شاهد فى البيت .

بسوطه . وعن عمرو بن عُبيد: كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال : إن عند الله أسواطا كثيرة، فأخذهم بسوط منها . وقال قتادة : كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب .

قوله تعالى : إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

أي يَرْصُد عملَ كلِّ إنسان حتى يجازيَه به ؛ قاله الحسن وعكرمة . وقيل : أي على طريق العباد لا يفوته أحد . والمَرْصَد والمِرْصاد : الطريق . وقد مضى في سورة « براءة »(1) والحمد لله . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : إن على جهنم سبع قناطر ، يُسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان ، فإن جاء به تامًّا جاز إلى القنطرة الثانية ، ثم يُسأل عن الصلاة فإن جاء بها جاز إلى الثالثة ، ثم يُسأل عن الزكاة فإن جاء بها جاز إلى الرابعة . ثم يُسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة . ثم يُسأل عن الحج والعمرة فإن جاء بهما جاز إلى السادسة. ثم يُسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز إلى السابعة . ثم يُسأل عن المظالم، وينادي منادٍ ألا من كانت له مَظْلمة فليأت ؛ فيُقتَصّ للناس منه ويُقتَصّ له من الناس ؛ فذلك قوله عز وجل : « إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » . وقال الثَّوْريّ : « لبالمرصاد » يعني جهنم ؛ عليها ثلاث قناطر : قنطرة فيها الرَّحِم ، وقنطرة فيها الأمانة ، وقنطرة فيها الربّ تبارك وتعالى .

قلت : أي حكمه وإرادته وأمره . والله أعلم . وعن ابن عباس أيضا « لبالمرصاد » أي يسمع ويرى .

قلت : هذا قول حَسَن ؛ «يسمع» أقوالهم ونجواهم ، و«يرى» أي يعلم أعمالهم وأسرارهم فيجازي كُلًّا بعمله . وعن بعض العرب أنه قيل له : أين ربُّك ؟ فقال : بالمِرصاد . وعن عمرو بن عُبيد أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال : «إنّ ربك لبالمرصاد» يا أبا جعفر ! قال الزَّمَخْشَري : عَرّض له في هذا النداء بأنه بعضُ من تُوُعِّد بذلك من

---

(1) راجع جـ ٨ ص ٧٣

الجبابرة ؛ فلله دَرّه . أىّ أسد فَرّاس[1] كان بين يديه ؟ يدقّ الظلمة بإنكاره ، ويقصع[2] أهل الأهواء والبدع بآحتجاجه .

قوله تعالى : فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ ﴾ يعنى الكافر . قال آبن عباس : يريد عُتبة بن ربيعة وأبا حُذيفة بن المغيرة . وقيل : أُميّة بن خَلَف . وقيل : أُبَىّ بن خَلَف . ﴿ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ﴾ أى آمتحنه وآختبره بالنعمة . و « ما » زائدة صلة . ﴿ فَأَكْرَمَهُ ﴾ بالمال . ﴿ وَنَعَّمَهُ ﴾ بما أوسع عليه . ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ فيفرح بذلك ولا يَحْمَده . ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ ﴾ أى امتحنه بالفقر واختبره . ﴿ فَقَدَرَ ﴾ أى ضَيّق ﴿ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ على مقدار البُلْغة . ﴿ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ أى أَوْلانى هواناً . وهذه صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ فى الدنيا وقلّته . فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يُكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدّى إلى حظ الآخرة ، وإن وسّع عليه فى الدنيا حَمِده وشكره .

قلت : الآيتان صفةُ كلّ كافر . وكثير من المسلمين يظنّ أن ما أعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله ، وربما يقول بجهله : لو لم أستحق هذا لم يعطنيه الله . وكذا إن قتّر عليه يظنّ أن ذلك لهوانه على الله . وقراءة العامّة « فقَدَر » مخففة الدال . وقرأ آبن عامر مشدّدا ، وهما لغتان . والآختيار التخفيف ؛ لقوله : « وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ »[3] . قال أبو عمرو : و « قدر » أى قتّر . و « قدّر » مشدّدا هو أن يعطيه ما يكفيه ، ولو فعل به ذلك ما قال « ربى أهانن » . وقرأ أهل الحَرَمين وأبو عمرو « رَبِّىَ » بفتح الياء فى الموضعين . وأسكن الباقون . وأثبت البَزّى

---

(١) فى بعض الأصول والزمخشرى : « ثوبيه » .

(٢) كذا فى الزمخشرى . وفى الأصول : « يقطع » . وقصع الرجل فلانا حقره وصغره .

(٣) آية ٧ سورة الطلاق .

وابن مُحيصن ويعقوب الياء من « أكْرَمَنِ » و « أهَانَنِ » في الحالين، لأنها اسم فلا تحذف. وأثبتها المدنيُّون في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف . وخيَّر أبو عمرو في إثباتها في الوصل أو حذفها، لأنها رأس آية، وحذفها في الوقف لخط المصحف . الباقون بحذفها لأنها وقعت في الموضعين بغير ياء، والسُّنّة ألا يخالَف خطّ المصحف، لأنه إجماع الصحابة .

قوله تعالى : كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ ردٌّ، أي ليس الأمر كما يظنّ ، فليس الغِنى لفضله ولا الفقر لهوانه، وإنما الفقر والغنى من تقديري وقضائي. وقال الفراء : « كلا » في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا، ولكن يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر . وفي الحديث : " يقول الله عز وجل كلا إني لا أكرم من أكرمتُ بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنتُ بقلتها إنما أكرم من أكرمت بطاعتي وأهين من أهنت بمعصيتي " .

قوله تعالى : ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ إخبار عن ما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث، وأكل ماله إسرافا وبدارا أن يكبَروا . وقرأ أبو عمرو ويعقوب « يكرمون » و « يحُضُّون » و « يأكلون » و « يُحِبّون » بالياء، لأنه تقدّم ذكر الإنسان والمراد به الجنس، فعبّر عنه بلفظ الجمع . الباقون بالتاء في الأربعة على الخطاب والمواجهة، كأنه قال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخا . وترك إكرام اليتيم بدفعه عن حقّه وأكل ماله كما ذكرنا . قال مقاتل : نزلت في قُدامة بن مَظْعُون وكان يتيمًا في حجر أُمية بن خلف . ﴿ وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ أي لا يأمرون أهليهم بإطعام مسكين يجيئهم . وقرأ الكوفيُّون « ولا تحاضون » بفتح التاء والحاء والألف . أي يحض بعضهم بعضا . وأصله تتحاضون فحذف إحدى التاءين لدلالة الكلام عليها . وهو اختيار أبي عبيد . وروى عن إبراهيم والشَّيْزَرِي عن الكسائي والسُّلَمِي « تُحاضون » بضم

التاء، وهو تفاعلون من الحض وهو الحث . ﴿ وتأكلون التراث ﴾ أى ميراث اليتامى . وأصله الوراث من ورثت، فأبدلوا الواو تاء؛ كما قالوا فى تجاه وتخمة وتكأة وتؤدة ونحو ذلك . وقد تقدم . ﴿ أكلا لمًّا ﴾ أى شديدًا؛ قاله السدى . وقيل : «لمًّا» جمعًا؛ من قولهم : لممت الطعام لمًّا إذا أكلته جمعًا؛ قاله الحسن وأبو عبيدة . وأصل اللّمّ فى كلام العرب : الجمع؛ يقال : لممت الشىء ألمه لمًّا إذا جمعته؛ ومنه يقال : لمّ الله شعثه أى جمع ما تفرق من أموره . قال النابغة :

ولست بمستبقٍ أخًا لا تلمّه * على شعث أىّ الرجال المهذّب

ومنه قولهم : إن دارك لمومة؛ أى تلم الناس وتربّهم وتجمعهم . وقال المزناق[1] الطائى يمدح علقمة بن سيف :

لأحبنى حب الصبى ولمّنى[2] * لمّ الهدىّ إلى الكريم الماجد

وقال الليث : اللمّ الجمع الشديد؛ ومنه حجر ملموم، وكتيبة ملمومة . فالآكل يلمّ الثريد فيجمعه لقمًا ثم يأكله . وقال مجاهد : يسفه سفًّا . وقال الحسن : يأكل نصيبه ونصيب غيره . قال الحطيئة :

إذا كان لمًّا يتبع الذمّ ربّه * فلا قدّس الرحمنُ تلك الطواحنا

يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم . وقال ابن زيد : هو أنه إذا أكل ماله ألمّ بمال غيره فأكله، ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيّب . قال : وكان أهل الشرك لا يورّثون النساء ولا الصبيان، بل يأكلون ميراثهم مع ميراثهم وتراثهم مع تراثهم . وقيل : يأكلون ما جمعه الميت من الظلم وهو عالم بذلك، فيلمّ فى الأكل بين حرامه وحلاله . ويجوز

---

(١) كذا فى نسخ الأصل ومعجم الشعراء للمرزبانى . قال المرزبانى : «وأحسبه لقبا» . وفى لسان العرب : «وقال فدكى بن أعبد يمدح ...» . وفى كتاب أشعار الحماسة : «وقال رجل من بهراء واسمه فدكى يمدح ...» .

(٢) فى اللسان والحماسة ومعجم الشعراء : «ورمنى * رم» بالراء بدل «ولمنى * لم» باللام وعلى هذا لا شاهد فيه . وقوله «ورمنى» : أى أصلح حالى وشأنى . و «الهدىّ» : العروس تهدى إلى زوجها، فإذا زفت إليه تكلف أهلها فى حسن تجهيزها لئلا يعيرها أهل زوجها خللا وقع فى أمرها .

أن يذمّ الوارث الذى ظفر بالمال سهلًا مهلًا من غير أن يعرق فيه جبينه ، فيسرف فى إنفاقه ويأكله أكلا واسعًا ، جامعًا بين المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الورّاث البطّالون . ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أى كثيرا حلاله وحرامه . والجمّ الكثير . يقال : جمّ الشىء يجمّ جُمومًا فهو جمّ وجامّ . ومنه جمّ الماءُ فى الحوض إذا اجتمع وكثُر . وقال الشاعر[1] :

إن تغفر اللّهمّ تغفر جمّا * وأىّ عبدٍ لك لا ألمّا

والجمّة : المكان الذى يجتمع فيه ماؤه . والجَموم : البئر الكثيرة الماء . والجُموم (بالضم) المصدر ؛ يقال : جمّ الماء يجمّ جُمومًا إذا كثُر فى البئر واجتمع بعد ما استُقى ما فيها .

قوله تعالى : كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ أى ما هكذا ينبغى أن يكون الأمر . فهو ردّ لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها ؛ فإن من فعل ذلك يندم يوم تُدكّ الأرض ولا ينفع الندم . والدكّ : الكسر والدّق ؛ وقد تقدّم[2] . أى زلزلت الأرض وحُرّكت تحريكًا بعد تحريك . وقال الزجاج : أى زُلزلت فدكّ بعضُها بعضًا . وقال المبرد : أى ألصقت وذهب ارتفاعها . يقال : ناقة دكّاء ، أى لا سَنام لها ، والجمع دكّ . وقد مضى فى سورة «الأعراف» و « الحاقة » القول فى هذا . ويقولون : دُكّ الشىء أى هُدم . قال :

* هل غير غارٍ[3] دكّ غارا فانهدم *

﴿ دَكًّا دَكًّا ﴾ أى مرّة بعد مرة ؛ زُلزلت فكسر بعضُها بعضًا ، فتكسّر كلّ شىء على ظهرها . وقيل : دُكّت جبالها وأنشازها حتى استوت . وقيل : دُكّت أى استوت فى الانفراش ؛ فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر أبنيتها . ومنه سُمّى الدّكان لاستوائه فى الانفراش . والدّكّ : حطّ المرتفع من الأرض بالبَسْط ؛ وهو معنى قول ابن مسعود وابن عباس : تمدّ الأرض مدّ الأديم .

(١) هو أبو خراش الهذلى .
(٢) راجع جـ ٧ ص ٢٧٨ و جـ ١١ ص ٦٣ و جـ ١٨ ص ٢٦٤
(٣) الغار : الجمع الكثير من الناس .

قوله تعـالى : وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

قوله تعـالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أى أمرُه وقضاؤه ؛ قاله الحسن . وهو من باب حذف المضاف. وقيل : أى جاءهم الربّ بالآيات العظيمة ؛ وهو كقوله تعالى : « إلّا أنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ »(١) أى بظُلَل . وقيـل : جعل مجىء الآيات مجيئاً له تفخيما لشأن تلك الآيات . ومنه قوله تعالى فى الحديث : " يا بن آدم مَرِضتُ فلم تَعُدْنِى وآستسقيتُك فلم تَسْقِنِى وآستطعمتك فلم تُطْعِمْنى " . وقيـل : « وَجَاءَ رَبُّكَ » أى زالت الشُّبَه ذلك اليوم وصارت المعارف ضرورية ، كما تزول الشُّبَه والشك عند مجىء الشىء الذى كان يُشَكُّ فيه . قال أهل الإشارة : ظهرت قدرته وآستولت(٢) ، والله جل ثناؤه لا يوصـف بالتحوّل من مكان إلى مكان ، وأنّى له التحول والآنتقال ، ولا مكان له ولا أوان ، ولا يجرى عليه وقت ولا زمان ؛ لأن فى جَرَيان الوقت على الشىء فَوْتَ الأوقات ، ومن فاته شىء فهو عاجز .

قوله تعالى : ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أى الملائكة . ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أى صفوفا . ﴿وَجِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال آبن مسعود ومُقاتل : تقاد جهنم بسبعين ألف زمام ، كلّ زمام بيد سبعين ألف مَلَك ، لهـا تَغيُّظٌ وزَفير ، حتى تُنْصَب عن يسار العرش . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : " يُؤْتَى بجهنم يومئذ لهـا سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف مَلَك يجرّونها " . وقال أبو سعيد الخُدْرِىّ : لمـا نزلت « وجِىء يومئذ بجهنم » تغيّر لون رسول الله صلى الله عليه وسـلم وعُرِف فى وجهه ، حتى آشـتدّ على أصحابه ثم قال : "أقرأنى جبريل « كَلّا إذا دُكّتِ الأرْضُ دَكًّا دَكًّا — الآية — وجِىء يومئذٍ بجهنم" قال علىّ رضى الله عنه : قلت يا رسول الله ، كيف يُجاء بها ؟ قال : " يُؤْتَى بها تُقاد بسبعين ألف زمام يقود بكل زمام سـبعون ألف مَلَك فتَشْرُد شَرْدَةً لو تركت لأحرقت أهـل الجمع

(١) آية ٢١٠ سورة البقرة . (٢) فى بعض الأصول : « واستترت » .

ثم تعرض لى جهنم فتقول مالى ولك يا محمد إن الله قد حرّم لحمك علىّ " فلا يبقى أحد إلا قال نفسى نفسى ، إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يقول : ربّ ، أمتى ربّ أمتى .

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ﴾ أى يتّعظ ويتوب . وهو الكافر، أو مَن هِمّته معظَم الدنيا[1] . ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ أى ومن أين له الاتعاظ والتوبة وقد فرّط فيها فى الدنيا . ويقال : أى ومن أين له منفعة الذكرى . فلا بدّ من تقدير حذف المضاف، وإلا فبين « يومئذ يتذكّر » وبين « وأنّى له الذّكرَى » تنافٍ؛ قاله الزّمخشرىّ .

قوله تعالى : يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

أى فى حياتى . فاللام بمعنى فى . وقيل : أى قدمت عملا صالحا لحياتى؛ أى لحياة لا موت فيها . وقيل : حياة أهل النار ليست هنيئة فكأنهم لا حياة لهم؛ فالمعنى ياليتنى قدّمت من الخير لنجاتى من النار فأكون فيمن له حياة هنيئة .

قوله تعالى : فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ أى لا يُعَذِّب كعذاب الله أحدٌ، ولا يُوثِق كوَثاقه أحدٌ . والكناية ترجع إلى الله تعالى . وهو قول ابن عباس والحسن . وقرأ الكسائى « لا يُعَذَّب » « ولا يُوثَق » بفتح الذال والثاء؛ أى لا يعذَّب أحد فى الدنيا كعذاب الله الكافرَ يومئذ، ولا يوثَق كما يوثَق الكافر . والمراد إبليس؛ لأن الدليل قام على أنه أشدّ الناس عذابا لأجل إجرامه؛ فأطلق الكلام لأجل ما صحبه من التفسير . وقيل : إنه أميّة ابن خلف؛ حكاه الفرّاء . يعنى أنه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعيَّن أحد، ولا يوثَق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد؛ لتناهيه فى كفره وعناده . وقيل : أى لا يعذب مكانه

(١) هكذا وردت فى جميع نسخ الأصل . وفى تفسير ابن عادل : «ومن همته الدنيا» .

أحد ، فلا يؤخذ منه فداء . والعذاب بمعنى التعذيب ، والوثاق بمعنى الإيثاق . ومنه قول الشاعر :

* وبعد عطائك المائة الرِّتاعا [1] *

وقيل : لا يعذَّب أحد ليس بكافر عذاب الكافر . واختار أبو عبيد وأبو حاتم فتح الذال والثاء . وتكون الهاء ضمير الكافر ؛ لأن ذلك معروف أنه لا يعذِّب أحد كعذاب الله . وقد روى أبو قلابة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بفتح الذال والثاء . وروى أن أبا عمرو رجع إلى قراءة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وقال أبو عليّ : يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة ؛ أي لا يعذِّب أحدٌ أحدًا مثلَ تعذيب هذا الكافر ؛ فتكون الهاء للكافر . والمراد بـ « أحد » الملائكة الذين يتولّون تعذيب أهل النار .

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ لما ذكر حال من كانت همّته الدنيا فاتّهم الله في إغنائه وإفقاره ، ذكر حال من اطمأنت نفسه إلى الله تعالى ، فسلّم لأمره واتّكل عليه . وقيل : هو من قول الملائكة لأولياء الله عز وجل . والنفس المطمئنة : الساكنة الموقنة ؛ أيقنتْ أن الله ربّها فأخبتت لذلك ؛ قاله مجاهد وغيره . وقال ابن عباس : أي المطمئنة بثواب الله . وعنه المؤمنة . وقال الحسن : المؤمنة الموقنة . وعن مجاهد أيضا : الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطاها لم يكن ليصيبها ، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها . وقال مقاتل : الآمنة من عذاب الله . وفي حرف أُبَيّ بن كعب « يأيتها النفس الآمنة المطمئنة » . وقيل : التي عَملت على يقين بما وعد الله في كتابه . وقال ابن كَيْسان : المطمئنة هنا المخلصة .

---

(1) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة مدح بها زفر بن الحارث وصدره :

* أكفرًا بعد ردّ الموت عني *

والرتاع : الإبل الراتعة .

وقال ابن عطاء : العارفة التي لا تصبر عنه طَرْفة عَيْن . وقيل . المطمئنة بذكر الله تعالى؛ بيانه « الَّذِينَ آمَنُوا وتَطْمئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ »(١) . وقيل : المطمئنة بالإيمان المصدقةُ بالبعث والثواب . وقال ابن زيد : المطمئنة لأنها بُشّرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع . وروى عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه قال : يعني نفس حمزة . والصحيح أنها عامة في كلّ نفسٍ مؤمنٍ مخلص طائع . قال الحسن البَصْري : إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله تعالى، واطمأن الله إليها . وقال عمرو بن العاص: إذا تُوُفّي المؤمن أرسل الله إليه مَلَكين وأرسل معهما تحفة من الجنة، فيقولان لها: "اخرجي أيتها النفس المطمئنة راضيةً مَرْضيةً ومَرْضِيًّا عنك اخرجي إلى رَوْح ورَيحان وربٍّ راضٍ غيرِ غضبان" فتخرج كأطيب ريح المسك وَجَد أحدٌ من أنفه على ظهر الأرض . وذكر الحديث .

وقال سعيد بن زيد : قرأ رجل عند النبيّ صلى الله عليه وسلم « يأيتها النفس المطمئنة » فقال أبو بكر : ما أحسن هذا يارسول الله ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إن المَلَك سيقولها لك يا أبا بكر" . وقال سعيد بن جُبير : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طائر لم يُرَ على خِلْقته طائر قطّ ، فدخل نعشه ، ثم لم يُرَ خارجًا منه ، فلما دُفن تُليت هذه الآية على شَفير القبر ـ لا يُدْرَى من تلاها ـ : ﴿يأيتها النَّفْسُ المطمئنة . ارجعي إلى رَبِّكِ راضيةً مرضيةً﴾ . وروى الضحاك أنها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رُومة(٢) . وقيل : نزلت في خُبيب بن عَديّ الذي صلبه أهل مكة ، وجعلوا وجهه إلى المدينة فحوّل الله وجهه نحو القبلة . والله أعلم .

ومعنى ﴿إلى رَبِّكِ﴾ أي إلى صاحبك وجسدك ؛ قاله ابن عباس وعكرمة وعطاء . واختاره الطبريّ ؛ ودليله قراءة ابن عباس « فادْخُلي في عَبْدِي » على التوحيد ؛ فيأمر الله تعالى الأرواح غدا أن ترجع إلى الأجساد . وقرأ ابن مسعود « في جَسَدِ عَبْدِي » . وقال الحسن : ارجعي إلى ثواب رَبِّك وكرامته . وقال أبو صالح : المعنى ارجعي إلى الله . وهذا عند الموت .

---

(١) آية ٢٨ سورة الرعد . (٢) هي بئر بالمدينة .

﴿ فادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ أى فى أجساد عبادى ؛ دليله قراءة ٱبن عباس وٱبن مسعود . قال ٱبن عباس : هذا يوم القيامة ؛ وقاله الضحاك . والجمهور على أن الجنة هى دار الخلود التى هى مسكن الأبرار ، ودار الصالحين والأخيار . ومعنى « فِي عِبَادِي » أى فى الصالحين من عبادى ؛ كما قال : « لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ »(١) . وقال الأخفش : « فِي عِبَادِي » أى فى حزبى ؛ والمعنى واحد . أى ٱنتظمى فى سلكهم . ﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ معهم .

سورة « البلد »

مكّيّة بٱتفاق . وهى عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى : لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾

يجوز أن تكون « لا » زائدة ؛ كما تقدّم فى « لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ »(٢) ؛ قاله الأخفش . أى أقسم ؛ لأنه قال : « بِهَذَا البَلَدِ » وقد أقسم به فى قوله : « وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ »(٢) فكيف يجحد القسم به وقد أقسم به . قال الشاعر :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى فاعْتَرَتْنِى صَبَابَةٌ * وكادَ صَمِيمُ القلبِ لايَتَقَطَّعُ

أى يتقطّع ودخل حرف « لا » صلة ؛ ومنه قوله تعالى : « مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ »(٣) بدليل قوله تعالى فى (ص) : « مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ »(٤) . وقرأ الحسن والأعمش وابن كثير « لَأُقْسِم » من غير ألف بعد اللام إثباتا . وأجاز الأخفش أيضا أن تكون بمعنى ألا . وقيل : ليست بنفى القَسَم ، وإنما هو كقول العرب : لا والله لافعلت كذا ، ولا والله ما كان

(١) آية ٩ سورة العنكبوت . (٢) راجع جـ ١٩ ص ٩٠

(٣) آية ١٢ سورة الأعراف راجع جـ ٧ ص ١٧٠ (٤) آية ٧٥ .

كذا، ولا والله لأفعلنّ كذا . وقيل : هي نفي صحيح ؛ والمعنى : لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه . حكاه مكيّ . ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : « لا » ردّ عليهم . وهذا اختيار ابن العربي ؛ لأنه قال : « وأما من قال إنها ردّ فهو قول ليس له ردّ؛ لأنه يصح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد» . فهو ردّ لكلام من أنكر البعث ثم ابتدأ القسم . وقال القُشَيْريّ : قوله « لا » ردّ لما توهم الإنسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا. أي ليس الأمر كما يحسبه من أنه لن يقدر عليه أحد، ثم ابتدأ القسم . و « البلد » هي مكة أجمعوا عليه . أي أُقْسِم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحُبّي لك . وقال الواسطي : أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرّفته بمكانك فيه حيًّا، و ببركتك ميتًا؛ يعني المدينة . والأول أصح؛ لأن السورة نزلت بمكة باتفاق .

قوله تعالى : وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾

يعني في المستقبل ؛ مثل قوله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ »[(1)] . ومثله واسع[(2)] في كلام العرب . تقول لمن تعده الإكرام والحباء : أنت مُكْرَمٌ محبوٌّ . وهو في كلام الله واسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة ؛ وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال ، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة باتفاق مكيةٌ قبل الفتح . فروى منصور عن مجاهد « وَأَنتَ حِلٌّ » قال : ماصنعتَ فيه من شيء فأنت في حِلّ . وكذا قال ابن عباس : أحل له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء فقتل ابن خَطَل[(3)] ومِقْيَس بن صُبَابة وغيرهما . ولم يحل لأحد من الناس أن يقتل بها أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى السُّدّي قال : أنت في حِل ممن قاتلك أن تقتله . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : أُحلّت له ساعةً من نهار ثم أطبقت وحُرّمت إلى يوم القيامة ؛ وذلك يوم فتح مكة . وثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنّ الله حَرّم مكة يوم خلق السموات والأرضَ فهي حرامٌ إلى أن تقوم الساعة فلم

---

(١) آية ٣٠ سورة الزمر . (٢) في بعض نسخ الأصل : « شائع »

(٣) هو عبد الله ، كان متعلقا بأستار الكعبة ؛ فقتله أبو برزة الأسلمي بأمر الرسول صلوات الله عليه .

يحِلّ لأحد قبلى ولا تحِل لأحد بعدى ولم تحِل لى إلا ساعة من نهار " الحديث . وقد تقدّم فى سورة «المائدة» . آبن زيد : لم يكن بها أحد حلالا غير النبىّ صلى الله عليه وسلم . وقيل : وأنت مقيم فيه وهو محلك . وقيل : وأنت فيه محسن وأنا عنك فيه راضٍ . وذكر أهل اللغة أنه يقال : رجل حِلّ وحَلال ومُحِلّ، ورجل حَرَام ومُحْرِم وحِرْم . وقال قتادة : أنت حِلّ به لستَ بآثم . وقيل : هو ثناء على النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ أى إنك غيرُ مرتكب فى هذا البلد ما يحرم عليك آرتكابه ، معرفةً منك بحق هذا البيت ؛ لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه . أى أقسم بهذا البيت المعظّم الذى قد عرفتَ حرمته ، فأنت مقيم فيه مُعَظِّم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك . وقال شُرَحْبِيل بن سعد : « وأنتَ حِلٌّ بهذا البلد » أى حلال ؛ أى هم يُحَرِّمون مكة أن يقتلوا بها صيدا أو يَعْضِدوا[1] بها شجرة ، ثم هم مع هذا يستحلّون إخراجك وقتلك .

قوله تعالى : وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾

قال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن وأبو صالح : « وَوَالِدٍ » آدم عليه السلام . « وَمَا وَلَدَ » أى وما تنسل من ولده . أقسم بهم لأنهم أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الأرض؛ لما فيهم من التبيان والنطق والتدبير، وفيهم الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى . وقيل : هو إقسام بآدم والصالحين من ذريته ، وأما غير[2] الصالحين فكأنهم بهائم . وقيل : الوالد إبراهيم . وما ولد : ذرّيته ؛ قاله أبو عمران الجَوْنى . ثم يحتمل أنه يريد جميع ذرّيته . ويحتمل أنه يريد المسلمين من ذرّيته . قال الفرّاء : وصَلَحت « ما » للناس ؛ كقوله : « مَا طَابَ لَكُم » ، وكقوله : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى » وهو الخالق للذكر والأنثى . وقيل : « ما » مع ما بعدها فى موضع المصدر ؛ أى ووالد وولادته ؛ كقوله تعالى : «وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا» . وقال عكرمة وسعيد بن جُبير : « ووالِدٍ » يعنى الذى يولد له . « وما ولد »

---

(١) عضد الشجرة وغيرها : قطعها بالمِعْضَد . والمِعْضَدُ : سيف يمتهن فى قطع الشجرة .

(٢) فى بعض نسخ الأصل : « وأما الطالحون » .

يعني العاقر الذي لا يولد له؛ وقاله آبن عباس . و « ما » على هذا نفي . وهو بعيد ولا يصح إلا بإضمار الموصول؛ أي ووالد والذي ما ولد، وذلك لا يجوز عند البصريين . وقيل : هو عموم في كل والد وكل مولود؛ قاله عَطية العَوْفي . ورُوي معناه عن آبن عباس أيضا . وهو آختيار الطبري . قال الماوردي : ويحتمل أن الوالد النبيّ صلى الله عليه وسلم لتقدّم ذكره، وما ولد أمّته لقوله عليه السلام: "إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلّمكم" . فأقسم به وبأمّته بعد أن أقسم ببلده؛ مبالغةً في تشريفه عليه السلام .

قوله تعالى : لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾

إلى هنا آنتهى القَسَم؛ وهذا جوابه . ولله أن يُقسم بما يشاء من مخلوقاته لتعظيمها كما تقدّم . والإنسان هنا آبن آدم . ﴿ فِى كَبَدٍ ﴾ أي في شدّة وعَناء من مكابدة الدنيا . وأصل الكَبَد الشدّة . ومنه تَكَبَّد اللبنُ : غَلُظ وخَثُر وآشتدّ . ومنه الكَبِد؛ لأنه دَمٌ تغلّظ وآشتدّ. ويقال : كابدت هذا الأمر : قاسيت شدّته . قال لبيد :

يا عَيْنُ هَلّا بَكَيْتِ أَرْبَد إذ * قُمْنا وقام الخصومُ في كَبَدِ

قال آبن عباس والحسن : « فِى كَبَدٍ » أي في شدة ونَصَب . وعن آبن عباس أيضا : في شدّة من حَمْله وولادته ورضاعه ونبت أسنانه، وغير ذلك من أحواله . وروى عكرمة عنه قال : منتصبا في بطن أمّه . والكَبَد الآستواء والآستقامة . فهذا آمتنان عليه في الخلقة . ولم يخلق الله جلّ ثناؤه دابة في بطن أمها إلا مُنْكَبّة على وجهها إلا آبن آدم؛ فإنه منتصب آنتصابا؛ وهو قول النَّخَعي ومجاهد وغيرهما . آبن كَيْسان : منتصبًا رأسه في بطن أمه؛ فإذا أذِن الله أن يخرج من بطن أمه قلب رأسه إلى رجلي أمّه . وقال الحسن : يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وعنه أيضا : يكابد الشكر على السراء ويكابد الصبر على الضراء؛ لأنه لا يخلو من أحدهما . ورواه آبن عمر . وقال يَمان : لم يخلق الله خلقًا يكابد ما يكابد آبن آدم؛ وهو مع ذلك أضعف الخلق . قال علماؤنا : أول ما يكابد قطع سرّته ، ثم إذا

قُمط قماطًا وشُدّ رِباطا يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه وتحرّك لسانه، ثم يكابد الفِطام الذى هو أشدّ من اللّطام، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلّم وصَوْلته، والمؤدّب وسياسته، والأستاذ وهَيْبته، ثم يكابد شَغل التزويج والتعجيل فيه[1]، ثم يكابد شَغل الأولاد والخدم والأجناد، ثم يكابد شَغل الدُّور وبناء القصور، ثم الكِبر والهَرَم وضَعف الركبة والقَدَم، فى مصائبَ يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صُداع الرأس، ووجع الأضراس، ورَمَد العين، وغم الدَّين، ووجع السنّ، وألم الأذن. ويكابد مِحَنًا فى المال والنفس، مثلُ الضَّرب والحبس، ولا يمضى عليه يوم إلا يقاسى فيه شدّة، ولا يكابد إلا مَشقّة، ثم الموت بعد ذلك كلّه، ثم مساءلة المَلَك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعَرْض على الله إلى أن يستقر به القرار، إما فى الجنة وإما فى النار؛ قال الله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد. ودلّ هذا على أن له خالقا دبّره، وقضى عليه بهذه الأحوال؛ فليمتثل أمره. وقال ابن زيد: الإنسان هنا آدم. وقوله: «فِي كَبَدٍ» أى فى وسط السماء. وقال الكلبى: إن هذا نزل فى رجل من بنى جُمَح؛ كان يقال له أبو الأشدين[2]، وكان يأخذ الأديم العُكاظىّ فيجعله تحت قدميه، فيقول: من أزالنى عنه فله كذا. فيجذبه عشرةٌ حتى يتمزّق ولا تزول قدماه؛ وكان من أعداء النبىّ صلى الله عليه وسلم، وفيه نزل «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» يعنى لقوّته. وروى عن ابن عباس. ومعنى «فِي كَبَدٍ» أى شديدا، يعنى شديد الخلق؛ وكان من أشدّ رجال قريش. وكذلك رُكانة بن هاشم بن عبد المطلب، وكان مَثَلًا فى البأس والشدّة. وقيل: «فِي كَبَدٍ» أى جرىء القلب، غليظ الكبد مع ضعف خلقته ومَهانة مادّته. ابن عطاء: فى ظلمة وجهل. الترمذىّ: مضيّعًا ما يعنيه، مشتغلًا بما لا يعنيه.

---

(١) فى نسخة من نسخ الأصل وحاشية الجمل: «ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج».

(٢) كذا فى نسخ الأصل. وفى الكشاف وروح المعانى والبيضاوى والعلمى: «أبو الأشد».

قوله تعالى : أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ أى أيظنّ ابن آدم أن لن يعاقبه الله عز وجل . ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ ﴾ أى أنفقت . ﴿ مَالًا لُبَدًا ﴾ أى كثيرا مجتمعاً . ﴿ أَيَحْسَبُ ﴾ أى أيظنّ . ﴿ أَنْ لَمْ يَرَهُ ﴾ أى أن لم يعاينه ﴿ أَحَدٌ ﴾ بل علم الله عز وجل ذلك منه ، فكان كاذباً فى قوله : أهلكت ، ولم يكن أنفقه . وروى أبو هريرة قال : يوقف العبد فيقال ماذا عملت فى المال الذى رزقتك ؟ فيقول : أنفقته وزكيته . فيقال : كأنك إنما فعلت ذلك ليقال سخى فقد قيل ذلك . ثم يؤمر به إلى النار . وعن سعيد عن قتادة : إنك مسئول عن مالك من أين جمعت ، وكيف أنفقت . وعن ابن عباس قال : كان أبو الأشدين يقول أنفقت فى عداوة محمد مالا كثيرا ، وهو فى ذلك كاذب . وقال مقاتل : نزلت فى الحارث بن عامر بن نوفل ، أذنب فاستفتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يكفّر . فقال : لقد ذهب مالى فى الكفارات والنفقات منذ دخلت فى دين محمد . وهذا القول منه يحتمل أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغيانا منه ، أو أسفًا عليه فيكون ندمًا منه . وقرأ أبو جعفر «مَالًا لُبَّدًا» بتشديد الباء مفتوحة على جمع لابد ؛ مثل راكع وركّع ، وساجد وسجّد ، وشاهد وشهّد ، ونحوه . وقرأ مجاهد وحميد بضمّ الباء واللام مخففا جمع لبود . الباقون بضمّ اللام وكسرها وفتح الباء مخففا جمع لُبْدة ولِبْدة ، وهو ما تلبّد ؛ يريد الكثرة . وقد مضى فى سورة « الجن » القول فيه (1) . وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ «أيحسُب» بضم السين فى الموضعين . وقال الحسن : يقول أتلفت مالا كثيرا فمن يحاسبنى به ؛ دعنى أحسبه . ألم يعلم أن الله قادر على محاسبته ، وأن الله عز وجل يرى صنيعه ثم عدّد عليه نعمه فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾ يبصر بهما ﴿ وَلِسَانًا ﴾ ينطق به . ﴿ وَشَفَتَيْنِ ﴾ يستر بهما

---

(1) راجع جـ ١٩ ص ٢٢ فما بعدها .

ثقوه، والمعنى: نحن فعلنا ذلك، ونحن نقدر على أن نبعثه ونُحْصى عليه ما عمله . وقال أبو حازم قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى قال يا ٱبن آدم إن نازعك لسانك فيما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق و إن نازعك بَصَرُك فيما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق . و إن نازعك فرجك إلى ما حرّمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ". والشّفة أصلها شَفَهَةٌ، حُذفت منها الهاء، وتصغيرها شُفَيْهة ، والجمع شِفاهٌ . ويقال : شَفَهات وشفوات؛ والهاء أقيس ، والواو أعمّ تشبيها بالسنوات . وقال الأزهريّ : يقال هذه شَفَةٌ في الوصل وشَفَهٌ، بالتاء والهاء . وقال قتادة : نِعَم الله ظاهرةٌ يقرّرك بها حتى تشكر .

قوله تعالى : وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

يعنى الطريقين : طريقَ الخير وطريقَ الشر . أى بيّناهما له بما أرسلناه من الرسل . والنَّجْد : الطريق فى ٱرتفاع . وهذا قول ٱبن عباس وٱبن مسعود وغيرهما . وروى قتادة قال : ذُكِر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول : " يأيها الناس إنما هما النَّجْدان نَجْدُ الخير ونَجْدُ الشر فلِمَ تجعل نَجْدَ الشر أحبّ إليك من نجد الخير". وروى عن عكرمة قال: النجدان الثّديان . وهو قول سعيد بن المسيّب، والضحاك، وروى عن ٱبن عباس وعليّ رضى الله عنهما ؛ لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه. فالنّجد العُلُوّ وجمعه نُجُود؛ ومنه سُمِّيتْ « نجد » لٱرتفاعها عن ٱنخفاض تهامة . فالنجدان : الطريقان العاليان . قال ٱمرؤ القيس :

فريقان منهم جازع بَطْنَ نخلةٍ (١) * وآخر منهم قاطع نَجْدَ كَبْكَبِ

قوله تعالى : فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

أى فهلّا أنفق ماله الذى يزعم أنه أنفقه فى عداوة محمّد ، هلّا أنفقه لٱقتحام العقبة فيأمن . والٱقتحام : الرّمْىُ بالنفس فى شىء من غير رَوِيّة؛ يقال منه : قَحَم فى الأمر قُحُوماً؛ أى رمى

(١) كذا فى الأصل وديوان ٱمرئ القيس : وفى اللسان (مادة نجد) :

* غداة غدوا فسالك بطن نخلة *

والجازع : القاطع . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف . وكبكب : الجبل الأحمر الذى تجعله بظهرك إذا وقفت بعرفة .

بنفسه فيه من غير رَوِيّة . وقَحّم الفرسُ فارسَه تقحيماً على وجهه إذا رماه . وتقحيم النَّفس فى الشيء إدخالها فيه من غير رَوية . والقُحْمة (بالضم) المَهْلَكة والسَّنة الشديدة . يقال : أصابت الأعرابَ القُحْمَةُ، إذا أصابهم قَحْط فدخلوا الرِّيف . والقُحَم : صِعاب الطريق . وقال الفَرّاء والزّجاج : وذكر « لا » مرّة واحدة، والعرب لا تكاد تُفْرِد « لا » مع الفعل الماضى فى مثل هذا الموضع حتى يعيدوها فى كلام آخر، كقوله تعالى: «فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ»[1] « وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » . وإنما أفردوها لدلالة آخر الكلام على معناه ؛ فيجوز أن يكون قوله : « ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا » قائماً مقام التكرير، كأنه قال : فلا آقتحم العَقَبة ولا آمن . وقيل : هو جارٍ مجرى الدعاء، كقوله : لا نَجَا ولا سَلِم .﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ قال سفيان بن عُيَيْنة : كل شيء قال فيه « وما أدراك » فإنه أخبر به ، وكل شيء قال فيه « وما يُدريك » فإنه لم يخبر به . وقال : معنى « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » أى فلم يقتحم العقبة ؛ كقول زُهَير :

وكان طَوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ * فلا هــو أبداها ولم يَتَقــدَّمِ[2]

أى فلم يُبدها ولم يتقدّم . وكذا قال المبرّد وأبو علىّ . « لا » بمعنى لم . وذكره البُخَارِىّ عن مجاهد . أى فلم يقتحم العقبة فى الدنيا فلا يحتاج إلى التكرير . ثم فَسّر العَقَبة وركوبها فقال : « فَكُّ رَقَبَةٍ » وكذا وكذا ؛ فبيّن وجوهاً من القُرَب المالية . وقال آبن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام الآستفهام الذى معناه الإنكار، تقديره : أفلا آقتحم العقبة، أو هلّا آقتحم العقبة . يقول : هلّا أنفق ماله فى فَكّ الرِّقاب وإطعام السَّغْبان ليجاوز به العَقَبة ؛ فيكون خيراً له من إنفاقه فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم قيل : اقتحام العَقَبة هاهنا ضَرْبُ مَثَل ؛ أى هَلّا تحمّل عِظام الأمور فى إنفاق ماله فى طاعة ربّه والإيمان به . وهذا إنما يليق بقول من حَمَل « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ » على الدعاء ؛ أى فلا نجا ولا سَلِم من لم يُنفق ماله فى كذا وكذا . وقيل : شَبّه عظم الذنوب وثِقَلها وشدّتها بعَقَبة ، فإذا أعتق رَقَبةً وعَمِل صالحا كان مثله كمثل من آقتحم العقبة ، وهى الذنوب التى تضره وتؤذيه وتُثقله . قال

(١) آية ٣١ سورة القيامة . (٢) الكشح : الخاصرة . ومستكنة : على أمر أكنه فى نفسه .

ابن عمر : هــذه العقبة جبل فى جهنم . وعن أبى رجاء قال : بلغنا أن العقبة مصعدها سبعة آلاف سنة ومهبطها سبعة آلاف ســنة . وقال الحسن وقتادة : هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر؛ فاقتحموها بطاعة الله . وقال مجاهد والضحاك والكلبي : هى الصراط يُضرب على جهنم كحدّ السيف ، مسيرة ثلاثة آلاف سنة ، سهلًا وصــعودا وهبوطًا . واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء . وقيــل : اقتحامه عليه قدر ما يصلى صــلاة المكتوبة . ورُوى عن أبى الدّرداء أنه قال : إن وراءنا عقبةً ، أنجى الناس منهــا أخفّهم حمــلًا . وقيل : النار نفسها هى العقبة . فروى أبو رجاء عن الحسن قال : بلغنا أنه ما من مسلم يعتق رقبة إلا كانت فداءه من النار . وعن عبد الله بن عمر قال : من أعتق رقبة أعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه . وفى صحيح مســلم عن أبى هريرة عن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أعتق رقبةً أعتق الله بكل عضو منها عضوًا من أعضائه من النار حتى فَرْجَه بفرجه ". وفى الترمذى عن أبى أمامة وغيره من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " أيّمـا آمرئ مسلم أعتق آمرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزى كلّ عضو منه عضوًا منــه وأيّمـا آمرأة مسلمة أعتقت آمرأة مسلمة كانت فكاكها من النــار يجزى كلُّ عضو منها عضوا منها " . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب . وقيل : العقبة خلاصه من هَوْل العرض . وقال قتادة وكعب : هى نار دون الجسر . وقال الحسن : هى والله عقبة شديدة؛ مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان . وأنشد بعضهم :

إنى بُليت بأربــع يرميــننى * بالنَّبْــل قد نصبــوا علىّ شِراكا
إبليس والدنيا ونفسى والهــوى * من أيــن أرجو بينهن فكاكا
يا ربّ ساعدنى بعفــوٍ إننى * أصبحت لا أرجو لهن سوا كا

قوله تعــالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ ﴾

فيه حذف ؛ أى وما أدراك ما آقتحام العقبة . وهــذا تعظيم لالتزام أمر الدّيــن ؛ والخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ليعلّمه اقتحامَ العقبة . قال القُشَيْرى : وحمل العقبة على

عقبة جهنم بعيد؛ إذ أحد فى الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم؛ إلا أن يُحمل على أن المراد فهلّا صيّر نفسه بحيث يمكنه ٱقتحام عقبة جهنم غدًا . واختار البخارىّ قول مجاهد : إنه لم يقتحم العقبة فى الدنيا . قال ابن العربى : «وإنما اختار ذلك لأجل أنه قال بعد ذلك فى الآية الثانية : «وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ»، ثم قال فى الآية الثالثة : «فَكُّ رَقَبَةٍ»، وفى الآية الرابعة «أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ»، ثم قال فى الآية الخامسة : «يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ»، ثم قال فى الآية السادسة : «أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ» ؛ فهذه الأعمال إنما تكون فى الدنيا . المعنى : فلم يأت فى الدنيا بما يُسَهِّل عليه سلوك العقبة فى الآخرة» .

قوله تعالى : فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ فكّها خلاصُها من الأَسْر . وقيل : من الرّق . وفى الحديث : "وفَكُّ الرقبة أن تُعين فى ثمنها" من حديث البَراء . وقد تقدم فى سورة «براءة»(١) . والفَكّ : هو حَلّ القَيْد ؛ والرِّق قَيْدٌ . وسمى المرقوق رقبة ؛ لأنه بالرق كالأسير المربوط فى رقبته . وسُمِّى عتقها فكًّا كفكّ الأسير من الأسر . قال حسانُ :

كم من أسير فككناه بلا ثمن * وجَزِّ ناصيةٍ كنا مَوَاليها

وروى عُقبة بن عامر الجُهَنِىّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداءه من النار" . قال المـاوَرْدِىّ : ويحتمل ثانيا أنه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصى وفعل الطاعات؛ ولا يمتنع الخبر من هذا التأويل، وهو أشبه بالصواب .

الثانيــة ــ قوله تعالى : ﴿ رَقَبَةٍ ﴾ قال أَصْبَغ : الرقبة الكافرة ذات الثمن أفضل فى العتق من الرقبة المؤمنة القليلة الثمن ؛ لقول النبىّ صلى الله عليه وسلم وقد سئل أىّ الرقاب أفضل؟ قال : "أغلاها ثمنًا وأنفَسُها عند أهلها" . ابن العربىّ : «والمراد فى هذا الحديث من

---

(١) راجع جـ ٨ ص ١٨٢ .

المسلمين ، بدليل قوله عليه السلام : " من أعتق آمرأ مسلما " و " من أعتق رقبة مؤمنة " وما ذكره أصبغ وَهْـلَةٌ[1] ، وإنما نظر إلى تنقيص المـال ، والنّظرُ إلى تجريد المُعْتَق للعبادة وتفريغه للتوحيد أَوْلى » .

الثالثــة — العتق والصّدَقة من أفضل الأعمال . وعن أبي حنيفة : أن العتق أفضلُ من الصدقة . وعند صاحبيه الصدقة أفضل . والآية أدلّ على قول أبي حنيفة؛ لتقديم العتق على الصدقة . وعن الشّعْبي في رجل عنده فضل نفقة : أيضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة؟ قال : الرقبة أفضل؛ لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " مَن فكّ رقبةً فكّ الله بكل عضو منها عضوا منه من النار " .

قوله تعالى : أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَـامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ أي مجاعة . والسَّغَب الجوع . والساغب : الجائع . — وقرأ الحسن «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يومٍ ذا مَسْغَبَةٍ» بالألف في «ذا» — وأنشد أبو عبيدة :

فلو كنت جاراً[2] يا بن قيس بن عاصم * لَمَـا بتّ شـبعاناً وجارُك ساغبا

وإطعام الطعام فضيلة، وهو مع السَّغب الذي هو الجوع أفضل . وقال النَّخَعيّ في قوله تعالى : «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يومٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» قال : في يوم عزيز فيه الطعام . ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من مُوجبات الرحمة إطعامُ المسلم السغبان " . ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ أي قرابة . يقال : فلان ذو قرابتي وذو مَقْربتي . يعلمك أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة ، كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله . وأهل اللغة يقولون : سُمّيَ يتيما لضعفه . يقال : يَتَمَ الرجل يُتْمًا إذا ضَعُف .

(١) كذا في الأصول وابن العربي ، ولعلها المرة من الوهل وهو الغلط . وَهَل الى الشيء (بالفتح) يهل (بالكسر) وَهْلا (بالسكون) : إذا ذهب وهمه اليـه . ويجوز أن يكون بمعنى سها وغلط .

(٢) كذا في الأصول . يريد : فلو كنت جارا قائما بحق الجوار لما حدث هذا .

وذكروا أن اليتيم فى الناس من قِبل الأب ، وفى البهائم من قِبل الأمهات . وقد مضى فى سورة «البقرة» مستوفى[1] ، وقال بعض أهل اللغة : اليتيم الذى يموت أبواه . وقال قيس ٱبن الملوّح :

إلى الله أشكو فقدَ ليلَى كما شكا * إلى الله فقْدَ الوالدين يَتيم

قوله تعالى : ﴿ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى لا شىء له ، حتى كأنه قد لصق بالتراب من الفقر ، ليس له مأوى إلا التراب . قال ٱبن عباس : هو المطروح على الطريق الذى لا بيت له . مجاهد : هو الذى لا يقيه من التراب لباس ولا غيره . وقال قتادة : إنه ذو العيال . عكرمة : المديون . أبو سنان : ذو الزَّمانة . ٱبن جُبير : الذى ليس له أحدٌ . وروى عكرمة عن ٱبن عباس : ذو المتربة البعيدُ التربة ؛ يعنى الغريب البعيد عن وطنه . وقال أبو حامد الخارْزَنْجِى : المتربة هنا من التَّريب؛ وهى شدة الحال . يقال ترِب إذا ٱفتقر . قال الهُذَلِىّ :

وكنّا إذا ما الضَّيْفُ حَلّ بأرضنا * سفكنا دماءَ البُدْن فى تربة الحال

وقرأ ٱبن كثير وأبو عمرو والكسائى « فَكَّ » بفتح الكاف على الفعل الماضى « رقبةً » نصبًا لكونها مفعولا « أو أَطْعَمَ » بفتح الهمزة ونصب الميم من غير ألف على الفعل الماضى أيضا؛لقوله : «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» فهذا أشكل بـ « فَكَّ وأَطْعَمَ » . وقرأ الباقون «فَكُّ» رفعًا على أنه مصدر فككت . «رقبةٍ» خفض بالإضافة . «أو إطعامٌ» بكسر الهمزة وألف ورفع الميم وتنوينها على المصدر أيضا . وٱختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنه تفسير لقوله تعالى : «وما أَدْراكَ ما الْعَقَبَةُ» ثم أخبره فقال : «فكُّ رقبةٍ . أو إطعامٌ» . المعنى : ٱقتحام العقبة فك رقبة أو إطعام . ومن قرأ بالنصب فهو محمول على المعنى ؛ أى ولا فكّ رقبةً ولا أطعمَ فى يوم ذا مسغبة ؛ فكيف يجاوز العقبة . وقرأ الحسن وأبو رجاء : « ذا مسغبة » بالنصب على أنه مفعول « إطعام » أى يطعمون ذا مسغبة و « يتيما » بدل منه . الباقون « ذِى مسغبة » فهو صفة لـ « يوم » . ويجوز أن يكون قراءة النصب صفة لموضع الجار والمجرور ؛ لأن قوله : « فى يوم » ظرف منصوب الموضع ، فيكون وصفا له على المعنى دون اللفظ .

(١) راجع جـ ٢ ص ١٤ طبعة ثانية .

قوله تعالى : ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ (٢٠)

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يعنى أنه لا يقتحم العقبة من فكّ رقبةً أو أطعم فى يوم ذا مسغبة حتى يكون من الذين آمنوا؛ أى صدقوا، فإن شرط قبول الطاعات الإيمانُ بالله. فالإيمان بالله بعد الإنفاق لا ينفع، بل يجب أن تكون الطاعة مصحوبة بالإيمان، قال الله تعالى فى المنافقين: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ»[1] . وقالت عائشة: يا رسول الله، إن ابن جُدْعان كان فى الجاهلية يَصل الرَّحم ويُطعم الطعام، ويَفُكّ العانى ويعتق الرقاب، ويحمل على إبله لله؛ فهل ينفعه ذلك شيئا؟ قال: "لا، إنه لم يقل يوما ربّ اغفر لى خطيئتى يوم الدِّين" . وقيل: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى فعل هذه الأشياء وهو مؤمن، ثم بقى على إيمانه حتى الوفاة؛ نظيره قوله تعالى: "وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»[2] . وقيل: المعنى ثم كان من الذين يؤمنون بأن هذا نافع لهم عند الله تعالى . وقيل: أتى بهذه القرب لوجه الله، ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد قال حَكيم بن حِزام بعد ما أسلم : يا رسول الله، إنا كنا نَتَحنّث[3] بأعمال فى الجاهلية، فهل لنا منها شىء؟ فقال عليه السلام: "أسلمتَ على ما أَسْلَفْتَ من الخير" . وقيل: إن « ثُمَّ » بمعنى الواو؛ أى وكان هذا المعتق الرقبة والمطعم فى المسغبة من الذين آمنوا . ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ أى أوصى بعضهم بعضا . ﴿ بِالصَّبْرِ ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب . ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ أى بالرحمة على الخلق؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك رَحِموا اليتيم والمسكين . ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم؛ قاله محمد بن كعب القرظىّ وغيره . وقال يحيى بن سلام : لأنهم ميامين على أنفسهم . ابن زيد : لأنهم أُخذوا من شِقّ آدم الأيمن . وقيل: لأن منزلتهم عن اليمين؛ قاله ميمون بن مِهْران . ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

(١) آية ٥٤ سورة التوبة . (٢) آية ٨٢ سورة طه . (٣) أى نتقرب بها الى الله .

بِآيَاتِنَا) أى القرآن . (هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) أى يأخذون كتبهم بشمائلهم ؛ قاله محمد بن كعب . يحيى بن سلام : لأنهم مشائيم على أنفسهم . آبن زيد : لأنهم أخذوا من شِقّ آدم الأيسر . ميمون : لأن منزلتهم عن اليسار .

قلت : ويجمع هذه الأقوال أن يقال : إن أصحاب الميمنة أصحاب الجنة ، وأصحاب المشأمة أصحاب النار ؛ قال الله تعالى : «وأَصْحَابُ اليَمِين ما أصْحابُ اليَمِينِ . فِي سِدْرٍ مَخْضُود»[(1)] ، وقال : « وأَصْحَابُ الشِّمالِ ما أَصْحابُ الشِّمالِ . فِي سَمومٍ وحَمِيمٍ » . وما كان مثله . ومعنى (مُؤْصَدَةٌ) أى مطبقة مغلقة . قال :

تَحِنّ إلى أَجْبالِ مكّةَ ناقتِي * ومِنْ دونها أبوابُ صَنْعاءَ مُؤْصَدَهْ

وقيل : مبهمة لا يدرى ما داخلها . وأهل اللغة يقولون : أوْصدتُ الباب وآصدته ؛ أى أغلقته . فمن قال أوصدت فالاسم الوِصاد . ومن قال آصدته فالاسم الإصاد . وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة ويعقوب والشَّيْزَرِى عن الكسائى « مؤصدة » بالهمز هنا وفى « الهُمَزَة » . الباقون بلا همز . وهما لغتان . وعن أبى بكر بن عيّاش قال : لنا إمام يهمز « مؤصدة » فأشتهى أن أسُدّ أذنى إذا سمعته .

سورة « الشمس »

مكية بآتفاق ، وهى خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١)

قال مجاهد : (وَضُحَاهَا) أى ضوءها وإشراقها . وهو قَسَمٌ ثانٍ . وأضاف الضحى إلى الشمس لأنه إنما يكون بآرتفاع الشمس . وقال قتادة : بهاؤها . السُّدّى : حرّها . وروى الضحاك عن آبن عباس : «وضحاها» قال : جعل فيها الضوء وجعلها حارة . وقال اليزيدى : هو آنبساطها . وقيل : ما ظهر بها من كل مخلوق ؛ فيكون القَسَم بها وبمخلوقات الأرض

(١) آية ٢٨ و ٤٢ سورة الواقعة .

كلها ، حكاه الماوردي . والضُّحى مؤنثة . يقال : آرتفعت الضحى ،[وهي] فوق الضَّحو[1] .
وقد تُذكَّر . فمن أنَّث ذهب إلى أنها جمع ضَحْوة . ومن ذكَّر ذهب إلى أنه آسم على فُعَل ؛
نحو صُرَد ونُغَر[2] . وهو ظَرْف غير متمكِّن مثل سَحَر . تقول : لقيتُه ضُحًى وضُحًى ؛ إذا أردت به
ضُحَا يومك لم تنونه . وقال الفرّاء : الضحى هو النهار ، كقول قتادة . والمعروف عند العرب
أن الضحى إذا طلعت الشمس وبُعَيْد ذلك قليلا ؛ فإذا زاد فهو الضَّحاء بالمد . ومن قال :
الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس . ومن قال : إنه نور الشمس أو حرّها فنُور
الشمس لا يكون إلا مع حرّ الشمس . وقد آستدل من قال : إن الضحى حَرُّ الشمس بقوله
تعالى : «وَلَا تَضْحَى» أي لا يؤذيك الحَرّ . وقال المبرّد : أصل الضحى من الضِّحّ وهو نور
الشمس ، والألف مقلوبة من الحاء الثانية . تقول : ضَحْوة وضَحَوات وضَحْوات وضُحًى ؛
فالواو من ضَحْوة مقلوبةٌ عن الحاء الثانية ، والألف في ضُحًى مقلوبة عن الواو . وقال أبو الهيثم :
الضِّحّ نقيض الظِّل وهو نور الشمس على وجه الأرض ، وأصله الضِّحْيُ فآستثقلوا الياء مع
سكون الحاء فقلبوها ألفا .

قوله تعالى : وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَـٰهَا ﴿٢﴾

أي تبعها ، وذلك إذا سقطت رِيء الهلال . يقال : تلوت فلانا إذا تبعته . قال قتادة :
إنما ذلك ليلة الهلال ؛ إذا سقطت الشمس رِيء الهلال . وقال آبن زيد : إذا غربت الشمس
في النصف الأول من الشهر تلاها القمر بالطلوع ، وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب . الفراء :
« تلاها » أخذ منها ؛ يذهب إلى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس . وقال قوم : « والقمرِ
إذا تلاها » حين آستوى وآستدار فكان مثلَها في الضياء والنور ؛ وقاله الزجاج .

---

(١) كذا في حاشية الجمل نقلا عن القرطبي . وفي نسخ الأصل وتفسير ابن عادل : « فوق الصخور » .
(٢) الصرد : طائر فوق العصفور . والنغر : فراخ العصافير .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ ﴾

أي كشفها . فقال قوم : جَلّى الظُّلْمة ، وإن لم يجر لها ذكر ؛ كما تقول : أضحت باردة ، تريد أضحت غداتنا باردة . وهذا قول الفراء والكلبيّ وغيرهما . وقال قوم : الضمير في «جَلّاها» للشمس ؛ والمعنى : أنه يبيّن بضوئه جِرْمها . ومنه قول قيس بن الخَطيم :

تجلّت لنا كالشّمْسِ تحت غَمامَة * بدا حاجبٌ منها وضَنّت بحاجب

وقيل : جَلّى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلاً وانتشاره نهارا . وقيل : جَلّى الدنيا . وقيل : جَلّى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر ؛ ومثله قوله تعالى : « حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »(1) على ما تقدّم آنفا .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾

أي يغشى الشمسَ فيذهب بضوئها عند سقوطها ؛ قاله مجاهد وغيره . وقيل : يغشى الدنيا بالظُّلَم فتُظلم الآفاق . فالكناية ترجع إلى غير مذكور .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾

أي وبنيانها . فما مصدرية ؛ كما قال : « بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي »(2) أي بغفران ربّي ؛ قاله قتادة ، واختاره المبرد . وقيل : المعنى ومن بناها ؛ قاله الحسن ومجاهد ؛ وهو اختيار الطبريّ . أي ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالى . وحُكِيَ عن أهل الحجاز : سبحان ما سبَّحت له ؛ أي سبحان من سبحت له .

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ ﴾

أي وطَحْوها . وقيل : ومن طحاها ؛ على ما ذكرناه آنفا . أي بسطها ؛ كذا قال عامة المفسرين ؛ مثل دحاها . قال الحسن ومجاهد وغيرهما : طحاها ودحاها واحد ؛ أي بسطها

(1) آية ٣٢ سورة ص . (2) آية ٢٧ سورة يس .

من كل جانب . والطَّحْو : البسط ؛ طحا يطحو طحوًا ، وطَحَى يَطْحَى طحيا ، وطَحيت اضطجعت ؛ عن أبى عمرو . وعن ابن عباس : طحاها قسمها . وقيل : خلقها ؛ قال الشاعر :

وما تدرى جَذِيمةُ مَنْ طَحاها * ولا مَنْ ساكِنُ العرشِ الرفيعِ

الماوردى : ويحتمل أنه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز ؛ لأنه حياة لما خلق عليها . ويقال فى بعض أيمان العرب : لا ، والقمر الطَّاحى ؛ أى المشرف المشرق المرتفع . قال أبو عمرو : طحا الرجل إذا ذهب فى الأرض . يقال : ما أدرى أين طَحا ! ويقال : طحا به قلبه إذا ذهب به فى كل شىء . قال علقمة :

طَحا بك قلبٌ فى الحِسانِ طَروبُ * بُعيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

قوله تعالى : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾

قيل : المعنى وتسويتها . فـ«ما» بمعنى المصدر . وقيل : المعنى ومن سوّاها ، وهو الله عز وجل . وفى النفس قولان : أحدهما آدم . الثانى — كل نفس منفوسة . وسوّى بمعنى هيأ . وقال مجاهد : سوّاها سوّى خلقها وعدّل . وهذه الأسماء كلها مجرورة على القَسَم . أقسم جل ثناؤه بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه .

قوله تعالى : فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

قوله تعالى : (فَأَلْهَمَهَا) أى عرّفها ؛ كذا روى بن أبى نجيح عن مجاهد . أى عرفها طريق الفجور والتقوى ؛ وقاله ابن عباس . وعن مجاهد أيضا : عرّفها الطاعة والمعصية . وعن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به ، وإذا أراد به السُّوء ألهمه الشّر فعمل به . وقال الفراء : «فَأَلْهَمَهَا» قال : عرّفها طريق الخير وطريق الشر ؛ كما قال : « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ »[1] . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : ألْهَمَ المؤمن المتّقِى تقواه ، وألهم الفاجر فجوره . وعن سعيد عن قتادة قال : بيّن لها فجورها وتقواها . والمعنى

(١) آية ١٠ سورة البلد .

متقارب . وروى عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «فألهمها فجورها وتقواها» قال : "اللهمّ آت نفسي تقواها وزكّها أنت خيرُ من زكّاها أنت وليُّها ومولاها". ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية « فألهمها فجورها وتقواها » رفع صوته بها وقال : "اللهمّ آت نفسي تقواها أنت وليُّها ومولاها وأنت خير من زكّاها" . وفي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدُّؤليّ قال قال لي عمران ابن حُصين : أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قُضي ومضى عليهم من قدرٍ ما سبق ، أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيّهم ، وثبتت الحجّة عليهم؟ فقلت : بل شيء قُضي عليهم ومضى عليهم . قال فقال : أفلا يكون ظلماً؟ قال : ففزعتُ من ذلك فزعاً شديداً وقلت : كلُّ شيء خلقُ الله وملكُ يده ، فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسئلون . فقال لي : يرحمك الله ! إني لم أُرِد بما سألتك إلّا لأحْزِر[1] عقلك إنّ رجلين من مُزَينة أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله ، أرأيتَ ما يعمل الناسُ اليومَ ويكدحون فيه ، أشيء قُضيَ عليهم ومضى فيهم من قَدَرٍ قد سبق ، أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيّهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال : "لا بل شيء قُضيَ عليهم ومضى فيهم وتصديقُ ذلك في كتاب الله عز وجل «ونفسٍ وما سوّاها . فألهمها فجورها وتقواها» " . والفجور والتقوى مصدران في موضع المفعول به .

قوله تعالى : قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)

قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكّاها ﴾ هذا جواب القَسَم بمعنى لقد أفلح . قال الزجاج : اللام حُذفت لأن الكلام طال فصار طوله عوضاً منها . وقيل : الجواب محذوف ؛ أي والشمس وكذا وكذا لتُبعثُنّ . الزمخشري : تقديره ليُدَمدِمنّ الله عليهم ؛ أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود ؛ لأنهم كذبوا صالحا . وأما «قد أفلح من زكّاها» فكلام تابع لأوّله ؛ لقوله : «فألهمها فجورها وتقواها» على سبيل الاستطراد وليس من جواب القَسَم

---

(١) أي لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك .

فى شىء . وقيل : هو على التقديم والتأخير بغير حذف؛ والمعنى : قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها والشمس وضحاها . ﴿ أَفْلَحَ ﴾ فاز . ﴿ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ أى من زكّى الله نفسه بالطاعة . ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ أى خسرت نفسٌ دسّها الله عزّ وجلّ بالمعصية . وقال ابن عباس : خابت نفسٌ أضلها الله وأغواها . وقيل : أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال، وخاب من دسّ نفسه فى المعاصى؛ قاله قتادة وغيره . وأصل الزكاة النمو والزيادة . ومنه زكا الزرع إذا كثر رَيْعُه . ومنه تزكية القاضى للشاهد؛ لأنه يرفعه بالتعديل وذكر الجميل . وقد تقدم هذا المعنى فى أوّل سورة «البقرة» مستوفًى[1] . فمصطنع المعروف والمبادر إلى أعمال البرّ شهر نفسه ورفعها . وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَا وارتفاع الأرض ليشتهر مكانها للمُعْتفين[2]، وتوقد النار فى الليل للطارقين . وكانت اللئام تنزل الأولاج[3] والأطراف والأهضام ليخفى مكانها عن الطالبين . فأولئك علَّوا أنفسهم وزكّوها، وهؤلاء أخفوا أنفسهم ودسّوها . وكذا الفاجر أبدا خفيّ المكان، زَمِن[4] المروءة، غامض الشخص، ناكس الرأس بركوب المعاصى . وقيل : دسّاها أغواها . قال :

وأنت الذى دسّيت عمرًا فأصبحت * حلائلُه منه أراملَ ضُيَّعا[5]

قال أهل اللغة : والأصل دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشىء فى الشىء، فأبدلت سينه ياء؛ كما يقال : قصّيت أظفارى؛ وأصله قصّصت أظفارى . ومثله قولهم فى تقصص : تقصّى . وقال ابن الأعرابى : «وقد خاب من دسّاها» أى دسّ نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم .

قوله تعالى : كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

---

(١) راجع جـ ١ ص ٣٤٣ طبعة ثانية أو ثالثة . (٢) المعتفى : كل طالب فضل أو رزق .
(٣) الأولاج : ما كان من كهف أو غار يلجأ إليه . والأهضام : أسافل الأودية . (٤) الزمن : القليل .
(٥) الذى فى اللسان (مادة دسا) :

وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت * نساؤهم فيهم أرامل ضيع

وقال : دسيت أغويت وأفسدت . وعمرو : قبيلة .

قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ أى بطغيانها، وهو خروجها عن الحدّ فى العصيان؛ قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . وعن ابن عباس « بِطغواها » أى بعذابها الذى وُعدت به . قال: وكان اسم العذاب الذى جاءها الطَّغْوَى؛ لأنه طغى عليهم . وقال محمد بن كعب : «بِطغواها» بأجمعها . وقيل : هو مصدر، وخرج على هذا المخرج لأنه أشكلُ برءوس الآى . وقيل : الأصل بطَغْيَاها، إلا أن « فَعْلَى » إذا كانت من ذوات الياء أبدلت فى الاسم واوا ليُفْصَل بين الاسم والوصف . وقراءة العامة بفتح الطاء . وقرأ الحسن والجَحْدَرى وحمّاد بن سلمة (بضم الطاء) على أنه مصدر، كالرُّجْعَى والحُسْنَى وشبههما فى المصادر . وقيل : هما لغتان .

﴿إِذِ انْبَعَثَ ﴾ أى نهض . ﴿ أَشْقَاهَا ﴾ لعقْر الناقة . واسمه قُدار بن سالف . وقد مضى فى « الأعراف »[(١)] بيان هذا ، وهل كان واحدا أو جماعة . وفى البُخارىّ عن عبد الله ابن زَمْعَة أنه سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يخطب ، وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عَزيز عارم[(٢)] مَنيع فى رهطه مثل أبى زمعة " وذكر الحديث . خرجه مسلم أيضا . وروى الضحاك عن علىّ أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال له : " أتدرى من أشقى الأولين " قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " عاقر الناقة — قال — أتدرى من أشقى الآخرين " قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " قاتلك " .

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعنى صالحا . ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ « ناقة » منصوب على التحذير؛ كقولك : الأسدَ الأسدَ، والصبىَّ الصبىَّ، والحذارَ الحذارَ . أى احذروا ناقة الله ؛ أى عَقْرَها . وقيل : ذروا ناقة الله؛ كما قال : « هذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[(٣)] . ﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ أى ذَرُوها وشِرْبَها . وقد مضى فى سورة « الشعراء »[(٤)] بيانه والحمد لله . وأيضا فى سورة «اقتربت الساعة»[(٥)] . فإنهم لما اقترحوا الناقة وأخرجها لهم من الصخرة ، جعل لهم شِرْبَ يوم من بئرهم ولها شِرْب يوم مكان ذلك ، فشقّ ذلك عليهم .

---

(١) راجع جـ ٧ ص ٢٤١ (٢) العارم : الجبار المفسد الخبيث . (٣) آية ٧٣ سورة الأعراف .
(٤) راجع جـ ١٣ ص ١٣١ (٥) راجع جـ ١٧ ص ١٤١

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أى كذبوا صالحا عليه السلام فى قوله لهم : "إنكم تعذبون إن عقرتموها" .
﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أى عقرها الأشقى . وأضيف إلى الكل لأنهم رضوا بفعله . وقال قتادة : ذُكر لنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم . وقال الفرّاء : عقرها اثنان . والعرب تقول : هذان أفضل الناس ، وهذان خير الناس ، وهذه المرأة أشقى القوم ؛ فلهذا لم يقل : أشقياها .

قوله تعالى : ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾ أى أهلكهم وأطبق عليهم العذاب بذنبهم الذى هو الكفر والتكذيب والعقر . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : دمدم عليهم قال : دمّر عليهم ربهم بذنبهم ؛ أى بجُرْمهم . وقال الفرّاء : دمدم أى أرجف . وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده . ويقال : دَمَمْتُ على الشىء أى أطبقت عليه ، ودَمّ عليه القبر أى أطبقه . وناقة مدمومة ألبسها الشحم . فإذا كررت الإطباق قلت : دَمْدَمْت . والدَّمْدَمة إهلاك باستئصال ؛ قاله المُؤَرِّج . وفى الصِّحاح : ودَمْدَمْتُ الشىء إذا ألزقته بالأرض وطَحْطَحْته . ودَمْدَم الله عليهم أى أهلكهم . القُشَيْرِىّ : وقيل دَمْدَمت على الميّت التراب أى سوّيت عليه . فقوله «فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ» أى أهلكهم بجعلهم تحت التراب . ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أى سوّى عليهم الأرض . وعلى الأول «فسوّاها» أى فسوّى الدَّمْدَمة والإهلاك عليهم . وذلك أن الصيحة أهلكتهم فأتت على صغيرهم وكبيرهم . وقال ابن الأنبارىّ : دَمْدَم أى غضب . والدَّمْدَمَةُ : الكلامُ الذى يُزْعِج الرجل . وقال بعض اللغويين : الدَّمْدَمة الإدامة ؛ تقول العرب : ناقة مدمومة أى سمينة . وقيل : « فسوّاها » أى فسوّى الأمة فى إنزال العذاب بهم ، صغيرهم وكبيرهم ، وضيعهم وشريفهم ، ذكرهم وأنثاهم . وقرأ ابن الزبير « فَدَهْدَم » وهما لغتان ؛ كما يقال : امتقع لونُه واْنتقع .

قوله تعالى : وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

أى فعل الله ذلك بهم غير خائف أن تلحقه تبعة الدَّمْدَمة من أحد ؛ قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد . والهاء فى « عُقْبَاهَا » ترجع إلى الفعلة ؛ كقوله : "من اغتسل يوم

الجعة فيها ونعمت" أى بالفعلة والخصلة . قال السُّدِّيّ والضحاك والكلبيّ : ترجع إلى العاقر؛ أى لم يخف الذى عقرها عقبى ما صنع . وقاله ابن عباس أيضا . وفى الكلام تقديم وتأخير، مجازه : إذ انبعث أشقاها ولا يخاف عُقباها . وقيل : لا يخاف رسول الله صالحٌ عاقبةَ إهلاك قومه، ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم؛ لأنه قد أنذرهم ونجّاه الله تعالى حين أهلكهم . وقرأ نافع وابن عامر « فلا » بالفاء وهو الأجود ؛ لأنه يرجع إلى المعنى الأول ؛ أى فلا يخاف اللهُ عاقبةَ إهلاكهم . والباقون بالواو ، وهى أشبه بالمعنى الثانى ؛ أى ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع . وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالا : أخرج إلينا مالك مصحفا لجدّه، وزعم أنه كتبه فى أيام عثمان بن عفان حين كتب المصاحف ، وفيه : « ولا يخاف » بالواو . وكذا هى فى مصاحف أهل مكة والعراقيين بالواو، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اتباعا لمصحفهم .

ســورة « والليــل »

مَكِّيّة . وقيل : مَدَنيّة . وهى إحدى وعشرون آية بإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ أى يُغطّى . ولم يذكر معه مفعولا للعلم به . وقيل : يغشى النهار . وقيل : الأرض . وقيل : الخلائق . وقيل : يغشى كلَّ شىء بظلمته . وروى سعيد عن قتادة قال : أول ما خلق الله النورَ والظلمة ، ثم ميّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلًا أسْودَ مُظلمًا ، والنور نهارًا مُضيئًا مُبصرًا . ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ أى إذا انكشف ووَضَح وظهر، وبان بضوئه عن ظُلمة الليل . ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ﴾ قال الحسن : معناه والذى خلق

الذكر والأنثى ؛ فيكون قد أقسم بنفسه عزّ وجل . وقيل : معناه وخلق الذكر والأنثى ؛ فـ«ما» مصدرية على ما تقدم . وأهل مكة يقولون للرعد : سبحان ما سبّحت له ؛ فما على هذا بمعنى من ، وهو قول أبي عبيدة وغيره . وقد تقدّم . وقيل : المعنى وما خلق من الذكر والأنثى ، فتكون « من » مضمرة ، ويكون القَسَم منه بأهل طاعته من أنبيائه وأوليائه ، ويكون قَسَمُه بهم تكرِمَةً لهم وتشريفًا . وقال أبو عبيدة : « وما خلق » أي ومَن خلق . وكذا قوله : « والسَّماءِ ومَا بناها » ، و « نَفْسٍ وما سَوّاها » « ما » في هذه المواضع بمعنى مَن . ورُوِيَ عن ابن مسعود أنه كان يقرأ «والنّهارِ إذا تجلَّى. والذَّكرِ والأُنْثَى» ويُسْقِط «وما خلق» . وفي صحيح مسلم عن عَلْقمة قال : قَدِمْنا الشام فأتانا أبو الدَّرْدَاء فقال : فيكم أحد يقرأ عليّ قراءة عبد الله ؟ فقلت : نعم ، أنا . قال : فكيف سمعتَ عبدَ الله يقرأ هذه الآية « والليل إذا يَغْشَى » ؟ قال : سمعته يقرأ « والليلِ إذا يَغْشَى . والذَّكرِ والأنثى » قال : وأنا والله هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ، ولكن هؤلاء يريدون أن أقرأ «وَمَاخَلَقَ» فلا أتابعهم[1] . قال أبو بكر الأنباريّ : وحدّثنا محمد بن يحيى المَرْوَزيّ قال حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبيري قال حدّثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : أقرأني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « إنّي أنا الرازق ذو القُوّةِ المتين » ؛ قال أبو بكر : كلّ من هذين الحديثين مردود ؛ بخلاف الإجماع له ، وأن حمزة وعاصمًا يَرْويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين ، والبناء على سَنَدَيْن يوافقان الإجماع أَوْلى من الأخذ بواحد يخالفه الإجماع والأمة ، وما يُبْنَى على رواية واحد إذا حاذاه رواية جماعة تخالفه ، أُخِذ برواية الجماعة وأُبطل نقل الواحد ؛ لما يجوز عليه من النسيان والإغفال . ولو صح الحديث عن أبي الدّرداء وكان إسناده مقبولا معروفا ، ثم كان أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ

---

(١) وفي كتاب الأحكام لابن العربي ما نصه : « هذا مما لا يلتفت إليه بشر ، إنما المعول عليه ما في المصحف فلا تجوز مخالفته لأحد ، ثم بعد ذلك يقع النظر فيما يوافق خطه مما لم يثبت ضبطه حسب ما بيناه في موضعه ؛ فإن القرآن لا يثبت بنقل الواحد وإن كان عدلا ، وإنما يثبت بالتواتر الذي يقع به العلم ، وينقطع معه العذر وتقوم به الحجة على الخلق » .

وسائر الصحابة رضى الله عنهم يخالفونه، لكان الحكم العملَ بما روته الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد، الذى يسرع إليه من النسيان ما لا يسرع إلى الجماعة وجميع أهل الملّة .
وفى المراد بالذكر والأنثى قولان : أحدهما — آدم وحواء؛ قاله ابن عباس والحسن والكلبي. الثانى — يعنى جميع الذكور والإناث من بنى آدم والبهائم ؛ لأن الله تعالى خلق جميعهم من ذكر وأنثى من نوعهم . وقيل : كل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته . ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ هذا جواب القَسَم . والمعنى : إن عملكم لمختلف . وقال عكرمة وسائر المفسرين : السعى العمل ؛ فساعٍ فى فكاك نفسه، وساعٍ فى عَطَبها ؛ يدلّ عليه قوله عليه السلام : " الناس غاديان فمبتاعٌ نفسه فمُعتِقها وبائع نفسه فمُوبِقها (١) " . وشتّى : واحده شَتيت؛ مثل مَريض ومَرْضَى . وإنما قيل للمختلف شتّى لتباعد ما بين بعضه وبعضه . أى إنّ عملكم لمتباعد بعضه من بعض ؛ لأن بعضه ضلالةٌ وبعضه هُدًى . أى فمنكم مؤمن وبَرّ، وكافر وفاجر، ومطيعٌ وعاصٍ. وقيل: « لشتّى » أى لمختلف الجزاء؛ فمنكم مُثابٌ بالجنة ومعاقَبٌ بالنار . وقيل : أى لمختلف الأخلاق؛ فمنكم راحمٌ وقاسٍ، وحليمٌ وطائش، وجوادٌ وبخيل ؛ وشبه ذلك .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ قال ابن مسعود : يعنى أبا بكر رضى الله عنه ؛ وقاله عامة المفسرين . فرُوى عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يَعْتِق على الإسلام بمكة عجائز ونساء، قال فقال له أبوه أبو قُحَافة : أى بُنَيّ! لو أنك

(١) هذه رواية الحديث كما فى الثعلبى . والذى فى نسخ الأصل : «الناس غاديان فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» .

عتقت رجالا جَلْدًا يمنعونك ويقومون معك ؟ فقال : يا أبتِ إنما أريد ما أريد[1] . وعن ابن عباس فى قوله تعالى : «فأمّا مَنْ أَعْطَى» أى بَذَل . «وَاتَّقَى» أى محارم الله التى نهى عنها . ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ أى بالخَلَف من الله تعالى على عطائه . ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من يوم يُصْبِح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ويقول الآخر اللّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" . وروى من حديث أبى الدَّرْداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما من يوم غَرَبت شمْسُه إلا بُعث بجنبتها ملَكان يُنادِيان يسمعهما خلق الله كلّهم إلا الثَّقَلَيْن اللّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقا خَلَفًا وأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" فأنزل الله تعالى فى ذلك فى القرآن « فأمّا مَنْ أَعْطَى » الآيات . وقال أهل التفسير : « فأمّا مَنْ أعطى » المعْسِرين . وقال قتادة : أعطى حَقّ الله تعالى الذى عليه . وقال الحسن : أعطى الصدق من قلبه . ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ أى بلا إله إلا الله ؛ قاله الضحاك والسُّلَمِىّ وابن عباس أيضا . وقال مجاهد : بالجنة ؛ دليله قوله تعالى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ[2] » الآية . وقال قتادة : بموعود الله الذى وَعَده أن يثيبه . زيد بن أسلم : بالصلاة والزكاة والصوم . الحسن : بالخَلَف من عطائه ؛ وهو اختيار الطبرىّ . وتقدم عن ابن عباس ، وكلّه متقارب المعنى ؛ إذ كله يرجع إلى الثواب الذى هو الجنة .

الثانيــة — قوله تعالى : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ أى نرشده لأسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها . وقال زيد بن أسلم : «لليسرى» للجنة . وفى الصحيحين والترمذى عن علىّ رضى الله عنه قال : كنّا فى جنازة بالبَقِيع ، فأتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه ، ومعه عُود يَنْكُتُ به فى الأرض ، فرفع رأسه إلى السماء فقال : "ما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلّا [قد] كُتِب مَدْخَلُها" فقال القوم : يارسول الله ، أفلا نَتّكِل على كتابنا ؟ فمن كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء . قال : "بل

---

(١) كذا فى كتاب أسباب النزول وروح المعانى . وفى نسخ الأصل : « ما يريد » . وفى تفسير الثعلبى ورواية أخرى فى أسباب النزول : « لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك ؟ قال : منع ظهرى أريد » .

(٢) آية ٢٦ سورة يونس .

ٱعمـلوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ أما من كان من أهل السعادة فإنه يُيسَّر لعمـل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يُيسَّرُ لعمل الشقاء ــ ثم قرأ ــ «فأمَّا مَنْ أَعْطَى وَٱتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» " لفظ الترمذي . وقال فيه : حديث حسن صحيح . وسأل غلامان شابّان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالا : العمل فيما جَفّت به الأقلام وجَرَت به المقادير ؟ أم في شيء يستأنف ؟ فقال عليه السلام : " بل فيما جفّت به الأقلام وجَرَت به المقادير" قالا : ففيم العمل؟ قال : "ٱعملوا فكلٌّ مُيسَّر لعمله الذي خُلِق له" قالا : فالآن نَجِدُّ ونعمل .

الثالثــة ــ قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَى ﴾ أي ضَنّ بما عنده فلم يبْذُل خيراً . وقد تقدّم بيانه وثمرته في الدنيا في سورة «آل عمران»[1] . وفي الآخرة مآله النار كما في هذه الآية . روى الضحاك عن ٱبن عباس ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ قال: سوف أحول بينه وبين الإيمان بالله وبرسوله . وعنه عن ٱبن عباس قال: نزلت في أمية بن خَلَف . وروى عكرمة عن ٱبن عباس : « وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَى » يقـول : بَخِل بماله واستغنى عن ربّه . ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ أي بالخَلَف . وروى ٱبن أبي نَجِيح عن مجاهد : « وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى » قال : بالجنة . وبإسناد عنه آخر قال «بالحسنى» أي بلا إله إلا الله . ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ ﴾ أي نُسهّل طريقه . ﴿ لِلْعُسْرَى ﴾ أي للشر . وعن ٱبن مسعود : للنّار . وقيل : أي فسنعسّر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها . وقـد تقدّم أن المَلَك ينادي صباحًا ومساءً : " اللّهمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا " . رواه أبو الدَّرْدَاء .

مسألة : قال العلماء : ثبت بهذه الآية وبقوله : « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ »[2] ، وقوله : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً »[3] إلى غير ذلك من الآيات ــ أن الجُود من مكارم الأخلاق والبُخْلَ من أرذلهـا . وليس الجَواد الذي يُعطي في غير موضع العطاء ، ولا البخيلُ الذي يمنع في موضع المنع ، لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء ، والبخيل

(١) راجع جـ ٤ ص ٢٩١ . (٢) آية ٣ سورة البقرة . (٣) آية ٢٧٤ سورة البقرة .

الذى يمنع فى موضع العطاء ، فكلّ مَن ٱستفاد بما يُعْطِى أجرًا وحمدًا فهو الجواد . وكلّ من ٱستحق بالمنع ذمًّا أو عقابا فهو البخيل . ومَن لم يستفد بالعطاء أجرًا ولا حمْدًا وإنما استوجب به ذمًّا فليس بجواد ، وإنما هو مُسْرِفٌ مذموم ، وهو من المبذّرين الذين جعلهم الله إخوانَ الشياطين ، وأوجب الحَجْر عليهم . ومَن لم يستوجب بالمنع عقابًا ولا ذمًّا ، وٱستوجب به حمْدًا فهو من أهل الرَّشَد ، الذين يستحقون القيام على أموال غيرهم بحسن تدبيرهم وسداد رأيهم .

الرابعة — قال الفراء : يقول القائل كيف قال «فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» وهل فى العُسْرى تيسير ؟ فيقال فى الجواب : هذا فى إجازته بمنزلة قوله عز وجل : « فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ »(1) والبِشارة فى الأصل على المفرح والسار ، فإذا جمع فى كلامين هذا خير وهذا شر ، جاءت البشارة فيهما . وكذلك التيسير فى الأصل على المفرح ، فإذا جمع فى كلامين هذا خير وهذا شر جاء التيسير فيهما جميعا . قال الفراء : وقوله تعالى «فَسَنُيَسِّرُهُ» سنهيئه . والعرب تقول : قد يَسَّرت الغنمُ إذا ولدت أو تهيأت للولادة . قال :

هما سَيِّدانا يَزْعُمان وإنما * يَسُودَاننا أن يَسَّرَتْ غَنَماهما(2)

قوله تعالى : وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ أى مات . يقال : رَدِىَ الرجلُ يَرْدَى رَدًى إذا هَلَك . قال : * صرفتُ الهوى عنهنّ من خَشْيَة الرَّدى *

وقال أبو صالح وزيد بن أسلم : «إذا تَرَدَّى» أى سقط فى جهنم ؛ ومنه المتردّية . ويقال : رَدَى فى البئر وتَرَدَّى إذا سقط فى بئر أو تهوّر من جبل . يقال : ما أدرى أين رَدَى ! أى أين ذهب . و « ما » يحتمل أن تكون جَحْدًا ، أى ولا يغنى عنه ماله شيئا . ويحتمل أن تكون استفهاماً

(1) آية ٢١ سورة آل عمران . (2) البيت لأبى أسيدة الدبيرى ، وقبله :

إن لنا شيخين لا ينفعاننا * غنيين لا يجدى علينا غناهما

معناه التوبيخ؛ أى أىّ شيء يغنى عنه إذا هلك ووقع فى جهنم ! ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾ أى إن علينا أن نبيّن طريق الهُدَى من طريق الضلالة . فالْهُدَى بمعنى بيان الأحكام؛ قاله الزجاج. أى على الله البيان، بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته؛ قاله قتادة . وقال الفرّاء : من سلك الهُدَى فعلى الله سبيله؛ لقوله : « وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ »[1] يقول : من أراد الله فهو على السبيل القاصد . وقيل : معناه إن علينا لَلْهُدَى والإضلال؛ فترك الإضلال؛ كقوله : « بِيَدِكَ الْخَيْرُ »[2] و« بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ »[3] . وكما قال : « سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ »[4] وهى تقى البرد؛ عن الفرّاء أيضا . وقيل : أى إن علينا ثواب هداه الذى هديناه . ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ « لَلْآخِرَةَ » الجنة . «والأولى» الدنيا . وكذا روى عطاء عن ابن عباس . أى الدنيا والآخرة لله تعالى . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : ثواب الدنيا والآخرة، وهو كقوله تعالى : «مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[5] فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق .

قوله تعالى : فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾

قوله تعالى : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ ﴾ أى حذّرتكم وخوّفتكم . ﴿ نَارًا تَلَظَّى ﴾ أى تلهّب وتتوقّد. وأصله تتلظى . وهى قراءة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر وطلحة بن مُصَرِّف . ﴿ لَا يَصْلَاهَا ﴾ أى لا يجد صلاها وهو حرّها . ﴿ إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ أى الشقى . ﴿ الَّذِي كَذَّبَ ﴾ نبيّ الله محمدا صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أى أعرض عن الإيمان . وروى مَكْحُول عن أبى هريرة قال : كلٌّ يدخل الجنة إلا من أباها . قال : يا أبا هريرة ، ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ قال : الذى كذّب وتولّى . وقال مالك : صلّى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرأ « والليل

(١) آية ٩ سورة النحل . (٢) آية ٢٦ سورة آل عمران . (٣) آية ٨٣ سورة يس .
(٤) آية ٨١ سورة النحل (٥) آية ١٣٤ سورة النساء .

إذا يغشى » فلما بلغ « فَأَنذَرتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى » وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعدّاها من البكاء، فتركها وقرأ سورة أخرى . وقال الفرّاء : « إلّا الأشقى » إلا من كان شقيًّا فى علم الله جل ثناؤه . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى » أُميّة بن خلف ونظراؤه الذين كذّبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : كذّب بكتاب الله وتولّى عن طاعة الله . وقال الفرّاء : لم يكن كذّب بردّ ظاهر، ولكنه قصر عما أُمر به من الطاعة، فجعل تكذيباً، كما تقول : لَقِيَ فلان العدوّ فكذَّب إذا نكل ورجع عن اتباعه . قال وسمعت أبا ثَرْوان يقول: إن بنى نُمَيْر ليس لجدّهم[1] مكذوبة . يقول : إذا لقوا صدقوا القتال ولم يرجعوا. وكذلك قوله جل ثناؤه : « لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ »[2] يقول : هى حق . وسمعت سلم بن الحسن يقول : سمعت أبا إسحاق الزجاج يقول: هذه الآية التى من أجلها قال أهل الإرجاء[3] بالإرجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر، لقوله جلّ ثناؤه : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى . الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى » وليس الأمر كما ظنّوا . هذه نار موصوفة بعينها، لا يَصْلَى هذه النار إلا الذى كذّب وتولّى . ولأهل النار منازل، فمنها أن المنافقين فى الدَّرْك الأسفل من النار ، والله سبحانه كلُّ ما وعد عليه بجنس من العذاب فجائز أن يعذّب به . وقال جل ثناؤه : « إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »[4] فلو كان كل من لم يشرك لم يعذَّب ، لم يكن فى قوله : « وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ » فائدة، وكان « وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ » كلامًا لا معنى له . الزمخشرى : الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين، فأريد أن يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين فقيل : الأشقى ، وجُعل مختصًّا بالصَّلْى ، كأن النار لم تخلق

---

(١) كذا فى الأصول وأساس البلاغة للزمخشرى . والذى فى تفسير الفرّاء ولسان العرب — مادة كذب — : « لحدّهم » بالحاء المهملة . وحدّ الرجل : بأسه ونفاذه فى نجدته . (٢) آية ٢ سورة الواقعة .

(٣) هم المرجئة ، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصى ؛ أى أخره عنهم . وقيل : المرجئة فرقة من المسلمين يقولون الإيمان قول بلا عمل ؛ كأنهم قدموا القول وأرجئوا العمل أى أخروه ؛ لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم . (٤) آية ٤٨ سورة النساء .

إلا له . وقيل : الأتقى، وجُعل مختصًّا بالنجاة ، كأن الجنة لم تخلق إلا له . وقيل : هما أبو جهل أو أمية بن خلف . وأبو بكر رضى الله عنه .

قوله تعالى : وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴾ أى يكون بعيدا منها . ﴿ الأَتْقَى ﴾ أى المتقى الخائف . قال ابن عباس : هو أبو بكر رضى الله عنه ، يُزَحْزَح عن دخول النار . ثم وصف الأتقى فقال ﴿ الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ أى يطلب أن يكون عند الله زاكيًا، ولا يطلب بذلك رياء ولا سُمعة ، بل يتصدّق به مبتغيًا به وجه الله تعالى . وقال بعض أهل المعانى : أراد بقوله « الأَتْقَى » و« الأَشْقَى » أى التقىّ والشقىّ ؛ كقول طَرَفة :

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأَوْحَدِ

أى واحد ووحيد، وتوضع أفعل موضع فعيل، نحو قولهم: الله أكبر بمعنى كبير، « وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ »[1] بمعنى هين .

قوله تعالى : وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ أى ليس يتصدق ليجازَى على نعمة، إنما يبتغى وجه ربّه الأعلى، أى المتعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أى بالجزاء. فروى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال : عذّب المشركون بلالا ، وبلالٌ يقول أحد أحد، فمرّ به النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: " أحد — يعنى الله تعالى — ينجيك " ثم قال لأبى بكر: " يا أبا بكر إنّ بلالا يُعذَّب فى الله " فعرف أبو بكر الذى يريد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فانصرف إلى منزله ، فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أميّة بن خَلَف، فقال له : أتبيعنى بلالا ؟ قال : نعم؛ فاشتراه فأعتقه . فقال المشركون : ما أعتقه أبو بكر إلا لِيَدٍ كانت له عنده ؛ فنزلت « وما لِأَحدٍ عِندَهُ » أى عند أبى بكر « من نعمة » ، أى من يَدٍ ومِنّة « تُجْزَى » بل

(١) آية ٢٧ سورة الروم .

«ابتغاء» بما فعل « وجه ربّه الأعلى» . وقيل: اشترى أبو بكر من أمية وأبىّ بن خلف بلالًا ببردة وعشر أواق ، فأعتقه لله فنزلت : « إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى » . وقال سعيد بن المسيّب: بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر حين قال له أبو بكر: أتبيعُنيه ؟ فقال : نعم، أبيعه بِنِسْطاس، وكان نسطاس عبدًا لأبى بكر، صاحب عشرة آلاف دينار ، وغلمان وجَوارٍ ومَواشٍ، وكان مُشْركًا فحمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون له ماله ، فأبى فباعه أبو بكر به . فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ببلال هذا إلا ليَدٍ كانت لبلال عنده ، فنزلت « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِعْمَةٍ تجزى . إلا ابتغاء » أى لكن ابتغاء ، فهو استثناء منقطع ، فلذلك نصبت . كقولك : ما فى الدار أحد إلا حمارًا . ويجوز الرفع . وقرأ يحيى بن وثّاب « إلا ٱبْتِغاءُ وَجْهِ رَبّه » بالرفع، على لغة من يقول : يجوز الرفع فى المستثنى . وأنشد فى اللغتين قول بشر بن أبى حازم :

أضحت خَلاءً قِفارًا لا أنيسَ بها * إلا الجآذر والظُّلْمانُ تختلفُ (١)

وقول القائل :

وبلدة ليس بها أنيس * إلا اليعافير وإلا العيسُ (٢)

وفى التنزيل : « مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » (٣) وقد تقدم . ﴿ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ أى مرضاته وما يقرّب منه . و «الأعلى» من نعت الربّ الذى ٱستحق صفات العُلُوّ . ويجوز أن يكون « ٱبتغاء وَجْهِ رَبِّهِ » مفعولا له على المعنى ؛ لأن معنى الكلام : لا يؤتى ماله إلا ٱبتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمته . ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ أى سوف يعطيه فى الجنة ما يرضى ؛ وذلك أنه يعطيه أضعاف ما أنفق . وروى أبو حيّان التَّيْمى عن أبيه عن علىّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رَحِم الله أبا بكر زَوّجني ٱبنته وحَملنى إلى دار الهِجْرة وأعتق بلالًا من ماله" . ولما اشتراه أبو بكر قال له بلال : هل اشتريتنى لعملك أو لعمل الله؟ قال : بل لعمل الله ،

---

(١) الجآذر (جمع جؤذر) وهى ولد البقرة الوحشية . والظلمان (بالكسر والضم) (جمع الظليم) وهو الذكر من النعام . (٢) اليعافير (جمع يعفور) . وهو ولد الظبية وولد البقرة الوحشية أيضا . والعيس : إبل بيض تخالط بياضها شقرة ؛ جمع أعيس (٣) آية ٦٦ سورة النساء . راجع جـ ٥ ص ٢٧٠

قال: قدّرني وعمل الله ، فاعتقه . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا (يعني بلالا رضي الله عنه) . وقال عطاء ــ وروى عن ابن عباس ــ : إن السورة نزلت في أبي الدّحداح ؛ في النخلة التي اشتراها بحائط له ؛ فيما ذكر الثعلبي عن عطاء . وقال القُشيري عن ابن عباس : بأربعين نخلة؛ ولم يُسمّ الرجل . قال عطاء : كان لرجل من الأنصار نخلةٌ، يسقط من بلحها في دار جار له ، فيتناوله صبيانه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "تبيعها بنخلة في الجنة"؟ فأبى؛ فخرج فلقيه أبو الدّحداح فقال : هل لك أن تبيعنيها بـ « حسنى » ؟ حائط له . فقال : هي لك . فأتى أبو الدّحداح إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله، اشترها مني بنخلة في الجنة . قال : "نعم والذي نفسي بيده" فقال : هي لك يا رسول الله ؛ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جار الأنصاري فقال : "خذها" فنزلت « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى » إلى آخر السورة في بستان أبي الدّحداح وصاحب النخلة . « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى » يعني أبا الدحداح . « وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » أي بالثواب « فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى » يعني الجنة . « وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى » يعني الأنصاري . « وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى » أي بالثواب . « فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى » يعني جهنم . « وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى » أي مات . إلى قوله : « لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى » يعني بذلك الخزرجي؛ وكان منافقا فمات على نفاقه . « وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى » يعني أبا الدّحداح . « الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى » في ثمن تلك النخلة . « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى » يكافئه عليها ؛ يعني أبا الدّحداح . « وَلَسَوْفَ يَرْضَى » إذا أدخله الله الجنة . والأكثر أن السورة نزلت في أبي بكر رضي الله عنه . وروى ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم . وقد ذكرنا خبرا آخر لأبي الدّحداح في سورة « البقرة » عند قوله : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا »(١) . والله تعالى أعلم .

---

(١) راجع جـ ٣ ص ٢٣٧

سورة «الضحى»

مكية باتفاق . وهى إحدى عشرة آية .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣)

قوله تعالى . ﴿ وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ قد تقدم القول فى «الضحى»[1] ، والمراد به النهار؛ لقوله : « وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ » فقابله بالليل. وفى سورة (الأعراف) « أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ . أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ»[2] أى نهارا . وقال قتادة ومُقاتل وجعفر الصادق : أقسم بالضحى الذى كلّم الله فيه موسى وبليلة المعراج . وقيل : هى الساعة التى خرّ فيها السَّحرة سُجّدا . بيانه قوله تعالى : « وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى »[3] . وقال أهل المعانى فيه وفى أمثاله : فيه إضمار ، مجازه وربِّ الضحى . و « سَجَا » معناه سكن ؛ قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة . يقال : لَيْلَةٌ ساجية أى ساكنة . و يقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية . يقال : سَجَا اللَّيْلُ يَسْجُو سُجُوًّا[4] إذا سكن . والبحر إذا سجا : سكن . قال الأعشى :

فما ذنبُنا أن جاش بحرُ ابن عمِّكم[5] * وبحرُك ساجٍ ما يُوارِى الدَّعامِصَا

وقال الراجز :

يا حبّذا القَمْراءُ واللَّيلُ السّاجْ * وطُرُقٌ مِثلُ مُلاءِ النَّسّاجْ

---

(١) راجع ص ٧٢ وما بعدها من هذا الجزء . (٢) آية ٩٧ ، ٩٨ (٣) آية ٥٩ سورة طه .

(٤) فى اللسان : « يسجو سُجُوًّا وسَجْوًا » . (٥) فى ديوان الأعشين : * أتوعدنى أن جاش ... *

والدعامص : جمع الدعموص ، وهو دويبة صغيرة تكون فى مستنقع الماء .

وقال جرير :

ولقد رمَيْنك يوم رُحْنَ بأعْيُنٍ * ينظرن من خلل السُّتور سَواجى

وقال الضحاك : «سجا» غَطّى كلّ شيء . قال الأصمعىّ : سُجُوُّ الليل تغطيته النهار؛ مثلما يُسَجَّى الرجل بالثوب . وقال الحسن : غشى بظلامه؛ وقاله ابن عباس . وعنه : إذا ذهب . وعنه أيضا : إذا أظلم . وقال سعيد بن جُبير : اقبل؛ وروى عن قتادة أيضا . وروى ابن أبى نَجيح عن مجاهد : «سَجا» استوى . والقول الأوّل أشهر فى اللغة : «سجا» سكن؛ أى سكن الناس فيه . كما يقال : نهارٌ صائمٌ وليلٌ قائم . وقيل : سكونه استقرار ظلامه واستواؤه . ويقال : « والضُّحَى . والليلِ إذا سَجَى » يعنى عباده الذين يعبدونه فى وقت الضُّحَى، وعباده الذين يعبدونه بالليل إذا أظلم . ويقال : « الضحى » يعنى نور الجنة إذا تنوّر . « واللّيْل إذا سَجَى » يعنى ظلمة الليل إذا أظلم . ويقال : « والضُّحَى » يعنى النور الذى فى قلوب العارفين كهيئة النهار . « واللّيْلِ إذا سَجَى » يعنى السواد الذى فى قلوب الكافرين كهيئة الليل؛ فأقسم الله عز وجل بهذه الأشياء . ﴿ ما ودّعَكَ رَبُّكَ ﴾ هذا جواب القَسَم . وكان جبريل عليه السلام أبطأ على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال المشركون : قلاه الله وودّعه؛ فنزلت الآية . وقال ابن جُريج : احتبس عنه الوَحْى اثنى عشر يوماً . وقال ابن عباس : خمسة عشر يوما . وقيل : خمسة وعشرين يوما . وقال مُقاتل : أربعين يوما . فقال المشركون : إن محمدا ودّعه رَبّه وقلاه، ولو كان أمره من الله لتابع عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء . وفى البخارى عن جُنْدُب بن سفيان قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا؛ فجاءت امرأة[1] فقالت : يا محمد، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قَرِبك منذ ليلتين أو ثلاث؛ فأنزل الله عزّ وجلّ «والضُّحَى . واللّيْل إذا سَجَى . ما ودّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى » . وفى الترمذى عن جُنْدُب البَجَلىّ قال : كنت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فى غار فَدَمِيت إصْبَعُه فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " هل أنت إلا إصبع دَمِيت،

(١) هى العوراء بنت حرب أخت أبى سفيان، وهى حمالة الحطب، وهى زوج أبى لهب .

وفى سبيل الله ما لَقِيتِ ". قال : وأبطأ عليه جبريل فقال المشركون : قد وُدِّع محمد؛ فأنزل الله تبارك وتعالى « ما ودّعكَ ربُّكَ وما قَلَى » . هذا حديث حسن صحيح . لم يذكر الترمذى : « فلم يقم ليلتين أو ثلاثا » أسقطه الترمذىّ . وذكره البخارى ، وهو أصح ما قيل فى ذلك . والله أعلم . وقد ذكره الثعلبى أيضا عن جُنْدب بن سفيان البَجَلى قال : رُمِىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى إصبعه بحجر فدميت فقال : " هل أنت إلا إصبع دَميت ، وفى سبيل الله ما لَقِيت " فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم الليل . فقالت له أم جميل امرأة أبى لهب : ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، لم أره قَرِبك منذ ليلتين أو ثلاث ؛ فنزلت «والضُّحَى» . وروى عن أبى عمران الجَوْنى قال : أبطأ جبريل على النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى شقّ عليه ؛ فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو ؛ فنكت بين كَتِفيه وأنزل عليه «ما ودّعك ربك وما قلَى» . وقالت خَوْلة — وكانت تَخْدُم النبىّ صلى الله عليه وسلم — : إن جَرْوًا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات ؛ فمكث نبىّ الله صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحى . فقال : " يا خَوْلةُ ما حدَث فى بيتى ؟ ما لجبريل لا يأتينى " ! قالت خولة فقلت : لو هيأتُ البيت وكَنَسْتُه ؛ فأهْوَيْتُ بالمِكْنسة تحت السرير فإذا جَرْوٌ ميّت ، فأخذتُه فألقيتُه خلف الجدار ؛ فجاء نبىّ الله تَرْعُد لِحياه — وكان إذا نزل عليه الوَحْىُ استقبلته الرِّعْدة — فقال : "يا خَوْلَة دَثِّرينى" فأنزل الله هذه السورة . ولما نزل جبريل سأله النبىّ صلى الله عليه وسلم عن التأخر فقال : "أمَا علمتَ أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة" . وقيل : لما سألته اليهود عن الروح وذى القَرْنَين وأصحاب الكهف قال : " سأخبركم غدا " ولم يقل إن شاء الله . فاحتبس عنه الوحى ، إلى أن نزل جبريل عليه بقوله «ولا تَقُولَنّ لِشَىْءٍ إنّى فاعِلٌ ذلك غَدًا إلا أنْ يَشَاءَ اللهُ» (1) فأخبره بما سُئل عنه . وفى هذه القصة نزلت «ما ودّعكَ ربُّكَ وما قلَى» . وقيل : إن المسلمين قالوا : يا رسول الله ، مالك لا ينزل عليك الوحى ؟ فقال : " وكيف ينزل علىّ وأنتم لا تُنَقُّون رَواجبكم — وفى رواية براجمكم (2) — ولا تقُصّون أظفاركم ولا تأخذون من شواربكم " فنزل

(1) آية ٢٣ سورة الكهف . (2) الرواجب (واحدها راجبة) : وهى ما بين عقد الأصابع والبراجم (واحدها برجمة بالضم) : هى العقد التى فى ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ .

جبريل بهذه السورة ؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " ما جئتَ حتى اشتقتُ إليك " فقال جبريل : " وأنا كنتُ أشدّ إليك شوقًا ولكني عبد مأمور " ثم أنزل عليه «وما نتنزّلُ إلا بأمر ربِّك» (١) . « ودّعك » بالتشديد قراءة العامة من التوديع ، وذلك كتوديع المفارق . وروى عن ابن عباس وابن الزبير أنهما قرآه « وَدَعك » بالتخفيف ومعناه تركك . قال :

وثَمّ ودَعْنا آلَ عمرو وعامر * فرائس أطراف المُثقّفة (٢) السُّمْر

واستعماله قليل . يقال : هو يَدَع كذا ؛ أى يتركه . قال المبرد محمد بن يزيد : لا يكادون يقولون وَدَع ولا وَذَر لضعف الواو إذا قُدّمت ، واستغنوا عنها بترَكَ .

قوله تعالى : ﴿ وما قَلَى ﴾ أى ما أبغضك ربُّك منذ أحبك . وترك الكاف لأنه رأس آية . والقِلَى البُغْض ؛ فإن فتحت القاف مددت ؛ تقول : قلاه يَقْليه قِلًى وقَلاء . كما تقول : قَرَيْتُ الضيف أقْريه قِرًى وقَرَاء . ويَقْلاه لغة طيء . وأنشد ثعلب :

* أيامَ أمِّ (٣) الغَمْرِ لا نَقْلاها *

أى لا نبغضها . وتقلّى أى تبغّض . وقال (٤) :

أسيئى بنا أو أحْسِنِى لا مَلُومةٌ * لدينا ولا مَقْلِيّةٌ إن تَقَلّت

وقال امرؤ القيس :

* ولست بمَقْلِيّ الخِلال ولا قالِ (٥) *

وتأويل الآية : ما ودّعك رَبُّك وما قلاك . فترك الكاف لأنه رأس آية ؛ كما قال عزّ وجلّ : « والذّاكرينَ اللهَ كثيرًا والذّاكراتِ (٦) » أى والذاكرات اللهَ .

---

(١) آية ٦٤ سورة مريم . (٢) المثقفة والمثقف : الرمح .

(٣) كذا فى اللسان . وفى الأصول : « يارب » . وبعده كما فى اللسان :

* ولو تشاء قُبّلتْ عيناها *

(٤) هو كثير عزة . (٥) صدر البيت :

* صرفت الهوى عنهن من خشية الردى *

(٦) آية ٣٥ سورة الأحزاب .

قوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾

روى سلمة عن ابن إسحاق قال : « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى » أى ما عندى فى مرجعك إلى يا محمد خير لك مما عجّلتُ لك من الكرامة فى الدنيا . وقال ابن عباس : أُرِىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على أمته بعده فسُرّ بذلك؛ فنزل جبريل بقوله : « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » . قال ابن إسحاق : الفَلَج فى الدنيا والثواب فى الآخرة . وقيل : الحوض والشفاعة . وعن ابن عباس : ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المِسْك . رفعه الأوزاعى قال : حدثنى إسماعيل بن عبيد الله عن على بن عبد الله ابن عباس عن أبيه قال : أُرِىَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته فسُرّ بذلك؛ فأنزل الله عز وجل « وَالضُّحَى — إلى قوله تعالى — وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » فأعطاه الله جلّ ثناؤه ألف قصر فى الجنة، ترابُها المسك؛ فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم . وعنه قال : رَضِىَ محمد ألّا يدخل أحد من أهل بيته النار . وقاله السدى . وقيل : هى الشفاعة فى جميع المؤمنين . وعن علىّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُشَفِّعُنِى الله فى أُمّتى حتى يقول الله سبحانه لى رَضيتَ يا محمد فأقول يا ربّ رَضيتُ". وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبىّ صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى إبراهيم : « فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »(١) وقول عيسى : « إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ »(٢) فرفع يديه وقال : "اللّهُمّ أمتى أمتى" وبكى . فقال الله تعالى لجبريل : "اذهب إلى محمد وربُّك أعلم فَسَلْه ما يبكيك" فأتى جبريل النبىّ صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره . فقال الله تعالى لجبريل : "اذهب إلى محمد فقل له إن الله يقول لك إنا سنرضيك فى أمتك

(١) آية ٣٦ سورة إبراهيم .

(٢) آية ١١٨ سورة المائدة .

ولا نسوءك[١] ". وقال عليّ رضي الله عنه لأهل العراق : إنكم تقولون إن أرجى آية في كتاب الله تعالى «قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»[٢] قالوا : إنا نقول ذلك. قال : ولكنا أهلَ البيت نقول : إن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى : «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» . وفي الحديث : لما نزلت هذه الآية قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إذًا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار " .

قوله تعالى : أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾

عدّد سبحانه مِنَنَه على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴾ لا أبَ لك ، قد مات أبوك . ﴿ فَآوَى ﴾ أي جعل لك مأوى تأوي إليه عند عمّك أبي طالب فكفَلك . وقيل لجعفر بن محمد الصادق : لم أُوتِم النبيُّ صلى الله عليه وسلم من أبويه؟ فقال : لئلا يكون لمخلوق عليه حق . وعن مجاهد : هو من قول العرب : دُرّة يتيمة ؛ إذا لم يكن لها مِثل . فمجاز الآية : ألم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك ، فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك .

قوله تعالى : وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

أي غافلا عما يراد بك من أمر النُّبُوّة فهداك ؛ أي أرشدك . والضلال هنا بمعنى الغفلة ؛ كقوله جلّ ثناؤه : « لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى »[٣] أي لا يغفل . وقال في حق نبيّه : « وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ »[٤] . وقال قوم : « ضَالًّا » لم تكن تدري القرآن والشرائع ، فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام ؛ عن الضحاك وشهر بن حَوْشب وغيرهما . وهو معنى

---

(١) رواية الحديث كما ورد في صحيح مسلم كتاب الإيمان : « أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم «رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني » الآية ، وقول عيسى عليه السلام « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » فرفع يديه وقال : " اللهم أمتي أمتي " وبكى ؛ فقال الله عز وجل : « يا جبريل إذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك » فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم ؛ فقال الله : « ياجبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » .

(٢) آية ٥٣ سورة الزمر . (٣) آية ٥٢ سورة طه . (٤) آية ٣ سورة يوسف

قوله تعالى : « مَا كُنتَ تَدرِى مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ »[(١)] على ما بينا فى سورة « الشورى » .
وقال قوم : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » أى فى قوم ضُلال فهداهم الله بك . هذا قول الكلبى والفرّاء . وعن السُّدى نحوه؛ أى ووجد قومك فى ضلال فهداك إلى إرشادهم . وقيل : «ووجدك ضالا» عن الهجرة فهداك إليها . وقيل : « ضَالًّا » أى ناسيا شأن الاستثناء حين سُئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والرُّوح فأذكرك ؛ كما قال تعالى : « أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا »[(٢)] . وقيل : ووجدك طالبًا للقبلة فهداك إليها ؛ بيانه : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّماءِ »[(٣)] الآية . ويكون الضّلال بمعنى الطلب؛ لأن الضّال طالب . وقيل : ووجدك متحيّرًا عن بيان ما نزل عليك فهداك إليه ؛ فيكون الضلال بمعنى التّحيُّر ؛ لأن الضال متحيّر . وقيل : ووجدك ضائعا فى قومك فهداك إليه؛ ويكون الضلال بمعنى الضياع . وقيل : ووجدك مُحِبًّا للهداية فهداك إليها ؛ ويكون الضلال بمعنى المحبة . ومنه قوله تعالى : « قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ القَدِيمِ »[(٤)] أى فى محبتك . قال الشاعر :

هذا الضلال أشاب منّى المَفْرِقا[(٥)] * والعارِضَينِ ولم أكن متحققا
عجبًا لعَـزّةَ فى ٱختيار قطيعتى * بعد الضلال فحبلها قد أخلقا

وقيل : « ضالا » فى شِعاب مكة فهداك وردّك إلى جَدّك عبد المطلب . قال ٱبن عباس : ضَلّ النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو صغير فى شِعاب مكة ، فرآه أبو جَهْل منصرفا عن أغنامه ، فردّه إلى جده عبد المطلب ؛ فمنّ الله عليه بذلك حين ردّه إلى جده على يدى عدوّه . وقال سعيد بن جُبير : خرج النبىّ صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى سفر ، فأخذ إبليس بزمام الناقة فى ليلة ظلماء ، فعدَل بها عن الطريق ، فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليسَ نفخةً وقع منها إلى أرض الهند ، وردّه إلى القافلة؛ فمنّ الله عليه بذلك . وقال كعب : إن حَليمة لما قضت حقّ الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لتردّه على عبد المطلب ،

(١) آية ٥٢ راجع جـ ١٦ ص ٥٥ (٢) آية ٢٨٢ سورة البقرة .
(٣) آية ١٤٤ سورة البقرة . (٤) آية ٩٥ سورة يوسف .
(٥) المفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والعارض : صفحة الخد .

فسمعت عند باب مكة : هنيئًا لك يابطحاء مكة ، اليوم يُرَدُّ إليك النورُ والدِّين والبهاء والجمال . قالت : فوضعته لأُصْلِح ثيابي فسمعت هدّة شديدة فآلتفت فلم أره، فقلت : معشر الناس ، أين الصبيّ ؟ فقالوا : لم نرشيئا ، فصحت : وامحمداه ! ! فإذا شيخ فانٍ يتوكأ على عصاه فقال : اذهبي إلى الصنم الأعظم ، فإن شاء أن يردّه عليك فعل . ثم طاف الشيخ بالصنم وقبّل رأسه وقال : يارب ، لم تزل مِنّتك على قريش ، وهذه السَّعْدِيّة تزعم أن آبنها قد ضلّ، فردّه إن شئت . فانكب هُبُلُ على وجهه وتساقطت الأصنام وقالت : إليك عنا أيها الشيخ ، فهلاكنا على يدى محمد . فألقى الشيخ عصاه وآرتعد وقال : إن لآبنك رَبًّا لايضيعه ، فآطلبيه على مهل . فآنحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة ، فلم يجدوه . فطاف عبد المطلب بالكعبة سَبْعًا وتضرّع إلى الله أن يردّه ، وقال :

يا رَبّ رُدّ ولدى محمدا * آردده ربى وآتخذ عندى يدا

يا رَبّ إنْ محمد لم يوجدا * فشَمْلُ قومى كلّهم تبدّدا

فسمعوا مناديًا ينادى من السماء : معاشرَ الناس لا تضجّوا، فإن لمحمد ربًّا لا يخذله ولا يضيعه، وإن محمدًا بوادى تِهامة عند شجرة السَّمُر . فسار عبد المطلب هو وورَقة بن نَوْفَل ، فإذا النبيّ صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة، يلعب بالأغصان وبالورق . وقيل : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » ليلةَ المعراج، حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش . وقال أبو بكر الورّاق وغيره : « ووَجَدك ضالًّا » تحب أبا طالب فهداك إلى محبة ربك . وقال بسام بن عبدالله : «ووجدك ضالا» بنفسك لاتدرى من أنت، فعرفك بنفسك وحالك . وقال الجنيدى : ووجدك متحيّرًا فى بيان الكتاب فعلّمك البيان؛ بيانه : « لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ »[(1)] الآية . «لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى آخْتَلَفُوا فِيهِ»[(2)] . وقال بعض المتكلمين : إذا وجدت العرب شجرة منفردة فى فلاة من الأرض لا شجر معها سمّوها ضالّة ، فيُهْتَدَى بها إلى الطريق؛ فقال الله تعالى

---

(١) آية ٤٤ سورة النحل .

(٢) آية ٦٤ سورة النحل .

لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم : « وَوَجَدَكَ ضَالًّا » أى لا أحد على دينك، وأنت وحيد ليس معك أحد ؛ فهَدَيْتُ بك الخلق إلىّ .

قلت : هذه الأقوال كلّها حِسان، ثم منها ما هو معنوىّ ومنها ما هو حِسّىّ . والقول الأخير أعجب إلىّ ؛ لأنه يجمع الأقوال المعنوية . وقال قوم : إنه كان على جملة ما كان القوم عليه لا يُظهر لهم خلافا على ظاهر الحال ؛ فأما الشرك فلا يُظَنّ به ؛ بل كان على مراسم القوم فى الظاهر أربعين سنة . وقال الكلبىّ والسُّدّىّ : هذا على ظاهره ؛ أى وجدك كافرا والقوم كفار فهداك (١) . وقد مضى هذا القول والردّ عليه فى سورة «الشّورى» (٢) . وقيل : وجدك مغمورا بأهل الشرك فميّزك عنهم . يقال: ضلّ الماءُ فى اللبن ؛ ومنه «أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» (٣) أى لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كأنا لا نتميّز من جملته . وفى قراءة الحسن « ووجدك ضالٌّ فهدى» أى وجدك الضالّ فاهتدى بك ؛ وهذه قراءة على التفسير. وقيل: « ووجدك ضالًّا » لا يهتدى إليك قومك ولا يعرفون قدرك ؛ فهدى المسلمين إليك حتى آمنوا بك .

قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ (٨)

أى فقيرًا لا مال لك . ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ أى فأغناك بخديجة رضى الله عنها ؛ يقال : عال الرجل يَعيل عَيْلة إذا افتقر . وقال أُحَيْحَة بن الجُلَاح :

فما يدرى الفقيرُ متى غِناه * وما يدرى الغنىُّ متى يَعيلُ

أى يفتقر . وقال مقاتل : فرضّاك بما أعطاك من الرزق . وقال الكلبىّ : قنّعك بالرزق . وقال ابن عطاء : ووجدك فقير النفس فأغنى قلبك . وقال الأخفش : وجدك ذا عيال ؛ دليله « فأغنى » . ومنه قول جرير :

الله أنزل فى الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

---

(١) مثل هذه الأقوال لا يصح نسبتها إلى سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه ولا لأحد من الأنبياء؛ لأن العصمة ثابتة لهم قبل النبوّة وبعدها من الكبائر والصغائر على الصحيح .

(٢) راجع جـ ١٦ ص ٥٥ فما بعدها .

(٣) آية ١٠ سورة السجدة .

وقيل : وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فأغناك بها . وقيل : أغناك بما فتح لك من الفتوح، وأفاءه عليك من أموال الكفار . القُشَيْرِىّ : وفى هذا نظر؛ لأن السورة مكّيّة ، وإنما فرض الجهاد بالمدينة . وقراءة العامة « عَائلا » . وقرأ ابن السَّمَيْقَع « عَيِّلاً » بالتشديد؛ مثل طَيِّب وهَيِّن .

قوله تعالى : فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى ـ قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أى لا تسلّط[1] عليه بالظلم، ادفع إليه حقّه، واذكر يُتْمَك؛ قاله الأخفش . وقيل : هما لغتان بمعنًى . وعن مجاهد « فلا تقهر » فلا تحتقر . وقرأ النَّخَعِىّ والأشهب العقيلى « تَكْهَر » بالكاف ، وكذلك هو فى مصحف ابن مسعود . فعلى هذا يحتمل أن يكون نَهْيًا عن قهره بظلمه وأخذ ماله . وخصّ اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى؛ فغلّظ فى أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه . والعرب تعاقب بين الكاف والقاف . النحاس : وهذا غلط ، إنما يقال كَهَره إذا اشتدّ عليه وغلظ . وفى صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمِىّ حين تكلّم فى الصلاة بردّ السلام قال : فبأبى هو وأُمّى ! ما رأيت معلّما قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه ـ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فوالله ما كَهَرنى ولاضربنى ولاشتمنى ... الحديث . وقيل : القَهْر الغلبة . والكَهْر : الزجر .

الثانية ـ ودلّت الآية على اللّطف باليتيم وبرّه والإحسان إليه؛ حتى قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم . وروى عن أبى هريرة أن رجلًا شكا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه؛ فقال: "إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين" . وفى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين".

---

(١) فى بعض نسخ الأصل : « لا تسطو » .

وأشار بالسبابة والوسطى . ومن حديث آبن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن اليتيم إذا بكى آهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتى من ذا الذى أبكى هذا اليتيم الذى غيبت أباه فى التراب فتقول الملائكة ربنا أنت أعلم فيقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتى اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة" . فكان آبن عمر إذا رأى يتيما مسح برأسه وأعطاه شيئا . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من ضم يتيما فكان فى نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة" . وقال أكثم بن صيفى : الأذلاء أربعة : النمام والكذاب والمديون واليتيم .

الثالثة — قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أى لا تزجره ؛ فهو نهى عن إغلاظ القول . ولكن رده ببذل يسير أو رد جميل ، وآذكر فقرك ؛ قاله قتادة وغيره . وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا يمنعن أحدكم السائل وأن يعطيه إذا سأل ولو رأى فى يده قلبين[1] من ذهب" . وقال إبراهيم بن أدهم : نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة . وقال إبراهيم النخعى : السائل بريد الآخرة ، يجىء إلى باب أحدكم فيقول هل تبعثون إلى أهليكم بشىء . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "ردوا السائل ببذل يسير أو رد جميل فإنه يأتيكم من ليس من الإنس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله" . وقيل : المراد بالسائل هنا الذى يسأل عن الدين ؛ أى فلا تنهره بالغلظة والجفوة ، وأجبه برفق ولين ؛ قاله سفيان . قال آبن العربى : وأما السائل عن الدين فجوابه فرض على العالم على الكفاية ؛ كإعطاء سائل البر سواء . وقد كان أبو الدرداء ينظر إلى أصحاب الحديث ويبسط رداءه لهم ويقول : مرحبا بأحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى حديث أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال[2] : كنا إذا أتينا أبا سعيد يقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الناس لكم تبع

(١) القلب (بضم وسكون) : السوار . (٢) القائل هو أبو هارون العبدى .

و إن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا " وفى رواية "يأتيكم رجال من قبل المشرق" فذكره . و«اليتيم» و«السائل» منصوبان بالفعل الذى بعده؛ وحقّ المنصوب أن يكون بعد الفاء ، والتقدير : مهما يكن من شىء فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل . وروى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "سألت ربّى مسئلة وددت أنى لم أسألها قلت يا ربّ اتخذت إبراهيم خليلا وكلّمت موسى تكليما وسخّرت مع داود الجبال يسبّحن وأعطيت فلانا كذا فقال عزّ وجل ألم أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالاً فهديتك ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ألم أشرح لك صدرك ألم أوتك ما لم أوت أحدا قبلك خواتيم سورة البقرة ألم أتخذك خليلاً كما اتخذتُ إبراهيم خليلاً قلتُ بلى يا رب" .

الرابعة — قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أى انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء . والتحدّثُ بنعم الله والاعترافُ بها شكر . وروى ابن أبى نجيح عن مجاهد «وأما بنعمة ربك » قال بالقرآن . وعنه قال : بالنبوة؛ أى بلّغ ما أرسلتَ به . والخطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره . وعن الحسن بن علىّ رضى الله عنهما قال : إذا أصبت خيرا أو عملت خيرا فحدّث به الثقةَ من إخوانك . وعن عمرو بن ميمون قال : إذا لقى الرجل من إخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا . وكان أبو فراس عبد الله بن غالب إذا أصبح يقول : لقد رزقنى الله البارحة كذا ، قرأتُ كذا ، وصلّيت كذا ، وذكرتُ الله كذا ، وفعلتُ كذا . فقلنا له : يا أبا فراس ، إن مثلك لا يقول هذا ! قال يقول الله تعالى : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » وتقولون أنتم : لا تحدّثْ بنعمة الله ! ونحوُه عن أيوب السَّختيانىّ وأبى رجاء العُطارِدى رضى الله عنهم . وقال بكر بن عبد الله المُزَنىّ قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " من أُعطِىَ خيراً فلم يُرَعليه سُمّىَ بغيض الله معادياً لنعم الله " . وروى الشعبى عن النعمان بن بشير قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : " مَن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدثُ بالنّعم شكرٌ وتركه كفر والجماعة رحمةٌ والفُرْقة عذاب " . وروى النّسائى عن مالك بن نَضْلة الجُشَمِىّ قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ، فرآنى رَثّ الثياب فقال : " ألك مال؟" قلت

نعم يا رسول الله ، من كل المال ، قال : " إذا أتاك الله مالا فلْيُرَ أثره عليك " . وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله جميل يحب الجمال ويحبّ أن يَرَى أثر نعمته على عبده " .

فصل — يكبّر القارئ فى رواية البَزّى عن ابن كثير — وقد رواه مجاهد عن ابن عباس عن أُبَىّ بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم — إذا بلغ آخر « والضحى » كبّر بين كلّ سورة تكبيرةً إلى أن يختم القرآن ، ولا يصل آخر السورة بتكبيره ؛ بل يفصل بينهما بسكتة . وكأنّ المعنى فى ذلك أن الوحى تأخّر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أياما ، فقال ناس من المشركين : قد وَدّعه صاحبه وقَلاه ؛ فنزلت هذه السورة فقال : "الله أكبر" . قال مجاهد : قرأت على ابن عباس فأمرنى به وأخبرنى به عن أُبَىّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . ولا يكبّر فى قراءة الباقين ؛ لأنها ذَرِيعة إلى الزيادة فى القرآن .

قلت : القرآن ثَبت نقلاً متواترًا سُوَره وآياته وحروفه لا زيادةَ فيه ولا نقصان ؛ فالتكبير على هذا ليس بقرآن . فإذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب فى المصحف بخط المصحف ليس بقرآن فكيف بالتكبير الذى هو ليس بمكتوب . أمّا إنه ثبت سُنّة بنقل الآحاد فاستحبه ابن كَثير لا أنه أوجبه نخطّأ من تركه . ذكر الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ فى كتاب «المستدرك» له على البخاريّ ومسلم : حدثنا أبو يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الإمام بمكة فى المسجد الحرام قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن على بن زيد الصائغ قال حدثنا أحمدَ بن محمد بن القاسم بن أبى بزة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على إسماعيل ابن عبد الله بن قُسطنطين ، فلما بلغت «والضحى» قال لى كَبّر عند خاتمة كل سورة حتى تختم ، فإنى قرأت على عبد الله بن كَثير فلما بلغت « والضحى » قال كَبّر حتى تختم . وأخبره عبد الله ابن كَثير أنه قرأ على مجاهد ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أُبَىّ بن كعب أمره بذلك ، وأخبره أُبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك . هذا حديث صحيح ولم يخرجاه .

ســورة « ألم نشرح »
مَكيَّةٌ فى قول الجميع . وهى ثمانى آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾

شَرْحُ الصّدر : فتحه ؛ أى ألم نفتح صدرك للإسلام . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : ألم نُلَيّن لك قلبك . وروى الضّحاك عن ابن عباس قال : قالوا يا رسول الله ، أينشرح الصدر ؟ قال : " نعم وينفسح " قالوا : يا رسول الله ، وهل لذلك علامة ؟ قال : " نَعَمْ التّجافى عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزول الموت " . وقد مضى هذا المعنى فى « الزُمَر »[(١)] عند قوله تعالى : « أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » . وروى عن الحسن قال : « ألم نشرح لك صدرك » قال : ملئ حكما وعلما . وفى الصحيح[(٢)] عن أنس بن مالك عن مالك بن صَعْصعة — رجل من قومه — أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "فبينا أنا عند البيت بين النائم واليَقْظان إذ سمعتُ قائلا يقول أحدُ الثلاثة[(٣)] فأتيتُ بطَسْت من ذهب فيها ماء زَمْزَم فشُرح صدرى إلى كذا وكذا " قال قتادة قلت : ما يعنى ؟ قال : إلى أسفل بطنى ، قال : "فآستُخْرِج قلبى فغُسل قلبى بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حُشِى إيمانا وحكمة" . وفى الحديث قصة . وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "جاءنى ملكان فى صورة طائر معهما ماء وثلج فشرح أحدُهما صدرى وفتح الآخر بمنقاره فيه فغسله" .

---

(١) راجع جـ ١٥ ص ٢٤٧ (٢) وهذه رواية الترمذى فى كتاب التفسير . (٣) فى صحيح مسلم : «أحدُ الثلاثة بين الرجلين» روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما معه حينئذ عمه حمزة بن عبد المطلب وابن عمه جعفر ابن أبى طالب . راجع شرح هذا الحديث فى صحيح مسلم (باب الاسراء) . وفى شرح القسطلانى فى كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) .

وفى حديث آخر قال : "جاءنى مَلَك فشَق عن قلبى فاستخرج منـه عذرة[(١)] وقال قلبُـك وكيع وعيناك بصيرتان وأذناك سميعتان أنت محمد رسول الله لسانُك صادقٌ ونَفْسُك مطمئنة وخلقُك قُثَم وأنت قَيِّم " . قال أهل اللغة : قوله " وكيع " أى يحفظ ما يوضع فيه . يقال : سِـقاء وكيع ؛ أى قوىّ يحفظ ما يوضع فيه . واستوكعتْ مَعِدَتُه أى قَوِيَتْ . وقوله "قُثَم" أى جامع . يقال : رجل قَثُوم للخير ؛ أى جامع له . ومعنى « ألم نشرح » قد شرحنا ؛ الدليل على ذلك قوله فى النَّسَق عليه : «وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ» فهذا عطف على التأويل لا على التنزيل ؛ لأنه لو كان على التنزيل لقال : ونضع عنك وزرك . فدلّ هذا على أن معنى «ألم نشرح» قد شرحنا . و « لم » جَحْد وفى الاستفهام طَرَف من الجحْد ، وإذا وقع جحْد على جحْد رجع إلى التحقيق ؛ كقوله تعالى : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ[(٢)] » ومعناه : الله أحكم الحاكمين . وكذا « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ[(٣)] » . ومثله قول جَرير يمدح عبدَ الملك بن مَرْوان :

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطونَ راح

المعنى : أنتم كذا .

قوله تعالى : وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ أى حططنا عنك ذَنْبَك . وقرأ أنس « وحللنا وحططنا » . وقرأ ابن مسعود «وحللنا عنك وِقْرك» . هذه الآية مثل قوله تعالى : «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تقدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخّر[(٤)]» . قيل : الجميع كان قبل النُّبُوّة . والوِزْر : الذّنب ؛ أى وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية ؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم فى كثير من مذاهب قومه ، وإن لم يكن عَبَد صَنَمًا ولا وَثَنًا . قال قتادة والحسن والضحّاك : كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم ذنوب أثقلته ؛ فغفرها الله له . ﴿ الذى أَنْقَضَ ظَهْرَك ﴾ أى أثقله حتى سُمِع

---

(١) كذا فى بعض نسخ الأصل . وفى بعضها الآخر : «غدرة» بالغين المعجمة والدال المهملة . ولم نقف على هذا اللفظ لغير القرطبى . (٢) آية ٨ سورة التين . (٣) آية ٣٦ سورة الزمر . (٤) آية ٢ سورة الفتح .

نَقيضه؛ أى صَوْته . وأهلُ اللغة يقولون : أنقض الحِمْلُ ظَهْرَ الناقة إذا سمعتَ له صَرِيرًا من شدة الحمل . وكذلك سمعت نقيض الرَّحْل؛ أى صريره . قال جميل :

وحتى تداعت بالنّقيض حباله * وهَمّت بَوانِى زَوْرِه أنْ تَحطّما

« بوانِى زَوْرِه » أى أصولُ صدره . فالوِزر : الحِمل الثقيل . قال المُحاسِبيّ : يعنى ثِقل الوِزْر لولم يعف الله عنه . ﴿ الذى أنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ أى أثقله وأوهنه. قال: و إنما وُصفت ذنوب الأنبياء بهذا الثقل مع كونها مغفورة، لشدّة اهتمامهم بها ، ونَدَمهم منها ، وتحسّرهم عليها . وقال السُّدّى : « ووَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ » أى وحططنا عنك ثِقلك. وهى فى قراءة عبد الله بن مسعود « وحططنا عنك وِقْرك »(١) . وقيل : أى حططنا عنك ثقل آثام الجاهلية . قال الحسين ابن الفضل : يعنى الخطأ والسَّهْو . وقيل : ذنوب أمتك ، أضافها إليه لاشتغال قلبه بها . وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة : خَفّفنا عنك أعباء النبوّة والقيامَ بها حتى لا تَثْقُل عليك . وقيل : كان فى الابتداء يثقل عليه الوَحْىُ حتى كاد يرمى نفسه من شاهق الجبل، إلى أن جاءه جبريل وأراه نفسَه ؛ وأزيل عنه ما كان يخاف من تغيّر العقل . وقيل : عصمناك عن احتمال الوزر ، وحفظناك قبل النبوّة فى الأربعين من الأدناس؛ حتى نزل عليك الوحى وأنت مُطَهَّر من الأدناس .

قوله تعالى : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

قال مجاهد : يعنى بالتأذين . وفيه يقول حسان بن ثابت :

أغَرُّ عليه للنبوّة خاتَمٌ * من الله مشهودٌ يلوح ويُشْهَدُ

وضَمّ الإلهُ ٱسمَ النبيّ إلى ٱسمه * إذا قال فى الخمس المؤذّنُ أشْهَدُ

ورُوِىَ عن الضحاك عن ٱبن عباس قال : يقول له لا ذُكِرتُ إلا ذُكِرتَ معى فى الأذان والإقامة والتّشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التّشريق،

(١) فى شواذ ابن خالويه : « وحططنا عنك وزرك » عن أنس بن مالك . « وحللنا وحططنا » جميعا عنه وعن ابن مسعود .

ويوم عرفة ، وعند الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وفى خطبة النكاح ، وفى مشارق الأرض ومغاربها . ولو أن رجلا عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء ، ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء ، وكان كافرا . وقيل : أى أعلينا ذكرك فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك ، وأمرناهم بالبشارة بك ، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه . وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة فى السماء ، وفى الأرض عند المؤمنين ، ونرفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات .

قوله تعالى : فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

أى إن مع الضيقة والشدة يسرا، أى سعة وغنى . ثم كرر فقال : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ فقال قوم : هذا التكرير تأكيد للكلام ؛ كما يقال : ارم ارم ، اعجل اعجل ؛ قال الله تعالى : « كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ[(١)] . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » . ونظيره فى تكرار الجواب : بلى بلى، لا لا . وذلك للإطناب والمبالغة ؛ قاله الفراء . ومنه قول الشاعر :

هممتُ بنفسيَ بعضَ الهموم * فأوْلَى لنفسيَ أوْلَى لها[(٢)]

وقال قوم : إن من عادة العرب إذا ذكروا اسما معرّفا ثم كرّروه فهو هو . وإذا نكّروه ثم كرّروه فهو غيره . وهما اثنان ليكون أقوى للأمل وأبعث على الصبر ؛ قاله ثعلب . وقال ابن عباس : يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا ، وخلقت يسرين ، ولن يغلب عسرٌ يسرين . وجاء فى الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة أنه قال : "لن يغلب عسرٌ يسرين" . وقال ابن مسعود[(٣)] : والذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ، ولن يغلب عسرٌ يسرين . وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم ؛ فكتب إليه عمر رضى الله عنهما : أما بعد ، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا ، وإنه لن يغلب عسرٌ يسرين ، وإن الله تعالى يقول فى كتابه : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا

(١) آية ٣ سورة ألهاكم . (٢) البيت للخنساء . ويروى : * هممت بنفسي كل الهموم *
(٣) أى فى روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[1] . وقال قوم منهم الجُرْجَانِيّ : هذا قول مدخول ؛ لأنه يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل : إن مع الفارس سَيْفًا ، إن مع الفارس سيفًا ، أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنان . والصحيح ان يقال : إن الله بعث نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم مُقلًّا مُخِفًّا فعيّره المشركون بفقره حتى قالوا له : نجمع لك مالًا ؛ فاغتم وظنّ أنهم كذبوه لفقره ؛ فعزّاه الله وعدّد نعمه عليه ، ووعده الغنى بقوله : « فإنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » أي لا يحزنك ما عيّروك به من الفقر ؛ فإن مع ذلك العُسْر يُسْرًا عاجلا ؛ أي في الدنيا . فأنجزله ما وعده ؛ فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن ، ووسّع ذات يده حتى كان يعطى الرجل المائتين من الإبل ، ويهَب الهبات السنية ، ويُعِدّ لأهله قُوتَ سَنَة . فهذا الفضل كلّه من أمر الدنيا ؛ وإن كان خاصا بالنبيّ صلى الله عليه وسلم فقد يدخل فيه بعضُ أمته إن شاء الله تعالى . ثم ابتدأ فضلا آخر من أمر الآخرة وفيه تأسية وتعزية له صلى الله عليه وسلم فقال مبتدئا : « إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » فهو شيء آخر . والدليل على ابتدائه تعريه من فاء أو واو أو غيرهما من حروف النسق التي تدل على العطف . فهذا وَعْدٌ عام لجميع المؤمنين لا يخرج أحد منه ؛ أي إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يُسْرًا في الآخرة لا محالة . ورُبّما اجتمع يُسْرُ الدنيا ويُسْرُ الآخرة . والذي في الخبر : "لن يغلب عُسْرٌ يُسْرَين" يعني العسر الواحد لن يغلبهما ، وإنما يغلب أحدهما إن غلب وهو يسر الدنيا ؛ فأما يُسْرُ الآخرة فكائن لا محالة ولن يغلبه شيء . أو يقال : «إن مع العسر» وهو إخراج أهل مكة النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة «يُسْرًا» وهو دخوله يوم فتح مكة مع عشرة آلاف رجل مع عِزّ وشَرَف .

قوله تعالى : فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾
فيه مسألتان :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ ﴾ قال ابن عباس وقتادة : فإذا فرغت من صلاتك ﴿ فَانْصَبْ ﴾ أي بالغ في الدعاء وسَلْه حاجتك . وقال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض

(١) آخر سورة آل عمران .

فٱنْصَب فى قيام الليل . وقال الكَلْبىّ : إذا فرغت من تبليغ الرسالة « فٱنْصَب » أى ٱستغفر لذنبك وللؤمنين والمؤمنات . وقال الحسن وقتادة أيضا : إذا فرغت من جهاد عدوك فٱنْصَب لعبادة ربك . وعن مجاهد : « فإذا فَرَغْتَ » من دنياك «فٱنْصَبْ» فى صلاتك . ونحوه عن الحسن . وقال الجُنَيد : إذا فَرَغْت من أمر الخلق فٱجتهد فى عبادة الحق . قال ٱبن العربى : « ومن المبتدعة من قرأ هـذه الآية « فٱنْصِب » بكسر الصاد والهمز فى أوله ، وقالوا : معناه أنصب الإمام الذى تستخلفه . وهـذا باطل فى القراءة باطل فى المعنى؛ لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا . وقرأها بعض الجُهّال «فٱنْصَبّ» بتشديد الباء، معناه إذا فرغت من الجهاد فجِدّ فى الرجوع إلى بلدك . وهذا باطل — أيضا — قراءةً لمخالفة الإجماع لكن معناه صحيح؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : "السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومَه وطعامَه وشرابَه فإذا قَضَى أحدكم نَهْمَته فلْيُعَجِّل الرجوع إلى أهله" . وأشدّ الناس عذابا وأسْوَؤهم مباءً ومآبا من أخذ معنًى صحيحا فركّب عليـه مِن قِبل نفسه قراءةً أو حديثًا فيكون كاذبًا على الله كاذبًا على رسـوله ؛ ومن أظلم ممن ٱفترى على الله كذبا » . قال المَهْدَوِىّ : وروى عن أبى جعفر المنصور أنه قرأ « ألم نشرحَ لك صدرك » بفتح الحاء؛ وهو بعيد، وقد يُؤَوّل على تقدير النون الخفيفة، ثم أبدلت النون ألفًا فى الوقف، ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت الألف . وأنشد عليه :

اِضْرِبَ عنك الهمومَ طارِقَهـا * ضَرْبَك بالسّوْط قَوْنَسَ الفَرَسِ(١)

أراد : اضرِبَنْ . ورُوِى عن أبى السَّمال « فإذا فَرِغت » بكسر الراء، وهى لغة فيـه . وقُرِئ « فَرَغّب » أى فرغّب الناس إلى ما عنده .

الثانيـــة — قال ٱبن العربى : « رُوِى عن شُرَيح أنه مَرّ بقوم يلعبون يومَ عيـد فقال ما بهذا أمَر الشارع . وفيه نظر، فإن الحَبَش كانوا يلعبون بالدَّرَق والحراب فى المسجد يوم

(١) قونس الفرس : ما بين أذنيه . وقيل مقدم رأسه . والبيت لطرفة ، و يقال إنه مصنوع عليه .

العيد والنبيّ صلى الله عليه وسلم ينظر . ودخل أبو بكر فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها وعندها جاريتان من جوارى الأنصار تُغَنِّيَان، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : "دَعْهما يا أبا بكر فإنه يوم عيد". وليس يلزم الدءوب على العمل بل هو مكروه للخلق » .

تفسير سورة « والتين »

مكيّة فى قول الأكثر . وقال ابن عباس وقتادة : هى مَدَنيّة ، وهى ثمانى آيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النَّخَعِيّ وعطاء بن أبى رَباح وجابر بن زيد ومُقاتل والكَلْبى : هو تينكم الذى تأكلون، وزيتونكم الذى تَعْصرون منه الزَّيت ؛ قال الله تعالى : « وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ [١] » . وقال أبو ذَرّ: أُهْدِى للنبيّ صلى الله عليه وسلم سَلٌّ من تين ؛ فقال: " كلوا " وأكل منه . ثم قال : " لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عَجَمٍ [٢] فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النِّقْرِس" . وعن مُعاذ أنه آستاك بقضيب زيتون وقال سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : " نِعم السِّواك الزيتون من الشجرة المباركة يُطيب الفم ويُذهب بالحَفَر [٣] وهى سِواكى وسِواك الأنبياء من قبلى" . وروى عن ابن عباس أيضا : التِّين مسجدُ نوح عليه السلام الذى بُنِىَ على الجُودِىّ ، والزيتون مسجد

---

(١) آية ٢٠ سورة المؤمنون . (٢) العجم (بالتحريك) : النوى .

(٣) الحفر (بفتح الحاء وسكون الفاء وفتحها) : صفرة تعلو الأسنان .

بيت المقدس . وقال الضحاك : التين المسجد الحرام، والزيتون المسجد الأقصى . ٱبن زيد : التين مسجد دمشق، والزيتون مسجد بيت المقدس . قتادة : التين الجبل الذى عليه دمشق، والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس . وقال محمد بن كعب : التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد إيلياء . وقال كعب الأحبار وقتادة أيضا وعكرمة وٱبن زيد : التين دمشق، والزيتون بيت المقدس . وهذا اختيار الطبرى . وقال الفراء : سمعت رجلا من أهل الشام يقول : التين جبال ما بين حلوان إلى هَمَذان، والزيتون جبال الشام . وقيل : هما جبلان بالشام، يقال لها طور زيتا وطور تينا (بالسريانية) سُمِّيَا بذلك لأنهما يُنْبِتانهما . وكذا رَوى أبو مكين عن عكرمة قال : التين والزيتون جبلان بالشام . وقال [النابغة] :

* ... أتينَ التِّينَ عن عُرُضٍ[(١)] *

وهذا ٱسم موضع . ويجوز أن يكون ذلك على حذف مضاف؛ أى ومنابت التين والزيتون . ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه؛ قاله النحاس .

الثانيـــة ــــ أصح هذه الأقوال الأول؛ لأنه الحقيقة ولا يُعْدَل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل . وإنمـا أقسم الله بالتين لأنه كان ستر آدم فى الجنة؛ لقوله تعالى : «يَخْصِفَانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرِقِ الجنةِ»[(٢)] وكان وَرَق التين . وقيـل : أقسم به ليبيّن وَجْهَ المِنّة العظمى فيه؛ فإنه جميل المَنْظَر، طَيِّب المَخْبَر، نشر الرائحة، سهل الجَنَى، على قدر المُضغة . وقد أحسن القائل فيه :

انظر إلى التين فى الغصون ضُحًى * مُمزَّقَ الجِلد مائل العنقِ
كأنه رَبّ نعمــة سُلبت * فعاد بعد الجديد فى الخَلَقِ
أصغرُ ما فى النهــود أكبره * لكن يُنادَى عليه فى الطُّرقِ

---

(١) البيت بتمامه كما فى كتاب الملاحن لابن دريد وشعراء النصرانية :

صهب الظلال أتين التين عن عرض * يزجين غيما قليــلا ماؤه شبــما

والصهب والصهبة : الحمرة . والعرض : الاعتراض، أو الجانب . ويزجين : يسقن . والشبم : بارد . والبيت فى وصف سحائب لا ماء فيها . وقد نسبه المؤلف لزهير .

(٢) آية ٢٢ سورة الأعراف .

وقال آخـــر :

التِّين يعـدل عندى كلَّ فاكهة * إذا انثنى مائلا فى غصنه الزاهى

مخمَّش الوجه قد سالت حلاوته * كأنه راكع من خشية الله

وأقسم بالزيتون لأنه مثّل به إبراهيم فى قوله تعالى : « يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ »(١) . وهو أكثر أُدْم أهل الشام والمغرب ، يصطبغون(٢) به ويستعملونه فى طبيخهم ، ويستصبحون به ، ويُداوَى به أدواء الجَوْف والقروح والجراحات ، وفيه منافع كثيرة . وقال عليه السلام : "كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة" . وقد مضى فى سورة «المؤمنون» القول فيه(٣) .

الثالثـــة ــ قال ابن العربى : ولامتنان البارئ سبحانه وتعظيم المنّــة فى التين ، وأنه مُقتات مُدَّخر [فلذلك](٤) قلنا بوجوب الزكاة فيه . وإنما فرّ كثير من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة فيــه تَقِيَّة جَوْر الوُلاة ؛ فإنهم يتحاملون فى الأموال الزكائية فيأخذونها مَغْرما حسب ما أنذر به الصادق صلى الله عليــه وسلم . فكره العلماء أن يجعلوا لهم سبيلا إلى مال أحد يتشطّطون فيه ، ولكن ينبغى للرء أن يخرج عن نعمة ربه بأداء حقه . وقد قال الشافعى لهذه العلة وغيرها : لا زكاة فى الزيتون . والصحيح وجوب الزكاة فيهما(٥) .

قوله تعـالى : وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾

روى ابن أبى نَجيح عن مجاهد «وطور» قال : جبل . «سِينين» قال : مبارَك (بالسُّرْيانيّة) . وعن عكرمة عن ابن عباس قال : « طور » جبل ، و«سينين» حَسَن . وقال قتادة : سينين هو المبارَك الحَسَن . وعن عكرمة قال : الجبل الذى نادى الله جلّ ثناؤه منه موسى عليه السلام . وقال مُقاتل والكلبى : « سِينين » كلُّ جبل فيه شجر مُثْمر فهو سينين وسِيناء ؛ بلغة النَّبَط . وعن عَمرو بن مَيْمون قال : صَلّيت مع عمر بن الخطاب العشاء بمكة فقرأ «والتين والزيتون .

(١) آية ٣٥ سورة النور . راجع جـ ١٢ ص ٢٦٣ . (٢) أى يأتدمون به .
(٣) راجع جـ ١٢ ص ١١٦ . (٤) زيادة عن ابن العربى .
(٥) فى نسخ الأصل : « فيها » .

وطور سيناء . وهذا البلد الأمين» قال : وهكذا هى فى قراءة عبد الله؛ ورفع صوته تعظيما للبيت . وقرأ فى الركعة الثانية : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ » و « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » جمع بينهما؛ ذكره ابن الأنبارى . النحاس: وفى قراءة عبد الله «سيناء» (بكسر السين)، وفى حديث عمرو بن ميمون عن عمر (بفتح السين) . وقال الأخفش: «طور» جبل . و«سينين» شجر، واحدته سِينِينِيَّة . وقال أبو علىّ : « سِينِين » فِعْلِيل ، فكُرِّرت اللام التى هى نون فيه كما كُرِّرت فى زِحْلِيل للمكان الزَّلِق، وكِرْدِيدة للقطعة من التمر، وخِنْذِيذ للطويل . ولم ينصرف «سينين» كما لم ينصرف سيناء ؛ لأنه جُعِل آسمًا لبقعة أو أرض، ولو جُعِل آسمًا للمكان أو للنزل أو آسم مذكر لآنصرف ؛ لأنك سمّيت مذكّرًا بمذكّر . وإنما أقسم بهذا الجبل لأنه بالشأم والأرض المقدّسة ، وقد بارك الله فيهما ؛ كما قال : « إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ » .

قوله تعالى : وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾

يعنى مكة . سمّاه أمينا لأنه آمن؛ كما قال: «أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا»(١) فالأمين بمعنى الآمن؛ قاله الفرّاء وغيره . قال الشاعر :

ألم تعلمى يا أَسْمَ وَيْحَكِ أننى * حَلَفْتُ يمينًا لا أخون أمينى

يعنى آمنى . وبهذا احتج من قال : إنه أراد بالتين دمشق، وبالزيتون بيت المقدس . فأقسم الله بجبل دمشق لأنه مأوى عيسى عليه السلام، وبجبل بيت المقدس لأنه مقام الأنبياء عليهم السلام، وبمكة لأنها أثر إبراهيم ودارُ محمد صلى الله عليهما وسلم .

قوله تعالى : لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾

فيه مسألتان :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ هذا جواب القسم ، وأراد بالإنسان الكافر . قيل : هو الوليد بن المغيرة . وقيل : كَلَدة بن أسيد . فعلى هذا نزلت فى منكرى

(١) آية ٦٧ سورة العنكبوت .

البعث . وقيل : المراد بالإنسان آدمُ وذريته . ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ وهو اعتداله واستواء شبابه ؛ كذا قال عامة المفسرين . وهو أحسن ما يكون؛ لأنه خلق كلّ شيء مُنْكَبًّا على وجهه، وخَلَقه هو مُسْتَوِيًا، وله لسان ذلق، و يد وأصابع يقبض بها. وقال أبو بكر بن طاهر: مُزَيَّنًا بالعقل، مُؤَدًّى للأمر، مهذَّبًا بالتميز، مديد القامة؛ يتناول مأكوله بيده. ابن العربى: «ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان ، فإن الله خلقه حيًّا عالمًا ، قادرا مريدا متكلّمًا ، سميعا بصيرا، مدبرا حكيما. وهذه صفات الرب سبحانه ،وعنها عبّر بعض العلماء ووقع البيان بقوله : " إن الله خلق آدم على صورته " يعنى على صفاته التى قدمنا ذكرها. وفى رواية " على صورة الرحمن" ومن أين تكون للرحمن صورة متشخصة، فلم يبق إلّا أن تكون معانى» . وقد أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الأزدى قال : أخبرنا القاضى أبو القاسم علىّ بن أبى على القاضى المحسن عن أبيه قال : كان عيسى بن موسى الهاشمى يُحب زوجته حُبًّا شديدا فقال لها يوما : أنت طالق ثلاثا إن لم تكونى أحسن من القمر ؛ فنهضت واحتجبت عنه وقالت : طلّقتنى ! . وبات بليلة عظيمة ، فلما أصبح غدا إلى دار المنصور فأخبره الخبر ، وأظهر للمنصور جزعا عظيما؛ فاستحضر الفقهاء واستفتاهم . فقال جميع من حضر : قد طُلِّقت ؛ إلا رجلا واحدا من أصحاب أبى حنيفة فإنه كان ساكتا . فقال له المنصور : مالك لا تتكلم؟ فقال له الرجل : بسم الله الرحمن الرحيم « وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » يا أمير المؤمنين ، فالإنسان أحسن الأشياء ، ولا شىء أحسن منه . فقال المنصور لعيسى بن موسى : الأمر كما قال الرجل ، فأقبِل على زوجتك. وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل : أن أطيعى زوجك ولا تعصيه ، فما طلّقك . فهذا يدلك على أن الإنسان أحسنُ خلق الله باطنًا وظاهرا، جمال هيئة ، و بديع تركيب : الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه ، والبطن بما حواه ،والفرج وماطواه، واليدان ومابطشتاه، والرِّجلان وما احتملتاه. ولذلك قالت الفلاسفة : إنه العالَم الأصغر؛ إذ كل ما فى المخلوقات جُمِع فيه[1] .

(١) فى بعض نسخ الأصل وابن العربى : « أجمع فيه » .

الثانيـــة ـــ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أى إلى أرذل العمر، وهو الهَرَم بعد الشباب، والضَّعْف بعد القُوّة، حتى يصير كالصبيّ فى الحال الأوّل؛ قاله الضحّاك والكلْبيّ وغيرهما. وروى آبن أبى نَجيح عن مجاهد «ثم رددناه أسفل سافِلين» إلى النار، يعنى الكافر؛ وقاله أبو العالية. وقيل : لمـا وصفه الله بتلك الصفات الجليلة التى ركب الإنسان عليها طغى وعَلا، حتى قال : «أنا رَبُّكم الأعلى»(١) وحين علم الله هـذا من عبده، وقضاؤه صادر من عنده، ردّه أسفل سافلين؛ بأن جعله مملوءا قَذَرا، مشحونًا نجاسة، وأخرجها على ظاهره إخراجا منكرا، على وجه الاختيار تارة، وعلى وجه الغلبة أخرى، حتى إذا شاهد ذلك من أمره رجع إلى قَدْره. وقرأ عبد الله «أسفل السافلين». وقال: «أَسْفَلَ سَافِلِينَ» على الجمع؛ لأن الإنسان فى معنى جَمْع، ولو قال : أسفل سافل جاز؛ لأن لفظ الإنسـان واحد. وتقول : هذا أفضل قائم. ولا تقول أفضل قائمين؛ لأنك تضمر لواحد فإن كان الواحد غير مضمور له رجع آسمه بالتوحيد والجمع؛ كقوله تعالى : «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»(٢) وقوله تعـالى : «وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَـا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ»(٣). وقد قيل : إن معنى «رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافلين» أى رددناه إلى الضلال؛ كما قال تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَـات» أى إلا هؤلاء فلا يردون إلى ذلك. والآستثناء على قول من قال «أسفل سافلين» : النارَ، متّصل. ومن قال : إنه الهَرَم فهو منقطع.

قوله تعـالى : إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

قوله تعـالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فإنه تكتب لهم حسناتهم، وتُمحى عنهم سيئاتهم؛ قاله آبن عباس. قال: وهم الذين أدركهم الكبر لا يؤاخذون بما عملوه فى كِبَرهم.

---

(١) آية ٢٤ سورة النازعات. (٢) آية ٣٣ سورة الزمر. (٣) آية ٤٨ سورة الشورى.

وروى الضحاك عنه قال : إذا كان العبد في شبابه كثيرَ الصلاة كثيرَ الصيام والصدقة ، ثم ضعف عما كان يعمل في شبابه ، أجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه . وفي الحديث قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " إذا سافر العبد أو مَرِض كَتب الله له مثلَ ما كان يعمل مقيماً صحيحا " . وقيل : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فإنه لا يَخْرَف ولا يهرم، ولا يذهب(1) عقـل من كان عالماً عاملا به . وعن عاصم الأحْوَل عن عكرمة قال : من قرأ القرآن لم يُرَدّ إلى أرذل العمر. ورُوِيَ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " طُوبَى لمن طال عمره وحَسُن عمله " . ورُوِيَ أن العبد المؤمن إذا مات أمر الله مَلَكَيْه(2) أن يتعبّدا على قبره إلى يوم القيامة ويُكتب له ذلك .

قوله تعالى : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قال الضحاك : أجر بغير عمل . وقيل غير مقطوع .

قوله تعالى : فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾

قيل : الخطاب للكافر، توبيخًا وإلزاما للحجة . أي إذا عرفتَ أيها الإنسان أن الله خَلَقك في أحسن تقويم، وأنه يردّك إلى أرذل العمر، ويَنْقُلك من حال إلى حال، فما يحملك على أن تُكذِّب بالبعث والجزاء وقد أخبرك محمد صلى الله عليه وسلم به . وقيل : الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، أي استيقن مع ما جاءك من الله عز وجل أنه أحكم الحاكمين . روى معناه عن قتادة . وقال قتادة أيضا والفراء : المعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدِّين . واختاره الطبري . كأنه قال : فمن يقدر على ذلك ؛ أي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الإنسان والدِّين والجزاء . قال الشاعر :

دِنّا تَمِيمًا كما كانت أوائلنا * دَانَتْ أوائلهم في سالف الزمن

---

(1) في حاشية الجمل نقلا عن القرطبي : «فإنهم لا يخرفون ولا تذهب عقولهم» .

(2) في بعض نسخ الأصل : «ملائكة» وفي بعضها : «ملكين» .

قوله تعالى : أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

أى أتقن الحاكمين صُنْعًا فى كل ما خلق . وقيل : « بأحكم الحاكمين » قضاءً بالحق ، وعَدْلًا بين الخلق . وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم . وألف الاستفهام إذا دخلت على النفى وفى الكلام معنى التوقيف صار إيجابًا ؛ كما قال :

* ألستم خير من ركب المطايا[(١)] *

وقيل : « فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ » منسوخة بآية السيف . وقيل : هى ثابتة ؛ لأنه لا تنافى بينهما . وكان ابن عباس وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما إذا قرأا « أليس الله بأحكم الحاكمين » قالا : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ؛ فيُختار ذلك . والله أعلم . ورواه الترمذى عن أبى هريرة قال : من قرأ سورة « والتّين والزّيتون » فقرأ « أليس الله بأحكم الحاكمين » فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . والله أعلم .

سورة « العلق »

وهى مَكّيةٌ بإجماع ، وهى أوّل ما نزل من القرآن ؛ فى قول أبى موسى وعائشة رضى الله عنهما . وهى تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾

هذه السورة أوّل ما نزل من القرآن ؛ فى قول معظم المفسرين . نزل بها جبريل على النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حِراء ؛ فعلّمه خَمْسَ آيات من هذه السورة . وقيل : إن أوّل ما نزل « يَٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ »[(٢)] قاله جابر بن عبد الله ؛ وقد تقدم . وقيل : فاتحة الكتاب أوّل ما نزل ؛ قاله أبو ميسرة الهَمْدانىّ . وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : أوّل ما نزل من القرآن

---

(١) هو لجرير . وتمامه : * وأندى العالمين بطون راح *

(٢) راجع جـ ١٩ ص ٥٨

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ »[(١)] والصحيح الأول . قالت عائشة : أوّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقةُ[(٢)]؛ فجاءه المَلَكُ فقال : « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ » . خرّجه البخاريّ . وفى الصحيحين عنها قالت : أوّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الوَحْى الرؤيا الصادقةُ فى النوم؛ فكان لا يرَى رُؤْيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَق الصّبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يَخْلُو بغار حِراءٍ يَتَحَنَّثُ[(٣)] فيه الليالى ذوات العدد، [قَبْل أن يرجع إلى أهله][(٤)] و يتزوّد لذلك؛ ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها؛ حتى فَجِئَه الحقُّ وهو فى غار حِراء، فجاءه الملك فقال : " ٱقرأ " : فقال : " ما أنا بقارئ " ــ قال ــ فأخذنى فَغَطَّنِى[(٥)] حتى بَلَغَ منّى الجَهْدَ ثم أرسلنى " فقال " ٱقرأ " فقلت : " ما أنا بقارئ ــ قال ــ فأخذنى فغطّنى الثانيةَ حتى بلغ منّى الجَهْدَ ثم أرسلنى " فقال : " ٱقرأ " فقلت : « ما أنا بقارئ فأخذنى فغطّنى الثالثةَ حتى بلغ منّى الجَهْدَ ثم أرسلنى " فقال : " ٱقرأ باسْم رَبِّكَ الّذى خَلَق . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الّذى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " الحديثَ بكماله . وقال أبو رجاء العُطارِدىّ : وكان أبو موسى الأشعَرىّ يطوف علينا فى هذا المسجد مسجدِ البصرة، فيُقْعِدُنا حِلَقًا فيُقْرِئنا القرآن؛ فكأنّى أنظر إليه بين ثَوْبين له أبْيَضَين ، وعنه أخذتُ هذه السورة : « ٱقرأ بٱسم رَبِّكَ الذى خَلَق » . وكانت أوّلَ سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم . وروَت عائشة رضى الله عنها أنها أول سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعدها « ن والقلم » ثم بعدها « يأَيُّهَا المُدَّثِّر » ثم بعدها « والضُّحَى » ذكره الماوَرْدِىّ . وعن الزُّهْرِىّ : أوّلُ ما نزلت سورة « ٱقرأ بٱسم رَبِّك ــ إلى قوله ــ ما لم يعلم » فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يَعْلُو شواهِقَ الجبال ؛ فأتاه جبريل فقال له : " إنك نَبيُّ الله " فرجع إلى خديجة وقال : " دَثِّرُونى وَصُبُّوا علىّ ماء باردًا " فنزل « يأيها

---

(١) آية ١٥١ سورة الأنعام . (٢) كذا فى الأصول ومسلم . وفى البخارى : « الصالحة » .

(٣) يتحنث : أى يتعبد . يقال : فلان يتحنث؛ أى يفعل فعلا يخرج به من الإثم والحرج

(٤) زيادة عن الصحيحين . (٥) الغط : العصر الشديد والكبس .

المدثر» . ومعنى « ٱقرأ بٱسْم رَبِّك » أى ٱقرأ ما أنزل إليك من القرآن مفتتحًا باسم رَبِّك، وهو أن تذكر التسمية فى ابتداء كل سورة . فمحل الباء من « باسم ربك » النّصب على الحال . وقيل : البـاء بمعنى على ؛ أى ٱقرأ على ٱسم ربك . يقـال : فعل كذا بٱسم الله ، وعلى ٱسم الله . وعلى هذا فالمقروء محذوف ؛ أى ٱقرأ القرآن وافتتحه باسم الله . وقال قوم : ٱسم ربك هو القرآن ؛ فهو يقول « ٱقرأ بٱسم رَبِّك » أى ٱسم ربك، والبـاء زائدة ؛ كقوله تعـالى : « تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ » وكما قال :

* سُودُ المحاجر لا يقرأن بالسُّوَر[1] *

أراد لا يقرأن السُّوَر . وقيل : معنى « اقرأ بٱسم ربك » أى ٱذكر ٱسمه . أمَرَه أن يبتدئ القراءة باسم الله .

قوله تعـالى : خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾

قوله تعـالى : ﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ ﴾ يعنى ٱبن آدم . ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾ أى من دَمٍ ؛ جمع عَلَقة، والعلقة الدّم الجامد ؛ وإذا جرى فهو المسفوح . وقال : « من علق » فذكّره بلفظ الجمع ؛ لأنه أراد بالإنسان الجمع ، وكلهم خُلقوا من عَلَق بعد النُّطْفة . والعَلَقة قطعةٌ من دَمٍ رَطْب ؛ سُمّيت بذلك لأنها تَعْلَق لرطوبتها بما تَمُرّ عليه ، فإذا جَفّت لم تكن عَلَقة . قال الشاعر :

تركناه يَخِرّ على يَدَيْه * يَمُجّ عليهما عَلَق الوَتِين

وخَصّ الإنسان بالذّكر تشريفًا له . وقيل : أراد أن يبين قَدْرَ نعمته عليه بأن خلقه من عَلَقة مَهِينة حتى صار بشرًا سَوِيًّا ، وعاقلاً مميِّزًا

قوله تعـالى : ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾

قوله تعـالى : ﴿ اقْرَأْ ﴾ تأكيد، وتَمّ الكلام ؛ ثم استـأنف فقال : ﴿ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ أى الكريم . وقال الـكلبىّ : يعنى الحليم عن جَهْل العباد فلم يَعْجَل بعقوبتهم . والأوّل أشبه

(١) هذا عجز بيت للراعى، وصدره : * هنّ الحرائر لا ربات أخمرة *

بالمعنى ؛ لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه دلّ بها على كرمه . وقيل : « اقرأ وربك» أى اقرأ يا محمد وربك يعينك ويفهمك وإن كنت غير القارئ . و « الأكرم » بمعنى المتجاوز عن جهل العباد .

قوله تعالى : ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ يعنى الخط والكتابة ؛ أى علّم الإنسان الخط بالقلم . وروى سعيد عن قتادة قال : القلم نعمة من الله تعالى عظيمة ، لولا ذلك لم يَقُم دِين، ولم يَصْلُح عَيْش . فدلّ على كمال كرمه سبحانه بأنه علّم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ونبّه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو . وما دُوِّنت العلوم ولا قُيِّدت الحِكَم ، ولا ضُبطت أخبارُ الأوّلين ومقالاتُهم ولا كتبُ الله المنزَّلة إلا بالكتابة ؛ ولولا هى ما استقامت أمور الدِّين والدنيا . وسُمِّى قَلمًا لأنه يُقلم؛ أى يُقْطَع، ومنه تقليم الظّفر . وقال بعض الشعراء المُحْدَثين يصف القلم :

فكأنّه والحِبْرُ يَخضب رأسه * شيْخٌ لوصل خَريدة يتصنّعُ
لِمَ لا ألاحظه بعين جلالة * وبه إلى الله الصحائف ترفع

وعن عبد الله بن عمر قال : يا رسول الله ، أأكتب ما أسمع منك من الحديث ؟ قال : "نعم فاكتب فإن الله علّم بالقلم". وروى مجاهد عن ابن عمر قال : خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الحيوان كن فكان : القلم والعرش وجنّة عَدْن وآدم عليه السلام . وفيمن علمه بالقلم ثلاثةُ أقاويل : أحدها ــ أنه آدم عليه السلام ؛ لأنه أوّلُ من كتب ؛ قاله كعب الأحبار . الثانى ــ أنه إدريس؛ وهو أول من كتب؛ قاله الضّحاك . الثالث : أنه أدخل كلّ من كتب بالقلم؛ لأنه ما علم إلا بتعليم الله سبحانه . وجمع بذلك نعمته عليه فى خلقه، وبين نعمته عليه فى تعليمه؛ استكمالا للنعمة عليه .

الثانيــة ـ صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال: لما خلق الله الخلق كتب في كتابه ـ فهو عنده فوق العرش ـ : «إن رحمتي تغلب غضبي». وثبت عنه عليه السلام أنه قال: "أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة فهو عنده في الذكر فوق عرشه". وفي الصحيح من حديث ابن مسعود سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصوّرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول يا ربّ أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا ربّ أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا ربّ رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص وقال تعالى «إنّ عليكم لحافظين. كراما كاتبين» (١)".

قال علماؤنا: فالأقلام في الأصل ثلاثة: القلم الأول ـ الذي خلقه الله بيده وأمره أن يكتب. والقلم الثاني ـ أقلام الملائكة جعلها الله بأيديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والأعمال. والقلم الثالث ـ أقلام الناس جعلها الله بأيديهم يكتبون بها كلامهم، ويصلون بها مآربهم. وفي الكتابة فضائل جمّة. والكتابة من جملة البيان، والبيان مما اختص به الآدمي.

الثالثــة ـ قال علماؤنا: كانت العرب أقلّ الخلق معرفة بالكتاب، وأقلّ العرب معرفة به المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ صُرف عن علمه ليكون ذلك أثبت لمعجزته وأقوى في حجته. وقد مضى هذا مبيّنا في سورة «العنكبوت» (٢). وروى حماد بن سلمة عن الزبير ابن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله الفهري عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُسكنوا نساءكم الغُرف ولا تعلموهن الكتابة". قال علماؤنا: وإنما حذّرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ذلك لأن في إسكانهن الغُرف تطلّعا إلى الرجال؛ وليس في ذلك تحصين لهنّ ولا تستّر. وذلك أنهنّ لا يملكن أنفسهنّ حتى يشرفن على الرجال؛ فتحدث الفتنة والبلاء؛ فحذّرهم أن يجعلوا لهنّ غُرفا؛ ذريعةً إلى الفتنة. وهو كما قال رسول الله

(١) آية ١٠ سورة الانفطار. (٢) راجع جـ ١٣ ص ٣٥١

صلى الله عليه وسلم : "ليس للنساء خير لهنّ من ألا يراهنّ الرجال ولا يَرَيْنَ الرجال" . وذلك أنها خلقت من الرجل فنَهْمَتُها فى الرجل ، والرجل خلقت فيه الشهوة ، وجُعلت سَكَنًا له ، فغير مأمون كل واحد منهما فى صاحبه . وكذلك تعليم الكتابة رُبّما كانت سببًا للفتنة . وذلك إذا عُلّمت الكتابة كتبت إلى من تَهْوَى . والكتابة عَيْنٌ من العيون بها يبصر الشاهد الغائب ، والخط هو آثار يده . وفى ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان ، فهو أبلغ من اللسان . فأحبّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ينقطع عنهنّ أسباب الفتنة ؛ تحصينًا لهنّ وطهارة لقلوبهنّ .

قوله تعالى : عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قيل : «الإنسان» هنا آدمُ عليه السلام . علّمه أسماء كلّ شيء ؛ حسب ما جاء به القرآن فى قوله تعالى : « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا »(١) . فلم يبق شيء إلا وعلّم سبحانه آدم آسمه بكل لغة ، وذكره آدمُ للملائكة كما علمه . وبذلك ظهر فضله ، وتبين قدره ، وثبتت نبوّته ، وقامت حُجة الله على الملائكة وحُجّته ، وآمتثلت الملائكة الأمر لما رأت من شرف الحال ، ورأت من جلال القدرة ، وسمعت من عظيم الأمر . ثم توارثت ذلك ذُرّيته خَلَفًا بعد سلف ، وتناقلوه قومًا عن قوم . وقد مضى هذا فى سورة « البقرة »(٢) مستوفى والحمد لله . وقيل : « الإنسان » هنا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؛ دليله قوله تعالى : « وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ »(٣) . وعلى هذا فالمراد بـ « عَلَّمَكَ »(٤) المستقبل ؛ فإن هذا من أوائل ما نزل . وقيل : هو عام لقوله تعالى : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا »(٥) .

قوله تعالى : كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾ إلى آخر السورة . قيل : إنه نزل

(١) آية ٣١ سورة البقرة . (٢) راجع جـ ١ ص ٢٧٩ طبعة ثانية . (٣) آية ١١٣ سورة النساء .
(٤) فى نسخة : المشكل . (٥) آية ٧٨ سورة النحل .

فى أبى جهــل . وقيل : نزلت السورة كلها فى أبى جهــل ؛ نهى النبيّ صلى الله عليــه وسلم عن الصلاة ؛ فأمر الله نبيّه صــلى الله عليه وسلم أن يصــلّى فى المسجد ويقــرأ باسم الرب . وعلى هــذا فليست الســورة من أوائل ما نزل . ويجــوز أن يكون خمسُ آيات من أوّلها أوّل ما نزلت ، ثم نزلت البقية فى شأن أبى جهل، وأمر النبيّ صلى الله عليــه وسلم بضم ذلك إلى أوّل السورة؛ لأن تأليف السُّوَر جَرَى بأمر من الله . ألا ترى أن قوله تعالى : « وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيــهِ إِلَى ٱللَّهِ »(١) آخِرُ ما نزل ، ثم هو مضموم إلى ما نزل قبــله بزمان طويل . و « كَلَّا » بمعنى حَقًّا؛ إذ ليس قبله شيء . والإنسان هنا أبو جهل . والطغيان مجاوزة الحد فى العصيان . ﴿أَن رَّآهُ﴾ أى لأن رأى نفســه آستغنى ؛ أى صار ذا مال وثروة . وقال آبن عباس فى رواية أبى صالح عنــه قال : لمــا نزلت هــذه الآية وسمع بها المشركون أتاه أبو جهل فقال : يا محمد تزعم أنه من آستغنى طغى؛ فآجعل لنا جبال مكة ذهبًا لعلّنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك . قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال : "يامحمد خيّرهم فى ذلك فإن شاءوا فعلنا بهــم ما أرادوه فإن لم يُسلموا فعلنا بهــم كما فعلنا بأصحاب المــائدة" . فعلِم رسول الله صلى الله عليه وســلم أن القوم لا يقبلون(٢) ذلك ؛ فكفّ عنهم إبقاء عليهم . وقيل : « أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ » بالعشيرة والأنصار والأعوان . وحذف اللام من قوله « أَن رَّآهُ » كما يقال : إنكم لَتطْغَوْن إن رأيتم غناكم . وقال الفراء : لم يقل رأى نفســه كما قيل قتــل نفسه ؛ لأن رأى من الأفعال التى تريد آسمًا وخبرا نحو الظن والحسبان، فلا يقتصر فيــه على مفعول واحد . والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول : رأيتنى وحسبتنى، ومتى تراك خارجا ، ومتى تظنك خارجا . وقرأ مجاهد وحميــد وقُنْبُل عن آبن كثير « أن رأه آستغنى » بقصر الهمزة . الباقون « رآه » بمدّها، وهو الآختيار .

---

(١) آية ٢٨١ سورة البقرة .

(٢) فى نسخة من الأصل : « يقبلون » .

قوله تعالى : إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾

أى مرجع مَنْ هـذا وَصْفُه فنجازيه . والرجعى والمرجِـع والرجوع مصادر ؛ يقال : رجع إليه رجوعا ومرجِعا، ورُجعى، على وزن فُعلى .

قوله تعالى : أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾

قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى ﴾ وهو أبو جهل ﴿ عَبْـدًا ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم . فإن أبا جهل قال : إن رأيت محمدا يصلّى لأطأنّ على عنقه ؛ قاله أبو هريرة . فأنزل الله هذه الآيات تَعَجُّباً[1] منـه . وقيل : فى الكلام حذف ؛ والمعنى : أمِنَ هـذا الناهى عن الصلاة من العقوبة .

قوله تعالى : أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾

أى أرأيت يا أبا جهـل إن كان محمد على هذه الصفة ، أليس ناهيه عن التقوى والصلاة هالـكا ؟ !

قوله تعالى : أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

يعنى أبا جهل كَذّب بكتاب الله عز وجل، وأعرض عن الإيمان . وقال الفَرّاء: المعنى « أرأيت الذى يَنْهَى . عَبْـدًا إذا صَلّى » وهـو على الهُدَى وآمر بالتقوى ، والناهى مكذب مُتَوَلٍّ عن الذكر ؛ أى فمـا أعجب هذا ! ثم يقول : وَيْلَه ! ألم يعلم أبو جهل بأن الله يرى ؛ أى يراه و يعـلم فعله ؛ فهو تقـرير وتوبيخ . وقيل : كلّ واحد من « أرأيت » بدل من الأول . و « أَلَمْ يَعْلَمْ بأنّ اللهَ يَرَى » الخبر .

قوله تعالى : كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

---

(١) أى تعجبا منه ، وهو إيقاع المخاطب وحمله على التعجب (عن حاشية الجمل) .

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ﴾ أى أبو جهل عن أذاك يا محمد . ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ أى لنأخذن ﴿ بِالنَّاصِيَةِ ﴾ فلنذلنه . وقيل : لنأخذن بناصيته يوم القيامة ، وتطوى مع قدميه ويطرح فى النار ، كما قال تعالى : « فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ »(١) . فالآية وإن كانت فى أبى جهل فهى عظةٌ للناس ، وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة . وأهل اللغة يقولون : سَفَعْتُ بالشيء إذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا . ويقال : سفع بناصية فرسه . قال :

قَومٌ إذا كَثُرَ الصياحُ رأيتهم * من بين مُلْجِم مُهْرِه أو سافِعِ(٢)

وقيل : هو مأخوذ من سَفَعَتْه النار والشمس إذا غيّرت وجهه إلى حال تَسْوِيد ، كما قال :

أثافِيَّ سُفْعًا فى مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ * ونُؤْىٌ كجِذْمِ الحَوْضِ أثْلَمُ خاشِعُ(٣)

والناصية : شعر مقدّم الرأس . وقد يعبّر بها عن جملة الإنسان ، كما يقال : هذه ناصية مباركة ؛ إشارة إلى جميع الإنسان . وخصّ الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله وإهانته أخذوا بناصيته . وقال المبرّد : السَّفع الجذب بشدّة ؛ أى لنجرّن بناصيته إلى النار . وقيل : السّفع الضرب ؛ أى لنلطمنّ وجهه . وكله متقارب المعنى . أى يجمع عليه الضرب عند الأخذ ، ثم يجرّ إلى جهنم . ثم قال على البدل : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾

---

(١) آية ٤١ سورة الرحمن . (٢) البيت لحميد بن ثور الهلالى الصحابى . و يروى : * ما بين ملجم ... *

(٣) هكذا ورد البيت فى جميع نسخ الأصل وتفسير ابن عادل وهو ملفق من قصيدتين . فالشطر الأول من معلقة زهير . والبيت كما فى ديوانه ومعلقته :

أثافى سفعا فى معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلّم

والشطر الثانى من قصيدة للنابغة ، والبيت كما فى ديوانه :

رماد ككحل العين لأيا أبينه * ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع

والأثلم : المنثلم . والخاشع : اللاصق بالأرض . والأثافى : الحجارة التى تجعل عليها القدر ؛ الواحدة أثفية . والسفع : السود . والمعرّس : الموضع الذى فيه المرجل . والمرجل : كل قدر يطبخ فيها من حجارة أو حديد أو خزف أو نحاس . النؤى : حاجز يرفع حول البيت من تراب لئلا يدخل البيت الماء من خارج . وجذم الحوض : حرفه وأصله . ولم يتثلم : يعنى النؤى قد ذهب أعلاه ولم يتثلم ما بقى منه .

أى ناصية أبى جهل كاذبة فى قولها ، خاطئة فى فعلها . والخاطئ معاقب مأخوذ . والمخطئ غير مأخوذ[1] . ووَصْفُ الناصية بالكاذبة الخاطئة كوَصْف الوجوه بالنظر فى قوله تعالى : « إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ »[2] . وقيل : أى صاحبها كاذب خاطئ ؛ كما يقال : نهارُه صائم ، وليلُه قائم ؛ أى هو صائم فى نهاره، قائم فى ليله .

قوله تعالى : فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾

قوله تعالى : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أى أهل مجلسه وعشيرته فليستنصر بهم . ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ أى الملائكة الغلاظ الشداد ـــ عن ابن عباس وغيره ـــ واحدهم زِبْنِيّ ؛ قاله الكسائى . وقال الأخفش : زابن . أبو عبيدة : زِبْنِيَة . وقيل : زَبَانِيّ . وقيل : هو اسم للجمع ؛ كالأبابيل والعباديد. وقال قتادة : هم الشُّرَط فى كلام العرب . وهو مأخوذ من الزَّبْن وهو الدفع ؛ ومنه المُزابنة فى البيع[3] . وقيل : إنما سُمُّوا الزبانية لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم ؛ حكاه أبو الليث السَّمَرْقَنْدِيّ ـــ رحمه الله ـــ قال : ورُوِيَ فى الخبر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ إلى قوله تعالى : «لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ» قال أبو جهل : أنا أدعُو قومى حتى يمنعوا عنى رَبَّك . فقال الله تعالى : «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ» فلما سمع ذِكر الزبانية رجع فَزِعًا ؛ فقيل له : خشيت منه ! قال : لا ! ولكن رأيت عنده فارسًا فهدّدنى بالزبانية ، فما أدرى ما الزبانية ، ومال إلىّ الفارس فخشيتُ منه أن يأكلنى . وفى الأخبار أن الزبانية رءوسهم فى السماء وأرجلهم فى الأرض، فهم يدفعون الكفار فى جهنم . وقيل : إنهم أعظم الملائكة خَلْقًا ، وأشدّهم بَطْشًا . والعرب تُطلق هذا الاسم على من اشتدّ بطشه . قال الشاعر :

مطاعيم فى القصوى مطاعين فى الوغى * زبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حُلومُها[4]

---

(١) الخاطئ : من تعمد لما لا ينبغى ؛ أى القاصد للذنب . والمخطئ : من أراد الصواب فصار إلى غيره .

(٢) آية ٢٣ سورة القيامة . (٣) هى بيع الرطب فى رءوس النخل بالتمر ؛ ونهى عنها لما يقع فيها من الغبن والجهالة . (٤) غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة ، والعرب تصف السادة بغلظ الرقبة وطولها . والحلوم : جمع الحلم وهو العقل .

وعن عكرمة عن ٱبن عباس : « سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » قال : قال أبو جهل لئن رأيتُ محمدًا يصلي لأطأن على عنقه . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " لو فعل لأخذته الملائكة عِيانا " .
قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وروى عكرمة عن ابن عباس قال : مَرّ أبو جهل على النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المَقام فقال : ألم أنهك عن هذا يا محمد! فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال أبو جهل : بأيّ شيء تهددني يا محمد! والله إني لأكثر أهلِ الوادي هذا ناديًا ؛ فأنزل الله عز وجل : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ » . قال ٱبن عباس : والله لو دَعَا ناديَه لأخذته زبانية العذاب من ساعته . أخرجه الترمذي بمعناه، وقال : حسن غريب صحيح . والنادي في كلام العرب : المجلس الذي يَنْتَدِي فيه القومُ ؛ أي يجتمعون، والمراد أهلُ النادي، كما قال جرير :

* لهم مجلسٌ صُهْبُ السِّبالِ أذِلَّةٌ (١) *

وقال زهير :

* وفيهم مَقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُم (٢) *

وقال آخر :

* وٱستَبَّ بعدك يا كُلَيْبُ المجلسُ (٣) *

وقد ناديتُ الرجل أناديه إذا جالسته . قال زهير :

وجارُ البيتِ والرجلُ المنادِي * أمامَ الحيِّ عَقْدُهما سَواءُ

---

(١) تمامه : * سواسية أحرارها وعبيدها *
والبيت لذي الرّمة لا لجرير . و « صهب » : حمر . و « السبال » : الشعر الذي عن يمين الشفة العليا وشمالها .

(٢) تمام البيت : * وأندية ينتابها القول والفعل *
المقامات : المجالس ؛ وإنما سميت المقامات لأن الرجل كان يقوم في المجلس فيحض على الخير ويصلح بين الناس . وأندية : جمع الندي وهو المجلس أيضا ؛ وفيه الشاهد .

(٣) هذا عجز بيت لمهلهل يرثي أخاه كليبا . وصدره :
* نبئت أن النار بعدك أوقدت *

قوله تعالى : كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾

﴿ كَلَّا ﴾ أى ليس الأمر على ما يظنه أبو جهل . ﴿ لَا تُطِعْهُ ﴾ أى فيما دعاك إليه من ترك الصلاة . ﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ أى صلّ لله . ﴿ وَٱقْتَرِبْ ﴾ أى تقرّب إلى الله جلّ ثناؤه بالطاعة والعبادة . وقيل : المعنى إذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء . روى عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أقربُ ما يكون العبدُ من ربّه وأحبُّه إليه ما كانت جبهتُه فى الأرض ساجدا لله " .

قال علماؤنا : وإنما [كان] ذلك لأنها نهاية العبودية والذّلة ، ولله غايةُ العِزّة ، وله العزة التى لا مقدار لها ؛ فكلما بَعُدْتَ من صفته قَرُبْتَ من جنّته ، ودنوت من جواره فى داره . وفى الحديث الصحيح أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " أمّا الركوع فعظّموا فيه الربّ . وأما السجودُ فاجتهدوا فى الدعاء فإنه قَمِنٌ(1) أن يُستجاب لكم " . ولقد أحسن من قال :

وإذا تذلّلتِ الرقابُ تواضعًا * منّا إليك فعزُّها فى ذُلّها

وقال زيد بن أسلم : اسجد أنت يا محمد مُصَلّيًا ، واقترب أنت يا أبا جهل من النار .

قوله تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ ﴾ هذا من السجود . يحتمل أن يكون بمعنى السجود فى الصلاة ، ويحتمل أن يكون سجود التلاوة فى هذه السورة . قال ابن العربى : «والظاهر أنه سجود الصلاة ؛ لقوله تعالى : «أَرَأَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ . ــ إلى قوله ــ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ» لولا ما ثبت فى الصحيح من رواية مسلم وغيره من الأئمة عن أبى هريرة أنه قال : سجدتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى « إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ » وفى « ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ » سجدتين ، فكان هذا نصًّا على أن المراد سجود التلاوة . وقد روى ابن وَهب عن حماد ابن زيد عن عاصم بن بَهْدَلة عن زِرّ بن حُبَيش عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال : عزائم السجود أربع : « الم » و « حم . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم » و « النجم » و « اقرأ

---

(1) يقال : قَمَن وقَمِن بفتح الميم وكسرها والذى بالكسر يثنى ويجمع كقمين ؛ أى خليق وجدير .

باسم ربك » . وقال ابن العربي : « وهذا إن صح يلزم عليه السجود الثاني من سورة « الحج » وإن كان مقترنا بالركوع ؛ لأنه يكون معناه اركعوا في موضع الركوع ، واسجدوا في موضع السجود» . وقد قال ابن نافع ومُطَرِّف : وكان مالك يسجد في خاصّة نفسه بخاتمة هذه السورة من « اقرأ باسم رَبّك » ، وابن وهب يراها من العزائم .

قلت : وقد رَوَيْنا من حديث مالك بن أنس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر قال : لما أنزل الله تعالى « اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ » قال رسول الله صلى عليه وسلم لمعاذ : " اكتبها يا معاذ " فأخذ معاذ اللوح والقلم والنُّون — وهي الدواة — فكتبها معاذ ؛ فلما بلغ « كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » سجد اللَّوح وسجد القلم وسجدت النون وهم يقولون : اللَّهُمّ ارفع به ذِكْرًا ، اللهم احطط به وِزْرًا ، اللَّهُمّ اغفر به ذنبًا . قال معاذ : سجدتُ ، وأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد .

ختمت السورة . والحمد لله على ما فتح ومنح وأعطى . وله الحمد والمنة .

سورة « القدر »

وهي مَدَنِيّة في قول أكثر المفسرين ؛ ذكره الثعلبي . وحكى المَاوَرْدِيّ عكسه .

قلت : وهي مدنية في قول الضحاك وأحد قولى ابن عباس . وذكر الواقِدِيّ أنها أول سورة نزلت بالمدينة . وهي خمس آيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ يعنى القرآن وإن لم يَجْرِله ذِكْرٌ في هذه السورة ؛ لأن المعنى معلوم ، والقرآن كله كالسورة الواحدة . وقد قال : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ »(١) وقال : « حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ »(٢) يريد في ليلة القدر . وقال

(١) آية ١٨٥ سورة البقرة . (٢) أول سورة الدخان .

الشَّعْبِي : المعنى إنا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر . وقيل : بل نزل به جبريل عليه السلام جُمْلَةً واحدة فى ليلة القدر من اللَّوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى بيت العزّة، وأملاه جبريل على السَّفَرة(١) ثم كان جبريل ينزله على النبيّ صلى الله عليه وسلم نُجُوماً نجوماً(٢) . وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة؛ قاله ابن عباس، وقد تقدّم فى سورة « البقرة »(٣) . وحكى الماوَرْدِيّ عن ابن عباس قال : نزل القرآن فى شهر رمضان ، وفى ليلة القدر ، فى ليلة مباركة جملةً واحدةً من عند الله، من اللَّوح المحفوظ إلى السَّفَرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا؛ فنجّمته السَّفَرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ، ونجّمه جبريل على النبيّ صلى الله عليه وسلم عشرين سنة . قال ابن العربى : «وهذا باطل؛ ليس بين جبريل وبين الله واسطة ، ولا بين جبريل ومحمد عليهما السلام واسطة» .

قوله تعالى : ﴿ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ قال مجاهد : فى ليلة الحكم . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ قال : ليلة الحكم . والمعنى ليلة التقدير؛ سُمِّيت بذلك لأن الله تعالى يقدّر(٤) فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة ؛ من أمر الموت والأجل والرزق وغيره . ويسلمه إلى مدبرات الأمور ، وهم أربعة من الملائكة : إسرافيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وجبريل؛ عليهم السلام . وعن ابن عباس قال : يكتب من أم الكتاب ما يكون فى السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتى الحاجّ . قال عكرمة : يُكتب حاجّ بيت الله تعالى فى ليلة القدر بأسمائهم وأسماء آبائهم، ما يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم . وقاله سعيد بن جُبير . وقد مضى فى أوّل سورة « الدخان »(٥) هذا المعنى . وعن ابن عباس أيضا : أن الله تعالى يقضى الأقضية فى ليلة نصف شعبان ، ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر . وقيل : إنما سُمِّيت بذلك لعِظَمِها وقَدْرها وشرفها؛ من قولهم : لفلان قدر؛ أى شرف ومنزلة. قاله الزُّهْرِيّ وغيره. وقيل : سُمِّيت بذلك لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثواباً جزيلا . وقال أبو بكر الوراق :

---

(١) السفرة : هم الملائكة ؛ جمع سافر ، والسافر فى الأصل الكاتب ؛ سمى به لأنه يبين الشىء ويوضحه .
(٢) يعنى جزءا جزءا ، الآية والآيتين . (٣) راجع جـ ٢ ص ٢٩٧ طبعة ثانية .
(٤) يريد أنه يظهر ما قضاه فى الأزل من الأمور ، لا أنه يقدر ابتداء . (٥) راجع جـ ١٦ ص ١٢٥

سُمِّيت بذلك لأن من لم يكن له قدر ولا خَطَر يصير فى هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها . وقيل : سُمِّيت بذلك لأنه أنزل فيها كتابا ذا قدر، على رسول ذى قدر، على أمة ذات قدر . وقيل : لأنه ينزل فيها ملائكة ذوو قدر وخطر . وقيل : لأن الله تعالى ينزِّل فيها الخير والبركة والمغفرة . وقال سَهْل : سُمِّيت بذلك لأن الله تعالى قدر فيها الرحمة على المؤمنين . وقال الخليل : لأنَّ الأرض تضيق فيها بالملائكة ؛ كقوله تعالى : « وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ »(1) أى ضُيِّق .

قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾

قال الفراء : كل ما فى القرآن من قوله تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ » فقد أدراه . وما كان من قوله : « وما يدريك » فلم يُدْرِه . وقاله سفيان ، وقد تقدم(2) . ﴿ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ بيّن فضلها وعظمها . وفضيلةُ الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل . وفى تلك الليلة يُقْسَم الخيرُ الكثير الذى لا يوجد مثله فى ألف شهر . والله أعلم . وقال كثير من المفسرين : أى العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . وقال أبو العالية : ليلة القدر خير من ألف شهر لا تكون فيه ليلة القدر . وقيل : عنى بألف شهر جميع الدهر ؛ لأن العرب تَذْكُر الألف فى غاية الأشياء ؛ كما قال تعالى : « يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ »(3) يعنى جميع الدهر . وقيل : إن العابد كان فيما مضى لا يُسَمَّى عابدا حتى يعبد الله ألف شهر، ثلاثا وثمانين سنة وأربعة أشهر ؛ فجعل الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة ليلة خيرا من ألف شهر كانوا يعبدونها . وقال أبو بكر الوراق : كان مُلْك سليمان خمسمائة شهر، ومُلْك ذى القرنين خمسمائة شهر فصار ملكهما ألفَ شهر؛ فجعل الله تعالى العمل فى هذه الليلة لمن أدركها خيرا من مُلْكهما . وقال ابن مسعود : إن النبىّ صلى الله

---

(1) آية ٧ سورة الطلاق . (2) راجع جـ ١٨ ص ٢٥٧ وجـ ١٩ ص ٢٤٧ وص ٣ من هذا الجزء .
(3) آية ٩٦ سورة البقرة .

عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر؛ فعجب المسلمون من ذلك؛ فنزلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» الآية «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» التى لبس فيها الرجل سلاحه فى سبيل الله . ونحوه عن ابن عباس . وَهْبُ بن مُنَبِّه : إن ذلك الرجل كان مسلما، وإن أمه جعلته نذرا لله ، وكان من قرية قوم يعبدون الأصنام ، وكان سكن قريبا منها ؛ فجعل يغزوهم وحده ويَقتل ويَسْبِي ويجاهد، وكان لا يلقاهم إلا بِلَحْيَيْ بعير، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه وَعطِش انفجر له من اللَّحْيين[1] ماء عذب فيشرب منه ،وكان قد أُعْطِى قوة فى البطش لا يوجعه حديد ولا غيره، وكان اسمه شمسون . وقال كعب الأحبار : كان رجلا مَلِكًا فى بنى إسرائيل فعل خَصلة واحدة فأوحى الله إلى نبىّ زمانهم قل لفلان يتمنّى . فقال : يا رَبّ أتمنّى أن أجاهد بمالى وولدى ونفسى ؛ فرزقه الله ألف ولد ، فكان يجهز الولد بماله فى عسكره ويُخرجه مجاهدا فى سبيل الله ، فيقوم شهرا ويُقتل ذلك الولدُ ، ثم يجهز آخر فى عسكر ، فكان كلُّ ولد يُقتل فى الشهر ، والمَلِك مع ذلك قائم اللَّيل صائمُ النهار ؛ فقُتِل الألفُ[2] ولد فى ألف شهر ، ثم تقدم فقاتل فقُتِل . فقال الناس : لا أحدَ يُدرك منزلة هذا الملك ؛ فأنزل الله تعالى : «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» من شهور ذلك الملك فى القيام والصيام والجهاد بالمال والنفس والأولاد فى سبيل الله . وقال علىّ وعُرْوَة : ذَكَر النبىُّ صلى الله عليه وسلم أربعةً من بنى إسرائيل فقال "عبدوا الله ثمانين سنة لم يَعْصُوه طَرْفَةَ عَيْنٍ" ؛ فذَكَرَ أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون ؛ فعجب أصحابُ النبىّ صلى الله عليه وسلم من ذلك . فأتاه جبريل فقال : يا محمد عَجِبَتْ أُمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنةً لم يَعْصُوا الله طرفة عَين ، فقد أنزل الله عليك خيرًا من ذلك؛ ثم قرأ « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ » . فسُرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مالك فى المُوَطَّأ من رواية ابن القاسم وغيره : سمعت

(١) اللحى (بفتح اللام وتشديدها وسكون الحاء) : عظم الحنك ، وهو الذى عليه الأسنان . وعبارة الطبرى فى تاريخه (طبع أوربا قسم أول ص ٧٩٤) : «وكان إذا لقيهم لقيهم بلحى بعير ، لا يلقاهم بغيره ؛ فاذا قاتلوه وقاتلهم ، وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذى فى اللحى ماء عذب ... الخ» . بأفراد « لحى » فى الموضعين .

(٢) كذا فى الأصل ، والمعروف فى العربية أن البصريين قالوا : ما كان من العدد مضافا أدخل الألف واللام فى آخره فقط ، وأجاز الكوفيون إدخال الألف واللام على الأول والثانى وعلى ذلك فيقال هنا : ألف الولد أو الألف الولد .

من أثق به يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري أعمار الأمم قبله فكأنه تقاصر أعمار أمته ألّا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر؛ فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيرا من ألف شهر. وفى الترمذىّ عن الحسن بن علىّ رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُرِيَ بنى أميّة على منبره فساءه ذلك؛ فنزلت «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» يعنى نهرًا فى الجنة. ونزلت «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» يملكها بعدك بنو أمية. قال القاسم بن الفضل الحُدّانى: فعددناها فإذا هى ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما. قال: حديث غريب.

قوله تعالى: تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أى تهبط من كل سماء، ومن سِدْرة المُنْتَهى؛ ومسكنُ جبريل على وسطها. فينزلون إلى الأرض ويؤمّنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر؛ فذلك قوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ». ﴿وَالرُّوحُ﴾ أى جبريل عليه السلام. وحكى القُشَيْرىّ: أن الرُّوح صِنف من الملائكة، جُعلوا حَفَظة على سائرهم، وأن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة. وقال مقاتل: هم أشرف الملائكة وأقربهم من الله تعالى. وقيل: إنهم جُنْدٌ من جُنْد الله عز وجل من غير الملائكة. رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعا؛ ذكره الماوَرْدىّ. وحكى القُشَيْرىّ: قيل هم صِنف من خلق الله يأكلون الطعام، ولهم أيدٍ وأرجل؛ وليسوا ملائكة. وقيل: «الروح» خَلْقٌ عظيم يقوم صفًّا، والملائكة كلُّهم صفًّا. وقيل: «الروح» الرحمة ينزل بها جبريل عليه السلام مع الملائكة فى هذه الليلة على أهلها؛ دليله: «يُنَزِّلُ الملائكةَ بالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»[(١)] أى بالرحمة. ﴿فِيهَا﴾ أى فى ليلة القدر. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أى بأمره. ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أى بكل أمرٍ قدّره الله وقضاه فى تلك السّنة إلى قابل؛ قاله ابن عباس؛ كقوله تعالى: «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ»[(٢)] أى بأمر الله. وقراءة العامة «تَنَزَّل» بفتح التاء؛ إلا أن البَزّى

(١) آية ٢ سورة النحل. (٢) آية ١١ سورة الرعد.

شدّد التاء . وقرأ طلحة بن مُصَرِّف وابن السَّمَيْقَع بضم التاء على الفعل المجهول . وقرأ علىّ وابن عباس وعِكْرِمة والكَلْبي « مِنْ كُلِّ آمرئ » . وروى عن ابن عباس أن معناه : من كل مَلَك ، وتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل آمرئ مسلم . فـ « مِن » بمعنى على . وعن أنس قال قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "إذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كَبْكَبة[1] من الملائكة يُصلُّون و يُسَلِّمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى".

قوله تعالى : سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

قيل : إن تمام الكلام « مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » ثم قال « سَلَامٌ » رُوِىَ ذلك عن نافع وغيره ؛ أى ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شرّ فيها . ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أى إلى طلوع الفجر . قال الضحاك : لا يقدّر الله فى تلك الليلة إلا السلامة ، وفى سائر الليالى يقضى بالبلايا والسلامة . وقيل : أى هى سلام ؛ أى ذات سلامة من أن يؤثّر فيها شيطان فى مؤمن ومؤمنة . وكذا قال مجاهد : هى ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أذًى . وروى مرفوعا . وقال الشعبي : هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر ؛ يمرون على كل مؤمن ويقولون : السلام عليك أيها المؤمن . وقيل : يعنى سلام الملائكة بعضهم على بعض فيها . وقال قتادة : « سلام هى » خير هى . « حتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » أى إلى مطلع الفجر . وقرأ الكسائى وابن مُحَيْصِن « مَطْلِع » بكسر اللام ، الباقون بالفتح . والفتح والكسر لغتان فى المصدر . والفتح الأصل فى فَعَل يَفعُل ؛ نحو المقتل والمخرج . والكسر على أنه مما شذّ عن قياسه ؛ نحو المَشْرِق والمَغْرِب والمَنْبِت والمَسْكِن والمَنْسِك والمَحْشِر والمَسْقِط والمجزِر . حُكِى فى ذلك كله الفتحُ والكسر ؛ على أن يراد به المصدر لا الاسم .

وهنا ثلاث مسائل :

الأولى ـ فى تعيين ليلة القدر ، وقد اختلف العلماء فى ذلك . والذى عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين ؛ لحديث زِرّ بن حُبَيْش قال قلت لأُبَىّ بن كعب : إن أخاك عبد الله

(١) الكبكبة (بالفتح) : الجماعة المتضامة من الناس وغيرهم .

آبن مسعود يقول : مَن يَقُم الحَوْل يُصب ليلة القدر . فقال : يَغْفر الله لأبى عبد الرحمن ! لقد عَلِم أنها فى العشر الأواخر من رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين ؛ ولكنه أراد ألّا يتكل النـاس ؛ ثم حَلَف لا يستثنى (١) أنها ليـلة سبع وعشرين . قال قلت : بأىّ شىء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال : بالآية التى أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أو بالعلامة أن الشمس تطلع يومئذ لا شُعاع لها . قال الترمذى : حديث حسن صحيح . وخرّجه مسلم . وقيل : هى فى شهر رمضان دون سائر العام؛ قاله أبو هريرة وغيره . وقيل : هى فى ليالى السنة كلها . فمن عَلّق طلاق آمرأته أو عِتق عبده بليلة القدر لم يقع العِتق والطلاق إلا بعد مُضى سنة من يوم حَلَف . لأنه لا يجوز إيقاع الطلاق بالشـك ولم يثبت اختصاصها بوقت؛ فلا ينبغى وقوع الطلاق إلا بمضى حول ، وكذلك العتق؛ وما كان مِثله من يمين أو غيره . وقال آبن مسعود : مَن يَقُم الحَوْل يُصبها؛ فبلغ ذلك آبن عمر فقال : يرحم الله أبا عبد الرحمن! أمَا إنه عَلم أنهـا فى العشر الأواخر من شهر رمضان، ولكنه أراد ألا يتكل الناس . وإلى هـذا القول ذهب أبو حنيفة أنهـا فى جميع السّنة . وقيل عنه : إنها رفعت — يعنى ليلة القدر — وأنها إنمـا كانت مَرّة واحدة؛ والصحيح أنها باقيـة . ورُوى عن آبن مسعود أيضا : أنها إذا كانت فى يوم من هذه السـنة كانت فى العام المقبل فى يوم آخر . والجمهور على أنها فى كل عام من رمضان . ثم قيـل : إنها الليـلة الأولى من الشهر؛ قاله أبو رَزِين العقيلى . وقال الحسن وآبن إسحاق وعبد الله بن الزبير : هى ليـلة سبع عشرة من رمضان ، وهى الليلة التى كانت صبيحتها وَقْعة بَدر . كأنهم نزعوا بقوله تعالى : « وما أنزلنا على عَبْـدِنا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ» (٢) وكان ذلك ليلة سبع عشرة ، وقيل هى ليلة التاسع عشر . والصحيح المشهور أنهـا فى العشر الأواخر من رمضان؛ وهو قول مالك والشافعى والأوزاعى وأبى ثَوْر وأحمد . ثم قال قوم : هى ليلة الحادى والعشرين . ومال إليه الشافعى رضى الله عنه؛ لحديث المـاء والطين،

---

(١) أى جزم فى حلفه بلا استثناء فيه ؛ بأن يقول عقب يمينه إن شاء الله .

(٢) آية ٤١ سورة الأنفال .

ورواه أبو سعيد الخُدْرِيّ خرجه مالك وغيره (١) . وقيل ليلة الثالث والعشرين؛ لما رواه ابن عمر أن رجلا قال : يارسول الله إني رأيت ليلة القدر في سابعة تبقى . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن أراد أن يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين" . قال معمر : فكان أيوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين، ويَمَسّ طِيبًا . وفي صحيح مسلم أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "إني رأيت أني أسجد في صبيحتها في ماء وطين" قال عبد الله بن أُنَيس : فرأيته في صبيحة ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : ليلة خمس وعشرين؛ لحديث أبي سعيد الخُدْرِيّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "التمسوها في العشر الأواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى" رواه مسلم ، قال مالك : يريد بالتاسعة ليلة إحدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين، والخامسة ليلة خمس وعشرين . وقيل : ليلة سبع وعشرين . وقد مضى دليله ، وهو قول علي رضي الله عنه وعائشة ومعاوية وأُبيّ بن كعب . وروَى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من كان مُتَحَرِّيًا ليلة القدر فليتحرّها ليلة سبع وعشرين" . وقال أُبَيّ بن كعب : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ليلة القدر ليلة سبع وعشرين" . وقال أبو بكر الوراق : إن الله تعالى قسم ليالي هذا الشهر — شهر رمضان — على كلمات هذه السورة، فلما بلغ السابعة والعشرين أشار إليها فقال هي . وأيضا فإن ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات ، وهي تسعة أحرف، فتجيء سبعا وعشرين . وقيل : هي ليلة تسع وعشرين ؛ لما رُوِيَ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "ليلة القدر التاسعة

---

(١) لفظ الحديث كما رواه مالك في الموطأ : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الوسط من رمضان ، فاعتكف عاما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج فيها من صبحها من اعتكافه قال : "من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد من صبحها في ماء وطين فالتمسوها في العشر الأواخر والتمسوها في كل وتر" قال أبو سعيد : فأمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش فوكف المسجد (قطر) قال أبو سعيد : فأبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف وعلى جبينه وأنفه أثر الماء والطين من صبح ليلة إحدى وعشرين » .

والعشرون — أو السابعة والعشرون — وأن الملائكة فى تلك الليلة بعدد الحصى". وقد قيل: إنها فى الأشفاع. قال الحسن: ارتقبت الشمس ليلة أربع وعشرين عشرين سنة فرأيتها تطلع بيضاء لا شُعاع لها. يعنى من كثرة الأنوار فى تلك الليلة. وقيل إنها مستورة فى جميع السنة؛ ليجتهد المرء فى إحياء جميع الليالى. وقيل: أخفاها فى جميع شهر رمضان، ليجتهدوا فى العمل والعبادة ليالى شهر رمضان طمعاً فى إدراكها؛ كما أخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات، واسْمَه الأعظم فى أسمائه الحسنى، وساعةَ الإجابة فى ساعات الجمعة وساعات الليل، وغَضَبَه فى المعاصى ورضاه فى الطاعات، وقيامَ الساعة فى الأوقات، والعبدَ الصالح بين العباد؛ رحمةً منه وحكمة.

الثانية — فى علاماتها: منها أن الشمس تطلع فى صبيحتها بيضاء لا شُعاع لها. وقال الحسن قال النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر: "إن من أماراتها أنها ليلة سَمْحة بَلْجةٌ لا حارّةٌ ولا باردةٌ تطلع الشمس صبيحتَها ليس لها شُعاع". وقال عُبيد بن عُمير: كنت ليلة السابع والعشرين فى البحر فأخذتُ من مائه فوجدته عَذْباً سَلِساً.

الثالثة — فى فضائلها. وحسبك بقوله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ». وقوله تعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا». وفى الصحيحين: "من قام ليلةَ القَدْر إيماناً وآحتسابا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه" رواه أبو هريرة. وقال آبن عباس قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سُكّان سِدْرة المُنْتَهَى منهم جبريل ومعهم أَلْوِيَة ينصب منها لواء على قبرى ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد الحرام ولواء على طورسيناء ولا تدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة إلا تُسَلّم عليه إلا مُدْمِنَ الخمر وآكلَ الخنزير والمتضمّخ بالزّعفران": وفى الحديث. "إن الشيطان لا يخرج فى هذه الليلة حتى يضىء فجرها ولا يستطيع أن يصيب فيها أحدا بخبل ولا شىء من الفساد ولا ينفذ فيها سحر ساحر". وقال الشّعبىّ: ولَيْلُها كيومها، ويومُها كلَيْلها. وقال الفَرّاء: لا يقدّر الله فى ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويُقَدِّر فى غيرها البلايا والنِّقَم؛ وقد تقدّم عن الضحاك. ومثله لا يقال من جهة الرأى فهو

مرفوع . والله أعلم . وقال سعيد بن المسيّب في المُوَطَّا : [من[1] شهد العشاء من ليلة القدر فقد أخذ بحظه منها] ومثله لا يدرك بالرأى . وقد روى عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من صلّى صلاة المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر في جماعة[2] فقد أخذ بحظه من ليلة القدر " ذكره الثعلبي في تفسيره . وقالت عائشة رضى الله عنها قلت : يا رسول الله إن وافقتُ ليلةَ القدر فما أقول ؟ قال : " قولى اللّهُم إنّك عَفُوٌّ تُحِبّ العَفْوَ فاعف عنى "

تفسير سورة « لم يكن »

وهى مَكّية، في قول يحيى بن سلام . ومَدَنيةٌ، في قول ابن عباس والجمهور . وهى تسع آيات[3] .

وقد جاء فى فضلها حديثٌ لا يصح ، رويناه عن محمد بن عبد الله الحَضْرَمِيّ قال قال لى أبو عبد الرحمن بن نُمير : اذهب إلى أبى الهَيْثم الخشاب فاكتب عنه فإنه قد كتب ؛ فذهبت إليه فقال : حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى الدّرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو يعلم الناس ما فى [لَمْ يَكُنِ] الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لعطّلوا الأهل والمال فتعلّموها " فقال رجل من خُزاعة : وما فيها من الأجر يا رسول الله؟ قال : " لا يقرؤها منافق أبدًا ولا عبدٌ فى قلبه شكٌّ فى الله . والله إن الملائكة المقرّبين يقرءونها منذ[4] خلق الله السموات والأرض ما يَفْتُرون من قراءتها . وما من عبد يقرؤها إلا بعث الله إليه ملائكة يحفظونه فى دينه ودنياه و يدعون له بالمغفرة والرحمة " . قال الحضرمى : فجئت إلى أبى عبد الرحمن بن نُمير فألقيتُ هذا الحديث عليه فقال : هذا

---

(١) مابين المربعين زيادة من الموطأ . (٢) الذى فى نسخة تفسير الثعلبي التى بين أيدينا : " من صلى المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر فقد أخذ ... " الحديث . ولم يذكر : « فى جماعة » . (٣) فى مصاحفنا : « ثمان آيات » . وفى تفسير الآلوسى : «وآيها تسع فى البصرى وثمان فى غيره» . (٤) فى بعض نسخ الأصل : « قبل خلق السموات ... » .

قد كفانا مؤنته فلا تَعُدْ إليه . قال آبن العربى : «روى إسحاق بن بشر الكاهلى عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن آبن المسيّب عن أبى الدَّرْداء عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم : " لو يعلم الناس ما فى [لم يكن] الذين كفروا لعطّلوا الأهل والمال ولتعلّموها " . وهذا حديث باطل ؛ وإنما الحديث الصحيح ما رُوِى عن أنس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لأُبَىّ بن كعب : " إن الله أمرنى أن أقرأ عليك « لم يكن الذين كفروا » " قال : وسمّانى لك ؟ ! قال " نعم " فبكى .

قلت : خرّجه البخارى ومسلم . وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلّم . قال بعضهم : إنما قرأ النبيّ صلى الله عليه وسلم على أُبَىّ ليعلّم الناس التواضع ؛ لئلا يأنف أحدٌ من التعلّم والقراءة على مَن دونه فى المنزلة . وقيل : لأن أُبَيًّا كان أسرع أخذًا لألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع منه ويعلم غيره . وفيه فضيلة عظيمة لأُبَىّ ؛ إذ أمر الله رسوله أن يقرأ عليه . قال أبو بكر الأنبارى : وحدّثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال حدّثنا على بن الجَعْد قال حدثنا عكرمة عن عاصم عن زِرّ بن حُبَيش قال : فى قراءة أُبَىّ بن كعب : آبن آدم لو أُعطِىَ واديًا من مال لالتمس ثانيًا ولو أعطى واديين من مال لالتمس ثالثا ولا يملأ جوف آبن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب . قال عكرمة : قرأ علىّ عاصمٌ « لم يكن » ثلاثين آية هذا فيها . قال أبو بكر : هذا باطل عند أهل العلم ؛ لأن قراءتى آبن كثير وأبى عمرو متصلتان بأُبَىّ بن كعب ، لا يقرأ فيهما هذا المذكور فى « لم يكن » مما هو معروف فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه من كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين فى القرآن . وما رواه اثنان معهما الإجماع أثبت مما يحكيه واحد مخالف مذهب الجماعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ كذا قراءة العامة وخطّ المصحف . وقرأ ابن مسعود « لم يكن المشركون وأهل الكتاب مُنْفَكِّين » وهـذه قراءة على التفسير . قال ابن العربي : « وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة ؛ فقد قرأ النبيّ صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح « فطلّقوهنّ لقُبُل عِدّتهنّ » وهو تفسير ؛ فإن التلاوة هو ما كان في خط المصحف » .

قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ يعني اليهود والنصارى . ﴿ وَالْمُشْرِكِين ﴾ في موضع جرّ عطفًا على « أهل الكتاب » . قال ابن عباس : « أهل الكتاب » اليهود الذين كانوا بيثرب ، وهم قُرَيظة والنَّضير وبنو قَيْنُقاع . والمشركون : الذين كانوا بمكة وحولها ، والمدينة والذين حولها ؛ وهم مشركو قريش . ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ أي منتهين عن كفرهم مائلين عنه . ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ﴾ أي أتتهم البيّنة ؛ أي محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : الانتهاء بلوغ الغاية ؛ أي لم يكونوا ليبلغوا نهاية أعمارهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة . فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء . وقيل : « منفكين » زائلين ؛ أي لم تكن مدتهم لتزول حتى يأتيهم رسول . والعرب تقول : ما انفككتُ أفعل كذا ؛ أي ما زلت . وما انفكّ فلان قائما ؛ أي ما زال قائما . وأصل الفكّ الفتح ؛ ومنه فكّ الكتاب ، وفكّ الخلخال ، وفكّ السالم[1] . قال طَرَفة :

فآليْتُ لا ينفكُّ كَشْحِي بطانةً * لِعَضْبٍ رقيقِ الشّفْرتين مهنّد[2]

(١) كذا في بعض نسخ الأصل . وفي بعضها : «فك السالم وهي قال طرفة» . بياض بعد « وهي » . وفي تفسير الثعلبي : «وفك السالم وهي حروف الفطن قال طرفة» . ولم نهتد لوجه الصواب فيه .

(٢) الكشح : الجنب . والعضب : السيف القاطع . ومهند : أي مشحذ ؛ والتهنيد : التشحيذ . و يقال : سيف مهند إذا عمل ببلاد الهند .

وقال ذو الرُّمَّة :

حراجيج ما تنفكّ إلا مُناخةً * على الخَسْف أو نَرمي به بلدًا قفرا (١)

يريد : ما تنفكّ مُناخةً ؛ فزاد « إلا » . وقيل : « مُنفكّين » بارحين ؛ أى لم يكونوا ليبرحوا ، ويفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البيّنة . وقال ابن كَيْسان : أى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم حتى بُعث ؛ فلما بعث حسدوه وجحدوه . وهو كقوله : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ » (٢) . ولهذا قال : « وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ » الآية . وعلى هذا فقوله : «والمشركين» أى ما كانوا يسيئون القول فى محمد صلى الله عليه وسلم حتى بُعث ؛ فإنهم كانوا يسمونه الأمين ، حتى أتتهم البينة على لسانه وبُعث إليهم فحينئذ عادوه . وقال بعض اللغويين : « منفكين » هالكين ؛ من قولهم : انفك صَلا (٣) المرأة عند الولادة ؛ وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك . المعنى : لم يكونوا معذَّبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب . وقال قوم فى المشركين : إنهم من أهل الكتاب ؛ فمن اليهود من قال : عُزَيْرٌ ابن الله . ومن النصارى من قال : عيسى هو الله . ومنهم من قال : هو ابنه . ومنهم من قال : ثالث ثلاثة . وقيل : أهل الكتاب كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد أنبيائهم . والمشركون وُلِدُوا على الفِطْرة فكفروا حين بلَغُوا . فلهذا قال : «والمشركين» . وقيل : المشركون وصف أهل الكتاب أيضا ، لأنهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد . فالنصارى مُثلِّثة ، وعامة اليهود مُشبِّهة ؛ والكل شِرْك . وهو كقولك : جاءنى العقلاء والظرفاء ؛ وأنت تريد أقواما بأعيانهم تصفهم بالأمرين . فالمعنى : من أهل الكتاب المشركين . وقيل : إن الكفر هنا هو الكفر بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ أى لم يكن الذين كفروا بمحمد من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب ، ولم يكن المشركون الذين هم عبدة

---

(١) الحراجيج (جمع حرجوج) : وهى الناقة الطويلة الضامرة . والخسف : أن تبيت على غير علف . يقول : ما تنفصل من بلد إلى بلد الا مناخة على الخسف . (٢) آية ٨٩ سورة البقرة .

(٣) الصلا : وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذى أربع . وقيل : هو ما انحدر من الوركين . وقيل : هو ما عن يمين الذنب وشماله .

الأوثان من العرب وغيرهم ـ وهم الذين ليس لهم كتاب ـ منفكين . قال القُشَيْرِيّ : وفيه بُعْدٌ ؛ لأن الظاهر من قوله : « حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ » إن هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم . فيبعد أن يقال : لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى يأتيهم محمد؛ إلا أن يقال : أراد لم يكن الذين كفروا الآن بمحمد وإن كانوا من قبل معظمين له فمنتهين عن هذا الكفر إلى أن يبعث الله محمدا إليهم ويبين لهم الآيات ؛ فحينئذ يؤمن قوم . وقرأ الأعمش وإبراهيم « والمشركون » رفعا ، عطفا على « الذين » . والقراءة الأولى أبين؛ لأن الرفع يصير فيه الصنفان كأنهم من غير أهل الكتاب . وفي حرف أُبَيّ : « فما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكين » . وفي مصحف ابن مسعود : « لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين » . وقد تقدم . ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ قيل حتى أتتهم . والبينة : محمد صلى الله عليه وسلم . ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي بعيث من الله جلّ ثناؤه . قال الزجاج : « رسول » رفع على البدل من « البينة » . وقال الفراء : أي هي رسول من الله ، أو هو رسول من الله؛ لأن البيِّنة قد تذكّر فيقال : بيِّنتي فلان . وفي حرف أُبَيّ وابن مسعود « رسولا » بالنصب على القطع . ﴿يَتْلُو﴾ أي يقرأ . يقال : تلا يتلو تلاوة . ﴿صُحُفًا﴾ جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب . ﴿مُطَهَّرَةً﴾ قال ابن عباس : من الزور والشك والنفاق والضلالة . وقال قتادة : من الباطل . وقيل : من الكذب والشبهات والكفر ؛ والمعنى واحد . أي يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب ؛ ويدل عليه أنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ؛ لأنه كان أمِّيًّا لا يكتب ولا يقرأ . و « مطهرة » من نعت الصحف ؛ وهو كقوله تعالى : « فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ »[1] فالمطهرة نعت للصحف في الظاهر، وهي نعت لما في الصحف من القرآن . وقيل : « مطهرة » أي ينبغي ألا يمسها إلا المطهرون ؛ كما قال في سورة « الواقعة » حسب ما تقدم بيانه[2] . وقيل : الصحف المطهرة هي التي عند الله في أم الكتاب الذي منه نسخ ما أنزل على الأنبياء من

---

(١) آية ١٣ سورة عبس . (٢) راجع جـ ١٧ ص ٢٢٥ فما بعدها .

الكتب؛ كما قال تعالى : « بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ »[1] . قال الحسن : يعنى الصحف المطهرة فى السماء . ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أى مستقيمة مستوية محكمة؛ من قول العرب : قام يقوم إذا آستوى وصح . وقال بعض أهل العلم : الصحف هى الكتب ؛ فكيف قال فى صحف فيها كتب ؟ فالجواب : أن الكتب هنا بمعنى الأحكام ؛ قال الله عز وجل : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ »[2] بمعنى حكم . وقال صلى الله عليه وسلم : "والله لأقضين بينكما بكتاب الله" ثم قضى بالرجم ، وليس ذكر الرجم مسطورا فى الكتاب ؛ فالمعنى لأقضين بينكما بحكم الله تعالى . وقال الشاعر :

وما الولاء بالبلاء[3] فلتم * وما ذاك قال الله إذ هو يكتب

وقيل : الكتب القيمة هى القرآن ؛ فجعله كتبا لأنه يشتمل على أنواع من البيان .

قوله تعالى : وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ أى من اليهود والنصارى ؛ خص أهل الكتاب بالتفريق دون غيرهم وإن كانوا مجموعين مع الكافرين ؛ لأنهم مظنون بهم علم ؛ فإذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف . ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ أى أتتهم البينة الواضحة . والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أى بالقرآن موافقا لما فى أيديهم من الكتاب بنعته وصفته . وذلك أنهم كانوا مجتمعين على نبوته ؛ فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا ؛ فمنهم من كفر بغيا وحسدا ، ومنهم من آمن ؛ كقوله تعالى : « وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ »[4] . وقيل : «البينة» البيان الذى فى كتبهم أنه نبى مرسل . قال العلماء : من أول السورة إلى قوله « قَيِّمَة » حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين . وقوله : «وما تفرق» حكمه فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج .

---

(١) آخر سورة البروج . (٢) آية ٢١ سورة المجادلة . (٣) كذا فى الأصل ، ولم نقف على هذا البيت فيما لدينا من المراجع . ولعل صوابه : * وما لى الولاء بالبلاء فلتم ... الخ *

(٤) آية ١٤ سورة الشورى .

قوله تعالى : وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا ﴾ أى وما أُمِر هؤلاء الكفارُ فى التوراة والإنجيل ﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ أى ليُوَحِّدوه . واللام فى « لِيَعْبُدُوا » بمعنى « أن » ؛ كقوله : « يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ »(١) أى أن يبيّن . و « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ »(٢) . و« أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ »(٣) . وفى حرف عبد الله : « وَمَا أُمِرُوا إلا أنْ يعبدوا الله » . ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أى العبادة ؛ ومنه قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ »(٤) . وفى هذا دليل على وجوب النية فى العبادات ؛ فإن الإخلاص من عَمَل القلب ، وهو الذى يراد به وجه الله تعالى لا غيره .

الثانيــة ــ قوله تعالى : ﴿ حُنَفَاءَ ﴾ أى مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام . وكان ابن عباس يقول : حنفاء على دِين إبراهيم عليه السلام . وقيل : الحَنِيف من ٱختتن وحَجّ ؛ قاله سعيد بن جُبير . قال أهل اللغة : وأصله أنه تحنّف إلى الإسلام ؛ أى مال إليه .

الثالثــة ــ قوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ أى بحدودها فى أوقاتها . ﴿ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾ أى يعطوها عند محلها . ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ أى ذلك الدِّين الذى أمِروا به دِين القَيِّمة ؛ أى الدين المستقيم . وقال الزجاج : أى ذلك دِين المِلّة المستقيمة . و« القَيِّمة » نعت لموصــوف محذوف . أو يقال : دِين الأمــة القَيِّمة بالحق ؛ أى القائمة بالحق . وفى حرف عبد الله « وذلك الدين القيم » . قال الخليل : « القَيِّمة » جمع القَيِّم ، والقَيِّم والقائم واحد . وقال الفراء : أضاف الدِّين إلى القيمة وهو نعته لٱختلاف اللفظين . وعنــه أيضا : هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه ، ودخلت الهــاء للمدح والمبالغة . وقيــل : الهــاء راجعة إلى المــلة أو الشريعة . وقال محمد بن الأشعث الطّالْقانى : « القَيِّمة » هاهنا الكتب التى جرى ذكرها ، والدِّين مضاف إليها .

(١) آية ٢٦ سورة النساء . (٢) آية ٨ سورة الصف . (٣) آية ٧١ سورة الأنعام . (٤) آية ١١ سورة الزمر

قوله تعـالى : إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أُولَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾ «المشركين» معطوف على « الذين » ، أو يكون مجرورا معطوفا على « أهل » . ﴿ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ قرأ نافع وآبن ذكوان بالهمز على الأصل فى الموضعين ؛ من قولهم : برأ الله الخلق ، وهو البارئ الخالق ، وقال : « مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا »[1] . الباقون بغير همز وشدّ الياء عوضا منه . قال الفراء : إن أخذت البرية من البَرَى وهو التراب فأصله غير الهمز ؛ تقول منه : براه الله يبروه بَرْوًا ؛ أى خلقه . قال القُشَيْرى : ومن قال البرِيّة من البَرَى وهو التراب قال : لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة . وقيل : البرية من بريت القلم أى قدرته؛ فتدخل فيه الملائكة . ولكنه قول ضعيف ؛ لأنه يجب منه تخطئة من همز . وقوله « شَرُّ البَرِيّة » أى شرّ الخليقة . فقيل يحتمل أن يكون على التعميم . وقال قوم : أى هم شرّ البرية الذين كانوا فى عصر النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ كما قال تعالى : « وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ »[2] أى على عالَمِى زمانكم . ولا يبعد أن يكون فى كفار الأمم قبل هذا من هو شرٌّ منهم ؛ مثل فرعون وعاقر ناقة صالح . وكذا « خَيْرُ الْبَرِيّة » إمّا على التعميم . أو خير بَرِيّة عصرهم . وقد آستدل بقراءة الهمز مَن فضّل بنى آدم على الملائكة . وقد مضى فى سورة « البقرة » القول فيه[3] . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة الذين عنده .

---

(١) آية ٢٢ سورة الحديد . (٢) آية ٤٧ سورة البقرة .

(٣) راجع جـ ١ ص ٢٨٩ طبعة ثانية أو ثالثة .

قوله تعالى : جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ جَزَاؤُهُمْ ﴾ أي ثوابهم . ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي خالقهم ومالكهم . ﴿ جَنَّاتُ ﴾ أي بساتين . ﴿ عَدْنٍ ﴾ أي إقامة . والمفسرون يقولون : « جَنَّات عَدْنٍ » بُطْنان الجنة أي وسطها ؛ تقول : عَدَن بالمكان يَعْدُن [عَدْنًا و] عُدُونا أقام . ومَعْدِن الشيء : مركزه ومستقره . قال الأعشى :

وإن يستضافوا إلى حكمه * يضافوا إلى راجح قد عَدَنْ

﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ لا يَظْعَنون ولا يموتون . ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ أي رَضِيَ أعمالهم ؛ كذا قال ابن عباس . ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ أي رَضُوا هم بثواب الله عز وجل . ﴿ ذَلِكَ ﴾ أي الجنة . ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ أي خاف ربه فتناهى عن المعاصي .

سورة « الزَّلْزَلَة »

مَدَنِيَّةٌ ؛ في قول ابن عباس وقتادة . ومَكِّيَّة ؛ في قول ابن مسعود وعطاء وجابر . وهي تسع آيات(١)

قال العلماء : وهذه السورة فضلها كثير وتحتوي على عظيم . روى الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ « إذا زلزلت » عدلت له بنصف القرآن . ومن قرأ « قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ » عدلت له بربع القرآن ومن قرأ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » عدلت له بثلث القرآن " . قال : حديث غريب ، وفي الباب عن ابن عباس . ورُوِي عن عليّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ إذا زُلزلت أربعَ مرات كان كمن قرأ القرآن كله " . وروى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لما نزلت « إذا زُلْزِلَت » بكى أبو بكر ؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " لولا أنكم تُخطئون وتُذنبون ويغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم " .

---

(١) في حاشية الشهاب : « آيها تسع أو ثمان » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾

أى حُرّكت من أصلها . كذا روى عكرمة عن ابن عباس ، وكان يقول : فى النفخة الأولى يزلزلها ــ وقاله مجاهد ــ ؛ لقوله تعالى : « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ »[1] ثم تُزَلْزَل ثانيـة فتُخرج موتاها وهى الأثقال . وذُكر المصدر للتأكيد ثم أضيف إلى الأرض ؛ كقولك : لأعطينّك عطيّتك ؛ أى عطيّتى لك . وحَسُن ذلك لموافقة رءوس الآى بعدها . وقراءة العامة بكسر الزاى من الزِّلزال . وقرأ الجَحْدرىّ وعيسى بن عمر بفتحها . وهو مصدر أيضا كالوَسواس والقَلْقال والجَرْجار[2] . وقيل : الكسر المصدر . والفتح الاسم .

قوله تعالى : وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾

قال أبو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت فى بطن الأرض فهو ثِقْلٌ لها . وإذا كان فوقها فهو ثِقْل عليها . وقال ابن عباس ومجاهد : « أَثْقَالَهَا » موتاها تُخرجهم فى النفخة الثانية ؛ ومنه قيل للجن والإنس : الثَّقَلان . وقالت الخنساء :

أبعدَ ابنِ عمرٍو من آل الشَّرِ * يدِ حلّت به الأرض أثقالها

تقول : لما دُفن عمرو صار حِلْيةً لأهل القبور من شرفه وسُؤدده . وذكر بعض أهل العلم قال : كانت العرب تقول إذا كان الرجل سفاكا للدماء : كان ثِقْلًا على ظهر الأرض ؛ فلما مات حطّت الأرض عن ظهرها ثِقْلها . وقيل : « أَثْقَالَهَا » كنوزها ؛ ومنه الحديث : " تقىء الأرضُ أفلاذَ كبِدها أمثالَ الأسْطُوان[3] من الذهب والفضة ... " .

---

(١) آية ٦ سورة النازعات .

(٢) القلقال : من قلقل الشيء إذا حركه . والجرجار : من جرجر البعير إذا ردّد صوته فى حنجرته

(٣) الأسطوان : جمع أسطوانة ، وهى السارية والعمود ؛ وشبهه بالأسطوان لعظمه وكثرته .

قوله تعالى : وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ ﴾ أى ابن آدم الكافر . فروى الضحاك عن ابن عباس قال : هو الأسود بن عبد الأسد . وقيل : أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى من مؤمن وكافر . وهذا قول من جعلها في الدنيا من أشراط الساعة؛ لأنهم لا يعلمون جميعا من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها ؛ فلذلك سأل بعضهم بعضا عنها . وعلى قول من قال : إن المراد بالإنسان الكفار خاصة جعلها زلزلة القيامة؛ لأن المؤمن معترف بها، فهو لا يسأل عنها، والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها . ومعنى ﴿ مَا لَهَا ﴾ أى مالها زلزلت . وقيل : مالها أخرجت أثقالها ، وهي كلمة تعجيب؛ أى لأى شيء زلزلت . ويجوز أن يحيي الله الموتى بعد وقوع النفخة الأولى، ثم تتحرك الأرض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الأرض عن الموتى أحياء فيقولون من الهول مالها .

قوله تعالى : يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ «يَوْمَئِذٍ» منصوب بقوله «إِذَا زُلْزِلَت» . وقيل : بقوله «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» ؛ أى تخبر الأرض بما عُمِل عليها من خير أو شر يومئذ . ثم قيل : هو من قول الله تعالى . وقيل : من قول الإنسان؛ أى يقول الإنسان مالها تحدث أخبارها؛ متعجبا . وفي الترمذي عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» قال : " أتدرون ما أخبارها – قالوا الله ورسوله أعلم قال – فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أَمَة بما عَمِل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا و كذا – قال – فهذه أخبارها " . قال : هذا حديث حسن صحيح . قال الماوردي : قوله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» بأعمال العباد على ظهرها؛ قاله أبو هريرة ورواه مرفوعا . وهو قول من زعم أنها زلزلة القيامة .

الثانى — تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها؛ قاله يحيى بن سلام . وهو قول من زعم أنها زلزلة أشراط الساعة .

قلت : وفى هذا المعنى حديث رواه ٱبن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا كان أجل العبد بأرض أوثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله فتقول الأرض يوم القيامة رب هذا ما ٱستودعتنى " أخرجه ٱبن ماجه فى سننه . وقد تقدم.(١)

الثالث — أنها تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان مالها ؛ قاله ٱبن مسعود . فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى . فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سؤالهم ، ووعيدا للكافر، وإنذارا للؤمن . وفى حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا؛ فتتكلم بذلك .

الثانى — أن الله تعالى يحدث فيها الكلام .

الثالث — أنه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام . قال الطبرى : تبين أخبارها بالرجة والزلزلة وإخراج الموتى . ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ أى إنها تحدث أخبارها بوحى الله « لها » أى إليها . والعرب تضع لام الصفة موضع « إلى » . قال العجاج يصف الأرض :

وَحَى لهــا القرارَ فٱستقرّتِ * وشدها بالراسيات الثُّبَّتِ

وهذا قول أبى عبيدة : « أَوْحَىٰ لَهَا » أى إليها . وقيل : « أَوْحَىٰ لَهَا » أى أمرها ؛ قاله مجاهد . وقال السُّدّى : « أَوْحَىٰ لَهَا » أى قال لها . وقيل: سخرها . وقيل : المعنى يوم تكون الزلزلة، وإخراج الأرض أثقالها، تحدث الأرض أخبارها؛ ما كان عليها من الطاعات والمعاصى، وما عُمل على ظهرها من خير وشر . ورُوى ذلك عن الثَّورى وغيره . ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾ أى فِرَقًا؛ جمع شَتّ . قيل : عن موقف الحساب ؛ فريق يأخذ جهة اليمين إلى الجنة، وفريق آخر يأخذ جهة الشمال إلى النار؛ كما قال تعالى : « يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ »(٢) « يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ »(٣) . وقيل : يرجعون عن الحساب بعد فراغهم من الحساب ﴿ أَشْتَاتًا ﴾

(١) راجع جـ ١٤ ص ٨٣ . (٢) آية ١٤ سورة الروم (٣) آية ٤٣ سورة الروم .

يعنى فِرَقًا فِرَقًا . ﴿ لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ يعنى ثواب أعمالهم . وهذا كما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما من أحد يوم القيامة إلّا ويلوم نفسه فإن كان مُحْسِنًا فيقول لم لا آزددتُ إحسانا وإن كان غير ذلك يقول لم لا نَزَعْتُ عن المعاصى " . وهـذا عند معاينة الثواب والعقاب . وكان آبن عباس يقول : « أَشْـتَاتًا » متفرقين على قدر أعمالهم ؛ أهل الإيمان على حدة ، وأهل كل دين على حدة . وقيل : هذا الصدور إنما هو عند النشور ؛ يصدرون أشتاتا من القبـور فيصار بهم إلى موقف الحساب ليُرَوْا أعمـالهم فى كتبهم ، أو ليُرَوْا جزاء أعمالهم ؛ فكأنهم وردوا القبور فدُفِنوا فيها ثم صـدروا عنها . والوارد : الجائى . والصادر : المنصرف . ﴿ أَشْتَاتًا ﴾ أى يبعثون من أقطار الأرض . وعلى القول الأول فيه تقديم وتأخير؛ مجازه : تحدّث أخبارها بأن ربك أوْحَى لها ليُرَوْا أعمالهم . واعترض قوله «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْـتَاتًا» متفرقين عن موقف الحساب . وقراءة العامة « لِيُرَوْا » بضم الياء ؛ أى ليريهم الله أعمـالهم . وقرأ الحسن والزهرى وقتادة والأعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها ؛ وروى ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قوله تعـالى : فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعـالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ كان آبن عباس يقول : من يعمل من الكفار مثقال ذرّة خيرًا يَرَهُ فى الدنيا ولا يثاب عليه فى الآخرة ، ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ عُوقب عليه فى الآخرة مع عقاب الشرك ، ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ من المؤمنين يره فى الدنيا ولا يعاقب عليه فى الآخرة إذا مات ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرّة من خير يقبل منه ويضاعف له فى الآخرة . وفى بعض الحديث : " إن الذرّة لا زِنَةَ لها " وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى أنه لا يغفل من عمل آبن آدم صغيرة ولا كبيرة . وهو مِثْـلُ قوله تعـالى :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ »(١) . وقد تقدم الكلام هناك فى الذر، وأنه لا وزن له . وذكر بعض أهل اللغة أن الذر أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما عَلِق بها من التراب فهو الذرّ؛ وكذا قال ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرّة . وقال محمد بن كعب القُرَظِىّ : فمن يعمل مثقال ذرّة من خير من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وماله وأهله وولده، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير . ومن يعمل مثقال ذرّة من شرّ من مؤمن يرى(٢) عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وولده وأهله ، حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شرّ . دليله ما رواه العلماء الأثبات من حديث أنس أن هذه الآية نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يأكل فأمسك وقال : يا رسول الله ، وإنا لنرى ما عملنا من خير وشرّ ؟ قال : " ما رأيت مما تكره فهو مثاقيل ذرّ الشرّ ويدخر لكم مثاقيل ذرّ الخير حتى تُعْطَوْه يوم القيامة " . قال أبو إدريس: إن مصداقه فى كتاب الله : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ »(٣) . وقال مقاتل : نزلت فى رجلين ، وذلك أنه لما نزل « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ »(٤) كان أحدهم يأتيه السائل فيستقل أن يُعطيَه التمرة والكِسْرة والجَوْزة(٥) . وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة، ويقول : إنما أوعد الله النار على الكبائر؛ فنزلت ترغبهم فى القليل من الخير أن يعطوه؛ فإنه يوشك أن يكثر ، ويحذّرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر؛ وقاله سعيد بن جُبير . والإثم الصغيرُ فى عين صاحبه يوم القيامة أعظمُ من الجبال، وجميعُ محاسنه أقلّ فى عينه من كل شىء .

الثانيــة — قراءة العامة « يَرَهُ » بفتح الياء فيهما . وقرأ الجحدرىّ والسلَمىّ وعيسى بن عمر وأبان عن عاصم « يُرَه » بضم الياء؛ أى يريه الله إياه . والأولى الاختيار؛ لقوله تعالى : « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا »(٦) الآية . وسكّن الهاء فى قوله « يره » فى

(١) آية ٤٠ سورة النساء . راجع جـ ٥ ص ١٩٥ . (٢) كذا فى الأصل وبعض كتب التفسير بإثبات الياء، والراجح حذفها . (٣) آية ٣٠ سورة الشورى . (٤) آية ٨ سورة الإنسان . (٥) الجوزة: واحدة الجوز الذى يؤكل؛ فارسى معرب . وهى أيضا : الشربة الواحدة من الماء . (٦) آية ٣٠ سورة آل عمران .

الموضعين هشام . وكذلك رواه الكسائى عن أبى بكر وأبى حَيْوَةَ والمغيرة . واختلس يعقوب والزهرى والجحدرى وشيبة . وأشبع الباقون . وقيل « يره » أى يرى جزاءه ؛ لأن ما عمله قد مضى وعُدم فلا يُرَى . وأنشدوا :

إن من يعتدى ويكسب إثمًا * وزن مثقال ذرّة سيراه

ويجازى بفعله الشرّ شرًّا * وبفعل الجميل أيضا جزاه

هكذا قوله تبارك ربّى * فى إذا زلزلت وجلّ ثناه

الثالثة ــ قال ابن مسعود : هذه أحكم آية فى القرآن ؛ وصدق . وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية ؛ القائلون بالعموم ومن لم يقل به . وروى كعب الأحبار أنه قال : لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما فى التوراة والإنجيل والزبور والصحف : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » . قال الشيخ أبو مدين فى قوله تعالى : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ » قال : فى الحال قبل المآل . وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يسمّى هذه الآية الآيةَ الجامعة الفاذة ؛ كما فى الصحيح لما سُئل عن الحُمُر وسكت عن البغال والجواب فيهما واحد ؛ لأن البغل والحمار لا كرّ فيهما ولا فرّ ؛ فلما ذكر النبىّ صلى الله عليه وسلم ما فى الخيل من الأجر الدائم والثواب المستمر ، سأل السائل عن الحُمُر لأنهم لم يكن عندهم يومئذ بغل ولا دخل الحجاز منها إلا بغلة النبىّ صلى الله عليه وسلم «الدُّلْدُل» التى أهداها له المُقَوْقس فأفتاه فى الحمير بعموم الآية ، وإن فى الحمار مثاقيلَ ذرّ كثيرة ؛ قاله ابن العربىّ . وفى المُوَطّأ : أن مسكينا استطعم عائشة أمَّ المؤمنين وبين يديها عِنَب ؛ فقالت لإنسان : خذ حبة فأعطه إياها . فجعل ينظر إليها ويَعْجَب ؛ فقالت : أتعجب ! كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرّة . ورُوى عن سعد بن أبى وقّاص أنه تصدق بتمرتين فقبض السائل يده ، فقال للسائل : ويقبل الله منا مثاقيل الذر ، وفى التمرتين مثاقيل ذرّ كثيرة . وروى المطلب بن حَنْطَب أن أعرابيًّا سمع النبىّ صلى الله عليه وسلم يقرؤها فقال : يارسول الله ، أمثقال ذرّة ! قال " نعم " فقال الأعرابى : واسوأتاه ! مرارا ، ثم قام وهو يقولها ؛ فقال النبىّ صلى الله

عليه وسلم : "لقد دخل قلبَ الأعرابى الإيمانُ" . وقال الحسن : قدم صَعْصَعة عمّ الفرزدق[1] على النبيّ صلى الله عليه وسلم فلما سمع «فمن يعمل مثقال ذرة» الآيات ؛ قال : لا أبالى ألّا أسمع من القرآن غيرها ، حسبي فقد انتهت الموعظة ؛ ذكره الثعلبي . ولفظ الماوَرْدِيّ : وروى أن صعصعة ابن ناجية جدّ الفرزدق أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم يستقرئه فقرأ عليه هذه الآية ؛ فقال صعصعة : حسبي حسبي ؛ إن عملت مثقال ذرة شرا رأيته . وروى معمر عن زيد بن أسلم أن رجلا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : علمني مما علمك الله . فدفعه إلى رجل يعلمه ؛ فعلمه « إذا زلزلت — حتى إذا بلغ — فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » قال : حسبي . فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال : "دعوه فإنه قد فَقُه" . ويحكى أن أعرابيًّا أخّر « خَيْرًا يَرَهُ » فقيل : قدمت وأخرت . فقال :

خُذَا بَطْنَ هَرْشَى أو قفاها فإنه * كِلَا جانبَيْ هَرْشَى لَهُنّ طَرِيق[2]

ســورة « والعــاديَات »

وهى مَكّيّة ؛ فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء . ومَدَنيّة ؛ فى قول ابن عباس وأنس ومالك وقتادة . وهى إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ أى الأفراس تَعْدُو . كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة ؛ أى تعدو فى سبيل الله فتَضْبَح . قال قتادة : تَضْبَح إذا عَدَت ؛ أى تُحَمْحِم . وقال

(١) قال أبو أحمد العسكرى : « وقد وهم بعضهم فى صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس ، فقال : صعصعة عم الفرزدق وهو غلط » . والمعروف أن صعصعة بن ناجية هو جد الفرزدق وليس له عم يسمى صعصعة . راجع كتاب الإصابة وأسد الغابة فى ترجمة صعصعة .

(٢) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ، ولها طريقان ، فكل من سلك واحدا منهما أفضى به إلى موضع واحد . فى معجم البلدان لياقوت : خذا أنف هرشى ... وفى اللسان : خذا جنب هرشى ...

الفراء : الضَّبْحُ صَوْتُ أنفاس الخيل إذا عَدَوْنَ . ابن عباس : ليس شيء من الدواب يَضْبَح غيرَ الفرس والكلب والثعلب . وقيل : كانت تُكَمَّم[1] لئلا تصهل فيعلم العدو بهم ؛ فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة . قال ابن العربي : أقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال : «يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» ، وأقسم بحياته فقال : «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ»[2] ، وأقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقَدْح حوافرها النار من الحجر فقال : «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» الآيات الخمس . وقال أهل اللغة[3] :

وطعنة ذات رشاش واهيه * طعنتها عند صدور العاديه

يعني الخيل . وقال آخر :

والعادياتُ أسابيُّ الدماءِ بها * كأنّ أعناقَها أنصابُ تَرْجيبِ[4]

يعني الخيل . وقال عنترة :

والخيلُ تعلَمُ حين تَضْـ * ـبَحُ في حياض الموت ضَبْحَا

وقال آخر :

لستُ بالتُّبَّع اليمانيّ إن لم * تَضْبَح الخيل في سواد العراق

وقال أهل اللغة : وأصل الضَّبْح والضُّبَاح للثعالب ؛ فاستعير للخيل . وهو من قول العرب : ضبحته النار إذا غيّرت لَوْنَه ولم تبالغ فيه . وقال الشاعر :

فلما أن تَلَهْوَجْنَا شِواءً * به اللَّهَبانُ مقهورا ضَبِيحا[5]

وانضبح لونه إذا تغيّر إلى السواد قليلا . وقال :

* عُلِّقْتُهَا قبل انضباح لَوْنِي *

---

(١) الكعام : شيء يجعل على فم البعير . (٢) آية ٧٢ سورة الحجر .

(٣) قوله : « قال أهل اللغة ... » إلى آخر البيت . هكذا ورد في جميع نسخ الأصل ، وظاهر أن فيه سقطا ؛ يوضحه أبو حيان في البحر بقوله : « قال أهل اللغة : أصله للثعالب ، فاستعير للخيل ... » الخ . على أن المؤلف أورده فيما يأتي .

(٤) البيت لسلامة بن جندل . والأسابي : الطرق من الدم . وأسابي الدماء : طرائقها . والترجيب : أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تتكسر أغصانها . قال ابن منظور : « فإنه شبه أعناق الخيل بالمرجب . وقيل : شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك » .

(٥) البيت لمضرس الأسدي . والملهوج من الشواء : الذي لم يتم نضجه . واللهبان : اتقاد النار واشتعالها .

وإنما تَضْبَح هذه الحيوانات إذا تغيّرت حالها من فَزَع أو تَعَب أو طمع . ونصب «ضَبْحًا» على المصدر ؛ أي والعاديات تَضْبَحُ ضَبْحًا . والضَّبْح[(١)] أيضا الرماد . وقال البصريون : « ضَبْحًا » نصب على الحال . وقيل : مصدر في موضع الحال . قال أبو عبيدة : ضَبَحَت الخيلُ ضَبْحًا مثلُ ضَبَعت ؛ وهو السير . وقال أبو عبيدة : الضَّبْح والضَّبع بمعنى العَدْو والسير . وكذا قال المبرّد : الضَّبح مَدّ أضباعها في السير . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعَث سَرِيّة إلى أناس من بني كِنانة فأبطأ عليه خبرها ، وكان آستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى ، وكان أحدَ النقباء ؛ فقال المنافقون : إنهم قُتلوا ؛ فنزلت هذه السورة إخبارًا للنبيّ صلى الله عليه وسلم بسلامتها ، وبشارةً له بإغارتها على القوم الذين بعث إليهم . وممن قال : إن المراد بالعاديات الخيلُ آبنُ عباس وأنس والحسن ومجاهد . والمراد الخيل التي يغزو عليها المؤمنون . وفي الخبر : " من لم يعرف حُرْمة فرس الغازى ففيه شُعْبة من النفاق " .

وقول ثان : إنها الإبل؛ قال مسلم : نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة : قال آبن عباس هي الخيل . وقلت : قال عليّ هي الإبل في الحج ، ومولاى أعلم من مولاك . وقال الشَّعْبى : تمارى[(٢)] عليّ وآبن عباس في « العاديات » ، فقال عليّ : هي الإبلُ تَعْدو في الحج . وقال آبن عباس: هي الخيل ؛ ألا تراه يقول « فأثَرْنَ بِه نَقْعًا » فهل تثير إلا بحوافرها ! وهل تضبح الإبل ؟! فقال عليّ: ليس كما قلت ، لقد رأيتُنا يوم بَدْر وما معنا إلا فرس أبلق للمقداد وفرس لمَرْثَد بن أبي مَرْثَد ؛ ثم قال له عليّ : أتُفْتِي الناسَ بما لا تعلم ! والله أن كانت لأوّلَ غَزْوة في الإسلام وما معنا إلا فرسان : فرس للمقداد وفرس للزبير؛ فكيف تكون العاديات ضبحا! إنما العاديات الإبل من عَرَفة إلى المُزْدَلِفة ، ومن المُزْدَلِفة إلى عَرَفة . قال ابن عباس : فرجعت إلى قول عليّ . وبه قال ابن مسعود وعُبيد بن عُمَير ومحمد بن كعب والسدّى . ومنه قول صَفِيّة بنت عبد المطلب :

فلا والعاديات غداة جَمْعٍ * بأيديها إذا سَطَع الغبار

---

(١) في القاموس : « والضبح بالكسر الرماد » . (٢) التمارى والمماراة : المجادلة .

يعني الإبل . وسُمِّيت العاديات لاشتقاقها من العَدْو، وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي . وقال آخر :

رأى صاحبي في العاديات نجيبةً * وأمثالها في الواضعات القوامس [(١)]

ومن قال هي الإبل فقوله « ضَبْحًا » بمعنى ضَبْعا؛ فالحاء عنده مبدلة من العين؛ لأنه يقال : ضَبَعت الإبل وهو أن تمد أعناقها في السير . وقال المبرّد : الضَّبْع مَدّ أضباعها في السير . والضَّبْح أكثر ما يستعمل في الخيل . والضبع في الإبل . وقد تبدل الحاء من العين . أبو صالح : الضَّبْحُ من الخيل الحَمْحَمَة، ومن الإبل التنفّس . وقال عطاء : ليس شيء من الدواب يضبح إلا الفرسُ والثعلبُ والكلبُ؛ وروى عن ابن عباس . وقد تقدّم عن أهل اللغة أن العرب تقول : ضبح الثعلب؛ وضَبح في غير ذلك أيضا . قال تَوْبة :

ولو أنّ لَيْلَى الأَخْيَلِيّةَ سلّمَت * علىّ ودوني تُرْبَةٌ [(٢)] وصفائحُ

لسَلّمتُ تسليمَ البشاشة أو زَقَا [(٣)] * إليها صَدًى من جانب القبر ضابحُ

زَقَا الصدى يَزْقُو زُقَاءً [(٤)]؛ أي صاح . وكل زاقٍ صائح . والزَّقْيَةُ الصيحة . ﴿ فالمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ قال عكرمة وعطاء والضحاك : هي الخيل حين تُورِي النار بحوافرها؛ وهي سنابكها؛ وروى عن ابن عباس . وعنه أيضا : أَوْرَت بحوافرها غُبَارًا . وهذا يخالف سائر ما روى عنه في قدح النار؛ وإنما هذا في الإبل . وروى ابن أبي نَجِيح عن مجاهد « والعَادِياتِ ضَبْحًا . فالمُورِيات قَدْحًا » قال قال ابن عباس : هو في القتال وهو في الحج . ابن مسعود : هي الإبل تطأ الحصى فتخرج منها النار . وأصل القَدْح الاستخراج؛

(١) في اللسان مادة (عدا) : «وحكى الأزهري عن ابن السكيت، و إبل عادية ترعى الخلة ولا ترعى الحمض ... وقال : وكذلك العاديات» وساق البيت . وفي اللسان أيضا مادة (وضع) : « وناقة واضع وواضعة ونوق واضعات : ترعى الحمض حول الماء . وأنشد ابن برى قول الشاعر ... » الخ . ولفظ « القوامس » هكذا ورد في اللسان وشرح القاموس . وبعض نسخ الأصل . وفي نسخة : «القرامس» بالراء . ولعل الصواب : «العرامس» جمع عرمس (بكسر العين) : وهي الناقة الصلبة الشديدة .

(٢) في نسخة : « جندل » وهي رواية في البيت . (٣) في رواية صائح . ولا شاهد فيه .

(٤) في اللسان : « زقا يزقو و يزقى زَقْوًا و زُقَاء وزُقُوًّا وزَقْيًا وزُقيًّا وزِقيًّا .

ومنه قَدَحْتُ العينَ إذا أخرجتَ منها الماء الفاسد . واقتدحْتُ بالزَّنْد . واقتدحت المَرَق غرفته . وركِيّ قَدُوحٌ تُغْترَف باليد . والقَديح ما يبقى فى أسفل القدر فيغرف بجَهْد . والمِقْدَحةُ ما تُقدح به النار . والقَدّاحة والقَدّاح الحجرُ الذى يُورى النار . يقال : وَرَى الزَّنْدُ (بالفتح) يَرِى وَرْيًا إذا خرجت ناره . وفيه لغة أخرى : وَرِيَ الزَّنْدُ (بالكسر) يرِى فيهما . وقد مضى هذا فى سورة « الواقعة »(1) . و « قَدْحًا » انتصب بما انتصب به «ضَبْحًا» . وقيل : هذه الآيات فى الخيل؛ ولكن إيراءها أن تهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوهم . ومنه يقال للحرب إذا التحمت : حَمِيَ الوَطِيس . ومنه قوله تعالى : « كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ »(2) . وروى معناه عن ابن عباس أيضا ، وقاله قتادة . وعن ابن عباس أيضا : أن المراد بالموريات قدحا مكر الرجال فى الحرب ؛ وقاله مجاهد وزيد بن أسلم . والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه : والله لأمكرنّ بك، ثم لأُورِيَنّ لك . وعن ابن عباس أيضا : هم الذين يَغْزُون فيُورون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم . وعنه أيضا : أنها نيران المجاهدين إذا كثرت نارُها إرهابًا . وكل مَن قَرُب من العدو يوقد نيرانا كثيرة ليظنّهم العدو كثيرا . فهذا إقسام بذلك . قال محمد بن كعب : هى النار تجمع . وقيل : هى أفكار الرجال تُورِى نار المكر والخديعة . وقال عكرمة : هى ألسنة الرجال تُورِى النار من عظيم ما تتكلّم به ، ويظهر بها من إقامة الحجج و إقامة الدلائل و إيضاح الحق و إبطال الباطل . وروى ابن جُرَيج عن بعضهم قال : فالمنجحات أمرًا وعملا كنجاح الزَّنْد إذا أورى .

قلت : هذه الأقوال مجاز ؛ ومنه قولهم : فلانٌ يُورِى زِناد الضلالة . والأوّل الحقيقة ، وأن الخيل من شدّة عَدْوِها تَقْدَح النار بحوافرها . قال مُقاتل : العرب تسمّى تلك النارَ نار أبى حُبَاحِب ، وكان أبو حُبَاحِب شيخًا من مُضَر فى الجاهلية من أبخل الناس ، وكان لا يوقد نارًا لخبز ولا غيره حتى تنام العيون فيُوقِد نُوَيْرَةً تَقِد مرّة وتَخْمُد أخرى ؛ فإن استيقظ لها أحد

(1) راجع جـ ١٧ ص ٢٢١ (2) آية ٦٤ سورة المائدة .

أطفأها كراهية أن ينتفع بهـا أحد . فشبّهت العربُ هذه النارَ بنـاره ؛ لأنه لا يُنتفع بهـا .
وكذلك إذا وقع السيف على البَيْضة فاقتدحت نارًا فكذلك يُسَمُّونها . قال النابغة :

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنّ سُيُوفَهم * بهن فُـلول من قِراع الكتائب
تَقُدُّ السَّلُوقيّ المضاعَفَ نَسْجُه * وتُوقِد بالصُّـفّاح نارَ الحُباحِب[1]

قوله تعـالى : ﴿ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴾ (٣)

الخيل تُغير على العدوّ عنـد الصبح ؛ عن ابن عباس وأكثر المفسرين . وكانوا إذا أرادوا الغارة سَرَوْا ليلًا و يأتون العدوّ صُبْحًا ؛ لأن ذلك وقت غفلة الناس . ومنه قوله تعالى : « فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ »[2] . وقيل : لعزّهم أغاروا نهارًا ؛ و « صُبْحًا » على هذا ، أى علانيةً تشبيهًا بظهور الصبح . وقال ابن مسعود وعلىّ رضى الله عنهما : هى الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من مِنًى إلى جَمْع . والسُّنّة ألا تدفع حتى تُصبح ؛ وقاله القُرَظىّ . والإغارة سرعة السير ؛ ومنه قولهم : أشرِق ثَبِير[3] كيما نُغير .

قوله تعـالى : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴾ (٤)

أى غبارا ؛ يعنى الخيل تُثير الغبار بشدّة العَدْو فى المكان الذى أغارت به . قال عبد الله ابن رَوَاحة :

عَدِمتُ بُنَيّتى إن لم تَرَوْها * تُثير النَّقْع من كَنَفَىْ كَدَاء[4]

والكناية فى « به » ترجع إلى المكان أو إلى الموضع الذى تقع فيه الإغارة . و إذا علم المعنى جاز أن يُكنّى عما لم يجر له ذكر بالتصريح ؛ كما قال « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »[5] . وقيل : « فَأَثَرْنَ بِهِ »

---

(١) السلوق : الدرع المنسوبة إلى سلوق ، قرية باليمن . والصُّفّاح : جمع صفاحة ، وهى الحجر العريض .
(٢) آية ١٧٧ سورة الصافات .
(٣) ثبير : جبل بقرب مكة ، وهو على يمين الذاهب إلى عرفة . أى ادخل فى الشروق ، وهو ضوء الشمس .
(٤) كداء (بفتح الكاف ومدّ الدال) : جبل بمكة .
(٥) آية ٣٢ سورة ص .

أى بالعَدْو «نقعا» . وقد تقدّم ذكر العَدْو . وقيل : النَّقْع ما بين مُزْدَلِفة إلى مِنًى ؛ قاله محمد ابن كعب القُرَظِىّ . وقيل : إنه طريق الوادى ؛ ولعله يرجع إلى الغبار المثار من هذا الموضع . وفى الصّحاح : النقع الغبار ، والجمع نِقاع . والنَّقْع مَحْبِس الماء . وكذلك ما ٱجتمع فى البئر منه . وفى الحديث : أنه نَهى أن يُمنع نقع البئر . والنقع الأرض الحُرّة الطِّين يَسْتَنْقِع فيها الماء ، والجمع نِقاع وأنقع ؛ مثل بَحْر وبِحار وأبحر .

قلت : وقد يكون النقع رفع الصوت ؛ ومنه حديث عمر حين قيل له : إن النساء قد اجتمعن يَبكين على خالد بن الوليد ؛ فقال : وما على نساء بنى المُغيرة أن يَسْفِكْن من دموعهنّ وهنّ جلوس على أبى سليمان ما لم يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقة . قال أبو عبيد : يعنى بالنقع رفع الصوت ؛ على هذا رأيت قول الأكثرين من أهل العلم ؛ ومنه قول لَبِيد :

فمَتَى يَنْقَعْ صُراخٌ صادِقٌ * يُحْلِبوها ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

ويروى « يَحْلِبوها » أيضا . يقول : متى سمعوا صراخا أحلبوا الحرب ، أى جمعوا لها . وقوله «ينقع صراخ» يعنى رفع الصوت . وقال الكسائى : قوله «نَقْعٌ ولا لَقْلَقة» النقع صنعة الطعام ؛ يعنى فى المأتم . يقال منه : نقعت أنقع نقعا . قال أبو عبيد : ذهب بالنقع إلى النقيعة ؛ وإنما النقيعة عند غيره من العلماء صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا فى المأتم . وقال بعضهم : يريد عُمَر بالنَّقْع وضع التراب على الرأس ؛ يذهب إلى أن النقع هو الغبار . ولا أحسب عُمَر ذهب إلى هذا ، ولا خافه منهنّ ، وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهنّ القيام . فقال : يسفكن من دموعهن وهنّ جلوس . قال بعضهم : النقع شق الجيوب ؛ وهو الذى لا أدرى ما هو من الحديث ولا أعرفه ، وليس النقع عندى فى هذا الحديث إلا الصوت الشديد ، وأمّا اللَّقْلَقة فشدّة الصوت ، ولم أسمع فيه اختلافا . وقرأ أبو حَيْوَة « فأثّرن » بالتشديد ؛ أى أرَت آثار ذلك . ومن خفّف فهو من أثار إذا حرّك ؛ ومنه « وأثاروا الأَرْضَ »[1] .

(١) آية ٩ سورة الروم .

قوله تعالى : فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾

«جمعا» مفعول بـ«وسطن» ؛ أى فوسّطن بركبانهن العدو ؛ أى الجمع الذى أغاروا عليهم . وقال ابن مسعود : «فوسطن به جمعا» يعنى مزدلفة ، وسميت جمعا لاجتماع الناس بها . ويقال : وَسَطْتُ القومَ أَسِطُهم وَسْطًا وسِطَة ؛ أى صِرت وسَطهم . وقرأ علىّ رضى الله عنه « فوسّطن » بالتشديد ، وهى قراءة قتادة وابن مسعود وأبى رجاء ؛ لغتان بمعنًى ، يقال : وسطت القوم (بالتشديد والتخفيف) وتوسطتهم بمعنًى واحد . وقيل : معنى التشديد جعلُها الجمع قسمين . والتخفيف صِرن فى وسط الجمع ؛ وهما يرجعان إلى معنى الجمع .

فوله تعالى : إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

هذا جواب القسم ؛ أى طُبع الإنسان على كُفران النعمة . قال ابن عباس : «لكنودٌ» لكَفُور جحودٌ لنعم الله . وكذلك قال الحسن . وقال : يذكر المصائبَ وينسى النِّعم . أخذه الشاعر فنظمه :

يأيها الظالم فى فعله * والظلم مردود على من ظلمْ
الى متى أنت وحتى متى * تشكو المصيباتِ وتنسى النِّعمْ

وروى أبو أُمامة الباهلىّ قال قال رسول الله صلىّ الله عليه وسلم : " الكَنُودُ هو الذى يأكل وحده ويمنع رِفده[1] ويضرب عبده " . وروى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أنبئكم بشراركم " ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال : " من نزل وحده ومنع رِفده وجَلد عبده " . خرجهما الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول . وقد رُوى عن ابن عباس أيضا أنه قال : الكنود بلسان كِندة وحَضرموت : العاصى ، وبلسان ربيعة ومُضر : الكفور . وبلسان كِنانة : البخيل السّيئ المَلَكة ؛ وقاله مقاتل . وقال الشاعر :

كَنُودٌ لِنَعْماء الرجال ومَن يكن * كنودًا لنعماء الرجال يُبَعَّد

(١) الرفد (بكسر الراء) : العطاء والصلة .

أى كفور . ثم قيل : هو الذى يكفر اليسير ولا يشكر الكثير . وقيل : الجاحد للحق .
وقيل : إنما سُمِّيت كِنْدة كِندة لأنها جحدت أباها . وقال إبراهيم بن هَرْمة الشاعر :

دَعِ البُخَلاءَ إن شَمَخُوا وصَدُّوا * وذِكْرَى بُخْلِ غانيةٍ كَنُودِ

وقيل : الكَنُود من كَنَد إذا قطع ؛ كأنه يقطع ما ينبغى أن يواصله من الشكر . ويقال :
كَنَد الحبل إذا قطعه . قال الأعشى :

أميطى تُميطى بصُلْب الفؤادْ[1] * وَصُولِ حِبالٍ وكَنَّادِها

فهذا يدلّ على القطع . ويقال : كَنَد يَكْنُد كنودًا ؛ أى كفر النعمة وجحدها فهو كَنُود .
وامرأة كَنُود — أيضا — وكُنُد مثله . قال الأعشى :

أحْدِثْ لها تُحدِث لوصلك إنها * كُنُدٌ لوَصْلِ الزائر المُعْتادِ[2]

أى كفور للواصلة . وقال ابن عباس : الإنسان هنا الكافر ؛ يقول إنه لكفور ؛ ومنه
الأرض الكَنُود التى لا تُنبت شيئا . وقال الضحاك : نزلت فى الوليد بن المغيرة . قال المبرد :
الكَنُود المانعُ لما عليه . وأنشد لكُثَيِّر[3] :

أحْدِثْ لها تُحدِث لوصلك إنها * كُنُدٌ لوصل الزائر المعتاد

وقال أبو بكر الواسطى : الكَنُود الذى يُنفق نعمَ الله فى معاصى الله . وقال أبو بكر الوراق :
الكَنُود الذى يرَى النعمة من نفسه وأعوانه . وقال الترمذى : الذى يرى النِّعمة ولا يرى المُنْعِم .
وقال ذو النُّون المصرى : الهَلُوع والكَنُود هو الذى إذا مسّه الشرُّ جَزُوع ، و إذا مسّه الخير
منوع . وقيل : هو الحقود الحسود . وقيل : هو الجَهُول لقدْره . وفى الحكمة : مَن جَهِل
قَدْرَه هَتَك سِتْرَه .

---

(١) ماط الأذى ميطا وأماطه : نحاه ودفعه . يقول : إن تحيت عنى فإنى صلب الفؤاد ، وصول لمن يصل ،
كفور لمن كفر . (٢) المعتاد : الذى يعود مرة بعد أخرى .
(٣) تقدّم أن هذا البيت للأعشى ، ولم نجده فى ديوان كثير الذى بين أيدينا .

قلت : هذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود . وقد فسّر النبيّ صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومة وأحوال غير محمودة؛ فإن صح فهو أعلى ما يقال ولا يبقى لأحد معه مقال .

قوله تعالى : وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

أى وإن الله عزّ وجلّ شناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد . كذا روى منصور عن مجاهد ؛ وهو قول أكثر المفسرين، وهو قول ابن عباس . وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب : « وإنه » أى وإن الإنسان لشاهد على نفسه بما يصنع؛ وروى عن مجاهد أيضا .

قوله تعالى : وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أى الإنسان من غير خلاف . ﴿ لِحُبِّ الخَيْرِ ﴾ أى المال ؛ ومنه قوله تعالى : « إِنْ تَرَكَ خَيْراً »(1) . وقال عدىّ :

ماذا تُرجى النفوسُ من طَلَبِ الـ * ـخَير وحُبُّ الحياةِ كارِبُها(2)

﴿ لَشَدِيد ﴾ أى لقوىّ فى حبّه للمال . وقيل : « لشديد » لبخيل . ويقال للبخيل : شديد ومتشدّد . قال طَرَفة :

أرى المَوْتَ يَعْتامُ الكِرامَ ويَصْطَفِى * عَقِيلةَ مالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ

يقال : اعتامه واعتماه؛ أى اختاره . والفاحش : البخيل أيضا ؛ ومنه قوله تعالى : « وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ »(3) أى البُخْل . قال ابن زيد : سمّى الله المال خيرا؛ وعسى أن يكون شرا وحراما(4)؛ ولكنّ الناس يعدّونه خيرا فسماه الله خيرا لذلك . وسمّى الجهاد سوءا فقال : « فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ »(5) على ما يسميه الناس . قال الفرّاء : نَظْمُ الآية أن يقال وإنه لشديد الحب للخير؛ فلما تقدّم الحبّ قال شديد وحذف من آخره ذكر

(1) آية ١٨٠ سورة البقرة . (2) كاربها : غامها ؛ من كربه الأمر : اشتدّ عليه .
(3) آية ٢٦٨ سورة البقرة . (4) فى بعض نسخ الأصل : « شرا وخيرا » .
(5) آية ١٧٤ سورة آل عمران .

الحب؛ لأنه قد جرى ذكره، ولرءوس الآى؛ كقوله تعالى: «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»[(1)] والعصوف للريح لا الأيام، فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرح من آخره ذكر الريح؛ كأنه قال: فى يوم عاصف الريح.

قوله تعالى: أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أى ابن آدم ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أى أثير وقلب وبحث فأخرج ما فيها. قال أبو عبيدة: بعثرت المتاع جعلت أسفله أعلاه. وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يبعثون. الفراء: سمعت بعض أعراب بنى أسد يقرأ «بُحْثِر» بالحاء مكان العين؛ وحكاها الماوردى عن ابن مسعود، وهما بمعنى. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أى مُيِّز ما فيها من خير وشر؛ كذا قال المفسرون. وقال ابن عباس: أُبرِز. وقرأ عُبيد بن عُمير وسعيد بن جُبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم «وحَصَل» بفتح الحاء وتخفيف الصاد وفتحها؛ أى ظهر. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أى عالم لا يخفى عليه منهم خافية. وهو عالم بهم فى ذلك اليوم وفى غيره، ولكن المعنى أنه يجازيهم فى ذلك اليوم. وقوله: «إذا بُعْثِر» العامل فى «إذا»: «بُعْثِر» ولا يعمل فيه «يعلم»؛ إذ لا يراد به العلم من الإنسان ذلك الوقت، إنما يراد فى الدنيا. ولا يعمل فيه «خبير»؛ لأن ما بعد «إنّ» لا يعمل فيما قبلها. والعامل فى «يومئذ»: «خبير» وإن فصلت اللام بينهما؛ لأن موضع اللام الابتداء، وإنما دخلت فى الخبر لدخول «إنّ» على المبتدأ. ويروى أن الحجاج قرأ هذه السورة على المنبر يحضّهم على الغزو، فجرى على لسانه «أن ربّهم» بفتح الألف، ثم استدركها فقال: «خبير» بغير لام. ولولا اللام لكانت مفتوحة لوقوع العلم عليها. وقرأ أبو السَّمّال «أنّ ربهم بهم يومئذ خبير». والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(1) آية ١٨ سورة إبراهيم.

تفسير سورة « القارعة »

وهى مكية بإجماع . وهى عشر آيات[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : ٱلْقَارِعَةُ (١) مَا ٱلْقَارِعَةُ (٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ (٣)

قوله تعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ ﴾ أى القيامة والساعة ؛ كذا قال عامة المفسرين . وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها . وأهل اللغة يقولون : تقول العرب قرعتهم القارعة ، وفقرتهم الفاقرة ؛ إذا وقع بهم أمرٌ فظيع . قال ابن أحمر :

وقارعة من الأيام لولا * سبيلهم لزاحت[2] عنك حينا

وقال آخر :

متى تقرع بمروتكم[3] نسؤكم * ولم توقد لنا فى القدر نار

وقال تعالى : « وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ[4] » وهى الشديدة من شدائد الدهر .

قوله تعالى : ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ استفهام ؛ أى أىّ شىء هى القارعة ؟ وكذا ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ كلمة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشأنها ؛ كما قال : « الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ[5] » على ما تقدم .

---

(١) فى كتاب روح المعانى : وآيها إحدى عشرة آية فى الكوفى ، وعشر فى الحجازى ، وثمان فى البصرى والشامى .

(٢) فى بعض النسخ : « لراحت » بالراء . (٣) المروة : حجر يقدح منه النار .

(٤) آية ٣١ سورة الرعد . (٥) راجع جـ ١٨ ص ٢٥٧

قوله تعالى : يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

« يوم » منصوب على الظرف ، تقديره : تكون القارعة يومَ يكون النـاسُ كالفَراش المبثوث . قال قتادة : الفراش الطيرُ الذى يتساقط فى النار والسِّراج . الواحدة فَراشة ؛ وقاله أبو عبيدة . وقال الفـراء : إنه الهَمَج الطائر من بَعُوض وغيره ؛ ومنـه الجراد . و يقال : هو أَطْيَش من فراشة . وقال :

طُوَيِّشٌ من نَفَرٍ أطيـاشِ * أطيش من طائرة الفَـراش

وقال آخر :

وقـد كان أقوام رددت قلوبهـم * إليهم[(١)] وكانوا كالفراش من الجهـل

وفى صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَثَلى ومَثَلُكم كمَثَل رجل أَوْقَدَ نارا فجعل الجنادبُ والفَراش يَقعْن فيها وهو يَذُبُّهنّ عنها وأنا آخذ بِحُجَزكم عن النار وأنتم تَفَلّتون من يدى " . وفى الباب عن أبى هريرة . والمَبْثُوث المُتَفَرِّق . وقال فى موضع آخر : « كأنّهم جَرادٌ مُنْتَشِرٌ[(٢)] » . فأول حالهم كالفراش لا وجه له يتحيّر فى كل وجه ثم يكونون كالجراد ؛ لأن لها وَجْهًا تَقْصده . والمبثوث : المتفرق المنتشر . و إنما ذُكِّر على اللفظ ؛ كقوله تعالى : « أَعْجَازُ نَخْـلٍ مُنْقَعِرٍ[(٣)] » ولو قال المبثوثة [فهـو][(٤)] كقوله تعالى : « أَعْجَازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ[(٥)] » . وقال ٱبن عباس والفراء : « كالفَراش المبثوث » كغَوْغاء الجراد يركب بعضها بعضا . كذلك الناس يجول بعضهم فى بعض إذا بُعثوا .

قوله تعـالى : وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾

أى الصوف الذى يُنفش باليد ؛ أى تصير هَباء وتزول ؛ كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر : « هَباءً مُنْبَثًّا[(٦)] » . وأهل اللغة يقولون : العِهْن الصُّوفُ المصبوغ . وقـد مضى فى سـورة « سأل سائل[(٧)] » .

---

(١) فى بعض النسخ : « عليهم » . (٢) آية ٧ سورة القمر . (٣) آية ٢٠ سورة القمر .

(٤) الزيادة من تفسير ٱبن عادل يقتضيها السياق . (٥) آية ٧ سورة الحاقة .

(٦) آية ٦ سورة الواقعة . (٧) راجع جـ ١٨ ص ٢٨٤

قوله تعالى : فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

قد تقدم القول في الميزان في «الأعراف والكهف والأنبياء»(1) . وأن له كِفّة ولسانا تُوزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات . ثم قيل : إنه ميزان واحد بيد جبريل يَزن أعمال بني آدم ، فعبّر عنه بلفظ الجمع . وقيل : موازين ؛ كما قال :

* فلِكُلّ حادثةٍ لها ميزان(2) *

وقد ذكرناه فيما تقدم(3) . وذكرناه أيضا في كتاب «التذكرة» . وقيل : إن الموازين الحجج والدلائل ؛ قاله عبد العزيز بن يحيى ، واستشهد بقول الشاعر :

قد كنتُ قبل لقائكم ذا مِرّةٍ * عنــدي لكلّ مُخاصِم ميزانُه

ومعنى « عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » أي عيش مرضيّ يرضاه صاحبه . وقيل : « عِيشَةٍ راضِيةٍ » أي فاعلة للرضا ، وهو اللين والانقياد لأهلها . فالفعل للعيشة لأنها أعطت الرضا من نفسها ، وهو اللين والانقياد . فالعيشةُ كلمةٌ تجمع النِّعم التي في الجنة ، فهي فاعلة للرضا ، كالفرش المرفوعة ، وارتفاعها مقدار مائة عام ، فإذا دنا منها وَلِيّ الله اتّضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع كهيئتها ، ومِثْل الشجرة فروعها ، كذلك أيضا من الارتفاع ، فإذا اشتهى وَلِيُّ الله ثمرتها تدلّت إليه حتى يتناولها وَلِيُّ الله قاعدًا وقائمًا ، وذلك قوله تعالى : « قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ »(4) . وحيث ما مشى أو ينتقلُ من مكان إلى مكان ، جرى معه نهر حيث شاء عُلُوًّا وسُفْلًا ، وذلك قوله تعالى : « يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا »(5) . فيروى في الخبر " إنه يشير بقضيبه فيجري من غير أخدود حيث شاء من قصوره وفي مجالسه " . فهذه الأشياء كلها عيشةٌ قد أعطت الرضا من نفسها ، فهي

(1) راجع جـ ٧ ص ١٦٥ وما بعدها ، وجـ ١١ ص ٦٦ وص ٢٩٣

(2) صدر البيت : * ملك تقوم الحادثات لعدله *

(3) راجع جـ ١١ ص ٢٩٣ (4) آية ٢٣ سورة الحاقة . (5) آية ٦ سورة الإنسان .

فاعلة للرضا، وهي أنذلّت وأنقادت بَذْلاً وسماحة . ومعنى ﴿ فأمه هاوية ﴾ يعنى جهنم وسمّاها أُمّاً لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه؛ قاله أبن زيد . ومنه قول أمية بن أبى الصّلت :

فالأرض مَعْقِلُنا وكانت أُمّنا * فيها مقابرنا وفيها نُولَدُ

وسُمّيت النارُ هاويةً لأنه يَهْوِى فيها مع بُعْد قَعْرها . ويروى أن الهاوية أسم الباب الأسفل من النار . وقال قتادة : معنى « فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ » فمصيره إلى النار . عكرمة : لأنه يهوى فيها على أُمّ رأسه . الأخفش : « أمّه » مستقرّه . والمعنى متقارب . وقال الشاعر :

يا عمرو لو نالتــك أرماحنا * كنتَ كمن تَهْوِى به الهاويه

والهاوية : المَهْواة . وتقول : هوت أمّه فهى هاوية أى ثاكلة؛ قال كعب بن سعد الغَنَوِىّ :

هَوَتْ أُمُّه ما يَبعث الصبحُ غادياً * وماذا يُؤدِّى الليـلُ حين يؤوب

والمَهْوَى والمَهْواةُ ما بين الجبلين، ونحـو ذلك . وتهاوَى القومُ فى المَهواة إذا سقط بعضهم فى إثر بعض . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ﴾ الأصل « ما هى » فدخلت الهاء للسّكْت . وقرأ حمزة والكسائىّ و يعقوب وآبن مُحَيْصِن «ما هى . نارٌ» بغير هاء فى الوصل؛ ووقفوا بها . وقد مضى فى سورة « الحاقة » بيانه[(1)] . ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ أى شديدة الحرارة . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبىّ صلى الله عليه وسـلم قال : " ناركم هذه التى يُوقِد آبنُ آدمَ جزءٌ من سبعين جزءا من حَرّ جهنم " قالوا : والله إن كانت لكافيةً يا رسول الله . قال : " فإنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلُّها مثلُ حرّها " . وروى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : إنما ثَقُل ميزانُ من ثَقُل ميزانه لأنه وُضع فيـه الحق، وحُقّ لميزان يكون فيه الحق أن يكون ثقيلا . وإنمـا خفّ ميزانُ من خَفّ ميزانُه لأنه وُضع فيه الباطل، وحُقّ لميزان يكون فيه الباطل أن يكون خفيفًا . وفى الخبر عن أبى هريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : "أن الموتى يَسألون الرجلَ يأتيهـم عن رجل مات قبله فيقول ذلك مات قبـلى أما مَرّ بكم فيقولون لا والله فيقـول إنا لله و إنا إليـه راجعون ذُهب به إلى أمـه الهاوية فبئست الأمّ وبئست المُرَبِّية " وقد ذكرناه بكماله فى كتاب « التذكرة » والحمد لله .

(1) راجع جـ ١٨ ص ٢٦٩

تفسير سورة « التكاثر »

وهي مكّية، في قول جميع المفسرين . وروى البخاري أنها مَدَنية . وهي ثماني آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ « ألهاكم » شغلكم . قال :

* فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُغْيَلِ (١) *

أي شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى مُتّم ودُفنتم في المقابر . وقيل : « ألهاكم » أنساكم . «التكاثر» أي من الأموال والأولاد؛ قاله ابن عباس والحسن . وقال قتادة : أي التفاخر بالقبائل والعشائر . وقال الضحاك : أي ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة . يقال: لَهِيتُ عن كذا (بالكسر) ألهَى لُهِيًّا ولِهْيانًا إذا سَلَوْتَ عنه وتركتَ ذكره وأضربتَ عنه . وألهاه أي شغله . ولَهّاه به تلهيةً أي علّله . والتكاثر : المكاثرة . قال مقاتل وقتادة وغيرهما : نزلت في اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان؛ ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلّالا . وقال ابن زيد: نزلت في فَخِذ من الأنصار. وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي : نزلت في حَيّيْن من قريش : بني عبد مناف، وبني سَهْم ؛ تعادّوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام؛ فقال كل حيّ منهم : نحن أكثر سيدا، وأعزّ عزيزا، وأعظم نَفَرًا، وأكثر عائذا ؛ فكَثَر بنو عبد مناف سَهْمًا ، ثم تكاثروا بالأموات فكَثَرتْهم سَهْمٌ ؛ فنزلت

(١) هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس ، وصدره :

* فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع *

ويروى : « تمائم مُحْوِل » ؛ أي قد أتى عليه الحول . و « المغيل » : الذي تؤتى أمه وهي ترضعه .

«ألهاكم التكاثر» بأحيائكم فلم ترضوا ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ مفتخرين بالأموات . وروى سعيد عن قتادة قال : كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان ؛ وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم ؛ والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم . وعن عمرو بن دينار : حلف أن هذه السورة نزلت في التجار . وعن شيبان عن قتادة قال : نزلت في أهل الكتاب .

قلت : الآية تعم جميع ماذكر وغيره . وفي صحيح مسلم عن مُطَرِّف عن أبيه قال : أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ « ألهاكم التكاثر » قال : "يقول ابنُ آدم مالي مالي وهل لك يابن آدمَ من مالك إلّا ما أكلتَ فأفنيتَ أو لبستَ فأبليْتَ أو تصدّقت فأمضيت [وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس](١) . وروى البخاريّ عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو أن لابن آدم واديًا من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب" . قال ثابت عن أنس عن أُبيّ : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت « أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » . قال ابن العربيّ : وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهّلوا ، والحمد لله على المعرفة . وقال ابن عباس : قرأ النبيّ صلى الله عليه وسلم « أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » قال : " تكاثر الأموال جمْعُها من غير حقها ومنْعُها من حقها وشدُّها في الأوعية " .

الثانيـــة ـــ قوله تعالى : ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زُوّارا ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار . يقال لمن مات : قد زار قبره . وقيل : أي ألهاكم التكاثر حتى عددتم الأموات ، على ما تقدّم . وقيل : هذا وعيد . أي اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا القبور فتروْا ما ينزل بكم من عذاب الله عز وجل .

الثالثـــة ـــ قوله تعالى : ﴿الْمَقَابِرَ﴾ جمع مَقْبَرة ومَقْبُرة (بفتح الباء وضمها) . والقبور جمع القبر ؛ قال :

(١) ما بين المربعين من رواية أبي هريرة في سند آخر لا من رواية مطرف (راجع صحيح مسلم) .

أرى أهل القصور إذا أميتوا * بَنَوْا فوق المقابر بالصخور
أبَوْا إلا مباهاة وفخرا * على الفقراء حتى فى القبور

وقد جاء فى الشعر المَقْبُر، قال :

لكل أناس مَقْبُرٌ بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد

وهو المَقْبَرِىّ والمَقْبُرِىّ لسعيد المقبرى؛ وكان يسكن المقابر. وقَبَرْتُ الميت أقبِره وأقبُره قَبْرًا أى دفنته. وأقبرته أى أمرتُ بأن يُقبر. وقد مضى فى سورة «عبس» القول فيه (١).
والحمد لله.

الرابعة — لم يأت فى التنزيل ذِكْر المقابر إلا فى هذه السورة. وزيارتها من أعظم الدواء للقلب القاسى؛ لأنها تذكّر الموتَ والآخرة. وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد فى الدنيا وترك الرغبة فيها. قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم: "كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهّد فى الدنيا وتذكّر الآخرة" رواه ابن مسعود؛ أخرجه ابن ماجه. وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة: "فإنها تذكّر الموت". وفى الترمذىّ عن بُرَيدة: "فإنها تذكر الآخرة". قال هذا حديث حسن صحيح. وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوّارات القبور. قال: وفى الباب عن ابن عباس وحسان بن ثابت. قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح. وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخّص النبىّ صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور؛ فلمّا رخّص دخل فى رخصته الرجالُ والنساء. وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلّة صبرهن وكثرة جزعهن.

قلت: زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء، مختلف فيه للنساء. أما الشوابّ فحرام عليهنّ الخروج، وأما القواعد فمباح لهنّ ذلك. وجائز لجميعهن ذلك إذا انفردن بالخروج عن الرجال؛ ولا يختلف فى هذا إن شاء الله. وعلى هذا المعنى يكون قوله: "زوروا القبور" عامّ. وأما مَوْضعٌ أو وقتٌ يُخشى فيه الفتنةُ من اجتماع الرجال والنساء فلا يحلّ ولا يجوز.

(١) راجع جـ ١٩ ص ٢١٧

فبينا الرجلُ يخرج ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيفتتن وبالعكس؛ فيرجع كل واحد من الرجال والنساء مأزورا غير مأجور . والله أعلم .

الخامسة — قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يُكثر من ذكر هاذم اللذات (١) ، ومُفرِّق الجماعات، ومُوتِم البنين والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضَرين، وزيارة قبور أموات المسلمين. فهذه ثلاثة أمور، ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عَظُم عليه ران قلبه واستحكمت فيه دواعي الذنب، فإن مشاهدة المحتضَرين وزيارة قبور أموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير . وفي مشاهدة من احتُضر وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينةٌ ومشاهدةٌ؛ فلذلك كان أبلغ من الأول؛ قال صلى الله عليه وسلم: "ليس الخبر كالمعاينة" . رواه ابن عباس . فأما الاعتبار بحال المحتضَرين فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات . وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر . فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها، ويُحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظّه منها التّطواف على الأجداث فقط؛ فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة . ونعوذ بالله من ذلك . بل يقصد بزيارته وجهَ الله تعالى وإصلاحَ فساد قلبه، أو نفعَ الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء، ويتجنب المشيَ على المقابر والجلوس عليها، ويسلّم إذا دخل المقابر، وإذا وصل إلى قبر ميّته الذي يعرفه سلّم عليه أيضا، وأتاه من تلقاء وجهه، لأنه في زيارته كمخاطبته حيًّا، ولو خاطبه حيًّا لكان الأدب استقباله بوجهه؛ فكذلك ها هنا . ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهَوْل لم يرتقبه . فليتأمل الزائر حال

---

(١) هاذم (بالذال المعجمة) بمعنى قاطع؛ والمراد الموت؛ إما لأن ذكره يزهد فيها، وإما لأنه إذا جاء لا يبقى من لذائذ الدنيا شيئا .

من مضى من إخوانه، ودَرَج من أقرانه الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تُغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمّل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذُلّ اليُتْم أولادهم، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم. وليتذكر تردّدهم(١) في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بدّ صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردّدا في أغراضه، وكيف تهدّمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خوّله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله. وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويُقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويُقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخشع جوارحه.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ قال الفرّاء: أي ليس الأمر على ما أنتم عليه من التفاخر والتكاثر. والتمام على هذا ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي سوف تعلمون عاقبة هذا. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيد بعد وعيد؛ قاله مجاهد. ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ؛ وهو قول الفرّاء. وقال ابن عباس: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» ما ينزل بكم من العذاب في القبر. «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» في الآخرة إذا حلّ بكم العذاب. فالأوّل في القبر والثاني في الآخرة؛ فالتكرار للحالتين. وقيل: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق. «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» عند البعث أن ما وعدتكم به صدق. وروى زِرّ بن حُبَيْش عن عليّ رضي الله عنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة، فأشار إلى أن قوله: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» يعني في القبور. وقيل: «كَلَّا سَوْفَ

---

(١) في نسخة: «تزودهم المآب».

تَعْلَمُونَ» إذا نزل بكم الموت وجاءتكم رسلى لنزع أرواحكم . ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ إذا دخلتم قبوركم وجاءكم منكر ونكير، وحاط بكم هَوْلُ السؤال، وانقطع منكم الجواب .

قلت : فتضمّنت السورة القولَ فى عذاب القبر . وقد ذكرنا فى كتاب « التذكرة » أن الإيمان به واجب والتصديق به لازم؛ حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالى يحيى العبد المكلف فى قبره بردّ الحياة إليه، ويجعل له من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه؛ ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربّه، وما أعدّ له فى قبره من كرامة وهوان . وهذا هو مذهب أهل السنة، والذى عليه الجماعة من أهل الملة . وقد ذكرناه هنالك مستوفًى والحمد لله . وقيل : « كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» عند النشور أنكم مبعوثون «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعلمُونَ» فى القيامة أنكم معذبون . وعلى هذا تضمّنت أحوال القيامة من بعث، وحشر، وسؤال وعرض، إلى غير ذلك من أهوالها وأفزاعها؛ حسب ما ذكرناه فى كتاب « التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة » . وقال الضحاك : «كَلَّا سَوْفَ تَعلمُونَ » يعنى الكفار « ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ يَعلَمُونَ » : قال المؤمنون . وكذلك كان يقرؤها ، الأولى بالتاء والثانية بالياء .

قوله تعالى : كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ أعاد « كلا » وهو زجرٌ وتنبيه ، لأنه عقّب كل واحد بشىء آخر ؛ كأنه قال : لا تفعلوا فإنكم تندمون، لا تفعلوا فإنكم تستوجبون العقاب . وإضافة العلم إلى اليقين كقوله تعالى : « إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ »[(١)] . وقيل : اليقين ها هنا الموت؛ قاله قتادة . وعنه أيضا البعث؛ لأنه إذا جاء زال الشك . أى لو تعلمون علم البعث . وجواب « لو » محذوف؛ أى لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه إذا جاءتكم نفخة الصور ، وانشقت اللُّحود عن جُثثكم كيف يكون حشركم ؛ لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا . وقيل : « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أى لو قد تطايرت الصحف فشقيٌّ وسعيدٌ[(٢)] .

---

(١) آية ٩٥ سورة الواقعة . (٢) كذا فى نسخ الأصل .

وقيل : إن « كلا » في هذه المواضع الثلاثة بمعنى « ألا » قاله ابن أبي حاتم، وقال الفراء : هي بمعنى « حَقًّا » وقد تقدم الكلام فيها مستوفًى (١) .

قوله تعالى : لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾

قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ هذا وعيد آخر . وهو على إضمار القسم؛ أي لترونّ الجحيم في الآخرة . والخطاب للكفار الذين وجبت لهم النار . وقيل : هو عام؛ كما قال : « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا » (٢) فهي للكفار دارٌ وللمؤمنين ممرٌّ . وفي الصحيح : " فيمرّ أوّلهم كالبرق ثم كالريح ثم كالطير... " الحديث . وقد مضى في سورة « مريم » (٣) . وقرأ الكسائي وابن عامر « لَتُرَوُنَّ » بضم التاء من أريته الشيء؛ أي تحشرون إليها فترونها . وعلى فتح التاء هي قراءة الجماعة؛ أي لترونّ الجحيم بأبصاركم على البعد . ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ أي مشاهدة . وقيل : هو إخبار عن دوام مقامهم في النار؛ أي هي رؤية دائمة متصلة . والخطاب على هذا للكفار . وقيل : معنى « لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » أي لو تعلمون اليوم في الدنيا علم اليقين فيما أمامكم مما وصفت « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » بعيون قلوبكم؛ فإن علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك؛ وهو أن تتصوّر لك تارات القيامة وقطع مسافاتها . « ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » أي عند المعاينة بعين الرأس فتراها يقيناً لا تغيب عن عينك « ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » في موقف السؤال والعَرْض .

قوله تعالى : ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعُمَر؛ فقال : " ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة " ؟ قالا : الجوع يا رسول الله . قال : " وأنا

---

(١) راجع جـ ١١ ص ١٤٧ فما بعدها . (٢) آية ٧١ سورة مريم .

(٣) راجع جـ ١١ ص ١٣٧

والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما قوما " فقاما معه ؛ فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أين فلان "؟ قالت: يستعذب لنا من الماء؛ إذ جاء الأنصارى فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله! ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافا منى. قال: فانطلق فجاءهم بعِذق فيه بُسْر وتمر ورُطَب فقال: كلوا من هذه. وأخذ المُدْيَة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إياك والحَلُوب " فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العِذق، وشربوا؛ فلما أن شبعوا ورَوُوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر: " والذى نفسى بيده لتسألنّ عن نعيم هذا اليوم يومَ القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوعُ ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم " أخرجه الترمذى، وقال [فيه]: " هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة، ظلٌّ بارد، ورُطَبٌ طيّب، وماء بارد " وكنّى الرجل الذى من الأنصار فقال: أبو الهَيْثم بن التَّيِّهان. وذكر قصته.

قلت: اسم هذا الرجل الأنصارى مالكُ بن التَّيِّهان، ويُكْنَى أبا الهَيْثَم. وفى هذه القصة يقول عبد الله بن رَوَاحة، يمدح بها أبا الهيثم بن التيهان:

فلمْ أرَ كالإسلامِ عِزًّا لأمّةٍ * ولا مثلَ أضيافِ الأراشى مَعْشَرا
نبيٌّ وصدِّيقٌ وفاروقُ أمّةٍ * وخيرُ بنى حوّاء فَرْعًا وعُنْصُرا (٢)
فوافَوْا لميقاتٍ وقَدْرِ قضيّةٍ * وكانَ قضاءُ الله قَدْرًا مُقَدَّرا (٣)
إلى رجلٍ نَجْدٍ يُبارى بجُودِهِ * شموسَ الضُّحى جُودًا ومَجْدًا ومَفْخَرا
وفارسِ خَلْقِ الله فى كلِّ غارةٍ * إذا لبِس القومُ الحديدَ المُسَمَّرا
ففَدَّى وحَيّا ثم أدْنَى قِراهُمُ * فلم يقْرِهم إلا سَمِينًا مُتَمَّرا (٤)

(١) كذا فى جميع نسخ الأصل. (٢) فى نسخة من الأصل: «وخير نبى جاء».
(٣) فى نسخة من الأصل: «أمرا». (٤) المقطع.

وذكر أبو نُعيم الحافظ عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً ، فدعاني فخرجت إليه ، ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه ، فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار ، فقال لصاحب الحائط : " أطعمنا بُسْرًا " فجاء بعذق فوضعه فأكلوا ، ثم دعا بماء فشرب فقال : " لتسألنّ عن هذا يوم القيامة " قال : وأخذ عمر العِذق فضرب به الأرض حتى تناثر البُسْر نحو وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يارسول الله ، إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : " نعم إلا من ثلاث كِسْرة يسدّ بها جَوعته أو ثوب يستر به عَوْرته أو جحر يأوي إليه من الحر والقُرّ " . واختلف أهل التأويل في النعيم المسئول عنه على عشرة أقوال : أحدها — الأمن والصحة ؛ قاله ابن مسعود . الثاني — الصحة والفراغ ؛ قاله سعيد بن جُبير . وفي البخاري عنه عليه السلام : " نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ "(١) . الثالث — الإدراك بحواس السمع والبصر ؛ قاله ابن عباس . وفي التنزيل : «إنّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»(٢) . وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يُؤْتَى بالعبد يومَ القيامة فيقول له ألم أجعل لك سَمْعًا و بَصَرًا ومالًا وولدا ... " الحديث . خرّجه الترمذي وقال فيه : حديث حسن صحيح . الرابع — ملاذّ المأكول والمشروب ؛ قاله جابر بن عبد الله الأنصاري . وحديث أبي هريرة يدلّ عليه . الخامس — أنه الغَدَاء والعشاء ؛ قاله الحسن . السادس — قول مكحول الشامي — : أنه شِبع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، واعتدال الخلق ، ولذة النوم . ورواه زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " «لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» يعني عن شبع البطون ... " . فذكره . ذكره الماوردي وقال : وهذا السؤال يعمّ الكافر والمؤمن ، إلا أن سؤال المؤمن

(١) أي ذو خسران فيهما . والنعمة : ما يتنعم به الانسان ويستلذه . والغبن : أن يشتري بأضعاف الثمن ، أو يبيع بدون ثمن المثل . فمن صح بدنه ، وتفرغ من الأشغال العائقة ولم يسع لصلاح آخرته فهو كالمغبون في البيع .

والمقصود : بيان أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ ؛ بل يصرفونهما في غير محالها . (عن شرح سنن ابن ماجه) . (٢) آية ٣٦ سورة الإسراء .

تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة . وسؤال الكافر تقريع أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية . وقال قوم : هذا السؤال عن كل نعمة إنما يكون في حق الكفار، فقد روى أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال : يا رسول الله ، أرأيت أكلة أكلتها معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان ، من خبز شعير ولحم و بسر قد ذنّب (١) وماء عذب ، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه ؟ فقال عليه السلام : " ذلك للكفار — ثم قرأ : — « وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ » (٢) " . ذكره القشيري أبو نصر . وقال الحسن : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار . قال القشيري : والجمع بين الأخبار أن الكل يسألون ، ولكن سؤال الكفار سؤال توبيخ ، لأنه قد ترك الشكر . وسؤال المؤمن سؤال تشريف ، لأنه شكر . وهذا النعيم في كل نعمة .

قلت : هذا القول حسن ، لأن اللفظ يعم . وقد ذكر الفريابي قال : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : « ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » قال : كل شيء من لذة الدنيا . وروى أبو الأحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تعالى ليعدّد نعمه على العبد يوم القيامة حتى يعدّ عليه سألتني فلانة أن أزوّجكها فيسمّيها باسمها فزوّجتكها " . وفي الترمذي عن أبي هريرة قال : لما نزلت هذه الآية « ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » قال الناس : يا رسول الله ، عن أي النعيم نسأل ؟ فإنما هما الأسودان (٣) والعدوّ حاضر ، وسيوفنا على عواتقنا . قال : " إن ذلك سيكون " . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن أوّل ما يسأل عنه يوم القيامة — يعني العبد — أن يقال له ألم نُصحّ لك جسمك ونُرْوِيكَ من الماء البارد " قال : حديث غريب . وروى من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله " . والجاه من نعيم الدنيا لا محالة . وقال مالك رحمه الله : إنه صحة البدن وطيب النفس ، وهو القول السابع . وقيل : النوم مع الأمن والعافية . وقال سفيان بن عُيَيْنة : إنّ ما سدّ الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس ، لا يسأل عنه المرء يوم القيامة ، وإنما يسأل عن النعيم . قال : والدليل عليه أن الله تعالى أسكن آدم الجنة

(١) أي بدا فيه الإرطاب . (٢) آية ١٧ سورة سبأ ، وهذه قراءة نافع . (٣) الأسودان : التمر والماء .

فقال له : « إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى »(١) . فكانت هذه الأشياء الأربعة ــ ما يسدّ به الجوع ، وما يدفع به العطش ، وما يستكن فيه من الحر ، ويستر به عورته ــ لآدم عليه السلام بالإطلاق ، لا حساب عليه فيها ؛ لأنه لا بدّ له منها .

قلت : ونحو هذا ذكره القشيرىّ أبو نصر قال : إن مما لا يسأل عنه العبد لباساً يوارى سوأته ، وطعاما يقيم صُلبه ، ومكانا يكنّه من الحرّ والبرد .

قلت : وهذا منتزع من قوله عليه السلام : " ليس لأبن آدم حق فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجِلف الخبز والماء " أخرجه الترمذى . وقال النضر بن شُميل : جِلف الخبز ليس معه إدام . وقال محمد بن كعب : النعيم هو ما أنعم الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم . وفى التنزيل : « لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ »(٢) . وقال الحسن أيضا والمفضَّل : هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن ؛ قال الله تعالى : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »(٣) ، وقال تعالى : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ »(٤) .

قلت : وكل هذه نِعمٌ ، فيسأل العبد عنها هل شكر ذلك أم كفر . والأقوال المتقدّمة أظهر . والله أعلم .

تفسير سورة « والعصر »

وهى مكّية . وقال قتادة مدنية ؛ وروى عن ابن عباس . وهى ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْعَصْرِ ﴿١﴾

فيه مسألتان :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ أى الدهر ؛ قاله ابن عباس وغيره . فالعصر مثل الدهر ؛ ومنه قول الشاعر :

سبيلُ الهوى وَعْرٌ وبحرُ الهوى غَمْرٌ * ويومُ الهوى شهرٌ وشهرُ الهوى دهرُ

(١) آية ١١٨ ، ١١٩ سورة طه . (٢) آية ١٦٤ سورة آل عمران .
(٣) آية ٧٨ سورة الحج . (٤) آية ١٧ سورة القمر .

أىْ عصرٍ أقسم الله به عزّ وجلّ ؛ لمـا فيـه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدّلها ، وما فيها من الدلالة على الصانع . وقيل : العصر الليل والنهار . قال حُميد بن ثور :

ولَنْ يَلْبثَ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ * إذا طَلبا أن يُدْرِكا ما تيمّمَا

والعصران أيضا الغداة والعشىّ . قال :

وأمْطُـلُه العَصْرَيْن حتّى يَمَـلّنى * ويرْضَى بنِصْفِ الدَّيْنِ والأنْفُ راغِمُ

يقول : إذا جاءنى أوّل النهار وعدْته آخره . وقيل : إنه العشىّ وهو مابين زوال الشمس وغروبها ؛ قاله الحسن وقتادة . ومنه قول الشاعر :

تَرَوَّحْ بنا ياعمرُو قَـدْ قَصُرَ العَصْرُ * وفى الرَّوْحَةِ الأولَى الغنيمةُ والأجْرُ

وعن قتادة أيضا : هو آخر ساعة من ساعات النهـار . وقيـل : هو قَسَم بصلاة العصر وهى الوسطى ؛ لأنها أفضل الصلوات ؛ قاله مقاتل . يقال : أَذّن للعصر ؛ أى لصلاة العصر . وصَلّيت العصر ؛ أى صلاة العصر . وفى الخبر الصحيح "الصلاة الوسطى صلاة العصر". وقد مضى فى سورة «البقرة» بيانه (١) . وقيل : هو قسم بعصر النبىّ صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النُّبوّة فيه . وقيل : معناه وربّ العصر .

الثانيـــة ـــ قال مالك : مَن حلَف ألاّ يكلّم رجلا عَصْرًا لم يكلّمه سنةً . قال ٱبن العربىّ : «إنما حَمل مالك يمين الحالف ألا يكلم آمرأ عَصْرًا على السّنة ؛ لأنه أكثر ما قيل فيـه ، وذلك على أصله فى تغليظ المعنى فى الأيمان . وقال الشافعىّ : يَبَرّ بساعة إلا أن تكون له نية ، وبه أقول ؛ إلا أن يكون الحالف عربيا فيقال له : ما أردت ؟ فإذا فسره بمـا يحتمله قُبِلَ منه إلا أن يكون الأقل ويجىء على مذهب مالك أن يحمل على ما يفسر . والله أعلم » .

قوله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ (٢)

هـذا جواب القَسَم والمـراد به الكافر ؛ قاله ٱبن عباس فى رواية أبى صالح . وروى الضحاك عنه قال : يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود

(١) راجع جـ ٣ ص ٢١٠

ابن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ، والأسود بن عبد يغوث . وقيل : يعنى بالإنسان جنس الناس . ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ لفى غبن . وقال الأخفش : هلكة . الفراء : عقوبة ؛ ومنه قوله تعالى : « وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا »[1] . ابن زيد : لفى شر . وقيل : لفى نقص ؛ والمعنى متقارب . وروى عن سلام « والعصر » بكسر الصاد . وقرأ الأعرج وطلحة وعيسى الثقفى « خُسُر » بضم السين . وروى ذلك هارون عن أبى بكر عن عاصم . والوجه فيهما الإتباع . ويقال : خُسْر وخُسُر ، مثل عُسْر وعُسُر . وكان على يقرؤها « والعصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفى خسر . وإنه فيه إلى آخر الدهر » . وقال إبراهيم : إن الإنسان إذا عمّر فى الدنيا وهَرِم ، لفى نقص وضعف وتراجع ؛ إلا المؤمنين فإنهم تكتب لهم أجورهم التى كانوا يعملونها فى حال شبابهم ؛ نظيره قوله تعالى : « لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » . قال : وقراءتنا « والعَصْر إن الإنسان لفى خُسْر وإنه فى آخر الدهر » . والصحيح ما عليه الأمة والمصاحف . وقد مضى الرد فى مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان ، وأن ذلك ليس بقرآن يتلى ؛ فتأمله هنالك[2] .

قوله تعالى : إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثناء من الإنسان ؛ إذ هو بمعنى الناس على الصحيح .

قوله تعالى : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أى أدّوا الفرائض المفترضة عليهم ؛ وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أُبَىّ بن كعب : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم « والعصر » ثم قلت : ما تفسيرها يا نبىّ الله ؟ قال : « « والعصر » قَسَم من الله أقسم ربكم بآخر النهار « إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ » أبو جهل « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا » أبو بكر « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » عمر « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ » عثمان « وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » على » ؛ رضى الله عنهم أجمعين . وهكذا خطب

---

(١) آية ٩ سورة الطلاق . (٢) راجع جـ ١ ص ٨٠ طبعة ثانية أو ثالثة .

ابن عباس على المنبر موقوفا عليه . ومعنى ﴿ وَتَوَاصَوْا ﴾ أى تحابّوا ، أوصى بعضهم بعضًا ، وحثّ بعضهم بعضا . ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أى بالتوحيد ؛ كذا روى الضحاك عن ابن عباس . وقال قتادة : «بالحقّ» أى القرآن . وقال السُّدّى : الحق هنا هو الله عز وجل . ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ على طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه . وقد تقدم (١) . والله أعلم .

تفسير سورة « الهمزة »

مكّيّة بإجماع . وهى تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾

قد تقدّم القول فى «الويل» فى غير موضع (٢) ، ومعناه الخزى والعذاب والهلكة . وقيل : وادٍ فى جهنم . ﴿ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ قال ابن عباس : هم المشّاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العيب (٣) ؛ فعلى هذا هما بمعنًى . وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "شِرارُ عبادِ الله تعالى المشّاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب" . وعن ابن عباس أن الهُمَزة القتّات ، واللُّمزة العيّاب . وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبى رباح : الهُمَزة الذى يغتاب ويطعن فى وجه الرجل ، واللُّمَزة الذى يغتابه من خلفه إذا غاب ؛ ومنه قول حسان :

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتَ بِذُلِّ نَفْسٍ * بِقَافِيَةٍ تَأَجَّجُ كَالشُّوَاظِ (٤)

---

(١) راجع ص ٧١ من هذا الجزء . (٢) راجع جـ ٢ ص ٧ طبعة ثانية .

(٣) فى بعض نسخ الأصل «المفرقون» . (٤) رواية البيت كما فى ديوانه :

مجللة تعممه شنارا * مضرمة تأجج كالشواظ

كهمزة ضيغم يحمى عرينا * شديد مفارز الأضلاع خاظى

واختار هذا القول النحاس، قال: ومنه قوله تعالى «وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ»[(١)] . وقال مقاتل ضدّ هذا الكلام: إن الهُمَزة الذى يغتاب بالغيبة، واللُّمَزة الذى يغتاب فى الوجه. وقال قتادة ومجاهد: الهُمَزة الطّعّان فى الناس، واللُّمَزة الطعان فى أنسابهم. وقال ابن زيد: الهامز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم. وقال سفيان الثورى: يَهْمِزُ بلسانه، ويَلْمِزُ بعينيه. وقال ابن كَيْسان: الهُمَزة الذى يؤذى جلساءه بسوء اللفظ، واللُّمَزة الذى يكسر عينَه على جليسه، ويُشير بعَيْنه ورأسه وبحاجبيه. وقال مُرّة: هما سواء؛ وهو القَتّات الطّعّان للمرء إذا غاب. وقال زياد الأعجم:

تُدْلِي بِوُدِّى إِذَا لاقَيْتَنِي كَذِباً * وإنْ أُغَيَّبْ فَأَنْتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ

وقال آخر:

إذا لَقِيتُكَ عن شَحْطٍ تُكاشِرُنِي * وإنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَهْ

الشَّحْطُ: البُعْد. والهُمَزة اسم وُضع للمبالغة فى هذا المعنى؛ كما يقال: سُخَرَة وضُحَكَة للذى يسخر ويضحك بالناس. وقرأ أبو جعفر محمد بن علىّ والأعرج «هُمْزَة لُمْزَة» بسكون الميم فيهما. فإن صح ذلك عنهما فهى فى معنى المفعول، وهو الذى يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه، ويحملهم على الاغتياب. وقرأ عبدالله بن مسعود وأبو وائل والنَّخَعىّ والأعمش «وَيْلٌ لِلْهُمَزَةِ اللُّمَزَةِ». وأصل الهمز: الكسر والعَضّ على الشىء بعُنْف؛ ومنه هَمْزُ الحرف. ويقال: همزت رأسه. وهمزت الجوز بكفى كسرته. وقيل لأعرابىّ: أتهمزون الفارة؟ فقال: إنما تهمزها الهِرّةُ. الذى فى الصحاح: وقيل لأعرابى أتهمز الفارة؟ فقال السِّنَّوْر يهمزها. والأوّل قاله الثعلبى، وهو يدل على أن الهِرّ يُسَمَّى الهمزة. قال العَجّاج:

* ومَنْ هَمَزْنا رأسَه تهشّما *

وقيل: أصل الهمز واللز الدفع والضرب. لَمَزَه يَلْمِزُه لَمْزاً إذا ضربه ودفعه. وكذلك همزه أى دفعه وضربه. قال الراجز:

ومن هَمَزْنا عِزَّه تَبَرْكَعا * على آستِه زَوْبَعةً أو زَوْبَعا

(١) آية ٥٨ سورة التوبة .

الْبَرْكَعَةُ : القيام على أربع . وبركعه فتبركع؛ أى صرعه فوقع على آسته؛ قاله فى الصحاح .
والآية نزلت فى الأخنس بن شَرِيق فيما روى الضحاك عن آبن عباس . وكان يَلمز الناس ويَعيبهم
مقبلين ومدبرين . وقال آبن جُرَيج : فى الوليد بن المغيرة ، وكان يغتاب النبيّ صلى الله عليه
وسلم من ورائه ويقدح فيه فى وجهه . وقيل : نزلت فى أُبَىّ بن خَلَف . وقيل : فى جميل
ابن عامر الثقفىّ[1] . وقيل : إنها مرسلة على العموم من غير تخصيص؛ وهو قول الأكثرين .
قال مجاهد : ليست بخاصة لأحد ، بل لكل مَن كانت هذه صفته . وقال الفرّاء : يجوز أن
يذكر الشىء العام ويقصد به الخاص قَصْدَ الواحد إذا قال : لا أزورك أبدا . فتقول : مَن
لم يزرنى فلست بزائره؛ يعنى ذلك القائل .

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾ (٢)

أى أعدّه ـــ زعم ـــ لنوائب الدهر؛ مثل كَرُمَ وأكرم . وقيل : أحصى عدده؛ قاله السُّدّىّ .
وقال الضحاك : أى أعدّ ماله لمن يرثه من أولاده . وقيل : أى فاخر بعدده وكثرته . والمقصود
الذمّ على إمساك المال عن سبيل الطاعة ، كما قال : «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ»[2] ، وقال : «وَجَمَعَ فَأَوْعَى»[3] .
وقراءة الجماعة «جَمَعَ» مخفف الميم . وشددها آبن عامر وحمزة والكسائىّ على التكثير .
وآختاره أبو عبيد؛ لقوله : «وَعَدَّدَهُ» . وقرأ الحسن ونصر بن عاصم وأبو العالية «جَمَعَ» مخففا
«وَعَدَدَه» مخففا أيضا ؛ فأظهروا التضعيف لأن أصله عدّه وهو بعيد؛ لأنه وقع فى المصحف
بدالين . وقد جاء مثله فى الشعر؛ لما أبرزوا التضعيف خففوه . قال :

مَهْلًا أُمَامَةَ[4] قَدْ جَرَّبْتِ من خُلُقِى * أَنِّى أَجُودُ لِأَقْوَامٍ وإِنْ ضَنِنُوا

---

(١) كذا فى نسخ الأصل . والذى فى الطبرى : «جميل بن عامر الجمحى» . وفى سيرة ابن هشام (ص ٢٢٩ طبع أوربا) وتاريخ الكامل لابن الأثير (جـ ٢ ص ٦٦ طبع أوربا) وبعض كتب التفسير : «جميل بن معمر الجمحى» .
(٢) آية ٢٥ سورة ق ، وآية ١٢ سورة ن . (٣) آية ١٨ سورة المعارج .
(٤) فى اللسان وكتاب سيبويه : « مهلا أعاذل » . وقد نسباه لقعنب بن أم صاحب .

أراد ضَنُّوا وبخلوا ، فأظهر التضعيف ؛ لكن الشعر موضع ضرورة . قال المهدوىّ : من خفّف «وعدَده» فهو معطوف على المال ؛ أى وجمع عَدَده فلا يكون فعلا على إظهار التضعيف ؛ لأن ذلك لا يستعمل إلا فى الشعر .

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ ﴾

قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ ﴾ أى يظنّ ﴿ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أى يُبقيه حيًّا لا يموت ؛ قاله السدىّ . وقال عكرمة : أى يزيد فى عمره . وقيل : أحياه فيما مضى ، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل . يقال : هلك والله فلان ودخل النار ؛ أى يدخل . ﴿ كَلَّا ﴾ ردّ لما توهّمه الكافر ؛ أى لا يخلد ولا يبقى له مال . وقد مضى القول فى « كَلَّا » مستوفًى (١) . وقال عمر بن عبدالله مولى غُفرة : إذا سمعت الله عز وجل يقول « كَلَّا » فإنه يقول كذبت . ﴿ لَيُنْبَذَنَّ ﴾ أى ليُطْرحنّ وليُلقَيَنّ . وقرأ الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحُميد وابن مُحَيْصن «لَيُنْبَذَانّ» بالتثنية ؛ أى هو وماله . وعن الحسن أيضا « لَيُنْبَذَنَّه » على معنى لينبذنّ ماله . وعنه أيضا بالنون « لَنَنْبِذَنَّه » على إخبار الله تعالى عن نفسه ، وأنه ينبذ صاحب المال . وعنه أيضا « لَيُنْبَذُنّ » بضم الذال ؛ على أن المراد الهُمَزة واللُّمَزة والمال وجامعه . ﴿ فِى الْحُطَمَةِ ﴾ وهى نار الله ؛ سُمّيت بذلك لأنها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه . قال الراجز :

إنّا حَطَمْنا بالقَضيب مُصْعَبا ＊ يَوْمَ كَسَرْنا أنْفَــهُ لِيَغْضَبا

وهى الطبقة السادسة من طبقات جهنم ؛ حكاه الماوردى عن الكلبى . وحكى القشيرىّ عنه : « الحطمة » الدركةُ الثانية من درك النار . وقال الضحاك : هى الدرك الرابع . ابن زيد : اسم من أسماء جهنم . ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾ على التعظيم لشأنها والتفخيم لأمرها .

(١) راجع جـ ١١ ص ١٤٧

ثم فسرها ما هي فقال : ﴿ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ أي التي أوقد عليها ألف عام وألف عام وألف عام؛ فهي غير خامدة، أعدّها الله للعُصاة . ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ قال محمد بن كعب : تأكل النارُ جميعَ ما في أجسادهم ، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خُلقوا خلقا جديدا فرجعت تأكلهم . وكذا روى خالدبن أبي عمران عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : "أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت ثم إذا صدروا تعود فذلك قوله تعالى : « نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ » " . وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه . أي إنه في حال من يموت وهم لا يموتون ؛ كما قال الله تعالى : « لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا »(١) فهم إذًا أحياء في معنى الأموات . وقيل : معنى « تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ » أي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب؛ وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه . يقال : اطلع فلان على كذا أي علمه . وقد قال الله تعالى : « تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى »(٢) وقال تعالى : « إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا »(٣). فوصفها بهذا فلا يبعد أن توصف بالعلم .

قوله تعالى : إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

أي مُطْبَقة؛ قاله الحسن والضحاك . وقد تقدّم في سورة « البلد » القول فيه(٤) . وقيل: مغلقة؛ بلغة قريش . يقولون: آصدت الباب إذا أغلقته؛ قاله مجاهد . ومنه قول عبيد الله ابن قيس الرُّقَيّات :

إنّ في القصرِ لو دخلنا غزالا * مُصْفَقًا(٥) مُوصَدًا عليه الحجابُ

﴿ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ الفاء بمعنى الباء؛ أي موصدة بعَمَد مُمَدّدة؛ قاله ابن مسعود؛ وهي في قراءته « بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم "ثم إن الله يبعث إليهم

---

(١) آية ٧٤ سورة طه . (٢) آية ١٧ سورة المعارج . (٣) آية ١٢ سورة الفرقان .
(٤) راجع ص ٧٢ من هذا الجزء . (٥) صفق الباب وأصفقه : أغلقه .

ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتُطبق عليهم بتلك الأطباق وتشدّ عليهم بتلك المسامير وتمدّ بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه رَوْح ولا يخرج منه غَمّ وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبدا وينقطع الكلام فيكون كلامهم زَفيرا وشهيقًا فذلك قوله تعالى « إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » ".

وقال قتادة : « عمد » يعذبون بها . واختاره الطبرى . وقال آبن عباس : إن العمد الممدّدة أغلال فى أعناقهم . وقيل : قيود فى أرجلهم؛ قاله أبو صالح . وقال القشيرى : والمعظم على أن العَمَد أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار ، وتشدّ تلك الأطباق بالأوتاد حتى يرجع عليهم غَمّها وحرّها ، فلا يدخل عليهم رَوْح . وقيل : أبواب النار مطبقة عليهم وهم فى عمد؛ أى فى سلاسل وأغلالٍ مطوّلة ، وهى أحكم وأرسخ من القصيرة . وقيل : هم فى عَمَد ممدّدة ؛ أى فى عذابها وآلامها يضربون بها . وقيل : المعنى فى دهر ممدود؛ أى لا آنقطاع له . وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم «فِي عُمُدٍ» بضم العين والميم جمع عمود . وكذلك « عَمَد » أيضا . قال الفرّاء : والعَمَد والعُمُد جمعان صحيحان لعَمُود؛ مثل أديم وأَدَم وأُدُم، وأَفِيق وأَفَق وأُفُق[1] . أبو عبيدة : عُمُد جمع عماد؛ مثل إهاب وأُهُب . وآختار أبو عبيد «عَمَد» بفتحتين . وكذلك أبو حاتم؛ آعتبارا بقوله تعالى : «رَفَعَ السَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»[2] وأجمعوا على فتحها . قال الجوهرى : العمود عمود البيت، وجمع القلة أعمدة ، وجمع الكثرة عُمُد وعَمَد؛ وقرئ بهما قوله تعالى : « فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » . وقال أبو عبيدة : العمود كل مستطيل من خشب أو حديد، وهو أصلٌ للبناء مثل العماد . عَمَدْتُ الشيء فآنعمد؛ أى أقمته بعماد يعتمد عليه . وأعمدته جعلت تحته عمدا . والله أعلم .

---

(١) الأديم : الجلد المدبوغ . والأفيق : الجلد الذى لم يدبغ . وقيل : هو الذى لم تتم دباغته .

(٢) آية ٢ سورة الرعد .

تفسير سورة « الفيل »

وهي مَكِّيّة بإجماع . وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ أى ألم تُخْبَر . وقيل : ألم تعلم . وقال ابن عباس : ألم تسمع . واللفظ استفهام والمعنى تقرير . والخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ولكنه عام؛ أى ألم تَرَوْا ما فعلت بأصحاب الفيل ؛ أى قد رأيتم ذلك وعرفتم موضع مِنّتي عليكم ، فما لكم لا تؤمنون . و﴿ كَيْفَ ﴾ فى موضع نصب بـ « فَعَلَ رَبُّكَ » لا بـ « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ » من معنى الاستفهام .

الثانيــة — قوله تعالى : ﴿ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ الفيلُ معروفٌ ، والجمع أفيال وفُيولٌ وفِيَلَة . قال ابن السِّكِّيت : ولا تقل أفيلة . [والأنثى فِيلَةٌ](١) وصاحبه فَيّال(٢) . قال سيبويه : يجوز أن يكون أصل فِيل فُعْلًا فكُسِر من أجل الياء ؛ كما قالوا : أبيض وبِيض . وقال الأخفش : هذا لا يكون فى الواحد إنما يكون فى الجمع . ورجلٌ فِيلُ الرأى ، أى ضعيف الرأى . والجمع أفيال . ورجلٌ فالٌ؛ أى ضعيف الرأى مخطئ الفِراسة . وقد فال الرأيُ يَفِيل فُيُولَةً ، وفَيَّل رأيَه تَفْيِيلًا ؛ أى ضَعّفه ، فهو فَيِّل الرأى .

الثالثــة — فى قصة أصحاب الفيل؛ وذلك أن أَبْرَهة بنى القُلَّيْس بصنعاء، وهى كنيسة لم يُرَ مثلُها فى زمانها بشىء من الأرض ، وكان نصرانيا ، ثم كتب إلى النجاشىّ أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْن مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمنتهٍ حتى أصرف إليها حجَّ العرب .

---

(١) من تتمة قول ابن السكيت .　　(٢) فى اللسان : « وصاحبها » .

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النَّسَأة[(1)]، فخرج حتى أتى الكنيسة فقعد فيها ـ أي أحدث ـ ثم خرج فلحق بأرضه؛ فأخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ إليه العرب بمكة لمّا سمع قولك: «أصرف إليها حجّ العرب» غضب فجاء فقعد فيها. أي إنها ليست لذلك بأهل. فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمه، وبعث رجلا كان عنده إلى بني كنانة[(2)] يدعوهم إلى حجّ تلك الكنيسة؛ فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل؛ فزاد أبرهة ذلك غضبا وحنقا، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل؛ وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقّا عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام . فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نَفْر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخرابه؛ فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله فهُزِم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نَفْر فأُتِيَ به أسيرا؛ فلما أراد قتله قال له ذو نَفْر : أيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي؛ فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم عرض له نُفَيْل ابن حبيب الخثعمي في قبيلَي خَثْعَم : شَهْران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب؛ فقاتله فهزمه أبرهة وأُخذ له نُفَيل أسيرًا ؛ فأُتِيَ به فلما همّ بقتله قال له نُفيل : أيها الملك لا تقتلني، فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلَي خثعم شَهْران وناهس بالسمع والطاعة؛ فخلّى سبيله . وخرج به معه يدلّه ، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب في رجال من ثقيف فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ؛ سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذي تريد ـ يعنُون اللات[(3)] ـ إنما تريد البيتَ الذي بمكة،

(1) في سيرة ابن هشام : « من النسأة أحد بني فقيم بن عدي ... والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية ، فيحلون الشهر من أشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، و يؤخرون ذلك الشهر؛ ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إنما النسيء زيادة في الكفر » . (راجع سيرة ابن هشام طبع أوربا ص ٢٩) .

(٢) بنو كنانة : قبيلة ذلك الرجل الذي أحدث في الكنيسة .

(٣) في سيرة ابن هشام : « واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة » .

ونحن نبعث معك من يدلك عليه ؛ فتجاوز عنهم . وبعثوا معه أبا رِغال حتى أنزله المُغَمِّس[١]؛ فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك فرجمت قبره العربُ ؛ فهو القبر الذى يرجُمُ الناسُ بالمغمّس ، وفيه يقول الشاعر :

وأرجم قبره فى كل عام * كرَجْم الناس قبرَ أبى رِغال

فلما نزل أبرهة بالمُغَمّس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود[٢] على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ؛ فهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحَرَم بقتاله ؛ ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك . وبعث أبرهة حُناطة الحِمْيَرىّ إلى مكة وقال له : سَلْ عن سيّد هذا البلد[٣] وشريفهم ، ثم قل له : إن المَلِك يقول إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا لى بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ؛ فإن هو لم يُرد حَرْبى فأتنى به . فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيّد قريش وشريفها ؛ فقيل له : عبد المطلب بن هاشم ؛ فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ؛ فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك منه طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فإن يمنعه منه فهو حَرَمه وبيته ، وإن يُخَلّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفع عنه . فقال له حُناطة : فانطلق إليه فإنه قد أمرنى أن آتيَه بك ؛ فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر ؛ فسأل عن ذى نَفْر وكان صديقًا له حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له : ياذا نَفْر ، هل عندك من غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر ، وما غَناء رجل أسير بيدَىْ مَلِك ينتظر أن يقتله غُدُوًّا وعَشيًّا ! ما عندى غَناء فى شىء مما نزل بك ، إلا أن أُنَيْسًا سائسَ الفيل صديق لى فسأرسل إليه وأوصيه بك ، وأُعْظِم عليه حقّك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدالك ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ؛ فقال

---

(١) المغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . (٢) كذا فى بعض نسخ الأصل وتفسير الثعلبى وتاريخ الطبرى (قسم أول ص ٩٣٧ طبع أوربا) وتاريخ ابن الأثير (ج ١ ص ٣٢١ طبع أوربا) . وفى بعض الأصول وتفسير الطبرى وسيرة ابن هشام (ص ٣٣ طبع أوربا) : «مفصود» بالفاء ، بدل القاف .

(٣) فى هامش نسخة : «عن سيد هذا البيت» .

حَبشي . فبعث ذو نفر إلى أُنيس فقال له : إن عبد المطلب سيّد قريش وصاحب عين مكة ويُطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ؛ فقال : أفعل . فكلّم أُنيس أبرهة فقال له : أيها الملك ، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عين مكة ، يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال ؛ فأذن له عليك فيكلمك في حاجته . قال : فأذن له أبرهة .

وكان عبد المطلب أوسم الناس وأعظمهم وأجملهم ، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه عن أن يجلسه تحته ؛ فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه . ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان فقال : حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ! . قال له عبد المطلب : إني أنا ربُّ الإبل ، وإن للبيت ربّاً سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع مني ! قال أنت وذاك ؛ فردّ عليه إبله . وانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شعف[(١)] الجبال والشعاب تخوّفاً عليهم معرّة[(٢)] الجيش . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمّ إن العبـد يمـ * ـنع رحله فامنع حِلالك[(٣)]
لا يغلبنّ صليبهم * ومحالهم عدْواً[(٤)] محالك
إن يدخلوا البلد الحرا * م فأمرٌ ما بدا لك

(١) شعف الجبال : رءوسها . (٢) المعرة الأذى . ومعرة الجيش : أن ينزلوا بقوم فيأكلوا من زروعهم بغير علم . وقيل : وطأتهم من مرّوا به من مسلم أو معاهد ، وإصابتهم إياهم في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه . (٣) الحلال (بالكسر) : القوم المقيمون المتجاورون . يريد بهم سكان الحرم .
(٤) « عدوا » بالعين المهملة ؛ ومعناه الاعتداء . وفي اللسان مادة « غدا » : « غدْواً » بالغين المعجمة . قال : « الغدو أصل الغد ، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك فحذفت لامه ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر . ولم يرد عبد المطلب الغد بعينه ، وإنما أراد القريب من الزمان » .

يقول: أى شىء ما بدالك لم تكن تفعله بنا. والحِلال جمع حِلّ. والمِحال القُوّة. وقيل: إن عبد المطلب لما أخذ بحلْقة باب الكعبة قال:

يارَبِّ لا أرجو لهم سواكا * يارَبِّ فأمنع منهمُ حِماكا

إنّ عَدُوَّ البيت من عاداكا * إنهمُ لن يَقْهَرُوا قواكا

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ:

لا هُمّ أخز الأسْوَدَ بنَ مَقصودْ * الآخذَ الهَجْمَةَ فيها التقليدْ (١)

بين حِراء وثَبِيرٍ فالبِيدْ * يحبسها وهى أولات التّطريد (٢)

فضمّها إلى طَماطِمٍ سُودْ * [قد أجمعوا ألّا يكون معبود (٣)

ويهدموا البيت الحرام المعمود * والمَرْوَتَين والمشاعرَ السُّود] (٤)

* أخْفِره يارَبّ وأنت محمود (٥) *

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة باب الكعبة، ثم انطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها. فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهَيّأ فيله وعَبّأ جيشه، وكان اسم الفيل محمودا، وأبرهةُ مُجْمِع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيل إلى مكة أقبل نُفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأُذنه فقال له: ابْرُكْ محمود، وارجع راشدا من حيث جئت، فإنك فى بلد الله الحرام. ثم أرسل أُذنه فبَرَك الفيل. وخرج نُفيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد فى الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا فى رأسه بالطّبَرْزِين (٦) ليقوم فأبى؛ فأدخلوا

(١) الهجمة: القطعة الضخمة من الإبل. قيل هى ما بين الثلاثين والمائة. وقيل أولها الأربعون، وقيل ما بين السبعين إلى المائة. (انظر كتب اللغة). وتقليدها أنه يجعل فى عنقها شعار يعلم أنه هدى. (٢) حراء وثبير: جبلان بمكة. والبيد: جمع البيداء، وهى الفلاة. وتطريد الإبل: تتابعها. (٣) الطمطمة: العجمة. قال السهيلى: «طماطم سود» يعنى العلوج. (٤) ما بين المربعين لم يذكره ابن إسحاق فى روايته. (٥) أخفره: أى انقض عهده وعزمه فلا تؤمنه. (٦) الطبر (محركة): الفأس من السلاح (معربة). والطبرزين آلة من السلاح تشبه الطبر. وقيل هو الطبر بعينه.

محاجِنَ(١) لهم فى مَرَاقّه فبَزَغوه(٢) بها ليقوم فأبى ، فوجّهوه راجعًا إلى اليمن فقام يُهَرْوِل ، ووجّهوه إلى الشأم ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيرًا من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان(٣) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحِمَّص والعَدَس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك ؛ وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى جاءوا منها ، ويسألون عن نُفَيل بن حَبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن . فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المَفَـرُّ والإلهُ الطّالبْ * والأشْرَمُ(٤) المغلوبُ ليس الغالبْ

وقال أيضا :

حَمِـدتُ الله إذ أبصرتُ طيرًا * وخِفتُ حجارةً تُلقَى علينـا
فكلُّ القومِ يسأل عن نُفيـلٍ * كأنّ علىّ للحُبْشان دَيْنـا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون [بكلّ مَهْلك(٥)] على كل سَهْل(٦) ، وأصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً(٧) ، كلما سقطت منه أُنْمُلَة أتبعتها منه مِدّة تَمُثّ(٨) قَيْحًا ودَمًا ؛ حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ؛ فيما يزعمون .

وقال الكلبي ومقاتل بن سليمان — يزيد أحدهما وينقص — : سبب الفيل ما روى أن فتية من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشى ، فنزلوا على ساحل البحر إلى بِيعة للنصارى تسمّيها النصارى الهَيْكل ، فأوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا ؛ فهبّت ريح عاصف على النار فأضرمت البيعة نارًا فاحترقت ؛ فأتى الصَّريخُ إلى النجاشى فأخبره ،

---

(١) المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان . (٢) بزغوه : شرطوه . (٣) فى اللسان والنهاية مادة (بلس) : «قال عباد بن موسى أظنها الزرازير» . (٤) الأشرم : أبرهة ؛ سمى بذلك لأنه جاءه حجر فشرم أنفه فسمى الأشرم . (٥) زيادة عن سيرة ابن هشام . (٦) فى سيرة ابن هشام : «منهل» . (٧) أى ينتثر جسمه ، والأنملة طرف الأصبع ، و يعبّر بها عن الصغير من الأشياء . (٨) مث السقاء : رشح .

فاستشاط غضبا . فأتاه أبرهة بن الصباح وحجر بن شرحبيل وأبو يكسوم الكنديون ، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة . وكان النجاشي هو الملك ، وأبرهة صاحب الجيش . وأبو يكسوم نديم الملك . وقيل وزير . وحجر بن شرحبيل من قواده . وقال مجاهد : أبو يكسوم هو أبرهة بن الصباح . فساروا ومعهم الفيل . قال الأكثرون : هو فيل واحد . وقال الضحاك : هي ثمانية فيلة . ونزلوا بذي المجاز ، واستاقوا سرح مكة وفيها إبل عبد المطلب . وأتى الراعي نذيرا فصعد الصفا فصاح : واصباحاه ! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش والفيل . فخرج عبد المطلب وتوجه إلى أبرهة وسأله في إبله . واختلف في النجاشي هل كان معهم ؛ فقال قوم كان معهم . وقال الأكثرون لم يكن معهم . ونظر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر ؛ فقال عبد المطلب : إن هذه الطير غريبة بأرضنا ، وما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية ، وإنها أشباه اليعاسيب (١) . وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة ؛ فلما أظلت (٢) على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا . قال عطاء بن أبي رباح : جاءت الطير عشية فباتت ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم . وقال الكلبي : في مناقيرها حصى كحصى الخذف (٣) ، أمام كل فرقة طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق . فلما جاءت عسكر القوم وتوافت أهالت ما في مناقيرها على من تحتها ، مكتوب على كل حجر اسم صاحبه المقتول به . وقيل : كان على كل حجر مكتوب : من أطاع الله نجا ، ومن عصاه غوى . ثم انصاعت (٤) راجعة من حيث جاءت . وقال العوفي : سألت عنها أبا سعيد الخدري (٥) فقال : حمام مكة منها . وقيل : كان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها ويقع في دماغه ويخرق الفيل والدابة ، ويغيب الحجر في الأرض من شدة وقعه . وكان أصحاب الفيل ستين ألفا ، لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم رجع ومعه شرذمة لطيفة . فلما أخبروا بما رأوا هلكوا . وقال الواقدي : أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبرهة هو الأشرم سمي بذلك لأنه تفاتن (٦) مع أرياط حتى تزاحفا ،

---

(١) اليعسوب : أمير النحل وذكرها . (٢) في نسخة : « أقبلت » . (٣) الخذف : الرمي بالحصا الصغار بأطراف الأصابع . (٤) انصاع الرجل : انفتل راجعا ومر مسرعا . (٥) هي بيضة الحديد . (٦) المفاتنة : اختلاف الناس في الآراء وما يقع بينهم من القتال .

ثم اتفقا على أن يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فله الأمر . فتبارزا ــ وكان أرياط جسيما عظيما في يده حربة، وأبرهة قصيرا حادرا (١) حليما ذا دين في النصرانية، ومع أبرهة وزير له يقال له عتودة ــ فلما دنوا ضرب أرياط بحربته رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وأنفه وجبينه وشفته؛ فلذلك سمي الأشرم . وحمل عتودة على أرياط فقتله . فاجتمعت الحبشة لأبرهة؛ فغضب النجاشي وحلف ليجزن ناصية أبرهة ويطأ بلاده . فجز أبرهة ناصيته وملأ مزودا من تراب أرضه وبعث بهما إلى النجاشي وقال: إنما كان عبدك وأنا عبدك، وأنا أقوم بأمر الحبشة، وقد جززت ناصيتي وبعثت إليك بتراب أرضي لتطأه وتبر في يمينك؛ فرضي عنه النجاشي . ثم بنى أبرهة كنيسة بصنعاء ليصرف إليها حج العرب؛ على ما تقدم .

الرابعة ــ قال مقاتل : كان عام الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة . وقال الكلبي وعبيد بن عمير: كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين سنة . والصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ولدت عام الفيل" . وروي عنه أنه قال : "يوم الفيل" . حكاه الماوردي في التفسير له . وقال في كتاب أعلام النبوة : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وكان بعد الفيل بخمسين يوما . ووافق من شهور الروم العشرين من أسباط (٢) في السنة الثانية عشرة من ملك هرمز بن أنوشروان . قال : وحكى أبو جعفر الطبري أن مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان . وقد قيل : إنه عليه السلام حملت به أمه آمنة في يوم عاشوراء من المحرم، وولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان؛ فكانت مدة حمله ثمانية أشهر كملا ويومين من التاسع . وقيل : إنه ولد يوم عاشوراء من شهر المحرم؛ حكاه ابن شاهين (٣) أبو حفص في فضائل يوم عاشوراء له . ابن العربي : «قال ابن وهب عن مالك: ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وقال قيس بن مخرمة: ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل . وقد روى الناس عن مالك أنه قال :

(١) الحادر : المجتمع الخلق . (٢) في نسخة : «شباط» (بالشين المعجمة كغراب) . وورد بالسين المهملة .
(٣) في بعض نسخ الأصل : «أبو شاهين حفص» .

من مروءة الرجل الا يخبر بسنه ؛ لأنه إن كان صغيرا آستحقروه وإن كان كبيرا آستهرموه . وهذا قول ضعيف؛ لأن مالكا لا يخبر بسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتم سِنّه؛ وهو من أعظم العلماء قدوةً به . فلا بأس بأن يخبر الرجل بسنه كان كبيرا أو صغيرا» . وقال عبدالملك ابن مَرْوان لعتّاب بن أسيد : أنت أكبر أم النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : النبيّ صلى الله عليه وسلم أكبر منّي وأنا أسنّ منه ؛ وُلد النبيّ صلى الله عليه وسلم عامَ الفيل ، وأنا أدركت سائسه وقائده أعْمَيَيْن مُقْعَدَيْن يستطعمان الناس . وقيل لبعض القضاة : كم سنّك؟ قال : سنّ عتّاب آبن أسيد حين ولّاه النبيّ صلى الله عليه وسلم مكة ؛ وكان سنه يومئذ دون العشرين .

الخامســـة — قال علماؤنا : كانت قصة الفيل فيما بعدُ من معجزات النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت قبله وقبل التحدّى؛ لأنها كانت توكيدا لأمره وتمهيدا لشأنه . ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة، كان بمكة عدد كثير ممن شهد تلك الوقعة ، ولهذا قال : « ألم تر » . ولم يكن بمكة أحد إلا وقد رأى قائد الفيل وسائقه أعميين يتكفّفان الناس . وقالت عائشة رضى الله عنها مع حداثة سنها : لقد رأيت قائد الفيل، وسائقه أعميين يستطعمان الناس . وقال أبو صالح : رأيت فى بيت أمّ هانئ بنت أبى طالب نحوًا من قفيزين من تلك الحجارة سوداً مخططة بحمرة .

قوله تعالى : أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ أى فى إبطال وتضييع ؛ لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشا بالقتل والسبى، والبيتَ بالتخريب والهدم . فحكى عن عبد المطلب أنه بعث آبنه عبدَ الله على فرس له ، ينظر ما لقوا من تلك الطير ، فإذا القوم مُشَدَّخين جميعا ، فرجع يركض فرسه كاشفًا عن فخذه ، فلما رأى ذلك أبوه قال : إن آبنى هذا أفرس العرب ، وما كشف عن فخذه إلا بشيرًا أو نذيرًا . فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم الصوت قالوا : ما وراءك ؟ قال : هلكوا جميعا . فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم . وكانت

أموال بنى عبد المطلب منها ؛ وبها تكاملت رياسة عبد المطلب ؛ لأنه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء ، ثم خرج أهل مكة بعده فنهبوا . وقيل : إن عبد المطلب حفر حفرتين فملأهما من الذهب والجوهر ، ثم قال لأبى مسعود الثقفى – وكان خليلا لعبد المطلب – : اختر أيهما شئت . ثم أصاب الناس من أموالهم حتى ضاقوا ذرعًا فقال عبد المطلب عند ذلك :

أنت منعت الحَبْش(1) والأفيالا * وقد رعوا بمكة الأجبالا(2)

وقد خشينا منهم القتالا * وكلّ أمر لهم(3) معضالا

* شكرًا وحمدًا لك ذا الجلالا(4) *

قال ابن إسحاق : ولما ردّ الله الحبشة عن مكة عظّمت العربُ قريشًا وقالوا : [هم](5) أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوّهم . وقال عبدالله بن عمرو بن مخزوم فى قصة أصحاب الفيل :

أنت الجليل ربّنا لم تُدنس * أنت حبست الفيلَ بالمُغمّس

من بعد ما همّ بشرٍّ مُبْلِس * حبسته فى هيئة المُكَرْكَس

* وما لهم من فرج ومنفَس *

والمكركس : المنكوس المطروح .

قوله تعالى : وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

قال سعيد بن جُبير : كانت طيرًا من السماء لم يُرَ قبلَها ولا بعدَها مثلُها . وروى جُوَيْبِر عن الضحاك عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنها طير بين السماء والأرض تعشّش وتُفرخ " . وعن ابن عباس : كانت لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عِكْرِمة : كانت طيرا خضراء ، خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع ، ولم تُرَ قبل ذلك ولا بعده . وقالت عائشة رضى الله عنها : هى أشبه شىء بالخطاطيف . وقيل : بل كانت أشباه الوطاويط ، حمراء وسوداء . وعن

(1) الحبش : محركة وسكنت للشعر . (2) فى روح المعانى : «الأحبالا» بالحاء . (3) فى روح المعانى «منهم» بدل «لهم» . (4) كذا فى نسخ الأصل وغيرها من المصادر . (5) زيادة عن سيرة ابن هشام .

سعيد بن جُبير أيضا : هي طير خضر لها مناقير صفر . وقيل : كانت بيضاء . وقال محمد ابن كعب : هي طَير سود بحرية، في مناقيرها وأظفارها الحجارة . وقيل : إنها العنقاء المغرب (١) التي تُضرب بها الأمثال؛ قال عِكرمة : « أبابيل » أي مجتمعة . وقيل : متابعة بعضها في إثر بعض ؛ قاله ٱبن عباس ومجاهد . وقيل : مختلفة متفرقة، تجيء من كل ناحية ، من ها هنا وها هنا ؛ قاله ابن مسعود وٱبن زيد والأخفش . قال النحاس : وهـذه الأقوال متفقـة ، وحقيقة المعنى أنها جماعات عظام . يقال : فلان يُؤبل على فلان ؛ أي يعظم عليه ويكثر ؛ وهو مشتق من الإبل . وٱختلف في واحد أبابيل؛ فقال الجوهري: قال الأخفش يقال : جاءت إبلك أبابيل؛ أي فِرَقًا . وطـير أبابيل . قال : وهـذا يجيء في معنى التكثير ، وهو من الجمع الذي لا واحد له . وقال بعضهم : واحده إبَّوْل مثلُ عِجَّوْل . وقال بعضهم — وهو المبَرّد — : إِبِّيل مثلُ سِكِّين . قال: ولم أجد العربَ تعرف له واحدا في غير الصِّحاح . وقيل في واحده إبَّال . وقال رُؤبة بن العَجّاج في الجمع :

وَلَعِبَتْ طَـيرٌ بهـم أبابيـلْ * فَصُيِّرُوا مِثـلَ كَعَصْفٍ مأكـولْ

وقال الأعشى :

طَـرِيقٌ وجَبَّـارٌ (٢) رِواءٌ أصـولُه * عليه أبابيـلٌ من الطير تَنْعَبُ

وقال آخر :

كادت تهـدّ من الأصوات راحلتي * إذ سالت الأرضُ بالجُرْد (٣) الأبابيل

وقال آخر:

تراهم إلى الداعي سـراعا كأنهـم * أبابيـل طير تحت دجن مسخَّن (٤)

---

(١) هي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحس ولم تر . (٢) الجبّار من النخل : ما طال وفات اليد

(٣) الجرد (بالضم كالجريدة) : خيل لا رَجّالة فيها . والجرد — أيضا — : قصر شعر الجلد في الفرس ، وهو من الأوصاف المحمودة في الخيل . (٤) كذا في نسخ الأصل ، (بالخاء المعجمة والنون) . وفي تفسير الثعلبي : ... تحت دجن مسحر . (بالحاء المهملة والراء) . وقد نسبه إلى امرئ القيس ؛ ولم نجده في ديوانه . ولعل صوابه : ... تحت دجن مسخر . (بالخاء المعجمة والراء) .

قال الفرّاء : لا واحد له من لفظه . وزعم الرُّؤاسيّ ــ وكان ثقة ــ أنه سمع في واحدها «إبّالة» مشدّدة . وحكى الفرّاء «إبَالة» مخففًا . قال : سمعت بعض العرب يقول : ضِغْثٌ على إبالة[1] . يريد خصبا على خصب . قال : ولو قال قائل إيبال كان صوابا؛ مثل دينار ودنانير . وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل : الأبابيل مأخوذ من الإبل المؤبّلة؛ وهي الأقاطيع .

قوله تعالى : تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾

في الصحاح «حِجَارَة مِنْ سِجِّيلٍ» قالوا : حجارة من طين طُبخت بنار جهنّم، مكتوب فيها أسماء القوم؛ لقوله تعالى : «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ . مُسَوَّمَةً[2]» . وقال عبد الرحمن ابن أبْزَى : «مِن سِجِّيلٍ» من السماء، وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط . وقيل من الجحيم . هي «سِجِّين» ثم أبدلت اللام نونا؛ كما قالوا في أُصَيْلان أُصَيْلال . قال ابن مُقْبِل :

* ضَرْبًا تواصتْ به الأبطالُ سِجّينا[3] *

وإنما هو سِجِّيلا . وقال الزجاج : «مِن سِجِّيلٍ» أي مما كُتب عليهم أن يُعَذَّبوا به؛ مشتق من السجل . وقد مضى القول في سِجّيل في «هود[4]» مستوفًى . قال عِكْرمة : كانت ترميهم بحجارة معها، فإذا أصاب أحدَهم حجر منها خرج به الجُدَرِيّ لم يُرَ قبل ذلك اليوم . وكان الحجر كالحِمّصة وفوق العَدَسة . وقال ابن عباس : كان الحجر إذا وقع على أحدهم نَفِط جلده فكان ذلك أوّل الجُدَرِيّ . وقراءة العامة «تَرْمِيهم» بالتاء لتأنيث جماعة الطير . وقرأ الأعرج وطلحة «يَرْمِيهم» بالياء؛ أي يرميهم الله؛ دليله قوله تعالى : «ولٰكِنّ اللهَ رَمَى[5]» ويجوز أن يكون راجعا إلى الطير لخلوّها من علامات التأنيث، ولأن تأنيثها غيرُ حقيقيّ .

(١) الضغث : قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس . والإبالة : الحزمة من الحطب . في مرائد اللآل : يضرب لمن حالك مكروها ثم زادك عليه .
(٢) آية ٣٣ سورة الذاريات .
(٣) صدر البيت كما في اللسان : * ورجلة يضربون البيض عن عُرُض
(٤) راجع جـ ٩ ص ٨١ .
(٥) آية ١٧ سورة الأنفال .

قوله تعالى : فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

أى جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع ، إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل . شبّه تقطّع أوصالهم بتفرق أجزائه . رُوِىَ معناه عن ابن زيد وغيره . وقد مضى القول فى العَصف فى سورة « الرحمن »(١) . ومما يدل على أنه ورق الزرع قول عَلْقمة :

تَسقِى مَذانِبَ قد مالت عَصِيفتُها * حَدُورُها من أَتِىِّ الماءِ مَطْمُومُ(٢)

وقال رُؤْبة بن العَجّاج :

ومَسّهم ما مَسّ أصحابَ الفيلْ * ترميهمُ حجارةٌ من سِجّيلْ
ولَعِبَتْ طيرٌ بهم أبابيلْ * فصُيِّرُوا مثلَ كَعصْفٍ مأكولْ

العصْفُ جمعٌ واحدته عَصْفة وعُصافة وعَصِيفة . وأدخل الكاف فى « كعصف » للتشبيه مع مثل ؛ نحو قوله تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »(٣) . ومعنى « مأكولٍ » مأكول حبّه . كما يقال : فلان حسن ؛ أى حسن وجهه . وقال ابن عباس : « فجعلهم كعصفٍ مأكولٍ » أن المُراد به قشر البُرّ ؛ يعنى الغلاف الذى تكون فيه حبّة القمح . ويروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما فى جوفه فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة . وقال ابن مسعود : لما رَمت الطير بالحجارة بعث الله ريحًا فضربت الحجارة فزادتها شدّة ، فكانت لا تقع على أحد إلا هلك ، ولم يَسْلم منهم إلا رجل من كِندة(٤) ؛ فقال :

فإنك لو رأيت ولم تَرَيْه(٥) * لَدَى جَنْبِ المُغَمّس ما لَقِينا

(١) راجع جـ ١٧ ص ١٥٦ . (٢) المذانب : مسايل الماء . والعصيفة : الورق المجتمع الذى يكون فيه السنبل . وحدورها : ما انحدر منها واطمأن . والأتى (كغنى) : الجدول . والمطموم : المملوء بالماء .

(٣) آية ١١ سورة الشورى . (٤) هو نفيل بن حبيب ؛ كما فى تاريخ الطبرى وابن الأثير .

(٥) فى نسخ الأصل : « ولو ترانا » وهو تحريف ؛ لأنه يخاطب امرأة . والأبيات كما أوردها الطبرى (ص ٩٤٢ قسم أول طبع أوربا) وابن الأثير (جـ ١ ص ٣٢٢ طبع أوربا) :

ألا حُيِّيتِ عنا يا رُدَيْنا * نعمناكم مع الإصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا
رُدَيْنةُ لو رأيتِ ولم تَرَيْه * لدى جنب المحصب ما رأينا
إذًا لعذرتنى وحمدت رأيى * ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل * كأن علىّ للحبشان دينا

خشيت الله إذ قد بثّ طيرًا ٭ وظلّ سحابةٍ مرّت علينا
وباتت كلها تدعو بحقٍّ ٭ كأن لها على الحُبْشان دَيْنا

ويروى أنها لم تصبهم كلهم، لكنها أصابت من شاء الله منهم . وقد تقدم أن أميرهم رجع وشرذمة لطيفة معه، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا . فالله أعلم . وقال ابن إسحاق : لما ردّ الله الحبشة عن مكة عظّمت العرب قريشا وقالوا : أهلُ الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوّهم؛ فكان ذلك نعمةً من الله عليهم .

تفسير سورة « قريش »

مكّية، فى قول الجمهور . ومَدَنيّة ، فى قول الضحاك والكلبي
وهى أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾

قيل : إن هذه السورةَ متصلةٌ بالتى قبلها فى المعنى . يقول : أهلكتُ أصحابَ الفيل لإيلاف قريش ؛ أى لتأتلف ، أو لتتفق قريش ، أو لكى تأمن قريشٌ فتؤلف رحلتيها . وممن عدّ السورتين واحدةً أُبَيّ بن كعب ، ولا فصل بينهما فى مصحفه . وقال سفيان بن عُيَيْنة : كان لنا إمام لا يفصل بينهما ويقرؤهما معًا . وقال عمرو بن مَيْمُون الأَوْدِيّ : صلّينا المغربَ خَلْفَ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه؛ فقرأ فى الأولى «والتّين والزّيتون» وفى الثانية «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ» و « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » (١) . وقال الفراء: هذه السورة متصلة بالسورة الأولى؛ لأنه ذكّر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة، ثم قال: « لإيلاف قريش » أى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش . وذلك أن قريشا كانت تخرج فى تجارتها ، فلا يغار عليها ولا تُقرَب فى الجاهلية . يقولون : هم أهلُ بيت الله جلّ وعزّ؛ حتى جاء صاحبُ الفيل

(١) الذى فى كتاب الفراء : « قال بعضهم كانت موصولة بـ « ألم تر كيف فعل ربك » الخ .

ليهدم الكعبة ، ويأخذ تجارتها فيبني بها بيتًا في اليمن يحج الناس إليه ، فأهلكهم الله عز وجل ، فذكرهم نعمته . أي يجعل الله ذلك لإيلاف قريش ، أي ليألفوا الخروج ولا يُجترأ عليهم ؛ وهو معنى قول مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جُبير عنه . ذكره النحاس : حدثنا أحمد ابن شعيب قال أخبرني عمرو بن عليّ قال حدثني عامر بن إبراهيم — وكان ثقة من خيار الناس — قال حدثني خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة قال حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » قال : نعمتي على قريش إيلافُهم رحلةَ الشتاء والصيف . قال : كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف . وعلى هذا القول يجوز الوقف على رءوس الآي وإن لم يكن الكلام تاما ، على ما نبينه أثناء السورة . وقيل : ليست بمتصلة ؛ لأن بين السورتين « بسم الله الرحمن الرحيم » وذلك دليل على انقضاء السورة وافتتاح الأخرى ، وأن اللام متعلقة بقوله تعالى : « فَلْيَعْبُدُوا » أي فليعبدوا هؤلاء ربَّ هذا البيت لإيلافهم رحلةَ الشتاء والصيف للامتيار (١) . وكذا قال الخليل : ليست متصلة ؛ كأنه قال : آلف الله قريشا إيلافا فليعبدوا رب هذا البيت . وعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لأنها زائدة غير عاطفة ؛ كقولك : زيدا فاضرب . وقيل : اللام في قوله تعالى « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ » لام التعجب ؛ أي اعجبوا لإيلاف قريش ؛ قاله الكسائيّ والأخفش . وقيل : بمعنى إلى . وقرأ ابن عامر : « لِإِلَافِ قريش » مهموزا مختلسا بلا ياء . وقرأ أبو جعفر والأعرج « لِيلَافِ » بلا همز طلبا للخفة . الباقون « لإيلاف » بالياء مهموزا مُشْبَعًا ؛ من آلفت أولف إيلافا . قال الشاعر :

المُنْعِمين إذا النجوم تغيّرت * والظاعنين لرحلة الإيلاف

ويقال : ألِفته إلْفا وإلافا . وقرأ أبو جعفر أيضا : « لإلْف قريش » وقد جمعهما من قال :

زعمتم أن إخوتكم قريش (٢) * لهم إلف وليس لكم إلاف

قال الجوهريّ : وفلان قد ألِف هذا الموضع (بالكسر) يألفه إلْفا ، وآلفه إيّاه غيرُه . ويقال أيضا : آلفت الموضع أولفه إيلافا . وكذلك آلفت الموضع أُؤالفه مؤالفة وإلافا ؛

(١) أي بجلب الطعام .

(٢) كذا في نسخ الأصل بالرفع على الخبر . وفي اللسان وشرح القاموس : « قريشا » بالنصب على البدل .

فصار صورة أفعل وفاعل في الماضي واحدة. وقرأ عكرمة «لِيَألف» بفتح اللام على الأمر. وكذلك هو في مصحف ابن مسعود. وفتحُ لام الأمر لغةٌ حكاها ابن مجاهد وغيره. وكان عكرمة يعيب على من يقرأ «لإيلاف». وقرأ بعض أهل مكة «إلاف قريش» واستشهد بقول أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم:

فلا تتركَنْه ما حَيِيتَ لمُعْظَمٍ * وكن رجلا ذا نجدة وعَفاف
تذود العدا عن عصبة هاشمية * إلافُهُمُ في الناس خيرُ إلاف

وأما قريش فهم بنو النَّضر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر. فكل من كان من ولد النَّضْر فهو قُرَشيّ دون بني كِنانة ومَن فوقه. وربما قالوا: قُرَيْشِيّ، وهو القياس؛ قال الشاعر:

* بكل قُرَيْشِيٍّ عليه مَهابةٌ (1) *

فإن أردت بقريش الحَيَّ صرفته، وإن أردت به القبيلة لم تَصْرفه؛ قال الشاعر:

* وكَفَى قريشَ المُعْضِلاتِ وسادَها (2) *

والتقريش الاكتساب، وتقرّشوا أي تجمعوا. وقد كانوا متفرقين في غير الحَرَم فجمعهم قُصَيّ ابن كلاب في الحَرَم، حتى اتخذوه مسكنا. قال الشاعر:

أبونا قُصَيّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا * به جمع الله القبائل من فِهْرِ

وقد قيل: إن قريشا بنو فِهْر بن مالك بن النَّضْر. فكلُّ مَن لم يلده فِهْرٌ فليس بقرشيّ. والأول أصح وأثبت. وقد رُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا ولد النضر ابن كنانة لا نَقْفُو أُمَّنا ولا نَنْتَفِي من أبينا (3)". وقال واثلة بن الأَسْقَع: قال النبيّ صلى الله

---

(1) تمامه: * مريع إلى داعى الندى والتكرم *

(2) هذا عجز بيت لعدى بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك. وصدره كما في اللسان:

* غلَبَ المَسامِيحَ الوليدُ سَماحةً *

(3) قفا فلان فلانا: إذا قذفه بما ليس فيه، أي لا نتهمها ولا نقذفها، وقيل: معناه لانترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات.

عليه وسلم : " إن الله آصطفى كِنانة من ولد إسماعيل وآصطفى من بنى كنانة قريشًا وآصطفى من قريش بنى هاشم وآصطفانى من بنى هاشم " . صحيح ثابت خرّجه البخارىّ ومسلم وغيرهما . وآختلف فى تسميتهم قريشًا على أقوال : أحدها — لتجمّعهم بعد التفرّق . والتقرّش : التجمع والالتئام . قال أبو خَلْدة اليشكرى :

إخوة قرّشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرهم وقديم

الثانى — لأنهم كانوا تجارا يأكلون من مكاسبهم . والتقرّش : التكسّب . وقد قرش يقرش قرشًا إذا كسب وجمع . قال الفرّاء : وبه سُمّيت قريش . الثالث — لأنهم كانوا يفتّشون الحاجّ (١) من ذى الخَلّة فيسدّون خَلّته . والقَرْش التفتيش ؛ قال الشاعر :

أيها الشامت المُقرِّش عنّا * عند عمرو فهل له إبقاء (٢)

الرابع — ما روى أن معاوية سأل آبن عباس لم سُمّيت قريش قريشًا ؟ فقال : لدابة فى البحر من أقوى دوابه يقال لها القِرْش؛ تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلَى . وأنشد قول تُبَّع :

وقريش هى التى تسكن البحـ * ـر بها سُمّيت قريش قريشا

تأكل الرّث والسّمين ولا تتـ * ـرك فيها لذى جناحين ريشا

هكذا فى البلاد حَىّ قريش * يأكلون البلاد أكلا كَميشا (٣)

ولهم آخر الزمان نبىّ * يُكثر القتل فيهم والخُموشا (٤)

قوله تعالى : إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾

قرأ مجاهد وحُميد « إلْفهم » ساكنة اللام بغير ياء . ورُوى نحوه عن آبن كثير . وكذلك رَوت أسماءُ أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ « إلْفهم » . وروى عن آبن عباس

(١) الحاج (بالتخفيف) : جمع حاجة . والخلة (بالفتح) : الحاجة والفقر .

(٢) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى فى معلقته . وروايته كما فى شرح المعلقات :

أيها الناطق المرقش عنا * عند عمرو وهل لذاك بقاء .

قال التبريزى : « المرقش المزين القول بالباطل ليقبل منه الملك باطله . ويقال إنه يخاطب بها عمرو بن كلثوم . ومعنى « وهل لذاك بقاء » : إن الباطل لا يبقى » . وعلى هذه الرواية لا شاهد فيه . (٣) أى سريعا .

(٤) الخموش : (جمع الخمش) وهو مثل الخدش يكون فى البدن والوجه .

وغيره . وقرأ أبو جعفر والوليد عن أهل الشام وأبو حَيْوَة « إلافهم » مهموزا مُخْتَلَسًا بلا ياء . وقرأ أبو بكر عن عاصم « إِأْلافهم » بهمزتين ، الأولى مكسورة والثانية ساكنة . والجمع بين الهمزتين فى الكلمتين شاذ . الباقون « إيلافهم » بالمد والهمز ؛ وهو الاختيار ؛ وهو بدل من الإيلاف الأول للبيان . وهو مصدر آلف إذا جعلته يألف . وأَلِف هو إلْفًا ؛ على ما تقدم ذكره من القراءة ؛ أى وما قد ألفوه من رحلة الشتاء والصيف . روى ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى : « إيلافهم رِحْلَةَ الشتاء والصيف » قال : لا يشق عليهم رحلةَ شتاء ولا صيف مِنّةً منه على قريش . وقال الهَرَوِىّ وغيره : وكان أصحاب الإيلاف أربعةَ إخْوَة : هاشم وعبد شمس والمطلب ونَوْفل ؛ بنو عبد مناف . فأما هاشم فإنه كان يؤلِّف مَلِك الشام ؛ أى أخذ منه حبلا وعهدا يأمن به فى تجارته إلى الشام . وأخوه عبد شمس كان يؤلِّف إلى الحبشة . والمطلب إلى اليمن . ونوفل إلى فارس . ومعنى يؤلِّف يجير . فكان هؤلاء الإخوة يسمَّوْن المُجيرين . فكان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الإخوة فلا يُتعرض لهم . قال الأزهرىّ : الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة (1) ؛ يقال : آلف يُؤلِف إذا أجار الحمائل بالخفارة . والحمائل جمع حَمُولة (2) . قال : والتأويل أن قريشا كانوا سُكان الحرم ولم يكن لهم زَرْع ولا ضَرْع ، وكانوا يميرون فى الشتاء والصيف آمنين والناسُ يُتخطفون من حولهم ، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله ، فلا يَتعرّض الناسُ لهم . وذكر أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا فى تفسيره : حدّثنا سعيد بن محمد عن بكر بن سهل الدمياطى بإسناده إلى ابن عباس فى قول الله عز وجل : « لإيلاف قُرَيش » إلفهم رحلة الشتاء والصيف ، وذلك أن قريشا كانوا إذا أصابت واحدا منهم مَخْمَصَةٌ (3) جَرَى هو وعياله إلى موضع معروف ، فضربوا على أنفسهم خباء فماتوا ؛ حتى كان عمرو بن عبد مناف وكان سيِّدا

---

(1) فى بعض نسخ الأصل « الإجارة والخفارة » ولم نجد هذا فى كتاب التهذيب للأزهرى ولا فى غيره من كتب اللغة . والإجارة : الإغاثة والحماية . والخفارة (مثلثة الخاء) : الأمان .

(2) الحمولة (بالفتح) : الإبل التى تحمل .

(3) المخمصة : المجاعة .

فى زمانه ، وله ابن يقال له : أسـد ، وكان له تِرْبٌ[1] من بنى مخزوم يحبه ويلعب معه . فقال له : نحن غدًا نعتفر . قال ابن فارس : هذه لفظة فى هذا الخبر لا أدرى بالدال هى أم بالراء؛ فإن كانت بالراء فلعلها من العَفَر وهو التراب ، وإن كانت بالدال فما أدرى معناها[2] ، وتأويله على ما أظنه : ذهابهم إلى ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد . قال : فدخل أسد على أمه يبكى ، وذكر ما قاله تِرْبُه . قال : فأرسلت أم أسد إلى أولئك بشحم ودقيق فعاشوا به أياما . ثم إن تِرْبه أتاه أيضا فقال : نحن غدًا نعتفر ، فدخل أسد على أبيه يبكى ، وخبّره خبر تِرْبِه ، فاشتدّ ذلك على عمرو بن عبد مناف ، فقام خطيبا فى قريش وكانوا يطيعون أمره ، فقال : إنكم أحدثتم حَدَثًا تقلّون فيه وتَكْثُر العرب ، وتَذِلون وتَعِزّ العرب ، وأنتم أهل حرم الله جل وعز ، وأشرفُ ولدِ آدم ، والناسُ لكم تَبَعٌ ، ويكاد هذا الاعتفار يأتى عليكم . فقالوا : نحن لك تَبَع . قال : ابتدئوا بهذا الرجل — يعنى أبا تِرْب أسد — فأغنوه عن الاعتفار ، ففعلوا . ثم إنه نحر البُدْن وذبح الكِباش والمعز ، ثم هَشَم الثَّريد وأطعم الناس ، فسُمّى هاشمًا . وفيه قال الشاعر :

عَمْـرُو[3] الذى هَشَم الثَّريد لقومه * ورجالُ مكة مُسْنِتون[4] عِجـافُ

ثم جمع كلّ بنى أب على رحلتين ، فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام للتجارات ، فما رَبِح الغنىّ قسّمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم ، فجاء الإسلام وهم على هذا ، فلم يكن فى العرب بنو أب أكثرَ مالاً ولا أعزّ من قريش ، وهو قول شاعرهم :

والخالطون فقيرَهم بغنيهـم * حتى يصيرَ فقـيرُهم كالكافى

فلم يزالوا كذلك حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ » بصنيع هاشم « وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أن تكثر العرب ويقلّوا.

---

(١) الترب (بالكسر) : اللِّدة والسن ومن ولد معك . (٢) فى اللسان مادة عفد : « الاعتفاد أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحدا حتى يموت جوعا » . (٣) فى اللسان : « عمرو العلا ... » . (٤) مسنتون : أى أصابتهم السَّنَة ، والسنة : الجدب والقحط .

قوله تعالى : ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ «رِحْلَةَ» نصب بالمصدر؛ أى ٱرتحالهم رِحْلَةَ ، أو بوقوع « إيلافهم » عليه أو على الظرف . ولو جعلتها فى محل الرفع على معنى هما رِحْلَةُ الشتاء والصيف لجاز . والأوّل أولى . والرحلة الارتحال . وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن فى الشتاء لأنها بلاد حامية ، والرحلة الأخرى فى الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة . وعن ٱبن عباس أيضا قال : كانوا يشتون بمكة لدفئها و يصيفون بالطائف لهوائها . وهذه من أجل النعم أن يكون للقوم ناحيةُ حَرٍّ تدفع عنهم برد الشتاء، وناحيةُ بَرْدٍ تدفع عنهم حَرَّ الصيف ؛ فذكّرهم الله تعالى هذه النعمة . وقال الشاعر :

تُشْتِي بمكّةَ نَعْمَةً * ومَصِيفها بالطّائف

وهنا أربع مسائل :

الأولى ــ اختار القاضي أبو بكر بن العربيّ وغيره من العلماء أن قوله تعالى : «لإيلافِ» متعلّق بما قبله . ولا يجوز أن يكون متعلقا بما بعده، وهو قوله تعالى : «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ » قال : وإذا ثبت أنه متعلق بالسورة الأخرى ــ وقد قُطع عنه بكلام مبتدإ واستئناف بيان وسَطْر بسم الله الرحمن الرحيم ــ فقد تبين جواز الوقف فى القراءة (١) للقُرّاء قبل تمام الكلام ، وليست المواقف التى ينتزع (٢) بها القرّاء شرعًا عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مرويًّا ، وإنما أرادوا به تعليم الطلبة المعانى ، فإذا علموها وقفوا حيث شاءوا ، فأما الوقف عند انقطاع النفسِ فلا خلاف فيه ، ولا تُعِد ما قبله إذا ٱعتراك ذلك ، ولكن ٱبدأ من حيث وقف بك نفسك . هذا رأيى فيه ، ولا دليل على ما قالوه بحال ، ولكنى أعتمد الوقف على التمام كراهيةَ الخروج عنهم .

قلت : ومن الدليل على صحة هذا قراءةُ النبيّ صلى الله عليه وسلم «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» ثم يقف . « الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ثم يقف . وقد مضى فى مقدّمة الكتاب (٣) . وأجمع المسلمون أن

---

(١) فى ابن العربى : « فى القرآن » . (٢) فى ابن العربى : « تنزع » .

(٣) راجع جـ ١ ص ١٠ طبعة ثانية أو ثالثة .

الوقف عند قوله : « كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » ليس بقبيح . وكيف يقال إنه قبيح وهذه السورة تُقرأ في الركعة الأولى والتي بعدها في الركعة الثانية ، فيتخللها مع قطع القراءة أركان . وليس أحد من العلماء يكره ذلك ، وما كانت العلة فيه إلا أن قوله تعالى : « فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » انتهاء آية . فالقياس على ذلك ألا يمتنع الوقف عند أعجاز الآيات سواء كان الكلام يتمّ والغرض ينتهي ، أو لا يتم ولا ينتهي . وأيضا فإن الفواصل حِلْيَةٌ وزِينَةٌ للكلام المنظوم ، ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور . ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن ؛ فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن الكلام المنظوم ، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه ، وتركُ الوقوف يُخفي تلك المحاسن ويُشَبِّه المنثور بالمنظوم ؛ وذلك إخلال بحق المقروء .

الثانيـــة — قال مالك : الشتاء نصف السنة والصيف نصفها ، ولم أزل أرى ربيعة ابن أبي عبد الرحمن(١) ومن معه لا يخلعون عمائمهم حتى تَطْلُع الثُّرَيَّا ، وهـو يوم التاسع عشر من بشنس ، وهو يوم خمســة وعشرين من عدد(٢) الروم أو الفرس . وأراد(٣) بطلوع الثريا أن يخرج السُّعاة و يسير الناس بمواشيهم إلى مياههم ، وأن طلوع الثريا أوّل(٤) الصيف ودُبر الشتاء . وهذا مما لا خلاف فيه بين أصحابه عنه . وقال عنه أشهب وحده : إذا سقطت الهَقْعة(٥) نقص الليل ، فلما جعل طلوع الثريا أوّل الصيف وجب أن يكون له في مطلق السنة ستةُ أشهر ، ثم يستقبل الشتاء من بعد ذهاب الصيف ستة أشهر . وقد سئل محمد بن عبد الحكم عمن حلف ألا يكلم امرأ حتى يدخل الشتاء ؟ فقال : لا يكلمه حتى يمضي ســبعة عشر من هاتور . ولو قال : حتى يدخل الصيف ، لم يكلمه حتى يمضي سبعة عشر من بشنس . قال القُرَظيّ : أما ذكر هذا عن محمد في بشنس فهو سهو ، إنما هو تسعة عشر من بشنس ؛ لأنك إذا حسبت المنازل

(١) هو ربيعة الرأي ، أدرك بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والأكابر من التابعين ، وكان صاحب الفتوى بالمدينة ، وعنه أخذ مالك بن أنس وغيره . توفي سنة ١٣٦ هـ .
(٢) كذا في الأصول وابن العربي .
(٣) كذا في ابن العربي . وفي نسخ الأصل : « وأرى » .
(٤) في ابن العربي : « قبل الصيف » .
(٥) الهقعة : ثلاثة كواكب نيرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء ، وهي منزل من منازل القمر .

على ما بنى عليه من ثلاث عشرة ليلة كل منزلة ، علمت أن ما بين تسع عشرة من هاتور لا تنقضى منازله إلا بدخول تسع عشرة من بشنس . والله أعلم

الثالثة ـ قال قوم : الزمان أربعة أقسام: شتاء، وربيع، وصَيْف، وخَرِيف. وقال قوم : هو شتاء وصَيْف وقَيْظ وخَرِيف . والذى قاله مالك أصح؛ لأن الله قسم الزمان قسمين (١) ولم يجعل لهما ثالثا .

الرابعة ـ لما آمتنّ الله تعالى على قريش برحلتين، شتاء وصيفًا، على ماتقدّم، كان فيه دليل على جواز تصرف الرجل فى الزمانين بين محلين ، يكون حالها فى كل زمان أنعم من الآخر؛ كالجلوس فى المجلس البحرى فى الصيف وفى القبلى فى الشتاء، وفى اتخاذ البادهنجات (٢) والخَيْش للتبريد، واللّبد واليانوسة (٣) للدِّفء .

قوله تعالى : فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾

أمرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لأجل إيلافهم رحلتين . ودخلت الفاء لأجل ما فى الكلام من معنى الشرط ؛ لأن المعنى إمّا لا فليعبدوه لإيلافهم؛ على معنى أنّ نِعَم الله تعالى عليهم لا تحصى ؛ فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشأن هذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة . والبيتُ: الكعبة . وفى تعريف نفسه لهم بأنه ربّ هذا البيت وجهان : أحدهما ـ لأنه كانت لهم أوثان فميّز نفسه عنها . الثانى ـ لأنهم بالبيت شَرُفوا على سائر العرب ؛ فذكّرهم ذلك تذكيرًا لنعمته . وقيل: « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ» أى ليألفوا عبادةَ رَبّ الكعبة كما كانوا يألفون الرحلتين . قال عكرمة : كانت قريش قد ألفوا رحلةً إلى بُصْرى

(١) فى الأصول : « لأن قسمة الله للزمان قسمين، ولم يجعل لهما ثالثا » وهى غير مستقيمة . وفى ابن العربى : « لأجل قسمة الله الزمان قسمين ... الخ » .

(٢) فى كتاب شفاء الغليل للشهاب الخفاجى : « الباد هنج » معرب باد خون أو باد كير، وهو المنفذ الذى يجىء منه الريح .

(٣) فى ابن العربى : « اليانوس » . ولم نجد فى المعاجم هذه المادة .

ورحلة إلى اليمن ، فقيل لهم : « فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ »[١] أى يقيموا بمكة رحلة الشتاء إلى اليمن ، والصيف إلى الشام .

قوله تعالى : ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ﴾ أى بعد جوع . ﴿ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ قال ابن عباس : وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال : « رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ »[٢] . وقال ابن زيد : كانت العرب يُغير بعضها على بعض ويَسْبِي بعضها من بعض ، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحَرَم — وقرأ — « أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ »[٣] . وقيل : شَقّ عليهم السَّفر فى الشتاء والصيف ، فألقى الله فى قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً فى السفن فحملوه ؛ فخافت قريش منهم ، وظنّوا أنهم قدموا لحربهم ، فخرجوا إليهم متحرزين فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأغاثوهم بالأقوات ؛ فكان أهل مكة يخرجون إلى جُدّة بالإبل والحُمُر ، فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين . وقيل : هذا الإطعام هو أنهم لما كذبوا النبيّ صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال : " اللّهُمّ اجعلها عليهم سنين كسنِي يوسف " فاشتد القحط فقالوا : يا محمد ادع الله لنا فإنا مؤمنون . فدعا فأخصبت تَبَالة وجُرَش من بلاد اليمن ؛ فحملوا الطعام إلى مكة وأخصب أهلها . وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان : « وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى من خوف الجذام ، لا يصيبهم ببلدهم الجذام . وقال الأعمش : « وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » أى من خوف الحبشة مع الفيل . وقال عليّ رضى الله عنه : وآمنهم من [خوف][٤] أن تكون الخلافة إلا فيهم . وقيل : أى كفاهم أخذ الإيلاف من الملوك . فالله أعلم واللفظ يعم .

---

(١) يريد : يقيموا بمكة ويتركوا الرحلة ... الخ .

(٢) آية ١٢٦ سورة البقرة .

(٣) آية ٥٧ سورة القصص .

(٤) التكملة عن تفسير الخطيب .

تفسير سورة « الماعون »

وهى مكّية ، فى قول عطاء وجابر وأحد قولى ابن عباس . ومدنيّة ، فى قول له آخر ، وهو قول قتادة . وهى سبع آيات .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى : أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

فيه ست مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ أى بالجزاء والحساب فى الآخرة ؛ وقد تقدّم فى « الفاتحة »(1) . و « أَرَأَيْتَ » بإثبات الهمزة الثانية ؛ إذ لا يقال فى أرأيت : رَيْتَ ، ولكن ألف الاستفهام سهّلت الهمزة ألفا ؛ ذكره الزجاج . وفى الكلام حذف ؛ والمعنى : أرأيت الذى يكذب بالدين أمصيب هو أم مخطئ . واختلف فيمن نزل هذا فيه ؛ فذكر أبو صالح عن ابن عباس قال : نزلت فى العاص بن وائل السَّهْمىّ ؛ وقاله الكلبىّ ومقاتل . وروى الضحاك عنه قال : نزلت فى رجل من المنافقين . وقال السُّدّىّ : نزلت فى الوليد ابن المغيرة . وقيل فى أبى جهل . الضحاك : فى عمرو بن عائذ . قال ابن جُريج : نزلت فى أبى سفيان ، وكان ينحر فى كل أسبوع جزورا ، فطلب منه يتيم شيئا فقرعه بعصاه ؛ فأنزل الله هذه السورة . و ﴿ يَدُعُّ ﴾ أى يدفع ، كما قال : « يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا »(2) وقد

(1) راجع جـ ١ ص ١٤٣ (2) آية ١٣ سورة الطور . راجع جـ ١٧ ص ٦٤

تقدّم . وقال الضحاك عن ابن عباس : « فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ » أي يدفعه عن حقه . قتادة : يقهره و يظلمه . والمعنى متقارب . وقد تقدّم في سورة « النساء »(١) أنهم كانوا لا يُوَرِّثون النساء ولا الصغار و يقولون : إنما يحوز المالَ من يطعن بالسِّنان و يضرب بالحُسَام . ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "مَن ضَمّ يتيماً من المسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة"(٢) . وقد مضى هذا المعنى فى غير موضع .

الثانيــة — قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ أي لا يأمر به من أجل بخله وتكذيبه بالجزاء . وهو مثل قوله تعالى فى سورة الحاقة : « وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ »(٣) وقد تقدّم . وليس الذم عامّا حتى يتناول مَن تركه عجزا ، ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم ويقولون : «أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ»(٤) فنزلت هذه الآية فيهم ، وتوجّه الذم إليهم . فيكون معنى الكلام : لا يفعلونه إن قدروا ، ولا يَحُثُّون عليه إن عَسُروا .

الثالثــة — قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ أي عذاب لهم . وقد تقدّم فى غير موضع(٥) . ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ فروى الضحاك عن ابن عباس قال : هو المصلّى الذى إن صلّى لم يَرْجُ لها ثوابا ، وإن تركها لم يَخْشَ عليها عقابا . وعنه أيضا : الذين يؤخرونها عن أوقاتها . وكذا روى المغيرة عن إبراهيم قال : ساهون بإضاعة الوقت . وعن أبى العالية : لا يصلونها لمواقيتها ، ولا يُتمون ركوعها ولا سجودها .

قلت : ويدل على هذا قوله تعالى : «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ» حسب ماتقدّم بيانه فى سورة « مريم »(٦) عليها السلام . وروى عن إبراهيم أيضا : أنه الذى إذا سجد قام برأسه هكذا ملتفتا . وقال قُطْرُب : هو ألّا يقرأ ولا يذكر الله . وفى قراءة عبد الله « الَّذِينَ هُمْ عن صلاتِهم لاهُونَ » . وقال سعد بن أبى وقّاص قال النبى صلى الله عليه وسلم [فى قوله] :

(١) راجع جـ ٥ ص ٤٦ (٢) راجع جـ ٢ ص ١٤ طبعة ثانية .
(٣) آية ٣٤ راجع جـ ١٨ ص ٢٧٢ (٤) آية ٤٧ سورة يس .
(٥) راجع جـ ٢ ص ٧ طبعة ثانية . (٦) راجع جـ ١١ ص ١٢١

« فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » ـ قال ـ " الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها تهاونًا بها ". وعن ابن عباس أيضا : هم المنافقون يتركون الصلاة سرًّا ويصلونها علانية « وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى »(١) الآية . ويدل على أنها في المنافقين قوله : « الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ » وقاله ابن وهب عن مالك . قال ابن عباس : ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المؤمنين . وقال عطاء : الحمد لله الذي قال « عَنْ صَلَاتِهِمْ » ولم يقل في صلاتهم . قال الزمخشري : فإن قلت : أيّ فرق بين قوله : « عَنْ صَلَاتِهِمْ » وبين قولك : في صلاتهم ؟ قلت : معنى « عن » أنهم ساهون عنها سهوَ ترك لها وقلةَ التفات إليها ، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشُّطَّار(٢) من المسلمين . ومعنى « في » أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس ؛ وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلًا عن غيره ؛ ومن ثَمّ أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم . قال ابن العربي : لأن السلامة من السهو محال ، وقد سها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته والصحابة . وكلّ من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يعقل قراءتها ، وإنما همّه في أعدادها ؛ وهذا رجل يأكل القشور ويرمي اللُّب . وما كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته إلا لفكرته في أعظم منها ؛ اللهمّ إلا أنه قد يسهو في صلاته من يُقبل على وسواس الشيطان إذا قال له : اذكر كذا ، اذكر كذا ؛ لما لم يكن يذكر حتى يضلّ الرجل أن يدري كم صلّى .

الرابعة ـ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ أي يُري الناس أنه يصلّي طاعةً وهو يصلّي تقيّةً ؛ كالفاسق يُرى أنه يصلّي عبادةً وهو يصلي ليقال : إنه يصلي . وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة ، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس . وأولها تحسين السَّمْت ؛ وهو من أجزاء النبوّة ، ويريد بذلك الجاهَ والثناءَ . وثانيها ـ الرياء بالثياب القصار والخشنة ؛ ليأخذ بذلك هيئة

---

(١) آية ١٤٢ سورة النساء . (٢) في نسخة من الأصل : « الشياطين » . والشطار : جمع شاطر وهو الذي ترك موافقة أهله وأعياهم لؤما وخبثا .

الزهد فى الدنيا . وثالثها — الرياء بالقول بإظهار التسخّط على أهل الدنيا ، و إظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة . ورابعها — الرياء بإظهار الصلاة والصدقة ، أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس ، وذلك يطول وهذا دليله ؛ قاله آبن العربى .

قلت : قد تقدم فى سورة « النساء وهود وآخر الكهف »(١) القولُ فى الرياء وأحكامه وحقيقته بما فيه كفاية والحمد لله .

الخامسة — ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة ؛ فمن حق الفرائض الإعلانُ بها وتشهيرُها ، لقوله عليه السلام : " ولا غُمّة(٢) فى فرائض الله " لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ، ولأن تاركها يستحق الذم والمقت ؛ فوجب إماطة التهمة بالإظهار . و إن كان تطوّعا فحقه أن يخفى ؛ لأنه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه ، فإن أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا . و إنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فتثنى عليه بالصلاح . وعن بعضهم أنه رأى رجلا فى المسجد قد سجد سجدة الشكر فأطالها ؛ فقال : ما أحسن هذا لو كان فى بيتك . و إنما قال هذا لأنه توسّم فيه الرياء والسمعة . وقد مضى هذا المعنى فى سورة «البقرة»(٣) عند قوله تعالى : « إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ » وفى غير موضع . والحمد لله على ذلك .

السادسة — قوله تعالى : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ فيه آثنا عشر قولا : الأول — أنه زكاة أموالهم . كذا روى الضحاك عن آبن عباس . ورُوى عن علىّ رضى الله عنه مثلُ ذلك ، وقاله مالك . والمراد به المنافق يمنعها . وقد روى أبو عمرو(٤) بن عبد العزيز عن مالك قال : بلغنى أن قول الله تعالى : « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » قال : إن المنافق إذا صلّى صلّى رياءً ، و إن فاتته لم يندم عليها « وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » الزكاة التى فرض الله عليهم . قال زيد بن أسلم : لو خَفيت لهم الصلاة كما خَفيت لهم الزكاة ما صلّوا . القول الثانى — أن « الماعون » المال بلسان

(١) راجع جـ ٥ ص ١٨١ و جـ ٩ ص ١٣ و جـ ١١ ص ٧٠ (٢) أى لا تستر ولا تخفى فرائضه و إنما تظهر وتعلن ويجهر بها . (٣) راجع جـ ٣ ص ٣٣٢ (٤) فى بعض نسخ الأصل : «أبو عمر» وفى بعضها : «أبو عبد» . وفى آبن العربى : « أبو بكر بن عبد العزيز» .

قريش؛ قاله ابن شهاب وسعيد بن المسيّب . وقول ثالث ــ أنه اسم جامع لمنافع البيت كالفأس والقدر والنار وما أشبه ذلك؛ قاله ابن مسعود؛ وروى عن ابن عباس أيضا . قال الأعشى:

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ * إذا ما سَمَاؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ

الرابع ــ ذكر الزجاج وأبو عبيد والمبرّد أن الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة ، حتى الفأس والقدر والدّلو والقَدّاحة ، وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير؛ وأنشدوا بيت الأعشى . قالوا : والماعون في الإسلام الطاعة والزكاة ؛ وأنشدوا قول الراعي :

أَخَلِيفَةَ الرحمن إنّا مَعْشَرٌ * حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأصيلا

عُرْبٌ نَرَى لِلّهِ مِنْ أَموالِنا * حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلا تَنْزِيلا

قَوْمٌ على الإِسْلامِ لَمَّا يَمْنَعوا * ماعُونَهُم ويُضيِّعوا التَّهْلِيلا (١)

يعنى الزكاة . الخامس ــ أنه العارية ؛ روى عن ابن عباس أيضا . السادس ــ أنه المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ؛ قاله محمد بن كعب والكلبي . السابع ــ أنه الماء والكلأ . الثامن ــ الماء وحده . قال الفراء : سَمِعتُ بعض العرب يقول : الماعون الماء ؛ وأنشدني فيه :

* يَمُجُّ صَبِيرُهُ المَاعُونَ صَبًّا *

الصبير السحاب . التاسع ــ أنه منع الحق؛ قاله عبد الله بن عمر . العاشر ــ أنه المُسْتَغَل من منافع الأموال؛ مأخوذ من المَعْن وهو القليل ؛ حكاه الطبري وابن عباس (٢) . قال قُطْرُب : أصل الماعون من القلة . والمَعْن : الشيء القليل؛ تقول العرب : ماله سَعْنَةٌ (٣) ولا مَعْنَةٌ ؛ أي شيء قليل . فسمى الله تعالى الزكاة والصدقة ونحوهما من المعروف ماعونا ؛ لأنه قليل من كثير . ومن الناس من قال : الماعون أصله مَعُونَة ، والألف عوض من الهاء؛ حكاه الجوهري . ابن العربي : الماعون مفعول من أعان يُعين، والعون هو الإمداد

(١) في اللسان :

قوم على التنزيل لما يمنعوا * ماعونهم ويبدلوا التنزيلا

(٢) كذا في بعض نسخ الأصل . وفي بعضها الآخر : « حكاه الطبري وابن عيسى » .

(٣) هذا مثل يضرب لمن لا مال له . والسعن : الكثير .

بالقوة والآلات والأسباب الميسّرة للأمر . الحادى عشر — أنه الطاعة والانقياد . حكى الأخفش عن أعرابى فصيح : لو قد نزلنا لصنعت بناقتك صنيعا تعطيك الماعون ؛ أى تنقاد لك وتطيعك . قال الراجز :

مَتَى تُصادِفْهُنَّ[1] فى البُرِينِ * يَخْضَعْنَ أو يُعْطِين بالماعونِ[2]

وقيل : هو مالا يحل منعه كالماء والملح والنار ؛ لأن عائشة رضوان الله عليها قالت : قلت يارسول الله، ماالشيء الذى لا يحل منعه ؟ قال: " الماء والنار والملح " قلت : يا رسول الله، هذا الماء، فما بال النار والملح؟ فقال : " ياعائشة من أعطى نارا فكأنما تصدّق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن أعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ما طُيّب به ذلك الملح . ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكأنما أعتق ستين نَسَمة، ومن سقى شربة من الماء حيث لايوجد فكأنما أحيا نفسًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا " ذكره الثعلبيّ فى تفسيره، وخرّجه ابن ماجه فى سننه . وفى إسناده لين ؛ وهو القول الثانى عشر . الماورديّ : ويحتمل أنه المعونة بما خَفّ فعله وقد ثقّله الله . والله أعلم . وقيل لعكرمة مولى ابن عباس : مَن منع شيئا من المتاع كان له الويل؟ . فقال : لا، ولكن مَن جمع ثلاثهن فله الويل ؛ يعنى ترك الصلاة ، والرياء، والبخل بالماعون .

قلت : كونها فى المنافقين أشبه وبهم أخلق ؛ لأنهم جمعوا الأوصاف الثلاثة : ترك الصلاة ، والرياءَ ، والبخلَ بالمال ؛ قال الله تعالى : « وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا[3] » ، وقال : « وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ[4] » . وهذه أحوالهم ، ويبعد أن توجد من مسلم محقق ، وإن وجد بعضها فيلحقه جزء من التوبيخ ، وذلك فى منع الماعون إذا تعيّن ؛ كالصلاة والزكاة إذا تركها . والله أعلم . إنما يكون منعها قبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة . والله أعلم .

(١) فى تفسير الثعلبى : * متى تجاهدهن * وهى الأوجه . (٢) البرين (بضم الباء وكسرها) : جمع بُرَة، وهى هنا الحلقة فى أنف البعير . وهى أيضا : كل حلقة من سوار وقرط وخلخال . (٣) آية ١٤٢ سورة النساء . (٤) آية ٥٤ سورة التوبة .

تفسير سورة « الكَوْثَر »

وهى مَكِّية ؛ فى قول ٱبن عباس والكَلْبى ومُقاتل . ومَدَنِيّة ؛ فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة . وهى ثلاث آيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾

فيه مسألتان :

الأولى ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قراءة العامة . « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ » بالعين . وقرأ الحسن وطلحة بن مُصَرِّف « أَنْطَيْنَاكَ » بالنون ؛ ورَوَتْه أم سلمة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ وهى لغة فى العطاء ؛ أنطيته : أعطيته . و« الكَوْثَر » فَوْعَل من الكثرة ؛ مثل النَّوْفل من النَّفل ، والجَوْهر من الجهر . والعرب تسمِّى كلّ شىء كثيرٍ فى العدد والقدر والخَطَر كَوْثَرًا . قال سفيان : قيل لعجوز رجع ٱبنها من السفر : بِمَ آب ٱبنك ؟ قالت بكوثر ؛ أى بمال كثير . والكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير . قال الكُمَيْت :

وأَنْتَ كثيرٌ يا ٱبن مَرْوانَ طَيِّبٌ * وكان أبوك ٱبنُ العَقائِل كَوْثَرا

والكوثر : العدد الكثير من الأصحاب والأشياع . والكوثر من الغبار : الكثير ، وقد تكوثر [إذا كَثُر] ؛ قال الشاعر :

* وقَدْ ثارَ نَقْعُ المَوْتِ حتّى تَكَوْثَرَا[1] *

الثانيــة ـ واختلف أهل التأويل فى الكوثر الذى أُعْطِيَه النبيُّ صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا : الأوّل ـ أنه نهرٌ فى الجنة ؛ رواه البخارىّ عن أنس والترمذىّ أيضا

---

(١) هذا عجز بيت لحسان بن نُشْبة . وصدره كما فى اللسان :

* أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوهم *

وقد ذكرناه فى كتاب التذكرة . وروى الترمذى أيضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدرّ والياقوت تُربته أطْيَبُ من المسك وماؤه أحْلَى من العسل وأبيضُ من الثلج " هذا حديث حسن صحيح . الثانى — أنه حَوْض النبيّ صلى الله عليه وسلم فى الموقف؛ قاله عطاء . وفى صحيح مسلم عن أنس قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أغْفَى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما (١) فقلنا : ما أضحكك يارسول الله ؟ قال " نزلت على آنفا سورة — فقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » — ثم قال — أتدرون ما الكوثر" . ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . قال : " فإنه نهر وَعَدَنِيه ربّى عزّ وجلّ عليه خير كثير هو حَوْض تَرِد عليه أمّتى يوم القيامة آنيتُه عدد النجوم فيُخْتَلَج (٢) العبد منهم فأقول إنه من أمّتى فيقال إنك لا تدرى ما أحدث بعدك " .

والأخبار فى حَوْضه فى الموقف كثيرة ذكرناها فى كتاب « التذكرة » . وأن على أركانه الأربعة خلفاؤه الأربعة؛ رضوان الله عليهم . وأن مَن أبغض واحدا منهم لم يَسْقه الآخر . وذكرنا هناك من يطرد عنه . فمن أراد الوقوف على ذلك تأمله هناك . ثم يجوز أن يسمى ذلك النهر أو الحوض كوثرا لكثرة الواردة والشاربة من أمّة محمد عليه السلام هناك . ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير . الثالث — أن الكوثر النبوّة والكتاب؛ قاله عكرمة . الرابع — القرآن؛ قاله الحسن . الخامس — الإسلام؛ حكاه المغيرة . السادس — تيسير (٣) القرآن وتخفيف الشرائع؛ قاله الحسين بن الفضل . السابع — هو كثرة الأصحاب والأمة والأشياع؛ قاله أبو بكر بن عياش ويَمَان بن رِئاب . الثامن — أنه الإيثار ؛ قاله ابن كَيْسان . التاسع — أنه رِفعة الذكر ؛ حكاه الماوردىّ . العاشر — أنه نور فى قلبك دلّك علىّ وقطعك عما سواى . وعنه : هو الشفاعة؛ وهو الحادى عشر . وقيل : معجزات الرب هَدَى بها أهلَ الإجابة لدعوتك؛ حكاه

---

(١) فى صحيح مسلم طبع الآستانة وبولاق : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى ... » الحديث . (٢) أى ينتزع ويقتطع . (٣) فى بعض نسخ الأصل : « تسهيل » .

الثعلبيّ، وهو الثاني عشر . الثالث عشر ــ قال هلال بن يَسَاف : هو لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقيل: الفقه في الدين . وقيل : الصلوات الخمس ؛ وهما الرابع عشر والخامس عشر . وقال ابن إسحاق : هو العظيم من الأمر؛ وذكر بيت لبيد :

وصاحب مَلْحُوبٍ فُجِعْنا بفَقْدِه * وعِنْدَ الرِّدَاعِ بيتُ آخَرَ كَوْثَرُ

أي عظيم .(1)

قلت : أصح هذه الأقوال الأوّل والثاني؛ لأنه ثابت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم نص في الكوثر . وسمع أنس قوما يتذاكرون الحوض فقال : ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض، لقد تركت عجائز خلفي ، ما تصلّي امرأة منهنّ إلا سألت الله أن يسقيَها من حوض النبيّ صلى الله عليه وسلم . وفي حوضه يقول الشاعر :

يا صاحبَ الحوضِ مَن يُدانيكا * وأنت حَقًّا حَبيبُ باريكا

وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد أُعطيَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيادةً على حوضه، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا .

قوله تعالى : فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾

فيه خمس مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي أقم الصلاةَ المفروضةَ عليك؛ كذا رواه الضحاك عن ابن عباس . وقال قتادة وعطاء وعكرمة : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ » صلاةَ العيد يوم النحر « وَٱنْحَرْ » نُسكك . وقال أنس : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يَنْحَر ثم يُصَلِّي؛ فأمر أن يصلّي ثم يَنْحَر . وقال سعيد بن جُبير أيضا : صَلِّ لربك صلاةَ الصبح المفروضة بجَمْع(2) وٱنحر البُدْنَ بمِنًى . وقال سعيد بن جبير أيضا : نزلت في الحُدَيْبِيَة حين حُصِر النبيّ صلى الله عليه وسلم عن البيت، فأمره الله تعالى أن يصلّي وينحر البُدْن وينصرف؛ ففعل ذلك . قال ابن العربيّ : «أما من

(1) ملحوب : ماء لبني أسد بن خزيمة . وصاحبه : عوف بن الأحوص . والرداع (بالكسر) : اسم ماء أيضا . والكوثر أيضا : السيد الكثير الخير . (2) جمع : المزدلفة .

قال إن المراد بقوله تعالى : « فَصَلِّ » الصلوات الخمس؛ فلأنها ركن العبادات ، وقاعدة الإسلام ، وأعظم دعائم الدين . وأما من قال : إنها صلاة الصبح بالمزدلفة ؛ فلأنها مقرونة بالنحر ، وهو في ذلك اليوم ، ولا صلاة فيه قبل النحر غيرها ؛ فخصها بالذكر من جملة الصلوات لاقترانها بالنحر » .

قلت : وأما من قال إنها صلاة العيد؛ فذلك بغير مكة؛ إذ ليس بمكة صلاةُ عيد بإجماع فيما حكاه ابن عمر . قال ابن العربي : «فأما مالك فقال : ما سمعت فيه شيئا ، والذي يقع في نفسي أن المراد بذلك صلاة يوم النحر ، والنحر بعدها» . وقال عليّ رضي الله عنه ومحمد ابن كعب : المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة . وروى عن ابن عباس أيضا . وروى عن عليّ أيضا : أن يرفع يديه في التكبير إلى نحره . وكذا قال جعفر بن عليّ : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » قال : يرفع يديه أول ما يكبر للإحرام إلى النحر . وعن عليّ رضي الله عنه قال : لما نزلت « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لجبريل : "ما هذه النَّحيرة التي أمرني الله بها" ؟ قال : "ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم في السموات السبع وإن لكل شيء زينة وإن زينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة" . وعن أبي صالح عن ابن عباس قال : استقبل القبلة بنحرك ؛ وقاله الفرّاء والكلبيّ وأبو الأحوص . ومنه قول الشاعر :

أبا حَكَمٍ ما أنت عَمُّ مُجالِدٍ * وسيدُ أهلِ الأبطَحِ المُتَناحِرِ

أي المتقابل . قال الفرّاء : سمعت بعض العرب يقول : ما زلنا[1] نتناحر؛ أي نتقابل نحر هذا بنحر هذا؛ أي قُبالَته . وقال ابن الأعرابي : هو انتصاب الرجل في الصلاة بإزاء المحراب؛ من قولهم : منازلهم تتناحر؛ أي تتقابل . وروى عن عطاء قال : أمره أن يستوى بين السجدتين

(١) الذي في كتاب الفراء : « منازلنا تتناحر هذا أي قباله » . والذي في اللسان نقلا عن الفراء : « منازلهم تناحر هذا بنحر هذا أي قباله » .

جالسا حتى يَبْدُوَ نحره . وقال سليمان التَّيْمِيّ : يعني وارفع يدك بالدعاء إلى نحرك . وقيل : « فَصَلِّ » معناه وآعبد . وقال محمد بن كعب القرظيّ : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » يقول : إن ناسا يصلّون لغير الله وينحرون لغير الله ؛ وقد أعطيناك الكوثر فلا تكن صلاتك ولا نحرك إلا لله . قال آبن العربيّ : « والذى عندى أنه أراد آعبد ربك وآنحر له ، فلا يكن عملك إلا لمن خصك بالكوثر ، وبالحَرِيّ أن يكون جميع العمل يوازى هذه الخصوصية من الكوثر ، وهو الخير الكثير الذى أعطاكه الله ، أو النهر الذى طينه مسك وعدد آنيته نجوم السماء ؛ أما أن يوازى هذا صلاة يوم النحر وذبح كبش أو بقرة أو بَدَنة ، فذلك يبعد فى التقدير والتدبير وموازنة الثواب للعبادة » . والله أعلم .

الثانيـــة — قد مضى القول فى سورة « الصافات »(١) فى الأُضْحِيـة وفضلها ووقت ذبحها ؛ فلا معنى لإعادة ذلك . وذكرنا أيضا فى سورة « الحج »(٢) جملةً من أحكامها . قال آبن العربيّ : «ومن عجيب الأمر أن الشافعى قال : إن من ضَحّى قبل الصلاة أجزأه ، والله تعالى يقول فى كتابه : « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » فبدأ بالصلاة قبل النحر ، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم فى البخاريّ وغيره عن البراء بن عازب قال : "أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلّى ثم نرجع فننحر مَن فعل فقد أصاب نُسُكَنا وَمن ذبح قبلُ فإنما هو لحم قدّمه لأهله ليس من النُّسك فى شيء" . وأصحابه ينكرونه ، وحبذا الموافقة » .

الثالثـــة — وأما ما روى عن علىّ عليه السلام « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » قال : وضع اليمين على الشمال فى الصلاة — خرّجه الدارقطنيّ — فقد اختلف علماؤنا فى ذلك على ثلاثة أقوال : الأوّل — لا توضع فى فريضة ولا نافلة ؛ لأن ذلك من باب الاعتماد . ولا يجوز فى الفرض ولا يستحب فى النفل . الثانى — لا يفعلها فى الفريضة ويفعلها فى النافلة استعانةً ؛ لأنه موضع ترخّص . الثالث — يفعلها فى الفريضة والنافلة . وهو الصحيح ؛ لأنه ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على اليسرى من حديث وائل

(١) راجع ج ١٥ ص ١٠٧ وما بعدها . (٢) راجع ج ١٢ ص ٤٢ وما بعدها .

آبن حجر وغيره . قال آبن المنذر : وبه قال مالك وأحمد وإسحاق، وحُكى ذلك عن الشافعيّ. واستحب ذلك أصحابُ الرأى . ورأت جماعةٌ إرسالَ اليد . وممن رَوَيْنا ذلك عنه آبن المنذر[1] والحسن البصريّ وإبراهيم النَّخَعِيّ .

قلت : وهو مَرْوِيّ أيضا عن مالك . قال ابن عبد البر : إرسال اليدين ووضع اليمنى على الشمال كل ذلك من سُنّة الصلاة .

الرابعة — واختلفوا فى الموضع الذى توضع عليه اليد؛ فرُوِىَ عن علىّ بن أبى طالب أنه وضعهما على صدره . وقال سعيد بن جُبير وأحمد بن حنبل : فوق السرّة . وقال : لا بأس إن كانت تحت السرّة . وقالت طائفة : توضع تحت السرّة . وروى ذلك عن علىّ وأبى هريرة والنَّخَعِىّ وأبى مِجْلَز . وبه قال سفيان الثورىّ وإسحاق .

الخامسة — وأما رفع اليدين فى التكبير عند الآفتتاح والركوع والرفع من الركوع والسجود فآختلف فى ذلك ؛ فروَى الدّارَقُطْنِيّ من حديث حُميد عن أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه إذا دخل فى الصلاة، وإذا ركع ، وإذا رفع رأسه من الركوع ، وإذا سجد . لم يَرْوِه عن حُميد مرفوعًا إلا عبد الوهاب الثقفىّ . والصواب من فعل أنس . وفى الصحيحين من حديث آبن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى تكونا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثم يُكَبِّرَ، وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ، ويفعل ذلك حين يرفع رأسه من الركوع ويقول : سَمِع الله لمن حَمِده . ولا يفعل ذلك حين يرفع رأسه من السجود . قال آبن المنذر : وهذا قول اللَّيْث بن سعد والشافعىّ وأحمد وإسحاق وأبى ثَوْر . وحكى آبن وهب عن مالك هذا القول . وبه أقول؛ لأنه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت طائفة : يرفع المصلّى يديه حين يفتتح الصلاة، ولا يرفع فيما سوى ذلك . هذا قول سفيان الثورىّ وأصحاب الرأى .

---

(١) فى بعض الأصول : « ابن الزبير » .

قلت : وهو المشهور من مذهب مالك؛ لحديث ٱبن مسعود، خرّجه الدّارقُطْنِيّ من حديث إسحاق بن أبي إسرائيل . قال : حدّثنا محمد بن جابر عن حمّاد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : صلّيْتُ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضى الله عنهما؛ فلم يرفعوا أيديهم إلا أوّلا عند التكبيرة الأولى فى ٱفتتاح الصلاة . قال إسحاق : به نأخذ فى الصلاة كلّها . قال الدّارَقُطْنِيّ : تفرّد به محمد بن جابر وكان ضعيفًا عن حماد عن إبراهيم . وغيرُ حمّاد يَرْوِيه عن إبراهيم مُرْسَلًا عن عبد الله من فعله غيرَ مرفوع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وهو الصواب . وقد روى يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة رفع يديه حتى يُحاذِيَ بهما أُذُنَيْه، ثم لم يَعُد إلى شيء من ذلك حتى فرغ من الصلاة . قال الدارقطنيّ : [وإنما][(1)] لُقِّن يزيد فى آخر عمره : «ثم لم يعد»؛ فتلقّنه وكان قد ٱختلط . وفى (مختصر ما ليس فى المختصر) عن مالك : لا يرفع اليدين فى شيء من الصلاة . قال ٱبن القاسم : ولم أر مالكا يرفع يديه عند الإحرام . قال : وأحَبّ إليّ تركُ رفع اليدين عند الإحرام .

قوله تعالى : إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

أى مُبْغِضك؛ وهو العاص بن وائل . وكانت العرب تُسَمِّي من كان له بنون وبناتٌ ثم مات البنون وبقى البنات أبتر . فيقال : إن العاص وقف مع النبيّ صلى الله عليه وسلم يكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش : مع من كنت واقفا ؟ فقال : مع ذلك الأبتر . وكان قد تُوُفِّيَ قبلَ ذلك عبدُ الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة؛ فأنزل الله جلّ شأنه : «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ» أى المقطوع ذِكْره من خير الدنيا والآخرة . وذكر عكرمة عن ٱبن عباس قال : كان أهل الجاهلية إذا مات ابن الرجل قالوا : بُتِر فلان . فلما مات إبراهيم ٱبن النبيّ صلى الله عليه وسلم خرج أبوجهل إلى أصحابه فقال : بُتِر محمد؛ فأنزل الله جل ثناؤه :

---

(١) الزيادة من الدارقطنى .

« إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » يعنى بذلك أباجهل . وقال شِمر بن عطية : هو عُقْبة بن أبى مُعَيط. وقيـل : إن قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بُتِر فلان . فلما مات لرسول الله صلى الله عليـه وسلم آبنه القاسم بمكة ، وإبراهيم بالمدينة قالوا : بُتِر محمد، فليس له من يقوم بأمره من بعده؛ فنزلت هـذه الآية؛ قاله السُّدّى وآبن زيد . وقيل : إنه جواب لقريش حين قالوا لكعب بن الأشرف لمـا قدم مكة : نحن أصحاب السِّقاية والسِّدانة والحِجابة واللواء وأنت سيد أهل المدينة، فنحن خير أم هذا الصُّنَيْبِرُ(١) الأُبَيْتِرُ من قومه ؟ قال كعب : بل أنتم خير؛ فنزلت فى كعب : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ(٢) وَالطَّاغُوتِ » الآية . ونزلت فى قريش : « إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » ؛ قاله آبن عباس أيضا وعكرمة . وقيل : إن الله عز وجل لمـا أوحَى إلى رسوله ودعا قريشا إلى الإيمـان قالوا : آنبَتَر منّا محمد؛ أى خالفنا وآنقطع عنـا . فأخبر الله تعالى رسـوله صلى الله عليـه وسلم أنهم هم المبتورون ؛ قاله أيضا عِكرمة وشَهْر بن حَوْشَب . قال أهل اللغـة : الأبتر من الرجال الذى لا ولد له ، ومن الدوابّ الذى لا ذَنَب له . وكلُّ أمرٍ انقطع من الخـير أثره فهو أبتر . والبتر : القطع . بَتَرْتُ الشىء بَتْرًا : قطعته قبل الإتمـام . والآنبتار : الآنقطاع . والباتر : السيف القاطع . والأبتر : المقطوع الذَّنَب . تقول منه : بَتِر (بالكسر) يَبْتَر بَتَرًا . وفى الحديث "ما هـذه البُتَيْراء" . وخطب زياد خطبته البَتْراء؛ لأنه لم يَحْمَد الله فيها ولم يُصَلِّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم . آبن السِّكّيت : الأبتران العَيْر والعَبْد؛ قال : سُمِّيا أَبْتَرَيْن لقلّة خيرهما . وقد أبتره الله أى صيّره أبتر . ويقال : رجل أُباتِر (بضم الهمزة) للذى يقطع رَحِمه . قال الشاعر :

لَئِيمٌ نَزَتْ فى أَنْفِـهِ خُنْزُوَانَةٌ * عَلَى قَطْعِ ذِى الْقُرْبَى أَحَذُّ أُبَاتِرُ

والبُتْرِيّة : فرقة من الزيدية؛ نسبوا إلى المغيرة بن سعد، ولقبه الأبتر . وأمّا الصُّنْبُورُ فلفظ مشترك . قيل : هو النخلة تبقى منفردة ويَدِقّ أسفلها ويتقشّر؛ يقال : صَنْبَرَ أسفلُ النخلة .

---

(١) فى نسخة الصنبور . وسيأتى للصنف بيان معناه . (٢) آية ٥١ سورة النساء .

وقيل : هو الرجل الفرد الذى لا ولد له ولا أخ . وقيل : هو مثعب[1] الحوض خاصة ؛ حكاه أبو عبيد . وأنشد :

* ما بين صُنْبُور إلى الإزاء[2] *

والصُّنْبور : قصبة تكون فى الإداوة[3] من حديد أو رصاص يُشرب منها ـ حكى جميعه الجوهرى رحمه الله . والله سبحانه وتعالى أعلم .

سورة « الكافرون »

وهى مكّيّة ؛ فى قول ابن مسعود والحسن وعِكْرمة . ومدنيّة ؛ فى أحد قولَى ابن عباس قتادة والضحاك . وهى ست آيات .

وفى الترمذى من حديث أنس أنها تعدل ثلث القرآن . وفى كتاب (الرد لأبى بكر الأنبارى) : حدثنا عبدالله بن ناجية قال : حدّثنا يوسف قال حدّثنا القعنبى وأبونعيم عن موسى بن وردان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " « قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ » تعدل ربع القرآن " . ورواه موقوفا عن أنس . وخرّج الحافظ أبو محمد عبد الغنى بن سعيد عن ابن عمر قال : صلّى النبىّ صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاةَ الفجر فى سَفَر فقرأ « قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ » و « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » ثم قال : " قرأت بكم ثُلُثَ القرآن ورُبعه " . وروى جُبير بن مُطْعِم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " أتحبّ يا جبير إذا خرجت سفرًا أن تكون من أمثل أصحابك هيئةً وأكثرهم زادًا " ؟ قلت : نعم . قال : " فاقرأ هذه السورَ الخمسَ من أول « قل يأيها الكافرون — إلى — قل أعوذ برب الناس » وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم " . قال : فوالله لقد كنتُ غيرَ كثيرِ المال ، إذا سافرت أكون أبذّهم[4] هيئةً وأقلّهم زادًا ، فمذ قرأتهنّ صرتُ من أحسنهم هيئةً وأكثرهم زادًا حتى أرجع من سفرى ذلك .

---

(١) مثعب الحوض : مسيله . (٢) الإزاء : مصب الماء فى الحوض .
(٣) الإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء . (٤) بذ الهيئة : رثها .

وقال فروة بن نوفل الأشجعي : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال : "اقرأ عند منامك «قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ» فإنها براءة من الشرك". خرجه أبو بكر الأنباري وغيره . وقال ابن عباس : ليس في القرآن أشد غيظا لإبليس منها ؛ لأنها توحيد وبراءة من الشرك . وقال الأصمعي : كان يقال لـ«قل يأيها الكافرون» ، و «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» المقشقشتان ؛ أي إنهما يبرئان من النفاق . وقال أبو عبيدة : كما يقشقش الهناء[1] الجرب فيبرئه . وقال ابن السكيت : يقال للقرح والجدري إذا يبس وتقرف ، وللجرب في الإبل إذا قفل[2] : قد توسف جلده ، وتقشر جلده ، وتقشقش جلده .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾

ذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس : أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة ، والعاص ابن وائل ، والأسود بن عبد المطلب ، وأمية بن خلف ؛ لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ؛ فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه ؛ فأنزل الله عز وجل «قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ» . وقال أبو صالح عن ابن عباس : إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو استلمت[3] بعض هذه الآلهة لصدقناك ؛ فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه السورة ؛ فيئسوا منه وآذوه وآذوا أصحابه . والألف واللام ترجع إلى معنى المعهود

---

(١) الهناء (بالكسر) : القطران . (٢) قفل الجلد : يبس . (٣) استلم الحجر : لمسه إما بالقبلة أو باليد .

وإن كانت للجنس من حيث إنها كانت صفة لأىّ؛ لأنها مخاطبة لمن سبق فى علم الله تعالى أنه سيموت على كفره، فهى من الخصوص الذى جاء بلفظ العموم . ونحوه عن الماوردىّ : نزلت جوابا ، وعنى بالكافرين قومًا مُعَيَّنِين لا جميع الكافرين؛ لأن منهم من آمن فعبد الله ، ومنهم من مات أو قُتل على كفره ، وهم المخاطبون بهذا القول ، وهم المذكورون . قال أبو بكر بن الأنبارىّ : وقرأ من طعن فى القرآن : قل للذين كفروا «لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» وزعم أن ذلك هو الصواب ، وذلك افتراء على رب العالمين، وتضعيف لمعنى هذه السورة ، وإبطال ما قصده الله من أن يذلّ نبيُّه للمشركين بخطابه إياهم بهذا الخطاب الزرِىّ، وإلزامهم ما يأنف منه كلّ ذى لُبّ وحِجاً . وذلك أن الذى يدّعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل عليه فى المعنى ، وتزيد تأويلا ليس عندهم فى باطلهم وتحريفهم . فمعنى قراءتنا : قل للذين كفروا يأيها الكافرون ؛ دليلُ صحة هذا أن العربىّ إذا قال لمخاطبه قل لزيد أقبل إلينا ، فمعناه قل لزيد يا زيد أقبل إلينا . فقد وقعت قراءتنا على كل ما عندهم ، وسقط من باطلهم أحسن لفظ وأبلغُ معنًى ؛ إذ كان الرسول عليه السلام يعتمدهم فى ناديهم ، فيقول لهم : «يأيها الكافرون» . وهو يعلم أنهم يغضبون من أن يُنسبوا إلى الكفر ويدخلوا فى جملة أهله إلا وهو محروس ممنوع من أن تنبسط عليه منهم يدٌ، أو تقع به من جهتهم أذيّة . فمن لم يقرأ « قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ » كما أنزلها الله أسقط آيةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وسبيل أهل الإسلام ألّا يسارعوا إلى مثلها ، ولا يعتمدوا نبيّهم باختزال الفضائل عنه التى منحه الله إياها وشرّفه بها . وأما وجه التّكرار فقد قيل إنه للتأكيد فى قطع أطماعهم ؛ كما تقول : والله لا أفعل كذا ثم والله لا أفعله . قال أكثر أهل المعانى : نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام، كما أن مذاهبهم الاختصارُ إرادةَ التخفيف والإيجاز؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شىء إلى شىء أولى من اقتصاره فى المقام على شىء واحد ؛ قال الله تعالى : « فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » ، « وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ » ، « كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ » ، و « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » كل هذا على التأكيد .

وقد يقول القائل : آرْمِ آرْمِ ، آعْجَلْ آعْجَلْ ؛ ومنه قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح : " فلا آذَنُ ثم لا آذَنُ إنما فاطمةُ بَضْعَةٌ مِنِّى "[1] خرّجه مسلم . وقال الشاعر :

هــلّا سَألْت جُموعَ كِنْدَةَ * يومَ وَلَّوْا أيْنَ أيْنَا

وقال آخــر :

يالَبَكْرٍ أنشِرُوا لِى كُلَيبًا * يالَبَكْرٍ أيْنَ أينَ الفِرارُ[2]

وقال آخــر :

يا علقمهْ يا علقمهْ يا علقمهْ * خيرَ تَمِيمٍ كلِّهـا وأكْرَمَهْ

وقال آخــر :

يا أقرعُ بنَ حابسٍ يا أقرعُ * إنّك إنْ يُصْرَعْ أخوكَ تُصْرَعُ[3]

وقال آخــر :

ألَا يا آسْلَمِى ثُمّ آسْلَمِى ثُمّتَ آسْلَمِى * ثلاثُ تَحِيّاتٍ وإنْ لَمْ تَكَلَّمِ

ومثله كثير . وقيل : هــذا على مطابقة قولهم : تعبـد آلهتنا ونعبد إلهك ، ثم تعبـد آلهتنا ونعبـد إلهك ، ثم تعبد آلهتنا ونعبـد إلهك ، فنَجْرِى على هــذا أبدًا سَــنَةً وسَنة . فأجيبوا عن كل ما قالوه بضــدّه ؛ أى إن هــذا لا يكون أبدا . قال ٱبن عبــاس : قالت قريش للنبيّ صــلى الله عليــه وسلم : نحن نعطيك من المــال ما تكون به أغْنَى رجــلٍ بمكة ، ونزوّجك مَن شئت ، ونطأ عَقِبَك ؛ أى نَمْشِى خلفك ، وتكفّ عن شتم آلهتنا ، فإن لم تفعل فنحن نعرض عليك خَصْلة واحدة هى لنــا ولك صلاح ؛ تعبد آلهتنا اللاّت والعُزّى سنة ،

---

(١) لفظ الحديث كما فى صحيح مسلم (باب الفضائل) : " ... أنه سمع رسول الله صلى الله عليــه وسلم على المنبر وهو يقول : إن بنى هشام بن المغــيرة استأذنونى أن ينكحوا ٱبنتهم علىّ بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهــم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فإنما ابنتى بضعة منى يريبنى ما رابهــا و يؤذينى ما آذاها " والبضعة (بالفتح وقد تكسر) : القطعة من اللحم . (٢) البيت من أبيات المهلهل بن ربيعة قالها بعد أن أخذ بثأر أخيه كليب (راجع الشاهد العاشر بعد المائة فى خزانة الأدب) . (٣) البيت لجرير بن عبد الله البجلى . وقيل لعمرو بن خثارم البجلى . (راجع خزانة الأدب فى الشاهد الحادى والثمانين بعد الخمسمائة) .

ونحن نعبد إلهك سنة؛ فنزلت السورة . فكان التكرار فى «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ »؛ لأن القوم[1] كرروا عليه مقالهم مَرَّةً بعد مرة . والله أعلم . وقيل : إنما كرر بمعنى التغليظ . وقيل : أى « لَا أَعْبُدُ » الساعة « مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ » الساعة « مَا أَعْبُدُ » . ثم قال : « وَلَا أَنَا عَابِدٌ » فى المستقبل « مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ » فى المستقبل « عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » قاله الأخفش والمبرّد . وقيل : إنهم كانوا يعبدون الأوثان ، فإذا ملّوا وَثَنًا وسَئِمُوا العبادة له رفضوه ، ثم أخذوا وَثَنًا غيره بشهوة نفوسهم ، فإذا مَرُّوا بحجارة تعجبهم ألقَوْا هذه ورفعوا تلك فعظموها ونصبوها آلهة يعبدونها ؛ فأُمر عليه السلام أن يقول لهم : « لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ » اليوم من هذه الآلهة التى بين أيديكم . ثم قال : « وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » وإنما تعبدون الوثن الذى اتخذتموه ، وهو عندكم الآن . « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » أى بالأمس من الآلهة التى رفضتموها وأقبلتم على هذه . ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فإنى أعبد إلهى . وقيل : إن قوله تعالى : « لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ » . « وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » فى الاستقبال . وقوله : « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » على نفى العبادة منه لما عبدوا فى الماضى . ثم قال : « وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » على التكرير فى اللفظ دون المعنى من قِبَل أن التقابل يوجب أن يكون ولا أنتم عابدون ما عبدت ، فعدل عن لفظ عبدت إلى أعبد ، إشعارًا بأن ما عبد فى الماضى هو الذى يعبد فى المستقبل ، مع أن الماضى والمستقبل قد يقع أحدهما موقع الآخر . وأكثر ما يأتى ذلك فى أخبار الله عز وجل . وقال : « مَا أَعْبُدُ » ولم يقل مَن أعبد؛ ليقابل به « وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » وهى أصنام وأوثان، ولا يصلح فيها إلا « ما » دون « مَن » فحمل الأول على الثانى ليتقابل الكلام ولا يتنافى . وقد جاءت « ما » لمن يعقل . ومنه قولهم : سبحان ما سخركنّ لنا . وقيل : إن معنى الآيات وتقديرها : قل يا أيها الكافرون لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ، ولا أنتم عابدون الله عز وجل الذى أعبده ؛ لإشراككم به واتخاذكم الأصنام ، فإن زعمتم أنكم تعبدونه فأنتم كاذبون ؛ لأنكم تعبدونه

---

(١) فى حاشية الجمل نقلا عن القرطبى : ثم تعبد آلهتنا و نعبد إلهك فنجرى على هذا أبدا سنة وسنة فنزلت الخ .

مشركين . فأنا لا أعبد ما عبدتم ، أى مثل عبادتكم ، فـ « ما » مصدرية . وكذلك «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » مصدرية أيضا ؛ معناه ولا أنتم عابدون مثل عبادتى التى هى توحيد .

قوله تعالى : لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

فيه معنى التهديد ؛ وهو كقوله تعالى : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ »[1] أى إن رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا . وكان هذا قبل الأمر بالقتال فنسخ بآية السيف . وقيل : السورة كلها منسوخة . وقيل : ما نسخ منها شيء لأنها خبر . ومعنى «لَكُمْ دِينُكُمْ» أى جزاء دينكم ولى جزاء دينى . وسَمَّى دينهم دينًا لأنهم اعتقدوه وتولّوه . وقيل : المعنى لكم جزاؤكم ولى جزائى ؛ لأن الدِّين الجزاء . وفتح الياء من « وَلِيَ دِينِ » نافع ، والبَزِّى عن ابن كثير باختلاف عنه ، وهشام عن ابن عامر ، وحفص عن عاصم . وأثبت الياء فى « دينى » فى الحالين نصرُ بن عاصم وسلام ويعقوب ؛ قالوا : لأنها اسمٌ مثل الكاف فى دينكم والتاء فى قمتُ . الباقون بغير ياء ؛ مثل قوله تعالى : « فَهُوَ يَهْدِينِ »[2] ، « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ »[3] ونحوه ، اكتفاءً بالكسرة واتباعًا لخط المصحف ؛ فإنه وقع فيه بغير ياء .

تفسير سورة « النصر »

وهى مَدَنيّة بإجماع . وتُسَمَّى سورة « التوديع » . وهى ثلاث آيات .
وهى آخر سورة نزلت جميعا ؛ قاله ابن عباس فى صحيح مسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

النُّصر : العَوْن ؛ مأخوذ من قولهم : قد نصر الغيثُ الأرضَ ؛ إذا أعان على نباتها ومنع من قَحْطها . قال الشاعر[4] :

إذا انسلخ الشهرُ الحرامُ فودِّعى * بلادَ تميم وانْصُرى أرضَ عامرِ

(١) آية ٥٥ سورة القصص . (٢) آية ٧٨ سورة الشعراء .
(٣) آية ٥٠ سورة آل عمران . (٤) هو الراعى يخاطب خيلا . (عن اللسان مادة نصر)

ويروى :

إذا دخلَ الشهرُ الحرامُ بجَاوِزى * بلاد تميم وآنصرى أرضَ عامرِ

يقال : نصره على عدوه ينصره نصرا ؛ أى أعانه . والاسم النُّصرة . واستنصره على عدوه ؛ أى سأله أن ينصره عليه . وتناصروا : نَصر بعضُهم بعضًا . ثم قيل : المراد بهذا النصر نصرُ الرسول على قريش؛ قاله الطبرىّ . وقيل : نَصْرُه على مَن قاتله من الكفار ؛ فإن عاقبة النَّصْر كانت له . وأما الفتح فهو فتح مكة ؛ عن الحسن ومجاهد وغيرهما . وقال ابن عباس وسعيد بن جُبير : هو فتح المدائن والقصور . وقيل : فتح سائر البلاد . وقيل : ما فتحه عليه من العلوم . و « إذا » بمعنى قد؛ أى قد جاء نصر الله؛ لأن نزولها بعد الفتح . ويمكن أن يكون معناه : إذا يجيئك .

قوله تعالى : وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

قوله تعالى : ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ ﴾ أى العرب وغيرهم . ﴿ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ﴾ أى جماعات فَوْجًا بعد فَوْج . وذلك لما فُتحت مكة قالت العرب : أمّا إذا ظَفِر محمد بأهل الحَرَم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان (١) . فكانوا يُسلمون أفواجا أمّة أمّة . قال الضحاك : والأمّة أربعون رجلا . وقال عكرمة ومقاتل : أراد بالناس أهل اليمن . وذلك أنه ورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين طائعين ، بعضهم يؤذّنون ، وبعضهم يقرءون القرآن، وبعضهم يُهلّلون؛ فَسُرّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وابن عباس . وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قرأ : " « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » وجاء أهل اليمن رَقيقةٌ أفئدتُهم، لَيِّنَةٌ طباعُهم ، سَخِيَّةٌ قلوبُهم ، عظيمةٌ خشيتهم ، فدخلوا فى دين الله أفواجا " . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتاكم أهل اليمن هم أضعفُ قلوبًا وأرقّ أفئدة الفقهُ يَمانٍ والحكمةُ يمانيةٌ " . وروى أنه

(١) أى طاقة .

صلى الله عليه وسلم قال : " إني لأجد نَفَس[(١)] رَبِّكم من قِبَل اليمن " . وفيه تأويلان : أحدهما — أنه الفرج؛ لتتابع إسلامهم أفواجا . والثانى — معناه أن الله تعالى نَفَّس الكرب عن نبيّه صلى الله عليه وسلم بأهل اليمن وهم الأنصار . وروى جابر بن عبد الله قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجًا وسيخرجون منه أفواجا " ذكره الماوردىّ . ولفظ الثعلبىّ : وقال أبو عمار حدّثنى جار لجابر قال : سألنى جابر عن حال الناس، فأخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم؛ فجعل يبكى ويقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون من دين الله أفواجا " .

قوله تعالى : فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ أى إذا صلّيت فأكثر من ذلك . وقيل : معنى سبّح صَلّ ؛ عن ابن عباس . « بِحَمْدِ رَبِّكَ » أى حامدا له على ما آتاك من الظفر والفتح . « وَٱسْتَغْفِرْهُ » أى سَلِ الله الغفران . وقيل : « فَسَبِّحْ » المراد به التنزيه؛ أى نزّهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له . « وَٱسْتَغْفِرْهُ » أى سل الله الغفران مع مداومة الذكر . والأوّل أظهر . روى الأئمة واللفظ للبخارىّ عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم صلاةً بعد أن نزلت عليه سورة « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » إلا يقول : " سبحانك ربّنا وبحمدك اللّهمّ اغفر لى " . وعنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : " سُبحانك اللّهمّ ربنا وبحمدك اللّهمّ اغفر لى " يتأوّل القرآن . وفى غير الصحيح : وقالت أمّ سلمة كان النبيّ صلى الله عليه وسلم آخرَ أمره لا يقوم ولا يقعد، ولا يجيء ولا يذهب إلا قال : " سبحانَ الله وبحمده أستغفر الله وأتوب

(١) قال ابن الأثير : « هو مستعار من نَفَس الهواء الذى يردّه التنفس إلى الجوف فيبرّد من حرارته ويعدّلها . أو من نفس الريح الذى يتنسمه فيستروح إليه . أو من نَفَس الروضة وهو طيب روائحها فيتفرّج به عنه . يقال : أنت فى نَفَس من أمرك، واعمل وأنت فى نَفَس من عمرك؛ أى فى سعة وفسحة قبل المرض والهرم ونحوهما » .

إليه — قال — فإنى أمرت بها — ثم قرأ — « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ »" إلى آخرها . وقال أبو هريرة : آجتهد النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد نزولها حتى تورّمت قدماه ، ونَحَل جسمه ، وقلّ تَبَسُّمه ، وكَثُر بكاؤه . وقال عكرمة : لم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلم قطّ أشدَّ اجتهادا فى أمور الآخرة ما كان منه عند نزولها . وقال مقاتل : لما نزلت قرأها النبيّ صلى الله عليه وسلم على أصحابه ، ومنهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقّاص ، ففرحوا وآستبشروا وبكى العباس ؛ فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : "ما يُبكيك يا عم" ؟ قال : نُعيت إليك نَفْسُك . قال : "إنه لكما تقول" فعاش بعدها ستين(1) يوما ما رُئِىَ فيها ضاحكا مستبشرا . وقيل : نزلت فى مِنًى بعد أيام التّشريق فى حجة الوداع ، فبكى عمر والعباس ، فقيل لهما : إن هذا يوم فرح . فقالا : بل فيه نَعْى النبيّ صلى الله عليه وسلم . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : "صدقتما نُعيت إلىّ نفسى" . وفى البخاريّ وغيره عن ابن عباس قال : كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بدر ويأذن لى معهم . قال : فوجد(2) بعضهم من ذلك فقالوا : يأذن لهذا الفتى معنا ومن أبنائنا مَن هو مثله ! فقال لهم عمر : إنه مَن(3) قد علمتم . قال : فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم ، فسألهم عن هذه السورة « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » فقالوا : أمر الله جلّ وعزّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم إذا فُتح عليه أن يستغفره وأن يتوب إليه . فقال : ما تقول يا بن عباس ؟ قلت : ليس كذلك ، ولكن أخبر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم حضور أجله فقال : « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » فذلك علامة موتك . « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » . فقال عمر رضى الله عنه : تلوموننى عليه ؟ وفى البخاريّ فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول . ورواه الترمذيّ قال : كان عمر يسألنى مع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن آبن عوف : أتسأله ولنا بنون مثله ؟ فقال له عمر : إنّه مَنْ حيثُ تعلم . فسأله عن هذه الآية « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » . فقلت : إنما هو أَجَلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، أعلمه إياه ، وقرأ السورة إلى آخرها . فقال له عمر : والله ما أعلم منها إلا ما تعلم . قال : هذا

---

(1) الذى فى الطبرى والكشاف : « سنتين » . (2) أى غضب . (3) أى من جهة ذكائه وزيادة معرفته . أو من جهة قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث حسن صحيح . فإن قيل : فماذا يُغفَر للنبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يؤمر بالاستغفار؟ قيل له : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : "رَبِّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به منّي اللّهُمّ اغفر لي خَطَئي وعَمْدي وجَهْلي وهَزْلي وكُلّ ذلك عندي اللّهُمّ اغفر لي ما قدّمتُ وما أخّرتُ وما أعلنتُ وما أسررتُ أنت المقدّم وأنت المؤخّر إنك على كل شيء قدير" . فكان صلى الله عليه وسلم يستقصر نفسَه لعظم ما أنعم الله به عليه، ويَرَى قصورَه عن القيام بحق ذلك ذنوبًا . ويحتمل أن يكون بمعنى : كن متعلّقا به سائلًا راغبا ، متضرّعًا على رؤية التقصير في أداء الحقوق ؛ لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال . وقيل : الاستغفار تَعبُّدٌ يجب إتيانه لا للمغفرة بل تعبدًا . وقيل : ذلك تنبيه لأمته لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار . وقيل : « وَٱسْتَغْفِرْهُ » أي استغفر لأمتك . ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أي على المُسبِّحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ، ويقبل توبتهم . وإذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار فما الظن بغيره . روى مسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر من قول "سبحانَ الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه". قالت : فقلت يا رسول الله، أراك تكثر من قول "سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه" ؟ فقال : "خبّرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرتُ من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها « إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ » — فتح مكة — « وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا »" . وقال ابن عمر : نزلت هذه السورة بمنًى في حجة الوداع، ثم نزلت « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي »(١) فعاش بعدهما النبيّ صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما . ثم نزلت آية الكلالة(٢) فعاش بعدها خمسين يوما . ثم نزل « لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ »(٣) فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما . ثم نزل « وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ »(٤) فعاش بعدها أحدا وعشرين يوما . وقال مقاتل سبعة أيام . وقيل غير هذا مما تقدّم في « البقرة » بيانه(٥) والحمد لله .

(١) آية ٣ سورة المائدة . (٢) آخر سورة النساء . (٣) آية ١٢٨ سورة التوبة .
(٤) آية ٢٨١ سورة البقرة . (٥) راجع جـ ٣ ص ٣٧٥

ســـورة « تبّت »

وهى مكّيّة بإجماع ، وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

فيه ثلاث مسائل :

الأولى ــ قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ فى الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال : لما نزلت « وأنذر عشيرتك الأقربين »(١) ورهطك منهم المخلصين(٢) ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعِد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هـذا الذى يهتف ؟ قالوا محمد . فاجتمعوا إليه . فقال : " يا بنى فلان يا بنى فلان يا بنى فلان يا بنى عبد مناف يا بنى عبد المطلب " فاجتمعوا إليه . فقال : " أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مُصدّقِىّ " ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبًا . قال : " فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد " . فقال أبو لهب : تبًّا لك ! ، أما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام فنزلت هذه السورة « تبّت يدا أبى لهب وقد تبّ » كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة . زاد الحميدى وغيره : فلما سمعت امرأته ما نزل فى زوجها وفيها من القرآن ، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه ، وفى يدها فِهر(٣) من حجارة ، فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر . فقالت : يا أبا بكر ، إن صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، والله إنى لشاعرة :

مُــذَمَّمًا عَصَيْنَا * وأَمْــرَه أَبَيْنَا * ودينَــه قَلَيْنَــا

---

(١) آية ٢١٤ سورة الشعراء . (٢) قال النووى فى شرح مسلم : « وظاهر هذه العبارة أن قوله ورهطك منهم المخلصين كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته » . (٣) الفهر (بالكسر) : الحجر ملء الكف . وقيل الحجارة مطلقا .

ثم انصرفت . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك ؟ قال : " ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني ". وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ؛ يسبونه . وكان يقول : " ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش ، يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد " . وقيل : إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما ذا أعطى إن آمنت بك يا محمد ؟ فقال : " كما يعطى المسلمون " قال : مالي عليهم فضل ؟ ! . قال : " وأي شيء تبغي " ؟ قال : تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء ؛ فأنزل الله تعالى فيه : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » . وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال : كان إذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق إليهم أبو لهب ، فيسألونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون له : أنت أعلم به منا . فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر . فيرجعون عنه ولا يلقونه . فأتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه . فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه ، فتبا له وتعسا ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتأب لذلك ؛ فأنزل الله تعالى « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ » السورة . وقيل : إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه الله من ذلك ، وأنزل الله تعالى : « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » للمنع الذي وقع به . ومعنى « تَبَّتْ » خسرت ؛ قاله قتادة . وقيل : خابت ؛ قاله ابن عباس . وقيل : ضلت ؛ قاله عطاء . وقيل : هلكت ؛ قاله ابن جبير . وقال يمان بن رئاب : صفرت من كل خير . حكى الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء أنه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول :

لقد خلوك وانصرفوا * فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهم (١) * فيا تبا لما صنعوا

وخص اليدين بالتباب لأن العمل أكثر ما يكون بهما ؛ أي خسرتا وخسر هو . وقيل : المراد باليدين نفسه . وقد يعبر عن النفس باليد ؛ كما قال الله تعالى : « بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ » (٢)

(١) في بعض نسخ الأصل : * فتبا للذي صنعوا *
(٢) آية ١٠ سورة الحج .

أى نفسك . وهذا مَهْيَعُ[1] كلامِ العرب ؛ تعبّر ببعض الشيء عن كله ؛ تقول : أصابته يَدُ الدهر، ويَدُ الرزايا والمنايا ؛ أى أصابه كلّ ذلك . قال الشاعر :

لمّا أَكَبّتْ يَدُ الرَّزايا * عليـه نادَى أَلَا مُجِيرُ

﴿ وَتَبَّ ﴾ قال الفراء : التَّبُّ الأول دعاء والثانى خبر ؛ كما يقال : أهلكه الله وقد هلك . وفى قراءة عبد الله وأُبَىّ « وقد تبّ » . وأبو لهب اسمه عبد العُزَّى ، وهو ابن عبد المطلب عم النبىّ صلى الله عليه وسلم . وامرأته العَوْراء أمّ جميل ، أختُ أبى سفيان بن حرب ، وكلاهما ، كان شديدَ العداوة للنبىّ صلى الله عليه وسلم . قال طارق بن عبد الله المحاربى : إنى بسوق ذى المجاز ، إذ أنا بإنسان يقول : " يأيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا " . وإذا رجل خلفه يرميه ، قد أدْمَى ساقيه وعُرْقُوبَيْه و يقول : يأيها الناس ، إنه كذاب فلا تصدقوه . فقلت من هذا ؟ فقالوا : محمد ، زعم أنه نبىّ . وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب . وروى عطاء عن ابن عباس قال قال أبو لهب : سحركم محمد ! إنّ أحدنا ليأكل الجَذَعة[2] ، ويشرب العُسّ[3] من اللبن فلا يشبع ، وإن محمدا قد أشبعكم من فَخذ شاة ، وأرْواكم من عُسّ لبن .

الثانيـة ــ قوله تعالى : ﴿ أَبِي لَهَبٍ ﴾ قيل : سُمّىَ باللّهب لحسنه وإشراق وجهه . وقد ظن قوم أن فى هذا دليلا على تكْنِيَة المشرك ؛ وهو باطل ، وإنما كنّاه الله بأبى لَهَب ــ عند العلماء ــ لمعانٍ أربعة : الأول ــ أنه كان اسمه عبد العُزَّى ، والعُزَّى صنم ، ولم يضف الله فى كتابه العبوديةَ إلى صنم . الثانى ــ أنه كان بكنيته أشهرَ منه باسمه ؛ فصرّح بها . الثالث ــ أن الاسم أشرفُ من الكُنْية ، فحطّه الله عز وجل عن الأشرف إلى الأنقص ؛ إذ لم يكن بُدٌّ من الإخبار عنه ، ولذلك دعا الله تعالى الأنبياءَ بأسمائهم ولم يَكْنِ عن أحد منهم . و يدُلّك على شرف الاسم على الكُنْية أن الله تعالى يُسَمَّى ولا يكنى ، وإن كان ذلك لظهوره و بيانه ؛ واستحالة نسبة الكُنْيَة إليه لتقدّسه عنها . الرابع ــ أن الله تعالى أراد أن

---

(١) يقال طريق مهيع : أى واضح واسع بين . (٢) الجذعة : ولد الشاة فى السنة الثانية .
(٣) العس (بالضم) : القدح الكبير .

يحقق نسبته بأن يدخله النار، فيكون أبًا لها؛ تحقيقا للنسب، وإمضاءً للفأل والطِّيَرة التى اختارها لنفسه. وقد قيل: اسمه كُنْيَتُه. فكان أهله يُسَمّونه أبا لهب لتلهُّب وجْهِه وحُسْنه؛ فصرفهم الله عن أن يقولوا: أبو النور وأبو الضياء الذى هو المشترك بين المحبوب والمكروه، وأجرى على ألسنتهم أن يضيفوه إلى لَهَب الذى هو مخصوص بالمكروه المذموم؛ وهو النار. ثم حقّق ذلك بأن يجعلها مَقرّه. وقرأ مجاهد وحُميد وابن كَثير وابن مُحَيْصن. «أَبِي لَهْبٍ» بإسكان الهاء. ولم يختلفوا فى «ذَاتَ لَهَبٍ» أنها مفتوحة؛ لأنهم راعَوْا فيها رءوس الآى.

الثالثة — قال ابن عباس: لما خلق الله عز وجل القلم قال له اكتب ما هو كائن. وكان فيما كتب «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ». وقال منصور: سُئل الحسن عن قوله تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» هل كان فى أم الكتاب، وهل كان أبو لهب يستطيع ألّا يَصْلَى النار؟ فقال: والله ما كان يستطيع ألّا يصلاها، وإنها لفى كتاب الله من قبل أن يُخلق أبو لهب وأبواه. ويؤيّده قول موسى لآدم: أنت الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، خيّبت[1] الناس وأخرجتهم من الجنة. قال آدم: وأنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وأعطاك التوراة، تلومنى على أمر كتبه الله علىّ قبل أن يخلق الله السموات والأرض. قال النبىّ صلى الله عليه وسلم: "فحجّ[2] آدمُ موسى"، وقد تقدّم هذا[3]. وفى حديث همّام عن أبى هريرة أن آدم قال لموسى: "بكم وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن يخلقنى"؟ قال: "بألفى عام" قال: "فهل وجدت فيها: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»" قال: "نعم" قال: "أفتلومنى على أمر كتب الله علىّ أن أفعله من قبل أن أُخلق بألفى عام". فحجّ آدمُ موسى. وفى حديث طاوس وابن هُرْمُز والأعرج عن أبى هريرة: "بأربعين عاما".

---

(١) فى الأصول: «أغويت». (٢) أى غلبه بالحجة. (٣) راجع ج ١١ ص ٢٥٦

قوله تعالى : مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ (٢)

أى ما دَفع عنه عذابَ الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه . وقال مجاهد : من الولد ؛ وولد الرجل من كسبه . وقرأ الأعمش « وَمَا ٱكْتَسَبَ » ورواه عن ٱبن مسعود . وقال أبو الطُّفَيل : جاء بنو أبي لهب يختصمون عند ٱبن عباس فاقتتلوا . فقام ليَحْجُز بينهم فدفعه بعضهم فوقع على الفراش ؛ فغضب ٱبن عباس وقال : أخرجوا عني الكسب الخبيث ؛ يعني ولده . وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أطيب ما أكل الرجلُ من كسبه وإن ولده من كسبه " . خرّجه أبو داود . وقال ٱبن عباس : لما أنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار ، قال أبو لهب : إن كان ما يقول ٱبن أخي حقًّا فإني أفْدي نفسي بمالي وولدي ؛ فنزل : « مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » . و « ما » في قوله : « مَا أَغْنَىٰ » يجوز أن تكون نفيًا ، ويجوز أن تكون ٱستفهاما ؛ أي أيّ شيء أغنى [عنه] . و « ما » الثانية يجوز أن تكون بمعنى الذي ، ويجوز أن تكون مع الفعل مصدرا ، أي ما أغنى عنه ماله وكسبه .

قوله تعالى : سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)

أي ذاتِ ٱشتعال وتلهُّب . وقد مضى في سورة « المرسلات »(١) القولُ فيه . وقراءة العامة : « سَيَصْلَىٰ » بفتح الياء . وقرأ أبو رجاء والأعمش بضم الياء . ورواها محبوب عن إسماعيل عن ٱبن كثير ، وحسين عن أبي بكر عن عاصم ، ورُوِيت عن الحسن . وقرأ أشهب العقيلي وأبو سَمّال العَدَويّ ومحمد بن السَّمَيْقع « سَيُصَلَّىٰ » بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام ؛ ومعناها سَيُصَلِّيه الله ؛ من قوله : « وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ »(٢) . والثانية من الإصلاء ؛ أي يصليه الله ؛ من قوله : « فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا »(٣) . والأولى هي الاختيار ؛ لإجماع الناس عليها ؛ وهي من قوله : « إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ »(٤) .

---

(١) راجع جـ ١٩ ص ١٦٠ . (٢) آية ٩٤ سورة الواقعة .
(٣) آية ٣٠ سورة النساء . (٤) آية ١٦٣ سورة الصافات .

قوله تعالى : وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾

قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ أمّ جميل . وقال ابن العربىّ : العوراء أمّ قبيح، وكانت عوراء . ﴿ حَمَّالَةُ الحَطَبِ ﴾(١) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسُّدّىّ : كانت تمشى بالنميمة بين الناس ؛ تقول العرب : فلان يحطب على فلان إذا ورّش(٢) عليه . قال الشاعر :

إنّ بنى الأَدْرَم حَمّالو الحَطَبْ * هُمُ الوُشاةُ فى الرِّضا وفى الغَضَبْ
* عليهمُ اللَّعنةُ تَتْرَى والحَرَبْ(٣) *

وقال آخر :

مِن البِيضِ لم تُصْطَدْ على ظَهْرِ لَأْمةٍ * ولم تَمْشِ بينَ الحَىّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

يعنى لم تمش بالنمائم ، وجعل الحطب رَطْباً ليدلّ على التدخين الذى هو زيادة فى الشرّ . وقال أَكْثَم بن صَيْفِى لبنيه : إيّاكم والنميمةَ ! فإنها نارٌ مُحْرِقة ، وإن النَّمّام ليعمل فى ساعة ما لا يعمل الساحر فى شهر . أخذه بعض الشعراء فقال :

إنّ النَّميمةَ نارٌ ويْكَ مُحْرِقةٌ * فَفِرّ عَنْها وجانِبْ من تَعاطَاها

ولذلك قيل : نار الحقد لا تخبو . وثبت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة نَمّام " . وقال : " ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً " . وقال عليه الصلاة والسلام : " مِن شَرّ الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه " . وقال كعب الأحبار : أصاب بنى إسرائيل قَحْطٌ ، فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يُسْقَوْا . فقال موسى : " إلهى عبادَكَ " فأوحى الله إليه " إنى لا أستجيب لك ولا لمن معك لأن فيهم رجلا نَمّامًا قد أَصَرّ على النميمة " فقال موسى : " يا رَبِّ مَن هو حتى نخرجه من بيننا " ؟ فقال : " يا موسى أنهاك عن النّميمة وأكون نماما " . قال : فتابوا بأجمعهم فسُقُوا . والنميمة من الكبائر ، لا خلاف فى ذلك ؛ حتى قال الفُضَيل بن عِياض : ثلاث تهدّ العمل الصالح

(١) « حمالة » بالرفع قراءة نافع ، وبها يقرأ المؤلف . (٢) التوريش : التحريش ؛ يقال : ورّشت بين القوم وأرّشت . (٣) الحرب (بالتحريك) : نهب مال الانسان وتركه لا شىء له .

ويُفطِرن الصائم ويَنقُضن الوضوء : الغِيبة، والنَّميمة، والكذب . وقال عطاء بن السّائب : ذكرتُ للشّعبيّ قولَ النبيّ صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة سافك دم ولا مشّاءٌ بنميمة ولا تاجرٌ يُرْبِي " فقلت : يا أبا عمرو، قرن النَّمام بالقاتل وآكل الربا ؟ فقال : وهل تُسفك الدماء وتُنتهب الأموال وتُهيَّج الأمور العظام إلا من أجل النميمة .

وقال قتادة وغيره : كانت تُعيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر . ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدّة بُخْلها، فعُيِّرت بالبخل . وقال آبن زيد والضحاك : كانت تحمل العِضاه والشَّوْك فتطرحه بالليل على طريق النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقاله آبن عباس . قال الربيع : فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير . وقال مُرّة الهَمْدانيّ : كانت أمّ جميل تأتى كل يوم بإبالة[1] من الحَسَك[2] فتطرحها على طريق المسلمين، فبينما هى حاملة ذاتَ يوم حُزْمَةً أَعْيت فقعدت على حجر لتستريح، فجذبها المَلَك من خلفها فأهلكها . وقال سعيد بن جبير : حمالة الخطايا والذنوب ؛ من قولهم : فلان يحتطب على ظهره؛ دليله قوله تعالى : « وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ »[3] . وقيل : المعنى حمالة الحطب فى النار ؛ وفيه بُعْد . وقراءة العامة « حَمَّالَةُ » بالرفع على أن يكون خبرا « وَٱمْرَأَتُهُ » مبتدأ . ويكون « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » جملة فى موضع الحال من المضمر فى « حَمَّالَة » . أو خبرا ثانيا . أو يكون « حَمَّالَةُ الْحَطَبِ » نعتًا لامرأته . والخبر « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » ؛ فيوقف على هذا على « ذَاتَ لَهَبٍ » . ويجوز أن يكون « وَٱمْرَأَتُهُ » معطوفة على المضمر فى « سَيَصْلَى » فلا يوقف على « ذَاتَ لَهَبٍ » ويوقف على « وَٱمْرَأَتُهُ » وتكون « حَمَّالَةُ الْحَطَبِ » خبر ابتداء محذوف . وقرأ عاصم « حَمَّالَةَ الْحَطَبِ » بالنصب على الذم ؛ كأنها آشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص ؛ كقوله تعالى : « مَلْعُونِينَ[4] أَيْنَمَا ثُقِفُوا » . وقرأ أبو قِلَابة « حاملة الحطب » .

(١) الإبالة : الحزمة الكبيرة .
(٢) الحسك : نبات له ثمرة ذات شوك تعلق بأصواف الغنم وهو السعدان .
(٣) آية ٣١ سورة الأنعام . (٤) آية ٦١ سورة الأحزاب .

قوله تعالى : فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

قوله تعالى : ﴿ فِي جِيدِهَا ﴾ أى عُنُقِها . وقال آمرؤ القيس :

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ ليس بفاحش * إذا هى نَصَّتْه ولا بمُعَطَّلِ (١)

﴿ حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ أى من لِيف ؛ قال النابغة :

مَقْذُوفَةٍ بدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُهَا * له صَرِيفٌ صَرِيفَ القَعْوِ بالمَسَدِ (٢)

وقال آخر :

يا مَسَدَ الخُوصِ تَعَوَّذْ مِنِّي * إنْ كنت لَدْنًا لَيِّنًا فإنِّي

* ما شِئْتَ مِنْ أَشْمَطَ مُقْسَئِنِّ * (٣)

وقد يكون من جلود الإبل أو من أوبارها ؛ قال الشاعر :

ومَسَدٍ أُمِرَّ مِن أَيَانِقِ * لَيْسَ بِأَنْيَابٍ ولا حَقَائِقِ (٤)

وجمع الجيد أجياد . والمَسَد أمساد . أبو عبيدة : هو حبل يكون من صوف . قال الحسن : هى حبال من شجر تنبت باليمن تُسَمَّى المسد، وكانت تُفْتَل . قال الضحاك وغيره : هذا فى الدنيا ؛ فكانت تُعَيِّر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالفقر وهى تحتطب فى حبل تجعله فى جيدها من ليف، فخنقها الله جلّ وعزّ به فأهلكها ؛ وهو فى الآخرة حبل من نار . وقال آبن عباس

(١) الجيد : العنق . والريم : الظبى الأبيض الخالص البياض . و « نصته » رفعته . والمعطل : الذى لا حلى عليه . وقوله « بفاحش » : أى ليس بكريه المنظر .

(٢) قال التبريزى : « مقذوفة : أى مرمية باللحم . والدخيس : الذى قد دخل بعضه فى بعض من كثرته . والنحض : اللحم ، وهو جمع نحضة . والبازل : الكبير . والصريف : الصياح . والقعو : ما يضم البكرة إذا كان خشبا ؛ فاذا كان حديدا فهو خطاف . ويروى : له صريف صريفُ القعو (بالضم) على البدل ، والنصب أجود » .

(٣) الأشمط : من خالط بياض رأسه سواد . والمقسئن : الذى قد انتهى فى سنه فليس به ضعف كبر ولا قوة شباب . وقيل : هو الذى فى آخر شبابه وأوّل كبره .

(٤) أمَرّ الحبل : فتله فتلا شديدا . وأيانق : جمع أينق، وأينق جمع ناقة . والأنياب : جمع ناب وهى الناقة الهَرِمة . والحقائق : جمع حِقّة وهى التى دخلت فى السنة الرابعة وليس جلدها بالقوى .

فى رواية أبى صالح : « فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ » قال : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ــ وقاله مجاهد وعُرْوة بن الزبير : تدخل من فيها وتخرج من أسفلها، ويُلْوَى سائرُها على عنقها . وقال قتادة : «حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» قال : قِلادة من وَدَع . الوَدَع : خرز بيض تخرج من البحر، تتفاوت فى الصغر والكبر . قال الشاعر :

* والحِلْمُ حِلْمُ صَبِيٍّ يَمْرُثُ الوَدَعَهْ (١) *

والجمع وَدَعات . الحسن : إنما كان خرزا فى عنقها . سعيد بن المسيّب : كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت : واللّات والعُزّى لأُنفقنّها فى عداوة محمد . ويكون ذلك عذابا فى جيدها يوم القيامة . وقيل : إن ذلك إشارة إلى الخذلان؛ يعنى أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء، كالمربوط فى جيده بحبل من مسد . والمَسَدُ : الفَتْل . يقال : مَسَدَ حَبْلَه يَمْسُده مَسْدًا؛ أى أجاد فتله . قال (٢) :

* يَمْسُدُ أَعْلَى لَحْمِهِ ويَأْرِمُهْ *

يقول : إن البقل يقوّى ظهر هذا الحمار ويشدّه . ودابّة ممسودة الخَلْق إذا كانت شديدة الأَسْر (٣) . قال الشاعر :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانِقِ * صُهْبٍ عِتَاقٍ ذَاتِ مُخٍّ زَاهِقِ
* لَيْسَ بِأَنْيَابٍ ولا حَقَائِقِ (٤) *

ويروى :

* ولاضعافٍ مُخُّهُنّ زاهقُ *

قال الفراء : هو مرفوع والشِّعْرُ مُكْفَأ (٥) . يقول : بل مخهنّ مُكْتَنِزٌ؛ رفعه على الابتداء . قال : ولا يجوز أن يريد ولاضعافٍ زاهقٍ مخهنّ . كما لا يجوز أن تقول : مررت برجل أبوه قائم؛

---

(١) مرث الودع يَمْرُثه ويَمْرِثه مَرْثًا : مصه . (٢) هو رؤبة . (٣) الأسر : الخلق .

(٤) أمرّ الحبل : فتله فتلا شديدا . والأيانق : جمع ناقة . والصهب : جمع الأصهب وهو بعير ليس بشديد البياض . وعتاق : جمع عتيق وهو الكريم . وزهق المخ : إذا اكتنز (اجتمع) لحمه؛ فهو زاهق . (٥) الإكفاء فى الشعر : المخالفة بين ضروب إعراب قوافيه . ومن الإكفاء أيضا المخالفة بين هجاء قوافيه إذا تقاربت مخارج الحروف أو تباعدت .

بالخفض . وقال غيره : الزاهق هنا بمعنى الذاهب ؛ كأنه قال : ولاضعاف مُخُهُنّ ، ثم ردّ الزاهق على الضعاف . ورجل مَمْسُود أى مجدول الخَلْق . وجارية حَسَنة المَسْد والعَصْب والجَدْل والأَرْم (١) ؛ وهى مَمْسُودَة ومَعْصوبة ومَجْدولة ومَأْرُومة . والمِساد على فِعال لغةٌ فى المِساب (٢) ، وهو نِحْى السَّمْن وسِقاء العسل . قال جميعه الجوهرىّ . وقد اعترض فقيل : إن كان ذلك حَبْلَها الذى تحتطب به فكيف يبقى فى النار ؟ وأجيب عنه بأن الله عزّ وجلّ قادر على تجديده كلما احترق . والحكم ببقاء أبى لهب وامرأته فى النار مشروط ببقائهما على الكفر إلى الموافاة ؛ فلما ماتا على الكفر صدق الإخبار عنهما . ففيه معجزة للنبىّ صلى الله عليه وسلم . فامرأته خنقها الله بحبلها ، وأبو لهب رماه الله بالعَدَسة (٣) بعد وَقْعة بَدْر بسبع ليال ، بعد أن شَجّته أمّ الفضل (٤) . وذلك أنه لما قدم الحَيْسُمان مكة يُخبر خَبَر بدر ، قال له أبو لهب : أخبرنى خبر الناس . قال : نعم ، والله ما هو إلا أن لَقِينا القوم فمنحناهم أكتافنا ، يضعون السلاح منا حيث شاءوا ، ومع ذلك ما لمست الناس . لَقِينا رجالا بيضا على خَيْل بُلْق ، لا والله ما تُبْقِى منا ؛ يقول : ما تبقى شيئا . قال أبو رافع : وكنت غلاما للعباس أنحت الأقداح فى صُفَّة زَمْزَم ، وعندى أمّ الفضل جالسةٌ ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، فرفعتُ طُنُب الحجرة فقلت : تلك والله الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربةً مُنْكَرة ، وثاوَرْتُه (٥) وكنت رجلا ضعيفا ، فاحتملنى فضرب بى الأرض وبَرَك على صدرى يضربنى . وتقدّمت أمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فتأخذه وتقول : استضعفته أن غاب عنه سيِّدُه ! وتضربه بالعمود على رأسه فتَفْلِقه شَجّة مُنْكَرة . فقام يجرّ رجليه ذليلا ورماه الله بالعَدَسة فمات ، وأقام ثلاثة أيام لم يُدفن حتى أنتن ؛ ثم إن ولده غسلوه بالماء قَذْفا من بعيد مخافة عَدْوَى العَدَسة . وكانت قريش تتقيها كما يُتّقَى الطاعون . ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ، ثم رَضَمُوا (٦) عليه الحجارة .

---

(١) أى مجدولة الخلق . (٢) وقد يحذف فيقال مساب ، كنبر . (٣) العدسة : بثرة تخرج بالبدن فتقتل . (٤) هى لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ، أخت ميمونة أم المؤمنين . (٥) ثاوره : واثبه . (٦) أى جعلوا الحجارة بعضها على بعض .

سـورة «الإخلاص»

مَكّيّة ؛ فى قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر . ومَدَنيّة ؛ فى أحد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك والسدّى . وهى اربع آيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أى الواحد الوِتر الذى لاشبيه له ، ولا نظيرَ ولا صاحبة ولا ولدَ ولا شريك . وأصل « أحد » وَحَد ؛ قلبت الواو همزة . ومنه قول النابغة (١) :

* بذى الجَليل على مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ *

وقد تقدّم فى سورة « البقرة » الفرق بين واحد وأحد ، وفى « كتاب الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى » أيضا مُسْتَوفًى . والحمد لله . و « أَحَد » مرفوعٌ على معنى هو أحد . وقيل : المعنى قل الأمر والشأن اللهُ أحدٌ . وقيل : « أَحَدٌ » بدلٌ من قوله : « اللهُ » . وقرأ جماعةٌ « أحدُ اللهُ » بلا تنوين طلباً للخفة ، وفرارا من التقاء الساكنين ؛ ومنه قول الشاعر :

* ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلا (٢) *

---

(١) صدر البيت كما فى معلقته :

* كأن رحلى وقد زال النهار بنا *

و « ذو الجليل » مكان ينبت الجليل ؛ وهو الثام . والثام : نبت ضعيف قصير لا يطول .

(٢) هذا عجز بيت لأبى الأسود الدؤلى . وصدره .

* فألفيته غير مستعتب *

﴿ اللهُ الصمدُ ﴾ أى الذى يُصْمَد إليه فى الحاجات . كذا روى الضحاك عن آبن عباس قال : الذى يُصْمَدُ إليه فى الحاجات ؛ كما قال عز وجل : « ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ »(١) . قال أهل اللغة : الصمد السَّيد الذى يُصمد إليه فى النوازل والحوائج . قال :

أَلَا بَكَّر النَّاعِي بِخَيْرَيْ(٢) بَنِي أَسَدْ * بعَمْرِو بن مَسْعُود وبالسَّيِّد الصَّمَدْ

وقال قوم : الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال . وقيل : تفسيره ما بعده « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » . قال أُبَيّ بن كعب : الصَّمَد الذى لا يَلِد ولا يُولَد ؛ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا يورث . وقال علىّ وآبن عباس أيضا وأبو وائل شَقِيقُ بن سَلَمة وسفيان : الصمد هو السيد الذى قد آنتهى سُودَدُه فى أنواع الشرف والسُّودد ؛ ومنه قول الشاعر :

عَلَوْتُه بحُسَامٍ ثم قُلْتُ له * خُذْهَا حُذَيْفُ فأنتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

وقال أبو هريرة : إنه المُسْتَغْنِي عن كلّ أحد ، والمحتاج إليه كلُّ أحد . وقال السدىّ : إنه المقصود فى الرغائب ، والمستعان به فى المصائب . وقال الحسين بن الفضل : إنه الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وقال مقاتل : إنه الكامل الذى لا عَيْب فيه ؛ ومنه قول الزِّبْرِقان :

سيروا جَمِيعًا بِنِصْفِ اللَّيْلِ واعْتَمِدوا * ولا رَهِينَةَ إلَّا سَيِّدٌ صَمَدُ

وقال الحسن وعِكرمة والضحاك وآبن جبير : الصَّمدُ المُصْمَتُ الذى لا جَوْف له(٣) ؛ قال الشاعر :

شِهَابُ حُرُوبٍ لا تَزَالُ جِيادُه * عَوابِسَ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُصَمَّدا(٤)

قلت : قد أتينا على هذه الأقوال مبيَّنة فى الصّمد فى (كتاب الأسنى) وأن الصحيح منها ما شهد له الآشتقاق ؛ وهو القول الأوّل ، ذكره الخطّابى . وقد أسقط من هذه السورة مَن أبعده الله وأخزاه وجعل النار مقامه ومثواه وقرأ « الله الواحد الصمد » فى الصلاة والناس يستمعون فأسقط «قل هو» وزعم أنه ليس من القرآن ، وغير لفظ «أحد» وآدعى أن هذا هو الصواب ،

---

(١) آية ٥٣ سورة النحل . (٢) ويروى : بخيرى . (٣) وهذا لا يجوز على الله تعالى .

(٤) علكت الدابة اللجام تعلكه (من باب قتل) علكا : لاكته وحركته . والشكيم والشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

والذى عليه الناس هو الباطل والمحال ؛ فأبطل معنى الآية ؛ لأن أهل التفسير قالوا : نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لمّا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : صِفْ لنا ربّك ، أمِن ذهب هو أم مِن نُحاس أم مِن صُفْر؟ فقال الله عز وجل ردًّا عليهم : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » . ففى « هو » دلالة على موضع الردّ ومكان الجواب ، فإذا سقط بطل معنى الآية (١) وصحّ الافتراء على الله عز وجل والتكذيبُ لرسوله صلّى الله عليه وسلّم . وروى الترمذى عن أُبَىّ بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انْسُبْ لنا رَبّك ؛ فأنزل الله عز وجل «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ» . والصمد : الذى لم يلد ولم يولد ؛ لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت ، وليس شىء يموت إلا سيورث ، وأن الله تعالى لا يموت ولا يورَث . ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا (٢) أَحَدٌ﴾ قال : لم يكن له شبيه ولا عِدْل وليس كمثله شىء . ورُوِىَ عن أبى العالية أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا : انْسُبْ لنا ربّك . قال : فأتاه جبريل بهذه السورة « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » فذكر نحوه ، ولم يذكر فيه عن أُبَىّ بن كعب ، وهذا أصح ؛ قاله الترمذىّ .

قلت : ففى هذا الحديث إثبات لفظ «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» وتفسير الصمد . وقد تقدّم . وعن عكرمة نحوه . وقال ابن عباس : « لم يلد » كما ولدت مريم ، ولم يولد كما ولد عيسى وعُزَير . وهو ردٌّ على النصارى وعلى من قال : عُزَيْر ابن الله . « وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُؤًا أَحَدٌ » أى لم يكن له مِثْلًا أحد . وفيه تقديم وتأخير ؛ تقديره : ولم يكن له أحد كفوا ؛ فقدّم خبر كان على اسمها لينساق أواخر الآى على نظم واحد . وقُرِئ « كفوا » بضم الفاء وسكونها . وقد تقدّم فى « البقرة » أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فإنه يجوز فى عينه الضم والإسكان ؛ إلا قوله تعالى : « وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا (٤) » (٣) لعلّة تقدّمت . وقرأ حفص « كُفُوًا » مضموم الفاء غير مهموز . وكلها لغاتٌ فصيحة .

---

(١) فى نسخة من الأصل : « فأسقط آية وأبطل المعنى وصحف افتراء على الله عز وجل ... » الخ .

(٢) بالهمز قراءة نافع ، وهى قراءة المؤلف . (٣) راجع جـ ١ ص ٤٤٧ طبعة ثانية أو ثالثة .

(٤) آية ١٥ سورة الزخرف راجع جـ ١٦ ص ٦٩ .

القول فى الأحاديث الواردة فى فضل هذه السورة ؛ وفيه ثلاث مسائل : —

الأولى — ثبت فى صحيح البُخارىّ عن أبى سعيد الخُدْرىّ أن رجلا سمع رجلا يقرأ «قل هو الله أحد» يردّدها ؛ فلما أصبح جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، وكان الرجل يَتَقالُّها(١) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" . وعنه قال قال النبىّ صلى الله عليه وسلم لأصحابه : "أيَعْجِزُ أحدُكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة" فشق ذلك عليهم وقالوا : أيُّنا يُطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال : "الله الواحد الصمد ثلث القرآن"(٢) خرّجه مسلم من حديث أبى الدّرداء بمعناه . وخرّج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "احْشُدوا(٣) فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن" فَحَشَد من حَشَد(٤) ؛ ثم خرج نبىّ الله صلى الله عليه وسلم فقرأ «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» ثم دخل فقال بعضنا لبعض : إنى أرى هذا خبرًا جاءه من السماء ، فذاك الذى أدخله . ثم خرج فقال : "إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألّا إنها تعدل ثلث القرآن" قال بعض العلماء : إنها عدلت ثلث القرآن لأجل هذا الاسم الذى هو «الصَّمَدُ» فإنه لا يوجد فى غيرها من السّور . وكذلك «أَحَدٌ» . وقيل : إن القرآن أنزل أثلاثا ، ثُلثًا منه أحكام ، وثُلثًا منه وَعْدٌ ووعيدٌ ، وثُلثًا منه أسماء وصفات ؛ وقد جمعت «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» [أحد](٥) الأثلاث وهو الأسماء والصفات . ودل على هذا التأويل مافى صحيح مسلم من حديث أبى الدّرْداء عن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله جَلّ وعَزّ جزّأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» جزءا من أجزاء القرآن" . وهذا نص ؛ وبهذا المعنى سُمّيت سورة الإخلاص ، والله أعلم .

الثانية — روى مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سَرِيّة وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» ؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبىّ صلى

---

(١) أى يعتقد أنها قليلة فى العمل لا فى التنقيص . (٢) فى شرح العينى على البخارى فى فضائل القرآن : «قوله الله الواحد الصمد كناية عن قل هو الله أحد» . (٣) من باب قتل وضرب ، ويستعمل متعديا ولازما . (٤) أى اجتمع من اجتمع . (٥) زيادة عن الخطيب .

الله عليه وسلم فقال : "سلوه لأىّ شىء يصنع ذلك" ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، فأنا أحبّ أن أقرأ بها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أخبروه أن الله عز وجل يحبه". وروى الترمذى عن أنس بن مالك قال : كان رجل من الأنصار يؤمّهم فى مسجد قُبَاء وكان كلما آفتتح سورة يقرأها لهم فى الصلاة فقرأ بها، افتتح بـ«قُل هوَ اللهُ أَحَدٌ» ؛ حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ بسورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك فى كل ركعة ؛ فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تقرأ بهذه السورة ثم لاترى أنها تجزيك حتى تقرأ بسورة أخرى ، فإما أن تقرأ بها و إمّا أن تدعها وتقرأ بسورة أخرى ؟ قال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمّكم بها فعلتُ، و إن كرهتم تركتكم ؛ وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمّهم غيره ؛ فلما أتاهم النبىّ صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال : "يا فلان ما يمنعك مما يأمر به أصحابك وما يحملك أن تقرأ هذه السورة فى كل ركعة" ؟ فقال : يارسول الله، إنى أحبها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن حُبَّها أدخلك الجنة" قال : حديث حسن غريب صحيح . قال آبن العربى : « فكان هذا دليلا على أنه يجوز تكرار سورة فى كل ركعة . وقد رأيت على باب الأسباط فيما يقرب منه إماما من جملة الثمانية والعشرين إماما كان يصلى فيه التراويح فى رمضان بالأتراك ؛ فيقرأ فى كل ركعة «الحمد لله» و «قل هو الله أحد» حتى يُتِمّ التراويح؛ تخفيفاً عليه ورغبةً فى فضلها . وليس من السُّنة ختم القرآن فى رمضان » .

قلت : هذا نصُّ قول مالك ، قال مالك : وليس ختم القرآن فى المساجد بسُنّة .

الثالثــة ـــ روى الترمذى عن أنس بن مالك (١) قال: أقبلت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقــرأ « قل هو الله أحد » ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وجَبت" قلت : وما وَجَبت ؟ قال : "الجنة" . قال : هذا حديث حسن صحيح (٢) . قال الترمذى :

---

(١) الرواية فى الترمذى عن أبى هريرة .

(٢) فى الترمذى : « حسن غريب » .

حدثنا محمد بن مرزوق البصري قال حدثنا حاتم بن ميمون أبو سهل عن ثابت البُناني عن أنس ابن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد مُحِيَ عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دَين" . وبهذا الإسناد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول الربّ ياعبدي ٱدخل على يمينك الجنة" . قال : هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس . وفى مسند أبي محمد الدّارمى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة" قال : وحدّثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا حَيْوة قال أخبرنى أبو عَقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال : "من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بُنِيَ له قصر فى الجنة . ومن قرأها عشرين مرة بنى له بها قصران فى الجنة . ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له بها ثلاثة قصور فى الجنة" . فقال عمر بن الخطاب : والله يارسول الله إذًا لنكثرن قصورنا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الله أوسع من ذلك" قال أبو محمد : أبو عَقيل زُهْرة بن معبد ، وزعموا أنه كان من الأبدال . وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخّير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يُفْتَن فى قبره . وأمِن من ضغطة القبر . وحملته الملائكة يوم القيامة بأكُفّها حتى تُجيزه من الصراط إلى الجنة" . قال : هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البَجَلِيّ . وذكر أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت الحافظ عن عيسى بن أبي فاطمة الرازى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إذا نُقِس بالناقوس ٱشتد غضبُ الرحمن فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الأرض فلا يزالون يقرءون «قل هو الله أحد» حتى يسكن غضبه جلّ وعزّ . وخرّج من حديث محمد بن خالد الجَنَدى عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة

فذلك مائتـا مرة فى أربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله فى الجنة أو يُرَى له "» . وقال أبو عمر مَوْلًى جرير بن عبـد الله البجلى عن جَرير قال قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : "من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران". وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قـرأ قل هو الله أحد مَرّةً بُورِك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها اثنتى عشرة مرة بنى الله له اثنى عشر قصرا فى الجنة وتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر إلى قصر أخينا فإن قرأها مائة مرة كَفَّر الله عنـه ذنوب خمسين سنة ماخلا الدماء والأموال فإن قراها أربعمائة مرة كفر الله عنـه ذنوب مائة سنة فإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يُرَى له" . وعن سهل بن سعد الساعدى قال : شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيقَ المعيشة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيـه أحد وإن لم يكن فيه أحد فسلّم علىّ واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة" ففعل الرجل فأدَرّ الله عليـه الرزق حتى أفاض على جيرانه . وقال أنس : كنّا مع رسـول الله صلى الله عليـه وسلم بتَبُوك ، فطلعت الشمس بيضاء لهـا شُعاع ونور، لم أرها فيما مضى طلعت قطّ كذلك ، فأتى جبريل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا جبريل مالى أرى الشمس طلعت بيضاء بشُعاع لم أرها طلعت كذلك فيما مضى قط"؟ فقال : "ذلك لأن معاوية بن معاوية اللّيثى تُوُفِّىَ بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين ألف ملك يصلّون عليه" . قال : "ومِمّ ذلك" ؟ قال : "كان يكثر قراءة قل هو الله أحد أناء الليل وأناء النهار وفى ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه" ؟ قال : "نعم" فصلّى عليه ثم رجع . ذكره الثعلبى ، والله أعلم .

تفسير سورة « الفَلَق »

وهى مَكِّيَّة، فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ومَدَنِيَّة، فى أحد قولى آبن عباس وقتادة . وهى خمس آيات .

وهذه السورة وسورة «الناس» و «الإخلاص» تعوّذ بهنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود، على ما يأتى . وقيل : إن المُعَوِّذتين كان يقال لها المُقَشْقِشَتان ؛ أى تبرئان من النفاق . وقد تقدم . وزعم آبن مسعود أنهما دعاء تعوّذ به ، وليستا من القرآن ؛ خالف به الإجماعَ من الصحابة وأهل البيت . قال آبن قُتَيْبَة : لم يكتب عبد الله بن مسعود فى مصحفه المعوِّذتين ؛ لأنه كان يسمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسن والحسين ـ رضى الله عنهما ـ بهما ، فقدّر أنهما بمنزلة : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامّة . قال أبو بكر الأنبارىّ : وهـذا مردود على آبن قتيبة ؛ لأن المعوذتين من كلام ربّ العالمين المعجز لجميع المخلوقين ، و«أعيذكما بكلمات الله التامة» من قول البشر بَيِّن . وكلامُ الخالق الذى هو آيةٌ لمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وحجةٌ له باقية على جميع الكافرين ، لا يلتبس بكلام الآدميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان ، العالم باللغة ، العارف بأجناس الكلام وأفانين القول . وقال بعض الناس : لم يكتب عبد الله المعوّذتين لأنه أمن عليهما من النسيان فأسقطهما وهو يحفظهما ؛ كما أسقط فاتحة الكتاب من مصحفه ، وما يُشَكّ فى حفظه وإتقانه لهـا . فرُدّ هذا القول على قائله ، وآحْتُجّ عليه بأنه قد كَتَب « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ » ، و « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » ، و « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » وهن يجرين مجـرى المعـوِّذتين فى أنهن غير طوال ، والحفظ إليهن أسرع ، ونسـيانهن مأمون ، وكلهن يخالف فاتحـة الكتاب ؛ إذ الصلاة لا تتم إلا بقراءتها . وسبيل كل ركعة أن تكون المقدمة فيها قبل ما يقرأ من بعدها ؛ فإسقاط فاتحة الكتاب من المصحف على معنى الثقة ببقاء حفظها ، والأمن من نسيانها صحيح ، وليس من السّوَر ما يجرى فى هذا المعنى مجـراها ، ولا يسلك به طريقها . وقد مضى هذا المعنى فى سورة « الفاتحة »(1) . والحمد لله .

---

(١) راجع جـ ١ ص ١١٤ طبعة ثانية أو ثالثة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

فيه تسع مسائل :

الأولى ـ روى النّسائيّ عن عُقبة بن عامر قال : أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو راكب ، فوضعتُ يدى على قَدَمه ، فقلت : أقرئنى سورة [هود](1) أقرئنى سورة يوسف . فقال لى : " ولن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من «قل أعوذ برب الفلق» " . وعنه قال : بينا أنا أسير مع النبيّ صلى الله عليه وسلم بين الجُحْفة والأَبْواء ، إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوّذ بـ «أعوذ برب الفلق» و«أعوذ برب الناس» ويقول : "يا عقبة تعوّذ بهما فما تعوّذ متعوّذ بمثلهما ". قال : وسمعته يقرأ بهما فى الصلاة . وروى النسائى عن عبد الله قال : أصابنا طَشّ(2) وظلمة ، فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج(3) . ثم ذكر كلاما معناه : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليصلّى بنا](4) فقال : " قل " . فقلت : ما أقول ؟ قال : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثا يكفك كل شيء " وعن عقبة بن عامر الجُهَنِيّ قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل " . قلت : ما أقول ؟ قال قل : " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ـ فقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ـ لم يتعوّذ الناس بمثلهن أولا يتعوّذ الناس بمثلهن ". وفى حديث ابن عباس « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(1) زيادة عن سنن النسائى . (2) الطش (بفتح الطاء وتشديد الشين) : المطر الضعيف .

(3) الذى فى سنن النسائى : «فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى بنا ثم ذكر ... الخ» .

(4) زيادة عن سنن النسائى .

ٱلْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ هاتين السورتين » . وفى صحيح البخارى ومسلم عن عائشة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان إذا ٱشتكى قرأ على نفسه بالمعوِّذتين وينفُثُ ، فلما ٱشتدّ وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها . النَّفْث : النفخ ليس معه ريق .

الثانيــة — ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم سحره يهودى من يهــود بنى زُرَيق يقال له لَبِيد بن الأعْصَم ، حتى يُخَيَّل إليــه أنه كان يفعل الشىء ولا يفعــله ، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث — فى غير الصحيح : بسنة — ثم قال : "يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه . أتانى ملكان فجلس أحدهما عنــد رأسى والآخر عنــد رجلى فقال [الذى عند رأسى للذى عند رجلى](١) ما شأن الرجل قال مَطْبُوب(٢) قال ومَن طَبّــه قال لَبِيــد بن الأعْصَم قال فيما ذا قال فى مُشْط ومشاطة(٣) وجُفّ(٤) طلعة ذَكَر تحت راعوفة(٥) فى بئر ذى أروان(٦) " . فجاء البئر واستخرجه . انتهى الصحيح . وقال(٧) ٱبن عبــاس : "أما شَعَرت يا عائشة أن الله تعالى أخبرنى بدائى " . ثم بعث عليًّا والزبير وعمّــار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وهى الراعوفة — صخرة تترك أسفل البئر يقوم عليها المــائح(٨) ، وأخرجوا الجُفّ فإذا مُشاقة رأس إنسان ، وأسنان من مشــط و إذا وَتَر معقود فيــه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر ، فأنزل الله تعــالى هاتين السورتين ، وهمــا إحدى عشرة آية على عدد تلك العُقَد ، وأمر أن يتعوّذ بهما ؛ فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد النبىّ صلى الله عليه وسلم خِفّة ، حتى ٱنحلت العقدة الأخيرة فكأنمــا أُنْشِط من عِقال ، وقام ليس به بأس . وجعل جبريل يَرْقِى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فيقول : "بٱسم الله

(١) زيادة عن الصحيحين . (٢) المطبوب : المسحور . (٣) فى بعض نسخ الأصل وبعض كتب الحديث : «ومشاقة» بالقاف بدل الطاء ، وهو ما يستخرج من الكتان . والمشط : الآلة التى يمشط بها الشعر .

(٤) الجف (بضم الجيم وتشــديد الفاء) : الغشاء الذى يكون على الطلع و يطلق على الذكر والأنثى ؛ فلذا قيــده بقوله « ذكر » . (٥) الراعوفة : حجر ناتئ على رأس البــئر لا يستطاع قلعه يقوم عليــه المستقى . وقيــل هو فى أسفلها . (٦) و يقال : « بئر ذروان » وهى بئر بالمدينة فى بستان بنى زريق . (٧) أى فى روايته .

(٨) فى بعض نسخ الأصــل : « الماتح » بالتاء المثناة من فوق ، وهو المستقى من البئر بالدلو من أعلى البئر . أما المائح بالهمز فهو الذى يكون فى أسفل البئر يملأ الدلو .

أَرْقيك من كل شيء يؤذيك من شر حاسد وعَيْن والله يَشْفيك ". فقالوا : يا رسول الله، ألا نقتل الخبيث . فقال : " أمّا أنا فقد شفانى الله وأكره أن أثير على الناس شرا ". وذكر القُشيرى فى تفسيره أنه ورد فى الصحاح أن غلاما من اليهود كان يخدم النبيّ صلى الله عليه وسلم، فدنت(1) إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أخذ مُشاطة رأس النبيّ صلى الله عليه وسلم . والمشاطة (بضم الميم) ما يسقط من الشعر عند المشط . وأخذ عدّة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، وكان الذى تولّى ذلك لَبِيد بن الأَعْصَم اليهودى . وذكر نحو ما تقدّم عن آبن عباس .

الثالثة ـ تقدّم فى البقرة القول فى السحر وحقيقته وما ينشأ عنه من الآلام والمفاسد، وحكم الساحر؛ فلا معنى لإعادته(2) .

الرابعة ـ قوله تعالى : ﴿ الْفَلَقِ ﴾ آختلف فيه ؛ فقيل : سِجْنٌ فى جهنم ؛ قاله آبن عباس . وقال أُبَيّ بن كعب : بيت فى جهنم إذا فتح صاح أهل النار من حره . وقال الحُبُلِيّ(3) أبو عبد الرحمن : هو آسم من أسماء جهنم . وقال الكلبي: واد فى جهنم . وقال عبد الله ابن عمر : شجرة فى النار . سعيد بن جُبير : جُبّ فى النار . النحاس : يقال لما اطمأنّ من الأرض فَلَق ؛ فعلى هذا يصح هذا القول . وقال جابر بن عبدالله والحسن وسعيد بن جُبير أيضا ومجاهد وقتادة والقُرَظِيّ وآبن زيد: الفلقُ، الصبح . وقاله آبن عباس. تقول العرب : هو أبين من فَلَق الصبح وفَرَق الصبح . وقال الشاعر :

يا ليلةً لم أَنَمْهَا بِتُّ مُرْتَفِقًا(4) * أَرْعَى النُّجومَ إلى أنْ نَوّرَ الفَلَقُ

وقيل : الفلق: الجبال والصخور تنفلق بالمياه؛ أى تتشقّق . وقيل : هو التفليق بين الجبال والصخور؛ لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل . قال زهير :

ما زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ حتّى إذا هَبَطَتْ * أيدى الرِّكابِ بِهِم مِنْ راكِسٍ فَلَقَا

---

(1) فى نسخة : فدست .
(2) راجع جـ ٢ ص ٤٣ فما بعدها طبعة ثانية .
(3) هو عبد الله بن يزيد المعافرى .
(4) المرتفق : المتكئ على مرفق يده .

الراكس : بطن الوادى . وكذلك هو فى قول النابغة :

* أتانى ودونى راكسٌ فالضَّواجِعُ *(١)

والراكس أيضا : الهادى ، وهو الثَّور وسط البَيْدر(٢) تدور عليه الثيران فى الدِّياسة . وقيل : الرحم تنفلق بالحيوان . وقيل : إنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحَبّ والنَّوى ، وكل شىء من نبات وغيره ؛ قاله الحسن وغيره . قال الضحاك : الفلق الخلق كله ؛ قال :

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا ربَّ الفَلَقْ * سِرًّا وقَدْ أَوَّنَ تأوينَ العُقُقْ(٣)

قلت : هذا القول يشهد له الاشتقاق ؛ فإن الفَلَق الشَّقّ . فلقت الشىء فَلْقًا أى شققته . والتفليق مثله . يقال : فلّقته فانفلق وتفلّق . فكلّ ما انفلق عن شىء من حيوان وصبح وحَبّ ونَوًى وماء فهو فَلَق ؛ قال الله تعالى : « فَالِقُ الإِصْبَاحِ »(٤) وقال : « فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوى »(٥) . وقال ذو الرُّمّة يصف الثور الوحشىّ :

حتّى إذا ما انْجَلَى(٦) عَنْ وَجْهِهِ فَلَقٌ * هادِيهِ فى أُخْرَياتِ اللَّيلِ مُنْتَصِبُ

يعنى بالفلق هنا الصبح بعينه . والفلق أيضا المطمئن من الأرض بين الرَّبْوَتين ، وجمعه فُلْقان ؛ مثل خَلَق وخُلْقان . وربما قالوا : كان ذلك بفالق كذا وكذا ؛ يريدون المكان المنحدر

---

(١) صدر البيت : * وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * والضواجع جمع ضاجعة وهى منحنى الوادى .
(٢) البيدر : الموضع الذى يداس فيه الحبوب . (٣) ورد هذا البيت فى الأصول محرفا . وهو من أرجوزة رؤبة بن العجاج التى مطلعها : * وقاتم الأعماق خاوى المخترق *
وقوله : «أوّن» أى أكل وشرب حتى امتلأ بطنه . والعقق : جمع عقوق كرسول ورسل وهى التى تكامل حملها وقرب ولادها . وصف صائدا لما أحس بالصيد — وهى الأتن التى وردت الماء فشربت حتى امتلأت خواصرها — وأراد رميه وسوس نفسه بالدعاء حذر الخيبة . (٤) آية ٩٦ سورة الأنعام . (٥) آية ٩٥ سورة الأنعام .
(٦) كذا فى الأصول واللسان . والذى فى الديوان : « ماجلا » . وقال ابن برى : الرواية الصحيحة :
* حتى إذا ما جلا عن وجهه شفق * وقوله : «هاديه» أى أوله ؛ مأخوذ من الهادى وهو مقدم العنق .

بين الرَّبْوَتَيْن . والفلق أيضا مِقْطرة[1] السجان . فأما الفِلق (بالكسر) فالداهية والأمر العجب ؛ تقول منه : أفلق الرجل وافتلق . وشاعر مُفْلِق ، وقد جاء بالفلق [أى بالداهية] . والفلق أيضا القضيب يُشَقّ باثنين فيعمل منه قوسان ؛ يقال لكل واحدة منهما فِلْق . وقولهم : جاء بعُلَقَ فُلَقَ ، وهى الداهية ؛ لا يجرى [مجرى عمر[2]] . يقال منه : أَعْلَقْتَ وأَفْلَقْتَ ؛ أى جئت بعُلَقَ فُلَقَ . ومرّ يفتلق فى عَدْوه ؛ أى يأتى بالعجب من شدّته .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ قيل : هو إبليس وذرّيته . وقيل جهنم . وقيل : هو عام ؛ أى من شر كل ذى شر خلقه الله عز وجل .

الخامسة ـ قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ اختلف فيه ؛ فقيل : هو الليل . والغَسق : أوّل ظلمة الليل ؛ يقال منه : غَسَق الليلُ يَغْسِق أى أظلم . قال قيس الرُّقَيَّات :

إنّ هذا الليلَ قد غسقا ＊ واشتكيْتُ الهمَّ والأرَقا

وقال آخر :

يا طَيْفَ هندٍ لقد أبقيتَ لى أرَقا ＊ إذ جئتنا طارقًا والليلُ قد غسقا

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسُّدّى وغيرهم . و « وَقَبَ » على هذا التفسير أظلم ؛ قاله ابن عباس . الضحاك : دخل . قتادة : ذهب . يَمان بن رِئاب : سكن . وقيل : نزل ؛ يقال : وقب العذاب على الكافرين ؛ نزل . قال الشاعر :

وقَبَ العذابُ عليهمُ فكأنّهمْ ＊ لحِقتْهمُ نارُ السمومِ فأُحْصِدوا

وقال الزجاج : قيل لليل غاسق لأنه أبرد من النهار . والغاسق : البارد . والغَسق البرد ؛ ولأن فى الليل تخرج السباع من آجامها والهوامّ من أماكنها ، وينبعث أهل الشر على العَيْث

---

(١) المقطرة (بكسر الميم) : خشبة فيها خروق كل خرق على قدر سعة الساق يدخل فيها أرجل المحبوسين ؛ مشتق من قطار الإبل . (٢) زيادة من اللسان مادة (علق) يقتضيها السياق . وفى الأساس مادة (فلق) : « وجاء بعلق فلق » على التركيب كخمسة عشر » .

والفساد . وقيل : الغاسق الثُّرَيا، وذلك أنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين، وإذا طلعت ارتفع ذلك؛ قاله عبد الرحمن بن زيد . وقيل : هو الشمس إذا غربت؛ قاله ابن شهاب . وقيل : هو القمر . قال القُتَبيّ : « إِذَا وَقَبَ » القمرُ إذا دخل في ساهُوره، وهو كالغلاف له وذلك إذا خسف به . وكل شيء أسود فهو غَسَق . وقال قتادة : « إِذَا وَقَبَ » إذا غاب . وهو أصح؛ لأن في الترمذي عن عائشة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر فقال : "يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق إذا وَقَب" . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقال أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي في تأويل هذا الحديث : وذلك أن أهل الرِّيَب يتحيّنون وَجْبة القمر . وأنشد :

أراحَني اللهُ مِنْ أشياءَ أكْرَهُها * منها العَجوزُ ومنها الكَلْبُ والقَمَرُ
هذا يَبُوحُ وهذا يُسْتَضاءُ بِه * وهذه ضِمْرِزٌ قَوّامَةُ السَّحَرِ(١)

وقيل : الغاسق الحيّة إذا لدغت . وكأن الغاسق نابُها؛ لأن السم يَغْسِق منه؛ أي يسيل . ووَقَبَ نابُها إذا دخل في اللّديغ . وقيل : الغاسق كل هاجم يضرّ، كائنا ما كان؛ من قولهم : غَسَقَتِ القُرحةُ إذا جرى صديدها .

السادسة — قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ يعني الساحرات اللائي يَنْفُثْن في عُقَد الخيط حين يرقين عليها . شبّه النفخ كما يعمل من يَرْقي . قال الشاعر :

أعوذُ بِربّي مِنَ النّافِثا * ت في عِضَهِ العاضِهِ المُعْضِهْ(٢)

وقال مُتَمِّم بن نُوَيْرة :

نَفَثَتْ في الخَيْطِ شَبِيهَ الرُّقَى * مِنْ خَشْيَةِ الجِنّة والحاسد

وقال عنترة :

فإنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفُثْ عَلَيْه * وإنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ له الفُقُودُ

---

(١) الضمرز (كزبرج) : الناقة المسنة . ومن النساء الغليظة . وقد وردت هذه الكلمة في نسخ الأصل محرفة، ففي بعضها «صمود» وفي البعض الآخر : «ضمور» وهو تحريف . وفي البيت إقواء؛ وهو اختلاف حركات الروي .

(٢) العضه (كعنب) : الكذب والسحر والبهتان . والعاضه : الساحر .

السابعــة ـ روى النسائى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا[1] وكل إليه" . واختلف فى النفث عند الرقى، فمنعه قوم وأجازه آخرون . قال عكرمة : لا ينبغى للراقى أن ينفث ولا يمسح ولا يعقد . وقال إبراهيم : كانوا يكرهون النفث فى الرق . وقال بعضهم : دخلت على الضحاك وهو وجع، فقلت : ألا أعوذك يا أبا محمد؟ قال : بلى، ولكن لا تنفث؛ فعوذته بالمعوذتين . وقال ابن جريج قلت لعطاء : القرآن ينفخ به أو ينفث ؟ قال : لا شيء من ذلك ولكن تقرؤه هكذا . ثم قال بعد : انفث إن شئت . وسئل محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها فقال : لا أعلم بها بأسا، و إذا اختلفوا فالحاكم بينهم السنة . روت عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفث فى الرقية، رواه الأئمة، وقد ذكرناه أول السورة وفى (سبحان)[2] . وعن محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتت به أمه النبى صلى الله عليه وسلم، فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام؛ زعم أنه لم يحفظه . وقال محمد بن الأشعث : ذهب بى إلى عائشة رضى الله عنها وفى عينى سوء، فرقتنى ونفثت .

وأما ما روى عن عكرمة من قوله : لا ينبغى للراقى أن ينفث، فكأنه ذهب فيه إلى أن الله تعالى جعل النفث فى العقد مما يستعاذ به، فلا يكون بنفسه عوذة . وليس هذا هكذا؛ لأن النفث فى العقد إذا كان مذموما لم يجب أن يكون النفث بلا عقد مذموما . ولأن النفث فى العقد إنما أريد به السحر المضر بالأرواح، وهذا النفث لاستصلاح الأبدان فلا يقاس ما ينفع بما يضر . وأما كراهة عكرمة المسح فخلاف السنة . قال على رضى الله عنه : اشتكيت فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى، و إن كان متأخرا فاشفنى وعافنى، و إن كان بلاء فصبرنى . فقال النبى صلى الله عليه

---

(١) أى من علق شيئا من التعاويذ والتمائم معتقدا أنها تجلب إليه نفعا أو تدفع عنه ضررا . وقيل : المراد تمائم الجاهلية مثل الخرزات وأظفار السباع . أما ما يكون من القرآن والأسماء الإلهية فهو خارج عن هذا الحكم (شرح سنن النسائى) .

(٢) راجع جـ ١٠ ص ٣١٥ فما بعدها .

وسلم : "كيف قلت" ؟ فقلت له . فمسحني بيده ثم قال : "اللهمّ آشفه" فما عاد ذلك الوجع بعدُ . وقرأ عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ورُوَيْس عن يعقوب « ومن شر النافثات » في وزن فاعلات . ورُوِيَت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنهما . وروى أن نساء سحرن النبيّ صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة ، فأنزل الله المعوّذتين إحدى عشرة آية . قال آبن زيد : كنّ من اليهود ؛ يعني السواحر المذكورات . وقيل : هنّ بنات لَبِيد بن الأَعْصَم .

الثامنة — قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ قد تقدم في سورة « النساء » معنى الحسد(١) ، وأنه تمنّي زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها . والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل . فالحسد شر مذموم . والمنافسة مباحة وهي الغِبْطة . وقد روى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "المؤمن يَغْبِط والمنافق يَحْسِد" . وفي الصحيحين : "لا حَسَد إلا في اثنتين" يريد لا غبطة . وقد مضى في سورة « النساء(٢) » والحمد لله .

قلت : قال العلماء : الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول ، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته . قال صلى الله عليه وسلم : "إذا حَسَدت فلا تَبْغ ..." الحديث . وقد تقدم . والحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء ، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض ، فحسد إبليسُ آدمَ ، وحسد قابيلُ هابيلَ . والحاسد ممقوت مبغوض مطرود ملعون . ولقد أحسن من قال :

قل للحسود إذا تنفّس طعنة * يا ظالما وكأنه مظلوم

التاسعة — هذه سورة دالة على أن الله سبحانه خالق كل شر ، وأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يتعوّذ من جميع الشرور . فقال : « مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » . وجعل خاتمة ذلك الحسد ،

---

(١) معنى الحسد تقدم في سورة البقرة جـ ٢ ص ٧١ طبعة ثانية . وراجع أيضا سورة النساء جـ ٥ ص ٢٥١ .

(٢) هذا مذكور في سورة البقرة لا في سورة النساء . فليراجع .

تنبيها على عظمه وكثرة ضرره . والحاسد عدو نعمة الله . قال بعض الحكماء: بارز الحاسدُ ربَّه من خمسة أوجه : أحدها — أنه أبغض كلّ نعمة ظهرت على غيره . وثانيها — أنه ساخط لقسمة ربه ، كأنه يقول : لم قسمت هذه القسمة ؟ وثالثها — أنه ضادَّ فعل الله ، أى إن فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهو يبخل بفضل الله . ورابعها — أنه خذل أولياء الله أو يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم . وخامسها — أنه أعان عدوّه إبليس . وقيل : الحاسد لا ينال فى المجالس إلا ندامة ، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاء ، ولا ينال فى الخلوة إلا جزعاً وغمّاً ، ولا ينال فى الآخرة إلا حزنا واحتراقاً ، ولا ينال من الله إلا بُعْداً ومَقْتاً . وروى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "ثلاث لا يستجاب دعاؤهم آكل الحرام ومُكْثِر الغيبة ومَن كان فى قلبه غِلّ أو حسدٌ للسلمين" . والله سبحانه وتعالى أعلم .

سورة « الناس »

مِثْل «الفَلَق» لأنها إحدى المُعَوِّذَتَين . وروى الترمذيّ عن عُقْبة بن عامر الجُهَنِيّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "قد أنزل الله عليّ آيات لم يُرَ مثلُهن «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» إلى آخر السورة و « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » إلى آخر السورة" . قال : هذا حديث حسن صحيح . ورواه مسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ أى مالكهم ومُصْلِح أمورهم . وإنما ذكر أنه رَبّ الناس، وإن كان رَبّاً لجميع الخلق لأمرين : أحدهما — لأن الناس مُعَظَّمون ؛ فأعلم بذكرهم أنه ربٌّ لهم وإن عُظِّموا . الثانى — لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم ؛ فأعلم بذكرهم

أنه هو الذي يُعيذ منهم . وإنما قال : ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ لأن في الناس ملوكا فذكر أنه ملكهم، وفي الناس مَن يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودُهم، وأنه الذي يجب أن يُستعاذ به ويُلجأ إليه دون الملوك والعظماء .

قوله تعالى : مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾

يعني من شرّ الشيطان . والمعنى : من شر ذي الوسواس؛ فحذف المضاف؛ قاله الفرّاء. وهو (بفتح الواو) بمعنى الاسم؛ أي المُوَسْوِس . و (بكسر الواو) المصدر؛ يعني الوسوسة . وكذا الزَّلزال والزِّلزال . والوَسْوَسة : حديثُ النَّفس . يقال : وَسْوَسَتْ إليه نفسُه وَسْوَسَةً ووِسْوسة (بكسر الواو) . ويقال لهَمْس الصائد والكلاب وأصوات الحلي : وسواس . قال ذو الرُّمّة :

فبــاتَ يُشْـئِزُه ثَأْدٌ ويُسْهِـرُهُ * تَذَؤُّبُ الريح والوَسْواسُ والهِضَبُ (١)

وقال الأعشى :

تَسْمَعُ لِلحَلْي وَسْواسا إذا انْصَرَفَتْ * كما ٱسْتعان بريح عِشْرِقٌ زَجِــلُ (٢)

وقيل : إن الوسواس الخناس ٱبنٌ لإبليس، جاء به إلى حَوّاء ووضعه بين يديها وقال : ٱكْفُليه . فجاء آدم [عليه السلام] (٣) فقال ما هـذا [يا حـواء] (٣) ! قالت : جاء عدوُّنا بهذا وقال لي: ٱكْفُليه . فقال : ألم أقل لكِ لا تطيعيه في شيء هو الذي غرّنا حتى وقعنا في المعصية؟ وعَمَد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع ، وعلّق كلّ ربع على شجرة غَيْظًا له ؛ فجاء إبليس فقال : يا حَـوّاء ، أين ٱبني ؟ فأخبرته بمـا صنع به آدم [عليـه السلام] فقال : يا خَنّـاس ، فحَيِيَ فأجابه . فجاء به إلى حَوّاء وقال : اكفليه ؛ فجاء آدم [عليه السلام] فحرقه بالنار وذَرّ رَماده في البحر؛ فجاء إبليس [عليه اللعنة] فقال: ياحوّاء، أين ٱبني؟ فأخبرته بفعل آدم إياه؛ فذهب

(١) شئز الرجل : قلق من مرض أوهم . والثأد : الندى والقـر والأمر القبيح . وتذؤب الريح : هبوبها من كل وجه ؛ وهو مأخوذ من خداع الذئب . والهضب (بكسر الهاء) : الأمطار .

(٢) العشرق (كزبرج) : نبت له ورق فإذا يبس طار . ونبت زجل : صوتت فيه الريح .

(٣) زيادة عن نوادر الأصول للترمذي الحكيم .

إلى البحر فقال: ياخناس، فخيي فأجابه. فجاء به إلى حواء الثالثة وقال: اكفليه. فنظر إليه آدم فذبحه وشواه وأكلاه جميعا. فجاء إبليس فسألها فأخبرته [حواء](١). فقال: يا خنّاس، فخيي فأجابه [فجاء به] من جوف آدمَ وحواء. فقال إبليس: هذا الذى أردت، وهذا مسكنك فى صدر ولد آدم؛ فهو ملتقم قلب ابن آدم مادام غافلا يوسوس، فإذا ذكر الله لفظ قلبه وانخنس. ذكر هذا الخبر الترمذىّ الحكيم فى نوادر الأصول بإسناد عن وهب بن منبّه. وما أظنه يصح، والله تعالى أعلم. ووُصف بالخناس لأنه كثير الاختفاء؛ ومنه قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ»(٢) يعنى النجوم لاختفائها بعد ظهورها. وقيل: لأنه يخنُس إذا ذكر العبدُ الله؛ أى يتأخر. وفى الخبر "إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا غفل وسْوَس و إذا ذكر الله خَنَس" أى تأخر وأقصر. وقال قتادة: «الخَنّاس» الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان، فإذا غفل الإنسان وسوس له، و إذا ذكر العبدُ ربّه خَنَس. يقول: خنسته فخَنَس، أى أخرته فتأخر. وأخنسته أيضا. ومنه قول أبى العلاء الحَضْرمىّ ـ أنشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ:

وإن دَحَسُوا بالشَّرّ فاعفُ تكرّمًا * وإن خَنَسُوا عند الحديث فلا تَسَل(٤)

الدَّحْس: الإفساد. وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان واضع خَطْمَه على قلب ابن آدم فإذا ذكر اللهَ خَنَس و إذا نَسِيَ الله التقم قلبه فوسوس". وقال ابن عباس: إذا ذكر اللهَ العبدُ خَنَس من قلبه فذهب، و إذا غَفَل التقم قلبَه فحدّثه ومنّاه. وقال إبراهيم التَّيْمىّ: أوّل ما يبدو الوسواس من قِبَل الوضوء. وقيل: سُمّى خنّاسا لأنه يرجع إذا غفل العبد عن ذكر الله. والخَنْس: الرجوع. وقال الراجز:

وصاحبٍ يمتعِسُ(٥) امتِعاسا * يزداد إن حَيّيته(٦) خِناسا

(١) زيادة عن الترمذى الحكيم. (٢) آية ١٥ سورة التكوير.
(٣) فى نسخة من الأصل: «ابن آدم». (٤) فى اللسان: «عنك».
(٥) يتعس: يتحرك. (٦) فى بعض الأصول «جنّته» وبعضها «جنته» وفى بعضها بدون إعجام.

وقد روى ٱبن جبير عن ٱبن عباس فى قوله تعالى : «ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ» وجهين : أحدهما أنه الراجع بالوسوسة عن الهدى — الثانى — أنه الخارج بالوسوسة من اليقين .

قوله تعـالى : ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾

قال مقاتل : إن الشيطان فى صورة خنزير يجرى من ٱبن آدم مجرى الدم فى العروق ، سلّطه الله على ذلك ؛ فذلك قوله تعالى : « ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ » . وفى الصحيح عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان يجرى من ٱبن آدم مجرى الدم". وهذا يصحح ماقاله مقاتل . وروى شَهْر بن حَوْشَب عن أبى ثعلبة الخُشَنِىّ قال : سألت الله أن يُرِيَنِى الشيطانَ ومكانَه من ٱبن آدم فرأيتـه ، يداه فى يديه ، ورجلاه فى رجليه ، ومَشَاعِبه فى جسده ، غير أن له خَطْمًا كخَطْم الكلب ، فإذا ذكر الله خَنَس ونَكَس ، وإذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه . فعلى ماوصف أبو ثعلبة أنه متشعِّب فى الجسد ، أى فى كل عضو منه شُعبة . وروى عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعـين أنه قال — وقد كَبِر سِـنّه — : ما أمنت الزِّنَى وما يؤمننى أن يدخل الشيطان ذكره فيوتده ! فهذا القول ينبئك أنه متشعِّب فى الجسد ، وهذا معنى قول مقاتل . ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خَفِىّ يصل مفهومُه إلى القلب من غير سماع صوت .

قوله تعـالى : مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

أخبر أن المُوَسْوِس قد يكون من الناس . قال الحسن : هما شيطانان ؛ أمّا شيطان الجنّ فيوسوس فى صدور النـاس ، وأما شيطان الإنس فيأتى علانية . وقال قتادة : إن من الجنّ شياطين وإنّ من الإنس شياطين ؛ فتعوّذ بالله من شياطين الإنس والجنّ . ورُوِىَ عن أبى ذرّ أنه قال لرجل : هل تعوذت بالله من شياطين الإنس ؟ فقال : أوَمن الإنس شياطين ؟ قال : نعم ؛ لقوله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ »(١) الآية . وذهب قوم إلى أن الناس هنا يراد به الجن ، سُمُّوا ناسا كما سُمُّوا رجالا فى قوله : «وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ

(١) آية ١١٢ سورة الأنعام .

الإنس يعوذون برجال من الجن »[1] ــ وقوماً ونفراً[2] . فعلى هذا يكون « والناس » عطفا على « الجنة » ويكون التكرير لاختلاف اللفظين . وذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث : جاء قوم من الجن فوقفوا . فقيل : من أنتم ؟ فقالوا : ناس من الجن . وهو معنى قول الفراء . وقيل : الوسواس هو الشيطان . وقوله : « من الجنة » بيان أنه من الجن « والناس » معطوف على الوسواس . والمعنى : قل أعوذ برب الناس من شر الوسواس الذى هو من الجنة ومن شر الناس . فعلى هذا أمر بأن يستعيذ بالله من شر الإنس والجن . والجنة جمع جني ؛ كما يقال : إنس وإنسي . والهاء لتأنيث الجماعة . وقيل : إن إبليس يوسوس فى صدور الجن كما يوسوس فى صدور الناس . فعلى هذا يكون « فى صدور الناس » عاماً فى الجميع . و« من الجنة والناس » بيان لما يوسوس فى صدره . وقيل : معنى « من شر الوسواس » أى الوسوسة التى تكون من الجنة والناس ، وهو حديث النفس . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله عز وجل تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به " . رواه أبو هريرة أخرجه مسلم . فالله تعالى أعلم بالمراد من ذلك .

(١) آية ٦ سورة الجن . (٢) وذلك فى قوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ... » آية ٢٩ سورة الأحقاف .

استدراك

وقبل أن نرفع أيدينا من هذا الكتاب القيم ، وقبل أن نلتقط أنفاسنا بعد هذا الجهد الكبير المتواصل ، لنسعد قراءنا الأعزاء بما نقدمه لهم من كنوز تراثنا العربي الإسلامي الأصيل ، كان لزاماً علينا أن ننوه بأن طبعة هذا الكتاب مأخوذة عن طبعة دار الكتب والوثائق بما لها وما عليها ، والأمر لا يخلو لا محالة من بعض الهنات اليسيرة التي لا دخل لنا فيها ولا حيلة لنا في تلافيها .

ومع كل هذا فتلبية لرغبة قرائنا الكرام نقدم بعض التصويبات تاركين بعضها الآخر الذي لا يخفى على القارئ العادي فهمه واكتشافه .

وقد امتدت أيدينا إلى الهوامش فأثبتنا ما يقابلها في طبعة كتاب الشعب وكان ذلك بالنسبة لهوامش الطبعة التي أخذنا عنها ، أما ما يذكر بالنسبة للطبعة الأولى أو الثانية أو الثالثة فعلى القارئ أن يرجع إلى أيها شاء ، فإن شأنها شأن أي مرجع ذكر في الهامش . أما الرموز الموجودة في هامش بعض الصفحات غير ما ذكر فهي اختصار لأسماء النسخ المختلفة لتفسير القرطبي التي قوبلت عليها النسخة التي أخذنا عنها ضمنتنا التي بين يديك ، ومقابلة النسخ المختلفة ضرورة يحتمها تحقيق التراث .

كما أثبتنا في آخر الكتاب فهرساً للسور لنيسر للقارئ مهمة البحث ونوفر له الوقت والجهد ، ويهتدي إلى موضع السورة وتصبح أحكامها بين يديه ظاهرة واضحة يغترف منها ما شاء له الله أن يغترف .

وهذا جهدنا بذلناه خالصاً لوجه الله الكريم راجين أن ينفع به المسلمين إنك ياربنا على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
نسبع	يشبع	٤	١٧
كلب	كِذب	٤	٢٠
نحرفا	حرفا	٩	٧
المزكوب	المركوب	١٣	١٧
يترجوا	يرجو	١٤	٢١
الحرن	الحزن	١٥	٢٢
البكباشم	الكباش	١٦	١٠
فآطلع	فاطلع	١٨	١٨
سفبان	سفيان	٢٠	٧
أبرأ	أبرأ	٢٠	١٢
تابعيهم	تابعهم	٢٠	٢٢
فالتمسوه	فالتمسوه	٢١	٣
جرمته	حرمته	٢٤	١٩
خدثنا	حدثنا	٢٤	٢٠
المعى	المعنى	٢٨	١٧
واثلة	واثلة	٣٠	٩
عثمان ن	عثمان بن	٤٩	٦
عجزهم	عجزتم	٦٢	١٨
لمين	لِمَن	٦٤	١٠
ومجوع	ومجموع	٦٤	١٧
الخنان	الجنان	٦٧	٢٢
سبع وعشرون	ثمان وعشرون	٧٩	١٨
الذاب	الذباب	٨٠	٩
فمتره	فمترة	٨١	٦
فآقرءوا	فاقرءوا	٨١	١١
فكلُلوا	فكلُوا	٨٥	٦
الدرفطنى	الدار قطنى	٨٥	١٦
اسماته	أسمائه	٨٨	٢٢
اقتتحا	افتتحا	١٠١	١٦
خطاباى	خطاياى	١٠٢	١
الليتى	الليثى	١٠٥	٢٣
كيسان	كيسان	١٠٦	١٣
فيمن	فيمن	١٠٧	١٩
لاتجزئ	لا تجزئه	١٠٨	١٨
قرل	قول	١١٢	٤
بحيكم	يحيكم	١١٢	١٤
وعظم	وعظم	١١٥	٥
قال فرعونَ	قال فرعونُ	١٢١	٥
المحر	البحر	١٢٣	٢٣
غوضا	عوضا	١٢٧	١٨
فلا مغنى	فلا معنى	١٢٩	
هذا	هذا	١٣٦	٢١
تمتنه	تمته	١٥١	١٢
محمد بين	محمد بن	١٥٢	١٠
الجوارح	الجوارح	١٦٤	١٢
حدا	جدا	١٦٦	٤
يتراءون	يُراءون	١٧١	٢
النوز	النوز	١٩٠	٩
أحيط	أحيط	١٩١	١١
فى	فهى	١٩٣	٢
قبلت	قلبت	١٩٧	١٦
الاختطاب	الاختطاب	١٩٨	٩
وأتوا	وأتوا	٢٠٦	١٠
يسميه	يسميه	٢٠٩	٢٣
صحيح	صحيحٌ	٢١٧	٥
الجبال	الجبال	٢٢٠	٧
معمز	معمر	٢٣٥	١٧
هذه	هذه	٢٤١	١٥
توقيفا	توقيفا	٢٤١	١٦
عرصهم	عرضهم	٢٤١	٢٠
الحدال	الجدال	٢٤٥	٦
لأستجدُ	لأستجدَ	٢٥٣	٧
صازت	صارت	٢٥٣	١٦
يرقب	يرقب	٢٥٥	١٩
المعتزلة	المعتزلة	٢٥٨	٢
التحوف	التخوف	٢٨٠	١٠
الاحتيار	الاختيار	٢٨٠	١٢
لبس	ليس	٢٨٥	٢٣
النحعى	النخعى	٢٩٤	١٧
المندر	المنذر	٢٩٤	٢٢
الصحابة	الصحابة	٣٠٠	١٦
هى آلسنة	هى السنة	٣٠٨	٢٢
ولا تنسُوا	ولا تنسَوُا	٣١٤	١٣
لحاز	لجاز	٣٢٢	٢
عَدَل	عادل	٣٢٤	١٧
دَلينا	دَليلنا	٣٢٥	١٩
أثمين	سائمين	٣٢٧	١٨
عوقب	عوقب	٣٢٩	١٦
حثيت	حُييت	٣٤١	٤
وليني	وليس	٣٤٤	١٦

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
إيتبريد	لتبريد	٣٤٧	١٠
بى	بى	٣٤٨	١
هى	هى	٣٥٣	١١
كلماتٌ	كلمات	٣٥٣	١٥
تعبيره	تغيّره	٣٥٤	١٥
مبهم أبدل	مبهم أبدل	٣٥٤	١٦
الذُّلَّةُ	الذِّلَّةُ	٣٦٦	١٠
مصمَّدينا	مصعَّدينا	٣٦٧	٢
قسبو إلى يهوذا	نسبوا إلى يهوذا	٣٦٨	١٦
أهوامهم	أهواءهم	٣٧٣	١٥
بقرة	بقَرَة	٣٧٩	١٥
بقوة	بقرة	٣٨٠	٨
مخامن	مخاض	٣٨١	١٧
بفارض	بفارض	٣٨٢	١٢
يبين	يبيّن	٣٨٣	١
نُهتى	تُهتى	٣٨٣	١٦
نسقى	تسقى	٣٨٥	١
فانة	فانه	٣٨٧	١٧
نقوم	تقوم	٣٩١	٩
ليحاجكم	ليحاجوكم	٤٠٠	١
محجنة	محجَّة	٤٠٠	٣
أحاتى	أحيانى	٤٠٢	١٥
برصى	يرضى	٤١١	٥
القاجر	الفاجر	٤١١	٦
بعص	بعض	٤١١	٨
منسوح	منسوخ	٤١١	١٣
ابغونى الضعيف	ابغونى فى الضعيف	٤١٩	٢٠
تصب	نصب	٤٢٠	١٧
بغى	بغى	٤٢١	١٩
الفطر	القطر	٤٢٧	١٨
نبدوا	نبذوا	٤٣٢	١
عارصت	عارضت	٤٣٢	٩
عدا	عبدا	٤٤٩	٨
نستنسخ	تستنسخ	٤٥١	١٧
فأذَهم	قادَهم	٤٥٤	٥
مدموم	مذموم	٤٥٩	١٨
بحوز	يجوز	٤٦٥	١٦
وزحمتى	ورحمتى	٤٧٢	٩
وتبوموا	وقوموا	٤٧٣	١٧

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
فرأ	قرَأ	٤٨٠	١
تتبعء	تتبعَ	٤٨٠	١٦
اتخد	اتخذ	٤٨٥	٢
لناب	الناب	٤٩٠	٢
معتيا	مفتيا	٤٩٥	٨
الخاصص	الخافض	٤٩٩	١٤
بعى	يعنى	٥٠٣	١
(١)	(٢)	٥١٤	٢٢
أبا	أبا	٥٢٣	٢
والوسط العدل	ليست من الآية	٥٣٧	٢٠
مسفة	مشقّة	٥٤٣	١٣
الصلاه	الصلاة	٥٤٧	١٤
الدكر	الذكر	٥٥٢	١٩
بالهلك	بالملك	٥٥٧	١٦
يصقو	يصفو	٥٦١	٤
تلك	تلك	٥٨٢	٢٢
تقويم	تقويم	٥٨٣	٣
بسلم	بسلم	٥٨٦	٧
حلا لا	حلالا	٥٨٧	١٤
دنيه	دينه	٥٩٠	١٦
فإن الله غفور رحيم	إن الله غفور رحيم	٦١٢	١٩
الحنة	الجنة	٦٢١	١٢
بدحول	بدخول	٦٢٢	١٦
القصاص	القصاص	٦٢٣	١
النحعى	النخعى	٦٢٧	١
الحر	الحر	٦٢٧	١٤
إدا	إذا	٦٢٧	١٩
الحسات	الحسنات	٦٣٥	٢٢
الصيام	الصيام	٦٤٩	٢
محبرا	مخبرا	٦٥٠	١٢
بعض	بعض	٦٥١	٥
فصحب	فصعب	٦٥١	٦
فرض	فرض	٦٥١	١٦
برمضان	برمضان	٦٥٢	٨
النحعى	النخعى	٦٥٣	٨
الحصر	الخضر	٥٥٥	١٢
فأفطر	فأفطرَ	٦٥٧	١٠
بعمو	يعفو	٦٥٨	١٢
أجراه	أجزاه	٦٥٨	١٦

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
يخوز	يجوز	٦٥٩	١٥	اختزم	اجتزم	٧٢٨	٢
فناجلدوهم	فاجلدوهم	٦٦٣	١٩	فتادة	قتادة	٧٢٨	١٠
آفطرو	أفطَرو	٦٦٤	٩	الفصة	الفضة	٧٢٨	١٢
التحصيص	التخصيص	٦٦٥	٧	المبز	لتميز	٧٢٨	١٤
الـذين	الذين	٦٦٥	١٧	حيدها	جيدها	٧٢٨	١٢
هدى	هدى	٦٧٤	٢٢	وحزاء	وجزاء	٧٢٨	١٧
المزنى	المزنى	٦٨٠	٤	حادمها	خادمها	٧٣١	١٧
أنسى	أنسى	٦٨١	١٣	ئه	به	٧٣٢	٢١
ندعو	ندعوا	٦٨٧	١٩	صرعه	شرعه	٧٣٤	٥
ضوءه	ضوئه	٦٩٥	١٩	أهلّه	أهلّه	٧٤٨	١٢
قصاء	قضاء	٦٩٨	٣	نسيكه	نسيكة	٧٦٠	٩
يحرجه	يخرجه	٧٠٣	٣	منى	منى	٧٧٣	٤
يصره	يضره	٧٠٣		نغلر	نظر	٧٨٧	١١
بحروبه	بخروبه	٧٠٣	٨	تخفص	يخصص	٧٨٨	١٤
أحاب	أجاب	٧٠٣	١٦	المردلفة	المزدلفة	٧٩٤	٥
قطره	فطره	٧٠٦	١٥	الغلو	الغلو	٨٢٠	٧
يحرج	يخرج	٧١٢	١٦	بصب	نصب	٨٢٨	٥
كذلك	كذلك	٧١٢	١٩	النّاس	الناس	٨٣٨	١١
الملالَ	الملال	٧١٦	١٨	المقى	المنى	٨٥٢	١٠
قفعل	ففعل	٧١٧	٩	النحرام	الحرام	٨٥٣	١٢
لوحه	لوجه	٧١٧	١١	زبد	زيد	٨٨٠	١٣
أبوابها	أبوابها	٧٢١	٦	منحتبة	مجتبية	٨٩٩	١٧
فدحل	فدخل	٧٢١	٩	أبى	أنثى	٩٠٠	٢
طهورها	ظهورها	٧٢١	٧	ونكحنا	ونكحتا	٩٠٠	٢٠
سحرجه	خرجته	٧٢١	٨	سمى	يسمى	٩٠١	١٧
بضم الباء	بضم الباء	٧٢١	١٢	تتركون	تتركون	٩٠٢	١
قرية	قرية	٧٢١	١٤، ١٥	محمسة	بخمسة	٩٠٢	١٨
العرائص	الفرائض	٧٢١	١٦	سار	يساو	٩٠٣	١٥
يعطبه	يخطبه	٧٢١	١٨	ما	ما	٩٠٤	١٢
يستطل	يستظل	٧٢١	١٩	و شقوا	وتتقوا	٩٠٤	١٩
فناعتف	فاعتف	٧٢٢	٧	النحعى	النخعى	٩٠٥	٤
واصفح	واصفح	٧٢٢	٧	الكسابى	الكسائى	٩٠٧	١
واهجرهم هجرا	واهجرهم هجرا			لبرصى	لبرضى	٩٠٨	٨
حميلا	جميلا	٧٢٢	٧	فد وقعت	قد وقعت	٩٠٩	١٧
فنسحت	فنسخت	٧٢٣	١٩	فامساك	فامساك	٩٣٣	١٦
الزمى	الزمنى	٧٢٤	١	نن	من	٩٣٩	١٣
الشيوح	الشيوخ	٧٢٤	٤	يتربصن	يتربصن	٢٩٢	١٤
صلبه	سلبه	٧٢٧	٢	حتى يبلغ	حتى يبلغ	١٠٠٠	١٩
الباعى	الباغى	٧٢٧	١٨، ١٩	هدا	هذا	١٠٠٤	٢١
الباعين	الباغين	٧٢٧	٢٠	يعفوا	يعفو	١٠١٢	٢

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر
أقضى	أفضى	١٠١٣	١٩	السكينةَ	السكينةُ	١٠٥٧	١٢
ثلانسان	للإنسان	١٠٤١	٨	أنْ يَغُلُّ	أنْ يَغُلَّ	١٤٩٦	١٢، ١٣
أمير	أمْرٌ	١٠٤٤	١٦	تُوَفِّى كُلُّ	تُوَفَّى كُلُّ	١٤٩٦	١٣
فاذ	فانَّ	١٠٤٦			لَه	٢٠١٦	٢٠
فآثبتُوا	فاثبتُوا	١٠٥٣	٤	بْلكُمْ	قَبْلِكُمْ	٣٩٣٩	٩
سثب	سبب	١٠٥٥	٢٠	أعمالهم الدنيا	أعمالهم في الدنيا	٣٠٣٩	١٠

ملاحظة هامة :

نتيجة لخطأ فنى حلت بعض الصفحات في غير مكانها ولذلك نرجوا ملاحظة ما يأتى :

الصفحة رقم ٤٥٩٢ يغير ترقيمها إلى ٤٥٩٣

الصفحة رقم ٤٥٩٣ يغير ترقيمها إلى ٤٥٩٢

حتى يسير الكلام في صفحات ٤٥٩٢ ، ٤٥٩٣ ، ٤٥٩٤ في وضعه الطبيعى ؛

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٨٤٨	(١) راجع ص ٣٦ من هذا الجزء .	راجع ص ٨٤٤ من كتاب الشعب
٨٥٩	(١) راجع ص ٣٫٧ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٨٤٥ من كتاب الشعب .
٩٠٥	(٤) تقدم معنى التجبية فى هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٨٩٩
١٠٥٧	(١) راجع جـ٨ ص ١٤٨	راجع كتاب الشعب ص٢٩٨٧
١٠٥٨	(٥) راجع المسألة الثانية والثالثة جـ١ ص٣٨١	راجع المسألة الثانية والثالثة من كتاب الشعب ص ٣٢٥ ، ص ٣٢٩ .
١٠٥٩	(٣) راجع جـ٥ ص٢٥٨	راجع كتاب الشعب ص١٨٢٨
١٠٦٣	(١) راجع جـ٤ ص٣٢٢	راجع كتاب الشعب ص١٥٦٤
١٠٦٣	(٢) راجع جـ٦ ص١٢٧	راجع كتاب الشعب ص٢١٢٤
١٠٦٣	(٣) راجع جـ١٠ص٢٠٢	راجع كتاب الشعب ص٢٨١٨
١٠٦٣	(٤) راجع جـ١٢ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦٤
١٠٦٣	(٥) راجع جـ٨ ص٢٣	راجع كتاب الشعب ص٢٨٦٢
١٠٦٤	(٢) راجع جـ٤ ص٢٨٨ فمابعد وص١٩٠ فمابعد	راجع كتاب الشعب ص١٥٢٠ وص ١٤٣٢ وما بعدها
١٠٦٦	(٢) راجع جـ٧ ص٣٦٣	راجع كتاب الشعب ص٢٧٩٩
١٠٦٧	(٢) راجع جـ٥ ص ١٢٣	راجع كتاب الشعب ص١٦٩٣
١٠٧٠	(١) راجع جـ١٨ص٢٥٣	راجع كتاب الشعب ص٦٧٣٢
١٠٧١	(١) راجع جـ١٠ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٣٨٩٤
١٠٧١	(٢) راجع جـ١١ص٢٧٢	راجع كتاب الشعب ص٨٣١٢
١٠٧١	(٣) راجع جـ١٦ص٢٦٠	راجع كتاب الشعب ص٦٠٨٠
١٠٧١	(٤) راجع جـ ٩ ص٣٤٠	راجع كتاب الشعب ص٣٥٦٩
١٠٧١	(٥) راجع جـ١٤ص٣٠٠	راجع كتاب الشعب ص٥٣٨٢
١٠٧٢	(١) راجع جـ ٦ ص١٧	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٣
١٠٧٢	(٢) راجع جـ١٧ص٢٦٢ ــ ص ٢٢٩ .	راجع كتاب الشعب ص٦٤٣٢ ــ ص ٦٤٠٩ .
١٠٧٢	(٣) راجع جـ١١ص٢٩٥	راجع كتاب الشعب ص٤٣٣٥
١٠٧٢	(٤) راجع جـ١٣ص١٦٣	راجع كتاب الشعب ص٤٨٨٩
١٠٧٢	(٥) راجع جـ١٤ص١٢٦	راجع كتاب الشعب ص٥٢٠٨
١٠٧٢	(٦) راجع جـ١٦ص٢٩٢ ص٢٨٨ــص٢٧٤	راجع كتاب الشعب ص٦١١٢ ــ ص ٦١٠٨ ــ ٦٠٩٤ .
١٠٧٣	(١) راجع جـ ٢ص٢٤	راجع كتاب الشعب ص٤١٧
١٠٧٤	(١) راجع جـ١٨ص١٣٠	راجع كتاب الشعب ص٦٦٠٩
١٠٧٤	(٥) راجع جـ ٥ص٣٩٩	راجع كتاب الشعب ص١٩٦٩
١٠٧٥	(١) راجع جـ٩ ص٣٦٦	راجع كتاب الشعب ص٣٥٩٥
١٠٧٥	(٢) راجع جـ١٧ص٦٦	راجع كتاب الشعب ص٦٢٣٦
١٠٨٣	(١) راجع جـ٥ ص١٩٤	راجع كتاب الشعب ص١٧٦٤
١٠٨٤	(١) راجع جـ١٠ص٣٠٩	راجع كتاب الشعب ص٣٩٢٥
١٠٨٧	(١) راجع جـ١٣ص٢٤٨	راجع كتاب الشعب ص٤٩٦٤
١٠٨٧	(٣) راجع جـ١٠ص١٨٠	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٦
١٠٨٨	(٢) راجع جـ٨ ص٢٤٠	راجع كتاب الشعب ص٣٠٧٩

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
١٠٨٩	(١) راجع جـ٥ ص٢٦٦	راجع كتاب الشعب ص١٨٣٦
١٠٨٩	(٢) راجع جـ٨ ص١٠٩	راجع كتاب الشعب ص٢٩٤٨
١٠٩٠	(١) راجع جـ٥ ص٢٦٣ ــ ٢٨٠	راجع كتاب الشعب ص١٨٣٣ ــ ص ١٨٥٠
١٠٩١	(١) راجع جـ١٦ص٢٣٤	راجع كتاب الشعب ص٦٠٥٤
١٠٩٣	(٤) راجع جـ١١ص٣٠٣	راجع كتاب الشعب ص٤٣٤٣
١٠٩٤	(١) راجع جـ٢ ص٧٤	راجع كتاب الشعب ص٤٩٩
١٠٩٤	(٢) راجع جـ٨ ص٣٦١	راجع كتاب الشعب ص٣٢٠٠
١٠٩٤	(٣) راجع جـ٩ ص٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٣٥٥
١٠٩٤	(٤) راجع جـ٤ ص١٠٣ ــ ١٠٨	راجع كتاب الشعب ص١٣٤٥ ــ ص ١٣٥٠
١٠٩٥	(١) راجع جـ٧ ص٣٣٦	راجع كتاب الشعب ص٢٧٧٢
١٠٩٧	(١) راجع جـ١١ص١٦	راجع كتاب الشعب ص٤٠٥٥
١٠٩٨	(١) راجع جـ١٠ص١٣٣	راجع كتاب الشعب ص٣٧٤٩
١٠٩٨	(٢) راجع جـ١٣ص٢١٦	راجع كتاب الشعب ص٤٩٣٢
١٠٩٨	(٣) راجع جـ١٢ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص٤٤٦٥
١٠٩٩	(٢) راجع جـ١١ص٢٨٢	راجع كتاب الشعب ص٤٣٢٢
١١٠٠	(٢) راجع جـ١٠ص٣٧٤	راجع كتاب الشعب ص٣٩٩١
١١٠١	(٦) راجع جـ١٠ص٢١	راجع كتاب الشعب ص٣٦٣٧
١١٠٢	(١) راجع جـ٧ ص٢٦٣	راجع كتاب الشعب ص٢٦٩٩
١١٠٣	(١) راجع جـ١٩ص٢١٥	راجع كتاب الشعب ص٧٠٠٨
١١٠٣	(٢) راجع جـ١٧ص٢٩٦	راجع كتاب الشعب ص٦٤٦٦
١١٠٧	(١) راجع جـ١٠ص٢٨	راجع كتاب الشعب ص٣٦٤٤
١١١٠	(٤) راجع جـ٧ ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٢٧١٤
١١١١	راجع ص ٢٣٧ من هذا الجزء وجزء ١٥ص٢٤٠	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥ ــ ص ٥٦٨٤ .
١١١٢	(٣) راجع جـ١٨ص٢١١	راجع كتاب الشعب ص٦٦٩٠
١١١٥	(٢) راجع جـ١٩ص١٢٨	راجع كتاب الشعب ص٦٩٢١
١١١٦	(١) راجع جـ١٩ص٦٦	راجع كتاب الشعب ص٦٨٥٩
١١٢١	(١) راجع المسألة الثانية جـ ٢ ص ١٧٩	راجع كتاب الشعب ص٥٧٤
١١٢١	(٣) راجع جـ١٩ص٤٧	راجع كتاب الشعب ص٦٨٤٠
١١٢٢	(١) راجع جـ١٨ص٣٠٥	راجع كتاب الشعب ص٦٧٨٤
١١٢٢	(٢) راجع جـ١٩ص٤٢	راجع كتاب الشعب ص٦٨٣٥
١١٢٣	(١) راجع جـ١٨ص٢٦٢	راجع كتاب الشعب ص٦٧٤١
١١٢٤	(٢) راجع جـ٩ ص٣٥٨	راجع كتاب الشعب ص٣٥٨٧
١١٢٤	(٦) راجع جـ١٤ص٢٨٥	راجع كتاب الشعب ص٥٣٦٧
١١٣٠	(١) راجع جـ٧ ص٤٧	راجع كتاب الشعب ص٢٤٨٣
١١٣٣	(٣) راجع جـ١٠ص٨٥	راجع كتاب الشعب ص٣٧٠١
١١٣٣	(٤) راجع جـ١١ص٣١٥	راجع كتاب الشعب ص٤٣٥٥
١١٣٣	(٥) راجع جـ٥ ص٢٣١	راجع كتاب الشعب ص١٨٠١
١١٣٧	(٣) راجع جـ١٤ص٣٠٧	راجع كتاب الشعب ص٥٣٨٩
١١٣٧	(٤) راجع المسألةالخامسة جـ ٢ ص ٤٨	راجع كتاب الشعب ص٤٤١

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
١١٣٩	(١) راجع ج١٠ص٣٢٢	راجع كتاب الشعب ص٣٩٣٩
١١٣٩	(٢) راجع ج٥ ص٢٨١	راجع كتاب الشعب ص١٨٥١
١١٣٩	(٣) راجع المسألة الرابعة عشرة ج ٢ ص٤١٢	راجع كتاب الشعب ص٧٩٧
١١٤٠	(١) راجع ج١٩ص١٢٥	راجع كتاب الشعب ص٦٩١٨
١١٤٦	(٢) راجع ج١٩ص١٢٥	راجع كتاب الشعب ص٦٩١٨
١١٤٦	(٣) راجع ج١٨ص٥٨.	راجع كتاب الشعب ص٦٥٣٧
١١٤٦	(٤) راجع ج٨ ص١٦٧	راجع كتاب الشعب ص٣٠٠٦
١١٤٧	(١) راجع ج١٣ص٢١	راجع كتاب الشعب ص٤٧٣٧
١١٤٧	(٢) راجع ج٢٠ص١٥٠	راجع كتاب الشعب ص٧٢٤٠
١١٤٩	(٣) راجع ج١٦ص٥١	راجع كتاب الشعب ص٥٨٧١
١١٥٠	(١) راجع ج١٦ص٢٩٢	راجع كتاب الشعب ص٦١١٢
١١٥٢	(١) راجع ج٨ ص١٦٧	راجع كتاب الشعب ص٣٠٠٦
١١٥٦	(٣) راجع ج٦ ص١٨٢ – ص ٢٣٦ .	راجع كتاب الشعب ص٢١٧٩ – ص ٢٢٣٣
١١٥٩	(٤) راجع ج٤ ص١١٥	راجع كتاب الشعب ص١٣٧٥
١١٦١	(١) راجع ج٤ ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٥١١٨
١١٦٣	(٢) راجع ج١٥ص٣١٨	راجع كتاب الشعب ص٥٧٦٢
١١٦٤	(١) راجع ج٢٠ص١٧٨	راجع كتاب الشعب ص٧٢٦٨
١١٦٤	(٣) راجع ج٨ ص٧١	راجع كتاب الشعب ص٢٩١٠
١١٦٥	(١) راجع ص ٣٧٦ من هذا الجزء.	راجع كتاب الشعب ص١١٨٤
١١٦٥	(٢) راجع ج ١٣ ص ٧٢ فما بعد .	راجع كتاب الشعب ص٤٧٨٨ فما بعد
١١٦٥	(٣) راجع ج٥ ص ٢٣ وص ٩٩ .	راجع كتاب الشعب ص١٥٩٢ – ص ١٦٦٩ .
١١٦٦	تراجع هامشة (٣) ص ٢٣٦ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٤
١١٧٣	(١) راجع ج٥ص٤٠٥، ٣٨٥ .	راجع كتاب الشعب ص١٩٧٥، ١٩٥٥
١١٧٤	(٢) راجع ج٦ ص١٢	راجع كتاب الشعب ص٢٠٠٨
١١٧٤	(٣) راجع ج٩ص٨٦ ، ٨٧ .	راجع كتاب الشعب ص٣٣١٤ – ٣٣١٥
١١٧٧	(٢) راجع ج١٩ص٥٤	راجع كتاب الشعب ص٦٨٤٧
١١٨٠	(١) راجع ج٥ ص٢٥٥	راجع كتاب الشعب ص١٨٢٥
١١٨٢	(١) راجع ج١٣ص١٩٦	راجع كتاب الشعب ص٤٩١٢
١١٨٢	(٢) راجع ج١٠ص٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٦٤٣
١١٨٣	(٣) راجع ج١٧ص١٩٤	راجع كتاب الشعب ص٦٣٦٤
١١٨٢	(٤) راجع ج١٩ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٦٩٠١
١١٨٢	(٥) راجع ج١٥ص٣٠٣	راجع كتاب الشعب ص٥٧٤٧
١١٨٣	(٣) راجع ج٨ ص٣٠١	راجع كتاب الشعب ص٣١٤٠
١١٨٣	(٤) راجع ج٢٠ص٢٢٩	راجع كتاب الشعب ص٧٣١٩
١١٨٤	(١) راجع ج٢٠ص٣٧	راجع كتاب الشعب ص٧١٢٧
١١٨٤	(٢) راجع ج٧ ص٦	راجع كتاب الشعب ص٢٤٤٢
١١٨٤	(٣) راجع ج١٠ص٤٠٤	راجع كتاب الشعب ص٤٠٢١
١١٨٥	(٢) راجع ج٦ ص٤١٩	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٦

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
١١٨٥	(٣) راجع ج١٠ص٢٥	راجع كتاب الشعب ص٣١٤١
١١٨٩	(١) راجع ج٢ ص٣١٤	راجع كتاب الشعب ص٣٦٩٩
١١٩١	(٢) راجع ج٨ ص٣٥٤	راجع كتاب الشعب ص٣١٩٤
١١٩٣	(٢) راجع ج١٣ص٣	راجع كتاب الشعب ص٤٧١٩
١١٩٣	(٣) راجع ص ١٨ من هذا الجزء.	راجع كتاب الشعب ص٨٢٦
١١٩٤	(١) تقدم الكلام عليه فى ص ٣٥٠ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤١٥٨
١١٩٦	(٣) راجع ج٥ ص٢٨	راجع كتاب الشعب ص١٥٩٨
١١٩٧	(٢) راجع ج ٥ ص٣٩، ص ٨٣	راجع كتاب الشعب ص ١٦٠٩ ، ١٦٥٣ .
١٢٠٠	(٢) راجع ج١٨ص١٥٧	راجع كتاب الشعب ص٦٦٣٦
١٢٠١	(٣) راجع ج٥ ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص١٦٩٤
١٢٠٢	(١) راجع ج٧ ص١١٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥٥١
١٢٠٢	(٢) راجع ج٥ ص١٥١	راجع كتاب الشعب ص١٧٢١
١٢٠٣	(٢) راجع ج١٨ص١٥٧	راجع كتاب الشعب ص٦٦٣٦
١٢٠٤	(١) راجع ج٥ ص٤١٢	راجع كتاب الشعب ص١٩٨٢
١٢٠٤	(٢) راجع ج٨ ص٢٣٢	راجع كتاب الشعب ص٣٠٧١
١٢٠٤	(٤) راجع ج٩ ص١٧٣ فما بعد وص ٢٤٥	راجع كتاب الشعب ص٣٤٠٢ فما بعد وص ٣٤٧٤
١٢٠٥	(١) راجع ص ١٤ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٨٢٢
١٢٠٥	(٢) راجع ج١٨ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص٦٦٠٣
١٢٠٥	(٣) راجع ج٦ ص٣٠٢	راجع كتاب الشعب ص٢٧٩٩
١٠٢٧	(٢) راجع ج٨ ص١٧٨	راجع كتاب الشعب ص٣٠١٧
١٢٠٧	(٣) راجع ج١٨ص١٥٩	راجع كتاب الشعب ص٦٦٣٨
١٢٠٧	(٤) راجع ج١٦ص١٢٢	راجع كتاب الشعب ص٥٩٤٢
١٢٠٩	(٢) راجع ج٩ ص٢٤٤	راجع كتاب الشعب ص٣٤٧٣
١٢٠٩	(٣) راجع ج٦ ص١٨١ فما بعد .	راجع كتاب الشعب ص٢١٧٨
١٢١٢	(١) راجع ج٥ص١٠٤، ص٨٠، ص٣١٤، ٣٢٧	راجع كتاب الشعب ص١٦٧٤ – ص ١٦٥٠، ١٨٨٤
١٢١٤	(١) راجع ج٧ ص٣٩٦	راجع كتاب الشعب ص٢٨٠٥
١٢١٨	(٢) راجع ج٦ ص٣١	راجع كتاب الشعب ص٢٠٢٨
١٢١٨	(٣) راجع ج١٠ص٢٩٦	راجع كتاب الشعب ص٣٩١٢
١٢٢٣	(١) راجع ج٥ ص٢٧	راجع كتاب الشعب ص١٥٩٧
١٢٢٤	(٢) راجع ج٦ ص٢٨٥	راجع كتاب الشعب ص٢٢٨٢
١٢٢٤	(٣) راجع ج٥ ص٢٧٠	راجع كتاب الشعب ص١٨٤٠
١٢٢٥	(٢) على ما يأتى فى ص ٤١٨ من هذا الجزء .	على ما يأتى فى كتاب الشعب ص ١٢٢٧
١٢٢٦	(٤) راجع ج٥ ص٢٧	راجع كتاب الشعب ص١٥٩٧
١٢٢٦	(٥) راجع ج٨ ص٢٨٦	راجع كتاب الشعب ص٣١٢٥
١٢٢٧	(٣) راجع ج٩ ص٢٢٣	راجع كتاب الشعب ص٣٤٥٢
١٢٢٧	(٤) راجع ج١٣ص٢٦٧	راجع كتاب الشعب ص٤٩٨٣
١٢٢٨	(٢) راجع ج٦ ص١٥٦	راجع كتاب الشعب ص٢١٥٣
١٢٣٠	(٢) راجع ص ٩٩ من هذا الجزء.	راجع كتاب الشعب ص ٩٠٧

هامش صفحة	الخطـأ	الصواب
١٢٢١	(٢) راجع ج٨ ص٤٤	راجع كتاب الشعب ص٢٨٨٣
١٢٢١	(٥) راجع ج٤ ص٥٧	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٩
١٢٢٢	(١) راجع ص ٢٣٧ من هذا الجزء.	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥
١٢٢٥	(٢) راجع ص ٤٢١	راجع كتاب الشعب ص١٢٢٩
١٢٢٦	(١) راجع ج١٨ص٢٠٤	راجع كتاب الشعب ص٦٦٨٣
١٢٢٦	(٢) راجع ص ٣٠ من هذا الجزء.	راجع كتاب الشعب ص٨٣٨
١٢٢٦	(٣) راجع ج٩ ص٢١٠	راجع كتاب الشعب ص٣٥٣٩
١٢٢٦	(٤) راجع ج٤ ص٣١٣	راجع كتاب الشعب ص١٥٥٥
١٢٢٧	(١) راجع ج١٨ص٢٧٦	راجع كتاب الشعب ص٦٧٥٥
١٢٢٨	(٢) راجع ج٢٠ص٢٢٤	راجع كتاب الشعب ص٧٣٢٤
١٢٢٨	(٣) راجع ج٧ ص١٥٦	راجع كتاب للشعب ص٢٥٩٢
١٢٢٩	(١) راجع ج٢٠ص١٢	راجع كتاب الشعب ص٧١٠٢
١٢٤٠	(٢) راجع ج٤ ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص١٣٦٦
١٢٤٠	(٢) راجع ج٤ ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص١٣٦٦
١٢٤٠	(٣) راجع ج١٢ص٩٩	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩١
١٢٧٩	(٢) راجع الهامشة (١) ص ٢٩ من هذا الجزء	راجع الهامشة (١) من كتاب الشعب ص ١٢٧١
١٢٨٠	راجع المسألة الخامسة ج ٣ ص ٢١٣	راجع كتاب الشعب ص١٠٢١.
١٦٠٧	حيان بفتح الحاء وقد ذكر في ج٣ص٢٨٦بكسرها خطأ	ارجع إلى كتاب الشعب ص ١١٩٤ .
١٦٧٢	(٢) راجع ج٣ ص٢٠٥	راجع كتاب الشعب ص١٠١٣
١٧٢١	(٢) وسيأتي في ص ١٥٦	وسيأتي في كتاب الشعب ص ١٧٢٦ .
١٧٤٥	(١) في آية ٣٠ من هذه السورة ص ١١	في كتاب الشعب ص ١٥٨١
١٧٧٤	(١) راجع الهامشة (٢) ص ١٨٣ من هذا الجزء .	راجع الهامشة (٢) من كتاب الشعب ص ١٧٥٣
١٨٢٣	راجع ص ٥٢ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص١٦٢٣
١٩٩٨	(١) راجع ج٩ ص٦٤	راجع كتاب الشعب ص٣٢٩٢
١٩٩٨	(٢) راجع ج٢ ص٣٦٠	راجع كتاب الشعب ص٧٥٥
٢٠٠٠	(١) راجع ج٤ ص٢٠٧	راجع كتاب الشعب ص١٤٤٩
٢٠٠٠	(٣) راجع ج١٦ص٣٨	راجع كتاب الشعب ص٥٨٥٨
٢٠٠١	(١) راجع ج٢ ص٩٢	راجع كتاب الشعب ص٤٨٧
٢٠٠١	(٤) راجع ج١١ص٢٣	راجع كتاب الشعب ص٤٠٦٢
٢٠٠١	(٥) راجع ج٤ ص٢٤٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٩٠
٢٠٠١	(٣) راجع ج١٥ص٣٣٩	راجع كتاب الشعب ص٥٧٨٣
٢٠٠٤	(٤) راجع ج٢ ص٢٥	راجع كتاب الشعب ص٤١٨
٢٠٠٤	(٧) راجع ج٥ص٢٤٣ ـ ص ٣٨١	راجع كتاب الشعب ص١٨١٣ ـ ص ١٩٥١
٢٠٠٥	(١) راجع ج٤ ص٨٨	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٠
٢٠٠٥	(٢) راجع ج٤ ص١٠٠	راجع كتاب الشعب ص١٣٤٢

هامش	الخطـأ	الصواب
٢٠٠٦	(٢) راجع ج٤ ص٩٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٣٤١ وما بعدها
٢٠٠٨	(١) راجع ج٧ ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص٢٥٦٠
٢٠٠٨	(٢) راجع ج٤ ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص١٣٧٦
٢٠٠٨	(٣) راجع ص ٧٥ من هذا الجزء	راجع ص ٢٠٧٢ من كتاب الشعب.
٢٠٠٩	(٢) راجع ج ٤ ص١٦ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٢٥٨ وما بعدها
٢٠١٠	(٤) راجع ج١١ص٢١٥	راجع كتاب الشعب ص٤٢٥٥
٢٠١٠	(٥) راجع ص ٢٤٦ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٢٤٣
٢٠١٢	(٥) راجع ج٢ ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٤٢٩
٢٠١٢	(٥) راجع ج٢ ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٤٢٩
٢٠١٢	(٦) راجع ج١٤ص١٢٦	راجع كتاب الشعب ص٥٢٠٨
٢٠١٢	(٧) راجع ج٤ ص٦٢	كتاب الشعب ص ١٣٠٤
٢٠١٣	(١) راجع ج١١ص٣٣٠	راجع كتاب الشعب ص٤٣٧٠
٢٠١٤	(١) راجع ج١٠ص٢٣٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٤٦
٢٠١٤	(٢) راجع ج١١ص٢٦٤	راجع كتاب الشعب ص٤٣٠٤
٢٠١٨	(٣) راجع ج٤ ص٨٨	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٠
٢٠١٨	(٤) راجع ج١٨ص٢٠٣	راجع كتاب الشعب ص٦٦٨٢
٢٠١٨	(٥) راجع ج١٤ص٧٦	راجع كتاب الشعب ص٥١٥٨
٢٠١٨	(٧) راجع ج٢ ص١١٠	راجع كتاب الشعب ص٥٠٥
٢٠١٩	(٢) راجع ج١٦ص١٦٠	راجع كتاب الشعب ص٥٩٨٠
٢٠١٩	(٣) راجع ج١٧ص٣٠٨ - ٢٣٢	راجع كتاب الشعب ص٦٤٧٨ ـ ٦٤٠٢
٢٠١٩	(٤) راجع ج١٠ص٣٢٢	راجع كتاب الشعب ص٣٩٣٨
٢٠٢٠	(٢) سيأتي ذكر الملكانية ص ١١٨	سيأتي ذكر الملكانية في كتاب الشعب ص ٢١١٥
٢٠٢١	(١) راجع ص ١٢٩ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢١١٢
٢٠٢٢	(٣) راجع ج٩ ص٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٢٥٥
٢٠٢٣	(٣) راجع ج٤ ص١٥٩	راجع كتاب الشعب ص١٣٩٨ .
٢٠٢٤	(٢) راجع ج٤ ص١٥٦	راجع كتاب الشعب ص١١٨٣
٢٠٢٤	(٢) راجع ج٤ ص١٥٦	راجع كتاب الشعب ص١١٨٣
٢٠٢٤	(٣) راجع ج ٥ ص ٧٦ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٦٤٦ وما بعدها
٢٠٢٤	(٥) راجع ج١٥ص٣٤	راجع كتاب الشعب ص٥٤٧٨
٢٠٢٥	(٣) راجع ج٩ ص٢٤٥	راجع كتاب الشعب ص٣٤٧٤
٢٠٢٩	(١) راجع ج٨ ص٢٦٦	راجع كتاب الشعب ص٣٠٦٥
٢٠٢٩	(٢) راجع ج١٧ص١١٢	راجع كتاب الشعب ص٦٢٨٢
٢٠٢٩	(٦) راجع ج٤ ص٣٠٤	راجع كتاب الشعب ص١٥٤٦
٢٣٠١	(٢) راجع ج١٠ص٦٨ وص ١٥٢	راجع كتاب الشعب ص٣٦٨٤ وص ٣٧٦٨
٢٠٣١	(٣) راجع ج٧ ص١١١	راجع كتاب الشعب ص٢٥٤٧
٢٠٣٢	(٢) راجع ج١٨ص٩٧	راجع كتاب الشعب ص٦٥٩٦

هامش	الخطأ	الصواب
٢٠٢٢	(٣) راجع ج١٠ ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٣٦٢٥٢
٢٠٢٣	(٣) راجع ج٩ ص٣٣٤	راجع كتاب الشعب ص٣٥٦٣
٢٠٢٤	(٢) راجع ج١٢ ص٥٦	راجع كتاب الشعب ص٤٤٠٨
٢٠٣٦	(٢) راجع ج٨ ص٧١	راجع كتاب الشعب ص٢٩١٠
٢٠٣٦	(٣) راجع ج٢ ص٣٦٥	راجع كتاب الشعب ص٧٥٠
٢٠٣٦	(٤) راجع ص ٣٠١٢ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٣٠٩
٢٠٣٨	(٢) راجع ج٢٠ ص١٦٥	راجع كتاب الشعب ص٧٢٥٥
٢٠٣٩	(١) راجع ج ٨ ص ٧١ وص ١٠٣	راجع كتاب الشعب ص٢٩١٠ وص ٢٩٤٢
٢٠٤٠	(١٠) راجع ج٨ ص١٣٦	راجع كتاب الشعب ص٢٩٧٥
٢٠٤١	(١) راجع ج٨ ص٧١	راجع كتاب الشعب ص٢٩١٠
٢٠٤١	(٢) راجع ج١٨ ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص١٥٨٧
٢٠٤١	(٣) راجع ج٣ ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص٨٩٨
٢٠٤٢	(١) راجع ج٢ ص٣٥٦ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٧٤١ وما بعدها
٢٠٤٣	(٥) راجع ج١٠ ص١٢٠	راجع كتاب الشعب ص٣٧٣٦
٢٠٤٥	(٢) راجع ج٢ ص٢١٦	راجع كتاب الشعب ص٦١١
٢٠٥٤	(١) راجع ج١٢ ص٦٥	راجع كتاب الشعب ص٤٤٥٧
٢٠٥٥	(١) راجع قداح الميسر في ج ٣ ص ٥٨	راجع كتاب الشعب ص٨٦٦
٢٠٥٥	(٣) راجع ج١٤ ص٨٢	راجع كتاب الشعب ص٥١٦٤
٢٠٥٩	(٢) راجع ج٧ ص١٥٣	راجع كتاب الشعب ص٢٥٨٩
٢٠٥٩	(٣) راجع ج١٤ ص٣٢٢	راجع كتاب الشعب ص٥٤١٤
٢٠٦١	(٤) راجع ج٢ ص٢٢٤ وما بعدها ص٢٣١	راجع كتاب الشعب ص٦٣٩ وما بعدها وص ٦٢٦
٢٠٦٣	(١) راجع ج٧ ص١١٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥٥١
٢٠٦٣	(٤) راجع ج٧ ص٥	راجع كتاب الشعب ص٢٤٤١
٢٠٦٣	(٥) راجع ج١٦ ص١٦٥	راجع كتاب الشعب ص٥٩٨٥
٢٠٦٥	(١) راجع ج٧ ص٧٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥١١
٢٠٦٩	(٢) راجع ص ٢٩٩ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٢٩٦
٢٠٧٠	(١) راجع ج٧ ص٩٩	راجع كتاب الشعب ص٢٥٣٥
٢٠٧٠	(٢) راجع ج٣ ص٣٣٢	راجع كتاب الشعب ص١١٤٠
٢٠٧٠	(٣) راجع ج١٨ ص٢٩٩ وص ٨٦	راجع كتاب الشعب ص٦٧٧٨ وص ٦٥٦٥
٢٠٧١	(٣) راجع ج٧ ص٧٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥١١
٢٠٧٣	(١) راجع ج١١ ص٢٩٣	راجع كتاب الشعب ص٤٣٣٣
٢٠٧٣	(١) راجع ج٧ ص٧٤	راجع كتاب الشعب ص٢٥١٠
٢٠٧٤	(١) راجع ج٧ ص٧٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥١١
٢٠٧٤	(٣) راجع ج٧ ص١٢٤	راجع كتاب الشعب ص٢٥٦٠
٢٠٧٥	(٢) راجع ص ٢١٦ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٢١٣

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٠٧٥	(٤) راجع ج١٣ ص٤٤	راجع كتاب الشعب ص٤٧٦٠
٢٠٧٦	(١) راجع ج٣ ص٦٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٨٧٧ وما بعده
٢٠٧٦	(٢) راجع ج٥ ص١٢٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٩٠
٢٠٧٧	(٢) راجع ج٥ ص٢١٤	راجع كتاب الشعب ص١٧٨٤
٢٠٧٩	(٢) راجع ج١٠ ص١٧٤	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٠
٢٠٨٠	(٢) راجع ج٥ ص٢٠٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٧٩ وما بعدها
٢٠٨١	(٢) راجع ج٥ ص٢١٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٨٢ وما بعدها
٢٠٨٢	(١) راجع ج١ ص٣٢١	راجع كتاب الشعب ص٣٩٣٧
٢٠٨٢	(٢) راجع ج٢٠ ص١٤٤	راجع كتاب الشعب ص٧٢٣٤
٢٠٨٣	(١) راجع ج٢ ص٣٢٧	راجع كتاب الشعب ص٧١٢
٢٠٨٣	(٣) راجع ج٥ ص١٠	راجع كتاب الشعب ص١٥٨٠
٢٠٨٤	(٢) راجع ج٥ ص٢٣٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٨٠٨ وما بعدها
٢٠٨٧	(١) راجع ج١٤ ص٧	راجع كتاب الشعب ص٥٠٨٩
٢٠٨٧	(٢) راجع ج٩ ص٣٢١	راجع كتاب الشعب ص٣٥٥٠
٢٠٩١	(٢) قراءة ابن كثير ج ١٧ ص ١٦٨	راجع كتاب الشعب ص٦٣٣٨
٢٠٩١	(٣) راجع ج١٩ ص٢٩٦	راجع كتاب الشعب ص٧٠٨٩
٢١٠٠	(١) راجع ج٥ ص٢٠٤	راجع كتاب الشعب ص١٧٧٤
٢١٠١	(١) راجع ج٥ ص٢١٢	راجع كتاب الشعب ص١٧٨٢
٢١٠٢	(١) راجع ج١٣ ص٧٩	راجع كتاب الشعب ص٤٧٩٥
٢١٠٢	(٢) راجع ج٥ ص٢٢٣ وص٢٢٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٩٢ وص ١٨٥٨ .
٢١٠٢	(٣) راجع ج٣ ص٢٢٥ ففيها نقيض هذا	راجع كتاب الشعب ص١٠٣٣
٢١٠٣	(٢) راجع ج٥ ص٢٣٦ وص ٢٣٨ ومابعدها	راجع كتاب الشعب ص١٨٠٦ وص ١٨٠٨
٢١٠٥	(٢) راجع ج١٢ ص٩٩	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩١
٢١٠٥	(٣) راجع ج٧ ص٣١٣	راجع كتاب الشعب ص٢٧٤٩
٢١٠٦	(١) راجع ج١٦ ص٢٦٧ وص ٢٧٤	راجع كتاب الشعب ص٦٠٨٧ وص ٦٠٩٤
٢١٠٦	(٣) راجع ج٥ ص٤١٠	راجع كتاب الشعب ص١٩٨٠
٢١٠٧	(٢) راجع ص ٤٤ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢٠٤١
٢١٠٧	(٣) راجع ج١٤ ص١٠٣	راجع كتاب الشعب ص٥١٨٥
٢١٠٨	(٢) راجع ج٥ ص٣٧٢	راجع كتاب الشعب ص١٩٤٢
٢١١٠	(٢) راجع ج١٨ ص٥٣	راجع كتاب الشعب ص٦٥٣٢
٢١١١	(١) راجع ج١٨ ص٣٠٥	راجع كتاب الشعب ص٦٧٨٤
٢١١١	(٢) راجع ج٤ ص٦٩	راجع كتاب الشعب ص١٣١١
٢١١٣	(٣) راجع ج٨ ص٣١	راجع كتاب الشعب ص٢٨٧٠
٢١١٥	(١) راجع ص ١٧ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٠١٣

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢١١٦	(١) راجع جـ٤ ص٤٣	راجع كتاب الشعب ص١٢٨٥
٢١١٦	(٢) راجع ص ٢١ وما بعدها من هذا الجزء	راجع ص ٢٠١٧ ومابعدها من كتاب الشعب .
٢١١٩	(١) راجع جـ١٥ص١٣	راجع كتاب الشعب ص٥٤٥٧
٢١١٩	(٢) راجع هامش ص ١٦ من هذا الجزء .	راجع هامش ص ٢٠١٢ من كتاب الشعب .
٢١٢٥	(٢) راجع جـ١٦ص١٢٦	راجع كتاب الشعب ص٥٩٤٦
٢١٢٧	(٢) راجع جـ٤ ص٢٥٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٤٩٦
٢١٣٣	(١) راجع جـ٥ ص٢	راجع كتاب الشعب ص١٥٧٢
٢١٣٣	(٢) راجع جـ٢ ص٦٢ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٥٧
٢١٣٤	(٢) راجع جـ١٣ص٣٣٠	راجع كتاب الشعب ص٥٤٠٦
٢١٣٤	(٣) راجع جـ١٠ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص٣٧٠٦
٢١٣٤	(٤) راجع ص ٢٩ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢٠٢٥
٢١٣٤	(٥) راجع جـ١٣ص٩٣	راجع كتاب الشعب ص٤٨٠٩
٢١٣٩	(٣) راجع جـ١٥ص٣٥٥	راجع كتاب الشعب ص٥٧٩٩
٢١٤٠	(٣) راجع جـ١٩ص٢١٥	راجع كتاب الشعب ص٧٠٠٨
٢١٤٤	(٢) راجع جـ٣ ص٢٨٣	راجع كتاب الشعب ص١٩٠١
٢١٤٦	(٢) راجع جـ٧ ص٤٠١	راجع كتاب الشعب ص٢٨٣٧
٢١٤٧	(٢) راجع جـ٢ ص٣٥٤	راجع كتاب الشعب ص٧٣٩
٢١٤٧	(٣) راجع جـ٣ ص٢٤٠	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٨
٢١٥٤	(١) راجع جـ١٩ص٥٠	راجع كتاب الشعب ص٦٨٤٣
٢١٥٥	(١) راجع جـ٥ ص٣٨٥	راجع كتاب الشعب ص١٩٥٥
٢١٥٥	(٣) راجع جـ٨ ص٣٨٣	راجع كتاب الشعب ص٣٢٢٢
٢١٦٠	(١) راجع جـ٢ ص٣٥٤	راجع كتاب الشعب ص٧٣٩
٢١٦١	(٢) راجع جـ١٩ص١٥٨	راجع كتاب الشعب ص٦٩٥١
٢١٧١	(١) راجع جـ١٨ص١١٨	راجع كتاب الشعب ص٦٦٦٧
٢١٧١	(٢) راجع جـ٥ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص١٦٤٣
٢١٧٢	(٢) راجع جـ١٢ص١٥٩	راجع كتاب الشعب ص٤٥٥١
٢١٧٧	(٣) راجع ص ٨٨ ، ص ٣٤٩ من هذا الجزء .	راجع ص ٢٠٨٥ ، ص ٢٣٤٦
٢١٧٨	(١) راجع جـ١٢ص٣٠٦	راجع كتاب الشعب ص٤٦٩٨
٢١٧٨	(٢) راجع جـ١٤ص٢٤٥	راجع كتاب الشعب ص٥٣٢٧
٢١٧٨	(٣) راجع جـ١٧ص٦٤ ، ص ٣٥	راجع كتاب الشعب ص٦٢٣٤ وص ٦٢٠٥
٢١٧٨	(٤) راجع جـ١٨ص٥٣	راجع كتاب الشعب ص٦٥٣٢
٢١٧٩	(١) راجع جـ١١ص٢١١	راجع كتاب الشعب ص٤٢٥١
٢١٨٢	(٢) راجع ص ٣٧ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢٠٣٤
٢١٨٣	(٣) راجع جـ٨ ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٢٩١١
٢١٨٣	(١) راجع جـ٨ ص١٠٩	راجع كتاب الشعب ص٢٩٤٨
٢١٨٤	(١) راجع جـ٥ ص١١٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٨٠
٢١٨٦	(١) راجع جـ٤ ص١٢٢	راجع كتاب الشعب ص١٣٦٤
٢١٨٦	(٣) راجع جـ٩ ص٢٤٥	راجع كتاب الشعب ص٢٤٧٤
٢١٨٨	(١) راجع جـ٢، ص٢٤٤ وص ٢٤٦	راجع كتاب الشعب ص٦٣٩ وص ٦٤١
٢١٨٩	(١) راجع جـ٢ ص٢٤٤	راجع كتاب الشعب ص٦٣٩
٢١٨٩	(٣) راجع ص ١٤٨ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢١٤٥
٢١٩٨	(٢) راجع جـ٢ ص٢٤٤ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٣٩
٢١٩٩	(١) راجع جـ١١ص١٦ فما بعد .	راجع كتاب الشعب ص٤٠٥٥ فما بعد .
٢١٩٩	(٣) راجع جـ٢ ص٣٥٤	راجع كتاب الشعب ص٧٣٩
٢١٩٩	(٤) راجع جـ ١٠ ص٢٠٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨١٦
٢٢٠٨	(١) راجع جـ٢ ص٣٤	راجع كتاب الشعب ص٤١٧
٢٢٠٩	(٢) راجع جـ٢ ص٢٨٠	راجع كتاب الشعب ص٩٧٥
٢٢١٠	(١) راجع جـ٣ ص٤٠	راجع كتاب الشعب ص٨٤٨
٢٢١٠	(٢) راجع جـ٧ ص٤٠٤ وص ٣٥١ جـ ٢	راجع كتاب الشعب ص٢٨٤٠ ص ٧٤٦
٢٢١٠	(٣) راجع جـ١٨ص٥٦	راجع كتاب الشعب ص٦٥٣٥
٢٢١٠	(٤) راجع جـ٨ ص٣٧٠	راجع كتاب الشعب ص٣٢٠٩
٢٢١٠	(٦) راجع جـ١٦ص١٠٧	راجع كتاب الشعب ص٥٩٢٧
٢٢١٣	(٣) راجع جـ٤ ص١٨٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٣٠
٢٢١٤	(١) راجع جـ٩ ص١٠٧	راجع كتاب الشعب ص٣٢٣٥
٢٢١٤	(٢) راجع جـ٤ ص٥٧ وص ١٧٨	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٩ وص ١٤٢٠
٢٢١٧	(٢) راجع جـ١٦ص٢٩٢	راجع كتاب الشعب ص٦١١٢
٢٢١٧	(٣) راجع جـ٤ ص٥٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٣٠١ وما بعدها
٢٢١٨	(٣) راجع جـ١٤ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٥١١٨
٢٢١٨	(٢) راجع جـ٤ ص١٧٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٢٠
٢٢١٨	(٤) راجع جـ١٥ص٣٥٩	راجع كتاب الشعب ص٥٨٠٣
٢٢٣١	(١) راجع جـ١٩ص٢٩٢	راجع كتاب الشعب ص٧٠٨٥
٢٢٣١	(٣) راجع جـ١٢ص٩٥	راجع كتاب الشعب ص٤٤٨٧
٢٢٣٢	(١) راجع جـ٣ ص٢٨١ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٠٨٩
٢٢٣٣	(١) راجع هامش جـ ٤ ص١ فضبط (الرؤاسى)	راجع الهامش ص ١٢٤٣ من كتاب الشعب .
٢٢٣٣	(٥) راجع جـ١٦ص٣٤٨	راجع كتاب الشعب ص٦١٦٨
٢٢٣٣	(٢) راجع جـ٤ ص٤٧	راجع كتاب الشعب ص١٢٨٩
٢٢٣٥	(٢) راجع جـ٣ ص٢٣٧ وص ٢٠٤ .	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥ وص ١٠١٢
٢٢٣٥	(٣) راجع جـ١٠ص٢٤٩	راجع كتاب الشعب ص٢٨٦٥
٢٢٣٥	(٤) راجع جـ١٥ص٢١٢ و١٥٨و٥٥	راجع كتاب الشعب ص٥٦٥٦ وص٥٦٠٢ وص٥٦٧٢
٢٢٣٥	(٥) راجع جـ٤ ص١١٢	راجع كتاب الشعب ص١٣٥٤
٢٢٣٦	(٤) راجع جـ١٦ص٢١٩	راجع كتاب الشعب ص٦١١٨
٢٢٣٦	(٥) راجع جـ٢٠ص٢٣٤	راجع كتاب الشعب ص٧٣٢٤
٢٢٣٦	(٧) راجع جـ١٤ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص٥١٥٥
٢٢٣٧	(٣) راجع جـ٣ ص٢٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٢٣٧	(٣) راجع جـ٣ ص٢٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥
٢٢٣٧	(٥) راجع جـ١٨ص٣٥	راجع كتاب الشعب ص٦٥١٤
٢٢٣٧	(٢) راجع جـ١٨ص١٥٩	راجع كتاب الشعب ص٦٦٣٨
٢٢٣٨	(٣) راجع جـ١٩ص١٦	راجع كتاب الشعب ص٦٨٠٩
٢٢٣٨	(٤) راجع جـ٧ ص٢٥٢	راجع كتاب الشعب ص٢٦٨٩
٢٢٣٨	(٥) راجع جـ٩ ص٣٤٢	راجع كتاب الشعب ص٣٥٧١
٢٢٣٩	(٢) راجع جـ٨ ص٤٢	راجع كتاب الشعب ص٢٨٨١
٢٢٤٠	(٢) راجع ص ١١١من هذا الجزء وجـ ٥ص٣٧٢	راجع ص ٢١٠٨ ، ص ١٩٤٢ من كتاب الشعب
٢٢٤١	(٤) راجع جـ٩ ص٣٦٧	راجع كتاب الشعب ص٣٥٩٦
٢٢٤١	(٥) راجع ص ٣٢٧ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢٣٢٤
٢٢٤٢	(١) راجع جـ٢٠ص١٢٢	راجع كتاب الشعب ص٧٢١٢
٢٢٤٢	(٢) راجع جـ٤ ص٢٨٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٥٢٦ وما بعدها
٢٢٤٥	(٤) راجع جـ١١ص٢٦٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٣٠٨
٢٢٤٦	(١) راجع جـ ٤ ص ٨٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٠
٢٢٤٧	(١) راجع ص ٢٣ وما بعدها من هذا الجزء .	راجع ص ٢٠١٩ ومابعدها من كتاب الشعب .
٢٢٤٧	(٣) راجع جـ٢ ص١٩٠	راجع كتاب الشعب ص٥٨٥
٢٢٤٨	(١) راجع جـ٤ ص٨٢ وما بعدها .	راجع كتاب الشعب ص١٣٢٤ وما بعدها .
٢٢٤٩	(٢) راجع ص ٢١ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٧
٢٢٤٩	(٣) راجع جـ٢ ص٢٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤١٧ فما بعدها
٢٢٥٣	(٣) راجع جـ١٣ص٢٩٦	راجع كتاب الشعب ص٥٠١٢
٢٢٥٦	(١) راجع جـ١٥ص٢٤٨	راجع كتاب الشعب ص٥٦٩٢
٢٢٥٦	(٢) راجع جـ٧ ص٢٦٥	راجع كتاب الشعب ص٢٨٠١
٢٢٥٦	(٣) راجع جـ٢ ص١٥٣	راجع كتاب الشعب ص٥٤٨
٢٢٥٦	(٤) راجع جـ١١ص٣٤٩	راجع كتاب الشعب ص٤٣٨٩
٢٢٦٠	(٣) راجع جـ١٨ص١٧٧	راجع كتاب الشعب ص٦٦٥٦
٢٢٦٠	(٤) راجع جـ٧ ص١٨٩	راجع كتاب الشعب ص٢٦٢٥
٢٢٦١	(٢) راجع جـ٣ ص٩٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٩٠٧ وما بعدها
٢٢٦٣	(٣) راجع جـ١٦ص٢٧٧	راجع كتاب الشعب ص٦٠٤٧
٢٢٦٣	(٤) راجع جـ١١ص١١٣	راجع كتاب الشعب ص٤١٥٢
٢٢٦٣	(٥) راجع جـ١٥ص٣٥٩	راجع كتاب الشعب ص٥٨٠٣
٢٢٦٤	(١) راجع جـ١٠ص٦١	راجع كتاب الشعب ص٣٦٧٧
٢٢٦٤	(٢) راجع جـ٨ ص١١٦	راجع كتاب الشعب ص٢٩٢٥
٢٢٦٥	(١) راجع جـ٣ ص٩٦	راجع كتاب الشعب ص٩٠٤
٢٢٦٥	(٣) راجع جـ٤ ص١١٩	راجع كتاب الشعب ص١٣٦١
٢٢٦٦	(١) راجع جـ٥ ص١٠٢	راجع كتاب الشعب ص١٦٧٣
٢٢٧٠	(١) راجع جـ١٣ص٧٥	راجع كتاب الشعب ص٤٧٩١

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٢٧١	(٩) راجع جـ١٥ص٢١٠٢	راجع كتاب الشعب ص٥٩٥٦
٢٢٧٤	(١) راجع ص ٢٩٦ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٢٩٣
٢٢٧٢	(٢) راجع جـ١٩ص١٢٥	راجع كتاب الشعب ص٦٩١٨
٢٢٧٢	(٣) راجع جـ٢ ص١٥٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٤٨
٢٢٧٧	(٣) راجع جـ٤ ص٦٥	راجع كتاب الشعب ص١٣٠٧
٢٢٧٩	(١) راجع جـ٣ ص٩٦	راجع كتاب الشعب ص٩٠٤
٢٢٨٠	(١) راجع جـ٢ ص٣٢٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٧١٧ وما بعدها
٢٢٨٣	(١) راجع جـ ٣ من ٥١-٥٢	راجع كتاب الشعب ص٨٥٩، ٨٦٠
٢٢٨٣	(٢) راجع جـ٨ ص٣٣٥	راجع كتاب الشعب ص٣١٧٤
٢٢٨٣	(٣) راجع جـ٥ ص١٩٩	راجع كتاب الشعب ص١٧٦٩
٢٢٨٥	(١) راجع جـ٧ ص١١٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥٥١
٢٢٨٦	(٢) راجع جـ١٢ص٥٣	راجع كتاب الشعب ص٤٤٤٥
٢٢٨٩	(٢) راجع جـ٢ ص١٤٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٤٣
٢٢٨٩	(٣) راجع جـ٣ ص٥١ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٨٥٩ وما بعدها
٢٢٨٩	(٤) راجع ص ٥٧ وما بعدها من هذا الكتاب	راجع كتاب الشعب ص٢٠٥٤ وما بعدها
٢٢٨٩	(٧) راجع جـ٥ ص٢٠٠	راجع كتاب الشعب ص١٧٧٠
٢٢٩٠	(٣) راجع جـ٢ ص١٥٧	راجع كتاب الشعب ص٥٥٢
٢٢٩٢	(٢) راجع جـ١٠ص١٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٧٤٣
٢٢٩٣	(٢) راجع جـ٣ ص٢٥٢	راجع كتاب الشعب ص١٠٦٠
٢٢٩٣	(٣) راجع جـ٧ ص١٩٥	راجع كتاب الشعب ص٢٩٣٦
٢٢٩٧	(٢) راجع ص ٩٥ ما بعد من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٢٠٦٢ وما بعدها
٢٣٠٦	(١) راجع جـ٧ ص٧٨	راجع كتاب الشعب ص٢٥١٤
٢٣٠٦	(٢) راجع جـ١٦ص٧	راجع كتاب الشعب ص٥٨٢٧
٢٣١٤	(١) راجع جـ١٦ص١٥١	راجع كتاب الشعب ص٥٩٧١
٢٣١٤	(٢) راجع جـ١٠ص١٩٣	راجع كتاب الشعب ص٣٨٠٩
٢٣٢٢	(٥) راجع جـ١٣ص٣٦٣	راجع كتاب الشعب ص٥٠٧٩
٢٣٢٣	(٤) راجع جـ٨ ص١٣٢ فما بعدها .	راجع كتاب الشعب ص٢٩٧١ وما بعدها
٢٣٢٣	(٦) راجع جـ١٢ص٢٩٧	راجع كتاب الشعب ص٤٦٨٩
٢٣٢٥	(١) راجع جـ٧ ص٢٣١	راجع كتاب الشعب ص٢٦٦٧
٢٣٢٥	(٢) راجع جـ١٥ص١٩١	راجع كتاب الشعب ص٥٦٣٥
٢٣٢٥	(٣) راجع جـ١٦ص١٦٥	راجع كتاب الشعب ص٥٩٨٥
٢٣٢٧	(٤) راجع جـ٤ ص١٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٣٧٩
٢٣٢٩	(٢) راجع جـ١٦ص٣٣٠	راجع كتاب الشعب ص٦١٥٠
٢٣٢٩	(٤) راجع جـ١٠ص٥	راجع كتاب الشعب ص٣٦٢١
٢٣٢٩	(١) راجع جـ٣ ص٤٠	راجع كتاب الشعب ص٨٤٨
٢٣٣٠	وص ٨٠	وص ٨٨٨

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٣٣٠	(٤) راجع ج١٢ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٠
٢٣٣١	(١) راجع ج١٨ص١٦٢	راجع كتاب الشعب ص٦٦٤١
٢٣٣٢	(٣) راجع ج١٠ص١٠٨ وج ١١ ص ٢٧٢	راجع كتاب الشعب ص٣٧٢٤ وص ٤٣١٢
٢٣٣٣	(١) راجع ج١١ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٤٣١٨
٢٣٣٣	(٢) راجع ج١٦ص٦١	راجع كتاب الشعب ص٥٨٨١
٢٣٣٥	(٢) راجع ج٧ ص٩٥	راجع كتاب الشعب ص٢٥٣١
٢٣٣٥	(٣) راجع ج٨ ص٣٥٤	راجع كتاب الشعب ص٣١٩٣
٢٣٣٩	(١) راجع ج٢ ص٢١٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٠٥
٢٣٤١	(١) راجع ج١٩ص٨٥	راجع كتاب الشعب ص٦٨٧٨
٢٣٤١	(٢) راجع ج٧ ص١٥٧	راجع كتاب الشعب ص٢٥٩٣
٢٣٤٤	(٤) راجع ج٤ ص٤٠	راجع كتاب الشعب ص١٢٨٢
٢٣٤٤	(٥) راجع ج٦ ص١٩	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٥
٢٣٤٤	(٦) راجع ج٩ ص١٧٢	راجع كتاب الشعب ص٣٤٠١
٢٣٤٥	(٢) راجع ج١٤ص٣٠٢	راجع كتاب الشعب ص٥٣٨٤
٢٣٤٥	(٣) راجع ج١١ص٢٤	راجع كتاب الشعب ص٤٠٦٣
٢٣٤٥	(٥) راجع ج١٠ص١٧٤	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٠
٢٣٤٥	(٦) راجع ج١٨ص١٤٨	راجع كتاب الشعب ص٦٦٢٧
٢٣٤٥	(٧) راجع ج١٧ص١٧٨	راجع كتاب الشعب ص٦٣٤٨
٢٣٤٦	(٢) راجع ج١٤ص١٢١	راجع كتاب الشعب ص٥٢٠٣
٢٣٤٧	(٢) راجع ج٣ ص٣٩٥ وص ١٥٧ ج١٨	راجع كتاب الشعب ص١٢٠٣ وص ٦٦٣٦
٢٣٥١	(١) راجع ج٨ ص٣٥١	راجع كتاب الشعب ص٣١٩٠
٢٣٥١	(٢) راجع ج١١ص٢٩٦	راجع كتاب الشعب ص٤٣٣٦
٢٣٥٣	(٤) راجع ج٩ ص٣١٠	راجع كتاب الشعب ص٣٥٣٩
٢٣٥٤	(٢) راجع ج٥ ص٥٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٢٠
٢٣٥٥	(١) راجع ج١٠ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٣٩٩٥
٢٣٥٦	(١) راجع ج١٢ص٢٥٥	راجع كتاب الشعب ص٤٦٤٧
٢٣٥٦	(٢) راجع ج٢ ص٤١	راجع كتاب الشعب ص٤٣٤
٢٣٥٧	(١) راجع ج١٢ص١٨٢	راجع كتاب الشعب ص٤٥٧٤
٢٣٥٩	(٤) راجع ج٢ ص٢٤	راجع كتاب الشعب ص٤١٧
٢٣٦٠	(١) راجع ص ٢٢ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٨
٢٣٦٠	(٢) راجع ج٢ ص٤٤	راجع كتاب الشعب ص٤٣٧
٢٣٦٠	(٣) راجع ج٤ ص٩٠ وص ٩٧ومابعدها	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٢ وص ١٣٣٩
٢٣٦٠	(٤) راجع ج١٠ص١٣٣	راجع كتاب الشعب ص٣٧٤٩
٢٣٦٠	(٥) راجع ج١١ص٢٥٠	راجع كتاب الشعب ص٤٢٩٠
٢٣٦٠	(٦) راجع ج٢٠ص١٤٩	راجع كتاب الشعب ص٧٢٣٩
٢٣٦١	(١) راجع ج١٨ص٨٩	راجع كتاب الشعب ص ٦٥٦٨
٢٣٦١	(٣) راجع ج٧ ص٢٧٣	راجع كتاب الشعب ص٢٧٠٩
٢٣٦٢	(١) راجع ج٣ ص٢٩٧	راجع كتاب الشعب ص١١٠٥
٢٣٦٣	(١) راجع ج٩ ص٢٤٦	راجع كتاب الشعب ص٣٤٧٥
٢٣٦٤	(٢) راجع ج١٠ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص٣٧٠٦

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٣٦٤	(٣) راجع ج١٨ص٢٧٠	راجع كتاب الشعب ص٦٧٤٩
٢٣٦٤	(٤) راجع ج٢٠ص٤	راجع كتاب الشعب ص٧٠٩٤
٢٣٧٢	(١) راجع ج١٤ص٣١٤	راجع كتاب الشعب ص٥٣٩٦
٢٣٧٢	(٢) راجع ج٧ ص٢٠٩	راجع كتاب الشعب ص٢٦٤٥
٢٣٧٣	(١) راجع ج١٥ص١٥١	راجع كتاب الشعب ص٥٥١٥
٢٣٧٤	(١) راجع ج١٥ص٢٦٠	راجع كتاب الشعب ص٥٧٠٤
٢٣٧٤	(٢) راجع ج٧ ص٥	راجع كتاب الشعب ص٢٤٤١
٢٣٧٤	(٣) راجع ج٤ ص٩٩	راجع كتاب الشعب ص١٣٤١
٢٣٧٦	(٢) راجع ج٩ ص٣٦٨	راجع كتاب الشعب ص٣٥٩٧
٢٣٨٠	(١) راجع ج١٠ص٣٤٤	راجع كتاب الشعب ص٣٩٦٠
٢٣٨٠	(٣) راجع ج٧ ص٩٦	راجع كتاب الشعب ص٢٥٣٢
٢٣٨٣	(١) راجع ج٧ ص٧٨	راجع كتاب الشعب ص٢٥١٤
٢٣٨٣	(٢) راجع ج١٢ص١١	راجع كتاب الشعب ص٤٤٠٣
٢٣٨٤	(٢) راجع ج٢ ص٢٠٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٩٧
٢٣٨٥	(١) راجع ج١١ص٢١٠	راجع كتاب الشعب ص٤٢٥٠
٢٣٨٥	(٢) راجع ج١٢ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٠
٢٣٨٥	(٧) راجع ج١٠ص٢٨٦	راجع كتاب الشعب ص٣٩٠٢
٢٣٨٦	(٤) راجع ج١٧ص٩٢	راجع كتاب الشعب ص٦٢٦٢
٢٣٨٩	(١) راجع ج٨ ص٣٢٤	راجع كتاب الشعب ص٣١٦٣
٢٣٨٩	(٣) راجع ج١٦ص٩٨	راجع كتاب الشعب ص٥٩١٨
٢٣٩٠	(٣) راجع ج١٠ص٣٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٩٤٣
٢٣٩١	(٣) راجع ج١٤ص٣٥٧	راجع كتاب الشعب ص٥٤٣٩
٢٣٩٢	(٢) راجع ج٩ ص١٨٦	راجع كتاب الشعب ص٣٤١٥
٢٣٩٤	(١) راجع ج١٧ص٥٥	راجع كتاب الشعب ص٦٢٢٥
٢٣٩٦	(٢) راجع ص ٢٤٢ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٢٣٩
٢٣٩٧	(٢) راجع ١٠ص٣٤٢	راجع كتاب الشعب ص٣٩٥٨
٢٣٩٧	(٣) راجع ج١١ص٢٠٥	راجع كتاب الشعب ص٤٢٤٥
٢٣٩٧	(٥) راجع ج٧ ص١٢٩	راجع كتاب الشعب ص٢٥٦٥
٢٣٩٧	(٦) راجع ج٢ ص١٦٢ وما بعدها .	راجع كتاب الشعب ص٥٥٧
٢٣٩٨	(٣) راجع ج٥ ص١٩٨	راجع كتاب الشعب ص١٧٦٨
٢٤٠٠	(٢) راجع ج٣ ص٣٤٧	راجع كتاب الشعب ص١١٥٥
٢٤٠٣	(٣) راجع ج١٦ص٢٢٠	راجع كتاب الشعب ص٦٠٤٠
٢٤٠٣	(٤) راجع ج١٣ص٢٩٩	راجع كتاب الشعب ص٥٠١٥
٢٤٠٤	(٣) راجع ج٥ ص٢٠٦	راجع كتاب الشعب ص١٧٧٦
٢٤٠٧	(٢) راجع ج١٥ص٢٦٤	راجع كتاب الشعب ص٥٧٠٨
٢٤٠٧	(٣) راجع ج١٠ص١٩٩	راجع كتاب الشعب ص٣٨١٥
٢٤١١	(٣) راجع ج١٧ص٢٥٥	راجع كتاب الشعب ص٦٤٢٥
٢٤١٣	(١) راجع ج١٣ص٣٢٠ وص ٣٦١	راجع كتاب الشعب ص٥٠٣٦ وص ٥٩٧٧
٢٤١٤	(١) راجع ج٩ ص٣٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٥٥٦

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٤١٤	(٢) راجع جـ١٥ ص٣٢٢ وص ١٣٩	راجع كتاب الشعب ص٥٧٦٦ وص ٥٥٨٣
٢٤١٤	(٣) راجع جـ١٧ ص٣٠٦	راجع كتاب الشعب ص٦٤٧٦
٢٤١٦	(٢) راجع جـ٢ ص١٩٦	راجع كتاب الشعب ص٥٩١
٢٤١٦	(٣) راجع جـ١٠ ص١٥١ وص ٢٢٩	راجع كتاب الشعب ص٣٧٦٧ وص ٣٨٤٥
٢٤١٧	(١) راجع جـ١٠ ص١٦٤ وص ١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٣٧٨٠ وص ٣٧٢٤
٢٤١٧	(٢) راجع جـ١٨ ص١٧	راجع كتاب الشعب ص٦٤٩٦
٢٤١٧	(٣) راجع ص ٦١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٠٥٨
٢٤١٨	(٣) راجع جـ١٩ ص ٢٢٧ وص ١٨٦	راجع كتاب الشعب ص٧٠٢٠ وص ٦٩٧٩
٢٤٢٠	(١) راجع جـ١١ ص٢٥١	راجع كتاب الشعب ص٤٢٩١
٢٤٢١	(١) راجع جـ١١ ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٤٣١٨
٢٤٢١	(٢) راجع جـ١٢ ص١٢٧	راجع كتاب الشعب ص٤٥١٩
٢٤٢١	(٣) راجع جـ٣ ص٣٢٠	راجع كتاب الشعب ص١١٢٨
٢٤٢١	(٤) راجع جـ٢ ص٢١٥	راجع كتاب الشعب ص٦١٠
٢٤٢١	(٥) راجع ص ٢٦٣ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٢٦٠
٢٤٢١	(٦) راجع جـ٧ ص١٩٥	راجع كتاب الشعب ص٢٦٣١
٢٤٢٢	(١) راجع جـ٣ ص٤١٧ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٢٢٥
٢٤٢٢	(٣) راجع جـ١٥ ص٣٢٦	راجع كتاب الشعب ص٥٧٧٠
٢٤٢٣	(١) راجع جـ٧ ص٣٢٩	راجع كتاب الشعب ص٢٧٦٥
٢٤٢٥	(١) راجع جـ٥ ص٢٤١	راجع كتاب الشعب ص١٨١١
٢٤٢٥	(٢) راجع جـ٨ ص١٩٣	راجع كتاب الشعب ص٣٠٣٢
٢٤٢٦	(١) راجع جـ١٦ ص٢٢٢	راجع كتاب الشعب ص٦٠٤٢
٢٤٢٦	(٢) راجع جـ١٤ ص٦٢	راجع كتاب الشعب ص٥١٤٤
٢٤٢٦	(٣) راجع جـ٧ ص٢٥٣	راجع كتاب الشعب ص٢٦٨٩
٢٤٢٧	(٣) راجع جـ٧ ص١٧١	راجع كتاب الشعب ص٢٦٠٧
٢٤٢٧	(٤) راجع جـ١١ ص٣٠٩	راجع كتاب الشعب ص٤٣٤٩
٢٤٢٨	(١) راجع جـ١١ ص٢٨١	راجع كتاب الشعب ص٤٣٢١
٢٤٢٨	(٢) راجع جـ١٤ ص٢٩٥	راجع كتاب الشعب ص٥٣٧٧
٢٤٢٨	(٣) راجع جـ٣ ص٢٧٣	راجع كتاب الشعب ص١٠٨١
٢٤٢٩	(١) راجع جـ١٧ ص١٦٤	راجع كتاب الشعب ص٦٣٣٤
٢٤٢٩	(٢) راجع جـ٩ ص٣١٠	راجع كتاب الشعب ص٢٥٣٩
٢٤٣٠	(١) راجع جـ١٠ ص٢٩٠	راجع كتاب الشعب ص٤٠٠٧
٢٤٣١	(١) راجع جـ١٥ ص٢٧٦	راجع كتاب الشعب ص٥٧٢٠
٢٤٣١	(٤) راجع جـ١٥ ص٢٧٦	راجع كتاب الشعب ص٥٦٢٠
٢٤٣٢	(١) راجع جـ٥ ص٩٢	راجع كتاب الشعب ص١٦٦٢
٢٤٣٤	(١) راجع جـ١٠ ص١٥٩	راجع كتاب الشعب ص٣٧٧٥
٢٤٣٤	(٢) راجع جـ٧ ص٢٨٢	راجع كتاب الشعب ص٢٧١٨
٢٤٣٤	(٣) راجع جـ٤ ص١٥٤	راجع كتاب الشعب ص١٣٩٦
٢٤٣٥	(٢) راجع جـ١٤ ص٣١٢	راجع كتاب الشعب ص٥٣٩٥
٢٤٣٥	(٤) راجع جـ٤ ص٥٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٢٠

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٢٤٣٦	(١) راجع جـ١٠ ص ٣٢٧	راجع كتاب الشعب ص٣٩٤٣
٢٤٣٦	(٢) راجع جـ٧ ص٢٩٨	راجع كتاب الشعب ص٢٨٣٤
٢٤٣٦	(٣) راجع جـ٩ ص١١٩	راجع كتاب الشعب ص٣٣٤٨
٢٤٧٠	آية ١٣٠ سورة البقرة جـ ٢ ص ١٣٢	راجع كتاب الشعب ص٥٢٧
٢٦٢٤	(١) آية ٥٠ سورة الأنعام ص٢٤ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٤٧٨
٢٧١٥	(١) آية ١٠٣ ص ٥٤ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٤٩٠
٢٧٤٠	(٣) راجع جـ٦ ص١٢٠	راجع كتاب الشعب ص٢١١٧
٢٧٤٨	(١) راجع آية ١٥٤ وما بعدها جـ ٦ ص ٧	راجع كتاب الشعب ص٢٠٠٣
٢٧٦٣	(٤) آية ٥٥ ص ٢٢٣ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٩
٢٧٦٦	(٤) راجع ص ٢٣ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٤٥٩
٢٧٨٩	(١) راجع ص ٥٧ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٤٩٣
٢٧٩١	(١) آية ٥ من هذه السورة ص ٢٢٣ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٩
٢٨٠٧	(٣) راجع جـ٤ ص١٩٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٤٠
٢٩٣٩	(١) راجع المسألة الموفية العشرين ص١٨ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٨٥٧
٣٠٤٢	(١) راجع جـ٦ ص٣٤٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٣٣٩
٣٠٨٥	(٤) راجع جـ٣ ص٣٢١ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١١٢٩
٣١٧٨	(١) راجع المسألة الثانية عشرة جـ٦ ص٢٩١	راجع كتاب الشعب ص٢٢٨٨
٣٢٢٢	(١) آية ٣٣ ص ٣٤٠ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣١٧٩
٣٢٢٧	(١) راجع جـ٧ ص٢٨	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦٤
٣٢٨٣	(١) تقدم شرح البيت فى هامش جـ٦ ص١٤	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٠
٣٤٥٨	(١) البيت تقدم فى ص ١٧٨ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٤٠٧
٣٥٠٤	(٢) راجع ص ٢٤١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣١٧٠
٣٦٥٠	(٥) راجع جـ٥ ص٦٩ وص ٣٧٥	راجع كتاب الشعب ص١٦٣٩ وص ١٩٤٥
٣٦٩٤	(١) راجع جـ٧ ص١١٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٥٥١ وما بعدها
٣٧٠٥	(٣) راجع جـ٢ ص١٩٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٨٩
٣٧١٥	(٢) راجع جـ٨ ص٢٨	راجع كتاب الشعب ص٢٨٦٧

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٣٧١٥	(٣) راجع ج٧ ص١٤٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٥٨٠
٣٧٦١	(١) راجع ج٩ ص٦٨	راجع كتاب الشعب ص٣٢٩٦
٣٧٦٥	(١) آية ١٠٦ من هــذه السورة ص١٨٠ ومابعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٦ وما بعدها
٣٧٦٦	(١) راجع ج٩ ص١١٧	راجع كتاب الشعب ص٣٣٤٥
٣٧٩٢	(٢) راجع ج٧ ص٤٨	راجع كتاب الشعب ص٢٤٨٤
٣٧٩٨	(١) آية ٢٨ من سورة آل عمران ص ٥٧	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٩
٣٧٩٨	(٢) آية ٩٧ من سورة سورة النساء ج ٥ ص٣٤٥	راجع كتاب الشعب ص١٩١٥
٣٨٠٨	(٢) راجع ص ١٨٠ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٦
٣٨١٢	(١) راجع ص ١٢٠من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٧٣٦
٣٨١٣	(٤) راجع ج٥ ص٩٢	راجع كتاب الشعب ص١٦٦٢
٣٨١٤	(١) راجع المسألةالخامسة ج٢ ص٨٦، ج٣ص٢١٣	راجع كتاب الشعب ص١٤٨١، ص ١٠٢١
٣٨١٤	(٢) ذكر فى الأنعام فى موضعين (ج ٧ ص ٢٨ وص ١٥٢) وإنما تكلم عليه فى سورة البقرة . ج ٢ ص ١٣٩ .	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦٤ وص ٢٥٨٨ ص ٥٣٤
٣٨٢٧	(١) راجع ج٩ ص٢٢٤	راجع كتاب الشعب ص٢٢٢١
٣٨٢٧	(٢) راجع ج٤ ص١٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٣٧٩
٣٨٤١	(٣) راجع ج٨ ص٣١٤	راجع كتاب الشعب ص٣١٥٣
٣٨٤٤	(٣) آية ٣٨ سورةالأنعام راجع ج٦ ص٤٢٠	راجع كتاب الشعب ص٢٤١٧
٣٨٤٦	(٢) راجع ج٦ ص٤١٣	راجع كتاب الشعب ص٢٤١٠
٣٨٨٠	(١) راجع ص ٢٣٥من هذا الجزء .	راجع كتاب اللمب ص٣٨٥١
٣٨٩٤	(٢) راجع ج٣ ص٢٦١ وما بعدها	راجع كتاب اللمب ص١٠٦٩ وما بعدها
٣٩٠٦	(٢) راجع ص ٢٨ من هذا الجزء .	راجع كتاب الشعب ص٣٦٤٤
٣٩١٢	(٢) راجع ج٦ ص٢٦٠	راجع كتاب الشعب ص٢٢٥٧
٣٩٥٢	(٢) راجع ج٧ ص٢٦٧	راجع كتاب الشعب ص٢٧٠٣
٣٩٦٩	(٣) آية ٨٢ سورة النساء راجع ج٥ ص٢٨٨	راجع كتاب الشعب ص١٨٥٨
٣٩٧٢	(١) ص ٣٤٨من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٩٦٥
٣٩٧٧	(١) ص ١٥٩من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٧٧٥
٣٩٧٧	(٢) راجع ج٨ ص١٤٣ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٩٨٢ وما بعدها
٣٩٨٣	(١) ص ٢٦٠من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٣٨٧٦
٣٨٨٨	(١) راجع ج٦ ص٦٥	راجع كتاب الشعب ص٢٠٦٢

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٤٠٢٠	(١) راجع ج٩ ص٣٢٤	راجع كتاب الشعب ص٢٥٥٢
٤٠٢٠	(٢) راجع ج٧ ص٤٩	راجع كتاب الشعب ص٢٤٨٥
٤٠٢٧	(٣) راجع ج٤ ص٢٤	راجع كتاب الشعب ص١٢٦٦
٤٠٢٩	(١) راجع ج٨ ص٣٢٦	راجع كتاب الشعب ص٣١٦٥
٤٠٣٣	(١) ص ١١٧من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٢٧٣٣
٤٠٣٥	(١) راجع ج٧ ص٤٢	راجع كتاب الشعب ص٢٤٧٨
٤٠٣٦	(٣) راجع ج٥ ص١٥٨	راجع كتاب الشعب ص١٧٢٨
٤١١٨	(١) راجع ص ٣٤ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٠٧٣
٤١٩٨	(١) تقدم الحديث ج ٢ ص ٨٥ بلفظ آخر	راجع كتاب الشعب ص٤٨٠
٤٢٣٧	(١) راجع تفسير آية٢٦ من هذا الجزء	راجع تفسير الآية ٢٦ فى ص ٤١٣٦
٤٤٠٤	(٥) راجع ج٥ ص١٣٤	راجع كتاب الشعب ص١٧٠٤
٤٤٠٤	(٨) راجع ج١٠ص١٤٠	راجع كتاب الشعب ص٣٧٥٦
٤٤١٦	(٢) راجع ج١٠ص١١٢	راجع كتاب الشعب ص٣٧٢٨
٤٤١٨	(٢) راجع ج٩ ص٣٨٥	راجع كتاب الشعب ص٣٦١٤
٤٤٢٢	(١) راجع ج١٠ص٣٩٧	راجع كتاب الشعب ص٤٠١٤
٤٤٢٩	(٤) راجع ج٨ ص٦٩	راجع كتاب الشعب ص٢٩٠٨
٤٤٣٢	(٢) راجع ج١١ص٢٨٥	راجع كتاب الشعب ص٤٣٢٥
٤٤٣٣	(٢) راجع ج٣ ص١	راجع كتاب الشعب ص٨٠٩
٤٤٣٤	(٢) راجع ج٧ ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٢٥٠٨
٤٤٦٦	(٢) راجع ج١٠ص٤١٠	راجع كتاب الشعب ص٤٠٢٧
٤٤٦٨	(٤) راجع ج١١ص٢٧٤	راجع كتاب الشعب ص٤٣١٤
٤٤٨١	(٣) راجع ج١٠ص٣١٣	راجع كتاب الشعب ص٣٩٢٩
٤٤٨٢	(٣) راجع ج٤ ص٥٦	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٨
٤٤٨٥	(٢) راجع ج٧ ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٢٥٠٨
٤٤٨٥	(٣)ص ٥٨ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٤٥٠
٤٤٨٧	(١) راجع ج٤ ص٢٣٢	راجع كتاب الشعب ص١٤٧٤
٤٤٩٠	(١) راجع ج٧ ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٢٤٧٢
٤٤٩٢	(١) راجع ج٧ ص٨٠	راجع كتاب الشعب ص٢٥١٦
٤٤٩٢	(٢) راجع ج٣ ص٤٣٠ وج٧ ص٣٠٠	راجع كتاب الشعب ص١٢٣٨ وص ٢٧٣٦
٤٤٩٣	(٣) راجع ٠٠٠٠ وج٤ ص١٥٦	راجع كتاب الشعب ص١٣٩٨
٤٤٩٦	(٣) راجع ج٣ ص ٩٩	راجع كتاب الشعب ص ٩٠٧
	(١) راجع ج٥ ص١٢٩	راجع كتاب الشعب ص١٦٩٩
٤٤٩٨	(٢) راجع ج٧ ص٢٤٢	راجع كتاب الشعب ص٢٦٧٨
٤٤٩٨	وما بعدها	وما بعدها
	(٥) راجع ج٦ ص٣٨٧	راجع كتاب الشعب ص٢٣٨٤
٤٥٠١	(٦) راجع ص ٦ من	راجع كتاب الشعب ص٤٣٩٨
٤٥٠١	هذا الجزء	
	(١) راجع ج٧ ص٣٩	راجع كتاب الشعب ص٢٤٧٥
٤٥٠٢	(٤) راجع ج٣ ص٢٧١	راجع كتاب الشعب ص١٠٧٩
٤٥٠٣	(٢) راجع ج٣ ص٢٦٤	راجع كتاب الشعب ص١٠٧٢
٤٥٠٦	وج٧ ص ٢٧٨	وص ٢٧١٤

هامش صفحة	الخطـأ	الصواب
٤٥١٠	(١) راجع جـ ١٠ ص ٦٨ ، ٨٩	راجع كتاب الشعب ص٣٦٨٤ وص ٣٧٠٥
٤٥١٠	(٢) راجع جـ٩ ص٣٠	راجع كتاب الشعب ص٣٢٥٨
٤٥١٠	(٤) راجع جـ٧ ص٢٣٣	راجع كتاب الشعب ص٢٦٦٩
٤٥١١	(٢) راجع جـ٩ ص٣٤	راجع كتاب الشعب ص٣٢٦٢
٤٥١٨	(١) راجع جـ٩ ص٩٣	راجع كتاب الشعب ص٣٣٢١
٤٥١٨	(٤) راجع جـ١١ص٢٣٧	راجع كتاب الشعب ص٤٣٧٧
٤٥١٨	(٥) راجع جـ٣ ص٣١٥	راجع كتاب الشعب ص١٢٢٣
٤٥١٩	(٣) راجع جـ٤ ص٢٧٩	راجع كتاب الشعب ص١٥٢١
٤٥٢٠	(٢) راجع جـ٧ ص٢٢٣	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٩
٤٥٢٦	(١) راجع جـ٣ ص٤٢٧	راجع كتاب الشعب ص١٢٣٥
٤٥٢٧	(١) راجع هـامش ص ١١٥ من جـ ١٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٣١
٤٥٣١	(٢) راجع جـ٤ ص٣٢٣ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٥٦٥
٤٥٣٥	(١) راجع جـ٦ ص٤٢٦	راجع كتاب الشعب ص٢٤٢٣
٤٥٣٧	(١) راجع جـ٧ ص٢٣	راجع كتاب الشعب ص٢٤٥٩
٤٥٤٠	(٢) راجع جـ٧ ص٣٤٧	راجع كتاب الشعب ص٢٧٨٣
٤٥٤٤	(٢) راجع جـ٧ ص١١٦	راجع كتاب الشعب ص٢٥٥٢
٤٥٥١	(١) راجع جـ٥ ص٨٢ وما بعدها .	راجع كتاب الشعب ص١٦٥٢ وما بعدها
٤٥٥٢	(٤) راجع جـ٥ ص٨٧	راجع كتاب الشعب ص١٦٥٧
٤٥٥٣	(١) راجع المسألة الثانية جـ٥ ص ٨٦	راجع كتاب الشعب ص١٦٥٦
٤٥٥٤	(١) قصة ذكرها المؤلف فى جـ ٦ ص ٢٩٧	راجع كتاب الشعب ص٢٢٩٤
٤٥٥٦	(٣) راجع جـ٦ ص٢٩٧	راجع كتاب الشعب ص٢٢٩٤
٤٥٦٠	(١) راجع جـ٣ ص١٤٦	راجع كتاب الشعب ص٩٥٤
٤٥٦٤	(٥) راجع جـ٥ ص١٣٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٠٩
٤٥٧٠	(٢) راجع جـ٥ ص٨٣	راجع كتاب الشعب ص١٦٥٣
٤٥٧٨	(٢) آية ١٠٧ سورة المائدة راجع جـ٦ ص٣٥٩	راجع كتاب الشعب ص٢٣٥٦
٤٥٨٠	(١) راجع جـ٧ ص٢٤٣ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٦٧٩ و ما بعدها
٤٥٨٠	(٢) راجع ص ٩٠٩ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩٨
٤٦٠٠	(٢) راجع جـ٦ ص٢٦٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٢٦١
٤٦٠٠	(٣) راجع جـ٣ ص١٠٣	راجع كتاب الشعب ص٩١١
٤٦٠٠	(٤) راجع جـ٤ ص١٧٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٢٠
٤٦٠١	(٤) راجع جـ٥ ص١٢٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٩٠
٤٦٠٣	(٢) راجع جـ٥ ص٢	راجع كتاب الشعب ص١٥٧٢
٤٦٠٥	(١) راجع جـ٥ ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص١٦٠٦
٤٦٢٣	(١) راجع جـ١٠ص٢٥٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٦٦

هامش صفحة	الخطـأ	الصواب
٤٦٢٣	(٣) راجع ص ١٠٥ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩٧
٤٦٢٥	(١) راجع جـ٥ ص٢٠٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٦٧٥
٤٦٢٦	(١) راجع جـ١١ص١٨٧.	راجع كتاب الشعب ص٤٢٢٧
٤٦٢٩	(١) راجع جـ٧ ص١٨٢	راجع كتاب الشعب ص٢٦١٨
٤٦٣٠	(٣) راجع جـ٥ ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٦٠
٤٦٣١	(٢) راجع جـ٣ ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٨٨٠
٤٦٣٢	(٢) راجع ص١٦٧ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٥٥٩
٤٦٣٥	(١) راجع جـ٥ ص١٣٦ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٠٦
٤٦٣٦	(١) راجع ص١٠٥ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩٧ و ما بعدها
٤٦٤٧	(١) راجع جـ١٠ص١٨٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٦ وما بعدها
٤٦٥٨	(١) راجع جـ٨ ص٢٦٠	راجع كتاب الشعب ص٣٠٩٩
٤٦٦٠	(٢) آية ١٨ سورة التوبة راجع جـ٨ ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص٢٩٢٩
٤٦٨٢	(١) راجع . . . وجـ ٩ ص ٢٩٨ .	راجع كتاب الشعب ص٣٥٢٧
٤٦٨٣	(٢) راجع جـ١٠ص٢٣ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٦٣٩ و ما بعدها
٤٦٨٦	(١) راجع جـ٦ ص١٨٤	راجع كتاب الشعب ص٢١٨١
٤٦٨٨	(١) راجع جـ٧ ص٦٢	راجع كتاب الشعب ص٢٤٩٨
٤٦٩٢	(١) راجع جـ٦ ص٦٣	راجع كتاب الشعب ص٢٠٦٠
٤٦٩٢	(٢) راجع جـ٥ ص٢٥٤	راجع كتاب الشعب ص١٨٢٤
٤٦٩٢	(٣) راجع جـ٩ ص٣٨٢	راجع كتاب الشعب ص٣٦١١
٤٦٩٣	(٣) راجع جـ٧ ص٨٨	راجع كتاب الشعب ص٢٥٢٤
٤٧٠٧	(١) راجع جـ٧ ص١	راجع كتاب الشعب ص٢٤٣٧
٤٧٠٨	(٦) راجع جـ٥ ص٤١٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٩٨٠
٤٧١١	(١) راجع جـ١٠ص٤٠٦	راجع كتاب الشعب ص٤٠٢٢
٤٧٣٨	(٦) راجع ص ٩ من هذا الكتاب	راجع كتاب الشعب ص٤٧٢٥
٤٧٥٥	(١) راجع جـ٧ ص٢٢٨	راجع كتاب الشعب ص٢٧٢٤
٤٨٣٥	(١) راجع ص ٣١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٤٧٤٧
٤٨٣٧	(١) . . . . راجع جـ ٩ ص ٩١	راجع كتاب ب ص٣٢١٩
٤٩٦٨	(٢) راجع جـ٩ ص١٣٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٣٦٢
٥٠٥٩	(١) راجع جـ٧ ص٢٤٧ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٦٨٢ وما بعدها

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٥٠٨٨	(٢) راجع جـ٩ ص١٩٧	راجع كتاب الشعب ص٣٤٢٦
٥٠٩٠	(١) آية ٣٢ سورة الرعد جـ ٩ ص ٣٢٣	راجع كتاب الشعب ص٣٥٥٢
٥٠٩٧	(١) راجع جـ١٠ص٢١٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٢٦
٥٠٩٨	(١) راجع جـ٤ ص٥٦	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٨
٥٠٩٩	(١) راجع جـ٦ ص٣٨٧	راجع كتاب الشعب ص٢٣٨٤
٥٠٩٩	(٣) راجع جـ١٣ص١٣٢	راجع كتاب الشعب ص٤٨٤٨
٥١٠٧	(١) . . . . راجع جـ ٧ ص ١٨٨	راجع كتاب الشعب ص٢٦٢٤
٥١١٣	(٤) راجع جـ٥ ص٢٨٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٩٥٩
٥١١٤	(٢) راجع جـ٧ ص١٤٩	راجع كتاب الشعب ص٢٥٨٥
٥١١٦	(١) راجع جـ٤ ص٢٣٣	راجع كتاب الشعب ص١٤٧٥
٥١١٦	(٣) راجع جـ١٠ص٣٦	راجع كتاب الشعب ص٣٦٥٢
٥١١٨	(٢) راجع جـ٣ ص٣٤٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١١٥٦ وما بعدها
٥١٢١	(٤) راجع جـ٥ ص٤١٠	راجع كتاب الشعب ص١٩٨٠
٥١٢٥	(١) راجع جـ١٠ص١٥	راجع كتاب الشعب ص٣٦٣١
٥١٢٨	(١) راجع جـ١٠ص١٥	راجع كتاب الشعب ص٣٦٣١
٥١٢٨	(١) راجع جـ١٣ص٢٣٣	راجع كتاب الشعب ص٤٩٤٩
٥١٣٢	(٤) راجع ... وجـ ٦ ص ٢٢١	راجع كتاب الشعب ص٢٢١٨
٥١٣٣	(٤) راجع جـ١٠ص٢٩٠	راجع كتاب الشعب ص٣٩٠٦
٥١٣٤	(١) راجع جـ٨ ص٣٣٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣١٧٤
٥١٣٨	(١) راجع جـ٧ ص٣	راجع كتاب الشعب ص٢٤٣٩
٥١٣٩	(٢) راجع جـ٦ ص٤٠٤	راجع كتاب الشعب ص٢٤٠١
٥١٤٠	(١) راجع جـ٩ ص٢٧٩	راجع كتاب الشعب ص٣٥٠٨
٥١٤٥	(٢) راجع جـ١٣ص٣٢٨	راجع كتاب الشعب ص٥٠٤٤
٥١٤٦	(١) راجع جـ١٠ص٢٣٩	راجع كتاب الشعب ص٣٥٨٨
٥١٤٧	(١) راجع جـ٣ ص١٦٠	راجع كتاب الشعب ص٩٦٨
٥١٥٢	(١) راجع جـ١٠ص٢٦٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٧٦
٥١٥٣	(١) راجع جـ١٣ص٦٨	راجع كتاب الشعب ص٤٧٨٤
٥١٥٦	(١) راجع جـ١٢ص١٥٥٥	راجع كتاب الشعب ص٤٣٩٧ وص ٤٤٠٧
٥١٥٦	(٢) راجع جـ٦ ص٢٩٨	راجع كتاب الشعب ص٢٢٩٥
٥١٥٦	(٣) آية١٢١سورة الأنعام راجع جـ٧ ص١١	راجع كتاب الشعب ص٢٤٤٧
٥١٥٦	(٥) آية ٢٥٦ سورة البقرة راجع جـ٣ ص٢٧٩	راجع كتاب الشعب ص١٠٨٧
٥١٥٦	(٦) آية ٢٠ سورة آل عمران راجع جـ٤ ص٤٥	راجع كتاب الشعب ص١٢٨٧
٥١٥٨	(١) راجع جـ١١ص٦٨	راجع كتاب الشعب ص٤١٠٧
٥١٥٨	(٢) آية ٨٥ سورة الأسراء راجع جـ١٠ص٣٢٤	راجع كتاب الشعب ص٣٩٤٠
٥١٥٩	(١) راجع ... وجـ٤ ص ١٩٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٤٣٦

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٥١٥٩	(٢) راجع جـ١١ص٦٨	راجع كتاب الشعب ص٤١٠٧
٥١٦٠	(٢).... راجع جـ ١٢ ص٩٠ وجـ٤ص٥٦	راجع كتاب الشعب ص٤٤٨٢ ص ١٢٩٨
٥١٦٢	(١) راجع جـ٨ ص٣٢٥	راجع كتاب الشعب ص٣١٦٤
٥١٦٤	(١) راجع جـ٧ ص١	راجع كتاب الشعب ص٢٤٣٧
٥١٦٤	(٣) راجع جـ٧ ص٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٤٣٨ وما بعدها
٥١٦٧	(١) راجع جـ٦ ص١٢١	راجع كتاب الشعب ص٢١١٨
٥١٧٢	(٤) راجع جـ١٢ص١٠٩	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠١
٥١٧٣	(١) راجع جـ٦ ص٢٢	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٨
٥١٧٦	(٥) راجع جـ١٢ص٧	راجع كتاب الشعب ص٤٣٩٩
٥١٨٣	(١) راجع جـ١٢ص٣٠٨	راجع كتاب الشعب ص٤٧٠٠
٥١٨٩	(٢) راجع جـ١٢ص٢٨	راجع كتاب الشعب ص٤٤٣٠
٥١٨٩	(٣) راجع ص ٩٨، ٩٩ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥١٨٠ وص ٥١٨١
٥٢٠٦	(٤) راجع جـ٨ ص٥٩	راجع كتاب الشعب ص٢٨٩٨
٥٢٠٧	(١) راجع جـ٥ ص١٠٩	راجع كتاب الشعب ص١٦٧٩
٥٢٠٨	(٢) راجع جـ٩ ص٧٦	راجع كتاب الشعب ص٣٣٠٤
٥٢٠٨	(٣) راجع ص ١٢٤ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٠٦
٥٢١٠	(١) راجع جـ٧ ص١٦٤	راجع كتاب الشعب ص٢٦٠٠
٥٢١٢	(١) راجع جـ٤ ص٢٤٩ ومابعدها وجـ١٣ص١٩٤	راجع كتاب الشعب ص١٤٩١ وما بعدها وص ٤٩١٠
٥٢٢٠	(٢) راجع جـ١١ص٣١١	راجع كتاب الشعب ص٤٣٥١
٥٢٢٢	(١) آية ٢٧ سورة الأنفال راجع جـ٧ ص٣٩٤	راجع كتاب الشعب ص٢٨٣٠
٥٢٢٢	(٢) آية١٠٢ سورة التوبة راجع جـ٨ ص٢٤٢	راجع كتاب الشعب ص٣٠٨١
٥٢٢٥	(٢) راجع جـ١١ص١٨٠	راجع كتاب الشعب ص٤٢٢٠
٥٢٣٩	(١) آية ٢١٤ راجع جـ ٣ ص ٣٣	راجع كتاب الشعب ص٨٤١
٥٢٥٦	(٣) راجع جـ١٢ص١٩٧	راجع كتاب الشعب ص٤٥٨٩
٥٢٥٧	(٣) راجع جـ١٢ص١٧٦	راجع كتاب الشعب ص٤٥٦٨
٥٢٥٨	(١) راجع ... وجـ ٣ ص ٢١٣	راجع كتاب الشعب ص١٠٢١
٥٢٥٩	(٢) راجع جـ٤ ص٨٢	راجع كتاب الشعب ص١٣٢٤
٥٢٦١	(٢) راجع جـ١٢ص٣٠٩	راجع كتاب الشعب ص٤٧٠١
٥٢٦٨	(٢) راجع جـ٤ ص٨٢ ، ١٠٦	راجع كتاب الشعب ص١٣٢٤ وص ١٥٥٢
٥٢٦٩	(٥) راجع المسألة الخامسة جـ٣ص٦٩ وجـ١٣ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٨٧٧ وص ٤٩٩٤
٥٢٧٥	(١) راجع ص ١١٨ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٠٠
٥٢٧٧	(١) راجع جـ٣ ص٧٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٨٨٠ وما بعدها
٥٢٨٠	(١) راجع جـ٧ ص٣٠٥	راجع كتاب الشعب ص٢٧٤١
٥٢٨٠	(٢) راجع جـ١٠ص٢١٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٢٦

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٥٢٨٥	(٣) راجع المسألة الخامسة ج ٨ ص ٢١١	راجع كتاب الشعب ص٣٠٥٠
٥٢٨٦	(٢) راجع ج٣ ص١١٢	راجع كتاب الشعب ص٩٢٠
٥٢٨٦	(٣) راجع ج٣ ص٢٠٠	راجع كتاب الشعب ص١٠٠٨
٥٢٨٧	(١) ج ٣ ص ٢٠٤	راجع كتاب الشعب ص١٠١٢
٥٢٨٧	(٢) ج ٣ ص ١٢٥	راجع كتاب الشعب ص٩٣٣
٥٢٨٨	(١) راجع ج٣ ص١٧٣ وص ٢٢٦	راجع كتاب الشعب ص٩٨١ وص ١٠٣٤
٥٢٩٢	(٢) راجع ج٥ ص١٢٧ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٦٩٧
٥٢٩٣	(٢) راجع ج١٣ص٢٧٢	راجع كتاب الشعب ص٤٩٨٨
٥٢٩٤	(٣) آية ٤٨سورةالعنكبوت راجع ج١٣ص٣٥١	راجع كتاب الشعب ص٥٠٦٧
٥٢٩٤	(٥) راجع ج٥ ص٥٩	راجع كتاب الشعب ص١٦٢٩
٥٢٩٤	(٦) راجع ج١١ص٨١	راجع كتاب الشعب ص٤١٢٠
٥٢٩٧	(٢) راجع ج٣ ص١٧٤ و ٢٢٦	راجع كتاب الشعب ص٩٨٢ وص ١٠٣٤
٥٣٠٠	(٤) ١١٧ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥١٩٩
٥٣٠١	(١) ص ٢٠٧ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٨٩
٥٣٠٢	(١) آية ٢٣٤سورةالبقرة راجع ج٣ص١٧٤، ٢٢٦	راجع كتاب الشعب ص٩٨٢، ١٠٣٤
٥٣١٣	(٣) راجع ج١٢ص٢٦٦	راجع كتاب الشعب ص٤٦٥٨
٥٣١٩	(١) راجع ج١١ص١٥٩	راجع كتاب الشعب ص٤١٩٨
٥٣٢٠	(١) راجع ج١٢ص١٢١	راجع كتاب الشعب ص٤٨٣٧
٥٣٢٣	(١) راجع ص ١٦٢ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٤٤
٥٣٢٩	(١) راجع ج٥ ص١٨٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٥٣
٥٣٣٠	(١) راجع ج٤ ص٣٠٢	راجع كتاب الشعب ص١٥٤٥
٥٣٣٠	(٢) راجع ج٧ ص٢٢٧	راجع كتاب الشعب ص٢٦١٣
٥٣٣١	(١) راجع ص ١٤٥ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٢٧
٥٣٤٠	(٣) راجع ج١١ص١٤٧	راجع كتاب الشعب ص٤١٨٦
٥٣٤٦	(١) راجع ج١٠ص٣٣٠	راجع كتاب الشعب ص٣٩٤٦
٥٣٤٨	(٢) ... راجع ج ١١ ص ٣٢٠	راجع كتاب الشعب ص٤٣٦٠
٥٣٥٨	(٣) راجع ج٩ ص٣٤٣	راجع كتاب الشعب ص٣٥٧٢
٥٣٦٤	(٢) راجع ج٤ ص١٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٣٧٩
٥٣٦٤	(٣) راجع ج١٠ص٢١١	راجع كتاب الشعب ص٣٨٢٧
٥٣٦٥	(١) راجع ج١٣ص١٨١	راجع كتاب الشعب ص٤٨٩٧
٥٣٧٩	(١) راجع ج١٠ص١٠	راجع كتاب الشعب ص٣٦٢٦
٥٣٨٦	(١) راجع ج٨ ص٣٥٢	راجع كتاب الشعب ص٣١٩١
٥٣٨٨	(١) راجع ج٤ ص٧٢، ج١١ص٨٠، ج١٣ص٨٢	راجع كتاب الشعب ص١٣١٤ وص ٤٧٩٨
٥٣٨٩	(١) راجع ج٨ ص٢٠٤ ج١٣ص٨٣و ٣٥٩	راجع كتاب الشعب ص٣٠٤٣ وص ٤٧٩٩ وص ٥٠٧٥

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٥٣٨٩	(٢) راجع ج٣ ص٣٠٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١١١٦
٥٣٩٠	(١) راجع ج٧ ص٢٣٩	راجع كتاب الشعب ص٢٦٧٥
٥٤٠١	(١) راجع ج٩ ص٢٧٠ وج ٦ ص ٣٩٧	راجع كتاب الشعب ص٣٤٩٩ وص٢٣٩٤
٥٤٠٢	(٢) راجع ج٥ ص١٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٥٨٥
٥٤٠٩	(٤) راجع ج٧ ص٢٤٠	راجع كتاب الشعب ص٢٦٦٦
٥٤١٤	(٣) راجع ص ٣٠٢ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٨٤
٥٤١٥	(٢) راجع ج٩ ص٣٢٩	راجع كتاب الشعب ص٣٥٥٨
٥٤١٦	(١) راجع ج١٠ص٨٥	راجع كتاب الشعب ص٣٧٠١
٥٤١٧	(٢) راجع ج١٠ص٨٩	راجع كتاب الشعب ص٣٧٠٥
٥٤١٧	(٣) راجع ج٢ ص١٩٤	راجع كتاب الشعب ص٥٨٦
٥٤١٧	(٤) راجع ج٤ ص٥٦	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٨
٥٤١٧	(٥) راجع ص ٧٨ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥١٦٠
٥٤١٩	(٤) راجع ج٩ ص٣٥٤	راجع كتاب الشعب ص٣٥٨٣
٥٤٢٠	(١) راجع ج٧ ص١٩٧	راجع كتاب الشعب ص٢٥٩٣
٥٤٢٧	(٢) آية ٣٧من سورةالنور راجع ج١٢ص٢٧٩	راجع كتاب الشعب ص٤٦٧١
٥٤٢٧	(٣) آية ١٧٣ راجع ج ٦ ص ٢٩	راجع كتاب الشعب ص٢٠٢٢
٥٤٣٢	(١) راجع ج١٢ص٦٨	راجع كتاب الشعب ص٤٤٦٠
٥٤٣٢	(٥) راجع ج١٢ص٢٨	راجع كتاب الشعب ص٤٤٢٠
٥٤٣٤	(١) راجع ج١١ص٢٢٧	راجع كتاب الشعب ص٤٢٦٧
٥٤٣٤	(٢) اوجع ج٥ ص٢٥٣	راجع كتاب الشعب ص١٨٢٣
٥٤٣٥	(٣) راجع ج٧ ص٢٧٦	راجع كتاب الشعب ص٢٧١٢
٥٤٤٢	(١) ج ٤ ص ٢١٦	راجع كتاب الشعب ص١٤٥٨
٥٥٠٨	(١) راجع ص ٣٧ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٤٧١
٥٥٤١	(٢) تقدم في ج ١١ ص ٣٠٣	راجع كتاب الشعب ص٤٣٤٣
٥٦٦١	(١) راجع ج٢ ص١٣٣	راجع كتاب الشعب ص٥٢٨
٥٦٦٣	(٣) تقدمت في ج ٩ ص ٣١١	راجع كتاب الشعب ص٣٥٤٠
٥٦٧٠	(٢) راجع ص ١٢ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٤٠٦
٥٧٠٨	(٢) .... ج١٢ ص ٧٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٤٧١ وما بعدها
٥٨٢٤	(١) راجع ج١١ص١٥٦	راجع كتاب الشعب ص٤١٩٥
٢٥٨٥	(٣) راجع ج١٥ص٢٩٥	راجع كتاب الشعب ص٧٥٣٩
٥٨٢٧	(١) راجع ج٦ ص٣٩٧ وج٩ ص٢٧٠، ٣٤٦ وج ١٤ص٢٤ ومابعدهاص٣١٩	راجع كتاب الشعب ص٢٣٩٤ وص٣٤٩٩ وص ٣٥٧٥، ص ٥١٠٦ ، ٥٤٠١

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٥٨٢٩	(١) راجع جـ١٥ص٢٧٤ وجـ٩ ص ٣١٤	راجع كتاب الشعب ص٥٧١٨ وص ٣٥٤٣
٥٨٣٣	(١) آية ٤٢ راجع جـ ١٤ ص ٣٥٧	راجع كتاب الشعب ص٥٤٣٩
٤٨٣٥	(٢) آية ٥٦ سورة الأعراف راجع جـ٧ ص٢٢٧	راجع كتاب الشعب ص٢٦٦٣
٥٨٣٨	(٢) ... راجع جـ ١٣ ص ١٨	راجع كتاب الشعب ص٤٧٣٤
٥٨٣٩	(٢) راجع جـ٩ ص١٤	راجع كتاب الشعب ص٣٢٤٢
٥٨٤٠	(١) راجع جـ١٤ص١١	راجع كتاب الشعب ص٥٠٩٣
٥٨٤٤	(١) راجع جـ٧ ص٧٠	راجع كتاب الشعب ص٢٥٠٦
٥٨٤٦	(١) راجع جـ٥ ص٩٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٦٦٠
٥٨٤٦	(٢) آية ١٠٤ راجع جـ ٨ ص ٢٥٠	راجع كتاب الشعب ص٣٠٨٩
٥٨٤٨	(١) راجع جـ١٠ص٤٣٦، ٦٧ ، جـ١٤ ص٣٤	راجع كتاب الشعب ص٣٦٥٢ وص ٣٦٨٣ وص ٥١١٦
٥٨٥٤	(٢) راجع جـ٥ ص٣٩٦	راجع كتنب الشعب ص١٩٦٦
٥٨٥٣	(٢) راجع جـ٨ ص٣٢٥ وجـ١٣ ص ٢٢٣	راجع كتاب الشعب ص٣١٦٢ وص ٤٩٣٩
٥٨٥٥	(١) آية ٣١ راجع جـ٥ ص ١٥٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٢٨
٥٨٥٦	(١) آية ١٣٤ راجع جـ ٤ ص ٢٠٦	راجع كتاب الشعب ص١٤٤٨
٥٨٥٧	(٣) راجع جـ٤ ص٢٢٤	راجع كتاب الشعب ص١٤٦٦
٥٨٥٨	(١) آية ١٥٩ راجع جـ ٤ ص ٢٤٨ ومابعدها	راجع كتاب اشعب ص١٤٩٠
٥٨٥٩	(١) آية ٣٩ راجع جـ ١٢ ص ٦٧	راجع كتاب الشعب ص٤٤٥٩
٥٨٦٠	(١) راجع جـ٢ ص٣٥٥	راجع كتاب الشعب ص٧٤٠
٥٨٦٠	(٢) راجع جـ٤ ص٢٠٧	راجع كتاب الشعب ص١٤٤٩
٥٨٦٦	(١) راجع جـ١٢ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٠
٥٨٧٣	(١) راجع جـ٥ ص٦٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٦٣٥
٥٨٧٤	(١) راجع جـ١١ص٨٦	راجع كتاب الشعب ص٤١٢٥
٥٨٧٦	(٣) ...راجع جـ٧ص٢٥	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦١
٥٨٨١	(٢) راجع جـ١٥ص٢٨٩	راجع كتاب الشعب ص٥٧٣٣
٥٨٨٢	(٣) راجع جـ٥ ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص١٦٤٢
٥٨٨٤	(١) راجع جـ٦ ص٣٨٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٣٨١
٥٨٨٤	(٢) راجع جـ١١ص٢٠٩	راجع كتاب الشعب ص٤٢٤٩
٥٨٨٥	(١) راجع جـ٧ ص٢٣٠	راجع كتاب الشعب ص٢٦٦٦
٥٨٨٦	(٢) راجع جـ١٠ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٣٦٨٨
٥٨٩٠	(٢) راجع جـ١٠ص١١٦	راجع كتاب الشعب ص٣٧٣٢
٥٨٩١	(١) راجع جـ١٠ص١١٦	راجع كتاب الشعب ص٣٧٣٢
٥٨٩٣	(٢) راجع جـ٧ ص١٢٨	راجع كتاب الشعب ص٢٥٦٤
٥٨٩٣	(٣) راجع جـ١٥ص٣٧	راجع كتاب الشعب ص٥[illegible]٨١
٥٨٩٨	(٣) راجع جـ٧ ص٣١	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦٧
٥٨٩٩	(٢) راجع جـ٧ ص٣١	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦٧
٥٩٠٠	(٢) راجع جـ٧ ص٣١	راجع كتاب الشعب ص٢٤٦٧
٥٩٠١	(٣) راجع جـ١٣ص١٤٣	راجع كتاب الشعب ص٤٨٥٩
٥٩٠٧	(١) راجع جـ٧ ص٣٩١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٨٢٧
٥٩٠٧	(٢) راجع جـ٤ ص٨٦ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٣٢٨
٥٩٠٧	(٣) راجع جـ١٠ص٣٣١	راجع كتاب الشعب ص٣٩٤٧
٥٩٠٨	(٢) راجع جـ٧ ص١٤٢	راجع كتاب الشعب ص٢٥٧٨
٥٩١٨	(١) راجع جـ١٢ص٢٣٨	راجع كتاب الشعب ص٤٦٣٠
٥٩١٩	(١) راجع جـ١١ص١٩٢	راجع كتاب الشعب ص٤٢٣٢
٥٩٢٣	(٣) راجع جـ١١ص٣٤٣ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٣٨٣
٥٩٢٥	(١) راجع جـ٨ ص١٤١	راجع كتاب الشعب ص٢٩٨٠
٥٩٢٩	(١) راجع جـ١١ص١٠٦ و١٠٨	راجع كتابه الشعب ص٤١٤٥ وص ٤١٤٧
٥٩٣١	(٢) راجع جـ١٤ص١٢	راجع كتاب الشعب ص٥٠٩٤
٥٩٣٢	(١) آية ٣٥ سورة الأحزاب راجع جـ١٤ص١٨٥	راجع كتاب الشعب ص٥٢٦٧
٥٩٣٢	(٢) راجع جـ١٢ص٢٩	راجع كتاب الشعب ص٤٤٢١
٥٩٣٥	(١) راجع جـ١٢ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٠
٥٩٣٥	(٢) راجع جـ٧ ص٢٠٨	راجع كتاب الشعب ص٢٦٤٤
٥٩٣٥	(٣) راجع جـ٦ ص٤٢٦	راجع كتاب الشعب ص٢٤٢٣
٥٩٣٧	(١) راجع جـ١٠ص٣٣١	راجع كتاب الشعب ص٣٩٤٧
٥٩٣٩	(١) راجع جـ١٥ص٣٥١	راجع كتاب الشعب ص٥٧٩٥
٥٩٣٩	(٢) راجع جـ١٤ص٢٩٨	راجع كتاب الشعب ص٥٣٨٠
٥٩٤٠	(١) راجع جـ١١ص١٥٥	راجع كتاب الشعب ص٤١٩٤
٥٩٤١	(٥) راجع جـ٧ ص٣٢٣	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٩
٥٩٤٣	(١) راجع جـ٣ ص٣٨٩	راجع كتاب الشعب ص١١٩٧
٥٩٤٦	(١) راجع ص ٦١ من هذا الكتاب	راجع كتاب الشعب ص٥٨٨١
٥٩٥٦	(١) راجع جـ٩ ص٧٩	راجع كتاب الشعب ص٣٣٠٧
٥٩٥٦	(٢) راجع جـ٨ص٣٧٧ وجـ ١١ ٢٢٧ وجـ١٣ص١٠٥	راجع كتاب الشعب ص٣٢١٦ ص٤٢٦٧ وص ٤٨٢١
٥٩٥٦	(٥) راجع جـ١٠ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص٣٦٨٩
٥٩٥٨	(١) راجع جـ١٣ص١٠٢ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٨١٨ وما بعدها
٥٩٦١	(١) راجع جـ١٠ص٢٢٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٣٦
٥٩٦٢	(١) راجع جـ١٠ص٢٦٦ وجـ١١ ص١٥٧ وجـ١٥ ص ٣٤٤ .	راجع كتاب الشعب ص٣٨٨٢ وص ٤١٩٦ وص ٥٧٨٨
٥٩٦٤	(٣) راجع جـ٢١ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٤٢٦٨

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٥٩٦٧	(١) راجع ج١١ ص٢٧٦	راجع كتاب الشعب ص٤٣١٩
٥٩٧٠	(١) راجع ج١٠ ص٢٨٣ وج١٥ ص٨٥	راجع كتاب الشعب ص٣٨٩٩ وص٥٥٢٩
٥٩٧١	(٣) راجع ج٩ ص٨٧	راجع كتاب الشعب ص٣٤١٥
٥٩٧٢	(٢) راجع ج١٠ ص٣٩٧	راجع كتاب الشعب ص٤٠١٤
٥٩٧٣	(٣) راجع ج١٥ ص٥	راجع كتاب الشعب ص٥٤٤٩
٥٩٧٧	(١) راجع ج٢ ص١٩١ وج١٤ ص٥٨	راجع كتاب الشعب ص٥٨٦ وص٥١٤٠
٥٩٧٩	(١) راجع ج١٤ ص٥٧	راجع كتاب الشعب ص٥١٣٩
٥٩٨٢	(١) راجع ج١١ ص٣٣٤	راجع كتاب الشعب ص٤٢٨٤
٥٩٨٣	(١) راجع ج١٦ ص٥٨٦	غير موجود بالأصل رقم الصفحة
٥٩٨٥	(١) راجع ج٦ ص٦٦	راجع كتاب الشعب ص٣٠٦٣
٥٩٩٤	(١) راجع ج١١ ص١٣٢	راجع كتاب الشعب ص٤١٧٦
٥٩٩٥	(٣) راجع ج١٠ ص٤١٨ وج١٢ ص١٣٤	راجع كتاب الشعب ص٤٠٣٥ وص٤٥٢٦
٥٩٩٧	(١) راجع ج١٠ ص١٦٢ وج١٤ ص٤٩ وج١٥ ص٣٥٣	راجع كتاب الشعب ص٣٧٧٨ وص٥١٣١ وص٥٧٩٧
٥٩٩٨	(٢) راجع ص١٥٦ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٩٧٦
٦٠٠٤	(١) راجع ج٦ ص٥٩ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٠٥٩
٦٠٠٦	(٢) راجع ج٧ ص٢	راجع كتاب الشعب ص٣٤٣٨
٦٠٠٨	(١) راجع ج٩ ص٣٣٥	راجع كتاب الشعب ص٣٦٦٣
٦٠٠٩	(١) راجع ج٩ ص٣٣٥	راجع كتاب الشعب ص٣٦٦٣
٦٠١٢	(١) راجع ج١٥ ص٣٥٧	راجع كتاب الشعب ص٥٨٠١
٦٠١٣	(١) راجع ج١٣ ص٣٢٨	راجع كتاب الشعب ص٥٠٤٤
٦٠١٣	(٣) راجع ج٣ ص١٦٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٩٦٨ وما بعدها
٦٠١٣	(٥) راجع ج١٤ ص٦٤ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥١٤٦
٦٠١٤	(١) راجع ج٧ ص١٣٤ وما بعده	راجع كتاب الشعب ص٣٥٧٠
٦٠١٦	(٢) راجع ج١٣ ص٣٢٨ وج١٤ ص٦٣	راجع كتاب الشعب ص٥٠٤٤ وص٥١٤٥
٦٠١٦	(٢) راجع ج٩ ص٣٥٦	راجع كتاب الشعب ص٣٦٨٥
٦٠١٧	(١) راجع ج١٠ ص٢٤٢	راجع كتاب الشعب ص٣٨٥٨
٦٠١٨	(١) راجع ج٧ ص١٨	راجع كتاب الشعب ص٣٤٥٤
٦٠٢٠	(١) راجع ج٧ ص١٩٨	راجع كتاب الشعب ص٣٦٣٤
٦٠٤٦	(١) راجع ج٨ ص٤٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٨٨٤
٦٠٤٨	(٢) راجع ج٨ ص٤٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٨٨٤ وما بعدها
٦٠٥٠	(١) راجع ج٤ ص٢٣٤	راجع كتاب الشعب ص١٤٧٦
٦٠٥٢	(١) راجع ج١٢ ص٧٢	راجع كتاب الشعب ص٤٤٦٤
٦٠٥٢	(٢) راجع ج٧ ص٣٧٧	راجع كتاب الشعب ص٣٨١٣
٦٠٥٤	(٢) راجع ص٢٢٠ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٠٥٠
٦٠٥٥	(١) راجع ج٤ ص٢٢٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٧٠
٦٠٥٦	(١) راجع ج٩ ص٣٢٤	راجع كتاب الشعب ص٣٦٥٣
٦٠٦٥	(١) راجع ج٢ ص٢٤٤	راجع كتاب الشعب ص١٠٥٢
٦٠٦٩	(٣) ج٣ ص٢٤٤	راجع كتاب الشعب ص١٥٥٢
٦٠٧٠	(٣) راجع ج٨ ص٢٨ وج١٠ ص٩٩	راجع كتاب الشعب ص٢٨٦٥ وص٣٧١٥
٦٠٧٢	(٢) راجع ج٨ ص١٩٦	راجع كتاب الشعب ص٣٠٣٥
٦٠٧٥	(١) راجع ج٣ ص٤٨	راجع كتاب الشعب ص٨٥٦
٦٠٧٦	(١) راجع ج٤ ص٢٣٠	راجع كتاب الشعب ص١٤٧٢
٦٠٧٦	(٢) راجع ج٨ ص٣٩	راجع كتاب الشعب ص٢٨٧٨
٦٠٧٧	(١) راجع ج٦ ص٤١٤	راجع كتاب الشعب ص٣٤١١
٦٠٨١	(٦) راجع ج٨ ص٢	راجع كتاب الشعب ص٢٨٤١
٦٠٨٤	(١) راجع ج٣ ص٢٤٨	راجع كتاب الشعب ص١٠٥٦
٦٠٨٤	(٢) راجع ج٤ ص٢٨٠	راجع كتاب الشعب ص١٥٢٢
٦٠٨٦	(١) . . . راجع ج٥ ص١٩٧	راجع كتاب الشعب ص١٧٦٧
٦٠٨٧	(١) راجع ج١٤ ص١٩٨	راجع كتاب الشعب ص٥٢٨٠
٦٠٨٨	(١) راجع ج٨ ص٢١٦	راجع كتاب الشعب ص٣٠٥٥
٦٠٩١	(٣) راجع ج٨ ص١٤٩	راجع كتاب الشعب ص٢٩٨٨
٦٠٩٣	(٢) راجع ج٨ ص٢٢٦ وج١٢ ص٣١٢	راجع كتاب الشعب ص٣١٠٥ وص٤٧٠٤
٦١٠٣	(٢) راجع ج١٢ ص٣٢	راجع كتاب الشعب ص٤٤٢٥
٦١٠٤	(٢) ج٢ ص٣٧٨	راجع كتاب الشعب ص٧٦٣
٦١٠٦	(١) راجع ج٥ ص٣٢٣	راجع كتاب الشعب ص١٨٩٣
٦١٢٤	(٢) راجع ج٤ ص٨٨	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٠
٦١٣٠	(٣) راجع ج٧ ص٣٤٧	راجع كتاب الشعب ص٣٧٨٢
٦١٣٤	(١) راجع ج٥ ص١٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٧٠٧
٦١٣٤	(٢) راجع ج٨ ص٣٠٢	راجع كتاب الشعب ص٣١٤١
٦١٣٤	(٤) راجع ج٨ ص٢٩٤	راجع كتاب الشعب ص٣١٣٣
٦١٤٤	(١) ... راجع ص٨٣ من هذا الجزء وج١٢ ص١٥٤ وج١٥ ص٢٢٥	راجع كتاب الشعب ص٥٩٠٣ وص٤٥٤٦ وص٥٦٦٩
٦١٤٧	(١) راجع ج٨ ص١٦٦	راجع كتاب الشعب ص٣٠٠٥
٦١٥٤	(١) راجع هذه القصة فى ج٣ ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٩١٦
٦١٥٨	(١) راجع ج٤ ص٢٦٨	راجع كتاب الشعب ص١٥١٠
٦١٦٢	(١) راجع ج٥ ص١ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٥٧١
٦١٦٤	(٥) راجع ج١٥ ص٤٧	راجع كتاب الشعب ص٥٤٩١
٦١٦٥	(٢) راجع ص٩٣ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٩١٣
٦٢١٥	(٢) راجع ج١٥ ص٩٤	راجع كتاب الشعب ص٥٥٣٨

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٦٢٢١	(١) راجع جـ١٦ص٢٠٦ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٠٢٦
٦٢٥٠	(٢) راجع ص ٢٥ من هذا الجزء.	راجع كتاب الشعب ص٦١٩٥
٦٢٥٤	(٤) راجع جـ١٦ص٥٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٨٧٥
٦٢٥٨	(١) راجع جـ٧ ص٢١٩ لما بعد	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٥
٦٢٥٨	(٢) راجع جـ١٥ص٣٧٤ فما بعد	راجع كتاب الشعب ص٥٨١٨
٦٢٦١	(٤) .... راجع جـ ٤ ص٨٥ و١٠ ص ١٣٢	راجع كتاب الشعب ص١٣٢٧ وص ٣٧٤٩
٦٢٨٤	(٣) راجع جـ٤ ص١٥١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٣٩٣
٦٢٨٨	(٢) راجع جـ١٤ص٣٠٧	راجع كتاب الشعب ص٥٣٨٩
٦٢٩٤	(١) .... فى جـ ١٢ ص ٨٠ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٤٧٢ وما بعدها
٦٢٩٧	(١) راجع هامش ص٨٦ من هذا الجزء	راجع كتا الشعب هامش ص ٦٢٥٦
٦٣٢٩	(١) راجع .... وص ١٢١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٢٩١
٦٣٣٩	(٢) راجع جـ١٢ص٢٣٨ فما بعدها وجـ١٦ ص ص ٩٧ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٦٣٠ وما بعدها وص ٥٩١٧
٦٣٥١	(١) راجع جـ١٣ص٢١١	راجع كتاب الشعب ص٤٩٢٧
٦٣٥١	(٢) راجع جـ١٠ص٢٨٩ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٩٠٥ فما بعدها
٦٣٦٣	(١) راجع جـ١٣ ص ١	راجع كتاب الشعب ص٤٧١٧
٦٣٦٣	(٣) راجع ص ١٦٥من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٣٣٥
٦٣٧٣	(١) راجع جـ١٦ص١١٢ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٩٣٢
٦٣٧٣	(٢) راجع جـ١٥ص٢٧ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٤٧١
٩٣٧٣	(٤) راجع جـ١٥ص٧٩	راجع كتاب الشعب ص٥٥٢٣
٩٣٧٥	(١) راجع ص ٦٥ من هذا الجزء وراجع جـ ١٦ ص١٥٢	راجع كتاب الشعب ص٦٢٣٥ وص ٥٩٧٢
٦٣٧٨	(١) راجع ص٩٤فما بعدها من هذا الجزء	راجع كتا الشعب ص٦٢٦٤
٦٤٠٣	(٢) راجع ص ١٥٧ فما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٩٣٢٧ فما بعدها
٦٤١٢	(١) راجع جـ٣ ص٢٣٧ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥
٦٤٢٦	(١) راجع جـ٤ ص٢٠٤ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٤٤٦
٦٤٣٠	(١) راجع ص ١٥١من هذا جزء	راجع كتاب الشعب ص٦٣٢٤
٦٤٣٧	(١) راجع جـ٧ ص١٥٠ وجـ ١٢ ص ٢٤٤	راجع كتاب الشعب ص٢٥٩٦ و ص ٤٩٦٠
٦٤٤٣	(٢) آية الظهار فى جـ ١٤ ص ١١٨	راجع كتاب الشعب ص٥٢٠٠
٦٤٨٠	(١) راجع أول سورة الحديد جـ ١٧ ص ٢٣٥	راجع كتاب الشعب ص٦٤٠٥
٦٤٩٤	(١) راجع جـ٨ ص٩	راجع كتاب الشعب ص٢٨٤٨
٦٤٩٧	(٣) راجع جـ٥ ص٣٩٢	راجع كتاب الشعب ص١٩٦٢
٦٥٢٣	(١) آية ١٠٠ راجع جـ ٦ ص ٣٢٧	راجع كتاب الشعب ص٢٣٢٤
٦٥٢٣	(٢) جـ١٤ ص ١٠٥	راجع كتاب الشعب ص٥١٨٧
٦٥٢٧	(٣) جـ ٢ ص ١٣١ و جـ ١٠ ص ٢٦٦	راجع كتاب الشعب ص١٥٢٦ ص ٣٨٨٢
٦٥٣١	(١) راجع جـ٤ ص٥٠٧ جـ ٦ ص ٢١٦	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٩ و ص ٢٢١٣
٦٥٣٦	(١) راجع جـ٨ ص٢٧٤	راجع كتاب الشعب ص٣١١٣
٦٥٥٦	(١) راجع جـ١٧ص٢٣٥	راجع كتاب الشعب ص٦٤٠٥
٦٥٥٩	(٣) آية ٥٤ سورة مريم راجع جـ١١ص١١٤	راجع كتاب الشعب ص٤١٥٣
٦٥٦١	(٢) راجع جـ١٤ص٢٥٠	راجع كتاب الشعب ص٥٣٢٢
٦٥٦١	(٣) راجع جـ١٣ص٣١٠	راجع كتاب الشعب ص٥٠٢٦
٦٥٦١	(٤) راجع جـ٧ ص٢٧٣	راجع كتاب الشعب ص٢٧٠٩
٦٥٦١	(٥) راجع جـ٦ ص١٢٨	راجع كتاب الشعب ص٢١٢٥
٦٥٦١	(٦) راجع جـ٧ ص٢٩٤	راجع كتاب الشعب ص٢٧٢٠
٦٥٦٣	(١) راجع جـ١٤ص٢٠٠	راجع كتاب الشعب ص٥٢٨٢
٦٥٦٣	(٢) راجع جـ٦ ص٤٠١ وجـ ٧ ص٣٩	راجع كتاب الشعب ص٢٢٩٨ وص ٢٤٧٥
٦٥٦٤	(١) راجع جـ٤ ص٢٩٧	راجع كتاب الشعب ص١٥٣٩
٦٥٦٨	(١) راجع جـ٤ ص٩٧	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٩
٦٥٦٩	(١) القصار : محور الثياب راجع جـ٤ ص٩٧	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٩
٦٥٦٩	(٢) راجع جـ٤ ص١٠٠	راجع كتاب الشعب ص١٣٤٢
٦٥٧٩	(٢) راجع جـ٦ ص٢٢٤	راجع كتاب الشعب ص٢٢٢١
٦٥٩٠	(٢) راجع جـ٨ ص٢٥	راجع كتاب الشعب ص٢٨٧٤
٦٥٩٤	(٢) راجع أول جـ ١٧	راجع كتاب الشعب ص٦١٧١
٦٦٠١	(١) راجع جـ٨ ص٢١٢	راجع كتاب الشعب ص٣٠٥١
٦٦٠٥	(١) راجع جـ٣ ص٤٩٢ جـ ٤ ص٧٩	راجع كتاب الشعب ص٤٩٠٠ ص ١٣٢١
٦٦٠٥	(٢) راجع جـ١٣ص١٢٥	راجع كتاب الشعب ص٤٨٤١
٦٦٠٨	(١) راجع جـ٨ ص٢١٨	راجع كاب الشعب ص٥٠٧
٦٦٠٩	(١) راجع جـ٤ ص١٥٣	راجع كتاب الشعب ص١٣٩٥
٦٦١٢	(٢) راجع جـ١٤ص٢٤	راجع كتاب الشعب ص٦١٠٦

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٦٦١٣	(١) جـ ٦ ص ٣٨٤ ، جـ ٧ ص ١٩	راجع كتاب الشعب ص٢٣٨١ وص ٢٤٥٥
٦٦١٣	(٢) راجع ص ٤٨ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٥٢٧
٦٦١٤	(١) راجع جـ١١ص١٤٥	راجع كتاب الشعب ص٤١٨٤
٦٦١٦	(٢) راجع جـ١٢ص١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٠
٦٦٢٣	(٢) راجع جـ٤ ص١٥٧	راجع كتاب الشعب ص١٢٩٩
٦٦٢٥	(٣) راجع ص ٢٩ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٥٠٨
٦٦٢٥	(٤) راجع جـ٣ ص٢٣٧ وجـ ١٧ ص ٢٤٢	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥ وص ٦٤١٢
٦٦٢٦	(٢) أول سورة مر ، راجع جـ١٥ص٢٣٢	راجع كتاب الشعب ص٥٦٧٦
٦٦٢٦	(٣) أول سورة يونس ، راجع جـ٨ ص٣٠٥	راجع كتاب الشعب ص٣١٤٤
٦٦٣٢	(١) راجع جـ٣ ص١١٣	راجع كتاب الشعب ص٤٨٢٩
٦٦٣٢	(٤) راجع جـ٣ ص١	راجع كتاب الشعب ص٨٠٩
٦٦٣٦	(٢) راجع جـ٣ ص١٥٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٩٦٣ فما بعدها
٦٦٣٦	(٣) راجع جـ٣ ص١١٢	راجع كتاب الشعب ص٩٢٠
٦٦٣٨	(١) راجع جـ٣ ص٣٩٤	راجع كتاب الشعب ص١٢٠٢
٦٦٣٨	(٢) راجع جـ٣ ص٤٠١	راجع كتاب الشعب ص١٢٠٩
٦٦٤٤	(١) راجع جـ٣ ص١٧٤	راجع كتاب الشعب ص٩٨٢
٦٦٤٧	(٣) راجع جـ٣ ص١٨٥	راجع كتاب الشعب ص٩٩٣
٦٦٤٨	(١) راجع جـ٣ ص١٦٠ وجـ ٥ ص ١٠٨	راجع كتاب الشعب ص٩٦٨ وص ١٦٦٨
٦٦٥٢	(١) راجع جـ٤ ص٢٢٨	راجع كتاب الشعب ص١٤٧٠
٦٦٥٢	(٢) ... راجع جـ ١٧ ص ١٢٩	راجع كتاب الشعب ص٦٢٩٩
٦٦٥٣	(٣) راجع جـ١٠ص٢٠٥	راجع كتاب الشعب ص٣٨٢١
٦٦٦٧	(١) راجع جـ٦ ص١٧٣	راجع كتاب الشعب ص٢١٧٠
٦٦٧٠	(٣) راجع جـ٢ ص٣٧	راجع كتاب الشعب ص٤٣٠
٦٦٧١	(٣) راجع جـ١٤ص١٦٢	راجع كتاب الشعب ص٥٢٤٤
٦٦٧٢	(١) راجع ص١٩١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٦٧٠
٦٦٧٢	(٣) راجع جـ٢ ص٨٦ وجـ ٢ ص ٢١٣	راجع كتاب الشعب ص ٤٨١ ص ١٠٢١
٦٦٧٣	(١) راجع جـ٨ ص٢٩٩	راجع كتاب الشعب ص٣١٣٨
٦٦٧٣	(٢) ... وجـ٦ ص ٩٥ من هذا الكتاب	راجع كتاب الشعب ص٢٠٩٢
٦٦٧٤	(١) ... راجع جـ ١٢ ص ٣١٤	راجع كتاب الشعب ص٤٧٠٦
٦٦٧٤	(٢) ...راجع جـ٦ص٤٦	راجع كتاب الشعب ص٢٠٤٣
٦٦٧٥	(١) ... راجع جـ ١١ ص ٢٦٣	راجع كتاب الشعب ص٤٣٠٣
٦٦٧٥	(٢) ... راجع جـ ١٣	راجع كتاب الشعب ص٤٨٥٩

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
	ص ١٤٣	
٦٦٧٦	(١) آية ٥٧ ... راجع جـ ١٤ ص ٤٩	راجع كتاب الشعب ص٥١٣٩
٦٦٧٦	(٢) راجع جـ٥ ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص١٦٦٠
٦٦٧٧	(١) ...راجع جـ٨ص٢٨٢	راجع كتاب الشعب ص٣١٢١
٦٦٧٩	(١) راجع جـ٦ ص١٧٤	راجع كتاب الشعب ص٢١٧١
٦٦٨٠	(١) راجع جـ١٧ص٢٤٣	راجع كتاب الشعب ص٦٤١٣
٦٦٨٠	(٢) راجع جـ١٧ص٢٤٥	راجع كتاب الشعب ص٦٤١٥
٦٦٨٣	(٣) راجع جـ٦ ص٢٢	راجع كتاب الشعب ص٢٠١٨
٦٦٨٣	(٣) ...راجع جـ١١ص٩١	راجع كتاب الشعب ص٤١٣٠
٦٦٨٣	(٤) راجع جـ٤ ص٨٣	راجع كتاب الشعب ص١٣٢٥
٦٦٨٤	(١) راجع جـ٧ ص٢٢٣	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٩
٦٦٨٦	(١) راجع جـ١١ص٢٣٩	راجع كتاب الشعب ص٤٢٧٩
٦٦٩٠	(٢) راجع جـ٩ ص٩٨	راجع كتاب الشعب ص٣٣٢٦
٦٦٩١	(١) راجع جـ١٧ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص٦٢٤٣
٦٦٩٢	(١) راجع جـ١٧ص٢٠	راجع كتاب الشعب ص٦١٩٠
٦٦٩٦	(١) راجع جـ١٢ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص٤٤٦٥
٦٦٩٩	(١) راجع جـ٨ ص٣٤٩	راجع كتاب الشعب ص٣١٨٨
٦٦٩٩	(٢) ... راجع جـ ٧ ص ٣٣٥	راجع كتاب الشعب ص٢٧٧١
٦٧٠١	(١) راجع جـ١٠ص٤٠٩	راجع كتاب الشعب ص٤٠٢٦
٦٧٠١	(٢) راجع جـ١٢ص١١٢	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٤
٦٧١٥	(٢) راجع جـ٦ ص٤٠٥	راجع كتاب الشعب ص٢٤٠٢
٦٧١٨	(٣) راجع جـ٧ ص٩٩	راجع كتاب الشعب ص٢٥٣٥
٦٧٢٠	(٢) راجع جـ٤ ص٢١٥	راجع كتاب الشعب ص١٤٥٧
٦٧٢٤	(٢) راجع جـ٥ ص٢٥٤	راجع كتاب الشعب ص١٨٢٤
٦٧٣١	(٢) راجع جـ٧ ص٣٢٩	راجع كتاب الشعب ص٢٧٦٥
٦٧٣٢	(١) راجع جـ٨ ص٣٨٣	راجع كتاب الشعب ص٣٢٢٢
٦٧٣٢	(٢) راجع جـ١١ص٣٢٩	راجع كتاب الشعب ص٤٢٦٩
٦٧٣٢	(٣) راجع جـ١٥ص١٢١	راجع كتاب الشعب ص٥٥٦٥
٦٧٣٢	(٤) راجع جـ٩ ص٢٤٩	راجع كتاب الشعب ص٣٤٧٨
٦٧٣٧	(١) راجع جـ٧ ص٢٣٦	راجع كتاب الشعب ص٢٦٧٢
٦٧٤٤	(١) راجع جـ٧ ص٢٧٨	راجع كتاب الشعب ص٢٧١٤
٦٧٤٤	(٢) ...راجع جـ١٢ ص ٢٣	راجع كتاب الشعب ص٤٧٣٩
٦٧٤٥	(١) ... راجع جـ ١٧ ص ١٦٩	راجع كتاب الشعب ص٦٢٤٩
٦٧٥١	(١) ... راجع جـ ١٠ ص ٢٩٦	راجع كتاب الشعب ص٣٩١٢
٦٧٦٣	(١) ... راجع جـ ١٠ ص٢٩٤ وجـ١٦ ص١٤٩	راجع كتاب الشعب ص٤٠١١ وص ٥٩٦٩
٦٧٦٥	(١) ... راجع جـ ١٦ ص ٢٤٥	راجع كتاب الشعب ص٦١٦٥
٦٧٦٦	(١) ... راجع جـ ١١ ص ١٤٧	راجع كتاب الشعب ص١١٨٦
٦٧٧٠	(١) ... راجع جـ ١٧ ص ٣٨	راجع كتاب الشعب ص٦٢٠٨

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٦٧٧٤	(٣) ... راجع جـ ١٢ ص ١٠٢	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩٤
٦٧٧٤	(١) ... راجع جـ٣ ص٤١٥	راجع كتاب الشعب ص١٢٢٣
٦٧٧٤	(٢) راجع جـ٥ ص٢٥٥	راجع كتاب الشعب ص١٨٢٥
٦٧٧٤	(٤) راجع جـ١٢ ص١٠٧	راجع كتاب الشعب ص٤٤٩٩
٦٧٧٥	(١) راجع جـ١٥ ص٤٠	راجع كتاب الشعب ص٥٤٨٤
٦٧٧٧	(١) راجع جـ٧ ص٢٣٢	راجع كتاب الشعب ص٢٦٦٨
٦٧٧٧	(٢) راجع جـ١٣ ص٣٣٢	راجع كتاب الشعب ص٥٠٤٨
٦٧٧٨	(١) راجع جـ١٣ ص٣٣٢	راجع كتاب الشعب ص٥٠٤٨
٦٧٨١	(١) ...راجع جـ٩ ص١٥	راجع كتاب الشعب ص٣٢٧٩
٦٧٨٣	(١) راجع جـ٤ ص٣٩	رجع كتاب الشعب ص١٢٨١
٦٧٨٤	(٢) راجع جـ٤ ص٦٩	راجع كتاب الشعب ص١٣١١
٦٧٨٥	(١) راجع جـ١١ ص٢٨٥ وجـ١٢ ص ٤٠	راجع كتاب الشعب ص٤٣٢٥ وص ٤٤٣٢
٦٧٩٦	(١) راجع جـ١٦ ص٢١١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٠٣١ فما بعدهم
٦٧٩٨	(١) راجع جـ١٠ ص١٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٦٢١
٦٧٩٨	(٢) راجع جـ٨ ص٢٥٩	راجع كتاب الشعب ص٣٠٩٨
٦٧٩٨	(٣) راجع جـ١٧ ص١٨١	راجع كتاب الشعب ص٦٣٥١
٦٨٠٤	(١) راجع جـ١٠ ص١٠ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٦٢٦
٦٨٠٤	(٢) راجع جـ١٥ ص٦٦ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٥١٠
٦٨٠٨	(٢) راجع جـ٩ ص٢٧٤	راجع كتا الشعب ص٣٥٠٣
٦٨١٣	(٢) راجع جـ١٠ ص٢١١	راجع كتاب الشعب ص٣٨٢٧
٦٨١٣	(٣) راجع جـ٩ ص٣٧١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٦٠٠
٦٨١٤	(١) راجع جـ٨ ص١٠٤ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٩٤٣
٦٨١٤	(٢) راجع جـ١٢ ص٢٦٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص ٤٦٥٧
٦٨١٨	(١) راجع جـ٥ ص٣٣٣ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٩٠٣
٦٨١٩	(٢) راجع جـ٤ ص٩٥	راجع كتاب الشعب ص١٣٣٧
٦٨٢١	(١) ... الحديث جـ ٦ ص ٢٤٤	راجع كتاب الشعب ص٢٢٤١
٦٨٣٥	(١) راجع جـ١٣ ص٦٥	راجع كتاب الشعب ص٤٧٨١
٦٨٣٦	(٢) راجع جـ٦ ص٢٦١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٢٥٨
٦٨٣٧	(٢) راجع جـ٨ ص٥٣	راجع كتاب الشعب ص٢٨٩٢
٦٨٤٣	(١) راجع جـ١٢ ص٢ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٣٩٤
٦٨٥٠	(١) راجع جـ١٧ ص٢٥٢	راجع كتاب الشعب ص٦٤٢٢

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٦٨٥٨	(٢) راجع جـ٨ ص٢٦١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣١٠٠
٦٨٦١	(٢) راجع جـ١٣ ص٢٣٩ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٩٥٥ وما بعدها
٦٨٦١	(٢) راجع جـ١٣ ص٢٣٩ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٩٥٥ وما بعدها
٦٨٦١	(٣) راجع جـ٧ ص٢٠	راجع كتاب الشعب ص٢٤٥٦
٦٨٦٥	(١) راجع جـ٩ ص٣٤٩	راجع كتاب الشعب ص٣٥٧٨
٦٨٦٥	(٢) راجع ص ١٨ فما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٨١١
٦٨٦٧	(٣) راجع جـ٢ ص٤٣ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٣٦
٦٨٨٨	(١) راجع جـ٧ ص١٤٦ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٥٨٢
٦٨٩٣	(١) راجع جـ١٥ ص٣٥٠ وجـ٦ ص ٤٠٢	راجع كتاب الشعب ص٥٧٩٤ وص ٢٣٩٩
٦٨٩٧	(١) راجع جـ١١ ص٢٥٠	راجع كتاب الشعب ص٤٢٩٠
٦٨٩٨	(٢) راجع جـ٨ ص٣٣٠	راجع كتاب الشعب ص٣١٦٩
٦٩٠١	(١) راجع جـ٧ ص٥٤	راجع كتاب الشعب ص٢٤٩٠
٦٩٠٢	(١) راجع جـ١٥ ص١٩٥ وجـ١٧ ص٢٣٠ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٦٢٩ وص ٦٤٠٠
٦٩٠٤	(٢) راجع جـ١٨ ص٢٤٨ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٧٢٧ وما بعدها
٦٩٠٨	(١) راجع جـ١٧ ص١١٨ وص ٢١٦	راجع كتاب الشعب ص٦٢٨٨ وص ٦٣٨٦
٦٩٠٨	(٢) راجع جـ١٦ ص آية ٥٢	راجع كتاب الشعب ص٥٨٧٢
٦٩٠٨	(٣) راجع جـ٥ ص٢	راجع كتاب الشعب ص١٥٧٢
٦٩١٥	(١) راجع جـ١٨ ص٢٧٢	راجع كتاب الشعب ص٦٧٥١
٦٩٢٠	(١) راجع جـ٢ ص١٤ فما بعد، ص ٢١	راجع كتاب الشعب ص٤٠٧ وص ٤١٤
٦٩٢٨	(١) راجع جـ١٢ ص٢٩	راجع كتاب الشعب ص٤٤٢١
٦٩٢٨	(٢) راجع جـ١٠ ص٣٩٨	راجع كتاب الشعب ص٤٠١٥
٦٩٢٩	(١) راجع جـ١١ ص١٢٧	راجع كتاب الشعب ص٤١٦٦
٦٩٣١	(٣) راجع جـ١٦ ص١١١ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٩٣١ فما بعدها
٦٩٣٤	(٢) راجع جـ١٧ ص٢٠٢ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٣٧٢
٦٩٣٧	(٣) راجع جـ١٠ ص٣٩٧ وجـ١٧ ص ١٧٩	راجع كتاب الشعب ص٤٠١٤ وص ٦٣٤٩
٦٩٣٨	(١) راجع جـ١٣ ص٣٩ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٧٥٥
٦٩٤٠	(١) راجع جـ٣ ص٢٩	راجع كتاب الشعب ص٨٣٧
٦٩٤١	(٢) راجع جـ٧ ص٢٠٥ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٧٧١
٦٩٤٣	(١) ... جـ١٧ ص٣٢	راجع كتاب الشعب ص٦٢٠٢
٦٩٥٠	(١) راجع جـ١٢ ص٧ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٣٩٩ فما بعدها

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٦٩٠٢	(١) راجع جـ٢ ص١٠٢	راجع كتاب الشعب ص٤٩٧
٦٩٤٣	(٣) راجع جـ٦ ص١٦٨ فما بعد	راجع كتاب الشعب ص٢١٦٥
٦٩٥٤	(١) راجع جـ١٧ص٢١٣	راجع كتاب الشعب ص٦٣٨٣
٦٩٥٦	(١) راجع جـ٧ ص٢٠٧	راجع كتاب الشعب ص٢٦٤٣
٦٩٥٧	(١) راجع جـ١٢ص١٥٣	راجع كتاب الشعب ص٤٥٤٥
٦٩٦٤	(٣) راجع جـ٩ ص٢٠٥	راجع كتاب الشعب ص٣٤٣٤
٦٩٧٠	(١) راجع جـ٧ ص٢٠٦	راجع كتاب الشعب ص٢٦٤٢
٦٩٧٢	(١) راجع جـ١٥ص٢٢٦ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٦٦٥
٦٩٧٤	(١) راجع جـ١٧ص٢١١	راجع كتاب الشعب ص٦٢٨١
٦٩٨٠	(١) راجع جـ١٧ص١٦٩	راجع كتاب الشعب ص٦٣٢٩
٦٩٨٦	(١) راجع جـ١٣ص٢٣٩ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤٩٥٥
٦٩٩٢	(١) راجع جـ٧ ص٢٥٦ فما بعدها ، جـ١١ص٢٠٠ فما بعدها وجـ١٢ص٢٥٠ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٩٩٢ وص ٤٢٤٠ فما بعدها ، وص ٤٣٤٦ فما بعدها
٦٩٩٣	(٣) راجع جـ١١ص١٧٥	راجع كتاب الشعب ص٤٢١٥
٦٩٩٤	(٢) راجع ص ٤٥ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٨٣٨
٦٩٩٥	(٤) راجع جـ١٥ص٣١٠	راجع كتاب الشعب ص٤٧٥٤
٧٠٠٠	(٢) راجع جـ٧ ص٣٣٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٧٧١ فما بعدها
٧٠٠٤	(١) راجع جـ٨ ص٤٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٢٨٨٤
٧٠٢٠	(٢) راجع جـ٦ ص٤٢١	راجع كتاب الشعب ص٢٤١٨
٧٠٢٤	(١) راجع جـ١٠ص١١٧	راجع كتاب الشعب ص٣٧٣٣
٧٠٢٥	(١) راجع جـ١٠ص٢٣٠	راجع كتاب الشعب ص٣٨٤٦
٧٠٣٣	(١) راجع جـ١٧ص٩٤	راجع كتاب الشعب ص٦٢٦٤
٧٠٣٥	(٢) راجع جـ١٦ص٤	راجع كتاب الشعب ص٥٨٢٤
٧٠٣٩	(٢) راجع جـ١٧ص١١	راجع كتاب الشعب ص٦١٨١
٧٠٣٩	(٣) راجع جـ٤ ص٣١٠ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٥٥٢ وما بعدها
٧٠٤٦	(٢) راجع جـ١٨ص٢٨٢	راجع كتاب الشعب ص٦٧٦١
٧٠٤٧	راجع جـ٩ص٢٦٥ فمابعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٤٩٤
٧٠٥٦	(١) ... بهامش ص١٤١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٩٣٤
٧٠٥٧	(١) راجع ص ١٢٥ من هذا الجزء فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٩١٨
٧٠٥٨	(١) راجع جـ٥ ص٢٢٦ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص١٧٩٦
٧٠٥٩	(١) راجع جـ١٦ص١٣٩	راجع كتاب الشعب ص٥٩٥٩
٧٠٥٩	(٢) راجع جـ١٢ص١٥٥	راجع كتاب الشعب ص٤٥٤٧
٧٠٦١	(١) راجع جـ٩ ص٣٨٣	راجع كتاب الشعب ص٣٦١٢
٧٠٦٧	(١) راجع جـ٢ ص٣١٨ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٧٠٣

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٧٠٦٩	(١) راجع جـ١٧ص١٤	راجع كتاب الشعب ص٦١٨٤
٧٠٧٢	(١) راجع جـ١٨ص٢٩٣	راجع كتاب الشعب ص٦٧٤٢
٧٠٧٣	(٢) راجع جـ١٥ص٣٤١	راجع كتاب الشعب ص٤٧٨٥
٧٠٧٣	(٤) راجع جـ٢ ص١٦٩	راجع كتاب الشعب ص٥٦٤
٧٠٧٤	(٢) راجع جـ٥ ص(٨٢)	راجع كتاب الشعب ص١٦٥٢
٧٠٨٤	(١) راجع جـ١٠ص١٨٠ ومابعدها وص٢٠٢	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٦ ومابعدها وص ٣٨١٨
٧٠٨٤	(٣) راجع جـ١٠ص١٨٠	راجع كتاب الشعب ص٣٧٩٦
٧٠٨٥	(٣) راجع جـ٨ ص٢٠٧	راجع كتاب الشعب ص٣٠٤٦
٧٠٨٧	(١)...راجع جـ٩ص٩٥	راجع كتاب الشعب ص٣٣٢٣
٧٠٨٨	(١) راجع جـ١٢ص١٥٧	راجع كتاب الشعب ص٤٥٤٩
٧٠٨٨	(٣) راجع جـ٧ ص٢٢٠	راجع كتاب الشعب ص٢٦٥٦
٧٠٩٤	(١) راجع جـ٩ ص٢٩١	راجع كتاب الشعب ص٣٥٢٠
٧٠٩٦	(٦) راجع جـ٤ ص٧	راجع كتاب الشعب ص١٢٤٩
٧٠٩٦	(٧) راجع جـ١٦ص٢٤٣	راجع كتاب الشعب ص٦١٦٣
٧١٠٥	(٢) راجع جـ١٩ص٢٢٤	راجع كتاب الشعب ص٧٠١٧
٧١١١	(١) راجع جـ٥ ص١٩٦	راجع كتاب الشعب ص١٧٦٦
٧١١٤	(٣) راجع جـ٤ ص٢٢٠	راجع كتاب الشعب ص١٤٦٢
٧١١٨	(٣) راجع جـ١٩ص٢٧٠	راجع كتاب الشعب ص٧٠٦٣
٧١٢٣	(٢) راجع جـ١٩ص١٢٤ و١٤٠	راجع كتاب الشعب ص٦٩١٧ وص ٦٩٣٣
٧١٢٤	(١) راجع جـ١٦ص١١٣	راجع كتاب الشعب ص٥٩٣٣
٧١٣٤	(١) راجع جـ١٩ص٢٩٥	راجع كتاب الشعب ص٧٠٨٨
٧١٣٨	(٢) راجع جـ١٨ص٢٠٢	راجع كتاب الشعب ص٦٦٨١
٧١٣٨	(٣) راجع جـ١٥ص١٥٤	راجع كتاب الشعب ص٤٥٩٨
٧١٤٠	(١) راجع جـ٨ ص٧٣	راجع كتاب الشعب ص٢٩١٢
٧١٤٤	(٢) راجع جـ٧ ص١٢٨ جـ١١ ص ٦٣ وجـ١٨ وص ٢٦٤	راجع كتاب الشعب ص٢٥٦٤ وص ٤١٠٢ وص ٦٧٤٣
٧١٤٩	(٢) راجع جـ١٩ص٩٠	راجع كتاب الشعب ص٦٨٨٣
٧١٤٩	(٣) ... جـ٧ ص١٧٠	راجع كتاب الشعب ص٢٦٠٦
٧١٥٤	(١) راجع جـ١٩ص٢٢ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٨١٥ وما بعدها
٧١٥٨	(١) راجع جـ٨ ص١٨٣	راجع كتاب الشعب ص٣٠٢٢
٧١٦٨	(١) راجع جـ٧ ص٢٤١	راجع كتاب الشعب ص٢٦٧٧
٧١٦٨	(٤) راجع جـ١٣ص١٣١	راجع كتاب الشعب ص٤٨٤٧
٧١٦٨	(٥) راجع جـ١٧ص٤١	راجع كتاب الشعب ص٦٢١١
٧١٧٤	(١) راجع جـ٤ ص٢٩١	راجع كتاب الشعب ص١٥٣٣
٧١٧٩	(٢)... راجع جـ٥ ص٢٧٠	راجع كتاب الشعب ص١٨٤٠
٧١٨٠	(١) راجع جـ٣ ص٢٣٧	راجع كتاب الشعب ص١٠٤٥
٧١٨١	(١) راجع ص ٧٢ وما بعدها من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٧١٦٢
٧١٨٧	(١) راجع جـ١٦ص٥٥	راجع كتاب الشعب ص٥٨٧٥
٧١٨٩	(٢) راجع جـ١٦ص٥٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٥٨٧٥ فما بعدها
٧١٩٤	(١) راجع جـ١٥ص٢٤٧	راجع كتاب الشعب ص٤٦٩١

هامش صفحة	الخطأ	الصواب
٧٢٠٢	(١) راجع ج١٢ ص٢٦٣	راجع كتاب الشعب ص٤٦٥٥
٧٢٠٢	(٢) راجع ج١٢ ص١١٦	راجع كتاب الشعب ص٤٥٠٨
٧٢٠٧	(٢) راجع ج١٩ ص٥٨	راجع كتاب الشعب ص٦٨٥١
٧٢١١	(٢) راجع ج١٣ ص٣٥١	راجع كتاب الشعب ص٥٠٦٧
٧٢٢٠	(٥) راجع ج١٦ ص١٢٥	راجع كتاب الشعب ص٥٩٤٥
٧٢٢١	(٢) راجع ج١٨ ص٢٥٧ ج١٩ ص ٢٤٧ ، ص ٣ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٦٧٢٦ وص ٧٠٤٠ وص ٧٠٩٣
٧٢٣٢	(٢) راجع ج١٧ ص٢٢٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٦٣٩٥
٧٢٣٩	(١) راجع ج١٤ ص٨٣	راجع كتاب الشعب ص٥١٦٥
٧٢٤١	(١) . . . راجع ج ٥ ص ١٩٥	راجع كتاب الشعب ص١٧٦٤
٧٢٤٧	(١) راجع ج١٧ ص٢٢١	راجع كتاب الشعب ص٦٣٩١
٧٢٥٤	(٥) راجع ج١٨ ص٢٥٧	راجع كتاب الشعب ص٦٧٣٦
٧٢٥٥	(٧) راجع ج١٨ ص٢٨٤	راجع كتاب الشعب ص٦٧٦٣
٧٢٤٦	(١) راجع ج٧ ص١٦٥ ومابعدها وج ١١ ص ٦٦ وص٢٩٣	راجع كتاب الشعب ص٧٢٥٥ وما بعدها وص ٤١٠٥ ، وص ٤٣٢٣
٧٢٥٦	(٣) راجع ج١١ ص٢٩٣	راجع كتاب الشعب ص٤٣٣٢
٧٢٥٧	(١) راجع ج١٨ ص٢٦٩	راجع كتاب الشعب ص٦٧٤٨
٧٢٦٠	(١) راجع ج١٩ ص٢١٧	راجع كتاب الشعب ص٧٠١٠
٧٢٦٤	(١) راجع ج١١ ص١٤٧ وما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٤١٨٦ فما بعدها
٧٢٦٤	(٣) راجع ج١١ ص١٣٧	راجع كتاب الشعب ص٤١٧٦
٧٢٦٩	(١) راجع ج٣ ص٢١٠	راجع كتاب الشعب ص١٠١٨
٧٢٧١	(٤) راجع ص ٧١ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٧١٦١
٧٢٧٤	(١) راجع ج١١ ص١٤٧	راجع كتاب الشعب ص٤١٨٦
٧٢٧٥	(٤) راجع ص ٧٢ من هذا الجزء	راجع كتاب الشعب ص٧١٦٢
٧٢٨٨	(٤) راجع ج٩ ص٨١	راجع كتاب الشعب ص٣٣٠٩
٧٢٨٩	(١) راجع ج١٧ ص١٥٦	راجع كتاب الشعب ص٦٣٢٦
٧٣٠٠	(٢) راجع ج١٧ ص٦٤	راجع كتاب الشعب ص٦٢٢٤
٧٣٠١	(١) راجع ج٥ ص٤٦	راجع كتاب الشعب ص١٦١٦
٧٣٠١	(٣) راجع ج١٨ ص٢٧٢	راجع كتاب الشعب ص٦٧٥١
٧٣٠١	(٦) راجع ج١١ ص١٢١	راجع كتاب الشعب ص٤١٦٠
٧٣٠٢	(١) راجع ج٥ ص١٨١ وج٩ ص١٣ وج ١١ ص ٧٨	راجع كتاب الشعب ص١٧٥١ وص ٣٢٤٤ وص ٤١٠٩
٧٣٠٣	(٣) راجع ج٢ ص٣٣٢	راجع كتاب الشعب ص١١٤٠
٧٣١٠	(١) راجع ج١٥ ص١٠٧ وما بعده	راجع كتاب الشعب ص٥٥٥١ وما بعدها
٧٣١٠	(٢) راجع ج١٢ ص٤٢ وما بعده	راجع كتاب الشعب ص٤٤٢٤
٧٣٢٣	(٥) راجع ج٣ ص٢٧٥	راجع كتاب الشعب ص١١٨٣
٧٣٢٧	(٣) راجع ج١١ ص٢٥٦	راجع كتاب الشعب ص٤٢٩٦
٧٣٢٨	(١) راجع ج١٩ ص١٦٠	راجع كتاب الشعب ص٦٩٥٣
٧٣٣٦	(٤) . . . راجع ج ١٦ ص ٦٩	راجع كتاب الشعب ص٥٨٨٩
٧٣٤٨	(٢) راجع ج١٠ ص٣١٥ فما بعدها	راجع كتاب الشعب ص٣٩٣١
٧٣٤٩	(١) ... ج٥ ص٢٥١	راجع كتاب الشعب ص١٨٧١

الموضوع

الموضوع — رقم الصفحة

مكان الصفحة	الخطأ
٧٢٠	(١) راجع ج١١ص١٤٧
	(٤) راجع ص ٧٢ من هذا الجزء
	(٤) راجع ج٩ ص٨١
	(١) راجع ج١٧ص١٥٦
	(٢) راجع ج١٧ص١٠٤
	راجع ج٩ ص٦
	راجع ج١٨ص٧٢
	راجع ج١١ص٦١
	راجع ج٥ ص١
	ج٩ ص١٣
	ص ٧٨
	ج٣ ص٣٢
	ج١٥ص٥٠


Bibliotheca Alexandrina
0285899